بين الحاء والباء
قصاصات ذكريات

بقلم
ربى عبد الرحمن

رواية

بين الحاء والباء قصاصات ذكريات

بقلم: ربى عبد الرحمن

موقع الواتباد: https://www.wattpad.com/user/rororami

حساب الانستغرام: https://www.instagram.com/ranoodrami/

من أهداني وردة أهديه شجرة الورد ..

قطعة السكر التي لا يحلو يومي دونها ..

الفصل الأول

راما

" تفضل حبيبي كل بعض الكرز".

مددت يدي بحبة كرز حمراء نحو شفتيه، وقلبي يخفق بجنون محبته. احتضنت وجهه المشرق وأنا أتأمل ابتسامته الساحرة، فلم أقاوم مشاعري تجاهه لأبوح له بقولي: " أنت لا تعلم كم أحبك يا فراس".

نظر بعينيه الزرقاوين اللامعتين في عينيّ ثم قال: " يا لك من حالمة!"

فاجأني بنبرته الساخرة، ولم أتوقع أن يلفظ بهذه العبارة ظننته سيبوح بشعوره نحوي، خطفتني الدهشة على حين غرة. أبعدت يديّ عنه وابتعدت إلى الخلف قليلا عندها أحسست بأن ملامحه بدأت بالتغير. وما هي إلا لحظات حتى وجدت نفسي نائمة في سريري أعانق بيديّ وجه أختي الصغرى التي تبلغ السادسة من عمرها، لم أكن بعد قد أفقت من صدمتي حتى تكلمت الصغيرة سارة: "أخيرا أفقت من أحلامك التي تثير الشفقة! ظننتك ستبقين نائمة حتى الظهيرة".

سرعان ما بدأت أستعيد وعيي وأدركت وقتها بأنني كنت أحلم، نهضت فزعة ونفضت نفسي في سريري وصرخت بأعلى صوتي راجية من أمي أن تبعد هذه الماكرة عني:

" أمي! أبعدي هذا الشيطان من هنا!"

بعد أن أبرحت أختي الصغرى ضربا وتشاجرت مع أمي بسبب ذلك قررت أن آخذ حماما سريعا وأرتدي ملابسي وأتجه نحو الجامعة حتى لا تفوتني محاضرة الساعة التاسعة.

في نهايات شهر أيلول نودع الصيف لنستقبل فصل الخريف بأوراقه المتساقطة وألوانه الحزينة لأكمل مشواري الجامعي حيث استطعت بنجاح تخطي السنة الأولى فيها وصولا إلى سنتي الثانية، ومع ذلك يأبى الصيف تركنا بسهولة ليترك لنا دفء أجوائه، كأنه لم يرحل قط.

انتظرت الحافلة في الموقف، وتظاهرت بالانشغال بهاتفي حينما لمحتها قادمة من بعد؛ تلك العجوز التي ما يئست من تركي بحالي، مع أسئلتها المزعجة وتعليقاتها المحرجة لي؛ هل أنت شقراء حقيقية؟ العدسات الزرقاء جميلة في عينيك، لكن يا ترى ما هو لونهما الحقيقي؟ ماذا تأكلين لتحافظي على قوامك هذا؟ أنت طويلة القامة لست بحاجة إلى ارتداء الكعب، لماذا لا ترضين بحفيدي زوجا لك؟... وغيرها وغيرها من الأسئلة والكلام غير اللائق. في البداية كنت أستبسل لأحاول إقناعها بأنني حقيقية ولا أختبئ خلف التبرج ومساحيق التجميل، لكنني بعد ذلك سئمت ولم أعد أبرر لها.

توقفت عن المسير وتعمدت أن تجلس إلى جانبي على المقعد، ثم ألقت إلي بتحية الصباح، فرددتها لها على مضض. رمتني بنظرة متفحصة كالمعتاد، ثم قالت: " ألم تتم خطبتك بعد؟ أستغرب أن فتاة بهذا الجمال ما زالت متوفرة، اسمعي حفيدي مهندس سيعجبك.."

طفح الكيل وما عاد بإمكاني تحملها لذا قاطعتها متصنعة الأدب: "أنا آسفة يا جدة لكن أنا محجوزة... عمي يريدني لابنه عند تخرجي."

ظهر الامتعاض على ملامحها ثم قالت: " مبارك لك يا ابنتي، ومع ذلك إن لم يفلح الأمر وما زال حفيدي أعزب فأرجوك فكري في الموضوع."

اضطررت أن أزرع ابتسامة صفراء على وجهي ووعدتها كاذبة بالتفكير في الأمر.

راما هو اسمي، أدرس في قسم العلوم التربوية في الجامعة، يصفني الكثير بالجميلة لأنهم يرون أنني أتمتع بطلّة ملفتة؛ بشعري الأشقر اللامع القصير وعينيّ الزرقاوين الواسعتين ورموش عينيّ الطويلة وقوامي الممشوق. ومع ذلك كنت مؤمنة بأن الجمال ليس قوى خارقة وليس من صنع يديّ لأتباهى به؛ ففي نظري لا يوجد قبيح على وجه الكرة الأرضية بل أن الجمال نسبي؛ فما أراه في عيني جميلا قد لا يكون كذلك بالضرورة في عيني غيري، إذن المحصلة النهائية كل البشر يتمتعون بالجمال بطريقتهم المميزة.

نزلت من الحافلة وسرت باتجاه الباب الرئيسي للجامعة، كان مزاجي معكرا بسبب شجاري مع أمي ووضعت اللوم كاملًا على سارة فهي سبب مشاكلي دائما.

بسبب فارق السن بيننا فإننا لا نتفق أبدًا، عدا عن ذلك فسارة لا تحمل عقلية الفتيات اللواتي في سنها. أحيانا أشعر أنها امرأة في جسد طفلة، فهي شديدة المكر والخداع وتجيد تمثيل دور الضحية أمام أمي فيقع اللوم والعتاب علي لأنني الأخت الكبرى. كما أنها تتدخل كثيرا في حديث الكبار وذلك يثير سخطي دائما. عدا عن الإزعاج الصباحي المعتاد من قبل تلك العجوز.

بينما كنت شاردة في أفكاري وألوم حظي المتعثر إذ بي ألمح ذاك الشخص الذي اصطاد قلبي منذ خمس سنوات مضت، وما زال رهينة بين ضلوعه إلى الآن.. أذكر ذلك اليوم كأنه حصل قبل دقائق، حين ذهبت لزيارة صديقتي لورا في منزلها الكبير لأول مرة، فرأيته في حديقة منزلها. وقتها نشب شجار روتيني كما تصفه لورا بينهما. ما زلت أذكر بالضبط ملامحه الساحرة، ضحكته المذيبة للقلب، نظرات عينيه الساحرة بينما تلمعان بزرقتهما تحت ضوء الشمس. كل شيء كان مثاليًا فيه. إلا أنه لم ينتبه إلي ولا مرة واحدة.

بدأ قلبي يخفق بقوة وأخذت يداي تتعرقان وهمست في سري: " إنه فراس! مضى أسبوع ولم أره. يا إلهي هل ازداد سحرًا في هذا الأسبوع؟"

كان يسير برفقة أصدقائه لكنه لم يكن متجها نحو الباب الرئيسي بل كانت وجهته الباب الغربي كالمعتاد. تساءلت في نفسي: " هل أتبعه؟ لا لا عيب لكن أنا لن أفعل شيئا مخلا بالآداب أريد أن أمتع ناظري به فقط".

لذا قررت ملاحقته وتجاهلت ذلك النداء الخفي في داخلي؛ الذي يمنعني من الذهاب، حاولت أن أخفي نفسي وسط الطلبة حتى لا ألفت الأنظار إلي ويعلم بتتبعي له، جاهدت على إبقاء عينيّ عليه لكي لا أضيع أثره، ولم أعر الطريق أمامي انتباها فحصل ما كان علي توقعه؛ هاجمتني العاقبة الأخلاقية، فاصطدمت بقوة بعمود كهرباء أمامي مما أسقطني أرضا، وأخذت أتأوه من ألم الاصطدام، حينها سمعت صوتا من خلفي يقول: " هل أنت بخير؟ هل تحتاجين إلى مساعدة؟"

استدرت خلفي وأنا أحدث نفسي بأن هذا الصوت مألوف، فوجدته واقفا هناك، لا يمكن لي أن أنسى ذلك الوجه بتعابيره الحادة وعينيه العسليتين، يداه في جيب بنطاله وعلى وجهه ارتسمت علامات القلق. كان آخر شخص أتمنى أن أراه في هذه اللحظة بسبب الموقف المحرج الذي حصل بيننا في آخر مرة تعاملت فيها معه. انتفضت واقفة بسرعة وبدأت بنفض ملابسي وحاولت قدر الإمكان ألا أنظر في عينيه بينما قلت: " لا لا شكرا. أنا بخير".

لكنه قال بنبرة تحمل قلقا واضحا: " لكن جبينك ينزف لا أستطيع تركك هكذا هيا سأرافقك إلى عيادة الطبيب."

ابتسمت بإحراج وأجبت: " لا داعي، قلت لك أنا بخير".

لكنه أصر قائلا: " هيا هذا أقل واجب يمكنني فعله من أجل صديقة لورا".
أحسست بوجنتيّ تشتعلان حمرة ثم ابتعلت ريقي وتساءلت قائلة: " إذًا أنت تذكرني!"
ابتسم ساخرا وقال: " بالطبع أذكرك. كيف لي أن أنسى صديقات لورا؟ خصوصا المقربات!"
قال كلمة المقربات بنبرة ساخرة مما أثار في داخلي مزيدا من الإحراج والغضب منه.
لم يكن بيدي أن أصنع شيئا فقد وجدت نفسي في نهاية المطاف راضخة له ومتجهة نحو عيادة الجامعة برفقته حيث استقبلني الطبيب وعالج جرحي بقليل من مطهر الجروح ولاصق ليخفي منظر الخدش الذي أصاب جبيني، حاولت قدر الإمكان أن أبقى صامتة وأتجاهل نظرات الشاب لي.
شكرته على مساعدتي وانطلقت لألحق بمحاضرتي الأولى قبل أن يحرجني بمزيد من التعليقات. الساعة شارفت على التاسعة؛ لذا ركضت بكل سرعة سمحت بها ساقاي وأنا أردد في ذهني شعوري السيء تجاه اليوم هذا، فقد مررت بأفظع صباح على الإطلاق، ألم يكفني شيطنة سارة وشجاري مع أمي؟ والآن أصدم بعمود يسبب لي نزفا في جبيني؟ وفوق كل ذلك آخر شخص أملت في رؤيته يوما هو من قدّم لي يد المساعدة! هل يمكن أن يسوء هذا اليوم أكثر؟
عندما وصلت إلى القاعة وجدت بابها مغلقا، نظرت إلى ساعتي فوجدتها تعدت التاسعة بعشر دقائق. حاولت تهدئة نفسي وضبط توتري وأخذت نفسا عميقا، طرقت الباب وفتحته لألفت أنظار الطلبة والدكتور المحاضر نحوي. تجاهلت الإحراج البادي على ملامحي واعتذرت للدكتور قائلة:
" أنا أعتذر يا دكتور عن التأخير لقد..... حصل ......معي موقف...."

ولم أستطع إكمال عبارتي فأجابني مقاطعا: " ماذا حصل لجبينك يا ابنتي؟"
نظرت نحو الأرض بتوتر ولم أستطع التفوه بكلمة، فقال ليزيل الإحراج عني: " لا بأس يا ابنتي يمكنك الدخول".

جررت قدمي حتى وصلت إلى جانب صديقتي الحميمة سيلينا، حيث كانت تحتفظ بمقعد فارغ بجانبها لي، فسألتني هي الأخرى بقلق بصوت خافت:
" ماذا حصل لك؟ هل أنت بخير؟".
هززت رأسي وهمست لها: " فيما بعد ليس الآن".

دوت ضحكة سيلينا عاليا لتملأ أرجاء المقهى الخاص بالكلية بصوتها الرنان بالرغم من كونها فتاة خجولة في العادة بمظهرها الأنثوي ووجهها اللطيف وهالتها الهادئة التي تحوم حولها دائما. فأثارت بعض الأنظار نحونا، غطيت وجهي بيدي وزممت شفتيّ غضبا وقلت: " لو كنت أعلم أنك ستضحكين هكذا ما أخبرتك، كفى!"

أجابت سيلينا بين ضحكاتها: " أنا آسفة هههههه لم أستطع هههههه الموقف مضحك جدا هههههه ليس بيدي سامحيني ههههههه".

وسط ضحكات سيلينا واستيائي ظهرت لورا فجأة أمامنا، بثوبها البنفسجي الجميل الذي يلتف حول جسدها برشاقة، وصولا تحت ركبتيها بقليل، وبحذائها الفضي ذي الكعب العالي. وتتدلى من كتفها حقيبتها الفضية الصغيرة، بينما شعرها البني الحريري الجميل ينسدل على ظهرها وكتفيها كانت تحمل كتبها في يد ونظاراتها الشمسية الباهظة الثمن في يدها الثانية. مظهر الرقي كان واضحا جدا عليها. كيف لا وهي وحيدة والدها رجل الأعمال فاحش الثراء السيد حيدر عثمان؟ الذي كان يغدقها بدلاله الزائد لها، كان يرغب والدها في أن يلحقها بجامعة خاصة لكنها أصرت على الالتحاق بهذه

الجامعة حتى تبقى بقرب صديقتيها المقربتين ؛ أنا وسيلينا. سمحت لنفسها أن تشاركنا جلستنا فسحبت كرسيا فارغا عن الطاولة التي أجلس إليها مع سيلينا وسألت مبتسمة: " ما سبب ضحكاتك هذه يا سيلينا؟ صوتك وصل إلى خارج المبنى."

بدأت سيلينا بمسح دموعها من أثر الضحك وقد بدا الإحراج واضحا عليها ثم أجابت: " أنا آسفة إنها راما".

نظرت لورا نحوي بابتسامة متحمسة وقالت متسائلة: " ما بها راما؟" وعلى الفور حدجت سيلينا بعبوس وقلت مهددة إياها: " لا تقولي شيئا."

أسندت لورا ظهرها على ظهر الكرسي ثم قالت بنظرة واثقة: " إذا كنت تضحكين على الحادث الذي أصابها صباحا فأنا على علم به."

أظلمت عيناي وسألت بارتياب :" كيف عرفت؟"

ابتسمت مظهرة أسنانها البيضاء وأفصحت كمن تنطق بموضوع بديهي: " سمير قال لي".

غطيت وجهي بيديّ وقلت باستياء: " طبعا، كان يجدر بي أن أعلم أنه سيخبرك. ولما سيخفي الموضوع عن مخطوبته أصلا!".

فردت علي لورا: " الحق عليك، هذا جزاؤك! ماذا تريدين بهذا الغبي فراس؟ كفي عن ملاحقته."

اتسعت حدقتا عيني واعتلت وجهي حمرة شديدة وقلت متسائلة: " لم أكن ألاحقه، من قال هذا الكلام أصلا؟"

أجابت لورا بهدوء: " سمير!".

شهقت مع سيلينا بصدمة كبيرة ثم استفسرت بوجل: " ماذا تقصدين؟ كيف علم سمير أنني ألاحق .... كيف له أن ..... هل أخبرته أنني أحب فراس؟! هل بحث له بسرّي؟"

قالت لورا مجيبة عن استفساراتي: " كفاك دراما، أنا لم أقل له شيئا اكتشف الموضوع بمفرده. فحركاتك واضحة تلاحقين فراس أينما ذهب وتنظرين نحوه بعينين حالمتين وهكذا...".

كنت أنظر نحوها بفم مفتوح من الصدمة ولم أدر بما أجيب حتى وضعت سيلينا يدها على كتفي وقالت مطمئنة لي وهي تكبت ضحكتها بجهد واضح: " لا عليك يا عزيزتي احمدي الله أنه سمير الذي أمسك بك متربصة وليس فراس. لكان الوضع... أسوأ".

ضحكت لورا باستهزاء وقالت: " ومن قال لك أنها تريد رؤية سمير أصلا بعد ما حصل بينهما؟"

فنظرت سيلينا نحو لورا تعلو وجهها علامات الجهل التام ثم سألتها: " ماذا حصل؟ عم تتكلمين؟ هل يوجد شيء لا أعرفه؟"

أجابتها وهي تضرب على الطاولة بكفها بمشهد درامي مصطنع: " صح، تذكرت... أنت لم تأتي إلى حفل خطبتي!"

توردت وجنتاي حينما تذكرت ذلك الحادث الفظيع، فنظرت نحو لورا بتهديد، لكنها تجاهلت تهديدي، ووجهت نظراتها نحو سيلينا باستمتاع، ثم قالت: " حصل ذلك في حفل خطبتي عندما تقدمت راما مني بينما كنت جالسة على الأريكة المخصصة للعرسان لتمنحني مباركتها لي وتهنئني كما تجري العادة في الأفراح، ولكن عندما استدارت مبتعدة علق كعب حذائها بطرف ثوبي فوقعت في حجر سمير".

لطمت سيلينا خديها بيديها ثم انفجرت ضاحكة مما زاد من استيائي فهممت بالرحيل، وبسرعة أمسكتا بيديّ وحاولتا تلطيف الأجواء وهما تكبتان ضحكاتهما وتعتذران مني مرارا.

فجأة تقدم أمامنا شاب طويل القامة نحيل الجسد وسيم الملامح، تنحنح ليقطع علينا شجارنا اللفظي، وألقى التحية وهو ينظر نحوي ثم قال موجها الكلام لي: " كيف حالك يا آنسة راما؟ أنا أعتذرعن إزعاجك لكن هل يمكنني دعوتك إلى شرب فنجان قهوة معي؟"

نظرت نحوه نظرة متفحصة ثم سألته ببرود: " عفوا، هل أعرفك؟"

فأجاب مبتسما محاولا تذكيري:" أنا وليد! أتشارك معك في محاضرة اللغة الإنجليزية!"

لم يبد على ملامحي أنني تذكرته، فالقاعة مليئة بالشبان، لكنني لا أعير أحدا انتباها، عدا عن ذلك فقلبي مشغول بحبه لفراس. أكمل كلامه قائلا:

" على كل حال أحببت أن أدعوك إلى شرب فنجان قهوة معي، فما رأيك؟"

من يظن نفسه هذا بطلبه المستنكر؟ لست من النوع التي تواعد الفتيان! أشحت بوجهي بعيدا عنه وقلت معتذرة ببرود: " لا شكرا، لا أستطيع".

لكنه كان مصرا بشكل مزعج فقال ملحا: " آه هيا! فنجان قهوة واحد لن يضرك."

ضاقت لورا به ذرعا فنظرت إليه بحدة وتدخلت قائلة: " أي جزء من عبارة لا شكرا لم تفهمه؟ هل أنت.. أصم؟ هل أنت.. مخبول؟"

اكفهرت ملامح الشاب عن تكشيرة ثم أجابها: " ومن كلمك يا هذه؟ لما لا تهتمين بأمورك الخاصة بدل التدخل في شؤون صديقتك؟ أم أنك تشعرين بالغيرة كونها لفتت نظري لا أنت؟"

أظلمت عينا لورا غضبا ثم رفعت ساقها اليمنى فوق اليسرى ونظرت إليه باشمئزاز: " أغار منها على من؟ أنت؟" قالت وهي تشير بسبابتها نحوه بتقزز، ثم استطردت: " ألا ترى مظهري؟! هل يعقل لفتاة مثلي أن تفكر يوما بالنظر نحو شيء مثلك؟ وسواء أعجبك أم لا؛ صديقتي هذه من أموري الخاصة، ولن أرضى لها أن ترتبط بجرذ مثلك. فإما أن تحمل معك قذارتك وتنقلع من أمامي الآن، أو أستدعي لك أمن الجامعة بتهمة التحرش".

شعر الشاب بإهانة كبيرة ونظر إليها بغضب وقال: " ستندمين أيتها المغرورة" . ثم انصرف مبتعدا.

علقت سيلينا على الموقف وهي تشعر بشفقة على ذلك الشاب فقالت: " ألا تلاحظين أنك جرحته قليلا؟" التفتت لورا نحوها وأجابتها ببرود: " توقفي عن قول السخافات!"

-" لكنه مجرد معجب يا لورا لم يسئ إلى راما بشيء."

-" سيلينا! أيتها المسكينة! افتحي عينيك على الدنيا واخرجي من قصص روميو وجولييت! لا يوجد شاب يعرض على فتاة فنجان قهوة من باب الإعجاب فقط! بالله عليك ماذا تظنينه يريد من راما؟"

مررت سيلينا أصابعها في خصلات شعرها وأجابت ببراءة: " أن يشرب معها فنجان قهوة؟!"

زمجرت لورا باستياء ردا عليها: " كم أنت بريئة! أنا واثقة أنه بينه وبين أصحابه يتراهن عليها لإيقاعها في شباكه. ومن فنجان قهوة إلى آخر، وفي النهاية ينال رغبته منها!"

أوضحت مقطبة الجبين ثم أضافت:" اسمعي مني جيدا وتعلمي؛ الرجال أمثاله

مخلوقات لا تتمع بأي أخلاقيات ومجردون من الضمير، يستمتعون بدمعة المكسور قلبها وفي المقابل علينا ألا نظهر لهم أي رأفة أو رحمة!"

أكملت دوامي الممل لهذا اليوم ولمحت ذاك المدعو وليد يلوح لي مرحّبا من بعيد، حينما كنا ننتظر بدء المحاضرة، فتظاهرت بأنني لا أراه، آخر ما ينقصني أن تتهمني زميلاتي بمواعدة الشبان وإطلاق هذه السمعة علي.

انتهى الدوام أخيرا فتنفست الصعداء عندما أشارت الساعة نحو الثالثة. لورا سبق وغادرت برفقة خطيبها في سيارته الفارهة. أما أنا وسيلينا فكان علينا التوجه نحو موقف الحافلات لإيصالنا إلى مجمع للمواصلات العامة، وهناك يفترق دربانا لتستقل كل منا مواصلتها إلى بيتها. فسرت مع سيلينا في شوارع الجامعة لنتجه نحو المخرج.

مررت أصابعي في شعري الأشقر لأبعده عن عيني ثم قلت متنهدة: " وأخيرا انتهت هذه المحاضرة المملة لينتهي معها دوام هذا اليوم المتعب! سأعود إلى البيت وأستحم بالمياه الدافئة وأنام وأرتاح من فظاعة ما حل بي من صباح هذا اليوم! لا يمكن أن يسوء أكثر، هذا مستبعد! أليس كذلك؟"

توقفت سيلينا عن المسير وقد لفت نظرها شيء ما، أو بالأحرى أشخاص ما، ثم تساءلت: " راما، أليس ذاك فراس؟"

التفتّ موضع نظراتها ويا ليتني لم أعش حتى أرى هذا المشهد، كان يقف على الرصيف المقابل من بعد وهو يبتسم لفتاة ما، بدا لي أن بينهما حديثا مهما. ألقيت نظرة متفحصة نحو الفتاة، ثم صفعني إدراكي لأستوعب أن هذه البنت ليست إلا ميساء، كانت تتمايع أمامه بجسدها بينما تقف صديقتها إلى جانبها، والتي أذكر أن اسمها بانا. عضضت على

إصبعي لأكبت صرختي وزمجرت باستياء: " آآه! تلك الوقحة ميساء! ماذا تريد من فراس؟"

تساءلت سيلينا ببراءة قائلة: " ومنذ متى وجارتك هذه معجبة بفراس؟"

هببت بها مما دب الرعب في قلبها: " هي ليست معجبة به، فقط لأن راما تحبه أصبحت تريده.. كل شيء أرغب فيه تحاول الحصول عليه لتغيظني فقط، لأنها حسودة وأفعى، هل فهمت؟"

أشارت لي بيديها لكي أهدأ، وما إن تركها فراس مبتعدا حتى هممت بالاتجاه نحوها، فتساءلت سيلينا بقلق: " إلى أين؟"

أجبتها بينما أكبح ذاك الثور الذي يريد الانقضاض نحو تلك المشعوذة: " سأذهب إليها لأفهم سبب وقوفها معه." ثم هتفت لها من مكاني وأنا أسير نحوها: " ميســاء!"

لوحت بشعرها البني الطويل وهي تستدير نحوي وتربعت على ثغرها ابتسامة شيطانية مريرة، ثم هاجمتني بقولها: " رامـا! وفرت علي عناء البحث عنك... يجب أن أقول لك شيئا في غاية الأهمية."

قاطعتها محتدة بعد أن صرت أمامها مباشرة، وقد سمحت للغضب بالسيطرة علي: " ماذا كنت تفعلين مع فراس؟"

شهقت بشكل مصطنع ثم تغنجت في وقفتها وهي تتظاهر بالخجل ثم قالت: " آه! رأيتني؟! في الواقع هذا ما كنت أريد إخبارك به.. فراس طلب يدي للزواج."

أظلمت الدنيا من حولي وتوقف قلبي عن النبض لوهلة، لأن أموت بسكتة قلبية أهون من خبر زواجه بأخرى، عالمي ينهار أمامي بينما أحاول كبت دموعي، وفجأة أعادني

صوت بانا إلى الواقع حيث تساءلت متعجبة: " لكن ... ألم تطلبي منه شرح درس الإحصاء لك؟ متى طلب يدك؟"

التفتت ميساء من فورها نحوها ونهرتها بغضب واضح: " هل يجب أن تكوني غبية إلى هذا الحد؟ قتلت لحظة استمتاعي!"

اعتذرت منها صديقتها محرجة بشدة، ثم لوحت ميساء بشعرها مجددا ووجدت ابتسامتها الماكرة طريقها مجددا نحو شفتيها ثم قالت بخيلاء: " حسنا هو لم يطلب يدي بعد، لكن بيننا موعد غدا في مقهى كلية إدارة الأعمال ليشرح لي درسا، وعندما يلمح ذكائي ويركز أنظاره بما حباني الله به من جمال سيهيم بالتأكيد بي ثم نرتبط معا، الكل ينتظر هذه اللحظة، فالشائعات منتشرة بشدة في كلية الهندسة وتقول أنه سيتقدم لخطبتي والكل يعلم بأننا مناسبان لبعضنا. واسألي من شئت وستحصلين على الإجابة ذاتها" ثم ضحكت بدلال مصطنع وأضافت: " لا تخافي لن أنسى دعوتك لحفل خطبتي كي تتحسري على نفسك!"

ضحكت بانا بصوتها الرفيع المستفز وعقبت على كلامها بينما تسيران مبتعدتين عني: " كي تتحسري على نفسك! ههههه أعجبتني هذه العبارة كم أنت ظريفة يا ميساء!"

-" أعلم! أحيانا أفاجئ نفسي!"

تقدمت مني سيلينا وحاولت حثي على المسير بينما سمحت للشعور السيء بالزحف إلى قلبي ليتركني وسط ألمي، ثم قالت: " مما أنت مستاءة؟ لا تهتمي لقولها! هذه الفتاة سخيفة ولا شيء مما قالته صحيح! راما هل تسمعينني؟"

جلست في حوض الاستحمام أبكي بصمت وشعرت أنني أختنق بين شهقاتي، فكلما تراءى في مخيلتي زفاف فراس وميساء أشعر بأن قلبي يتقطع، إذا كنت أشعر هكذا

بمجرد التخيل فكيف لو عشت هذه اللحظات حقا؟ تبا لك يا ميساء أفسدت علي ما تبقى يومي.

بالرغم من محاولة سيلينا الجاهدة في طمأنتي إلا أنني كنت أعلم يقينا ما هي ميساء قادرة على فعله، فإذا أصرت على شيء فإنها تناله دون الاكتراث لشيء آخر، كلما رغبت بشيء أو حلمت به تخطفه على مرأى من ناظري. ميساء ليست سهلة أبدا.

طرقت أمي الباب مرة ثانية لتستعجلني لأنهي استحمامي وهتفت لي من الخارج: " راما! استعجلي طعام العشاء على وشك النضج!"

دفنت وجهي بين كفي وأكملت نحيبي متجاهلة نداء أمي لي.

الفصل الثاني

سيلينا

وقفت أمام خزانتي أبحث عن شيء أرتديه لدوام اليوم بينما كنت أتحدث مع لورا من خلال الهاتف، وذلك من أجل أن أجد حلا لمشكلة راما، وقلت: " مسكينة راما قطعت قلبي عليها في الأمس.."

أجابت لورا: " تمالكي نفسك ليس بالأمر الجلل، إنه مجرد موعد دراسة فلما تضخمان الأمور؟!"

-" أنت لم تري المسكينة، ولم تسمعي كلام ميساء المستفز لها، ضعي نفسك مكانها كيف كنت لتتصرفي؟"

سمعت صوت أنفاسها وهي تتنهد قبل أن تجيب: " بالطبع كنت سأصاب بالجنون، لكن لا تقلقا لن يحصل شيء مما في مخيلتكما..."

فجأة دوى صوت سمير ليقاطعها قائلا: " اسمعي... لن أوصلك إلى البوابة القريبة من كليتك، سأنزلك عند الباب الرئيسي."

هل كانت لورا تتحدث معي بخصوص راما ومشاعرها بينما خطيبها إلى جانبها؟ هذه البنت لا تمتلك أي حس لباقة أبدا. سمعتها تسأله عن السبب فأجاب: " فراس لديه مباراة في الملعب وتواعدنا لأشاهده وأشجعه لكنك أخرتني كثيرا وأنت تجهزين نفسك."

-" لكن.."

-" بدون لكن، إذا لم أذهب لمشاهدته سيقتلني، ثم أين هي سيارتك؟ لماذا تصرين على المجيء معي؟ لما لا تقودين سيارتك ما دمت حصلت على الرخصة؟"

سمعتها تزمجر غاضبة ثم أجابته: " فلتذهب إلى الجحيم أنت وفراس!"

شردت قليلا في حديثهما ثم سارعت بإنهاء المكالمة فهتفت للورا قائلة: " لورا... سامحيني سأنهي المكالمة.. أكلمك لاحقا.. إلى اللقاء."

لم أعطها مجالا لمناقشتي وأنهيت المكالمة. التفتّ نحو مرآتي ثم أخذت نفسا عميقا. لورا لا تهتم بتاتا لمشاعر راما نحو فراس، هي تظن أن راما تتصرف بسخافة بوقوعها في غرامه، غير أنها لا تراه أهلا للارتباط بها وأنها تستحق شخصا أفضل. وهذا يثير استهجاني؛ فراس شاب ذا طلة ملفتة، وسيم جدا ومن عائلة غنية، ومحبوب وجذاب، فماذا ينقصه في نظرها؟ أم لأنه جارها وترعرع معها في طفولتهما ويتشاجران دائما؟

راما

لمحت ميساء تخرج من المبنى نحو الشارع من نافذة غرفتي فاشتعلت غيظا منها، من بين كل الأيام اختارت اليوم أن ترتدي قميصا صيفيا دون أكمام ليكشف عن ذراعيها ويظهر جاذبيتها، كما أنها ارتدت تحته بنطالا أبيض، يا لجرأتها! وكل ذلك لتحاول لفت أنظار فراس نحوها، لكن لن يحصل شيء مما في بالها فهو لن يلتفت إليها.... على من أكذب؟ لو كنت شابا لجريت خلفها، صحيح أنها أفعى سامة لكن سمها يذيب قلوب الرجال.

جلست على كرسي سحبته من تحت الطاولة وقضمت جزءا من رغيف خبز ساخن عن المائدة بغلٍّ، ثم نظرت نحو أخي الرضيع الجالس في كرسي الطعام بانتظار وجبته الصباحية، ثم هتفت له: " أنت لا تعرف كم أنت محظوظ، يا ليتني مكانك الآن."

نظر نحوي بعينيه الخضراوتين البريئتين ثم ناغى لي باسمي الذي يناديني به " نانا"، فدفنت رأسي بين ذراعي على الطاولة وهتفت لنفسي: " يا لسخافتي وصل بي الأمر أن أحسد رضيعا؟!"

تقدمت أمي وجلست على الكرسي المقابل لي لتباشر في إطعام وسيم، بعد أن أوصلت سارة إلى حافلة المدرسة، ثم هتفت لي: " هيا انهضي وغيري ملابسك حتى تلحقي بمواصلاتك لئلا تفوتك المحاضرة الأولى، وكفي عن العيش في مسلسلات درامية تافهة!"

رفعت رأسي وأجبتها بحدة: " مشاعري ليست مسلسلا! لماذا لا تفهمينني؟" زفرت بانزعاج وقالت: " لأنك ترتابين من أتفه الأمور، يعني هذا المدعو فراس لن يجد في الدنيا إلا ميساء لتلفت نظره؟ أنت أجمل منها، عدا عن ذلك فشاب مثله محاط بمجتمع تمتلئ فيه الفتيات الجميلات من العائلات الراقية كعائلته.. أنت التي لا تستمعين إلي، أخرجي هذا الشاب من رأسك وركزي على دراستك فهو بعيد المنال عنك وعنها."

اغرورقت عيناي بالدموع وهدرت بها: " لماذا؟ ماذا ينقصني؟"

-" لا شيء.. أنت رائعة وتتمعين بجمال آخاذ يسلب الألباب، لكن شابا كفراس لن يهمه جمالك، فهؤلاء القوم ينظرون بادئ ذي بدء إلى الوضع الاجتماعي والمادي، ونحن من عائلة متوسطة الدخل كما أننا لا ننتمي إلى عشيرة كبيرة. بالإضافة إلى أن الجميلات من حوله كثر. فاستيقظي من عالم الوهم هذا وركزي في دروسك!"

حملتني تيارات الغضب إلى غرفتي لأرتدي ملابسي بينما أنفث نيران الاستياء.

منذ أن فضحتني سارة أمام أمي وحدثتها عن مشاعري تجاه فراس، وذلك بعدما استرقت السمع على مكالمة لي مع سيلينا السنة الفائتة، ثارت ثائرتها في البداية، وبعد أن

تأكدت أن هذا الحب من طرف واحد، وأن فراس لا يعلم أصلا بوجود فتاة تدعى راما متيمة به، وهي تحاول جاهدة إخراجه من تفكيري، لكنها لا تعلم أنها تزيدني إصرارا على التعلق بمشاعري نحوه.

....

قرر سمير إلقاء التحية على صديقه فراس ليطمئنه بوصوله في الموعد المحدد لمشاهدة مباراته وتشجيعه، فهتف له مناديا باسمه، استدار فراس خلفه ليلمحه واستوطنت تلك الابتسامة المعاتبة ثغره وقال: " ظننتك لن تأتي، المباراة على وشك البدء."

أجابه محرجا: " لورا أخرتني."

رفع فراس أحد حاجبية مستنكرا وقال باستهزاء: " يا أخي مخطوبتك هذه دائما مصدر إزعاج وقلق."

لم يعجب سمير بإهانة صديقه لمخطوبته فرد عليه مهددا: " فراس، انتبه لكلامك فهذه التي تذكرها بالسوء بلسانك ستغدو زوجتي."

في هذه الأثناء شعرت بانا بالتوتر من جلوس هذا الشخص الغامض إلى جانبها في الحافلة، بينما يرتدي كنزة سوداء كبيرة تغطي جسده النحيل في هذا اليوم الحار وقفازين سميكين ويغطي رأسه بقلنسوة الكنزة وتحتها قبعة، بالإضافة إلى كونه يختبئ خلف نظارات قاتمة اللون، ويضع في حجره حقيبة ظهر سوداء كبيرة. ما أثار ريبتها أن المقاعد من حولها خالية لكنه اختار الجلوس إلى جانبها، فجلست في كرسيها ترتجف وهي تتلو آيات لتبعد شره عنها وتعد نفسها بعدم إيذاء أحد مع ميساء بعد اليوم، إن نجت من شر هذا الغريب.

ترجل من الحافلة في ذات الوقت الذي ترجلت فيه بانا، نظرت إلى الوراء فلمحت طيفه يسير خلفها باتجاه الباب الغربي مما زاد من مقدار الرعب في قلبها، فأسرعت الخطى وأخفت نفسها بين الطلبة ظنا منها أنه يتبعها. وقررت أن تتابع المسير لتدخل من باب آخر للجامعة عله يفقد أثرها. لكنها كانت تجهل وجهته الحقيقية ونواياه الخفية.

كان أصدقاء فراس ومعجباته من الفتيات يهتفون له مشجعين من أماكنهم على المدرجات، سمير كعادته كان يجلس بوقار بينما يشاهد المباراة دون إصدار أصوات أو صراخ، جلس صديقه أوس على المقعد بعد أن هتف مشجعا لفراس من أجل ركلة مميزة قام بها، ثم التفت نحو سمير قائلا: " هل سمعت الإشاعات؟"

أجابه سمير بينما ينظر أمامه: " الجامعة مليئة بالإشاعات."

-" السيد عدنان يبحث لفراس عن عروس."

ضيق سمير عينيه استهجانا والتفت نحو أوس مجيبا: " مستحيل! لو كان ذلك صحيحا لحدثني به فراس! هو لا يخفي عني شيئا."

هز أوس كتفيه: " ومن قال لك أن فراس موافق؟" أجاب وهو ينظر نحو سمير بقلق ثم أضاف: " لقد تشاجر مع أبيه... هو لا يريد الزواج."

أراح سمير ذقنه على كف يده وهو ينظر نحو فراس بقلق بعد اطلاعه على هذه المعلومة.

تزامنا مع وقت المباراة أخفى ذلك الشخص المريب حقيبة الظهر بين الأعشاب خلف شجرة نمت بجانب المكتبة، ثم اتجه نحو الملعب بينما يخبئ خلف ظهره مضرب بيسبول أخرجه من الحقيبة قبل أن يخفيها.

دخل أرض الملعب بالرغم من التنبيه إلى عدم نزول أحد إلى هناك خشية إصابة أحد.
ركل أحد اللاعبين الكرة بقوة فخرجت من المضمار فسار نحوها ويداه خلف ظهره حتى استقر أمامها.
لوح له فراس وهو يهتف له من بعيد: " أنت، لو سمحت، هل يمكنك أن تعيد الكرة لنا؟"
انحنى الشخص إلى الأسفل والتقط الكرة بيد بينما يده الثانية خلف ظهره، ثم رمى الكرة عاليا في الهواء بينما الكل يتابعه بريبة. ودون إعطاء أحد فرصة للتفكير بنواياه أظهر المضرب من خلف ظهره وانحنى بجسده قليلا وهو يمسك به كلاعب محترف ثم ضرب الكرة به بأقصى قوة له، صرخ سمير من مكانه: " فراس! ابتعد!"
لكن الكرة كانت أسرع من ردة فعل فراس فصدمته في معدته، فانحنى وهو يحتضن بطنه متألما، جرى نحوه أصدقاؤه ليطمئنوا عليه، وبالرغم من ألمه إلا أنه أراد الهجوم على الشاب ليقتص لنفسه منه مع بعض من أصحابه الذين سبقوه نحو ذلك المعتوه، لكن ذاك الشاب سارع بالتلويح بالمضرب مهددا لكن تهديده لم يؤثر فيهم؛ إذ أصروا على الركض باتجاهه، فلم يجد بدا من الدفاع عن نفسه فرمى المضرب نحوهم فتوقف أولهم ليحمي نفسه بيديه فاصطدم الثاني به ثم آخر حتى تعثروا وفقدوا توازنهم حتى وقع عدد منهم على فراس الذي كان خلفهم.
استغل الشاب الفرصة وشرع بالهروب. في ذات الوقت خلع سمير سترة بزته ورماها على حجر أوس المأخوذ بصدمته، ثم قفز بين المقاعد ليلحق بالشاب وهو يهتف لأوس آمرا له أن يهتم بأمر فراس.

انشغل الجميع بوقوع اللاعبين أرضا فوق بعضهم، بينما جاهد سمير للإمساك بذاك المجنون، وهتف له من خلفه: " إلى أين تظن نفسك هاربا يا هذا؟"

شهق الشخص مرتعبا بعدما علم أن أحد أصدقاء فراس يلاحقه، وليس أي صديق، بل شخص يتمتع بجسد رياضي وقوة مخيفة بالنسبة لحجمه الضئيل، فزاد من سرعته في الركض مستغلا طول ساقيه.

هتف سمير له أثناء ركضه: " لن تفلت من يديّ أيها المعتوه!"

نزلا السلالم حول مكتبة الجامعة، وأراد الشاب الالتفاف خلف المكتبة لكن سمير بلياقته البدنية كان الأسرع فاستطاع مجاراته ليتمسك به من ذراعه، فحاول الآخر التملص منه، لكنه سارع بتثبيته؛ فمد ذراعيه من أسفل إبطيه متمسكا بكتفيه وألصق بطنه بظهر الشاب، وقال لاهثا: " ها قد أمسكت بك، أين كنت تظن نفسك هاربا؟ انتهت اللعبة يا حبيبي!"

شعر الشخص بالألم والإحراج من وضعيته غير اللائقة كون ظهره ملتصقا بصدر شاب، فخرجت تلك الصرخة عنوة بألم: " آآه! أي!"

احمر وجه سمير على الفور وأرخى قبضته على الشاب، ولطم فاه محرجا وهو يقول: " أنت..... فتاة؟!"

استغلت البنت الفرصة فدفعته بعيدا عنها ثم جرت مبتعدة بأقصى سرعة لها بينما تركت خلفها سمير غارقا وسط حيائه.

تم إعلام سمير باصطحاب فراس إلى المشفى القريب من الجامعة، فأسرع بالذهاب إليه ليطمئن على حاله. اقتحم الغرفة التي تم إيداعه فيها، وسأله بنبرة قلقة عن حاله وسبب إدخاله المشفى، ثم نظر نحو ساقه المجبورة وسأله مستهجنا: " ما بها ساقك؟ "

فأجابه متسائلا: " ماذا حلّ بك؟ لماذا تبدو أشعث هكذا؟"

أدخل سمير يديه في جيب بنطاله القماشي ونظر نحو الأرض مرتبكا ثم سأله: " آآمم... هل.. أغضبت أي فتاة مؤخرا أو أي شيء من هذا القبيل؟"

وضع فراس إصبعه على ذقنه وقطب جبينه وبحذر أجاب: " لا.." ثم أضاف استفساره: " لماذا هذا السؤال؟"

نفخ سميرا مقدارا من الهواء كتعبير عن ارتباكه لكنه تجاهل إجابته ليسأله مجددا عن حالته الصحية، فأجابه: " أنا بخير.. معدتي ما زالت تؤلمني من أثر الضربة، ولدي كسر بسيط في ساقي. ماذا عن ذلك الشاب هل أمسكت به؟"

لم يجبه مرة أخرى وذلك لصدمته مما سمع فقال مستهجنا: "كُسرت ساقك؟!"

ضحك فراس محرجا: " علقت رجلي بين الشباب ثم وقعوا عليها، كان ذلك مؤلما حقا!" وضّح بينما يتذكر الموقف، ثم أضاف: " الكسر بسيط فلا تقلق، لم تجبني على سؤالي بعد."

شعر سمير بالاستياء والأسف على ما حل بصاحبه وقبل أن يفكر في شيء يقوله له كإجابة على سؤاله، شهق فراس فجأة: " هاه! تذكرت!"

-" ماذا؟ ما الأمر؟"

-" لدي موعد."

-" موعد؟ مع من؟"

-" ثمة زميلة طلبت مني شرح درس في الإحصاء لها وعلي ملاقاتها بعد نصف ساعة، وقد نسيت الأمر تماما."

اتجه سمير نحو الباب وهو يجيبه: " أهذه هي المشكلة؟ بسيطة محلولة... هل رأيت أوس؟ علي أن أسترد سترتي."

راما

توقعت أن أجد فراس في الملعب، لكنني فوجئت بأن المباراة قد انتهت أو ألغيت لا أعرف. فقررت الاتجاه نحو الكلية لأجلس في الكافتيريا لربما شربت مع لورا بعضا من القهوة، فوردتني مكالمة في هاتفي لتقطع علي أفكاري. استقبلت المكالمة لدى رؤيتي هوية المتصل، ثم سمعت صوتها يرن من الطرف الآخر بابتهاج: " صباح الخير يا راما، أين أنت؟" أجبتها بنبرة غير مبالية: " قريبة من النافورة العملاقة."

فهتفت سيلينا من خلال الهاتف بحماس: " أسرعي! ولاقيني أمام كلية إدارة الأعمال، يجب أن أريك شيئا."

كنت أشعر بالإحباط فلم أتحمس لرؤية ما تحمله لي سيلينا من مفاجآت لذا لم أكترث للاستماع لها، حتى لمحتها من بعيد فلوحت لي بابتهاج واضح: " راما! أخيرا وصلت... هيا بسرعة!"

ولم تنتظر مني أن أسرع بل هرولت صوبي وأمسكت بيدي ثم جرتني معها مسرعة وهي تهتف: " هيا.. هيا! بسرعة."

حاولت مجاراة سرعتها وتساءلت: " لحظة يا سيلينا... على ماذا أنت مستعجلة؟"

التفتت نحوي وعلى ثغرها ابتسامة غامضة: " هيا!" قالتها بنفاد صبر وأضافت: " أنت بطيئة، الموضوع لا يحتمل التأخير."

أوصلتني أمام باب كافتيريا إدارة الأعمال الزجاجي وأشارت إلي لأنظر إلى الداخل، سرت معها في التيار لأفهم ما أصابها وما إن نظرت إلى حيث تشير حتى شهقت شهقة مدوية.

لوهل ظننتني أتخيل، التفتّ نحو سيلينا ثم أعدت بصري نحوهما في الداخل فتأكدت مما رأيت؛ كانت ميساء جالسة في المقهى تتلقى درسا كما وعدتني في الأمس، لكن ليس مع فراس؛ فالشخص الذي كان يشرح لها الدرس لم يكن إلا سميرا.

استدرت بسرعة نحو سيلينا وسألتها بجهل تام: " لا أفهم ما الذي حصل؟"

أجابتني بينما تفتش في حقيبة الظهر التي كانت ترتديها: " سمعت بأن فراس أصيب بحادث في أثناء المباراة بسبب معتوه ما صباح اليوم... لا أعرف القصة كاملة... أين هاتفي؟"

لطمت صدري مرتعبة وسألتها كأنني سأفقد الوعي: " فراس أصيب بحادث!"

أجابتني من فورها: " لا تقلقي إنه بخير، سمعت أنه متعب قليلا، لكن لو حصل له مكروه لما كان صاحبه هنا بدلا عنه، إذ أن الموعد كان سيلغى.."

ومع طمأنتها لي إلا أنني كنت ما زلت أشعر بوخز في قلبي، فحاولت تهدئتي مرة أخرى بقولها أنه بخير ولم يصب بأذى، حتى هدأ بالي.

وقع نظر ميساء علينا بينما كانت تتململ في مقعدها وقد أحبط مخططها لليوم، ثم شهقت مصدومة من رؤيتنا لها في الخارج من خلال الباب، ولكي أغيظها لوحت لها بيدي وعلى وجهي نظرة ساخرة، فأمسكت بالكتاب وغطت وجهها وهي تهتف باكية بإحراج: " آآآه! كفى!" بينما شعر سمير بالضياع من تصرفاتها الغريبة.

ابتعدنا عن الباب لنكمل مسيرنا نحو الكلية، حينها لمحنا بانا تسير في اتجاهنا لتلتقي صديقتها ميساء في المقهى، لكنها نظرت نحو سيلينا مصدومة أو بالأحرى نحو حقيبة سيلينا، ولم أفهم سبب نظرتها تلك، فاخترنا تجاهلها في كل الأحوال.

احتضنت ذراع سيلينا بسعادة بينما كانت تعبث بهاتفها أثناء مسيرنا وقلت لها: " يا لهذا الصباح العجيب سبحان الله! قلبت مكائدها فوق رأسها... شكرا لأنك أريتيني المنظر، أسعدت يومي."

ضحكت مبتهجة : " لا شكر على واجب... أفعل أي شيء من أجلك يا راما.... أنت أختي التي لم تلدها أمي." ثم أضافت متسائلة مع نفسها: "ما بها لورا لا ترد؟ هذه ثالث مرة أحاول الاتصال بها... ربما وضعت هاتفها في الوضع الصامت؟"

لم أستطع منع نفسي من السؤال فقلت: " بالمناسبة لماذا تحملين معك هذه الحقيبة القبيحة؟ إنها تذكرني بأيام المدرسة، ثم ماذا وضعت فيها؟ تبدو منتفخة كثيرا."

بدأت سيلينا تتأتئ وهي تجيب بريبة: " آآآمم .. لا شيء.. يعني فيها كنزة أردت أخذها إلى الخياط لإصلاحها... أمي أوصتني.. أن آخذها معي فهي لأخي... انسي الموضوع... ههههه."

الفصل الثالث

شدتني أحداث رواية طالعتها بينما كنت برفقة سيلينا، وفي أذن كل واحدة منا سماعة من سماعاتي لنستمع إلى بعض الموسيقى من جهازي المحمول، كنا نجلس على مقعد حجري نتفيأ تحت ظل شجرة أمست بعض أوراقها تتساقط، لتذكرنا بأننا في فصل الخريف. ارتشفت من عصير البرتقال ثم توقفت في منتصف الطريق؛ لألتفت نحو سيلينا التي فاجأتني بانتفاضها على حين غرة.

وضعت كوب القهوة من يدها جانبا، وأسرعت إلى حقيبتها لتعدل أحمر الشفاه على شفتيها، ففتحت فمي مذهولة بتصرفها وقلت هامسة: " سيلينا، نحن في مكان عام! ماذا تفعلين؟"

ألقت نظرة إلى نفسها في المرآة الصغيرة وأجابتني: " إيان سيمر من هنا."

رفعت حاجباي بينما شككت بأنني أعيش في بعد آخر؛ أنا أعرف كل من يحيط بعالم سيلينا، فمن إيان هذا؟ وما علاقته بها، فسألتها فورا: " إيان؟ من إيان؟"

-" لاحقا راما! ليس الآن!"

-" ليس قبل أن تقولي لي من هو إيان!"

لمحت ظلا يقف إلى جواري، فأدرت رأسي ناحيته، ثم فاجأني بسؤاله:

"Excuse me.. Can I help you? "[1]

أول ما رأيته قامة طويلة في بزة رسمية أنيقة باللون البيجي، ثم ذاك الشعر الحريري المتراقص مع نسمات الهواء اللطيفة، ثم تلكم النظارات الشمسية التي لم تساعدني في

[1] "المعذرة، هل لي بمساعدتك؟"

تحديد تعابير الشاب الواقف أمامي. في البداية ظننته شابا عاديا كوليد لكنه يختبئ خلف ملابس راقية، فأجبته ببرود: " عفوا؟!"

أجابني بهدوء: "ألم تتلفظي باسمي قبل قليل؟"

من يظن نفسه هذا؟ هل هذه طريقة جديدة في التحرش بالبنات؟ شعرت بالضيق منه فجأة فهببت به: " ومن أحضر سيرتك يا هذا؟... أصلا ما أدراني من أنت وما اسمك؟"

كانت سيلينا تلطم خديها ولم أفهم ما حل بها فجأة، وقبل أن أتمكن من ربط الخيوط مع بعضها باغتني باستجوابه: " لكن.. ألم تقولي.. إيان قبل قليل؟"

رمشت بعيني مرتين لأحاول استيعاب الموقف وهتفت هامسة: " إيان؟"

تدخلت سيلينا أخيرا: " هي لم تقل إيان.." أجابت لتنقذ الموقف، ثم أضافت: " بل أيـ....نَا!"

تربعت ابتسامة ماكرة على ثغره وقال: "..Is that so?! .. Ok. then "[2]

أكمل سيره في الممر الطويل المحاط بالأشجار والمقاعد ليبتعد، لكنه استدار في طريقه، وما زالت تلك الابتسامة الماكرة مطبوعة على شفتيه، وقال مخاطبا لي:

"By the way... "[3]

نظرت إليه بترقب فقال: " تبدين شرسة نوعا ما." ثم تابع مسيره متجاهلا صدمتي.

عضضت على مصاصة العصير بين أسناني وأنا أقول بغيظ: " يا إلهي ما أوقحه!"

---

[2] "حقا؟ حسنا إذن"

[3] "بالمناسبة"

أما سيلينا فاحتضنت وجهها بكفيها وقالت بعينين حالمتين: " آه لا أصدق بأنني كلمته!.. لا أصدق أنه تغزل براما! سأقتلها!"

ماذا؟ بماذا تهذي هذه الحمقاء؟ أردت أن أجيبها لأطرد أي أفكار غبية من رأسها، لكن سارة قفزت من خلف الشجرة فجأة وبادرت بالتحدث قبلي بقولها: " كيف تعتبرين كلمة شرسة غزلا؟ إنه يذمها، بل قد وصفها وصفا دقيقا."

نهضت مهتاجة بسرعة لأضربها، فاختبأت خلف المقعد كأرنب بريء. وسارعت سيلينا بالإمساك بي لإيقافي وهي تهتف لي: " راما اهدئي إنها مجرد طفلة!"

استطاعت سيلينا إبعادي عن تلك المشعوذة، بعد أن استهلكت طاقتي وأنا أحاول التحرر من قبضتها، صحيح أنها تمتلك جسدا نحيلا لكنني أشهد لها بقوتها العضلية! فتوقفت لألتقط أنفاسي، وأحاول تجنب النظرات التي تحوم من حولي من قبل الطلبة المتواجدين في المكان إثر الاستعراض الذي قمت به قبل قليل.

كل ذلك بسبب سارة، دائما ما تضعني في مواقف محرجة، لا أدري كيف وافقت على اصطحابها معي إلى الجامعة اليوم، فمن بين كل الأيام لم يحن موعد الرحلة المدرسية إلا في ذات اليوم الذي أخذت فيه أمي أخي الصغير إلى المطاعيم!

ولأن أمي تكره الرحلات المدرسية ولديها قلق زائد، ولا تثق بأحد ألقت أوامرها علي باصطحابها معي إلى الجامعة. حاولت الرفض كثيرا حتى علت أصواتنا. في النهاية هددتني بقطع المصروف عني وعدم السماح لي بالذهاب إلى الجامعة فوافقت مكرهة.

جلست على المقعد بينما أوضّب سماعاتي في الحقيبة وأنا أردد بسخط:" أصلا احمدي الله أنني وافقت على أخذك معي اليوم، لو رميتك في بيت الجيران لكنت ارتحت منك!" ثم

نظرت نحو سيلينا وأنا ما زلت أنفث بالنيران من منخري وتابعت: " وأنت! من هو إيان هذا؟"

شبكت أصابع يديها ونظرت في الفراغ أمامها بعينين حالمتين كأنها ترى أحدا ما لا نراه، وأكاد أقسم أنني لمحت حولها عالما ورديا، ثم قالت بنبرة تيه واضحة: " إيان!.. طالب أجنبي يكمل دراسات عليا، رئيس مجلس الطلبة، يتخصص في إدارة الأعمال، وفاحش الثراء، فهو يتبرع بمبالغ هائلة للجامعة والطلبة الذين لا يتمكنون من الدراسة على نفقتهم، لديه الكثير من مشاريع الأعمال الخيرية... شاب وسيم.. راقٍ.. خفيف ظل.. اجتماعي.. سهل المعشر.. يتصف باللطافة لكن في الوقت ذاته رجولي.. هادئ جدا وليس همجيا ولا تفور أعصابه بسرعة.. إنه ملاك على هيئة ملاك بشري!"

هل سيلينا واقعة في الحب؟ منذ متى؟ وكيف تعرف عن هذا المدعو إيان كل هذه المعلومات؟ لماذا قد تخفي عني شيئا كهذا؟ أردت سؤالها كيف تعرف عنه كل هذه المعلومات ولماذا لم تحدثني بأمره سابقا، لكنني ارتأيت تركها في عالمها الوردي بعد أن شعرت أنها لم تعد تدرك ما يدور حولها. وقررت الانطلاق نحو الكلية؛ لأن موعد المحاضرة القادمة قد اقترب. وعلي طلب الإذن من الدكتورة ماجدة لتسمح لسارة بالجلوس معي في القاعة بدل تركها وحدها، فهي صغيرة وأخشى عليها. كان يمكن أن أتركها مع سيلينا، لكن لديها هي الأخرى محاضرة في ذات الوقت، أما لورا لا أحد يعلم أين اختفت.

وقفت أمام الباب بانتظار مجيء الدكتورة وسارة إلى جانبي، ويبدو أنها تعبت من الوقوف فجلست القرفصاء ثم قالت بتذمر: " لما لا نجلس بدل الوقوف هنا عند الباب؟" أجبتها باختصار: " حتى أستأذن من الدكتورة فورا لكي تبقي في القاعة."

كانت سارة تركز نظرها أمامها بعينين مرتابتين، ثم أشارت بإصبعها قائلة: " راما؟ ما به ذاك الشاب ينظر إليك بوقاحة هكذا؟" أمسكت يدها وأنزلتها بسرعة وهببت بها باستياء: " كم مرة قلت لك لا تشيري نحو أحد؟!"

ألقيت نظرة محرجة من طرف عيني نحو ذاك الشقي وليد فرأيته ينظر نحونا باستمتاع، تبا لك يا سارة الآن سيظن أنه ذات أهمية لأنها أشارت نحوه. حاولت كبت غيظي ووجهت كلامي إليها بتهديد: " انسي أمره، هذا شاب أحمق... تجنبيه ولا تنظري إليه.. هل تفهمين؟"

أخيرا لمحت الدكتورة ماجدة في الممر فهرولت نحوها لأطلب الإذن منها بينما أدعو في سيري بكل آيات التيسير، وأعتقد جازمة بأن دعواتي قد استجيبت؛ فقد وافقت ولله الحمد. خشيت ألا توافق هي بالذات بسبب كونها صارمة جدا، كما أنني أستشعر أحيانا أنها لا تستلطفني. نبهت على سارة بعدم إصدار صوت واحد مؤكدة عليها أن هذا شرط الدكتورة.

أعطيتها سماعاتي وجهازي المحمول لكي تشاهد مقاطع فيديو لألهيها بها حتى لا تتسبب بالإزعاج لنا، وأجلستها في المقعد الأول بجانب النافذة وجلست إلى جانبها وركزت كل انتباهي مع المحاضرة.

عطشت سارة وهو أمر متوقع منها، فنزلت عن المقعد لتأخذ زجاجة الماء مني، ونسيت أن السماعات في أذنيها، ولأنني أمتلك سماعات ذات سلك جرّت معها هاتفي وسقط أرضا فأصدر صوتا. حاولت جاهدة كبت غيظي وأنا أعض على خدي من الداخل وأتوعد لأمي في سري بأن تشتري لي جهازا جديدا إذا تسببت سارة بهمجيتها بخدش في هاتفي.

نظرت نحونا الدكتورة ماجدة مؤنبة، ونظرتها الحادة كانت كافية لي لدب الرعب في قلبي، فحدجت سارة بسخط، وهمست لها آمرة أن تلتزم الصمت وتتوقف عن الإزعاج.

جلست سارة مرة أخرى في مقعدها، وانغمست في الهاتف من جديد، وبالرغم من تنبيه أمي علي بعدم إعطائها جهازا الكترونيا كونها صغيرة في العمر، إلا أنني ألجأ إلى ذلك أحيانا كثيرة دون علمها وخصوصا عندما تتركني في البيت وحدي معها، وذلك لأتخلص من إزعاجها.

بينما كنت أتابع المناقشة بين الدكتورة وأحد الطلبة في موضوع المحاضرة وإذ بسارة تضحك فجأة، فالتفت الجميع نحوها.

كانت تضحك على شيء رأته في أحد مقاطع الفيديو، ويبدو أنها غير مدركة لفداحة تصرفها بعد. زمجرت الدكتورة بضيق واضح وهي تشزرني بنظرات مخيفة. فاعتذرت منها فورا وعمدت إلى مقعد سارة وسحبت الهاتف والسماعات من أذنها بينما أهمس مهددة لها بأن أقتص منها لاحقا.

لم تستوعب سارة الأمر بعد، فكانت تنظر إلي مصدومة، ثم لوت فمها كعلامة على عدم رضاها وجلست في مقعدها غاضبة.

تجاهلتها وأكملت المحاضرة، فأخذت تجوب بعينيها في أنحاء القاعة، علّها تبحث عن تسلية جديدة. ثم انحنت نحوي وهتفت لي هامسة: " راما، ذاك الشاب ينظر إليك ثانية."

همست لها لأسكتها لئلا توقعني في المشاكل من جديد: " قلت لك تجاهليه ولا تنظري إليه." اعترضت قائلة: " لكنه أكلك بعينيه!"

طفح الكيل من قبل الدكتورة، ولنقل أن هذه هي القشة الأخيرة، فحدجتني بنبرة مؤنبة: " راما! أهذا وعدك لي بألا تتكلمي مع أختك؟"

احمر وجهي خجلا ثم أجبتها بنبرة محرجة: " أنا آسفة... أعدك أن الأمر لن يتكرر..."

فقاطعتني بحدة: " آه كفاك وعودا! لا أريد سماع صوتك أو صوت أختك طيلة المحاضرة مفهوم؟!"

غضبت سارة فورا من أسلوب الدكتورة الجاف معي، فهاجمتها قبل أن أتمكن من استيعاب موقفها: " أنت امرأة ظالمة!"

لطمت وجهي برعب وإحراج، وصرخت بها: " سارة اصمتي!"

لكنها تجاهلت أمري وتابعت: " ذاك الشاب التهمها بعينيه..." أشارت نحو وليد فدفن جسده في داخل مقعده محرجا وهو يتمتم بخفوت وأعتقد جازمة أنه كان يشتمها. ثم تابعت: " هو من يجب أن تغضبي عليه لا راما.. أنا أصلا أعتقد أنك تغارين منها لأنك بشعة وهي أجمل منك.. نعم، نعم! تغارين من شعرها الأشقر يا حسودة لهذا تعاملينها بجفاء وحقد وظلم!"

علت أصوات الشهقات والضحكات من حولي، احمرت وجنتا الدكتورة واكفهر وجهها عن تكشيرة مرعبة وأظلمت عيناها غيظا. شعرت بأنني سيغشى علي. حاولت ازدراد ريقي، ثم جاهدت لأستبسل بالاعتذار والدفاع عن نفسي قائلة: " دكتورة.. إنها مجرد طفلة! أنا أعتذر بشدة! إني آسفة.."

رفعت يدها لتسكتني وأشارت نحو الباب بيدها الثانية وهي تزمجر: "توقفي يا راما! لست بحاجة لأسفك ولا لوجودك في القاعة! يمكنك الانصراف مع شقيقتك!"

حاولت جاهدة كبت دموعي واعترضت بوجل: " لكن.." قاطعتني محتدة: " بدون لكن! هيا تحركي.. لن أكمل المحاضرة إذا بقيت هنا!"

نهضت بينما أجر معي كبريائي المجروح، واتجهت خارجا ولحقتني سارة بسرعة، لم أتمكن من السير، شعرت بالضعف والهوان فاتجهت نحو أحد زوايا الممر وجلست على مقعد حجري بجانب النافذة واستسلمت للبكاء:

" لماذا؟ ماذا فعلت لك لكي تعامليني بهذه الطريقة؟ ألهذه الدرجة كنت أختا سيئة؟! يا رب ساعدني! ......"

حاولت سارة الاعتذار مني وهي تضع يديها على فخذي، وتأمل أن أنظر نحوها بعطف فقالت: " أنا آسفة لم أكن أقصد كانت نيتي حسنة!"

صفعت يديها بعيدا عني واستسلمت لبكاء مرير، ثم سمعت فجأة صوتا ليس بغريب يتساءل: " ما بها الحلوة تبكي؟"

اقترب مني أكثر، كانت رؤيتي ضبابية بسبب الدموع، فلم أتنبه إلى ملامحه في البداية، لكنني لمحت تلك البزة البيجية وهو ينحني فوقي متسائلا: " من الذي أجرم بحقك وأنزل دمعتك؟"

لم أتمكن من إجابته، فتكفلت سارة بالأمر قائلة ببراءة: " طردتها المعلمة من الصف."

أجابها بنبرة مستمتعة وهو يجاريها في طريقة حديثها: " حقا؟! معلمة ماذا؟" أجابته بنبرتها الطفولية ذاتها: " معلمة اللغة الانجليزية."

سألها مجددا: " حسنا وما اسم معلمتها تلك؟" فقالت بنبرة مغتاظة: " لا أعرف.. هي امرأة مغرورة حقودة، لها أنف معقوف.. لكنني لا أعرف اسمها.."

سمعته يحاول كبت ضحكته من حديثها العجيب، فقررت التدخل أخيرا وأجبته بشهقات وسط دموعي: " اسمها ماجدة... الدكتورة ماجدة."

مد يده بمنديل أبيض مطرز نظيف وقال: " تفضلي، امسحي دموعك... لا يجوز لعينين جميلتين كهاتين أن تمتلآ بالدموع!"

شعرت بالإحراج من تعليقه ولفتته اللطيفة، نظرت في وجهه فرأيت عينين زرقاوين بزرقة عميقة كلون البحر، ورموش مكحلة تنظران في عيني الباكيتين، لحية لطيفة خفيفة تزين فكه، أنف مستقيم وابتسامة دافئة تشق شفتيه. ازداد إحراجي بعد إدراكي لتفاصيل وجهه الوسيم، وومض في مخيلتي تعليق سيلينا حينما وصفته بقولها: (ملاك على هيئة ملاك بشري)، فأخذت المنديل شاكرة له وأشحت نظري بعيدا، ثم بادرني بالسؤال: " أين هي محاضرتك؟ في أي قاعة؟"

أجبته بصوت خافت: " قاعة 106". فهز رأسه وهو يضع يديه في جيب بنطاله المكوي بعناية، ثم أشار لي برأسه قائلا: " حسنا.. تعالي معي سأعيدك إلى المحاضرة."

تفاجأت من بادرته، فقلت بتردد: " ماذا؟ لكن... ماذا لو رفضت؟"

ابتسم ابتسامة واثقة وأجاب: " لن يحصل." ثم انحنى نحو حقيبتي وكتبي ورفعها عني قائلا: " هاتي عنك سأحمل لك أغراضك."

ثم سار أمامي بينما يتملكني التعجب من تصرفه، فقررت اللحاق به؛ فأغراضي معه في كل الأحوال، سرت خلفه لأجاريه، لكنني التفتّ نحو سارة أولا ثم هببت بها بغل واضح: " أنت لن تأتي معي ستبقين هنا!"

قابلتني بنظرة مستعطفة لكن لا، هذه المرة لن أقع في فخاخها، وتابعت: " يكفيني ما تسببت به من مشاكل لي."

تركتها ومضيت خلف ذاك الشاب. التفت نحوي بابتسامة معاتبة وقال: " ألا تعتقدين أنك قسوت عليها بعض الشيء؟"

اخترت ألا أجيبه، ثم وصلنا حيث الباب، طرق عليه بخفة طرقتين بنغمة، ثم سمح لنفسه فتحه قبل أن يسمع إجابة من الطرف الآخر، ثم حياها بنبرة هادئة وابتسامة لطيفة: " Hi! "

سمعت صوت الدكتورة من الداخل، حيث لم أر وجهها لكن من نبرة صوتها علمت أنها ابتهجت لرؤيته، قائلة: " إيان!.. يا للمفاجأة!"

وقبل أن تنطق بالمزيد سمح لنفسه بالحديث فقال معاتبا: " ماذا يا دكتورة؟ ظننت أن بيننا صحبة! لم أعتقد أنك ستخيبين ظني فيك هكذا!"

ثم ابتعد قليلا عن المدخل لأظهر من خلفه، كنت أختبئ خلفه بإحراج واضح، فاتسعت دهشتها من رؤيتي لتتساءل: " ماذا؟"

ربت يده على كتفي وقال: " كيف استطعت أن تطردي هذه الجميلة من القاعة؟"

تمتمت بلهجة مبهوتة: " .. أنا.. ءء.."

لكنه لم يعطها مجالا للحديث فقال: " لا داعي لأن تدافعي عن موقفك فمهما كان الذي فعلته هذه المسكينة فهي لا تستحق الطرد! والآن إن كنت تكنين لي المعزة فأعيديها إلى المحاضرة.. رجاء!"

نظرت بطرف عيني نحو وجهها المبهوت، ثم ما لبث خداها يحتقنان بحمرة الغضب وأخيرا أجابته: " حسنا.... بشرط واحد... أن تكمل قصصها الغرامية خارج وقت المحاضرة!"

فتح فمه مذهولا والتفت نحوي رافعا حاجبيه وهو يقول: " قصص غرامية؟!"

شعرت بأن الدخان يتصاعد من رأسي إثر تدفق الدماء إلى وجنتيّ بعنف، فطأطأت رأسي إلى الأسفل بإحراج بينما أهتف في سري ذما لها: " لئيمة!"

نهض الطلبة للخروج عقب انتهاء المحاضرة ومرت فتاتان من خلفي وهما تتهامسان، فقالت الأولى: " هل رأيت كيف حدجت الدكتورة راما بعينيها قبل خروجها؟"

فأجابتها الثانية باستمتاع: " يا إلهي! نظرات الغيظ في عينيها كانت واضحة."

تجاهلت التعليقات التافهة من حولي ووضبت دفتر ملاحظاتي في حقيبتي بينما أهذر مع نفسي: " وأخيرا سأخرج من هنا وأرتاح من هذا العذاب!"

ظللني خيال أحد ما ثم سمعت صوته يهدر بي: " حسنا! من كان هذا الشاب؟ قولي لي الآن!"

رفعت بصري نحوه مغتاظة، يا له من شاب وقح! ألا يكفيني السمعة التي جلبها لي من نظراته الوقحة؟! فأجبته وأنا أحاول كظم غيظي: " هذا أنت؟ ماذا تريد؟!"

وضع وليد يديه على وسطه وكرر سؤاله بنبرة أشد غلظة: " لم تجيبي على سؤالي، من كان ذاك؟ حبيبك؟"

فغرت فمي مذهولة بسؤاله الوقح وبدأت أتمتم: " إه؟ ماذا؟ إنه ليـ... وما شأنك أنت أصلا؟!"

-" هذا الكلام لا يقال لزوجك المستقبلي!"

نهضت عن المقعد بغيظ وضربت الطاولة بكف يدي وهاجمته بقولي: " زوجي المستقبلي؟!" التفت بعض الطلبة الذين كانوا ما يزالون يهمون بالخروج نحونا، لكنني قررت الاستمرار في صراخي عليه في كل الأحوال فتابعت: " كيف تجرؤ على قول

هذا؟ أنت السبب في طردي من المحاضرة والإحراج الذي تعرضت له! كفّ عن إزعاجي واتركني وشأني!"

قطب جبينه باستياء وأجاب: " لست أنا السبب، شقيقتك ذات الفم الكبير هي السبب!"

-" أنت مزعج! هذا آخر تنبيه لك! دعني في حالي!"

-" لماذا أنت غاضبة؟ أنا من يجب أن يغضب هنا!"

وأخيرا لمحت سيلينا حين وصل إلى مسامعي صوتها وهي تهتف لي بوجه متعجب: " راما؟ هل كل شيء على ما يرام؟"

أسرعت بالتوجه نحوها، وأمسكتها من يدها وجررتها خارجا وأنا أقول: " تعالي يا سيلينا يجب أن أخرج من هنا قبل أن أنفجر!"

التفتت خلفها لتراه وهو يصيح من مكانه: " لن تستطيعي الهروب إلى الأبد! سنلتقي مجددا وعندها سيكون لكل مقام مقال!"

حينما خرجت لم أجد أثرا لسارة في الممر، فشحب وجهي وأنا ألتفت يمنة ويسرى بينما أبحث عنها. وأخذت أهتف وأنادي باسمها، تساءلت سيلينا عم يجري معي وعن سبب اختفاء سارة.

أوشكت عيناي على ذرف الدموع حينما لم أجدها، وأخيرا سمعت صوتها عند نهاية الممر من جهة السلالم الخلفية وهي تضحك، فجريت باتجاه الصوت وجرت سيلينا خلفي.

حينما وصلنا توقفنا فجأة نكبت شهقاتنا؛ لمحنا سارة جالسة على السلالم بيدها قطعة من الشوكولاه وإلى جانبها يجلس ذاك الشاب – إيان –.

رفع بصره نحونا ثم نهض واقفا، وأشار إلى سارة بالذهاب إلي، وقال لي: " لا يمكنك ترك طفلة وحدها أينما كانت، حتى لو كانت في حرم آمن!"

نظر نحو سارة وقال: " أحببت أن أجالسها كأمانة حتى تنهي محاضرتك وأعيدها إليك لئلا تصاب بأذى..."

مشت سارة نحوي بوجل، وهي تنظر في عيني بقلق، فانحنيت نحوها واحتضنت خديها بكفي وقلت: " خفت عليك... لا تخيفيني هكذا ثانية!"

أومأت برأسها موافقة ثم أمسكت بيدي، نظرت نحو إيان بإحراج، فابتسم ثم أدار ظهره لنا وهبط السلالم ليختفي من أمامنا.

وأخيرا نطقت سيلينا قائلة بنبرة متشككة: " ماذا يجري هنا؟ هلا فسرت لي ماذا يفعل إيان مع أختك؟"

أوضحت لها أنني سأشرح لها كل شيء حالما نصل مطعم الوجبات السريعة؛ لأطعم سارة كتعويض عما فعلته بها...............

رفعت بصري نحو سيلينا بحذر منهية شرحي بقولي: " وهذا ما جرى بالضبط."

كانت تعقد ذراعيها أمام صدرها وتنظر في وجبتها ثم عقبت: " أه! حسنا لا أعرف ماذا أقول.."

شعرت بالاستياء فورا ورجوتها بنبرة نادمة لتسامحني، فقبضت على شطيرتها وتصنعت ابتسامة باهتة وقاطعتني: " أرجوك راما انسي الموضوع، دعينا نأكل الآن..."

أردت أن أقول شيئا أي شيء، وعندما تحليت بالشجاعة لأحدثها ثانية جاء صوته مقاطعا جلستنا بقوله: " يا للمصادفة!"

وجهنا أنظارنا بتعجب نحو مصدر الصوت، حيث كان واقفا بثقة بجسده الطويل عاقدا ذراعيه أمام صدره، ثم هز رأسه قليلا ليبعد شعره الحريري عن عينيه وخاطبني قائلا:

"Can I have a moment with you please? "[4]

نظرت نحو سيلينا كأنني أستأذن منها أولا، لكنها أشاحت بصرها بعيدا عنا، ثم نهضت وسرت معه مبتعدين قليلا عن الطاولة التي نجلس عليها في المطعم. اعتذر مني على مقاطعته لي أثناء تناول وجبتي، ثم قلت له: " هل من خدمة أسديها لك؟ آه تذكرت... أنا لم أشكرك!"

لوح بيده متقبلا الأمر ثم قال: " لم آتك لهذا...بل أريد أن أدعوك إلى عشاء.... معي... ما رأيك؟"

فغرت فمي بدهشة وحانت مني نظرة باتجاه سيلينا وسارة حيث كانتا تنظران من بعيد نحونا بفضول قاتل. دعكت مؤخرة رقبتي وأجبته: "ليس كأنني لم أشعر بالإطراء.. لكن أنا آسفة .. لا أستطيع."

ابتسم مظهرا صف أسنانه البيضاء ثم تساءل: " Why not? "[5]

لم أجد ما أرد به عليه فتأتأت بقولي: " ءءء.. مجتمعنا ليس.... كمجتمعاتكم .. الغربية.. نحن شعب.. محافظون..."

ضحك هذه المرة وقال: " لن يحصل شيء بيننا ولن أستغلك، إنه مجرد عشاء لا أكثر... هيا، شاب غني يدعوك لعشاء فاخر! لا يمكنك الرفض! لا تنسي أنني أنقذتك اليوم."

---

[4] " هل لي بلحظة معك؟"

[5] "لما لا؟"

حرر ذراعيه ليضع يديه في جيب بنطاله ثم انحنى نحوي أكثر وهمس: " اعتبري قبولك كشكر لي... ومن ناحية أخرى من سيقنع ماجدة بألا تظلمك في العلامات؟ فأنت تعلمين أن معظم الدكاترة في الجامعات الحكومية يعملون بلا ضمير.."

شعرت بوخزة خوف في قلبي من حديثه عن الدكتورة ماجدة، ثم قال منهيا الأمر دون أن يأخذ برأيي:

[6]"So? Thursday night? 6 o'clock? Give me your address I'll send you a limo."

غمزني بعينه ثم انصرف، فعدت بوجنتين مشتعلتين احمرارا إلى الطاولة، وجلست في مقعدي ببهتان يغطي وجهي، لم تتمالك سيلينا نفسها فهاجمتني بسؤالها: " إذن؟ ماذا يريد؟"

أجبتها متجنبة النظر نحوها: "لقد.. دعاني إلى العشاء!"

شهقت المسكينة وأرجعت ظهرها لتسنده على ظهر الكرسي وهي تطالعني بعينين دامعتين وكأنني سفاحتها التي ذبحت أملها وأحلامها.

[6] " إذن ليلة الخميس؟ الساعة السادسة؟ زوديني بعنوانك سأرسل إليك سيارة ليموزين"

الفصل الرابع

وقفت في متجر الملابس حائرة بين قطعتين؛ فهل أرتدي فستانا أسود قصيرا وفضفاضا؟ أم آخر وردي اللون طويلا؟ لذا حملت الفستانين وسرت نحو صديقتاي ورفعتهما بمحاذاة كتفي وسألتهما بنبرة حائرة: " إذن، ماذا أختار؟"

أجابت سيلينا بجفاء واضح في صوتها: " لا أعرف.. أنت حرة"

استاءت لورا على الفور والتفتت نحوها ممتعضة من أسلوبها في الرد علي بتلك القسوة فهبت بها قائلة: " سيلينا! هذا عيب! يجب أن تتمني لصديقتك الخير!"

أجابتها وهي محافظة على جفائها: " أنا أتمنى لها الخير..." ثم أضافت محتدة بنبرة أعلى: " مع فراس!"

فتحت لورا عينيها فجأة وكأن شيئا ما لمع أمامها فنهضت تاركة إيانا وحدنا وهي تهمس لنفسها: " يا إلهي!"

هتفت لها منادية: " لورا؟ إلى أين؟"

أجابت سيلينا بنبرة متهكمة: " ربما لتناول الغداء مع إيان!"

التفتّ نحوها من جديد وبالرغم من إحساسي ببرودها تجاهي إلا أنني تشجعت واقتربت منها وهبطت على ركبتي أمامها وهي جالسة على أحد المقاعد الاسفنجية المريحة في المتجر، ثم أسندت يدي على ركبتيها وقلت لها بصوت حزين: " سيلينا، أنت تعرفين السبب الوحيد لذهابي إلى العشاء... أنا لست معجبة بإيان حتى... أنا أحب فراس وقلبي مولع به، وحتى لو لم يكن فراس في قلبي ما كنت لأضع عيني على شاب أعجبت به صديقتي."

زفرت نفسا متألما وتحاشت النظر في عيني، فأضفت: " لا أريد الرسوب في مادة اللغة الانجليزية لأجل حقد الدكتورة علي، وإيان هو الوحيد الذي يستطيع منعها، من أجل دراستي.. أرجوك تحملي، الليلة فقط! هل ما زلت غاضبة مني؟"

عقدت يديها في حجرها وسلطت نظرها على كفيها وقالت متألمة: " أنا لست غاضبة منك... وإنما.. أتمنى أن تقع ماجدة السافلة عن السلالم وتنهش الكلاب أنفها المعقوف!"

فغرت فمي بدهشة ولم أعرف بم أرد، فاستدركت نفسها وقالت: " آسفة... ما كان يجدر بي قول... أشياء كهذه..."

ضحكت رغما عني لألطف الأجواء ومسحت على كفيها في حجرها وقلت: " حبيبتي سيلينا حتى في لحظات الحزن تبقين ظريفة."

أحيانا أشعر بوجود جانب مظلم في سيلينا رغم أنوثتها وما يبديه مظهرها الملائكي من هدوء وخجل.

عادت إلينا لورا لتقطع لحظة تأملي بحال سيلينا وهي تلوح بفستان قصير باللون الأخضر الفستقي، صدره مزركش بالدانتيل ويتوسطه حزام قماشي بلون الفستان ذاته وينتهي فوق الركبة بطبقتين من الساتان، ثم قالت بحماس زائد: " ما رأيك بهذا يا راما؟ سيبدو جميلا جدا عليك."

لا أختلف معها بكونه جميلا جدا، لكن حينما لمحت عيني بطاقة السعر التي تتدلى من العلاقة لتذكرني بأنني أخطأت في القدوم إلى هذا المكان من الأساس؛ فمكاني ليس هنا، فهو أنسب للطبقة الغنية كالتي تنتمي إليها عائلة لورا والسبب الذي جعلني أوافق على اصطحابها لي إلى هذا المكان هو وعدها لي بوجود قطع بسعر معقول أستطيع شراءها.

أما بالنسبة لهذا لن أتمكن من دفع ثمنه، فأجبتها دون حياء ففي النهاية لا يوجد مانع يقيدني عن شرائه عدا سعره: " أجل لورا لا أخالفك الرأي، لكن تذكري نحن جئنا إلى هنا بغرض شراء شيء أستطيع دفع ثمنه."

فكانت إجابتها كما توقعت منها: " إذن دعيني أشتريه لك أنا."

نزعت قناع اللطف عن وجهي وقابلتها بتجهم وأجبتها بصرامة: " لا!"

لكنها كانت مصرة بشكل مزعج فرجتني مرارا، ومع ذلك أصررت على الرفض، فلم أجدها إلا وهي تنقض نحوي فتراجعت إلى الخلف حتى اصطدمت بجدار في المحل.

حاصرتني وهي تحتضن الفستان بين ذراعيها كطفل رضيع تخشى عليه من الأذى وتابعت توسلاتها دون أن تعطيني مجالا لمناقشتها: " أرجوك راما! اعتبريها هدية مسبقة ليوم ميلادك، أرجوك أرجوك أرجوك!"

سمحت للهواء بمداعبة شعري وهو يلوح به لعله يخمد النيران التي تأججت في رأسي المشتعل غضبا أثناء قيادة لورا في سيارتها المكشوفة بنا بينما أجلس إلى جانبها أحتضن جسدي بذراعي باستياء واضح وانفعالات ظاهرة. أما سيلينا فكانت تجلس في المقعد الخلفي بصمت قاتل.

ابتسمت لورا لتلمع أسنانها البيضاء بينما تغطي عينيها بتعجرف خلف نظاراتها الشمسية الباهظة الثمن وقالت بكل برود: " لا أصدق بأنك ما زلت غاضبة مني، كم أنت طفلة."

تحاشيت النظر إليها لئلا أفقد أعصابي وأضربها وأجبتها بنبرة مستاءة: " قلت لك لا تشتري الثوب ومع ذلك أحرجتيني أمام ذاك المدعو أنطوان واشتريتيه رغما عني!"

لم تهتز لها شعرة من نبرتي المستاءة وحافظت على برودها وهي تجيبني: " حبيبتي راما، كلمتي لا تثنى كالعادة، حتى سمير لا حول له ولا قوة أمام رغباتي... والآن بعيدا عن الدراما المعتادة منك علينا أن نجد الحذاء المناسب لهذا الفستان."

لم تبقي لورا زوجا من الأحذية إلا وأجبرتني على تجربة ارتدائه، والذي أثار دهشتي هو حلم العاملين في المتجر أثناء تعاملهم معها، ربما لأنها زبونة دائمة لديهم أو لوضع ومكانة والدها في المجتمع.

المشكلة فيها أن ذوقها صعب ولا يعجبها شيء بسهولة، على غراري فكل الأحذية التي قمت بقياسها أثارت إعجابي ولم يكن لدي مشكلة في ارتداء أي منها. في النهاية رست على حذاء مكشوف بلون ذهبي وكعبه عالٍ، وبالرغم من كراهيتي لفكرة ارتدائه وذلك لأنني لا أرتدي كعبا عاليا في العادة، فطول قامتي ليس بحاجة إلى ذلك، إلا أنني قبلت به فقط لأخرج صوت لورا المزعج من رأسي مع إصرارها الفظيع الذي شعرت به يهتك خلايا دماغي.

جلست على طرف سريري مساء أطبّق أحمر الشفاه على شفتي بلون كشميري لطيف، ولورا تسرح لي شعري القصير بتسريحة ملفتة، ولسانها يسترسل بمدح جمالي وجاذبيتي الأخاذة في هذا الفستان حيث استطاع إظهار رشاقة قوامي وبياض بشرتي الناعمة، ثم سألتني: " إذن، لم تقولي، أين العشاء؟"

أجبتها بجهل تام: " في مطعم.... ستارز.... أو ما شابه."

انحنت نحوي متلهفة والسرور بادٍ في محياها المشرق أكثر من العادة وقالت: " تقصدين جولدن ستارز؟ عزيزتي هذا من أفخم المطاعم في البلد. يجتمع فيه الكبار من رجال الأعمال وأصحاب النفوذ والأثرياء من بلدنا والبلاد الأخرى. إنه من أكثر المطاعم التي

أحبها، حين يصحبنا والدي إلى العشاء فهو دائما خيارنا الأول، كما أننا احتفلنا فيه بيوم ميلاد سمير قبل سنة."

أضافت بنبرة أكثر حماسة: " راما! هذه ليلتك فاستغليها"

وأخيرا تحدثت سيلينا بعد صمت دام طيلة اليوم عقب حديثها معي في متجر الملابس عصرا، ففجرت قنبلتها وهي توجه حديثها للورا بشيء من الضيق والعتاب حيث كانت جالسة أرضا تسند ظهرها على حافة سريري وتضم ركبتيها إلى صدرها: " أنا حقا لا أفهمك! قبل فترة قام شاب بدعوة راما إلى فنجان قهوة وثرت غاضبة، والآن آخر يدعوها إلى عشاء وبدأت ترسمين في مخيلتك حفل زفاف! كم أنت متناقضة."

استراحت لورا على سريري جالسة ولوحت بفرشاة شعري وهي تشير نحو سيلينا قائلة: " هل حقا تشبّهين إيان بجرذ؟"

أجابتها والغضب واضح في نبرتها: " كلاهما بشر! فتوقفي عن ازدراء الناس!"

لكن لورا كعادتها المتعجرفة لم تكترث فأجابتها: " نعم، بشر! لكن مختلفان؛ إيان من عائلة راقية، لن يفعل شيئا يهين به اسم عائلته كما انه شاب واضح وجاد وصريح، ليس كالهمل من طلاب الجامعات مثل ذاك المدعو وليد."

ردت سيلينا باستياء: " أن يضع قرشين في جيبه لا يجعله أفضل من العامة من الناس! ثم أن راما جميلة ولا تحتاج كل هذه المساحيق التي لطخت بها وجهها، آخر ما أريده أن تصيبها عين حسود في مكان مليء بالمتعجرفين!"

رفعت لورا رأسها بحركة استفزازية وقالت: " عندما يجني الإنسان ماله من تعبه يختلف عمن يأخذ مصروفا من والده! وأعرف أن راما جميلة لكنني لا أريدها أن تشعر

بالضياع وسط هؤلاء الناس، ببعض مساحيق التجميل ستشعر بشيء من الثقة والاطمئنان."

نهضت سيلينا كالإعصار الهائج وضربت بكفيها على فرشي المستريح على سريري ورفعت نبرتها وهي تجيب لورا بانفعال شديد: " يا سلام! سأضع مكياج عرائس وأذهب به إلى الجامعة كي أشعر بالأمان!"

أجابتها لورا بذات النبرة: " لماذا تصبين جماح غضبك علي؟ ألست أنت التي قلت: (راما عزيزتي! تعشي معه، درجاتك الجامعية أهم من إعجاب عابر)؟ ألست أنت التي صرحت بأن مشاعرك تجاهه كإعجابك بأحد نجوم السينما؟"

- " نعم قلت ذلك! لكن ما أدراني أنك تخططين لتزويجها؟"
- " وبماذا يضرك ذلك؟ إيان لقطة وراما تستحق السعادة، يجب أن تتصرفي بنضج أكبر، فليس كل ما تتمنيـ..."

وهنا كان لا بد لي من التدخل أخيرا فصرخت بصوت جهوري لأقطع على لورا كلامها وأوقف هذا الشجار السخيف بينهما: " كفى!"

التفتت كلاهما نحوي بتعابير مستاءة، فقطبت جبيني غضبا وقلت: " إذا بقيتما تتشاجران هكذا فلن أذهب إلى العشاء.. وأنا أعني ما أقول، وليحصل ما سيحصل... مرة أخرى أؤكد لكليكما؛ أنا لست معجبة بإيان! قلبي رهينة عند فراس، فتوقفا عن التفاهات!"

أرادت لورا أن تعقب بشيء لكنني قاطعتها وأضفت: " ثم أنني لن أفعل شيئا يحطم قلب سيلينا، لذا توقفا أرجوكما، إنه مجرد عشاء لا أكثر!"

لمحنا ضوءا من نافذة غرفتي أعقبها صوت لزامور سيارة، فألقيت نظرة من خلال النافذة لأصعق برؤيتي لسيارة ليموزين تصطف أمام مدخل العمارة. عاد الحماس ليدب في قلب لورا من جديد، وكأن شيئا لم يحصل بينها وبين سيلينا، فأخذت تصفق بيديها بحماس وهي تشجعني على النزول.

استدرت خلفي لأواجههما بنظراتي الحادة وقلت مؤكدة لهما: " إذا سمعت صوت شجاركما ولو كنت عند باب السيارة فسأعود."

لوحت لورا لي بمبسم مشرق مودعة، بينما سيلينا لم تعقب بشيء، وأخيرا قبل أن أخرج شكرتهما على بقائهما في الشقة للاعتناء بأخوي الصغيرين عقب خروج والديّ إلى بيت جدتي المريضة حيث قررا المبيت عندها لهذه الليلة.

مشهد سيارة الليموزين أمامي عن قرب كان له وقع غريب في داخلي، منحني شعورا حماسيا وجميلا. كان السائق يقف بجانب الباب الخلفي وحينما لمحني قام بفتح الباب على الفور وهو يتساءل بجدية: " هل أنت الآنسة راما؟"

حتى لو لم أكن راما سأتظاهر بأنني هي حتى أستقل هذه السيارة وأجرب شعور الجلوس فيها.

كان فرشها ناعما ومريحا لم أتخيل في حياتي أن أجلس في سيارة فاخرة كهذه، إيان هذا يجيد عمله في اتخاذ الخطوة الأولى لاستقطاب قلوب النساء.

سيلينا

حينما دخلنا على راما في غرفتها بعد ارتدائها للفستان شعرت كأنني أنظر إلى عارضة أزياء، لقد أدهشتني بجمالها وطلتها الأنيقة، وما يثير تعجبي دائما هو أن راما تنظر إلى نفسها نظرة متواضعة بالرغم من امتلاكها لمقومات تجعلها تصنف على أنها ملكة جمال.

لا أقول أنني أحسدها لكنني أتمنى لو أمتلك نصف ما تملكه من جمال، فجسدي نحيل وضئيل بالنسبة لراما ولورا.

كنت أراقبها وهي تصعد سيارة الليموزين من خلال نافذة غرفتها، فحدثت لورا متحسرة بقولي: " ها قد غادرت في سيارة ليموزين ونحن هنا نجالس أخويها يا حسرتي على نفسي.... لورا؟"

صمتها كان مريبا، فلسانها لا يعرف مخبأ في العادة، لذا التفت خلفي لأهتف لها ثانية لكنني فوجئت باختفائها من الغرفة، أين خرجت ومتى تركتني وحدي هنا؟ هل يعقل أنها ذهبت إلى دورة المياه؟

......

كان وسيم الصغير يلعب ببراءة بلعبته المفضلة؛ السيد أرنوب كما أسمته سارة. أمنته راما في سريره بعد أن قامت بتغيير حفاضه وإعداد زجاجة حليب له. لكنه توقف فجأة حينما شعر بظل يغمره فرفع رأسه الطفولي ليلمح تلك العينين الخضراوين تلمعان في سكون غرفته وشفتاها تتلفظان بقولها: " مرحبا أيها الأمير الصغير....."

راما

لا بد أن هذا حلم، لم أكن أستوعب بعد أنني أجلس في سيارة ليموزين فلم أرتقي بأحلامي لهذا أبدا، كنت أتابع الطريق المؤدي إلى المطعم بينما تلمع أضواء الشوارع الراقية لتجعل قلبي يتراقص حماسا. تمنيت ألا تكون هذه اللحظات التي أعيشها حلما فإن كان حلما فأنا لا أريد الاستيقاظ منه أبدا.

ثم فجأة تذكرت شيئا غاية في الأهمية؛ فأنا لم أغظ ميساء بهذه التجربة. هذه أول مرة أتفوق عليها بشيء ما، يا للخسارة! لو عرفت لكانت ماتت من الغيظ الآن! يا لحظي العثر كماء عكّر صفاءه وحل متسخ.

ماذا كان ليحصل لو قرعت باب بيتها وطلبت منها مراقبتي من نافذة غرفتها لتموت بحسرتها؟ هل تأخر الوقت في الطلب من السائق أن يعود إلى الحي لأغيظها قبل أن أصل إلى المطعم؟

سيلينا

سبقتنا لورا إلى مدخل العمارة وهي تجر عربة الأطفال المخصصة لشقيق راما الرضيع، ثم هتفت لنا بنفاد صبر: " هيا! سنتأخر! يا لكما من بطيئتين!"

أخذت تسرح شعرها الطويل بأصابعها خوفا من إفساد تسريحتها، بينما ترتدي ملابس أنيقة تخبر فيها الناظر أنها تنتمي لتلك الطبقة المخملية. كما أنها فاجأتني بتزويدي بقطعة ملابس من حاجياتها كانت تخبئها في حقيبتها الكبيرة.

أمسكت بيد سارة وسارعت بالخروج نحوها وأنا أمطرها بوابل من أسئلتي التي طبعت على جبهتي من حيرتي: " لا زلت حتى الآن لا أفهم شيئا مما يحصل؛ لماذا نحن متألقتان هكذا؟ ومتى تسنى لك إحضار هذه الملابس؟ وإلى أين نحن ذاهبات أصلا؟"

أدهشتني بتكتمها ولم تعطني إجابة شافية بل استعجلتني لأسرع الخطى وسبقتنا نحو سيارتها المركونة في الجهة المقابلة من الشارع.

راما

أخذت السيارة تخفف سرعتها، ثم ما لبثت أن توقفت، نظرت من خلال النافذة لألمح واجهة عملاقة لمبنى ما، هل هذا يعني أننا وصلنا؟ بدأت أوصالي ترتعش وبت أشعر حقا بالتوتر لوجودي هنا.

صحيح أنني صديقة للورا منذ عهد طويل، لكنني لا أقحم نفسي في حياتها وأساليب عيشها وأتجنب عالمها المليء بالأثرياء وأصحاب النفوذ، ذلك لأنني أحب الأشخاص البسيطين وأعيش على سجيتي دون تكلف، صدقا لا أفهم ما الذي جعلني أكوّن صداقة مع لورا من الأساس.

فتح السائق الباب لي وطلب مني بتهذيب أن أترجل من السيارة، ما إن خرجت حتى فوجئت برجل ضخم الجثة قمحي البشرة يرتدي لباسا رسميا أسود اللون مكويا بعناية، تتعلق بأذنه سماعة لاسلكية، له فك متين ويرتدي نظارات قاتمة تخفي ملامحه الصارمة. اقترب مني فشعرت بالخوف ثم مد يده من خلفي كأنه يحاول حمايتي وهتف لي بصوت رجولي عميق: " من هنا يا آنستي لو سمحت."

فهمت فورا كون هذا الرجل حارسا شخصيا، حقا يا إيان؟ ما كل هذا؟ لست بحاجة إلى حارس شخصي! ذلك يشعرني كأنني أحد مشاهير السينما وكأنني أسير على بساط أحمر، على ذكر هذا الأمر، دنوت بنظري إلى الأسفل لأكتشف بالفعل أنني أسير على بساط أحمر!

دخلت من البوابة الكبيرة المحاطة برجال الحراسة، ويا له من مكان مهيب، لم أتخيل قط أنني سأخطو في مكان كهذا، مطعم عملاق مفروش ببلاط من النوع الغالي لدرجة أنني خشيت أن أسير عليه لجماله، وتتدلى من سقفه ثريات عملاقة تحمل أضواء خافتة لإضافة أجواء دافئة حميمية، طاولات كثيرة مفروشة بالقماش الأبيض الفاخر

وأشخاص من ذوي الطبقة المخملية يجلسون إما في انتظار وجباتهم أو منغمسون في سهرات خاصة.

لفت نظري الرقي الواضح في المكان، ولم تتمكن عيناي من الرمش لثوان، ثم استطاع صوت ذاك الحارس الشخصي إخراجي من قوقعة أفكاري حينما هتف لي بمتابعة المسير معه.

وهناك وسط الأضواء الخافتة أنار بمبسمه من بعيد، لتخطف أنظاري تلك اللحية المرسومة بعناية تغطي برونقها فكا وسيما، عيناه المكحلتان تنظران نحوي من بعد وهو يدرس ارتباكي الذي لم تتمكن مساحيق التجميل من إخفائه، ابتسامته الهادئة متربعة كملكة تم تتويجها لتحل على شفتيه، شعره الحريري منسدل بعناية.

كان يرتدي بزة رسمية أنيقة، باللون الأبيض وياقتها سوداء اللون، تحتها قميص أسود وربطة عنق حمراء، وتتدلى من ياقة بزته العريضة سلسلة فضية متصلة بجيب على صدره الأيسر.

بدى لي في مظهره ذاك كشخصية خيالية، يستحيل أن يكون هذا الشاب حقيقة. حاولت جاهدة إخفاء معالم الدهشة والحياء من وجهي، لكنني أعلم تماما أن احمرار خدي كان واضحا ليفضح إحساسي بالإعجاب بمظهره الأنيق.

أخيرا تقابلنا وتوقفت أمامه، فحياني بنبرة هادئة محببة: " مساء الخير، أنار المكان بقدومك، تبدين آية في الجمال."

شكرته على إطرائه محرجة، وكان بودي مدح وسامته وجاذبيته، لكنني حفظت خط الرجعة. اقترب صوبي ثم أزاح كرسيا لي عن المائدة التي كان ينتظرني عندها ودعاني إلى الجلوس.

سيلينا

نظراتي لم تفارق لورا كشبح يطارد أثرها لعلها ترضخ لي وتفسر وجهتنا أو سبب تأنقنا، كانت تعلم تماما أن عينيّ مسلطتان عليها، وبدا عليها الاستياء من أزمة السير التي علقنا بها، ثم قالت ببرود: " كفي عن التحديق بي بهذا الشكل."

أجبتها بصرامة: " لم تبوحي لي بعد بوجهتنا."

تنهدت أخيرا باستسلام، وأجابت: " لقد حجزت لنا طاولة في مطعم جولدن ستارز."

-" ماذا؟ هل جننت؟ لمَ؟"

- " اهدئي قليلا... هذا ليس جنونا.. ألا يصيبك الفضول لتشاهدي بعينيك ما سيدور بينهما؟ ألا تريدين معرفة إلى ما سيؤول إليه العشاء؟"

صمتٌ عمّ كياني لوهلة، أطرقتُ للحظة مفكرة، ثم أردفتْ بقولها: " ماذا؟ أراك صمتّ؟ حسنا، السكوت علامة الرضا."

راما

قلبت بعينيّ في أرجاء المطعم بتوتر فاض به قلبي فطرده ليكشف زيف تجملي بلباس الثقة المصطنعة، بينما أتساءل في نفسي عن سبب مجيئي إلى هنا من الأساس، ثم جاء صوته يخطف أنظاري نحوه لثانية وهو يتساءل بابتسامته الهادئة وملامحه الثابتة:

[7]"Is there something wrong? "

أخذ لساني يتأتئ ويترنح بحروف متقطعة وكلمات غير تامة، واختتمتها بقولي: " لا شيء.. أنا بخير"

فتساءل محافظا على وقاره: " ?Can we order now"[8]

---

[7] "هل ثمة من خطب؟"

أومأت له برأسي إيماءة خفيفة تدل على الموافقة، فأشار بإصبعه نحو النادل ليأتينا بقائمة الطعام، بينما أقلب كفيّ في حجري بارتباك.

قبضت على القائمة بيدي وأنا أتفحص محتوياتها، لم أدر ما علي اختياره بالضبط، خشيت أن أختار طبقا فلا أستصيغ طعمه، كان إيان مدركا جيدا بأنني أشعر بالضياع تماما، فضغط علي من جديد بسؤاله: " تبدين مشوشة، هل كل شيء على ما يرام؟"

لا، أبدا! أردت أن أصرخ بالضبط بهاتين الكلمتين، لكنني قررت أن أغلف إجابتي بشيء من الوقار فأجبت بحذر: " عذرا منك.. أنا لا أعرف ماذا أختار.. لست معتادة على هذه الأمكنة."

نظر في قائمة الطعام وهو يتفحصها ثم أجاب: " بالطبع، لا ألومك. ثقافتك تختلف عن ثقافتي، وبالتالي تأكلين طعاما يختلف عمّ أتناوله. معك الحق في أن تشعري بالضياع، إذا سمحت لي فإبمكاني أن أطلب شيئا على ذوقي لكلينا، فما رأيك؟"

سيلينا

كنت أسير خلف لورا فاغرة فمي كالبلهاء أنا وسارة، التي أيضا شعرت برهبة المكان الذي دخلناه خلف لورا، أرشدنا النادل إلى طاولتنا، وهو يحدث لورا بلباقة زائدة، فانحنيت نحوها هامسة: " هل أنت متأكدة مما تفعلين؟"

أجابتني وهي تبتسم بود للنادل: " كفيّ عن الشك وتصرفي بشكل طبيعي."

وما إن استقررنا في مكاننا حتى وقعت عيني عليهما بحيث تفصلنا عنهما عدة طاولات فهدرت باستياء: " ها! إنهما هناك!"

[8] " هل نستطيع الطلب الآن؟"

كانا يتبادلان الحديث ويبدو أنه قال شيئا أضحكها. نظرت لورا إلى حيث أتمعن، وقالت بنبرة عفوية: " يبدوان منسجمين! كأنهما خلقا لبعضهما البعض!"

إما أن لورا لا تفهم مشاعري تجاه إيان أو أنني أبخست في وصف إحساسي تجاهه لكي لا يلومني أحد على تعلقي بشاب لا يعرفني، لهذا ترميني بخناجر حادة بين كل فينة وأخرى.

راما

وضع النادل طبقا بدا لي شهيا أمامنا، لم أقاوم فضولي لأسأل إيان عن محتويات هذا الطبق، فأجاب بشكل اعتيادي كأنه طبق يسهل حفظ مكوناته بسهولة: " هذه شريحة لحم – ريب آي- متبلة ومشوية مع قطع فطر السوتيه وكافي دي باريه مع الصوص."

نظرت نحوه ببلاهة، فكل ما فهمته أن هذا الطبق هو شريحة لحم مشوي، لكن هل هو ناضج يا ترى؟ فحسب علمي أن هذا النوع لا يحتاج الوصول إلى درجة النضج عند الطهي. لكنني قررت تجربته في كل الأحوال.

راقبت إيان وهو يمسك بالشوكة والسكين ويقطع اللحم بخفة، فحاولت مجاراته قليلا. أنا أتقن الأكل بالشوكة والسكين قليلا بسبب تناولي الطعام عدة مرات في بيت لورا، فبدأت بتقطيع لقمة من اللحم وشرعت بالأكل معه، ودعوني أصف لكم إحساس لساني في ذاك الوقت، فقد كان كمن عايش تجربة حبه الأولى.

توقعت أن يكون الطعم شهيا لكن مذاقها تجاوز كل وصف، لمحته ينظر نحوي مبتسما باستمتاع، يبدو أن انفعالاتي كانت واضحة مرأى العين. شعرت بالخجل قليلا، لكن ذلك لم يمنعني من تناول الطعام باستمتاع؛ فأنا أعلم تماما أن هذه التجربة لن تتكرر على المدى القريب.

بينما كنت أهم بإقحام لقمة جديدة في فمي إذ به يتساءل دون مقدمات: " إذن... عن أي قصص غرامية كانت ماجدة تتحدث؟"
كدت أتشردق وسط طعامي، لكنني استدركت وأجبته بثقة: " لا تلق لها بالا.. إنها تهذر دون أن تفهم.. نحن الفتيات كثيرا ما نتعرض لتحرشات من قبل الشبان لكن هذا لا يعني وصول الأمر إلى قصص غرامية."
قرأت في عينيه كلاما، كأن إجابتي لم تكن شافية له، فخانه لسانه ليهبني السؤال الذي كان يطارد تفكيره: " راما؟ ما الذي يعجبك في فراس؟"
عضضت على الشوكة بين أسناني دون وعي مني بينما كنت أكمل التهام عشائي، فأردف قائلا قبل أن أتمكن من التفكير في سؤاله جيدا: " في الواقع.. سمير صديقي، بالتأكيد تعرفينه فأنت صديقة مخطوبته... وقد.. أخبرني عن مشاعرك تجاه ذاك الشاب عندما علم أنني دعوتك إلى العشاء..."
كدت أختنق، فضربت على صدري بقوة حتى شعرت باللقمة تهبط بصعوبة في بلعومي لتترك خلفها إحساسا مؤلما، ثم أصر بسؤاله قائلا: " إذا؟ لماذا أنت معجبة به؟"
وضعت الشوكة من يدي على طرف الطبق ومسحت فمي بمنديل نظيف وأجبته بنبرة مستاءة: " هذا ليس من شأنك! هل دعوتني إلى العشاء حتى تحقق معي؟"
وبكل هدوء أجاب بنظرة ثابتة: " لا"
أردت أن أشرب ماء لأبل ريقي، لكن ليس قبل أن أهاجمه بسؤالي قائلة: " إذن؟ ماذا؟ ماذا تريد مني؟ ما سبب دعوتك هذه لي؟"
انحنى بجذعه قليلا إلى الأمام، واتكأ بمرفقيه على الطاولة وأراح جبينه على يديه المتشابكتين وأجاب متحاشيا النظر إلي: " ثمة... ثمة فتاة..."

فتاة؟ من؟ ما بها؟ لم أجرؤ على مقاطعته طبعا، فتركته ليستجمع كلماته بمفرده وأخيرا تابع: " هي معجبة بي بشدة... في بادئ الأمر لم أكن أهتم؛ فالمعجبات من حولي كثيرات... لكن هي كانت مختلفة.."

زفر تنهيدة مطولة قبل أن يضيف: " بدأ إعجابها يتحول إلى افتنان، وبات ذاك مزعجا بالنسبة لي، لم أعد أشعر بخصوصياتي أبدا... تلاحقني أينما ذهبت، حتى أنها تأتي مبكرة جدا في الصباح قبل محاضراتها لتراقبني... تجمع صورا لي من مختلف الأماكن، وتلتقط لي الصور من جهازها.. أنا لا أريد جرحها حقا.. لكن.. ربما لو رأتني مع أخرى... ربما تيأس"

تساءلت بينما أحاول استيعاب صدمتي: " هل هي هنا؟"

أومأ برأسه بخفة مجيبا: " نعم، لكن لا تلتفتي حولك لئلا تشعر بشيء..."

عضضت على لساني وأنا أشعر بالإحراج وعدم الراحة، ثم أضاف: " لا تظنيني لئيما، لكن صدقا، أريد مصلحتها، أريدها أن تعيش حياتها بدل أن تضيعها بأحلام زائفة سدى.... لذا يجب أن تدرك تماما أن مشاعري موجهة لأخرى..."

خفق قلبي بقوة إثر عبارته الأخيرة، هل يقصدني بقوله أخرى؟ أرجو ألا أكون فهمته بشكل صحيح، رفع رأسه قليلا لتلمع عيناه الزرقاوان من بين غرة شعره الناعم ليضيف مؤكدا شكوكي: " أجل راما، أنا معجب بك."

سيلينا

كاد الفضول يقتلني لأفهم عمّ يتكلمان، ما الحوار العجيب الذي جعلهما يتهامسان على حين غرة؟ ولمَ أشعر أنه يتصرف بغرابة، وهنا تساءلت لورا وكأنها تسبح مع فيض تساؤلاتي: " عمّ يتحدثان يا ترى؟"

فأجابت سارة التي كانت تراقب المشهد كعميلة متخفية تتقن دورها بقولها: " ربما يطلب يدها للزواج"

صفقت لورا بخفة بيديها متحمسة، بينماحدجت سارة بعينيّ مؤنبة لأنال منها بالمقابل نظرة مرتعبة معتذرة.

راما

" هل هذه مزحة؟" هذا أول تساؤل خطر في بالي كإجابة على تصريحه المفاجئ. فاعتدل في جلسته وهو يمرر أصابعه في خصلات غرته لإبعادها عن عينيه مجيبا لي بجدية: " وهل ترينني من النوع الذي يمزح هذا المزاح؟"

أبحرت بي سفينة أفكاري محتضنة خيال سيلينا الذي لاح في الأفق أمامي وبريح فراس التي هاجمت مخيلتي، تنهدت بألم وأنا أطالع صحني شبه الفارغ أمامي ثم نطقت أخيرا لأرفض مشاعره بألطف ما يمكنني قوله من عبارات: " إيان.. أنا آسفة.. لو كان الزمن مختلفا.. أو الظروف مختلفة.. لكنت.. لكنا.. لكن.."

طأطأ برأسه من جديد وقال ليقاطعني وينقذني من حصاري وسط كلماتي:

"It's Ok. I got it.... "[9]

شعرت بالأسف لصدي له بمرار هكذا.. فسمحت للشعور السيء باعتناق قسمات وجهي، فهتف لي بسرعة مبتسما: "Hey hey! Princess! "[10]

رفعت بصري بإحراج وألم نحوه فأضاف: " أنا بخير، لم تجرحيني! شعوري تجاهك إعجاب لا أكثر!"

---

[9] " لا بأس فهمت"

[10] " هيه يا أميرة!"

أردت تصديقه لكنني شعرت به يراوغ، فأضاف بنبرة محببة:

"smile! Would you? Please! "[11]

كان من الصعب جدا علي أن أبتسم في تلك اللحظة بسبب الشعور السيء الذي اكتنفني عقب تصريحه بمشاعر وددت لو أنه وجهها لفتاة أخرى مثل سيلينا. فهز رأسه غير راض إلى ما آلت إليه الأمسية، ثم أخرج هاتفه من جيبه وقال بينما يضغط على شاشته:

" حسنا.. كنت سأفعل ذلك في وقت لاحق من الأمسية.. لكن.."

قال عبارته وصمت بينما يضع هاتفه على أذنه، لكن ماذا؟ ماذا كان يريد أن يقول؟ تحدث إلى شخص يدعى مارك وطلب منه الإسراع وعدم التأخر مما أصابني بفضول أكبر.

سيلينا

ثمة خطب ما أنا أشعر بذلك، إنه ينوي على شيء ما لكن ما هو؟ هتفت لي لورا لأتناول وجبتي، لكنني لم أكن في وضع يسمح لشهيتي بالأكل. كنت منغمسة بشدة في مراقبتهما متجاهلة طبق الطعام الممدود أمامي، ومع توسلات لورا لي بأن آكل إلا أنني لازمت الرفض، فاستغلت سارة الفرصة وطلبت مني أن تأكله هي فقدمته لها دون اعتراض.

راما

اقترب حارسه الشخصي وكان يختلف عن ذاك الذي أرشدني إلى الطاولة، حيث أن جثته أكبر وملامحه جدية أكثر، وكان حليق الذقن، لكنه كان يرتدي لباسا مماثلا لزميله ذاك. جديته كانت مفرطة مما دب في داخلي شعورا بالضحك، لكنني قاومت جاهدة حتى لا أظهر بمظهر السخيفة أمامها.

[11] " ابتسمي، رجاء"

كان يحمل في يده كيس هدايا، أمره إيان بوضع الكيس أمامي فوجهت انتباهي إليه بفضول وتعجب واضح.

سيلينا

صرخت هامسة وأنا أشير بيدي نحوهما: " رأيت؟ قلت لك أنه ينوي على شيء!"
انتفضت لورا بحماس قاتل وهي تكبت دمعة زائفة: " ماذا في الكيس؟ أريد أن أعرف! ماذا في الكيس؟"

راما

جلس إيان في كرسيه مستريحا محنيّ الظهر للأمام ومتكئا على كفيه لكن هذه المرة مصحوبا بابتسامة رقيقة، ثم قال طالبا: " هذه هدية متواضعة مني لك.. أرجوك افتحيها.."
كان يوجد في الكيس علبتان مغلفتان، إحداهما بحجم كف اليد والأخرى أكبر قليلا، احترت فيما علي فعله في خطوتي التالية فأنقذني بتوليه منصب المرشد لي هنا بقوله: " افتحي الصغيرة أولا."
فوجئت بزجاجة عطر من النوع الفاخر، تلعثم لساني حتى عن الشكر ولم أدر ما علي قوله فكنت أهذر بجمل متقطعة: " زجاجة.. عطر؟ شكرا لك.. لم تكن بحاجة إلى ... إحضار هدية.. أقصد أنني يا إيان.."
قاطعني بمرح قائلا: " It's nothing.. Now open the other one."[12]
فككت الشبرة عن الغلاف لأكتشف وجود علبة زرقاء مخملية. لوهلة سلب غطاء العلبة تفكيري، ثم تجرأت وفتحتها أخيرا فكانت الصدمة...

[12] " لاعليك، الآن افتحي الأخرى"

لطمت فمي وتراجعت إلى الخلف مصدومة، فما كان في العلبة لا يمكن لأي شخص أعرفه تقديمه لي ولو بذلت الغالي والنفيس له، كاد قلبي أن يتوقف وأنا أتأمل لمعانه وتصميمه، فابتسم إيان وهو يتأمل صدمتي والبهتان الذي ران علي فقال: " اهدئي يا عزيزتي إنه مجرد طقم ألماس"

وضعت يدي على صدري وأنا أحاول منعه من الإصابة بذبحة صدرية بينما أردد مصعوقة: " ألـ... ألـ.. ألماس؟! لا لا لا! أنا آسفة يا إيان! هذا كثير لن أقبل هذه الهدية لا! لا!"

وبكل هدوء رفع جذعه لينهض واقفا، ثم قال مقاطعا لنوبة انفعالي المفاجئة: " لقد رفضت مشاعري تجاهك فلا يحق لك رفض هديتي!"

سار حول الطاولة نحوي بينما تتملكني الدهشة، ثم شعرت به يخطف عقد اللؤلؤ المزيف رخيص الثمن الذي يزين رقبتي، وألقاه على الطاولة غير مكترث به. ثم انحنى خلفي فشعرت بأنفاسه قريبة جدا وصوته يدغدغ مؤخرة رقبتي وهو يهمس قائلا: " أميرة جميلة مثلك يجب أن ترتدي أحلى المجوهرات."

أحسست ببرودة أصابعه على رقبتي من الخلف وهو يوثق عقد الألماس فاحمرّ وجهي أكثر وشعرت بأنني سيغشى علي.

سيلينا

شددت شعري لأكبت صرختي حتى لا نفتضح بوجودنا هنا وهمست بحدة: " قلت لك أنه ينوي على شيء! ما الذي يفعله الآن؟"

أما لورا وسارة فقد تملكتهما الدهشة بالكامل، فقالت لورا باستياء: " هذا أعظم حدث في التاريخ، لو كنت أعلم لوثقت ذلك بتصوير فيديو! أين هاتفي؟"

راما

رفع جذعه المنحني خلفي وربت على ذراعيّ العاريتين بيديه الباردتين لتسري قشعريرة غريبة في أوصالي، ثم قال بنبرته الرقيقة ذاتها: " والآن التحلية.. أنا في العادة لا أتناول الحلويات... لكن بما أنك هنا سأطلب شيئا لذيذا من أجلك... هل لديك اهتمامات بأنواع الكعك؟"

وضع النادل أمامنا طبقين من الكعك أحدهما مغطى بالشوكولاه والآخر كان كعكة جبن مغطاة بصوص الفراولة وتزينها شرائح فراولة.

قال إيان مبتهجا: " لا أعرف النكهة التي تحبينها لكنني أعرف أن الفتيات في العادة يفضلن الشوكولاه ومع ذلك الخيار لك، إني خيرتك فاختاري."

نظرت بحيرة بين الطبقين وذهني ما زال يفكر بعقد الألماس الذي يزين رقبتي، ثم أجبته بخجل: " شـ.. شكرا لك.. لا فرق عندي... أنا لست .. من النوع المتطلب."

تنهد منزعجا ثم قال: " أرجوك توقفي عن التكلم بهذه الطريقة كالمجبورة على رد الجميل، أهديتك هدية بالنسبة لي متواضعة، فتقبلي الموضوع رجاء"

متواضعة؟ أهذا ما يصفه بالهدية المتواضعة؟ هذا طقم من الألماس وليس مجوهرات مقلدة، كم تبلغ ثروة هذا الشاب ليهدي فتاة التقى بها للتو طقما من الألماس؟ هل يفعل ذلك مع جميع الفتيات اللاتي يلتقي بهن ويثرن إعجابه؟ هل له نوايا خفية؟ هل يطمح مني أرد له الجميل بطريقة لا تتناسب مع تربيتي؟ لا أعرف كيف أتصرف.

شهقت لأستفيق على الواقع عقب إحساسي ببرودة أصابعه تلامس كف يدي التي كانت تداعب الشوكة الموضوعة أمامي دون وعي مني.

ابتسم ابتسامة ساحرة تذيب القلب، ولو لم أكن مغرمة بآخر لوقعت مغشيا علي الآن.
ثم قال: " لا تسرحي في خيالك بعيدا، لست زير نساء وبالطبع لا أمارس المحرمات، فإياك أن تفكري بأنني أستغلك أو ما شابه"

احمر وجهي خجلا من حديثه المفاجئ، هل كان ذلك ظاهرا في ملامحي؟ يا للإحراج!
أردت أن أقول شيئا لكنه قاطعني قبل أن أبدأ فقال بعد أن تذوق إحدى القطعتين: " ممم! إنها لذيذة! هل تسمحين لي بتجربة لقمة من قطعتك؟ سأشاركك قطعتي في المقابل..."

إنه يتصرف بهدوء يقودني إلى الجنون، أعرف أنه مجروح مني، يأكل بهدوء ويحاول جهده تغيير الموضوع، واضح جدا أنه لا يحب الهزيمة لكنه يتقبل ذلك بشكل راق، لم أقابل قط شخصية مثله. ألهذا كانت لورا متحمسة لهذا اللقاء؟ هل تعرف صفاته هذه؟ ربما لهذا السبب أخفت سيلينا إعجابها به عني، ربما كان خوفها في مكانه الصحيح... لو كنت أعلم أن الأمور ستتطور إلى هذا الحد ما كنت أتيت إلى العشاء.

سيلينا

ارتدينا ملابسنا التي جئنا بها سابقا ونحن ننتظر راما لكي تعود من العشاء، كنا قد غادرنا سابقا حين قررا تناول الكعك، إذ علينا التواجد في بيتها قبل نصف ساعة على الأقل من عودتها لئلا تعلم بأننا لحقنا بها.

آوت لورا الصغير وسيم إلى فراشه وجلست تدعك بذراعيها وهي تقول: " آه! أخيرا نام! كم أتعبني هزّه، أهكذا تعاني الأمهات؟ كيف لي أن أصبح أما وأنا لا أصبر في التعامل مع الأطفال؟... يا رب متى تعود راما؟ أريد أن أمرغ جسدي في حمام فقاعات قبل أن أخلد إلى النوم!"

يا لأحلامك وطموحاتك الكبيرة في الحياة! قلبي منقبض بشدة والضيق يعتريني وهي تريد أن تدلل نفسها بحمام فقاعات! مرة أخرى لا ألومها، فأنا من كنت كتومة بالنسبة لمشاعري، هي لا تعلم أنني أحبه، فكلتاهما تظنان أنني أكن له مجرد إعجاب بسيط. فهذا ما نجحت في إيصاله لهما.

راما

أوصلني إيان بسيارة الليموزين ذاتها إلى بيتي، لكن هذه المرة فقد رافقني في مشوار العودة، كان قد طلب من السائق وضع بعض الموسيقى الهادئة التي ترتخي لها الأعصاب. حرص على أن يمازحني ويلقي الدعابات لمحاولة إخراجي من الغم الذي اعترى صدري عقب رفضي له وما تبعها من هدايا مكلفة.

وصلنا إلى المكان المنشود، فأشرت له من خلال النافذة وأنا أطبع ابتسامة سخيفة على وجهي: " ها قد وصلنا، شكرا جزيلا على العشاء... مع السلامة!"

كان ينظر بتفحص نحو المبنى الذي أقطن فيه دون أن ينطق بشيء، وما إن أردت أن أترجل حتى قبض على ذراعي ليوقفني، التفتّ ناحيته يعتريني الإحراج منه، عيناه الزرقاوان تلمعان بشدة بالرغم من سكون الليل حولنا، ثم قال بلهجة غريبة: " سوف أعطيك نصيحة أخيرة قبل أن تهربي مني... لا تعلقي آمالا عالية على فراس، فقد يحصل ما يصدمك وتندمين على وقتك الذي أضعته سدى في انتظاره عبثا."

احمر وجهي بشدة، لقد أخذني على حين غرة، ودون أن يعطيني فرصة للرد عليه مد لي يده الأخرى ببطاقة ثم قال: " في حال غيرت رأيك... تواصلي معي على هذا الرقم... لتزوديني برقم والدك لأتفاهم معه.. لكن راما، أنا أحذرك لن أنتظرك إلى الأبد."

ترجلت من السيارة والبهتان غير منقشع من ذهني، هل يخيل إلي أم أنه طلب يدي للزواج بطريقة غير مباشرة؟ خطرت سيلينا فجأة في بالي فسارعت لإخفاء البطاقة في حقيبتي الصغيرة؛ يجب أن أخفي الموضوع عنها، إذا علمت بهذا فلربما تنتهي صداقتنا.

فتحت الباب وكدت أقع من الرهبة؛ فاجأتني لورا بوقوفها مباشرة خلف الباب بملامح سخيفة ونظرات حالمة أما سيلينا فكانت كالبركان الهائج وهي تقف خلفها كمن تكبت نفسها لئلا تقذف حممها المشتعلة على لورا فتسحقها.

ثم باغتتني لورا بسؤالها بابتهاج مبالغ: " إذن؟ كيف كان العشاء؟"

-" لا بأس.."

-" هل قضيت وقتا ممتعا؟"

-" يـ.. يعني.. تقريبا.."

تأملت بعينيها الخضراوين رقبتي فانقضت نحوي وصاحت هامسة: " أهداك عقد ألماس؟!"

أجبتها بحذر بينما أنظر نحو سيلينا بضمير مؤنب: " آم نعم... أقصد أهداني طقما.. وزجاجة عطر... "

هجمت لورا على الكيس وسرقته من يدي وألقت نظرة داخله ثم بدأت تقفز كالمجنونة وهي تردد: " ياه! آه! راما! يا لك من محظوظة! هذا الإيان أكثر شاب رومانسي عرفته في حياتي أريد أن أعرف بالتفصيل ما جرى بينكما والآن!"

استطعت التملص منها بصعوبة لأقنعها بأنني متعبة وأريد تغيير ملابسي على الأقل قبل أن أسرد لها أي شيء.

حاصرتني كلتاهما على الأريكة التي في صدر المجلس في غرفة المعيشة، لكي لا نوقظ سارة من نومها، بعد أن أخذت حماما سريعا وارتديت منامتي القطنية. لم تصبر لورا علي لأسرح شعري بل اقتادتني كما السجينة وألقت بي على الأريكة لتحاصرني سيلينا من الطرف الآخر، ثم أصرتا علي بالبوح، لم يكن من بد للمراوغة لذا أخيرا تشجعت وقلت لأُلهي تفكيرهما بمشاعره نحوي قائلة:

"لم يحصل شيء ذا أهمية.. عرفت عنه بعض الأمور مثل كونه يتيم الوالدين ويدير شركته الخاصة.."

فقاطعتني لورا محتدة: " أعرف هذه التفاصيل المملة، أدخلي في صلب الموضوع، بأي لغة قال لك أحبك؟"

ابتسمت بزيف وخدودي تشتعل احمرارا ثم أجبتها: " هو ليس معجبا بي! لم يحصل شيء مما في بالك، فقط أراد إغاظة معجبة وهذا كل شيء"

أخيرا نطقت سيلينا باستياء واضح: " ماذا تقصدين بأنه يريد إغاظة معجبة؟ هل يقصدني بذلك؟"

ضحكت بإحراج وأجبتها: " لا يا سخيفة! تلك المعجبة مفتونة به لدرجة المرض وتكرس حياتها لمشاعرها له، مثلا تأتي كل صباح لمراقبته قبل محاضراتها"

أجابتني بذات النبرة المستاءة: " ماذا؟ أنا أفعل ذلك يوميا!"

ظهر الاندهاش على وجهي ووجه لورا، فسارعت بالتوضيح ثانية لأخرج أي أفكار غبية من رأسها: " هذه الفتاة تجمع صوره وتلتقط له صورا بهاتفها دائما!"

-" أنا أجمع صوره! كما أنني امتلك قرص صلب خارجي يحتوي على الكثير من صوره التي ألتقطها له من خلال هاتفي المحمول! لدي الكثير من المجلدات المنونة والمبوبة! أنا لست معجبة به فقط.. بل مغرمة به بشدة!"

استمعنا إلى كلامها بينما الصدمة تتملكنا، كيف لها أن تحمل هذا الكم من المشاعر له ولا أعرف بذلك... يا لها من ماهرة في إخفاء مشاعرها، بالنسبة لي حتى سمير علم أنني أحب فراس، سيلينا كتومة جدا. لكن كان لا بد لي من طمأنتها وإخراج صورة أنه لا يرغب بها من مخيلتها فقلت أخيرا في محاولة يائسة: " تلك الفتاة كانت متواجدة في المطعم اليوم، هو قال لي.. لقد لمحها."

ابتلعت لورا ريقها، وران الصمت عليها، حسب معرفتي فهي لا تبقي لسانها في فمها مدة طويلة هكذا، فعرفت أن ثمة خطبا ما، دمعت عينا سيلينا في النهاية وعضت على شفتها لتمنع نفسها من الانهيار ثم قالت وسط شهقاتها: " لقد.... لقد تبعناك إلى المطعم ... لمراقبتكما.... كان يتحدث عني!"

ثم انفجرت باكية أخيرا، رق قلبي لها وصدمت بتصريحها، وحتى لورا لم تجد ما تقوله، فسارعت إليها لتمسح على ظهرها لتواسيها، بكت وخرجت الدموع من عينيها كعقد من اللؤلؤ الذي تناثر إلى أشلاء ليضيع وسط صحراء قاحلة لا تحمل في طياتها إلا الألم.

الفصل الخامس

سيلينا

أذكر حينما كنت أجري أمامه وهو يحاول الإمساك بي فيتظاهر بأنني أسرع منه فأفوز دوما، كنت وقتها طفلة بريئة لا تحمل معها إلا الأمنيات البسيطة، كان لي قلب كبير ولطالما أحببت الناس من حولي... لكن في مرحلة ما من حياتي ضاع قلبي مني. لم أعد أهتم لأحد، سرقت مني سعادتي. وشمسي التي كانت تدفئني غابت إلى الأبد في غياهب الحسرة والألم.... لم أصدق بأنني سأقوى على الحب من جديد لذا كرست ما تبقى من قلبي المشوه لأحافظ على صداقة راما؛ فهي الوحيدة التي عاشت معي تجربتي القاسية في الفقد ولم أجد حضنا ألجأ إليه عداها.

لم أحلم يوما بأن تتحرك مشاعري أو ينبض قلبي من جديد، لكن حينما لمحته يومها تغير كل شيء من حولي، شعرت ببريق يتوهج في صدري، وبأحلامي تنبت زرعا نضرا كنت في انتظار قطف ثماره. أما الآن فقد أدركت أن ذاك الوهج لم يكن إلا سرابا، وأن البستان الذي حلمت به ما زال صحراء قاحلة يغلب على السائر فيه الوهن واليأس.

جلست على أرضية غرفتي المفروشة بسجاد لطيف اللون كانت قد ابتاعته أمي لي؛ لربما تنجح من خلاله بإيصال مشاعر الاهتمام بي.

كنت أطالع ألبوم صور حفظت فيه العديد من الصور التي التقطتها له، ولكي لا يخدعني السراب ثانية أخذت أمزق كل صورة لأنهي أحلامي الوردية التي داسها بوحشية من جررت إليه حبل مشنقتي إثر إعلانه عن تقززه من مشاعري تجاهه، ثم خانتني تلك الدمعة التي جاهدت كبريائي ألا أسمح لها بالهروب وأنا أردد مع نفسي بخفوت: " كم كنت غبية!... غبية.."

لورا

فاجأني سمير باقتحامه غرفتي بينما كنت أمسك بهاتفي وأنا على وشك الاتصال به ليأتي ويقلني إلى الجامعة، أوضح لي بينما يسير نحوي بأن أمي سمحت له بالصعود. ثم استقر أمامي وأحاط ذراعه حول ظهري وبيده الثانية أخذ يداعب خصلات شعري، ثم ابتسم بخبث وقال: " إذن أيتها الخائنة.. كيف كان العشاء في المطعم البارحة؟"

فتحت فمي لوهلة مصدومة ثم قلت بسرعة ملتزمة بالكذبة التي اتفقت عليها مع راما وسيلينا: " عشاء؟ عم تتحدث؟ كنت في بيت راما في الأمس لأعتني بأخويها الصغيرين!"

ابتسم مظهرا صف أسنانه البيضاء وقال بثقة: " كفي عن المراوغة، إيان قال لي.. لقد رآك في المطعم."

اختفت ابتسامته فجأة وأردف قائلا: " على كل حال، هذا ليس ما شغل بالي صراحة.... بل ما صدمني هو تصرف راما؛ لم أتوقع أنها متعلقة بفراس إلى هذا الحد!"

-" هل هذه حزورة؟"

-" ما بك؟ ركزي! أنا أتحدث عنها وعن إيان، أعني أن ترفض شابا مثله! هل هي مجنونة أو ما شابه؟"

ضقت ذرعا بحديثه غير المفهوم فهدرت به بنبرة غاضبة: " حبي! عمّ تتكلم؟"

دعك بيده مؤخرة رقبته وهو يتساءل مسترسلا بحديثه: " ألم تخبرك راما؟ أبدى إيان إعجابه بها في الأمس لكنها رفضته، ولو أنها لم تخذله لكان طلب يدها للزواج. إنه ينوي الاستقرار وعائلته تصر عليه بالزواج لينجب من يرثه ويبقي اسم العائلة إثر وفاة والديه، فكما تعرفين إيان شاب وحيد بين ثلاث بنات... المهم أنه أعجب بها حينما

التقى بها وسألني عنها حينما أبديت معرفتي بها. لم أوجه أي نقد لها فهي مهذبة ومن عائلة مستورة، إلا كونها تحب فراس، ومع تنبيهي له بذلك إلا أنه أراد تجربة حظه وعرض مشاعره عليها... لكن جوابها صدمني بحق"

كنت طوال حديثه أستمع إليه بثغر مفتوح وعينين جاحظتين دهشة، وبعد أن أستوعبت أخيرا القصة تمتمت بخفوت قائلة: " تلك الغبية!"

تركت سمير واقفا متجاهلة تماما نداءه لي، فتبعني على السلالم وهو يهتف لي: " لورا! انتظري... إلى أين؟"

كنت قد وصلت نهاية السلالم، رأسي يتأجج غضبا وذهني غائب عن التفكير إلا بتصرف راما، فأجبته من غير تردد أو النظر إلى الخلف: " آسفة حبيبي، سأذهب اليوم بسيارتي... سلام."

وصلت كراج البيت وقفزت في سيارتي لأقوم بتشغيلها بينما أحاول جاهدة اختلاق عذر مقنع يمنع راما عن الارتباط بشاب مثل إيان، لماذا فعلت الغبية ذلك؟ أذلك حقا من أجل فراس؟ أم من أجل سيلينا؟ متى ستنضجان بتفكيرهما؟

راما

جلست في الكافتيريا الخاصة بكلية الهندسة على الطاولة المستطيلة التي تفصلني عن مطبخ المقهى وقد طلبت لنفسي كوبا من القهوة، بعيدا عن الكل وظهري لجميع الجالسين من خلفي، فحينما أكون متضايقة لا أهوى إظهار تعابيري أمام أحد. وضعت سماعاتي في أذني وقررت الاستماع إلى بعض الأغاني لعلي أخرج من غمي قليلا.

تظاهرت في الأمس بأنني نائمة حتى لا تسألني أمي عم حصل معي في العشاء، وهربت في الصباح الباكر قبل استيقاظها لأتجنبها، لكن ماذا أفعل؟ إلى متى سأتهرب منها؟ ربما

استطعت خداع لورا وسيلينا لكن لن أستطيع خداع أمي، إنها ماهرة في قراءة الكذب في عينيّ، وأتخيل ردة فعلها تماما كردة فعل لورا.

شعرت بالضياع ولم تسعفني الموسيقى في إيجاد حل أو حتى الانشغال بالتفكير بشيء آخر.

فجأة وسط أزمة سير أفكاري ووصولها إلى طريق مسدود إذ بأحدهم يخطف سماعة من أذني ثم جاء ذاك الصوت الذي لا أخطئ في تحديد هوية صاحبه ولو كان عن بعد ميل: " حسنا حسنا.. انظروا من هنا.."

تنهدت بانزعاج وقلبت عينيّ لأظهر لها مدى شعوري بالضيق من مجرد حديثها معي، ثم سألتني بكل وقاحة: " ماذا تفعلين عندنا هنا؟ هل جئت لمراقبة حبيبي فراس؟"

اهدئي يا راما ولا تسكبي كوب القهوة عليها أنت بحاجة إليه ليساعدك على التفكير بالخطوة التالية، استجمعت أنفاسي المثقلة بالغيظ وأجبتها: " أولا أغلقي فمك! ثانيا فراس لن يكون ملكا لك أبدا فأنت لا تستحقينه، ثالثا، الكافتيريا ليست مسجلة باسمك! أجلس أينما شئت ووقتما شئت!"

كان هدوءها غريبا على غير العادة وفور تفكيري بذلك فاجأتني بانقضاضها علي دون سابق إنذار لتتعلق بي من كتفيّ وزمجرت بي هامسة وهي تهزني بشكل هستيري: " قولي لي الآن! مع من كنت خارجة البارحة في سيارة الليموزين الفارهة؟"

لفتت ميساء بعض الأنظار نحونا بهجومها الهمجي علي، ومع ذلك فلم أهتم فقد حصل ما كنت أحلم به؛ أن تراني ميساء أستقل سيارة الأحلام بأبهى طلة وتحترق بنار غيرتها. فلم أقاوم تلك الابتسامة الشيطانية الماكرة التي سرعان ما فازت بلقب الخلود لهذه اللحظة المميزة فتتربع على ثغري ثم همست لها بخبث: " إذن رأيتني... اعترفي

كنت تشعرين بالغيرة مني لأنني وصلت مستوى في الأناقة والرقي لن تطمحي حتى بالوصول إليه"

حررت كتفيّ من قبضتها وهي ترمقني بنظرات مغتاظة دون تعقيب منها، كأنها لم تجد ما ترد به علي، ثم أضفت بتعجرف أكثر لأغيظها بينما أنزع عن أذني السماعة الثانية: " لقد دعاني أحد أغنى الأغنياء في الأمس إلى العشاء رغما عني، وأبدى إعجابه بي.."

وجهت بصري المحتد نحو وجهها المتكهرب غضبا وأردفت: " أتريدين معرفة من هو؟.... إنه إيان هودج!"

اعتدلت بقامتها المنحنية نحوي ولطمت فاها لتكبت صرختها ثم تمتمت: " مسـ... مستحيل! هل هذا يعني... أنه سيتزوجك؟"

أعادني سؤالها إلى دوامتي السابقة، إيان شاب رائع وهو كنز لأي فتاة، لكن ليس لي، لا يمكنني فعل ذلك بسيلينا وخصوصا بعدما حطم آخر بذرة أمل لديها بالارتباط به، اختفت ابتسامتي وشردت من جديد بأسى ثم أجبتها: " لا، لن أرتبط به... لقد رفضت عرضه..."

جلست إلى جانبي على كرسي مجاور، وسألتني بحذر وفضول: " لماذا؟ أبسبب فراس؟"

- " أجل.. لكن ثمة سبب أكثر أهمية.."

مررت أصابعها في خصلات شعرها وقاطعتني بتعجرف: " آه لا تقولي، خشيت أن يراني ويعجب بي ويتركك، يا لك من مسكينة!"

أظهرت تعابير الاشمئزاز بينما أجيبها من فوري: " يا لك من مريضة نفسيا!"

أزحت بصري عنها، فلا رغبة لي بالدخول بمشادة كلامية معها وأضفت: " ليت الأمور بالبساطة التي تتصورين"

بعيدا عن لهجتها الساخرة قالت بنبرة يشوبها شيء من القلق: " حسنا.. هذه ليست راما التي أعرفها، ماذا حصل لك؟"

سيلينا

عقب رحيل والدي ما عدت أرى الألوان في الدنيا، وكأنها باتت باهتة بلون رمادي كئيب. احتجت سنوات لأتخطى ألمي، والآن لماذا أشعر بالفقد ذاته ثانية؟ ألأنني خسرت قلبي من جديد؟

جلست على الأرض المبلطة بجانب البوابة الخلفية للكلية، حيث يؤدي إلى الكافتيريا، واحتضنت ركبتي إلى صدري وراقبت أوراق الأشجار المتساقطة من حولي، بينما يهم العمال بإزالتها وتنظيف الحديقة. ثم همست لتلك الأوراق بقولي: " كم أتمنى أن أختفي.."

توقفت قدمان عن المسير وقوفا إلى جانبي مباشرة وذلك بعد تلفظي بتلك العبارة فورا، لمحت حذاء ملمعا ونظيفا، وطرف بنطال قماشي، فرفعت بصري إلى الأعلى لأصدم بوقوفه هو دونا عن الكل.

كان ينظر إلي بنظرات غريبة، هل يعقل أنه سمعني؟ ما الذي يفعله هنا أصلا؟ هل جاء للبحث عن راما؟ ما زال يحدق بي بصمت، لكن لماذا؟

نهضت بهدوء وحملت كتبي واحتضنتها إلى صدري وسرت مبتعدة عنه، التفتّ خلفي فوجدته ما زال يتبعني بنظراته، هل أدرك أنه جرحني ولهذا ينظر إلي؟ لا أدري.. المهم الآن أن أبتعد عن هذا المكان فكلما تمعنت فيه أكثر زاد ذلك من ألم قلبي.

راما

" حسنا، سأضع عداءنا جانبا..."

نظرت في عينيها منتظرة منها تتمة لعبارتها هذه عقب تصريحي لها بالسبب الحقيقي لرفضي مشاعر إيان نحوي، فأضافت: " أنت أغبى إنسانة تعرفت عليها في حياتي!" لم أتوقع هجومها اللفظي هذا، فقابلتها بوجه مصدوم، ثم بررت قائلة: " جاءتك فرصة ذهبية عند قدميك وأضعتها من يديك من أجل ماذا؟ حسنا، تحطم قلب سيلينا، لكن إلى متى ستبقى مجروحة؟ سنة؟ سنتين؟ ماذا سيحصل بعدها؟ ستنسى وتتزوج من آخر وتنسى إيان حب المراهقة الغبي! ثم ستشعرين أنت بالغباء، دعيني أقول لك معلومة قد غفل المجتمع عن تربيتك عليها، لا شيء يدوم، وحتى صداقتك بسيلينا لن تدوم ربما، من سينفعك ويكابد معك الحياة بحلوها ومرها هو زوجك وعائلتك، الصداقة خرافة تربينا على تقديسها بسذاجة"

قاطعتها محتدة بقولي: " لا يهمني كم عقلك يهوى الوحدة وحب الذات، فأنا فعلت ما علي فعله، هذه صديقتي والصداقة كنز!"

- " هذه تسمى تفاهة! ما كان عليك فعله هو التريث قليلا قبل تصرفك المتخلف، انظري إلى المعادلة الآن خرجت بقلبين مكسورين وشعورك بالأسف والندم على اثنين، وماذا استفدت؟ لا شيء!"

- "توقفي عن الكلام اللئيم يا لئيمة!"

- " هذه أول مرة في حياتي أكلمك بنية صافية يا جاحدة، في النهاية أنت الخاسرة."

لم أعد أحتملها ضقت ذرعا بها، فصرخت بها: " قلت اصمتي!"

لفتنا الكثير من الأنظار نحونا اليوم ومع ذلك فلم أهتم، ثم أجابتني: " أصلا أنا ذاهبة أخاف أن تنقلي إلي عدوى حمى الغباء! تبا لك كنت أنوي السخرية منك لكنك عكرت مزاجي!"

نهضت مبتعدة وهي تلوح بيدها قائلة: " سلام يا فاشلة!"

كم وددت بشدة أن أهشم لها وجهها الجميل هذا، لكن اخترت عدم الدخول معها بنقاش عقيم آخر، ثم أن رنين هاتفي فجأة قطع علي أفكاري. نظرت إلى هوية المتصل قبل أن أجيبها متنهدة.

جاءني صوتها متسائلا بنبرة غريبة، كأنها غاضبة: " صباح الخير.. أين أنت؟"

أجبتها بهدوء مزيف: " صباح الخير يا لورا ، أنا ..في كافتيريا.. الهندسة"

- " الهنـ... آخ منك! ابقي مكانك أنا في طريقي إليك!"

وضعت هاتفي على الطاولة أمامي وهممت بإيصال سماعاتي فيه من جديد حينما شعرت بخفقة قوية دوت في قلبي إثر سماعي صوتا يأتي من جانبي وهو يحدث العامل في الكافتيريا خلف الطاولة التي أجلس عليها: " مرحبا عماد، كيف حالك اليوم يا رجل؟"

أجابه بينما أحاول استيعاب اللحظة: " أهلا فراس، كيف حال ساقك؟"

رفعت بصري بحذر نحوه بينما أحاول إيقاف قلبي عن النبض بقوة لئلا يتسبب لي بنوبة قلبية، راقبت شعره الأسود الناعم وفكه الجذاب وهو يجيب الشاب بقوله: " إه، أحسن حالا على الأقل ما عدت بحاجة إلى العكاز، سأزيل الجبيرة الأسبوع القادم."

دخل كلاهما بالحديث عن موضوع ساقه المكسورة بينما أشبع رغبة عينيّ بالنظر إليه، لا أصدق أنه يقف إلى جانبي، بجانبي أنا يقف فراس! قلبي! اهدأ يا قلبي أرجوك، لا تمتني الآن دعني أستمتع بهذه اللحظة أولا.

كان يضع يده على الطاولة قريبا من حقيبتي، ولو حركها قليلا إلى اليسار للامست أصابعه طرفها، المسها أرجوك المسها لأحصل على شيء من أثرك!

لفتني سؤال الشاب له حينما قال: " هل لديك التزامات الآن؟"
فأجاب بنبرته الجذابة التي أعهدها منه وأحلم بها كل ليلة: " في الواقع لا، لم يأت أحد من الأصدقاء بعد."
-" إذن اشرب قهوتك هنا، دعنا ندردش قليلا."
ابتسم ابتسامته الأخاذة وهو يجيبه موافقا على اقتراحه، شكرا لك أيها الغريب المدعو عماد، فوجودك هنا صب في صالحي، سأدعو لك في سجودي.
سحب فراس كرسيا مجاورا لي وجلس إلى جانبي. اعتلت وجهي حمرة قانية وقلبي غاب في رحلة الأفعوانية وهو يتقافز بشكل غير متوقف حماسا لمشاركته المكان الذي أجلس فيه.
كثيرا ما كنت آتي إلى هنا لأمتع نظري به، وهو يجلس مع أصدقائه في الزاوية على الطاولة البعيدة بينما أجلس في مقعدي هذا ذاته، أراقبه كمختلة نفسيا عاشقة له ومولعة بكل تفصيل وحركة يقوم بها.
طلب قهوته التي يشربها حلوة كالمعتاد ومال بجذعه الرياضي ليتكئ على مرفقه على الطاولة ليتبادل أطراف الحديث مع صاحبه.
لقد غاب عني لمدة أسبوع كامل، ذهبت إلى كل الأماكن التي يتواجد فيها عادة ولم أجده، والآن أخيرا سمح لي القدر برؤيته، بل وبالجلوس إلى جواري لا يفصله عني إلا بضع إنشات. أي مصادفة هذه؟ أكاد أطير من الفرحة. في تلك اللحظة تمنيت أن يتوقف الزمن ونبقى على هذه الحال إلى الأبد وهو جالس إلى جانبي غير متزحزح من مكانه.

لكن كالمعتاد اللحظات الحلوة لا تدوم، وعندما تصل إلى ذروة نشوة السعادة يجب عليك أن تتوقع المصائب التي تنهال عليك كي تدفع دين سعادتك التي لم تجد ثمنا لها. ففي سكون الأجواء ولطافتها، وبين أنغام فراس التي تطرب أذني بعذب صوته في حديثه دوى ذاك الزلزال ليهدم علي سعادتي ووقتي الخاص بالاستمتاع بعيدا عن ضجة حياتي المعتادة بصراخها الذي كاد يهدم المبنى فوق رؤوسنا: " أتمنى أن يأتي اليوم الذي تصبحين فيه راشدة وتعرفين الصواب من الخطأ!"

الجميع وأقصد بالجميع كل من كان جالسا في الكافتيريا ومن بينهم فراس التفت نحو مصدر الصوت، إلى لورا التي كانت عيناها تقدح بشرر غير منطفئ لا يبشر بخير.

انقضت نحوي كالمجنونة وتعلقت بي بكفيها من ياقتي لتخنقني وهي تصيح بي: " كيف استطعت أن تفعلي ذلك بإيان أيتها المعتوهة؟"

حينها شعرت لورا بأنظار الكل حولها فحررتني من قبضتها لتلقي بنظرتها المتعجرفة نحو الجميع مهددة بشزرات متتابعة، استطاعت إخافة البعض ليلتفتوا إلى أعمالهم بينما بقي البعض مسلطا أنظاره نحونا مستمتعا بالعرض.

لورا

لا يهمني وقاحة أولئك الحمقى الذين كانوا مصرين على مشاهدة الاستعراض الذي أجبرتني راما بغبائها غير المبرر على القيام به، فقط لأن أحدا ما لفت انتباهي أكثر منهم، ذاك الوقح بعينيه الزرقاوتين اللامعتين، هل ذكرت سابقا شعوري بالنفور من أصحاب العيون الزرقاء؟ عدا إيان طبعا.

استدرت نحوه وسألته بنبرة متغطرسة: " إلى ماذا تنظر يا هذا؟"

أجابني بخبث واضح في نبرته: " إلى ما سينفر سمير منك يا حلوة"

اقتربت منه واستقررت أمام ناظره مباشرة فاستدار نحوي منتظرا مني أن أرشقه بإهاناتي المعتادة فبدأت بقولي: " اسمع أيها المتغطرس الأناني.."

قاطعني بحدة بقوله: " أنا المتغطرس الأناني؟ ما رأيك لو كففت عن إسقاط صفاتك السيئة على الآخرين؟"

وضعت يدي على وسطي غير راضية بمقاطعته الوقحة: " كلمة أخرى يا هذا وسأقتلع لك لسانك الطويل!"

- " حاذري إلى نبرتك واحترمي مقام الذي تحدثينه..."
- " أيها الـ...."

لم أتمم عبارتي ليس لأنني لم أجد ما أرد عليه به بل لأنني لم أعد ألمح خيالها على الكرسي المجاور، فهتفت بغضب: " عظيم! أين اختفت الآن؟"

استدرت مبتعدة لأبحث عن راما لكنني لا أرضى أن أغادر وقد طبعت في رأس منافسي أنني خسرت المعركة فأشرت إليه بإصبعي من الخلف بينما أهدده بنبرة محتدة عند وصولي إلى الباب: " لم أنته بعد منك يا فاشل، سيأتي حسابك لاحقا"

<u>فراس</u>

يا ربّ وقاحتها عجب! لن أجد أغرب منها على الإطلاق، كيف لسمير أن يرتبط بفتاة مسيطرة مثلها؟ ويبدو أنني كنت أكلم نفسي بصوت مسموع فقد جاءني رد عماد من خلفي قائلا: " لا تتحدث عنها كأنك بريء من صفاتها، أنت وقح مثلها.. أتعرف؟ أظن أنكما مناسبان لبعضكما أكثر"

عماد أحيانا يتكلم بسخافة، فأجبته متهكما: " هاهاها! ليس مضحكا البتة! أتدري لو سمعك سمير ماذا كان ليصنع بك؟ ربما حول لحمك إلى كفتة مقلية."

أجابني غير مبال:" سمير ليس هنا، فأستطيع البوح بما أريد، سأقول لك سرا لا تتحدث به أمام سمير.... بصراحة... لورا جذابة جدا!"

- " يا رجل!"
- " انتظر لم أنته بعد، لكن صديقتها تلك ... كيف أصفها؟ لم تلمح عيني قط جمالا كهذا.."

نفخت بعدم راحة للحديث بأشياء تخص لورا بقولي: " ألا تسلم فتاة من شرك؟"

أجابني بثقة وبنبرة تيه في عالم العشق: " هذه البنت مختلفة، إنها.... آه.. لذيذة... كقطعة حلوى صغيرة وجميلة أعدت بعناية"

شعرت بالاستهجان لكلامه العجيب هذا وأجبته لأحاول إيقاظه من غفلة الحب قبل أن يقع فيها: " ألهذه الدرجة انقطع وصفها؟"

شهق مصدوما قائلا: " لا تقل لي أنك لم تلمحها!"

ابتسمت ابتسامة صفراء بينما أقر أنني بصراحة لم أنتبه إليها.

لورا

أين يمكن لها أن تختفي بهذه السرعة؟ من غير المحتمل أن تبتعد كثيرا عن المنطقة.

بحثت عنها حول الكلية خلف الأشجار؛ فحسب معرفتي بها حينما تهرب من شيء ما أو تشعر بالاضطراب فهي تميل للانفراد بنفسها وتتجنب إظهار مشاعرها أمام أحد.

بينما كنت أحدث نفسي متسائلة عن مكانها وإذ بي ألمحها أخيرا تحت شجرة عملاقة جالسة على كرسي خشبي وحدها.

كان ظهرها لي فلم أتبين ملامحها، أسرعت السير نحوها حتى وصلت إليها وكدت أهاجمها بعتابي حين شهقت فجأة في الوقت الذي استدارت به نحوي.

راما

بكيت بدموع مالحة وأنا أحاول جاهدة دراسة تفاصيل لورا من خلف الغشاء الضبابي الذي طبع على عيني من غزارة دموعي. استشعرت قلقها حين سألتني إن كنت بخير أم لا. كنت أحاول مسح فمي الملطخ حين أجبتها: " لقد تقيأت... أنت السبب! لماذا قمت بذلك الاستعراض أمام فراس؟ أنت تعرفين جيدا شعور المحب وكيف يرغب في أن يظهر بأهى حلته دائما أمام من يحبه، متى ستتوقفين عن التصرف بغطرسة؟" شعوري بالخجل والخزي من هجوم لورا علي أمام فراس وما سبقه من أحاسيس مضطربة كان لها الأثر في التسبب بتلبك معوي في بطني مما حثني على التقيؤ.

اقتربت مني لورا وجلست إلى جانبي ومدت إلي بمنديل نظيف لأنظف وجهي به قائلة: " اهدئي.. حقك علي، أنا آسفة فعلت ذلك من أجلك صدقا.. امسحي وجهك وتعالي أوصلك إلى الكلية لئلا تفوتك محاضرتك."

أعطتني لورا حلوى بطعم النعناع لأغير رائحة فمي الممزوج بالقيء، وأتممت مسح بقعة من القيء عن قميصي بمناديل معطرة أمتدتني بها لورا، ثم سألتني بينما كانت تقود بهدوء عم إذا أصبحت بخير أم لا، ثم تلاها قولها: " راما... بعيدا عن الهزل.. سأكلمك الآن بجدية فلا تشعري بالضيق مني."

أعرف أنها ستقول أشياء لن تعجبني ومع ذلك لم أقاطعها، وحينما استشعرت صمتي سمحت لنفسها بالحديث قائلة: " فراس وسيم، لكن إيان أكثر وسامة... فراس غني، لكن إيان أشد فحشا في الثراء.. فراس ينتمي لعائلة مرموقة، وكذلك إيان.."

قاطعتها قبل استمرارها بهذه المقارنة السخيفة: " لم أحب فراس لأجل جماله وماله، ولا لأجل مكانة أهله الاجتماعية!"

- " دعيني أنهي كلامي حتى تفهمي المغزى."

زفرت بانزعاج وسلطت عيني على الطريق، فتابعت: " إيان مستعد للاستقرار يا راما، إنه رجل صاحب مبادئ ومستقيم في مهنته ونظيف السريرة، أما فراس ليس لديه حس للمسؤولية، لم ينضج بعد! والده يشكو لوالدي كثيرا عنه، إنه يتعب والديه بشكل لا يصدق، عنيد وأناني. سأقول لك شيئا سمعته قبل يومين من حديث أبي والعم عدنان، إنه يرغب في تزويجه وهو يبحث الآن عن عروس لابنه وسيرغمه على الارتباط سواء شاء أم أبى."

لم أتمالك شعوري بالغيظ من كلامها، هي تعرف بشيء عظيم كهذا ولم تقل لي؟ ثم لماذا لم يخطر في بالها أن تحدث عائلته عني ما داموا جيرانا وبينهم علاقات وثيقة؟ فهاجمتها بسؤالي معاتبة: " لماذا لا تتدلينهم علي؟ أنا حقا لا أفهم تفكيرك!"

أجابتني بنبرة محرجة تخللها شيء من الأسف: " آسفة يا راما .... والده... السيد عدنان رجل مغرور بوضعه وماله، لن يرضى لابنه الارتباط بفتاة ليست من مستواه الاجتماعي... أنا حقا آسفة لكنه يبحث له عن عروس من العائلات الراقية."

شعرت بالإحباط أكثر، ونظرة الأشخاص المشابهين لنظرة والد فراس للعوام من الناس تشعرني بالاشمئزاز من كل شيء، شعرت بقلبي يتصدع ألما ودعوت من كل قلبي ألا يوفق في مسعاه ولا يجد له بنت الأصول التي يحلم بها.

تابعت لورا قولها لي كأنها تحاول جاهدة إخراجي من كهف أمنياتي لترشدني نحو النور الذي لم أرد لعينيّ أن تصدما به: " أنا خائفة عليك، لا أريدك أن تهدري شبابك في انتظار حلم بعيد المنال وتضيعي من يديك فرصا أفضل، أخشى أن يأتي اليوم الذي تقع فيه الطامة على رأسك ثم تبدئين بلوم نفسك والتحسر على حياتك وشبابك."

ترجلنا من السيارة وسرت مع لورا في شارع الكلية لألحق بمحاضرتي، شعوري بالخيبة وانقطاع الأمل الذي أحمله حاليا جعلني أفكر بمشاعر سيلينا أكثر، فإذا علمت بنية إيان نحوي فربما تتدمر بالكامل، لذا قلت موجهة حديثي للورا: " اسمعي يا لورا، لا أريد لسيلينا أن تعلم شيئا عن الموضوع."

أجابتني بلا مبالاة: " في النهاية ستعرف."

- " فقط.. لنبقي الأمر بيننا مبدئيا... لا أريدها أن تعلم أن إيان تقدم لطلب يدي، يكفيها ما عانت.."

" إيان يريدك زوجة له؟"

توقفت عن المسير وتوقف قلبي تزامنا حينما سمعت صوتها، لا لقد سمعتني! التفت إلى الوراء فإذا بها تسير خلفنا، أضافت والدموع تكاد تنفجر من محجريها: " إيان أحبك؟" هبطت سيلينا أرضا مقرفصة واحتضنت وجهها بكفيها وبكت بحسرة وهي تولول مع نفسها: " لماذا يحصل معي أنا هذا؟ لماذا؟ لماذا؟"

لطمت فمي وحدثت لورا بخفوت معاتبة: " أرأيت قلت لك لا أيدها أن تعلم بشيء!"

أجابتني بالنبرة ذاتها: " لا تلوميني! لم أقل شيئا فقد سمعت منك أنت!"

هتفت لسيلينا لكي تنهض عن الأرض قبل أن نغدو فرجة، فقد شعرت بالاكتفاء من الاستعراضات التي نلتها اليوم، لكنها صرخت بي آمرة لي أن أبتعد عنها.

وأخيرا ضاقت لورا ذرعا بتصرفاتها، فانقضت نحوها وتشبثت بذراعيها مجبرة لها أن تنهض، وبحكم أن سيلينا نحيلة وضئيلة الحجم نجحت لورا في إجبارها على الوقوف ثم صرخت بها: " توقفي عن التصرف كطفلة ابنة سنتين! لم تحن نهاية العالم إن رفض

شاب مشاعرك! عليك أن تقدسي ذاتك أكثر وتحترميها، أنت ناضجة وأوعى من الانهيار بسبب حب مراهقة!"

توردت خدود سيلينا بلون وردي لطيف ينطبع على وجهها عادة إثر بكائها فيضفي عليها رونقا جميلا وأجابتها باكية: " بالطبع ستقولين ذلك، فأنت لورا!"

لم نفهم مغزاها من كلامها هذا، فتساءلت لورا بقولها: " ماذا يعني هذا؟ وأنت سيلينا! فتاة جامعية جميلة، لا ينقصك شيء."

أجابت سيلينا بنبرة متهكمة: " أرجوك! من أنا لأقف أمامك أو أمام راما؟ ألا ترين مؤهلاتكما؟ بالنسبة لكما أنا نكرة!"

- " أنت لست نكرة!"
- " بلى! لا أمتلك جمالكما ولا ثقتكما، ولا حتى إعجاب الناس مثلما يشعر الجميع تجاهكما!"

بت أشعر بأن سيلينا تتحدث بسخافة الآن، منذ متى وهي تشعر بالنقص تجاه نفسها هكذا؟ ألأنها نشأت يتيمة؟ أم لأنها تعاني الآن من تجربتها الفاشلة في الحب؟ صدمتني بنظرتها الدونية تجاه نفسها فأنا لم أتخيلها ضعيفة شخصية هكذا. أعلم أن شخصيتها أصلا ليست قوية، لكن لم أشك يوما بتفكيرها المنحط تجاه نفسها بهذا الشكل، فهاجمتها بقولي: " أولا أنت جميلة، فالجمال متنوع فهو ليس بلون العيون أو البشرة، لأن الجمال هو جمال الروح، والثقة التي يجب أن يشعر بها الشخص تجاه نفسه مستمدة من روحه، لا من المظهر الخارجي يا سيلينا."

أضافت لورا بقولها: " ثقة الإنسان بنفسه هي ما تجعله جميلا بنظر الآخرين، ومن ينظر إلى نفسه بنقص لن ينال إلا الاحتقار من المجتمع، فالناس تنظر إليك بعينك أنت تجاه نفسك."

أضفت بقولي: " أحبي نفسك بالرغم من نظرة الآخرين لك، المهم أن تكوني أنت راضية عن ذاتك."

ربتت لورا على كتفيها بينما تنظر المسكينة نحو الأرض محرجة من إفصاحها بشعورها السيء أمامنا وقالت لها: " أصلا لو كنت نكرة ما كنت صادقتك من الأساس! ولجعلت راما تنبذك رغما عنها، ولو كنت نكرة ما كانت راما لترفض عريس الأحلام خوفا على مشاعرك، لذا لا تسمحي لنفسك أن تطلق عليك حكما بالذل الأبدي لأجل شاب! ولا تسمحي لأي شاب في الدنيا بتفريقك عن صديقة طفولتك، فما بينكما أكبر من هذا."

أثر كلامنا فيها أخيرا فشرعت بمسح دموعها ووجهها متورد خجلا من تصرفها الطفولي وقالت متأتئة: " أنا آسفة... لم أضبط عواطفي... كان الأمر... رغما عني.. لم .. أقصد أن .. أجرح راما.. لكن.."

خطرت لي فكرة تعيد الوصال بيننا فقاطعتها وسط تيهها وهي لا تجد ما تقول بقولي: " عندي فكرة!"

نظرت كلاهما نحوي، فظهرت ابتسامتي المشرقة ورفعت قامتي ووضعت يدي على وسطي بثقة قائلة: " لنذهب ثلاثتنا في نزهة!"

تساءلت كلاهما بصوت واحد: " نزهة؟"

أتممت كلامي مبتسمة أكثر: " فقط نحن! بعيدا عن كل المشاكل، بعيدا عن الدراسة وحياة العشاق المزرية، بعيدا عن الكل، وقت خاص لنا، نحتفل فيه بصداقتنا التي لن تتفكك مهما بلغت حجم همومنا."

الفصل السادس

تسللت إلى البيت عقب وصولي من دوامي، تأكدت من خلو غرفة المعيشة من وجود أمي فيها، ربما كانت في غرفتها تكوي الملابس، فحدثت نفسي بضرورة الولوج بهدوء لئلا أثير انتباهها إلي وتحاصرني وسط استجواباتها.

سرت على رؤوس أصابعي بخفة وكأنني أسير على أرض مفروشة بالبيض، وحينما وصلت باب غرفتي فاجأتني سارة بإلقائها التحية علي فأجفلتني، ثم ابتسمت بمكر وعيناها تحيكان شرا وقالت: " يبدو أنك نسيت طرح السلام على أحدهم.. أوه صحيح! إنها أمي!"

حدثتها عيناي بكمية السخط التي ستنالها إن تجرأت وتفوهت بحرف واحد، ومع ذلك كانت جريئة كفاية لتصرخ بصوتها المدوي المزعج ليلاطم الجدران وهو يتبعثر في أرجاء الشقة حتى أسرع في اقتحام غرفة والدتي وهي تصيح بقولها: " أمي! راما عادت من الجامعة"

تلك الصعلوكة! في كل مرة تغيظني أشعر برغبة عارمة في لكمها حتى تبكي الليل بأكمله، لكن لم يكن بمقدوري صنع شيء، لماذا؟ أولا لأن أمي ستغضب علي وتعاقبني أشد أنواع العقاب، وثانيا لأنني لم أمتلك الوقت الكافي لذلك، فما إن نجح الأثير في إيصال صوت سارة إلى أمي وإذ بها تستدعيني لأتجه إلى غرفتها لتجري معي حديثا مهما. ولم يكن بمقدوري صنع شيء عدا الانصياع لأمرها.

كانت كما توقعت منها تقوم بكي الملابس وتوضيبها، وحينما استشعرت طيف خيالي يلوح عند الباب قالت دون مقدمات: " يبدو أن العشاء لم يسر على ما يرام، هل أفهم من ذلك أن ذاك الأجنبي حاول الإساءة إليك؟"

كم سيكون من السهل جدا وضع كامل اللوم على إيان لعلي أنجح باقتلاع شوكة خوفي من ردها، فأمي كأي أم شرقية تحلم بزواج ابنتها البكر ويبقى هم هذه البنت ثقيلا على الصدر حتى يأتي اليوم الذي تغيظ فيه المجتمع الظالم الذي لم يخرج من سبات تفكيره المتخلف بأن الزواج أمر حتمي وأكبر إنجاز تستطيع المرأة صنعه.

بالنسبة لي حلم الزواج هذا لن يكون ذا أهمية بالنسبة لي إن لم أرتبط بشاب أحلامي ومن انقاد له القلب كالسجين المكبل الذي انتقل إلى سجنه الأبدي.

لكنني لا أستطيع اتهام إيان بشيء لم يصنعه فلم يلقني إلا برقي أخلاقه، لذا اخترت مقولة أن الصدق أنجى فأجبتها: " لا لا أبدًا!"

احتارت أمي أكثر فتساءلت عن سبب تجنبي لها وهربي منها، فأخرجت من صدري ذاك النفس الذي أثقلني طيلة اليوم وقررت أن أبوح لها بنية إيان تجاهي حتى لا تنطبع في ذهنها صورة خاطئة عن ابنتها فقلت: " حسنا سأكون صادقة معك لكن لا تغضبي... لقد دعاني إلى العشاء ليتقدم بطلب يدي للزواج.. لكنني رفضت"

انتزعت الابتسامة التي ما كادت تنطبع على شفتيها عقب اعترافي بآخر كلمة لتستبدل بها الوجه العابس اللائم فصرخت بي وقد نسيت لوهلة أن المكواة ما زالت بحرارتها تلتهم أحد قمصان أبي: " رفضت؟! هل جننت؟ أرجوك لا تقولي لي أنك رفضت عرض شاب مثله لأجل حلم تافه بالارتباط من جار لورا! سأفقد عقلي منك يوما، آه موتي سيكون على يديك أقسم على ذلك!"

شعرت بالامتعاض من كلامها الجارح هذا لكنني حافظت على نبرتي في الحديث لأنني أعلم إن بادلتها الصراخ فلن تسمع مني وسينتهي بنا المطاف متخاصمتين كالعادة، فقلت بنبرة مستاءة حزينة: " ليس لهذا السبب يا أمي رفضته... بل لشيء آخر.... ربما ... ربما سيبدو لك السبب سخيفا لكنه في قلبي القرار الصائب "

صمتت على غير عادتها وكأنها تنتظر مني تبريرا لعبارتي المبهمة، قلت لنفسي وقتها الكل لامني لن يزيد شعوري بالبؤس لوم جديد، فقلت بحذر مطبوع في لهجتي الملفوفة بغطاء حزني على دموع سيلينا اليوم: " صديقتي.. سـ.. سيلينا، أنت تعرفينها.. هي معجبة جدا بذاك الأجنبي، لم أقو على تحطيم قلبها وتبديد أحلامها، لقد أفصح لي عن ضيقه من مشاعرها تجاهه وهي علمت بذلك، تخيلي شعورها.. فكيف إذا قبلت بعرضه؟ الضرر أكبر من النفع هنا يا أمي"

رويدا رويدا شعرت بملامح أمي تتوه بعيدا وهي تنظر إلي بعينيها لكنها لا تراني في ذات الوقت فقد بدت لي شاردة تماما، استدارت ونزعت سلك المكواة عن المقبس، ثم قامت بحمل الملابس المطوية جانبا وأعطتني ظهرها وهي توجه لي كلامها: " اذهبي وغيري ملابسك واستحمي ريثما أجهز للعشاء، لا بد أنك مرهقة."

ردها غيم على رأسي كأجواء ضبابية لتتوه وسطها وأنت لا تدري أي طريق تسلك، فسألتها من باب التأكد مما سمعت: " ألن توبخيني؟ ألن تغضبي؟"

أجابت دون تبرير مقنع: " ما الفرق؟ أنت تصرفت وأنت ستتحملين نتائج تصرفك، توبيخك لن يقدم ولن يؤخر، ثم أن قطار الزواج لم يفتك، ما زلت صغيرة كما أنك جميلة ومتعلمة ستأتيك فرص أخرى... المهم الآن.. احرصي على بقاء موضوع العشاء سرا عن والدك."

بالطبع هذه ليست النتيجة التي توقعتها لكنني اخترت أن أبتعد من أمامها بسرعة قبل أن تقوم بتغيير رأيها.

حدثت لورا بعد العشاء عن موافقة أمي للذهاب في رحلة غدا معها ومع سيلينا والتعجب لا يفارقني من موافقتها دون جدال يذكر، وحتى أنها لم تأمرني باصطحاب سارة معي أيضا. وحدثتها عن موقفها تجاه قصتي مع إيان. وفي النهاية أنهيت المكالمة بعدما طلبت مني لورا ألا أحسد حالها فتنقلب فجأة بكثرة حديثي عن الأمر.

وقفت في اليوم التالي في نهاية الشارع على طرف الرصيف بانتظار مجيء لورا بسيارتها حيث طلبت مني انتظارها هناك، وأنا أعد الدقائق في ترقب قدومها. تأخرت كثيرا ورجلاي تشنجتا من كثرة الوقوف وأنا أتكهن الثواني على أمل أن ألمحها حتى تنامى السخط في سريرتي وأنا أحدث نفسي بغبائي للنزول مبكرة بدل الوقوف أمام مرآتي فترة أطول.

وأخيرا حضرت بعد طول انتظار بسيارتها المكشوفة الفارهة وهي ترتدي نظاراتها الشمسية الباهظة لتخفي خلفها وجهها المتغطرس ونظرات عينيها الساخرة، أما سيلينا فكانت تجلس في المقعد الخلفي تنظر نحوي بابتسامة بريئة وقد رفعت شعرها البني الحريري في ذنبتي فرس على جانبي رأسها لتضفي على مظهرها أنوثة مخلوطة بمرح طفولي.

كنت مغتاظة جدا من لورا فسألتها بنبرة مهاجمة: " لماذا تأخرتما؟"

فأجابتني على الفور وكأنها قد حضرت الإجابة مسبقا: " آسفة.. أزمة سير"

وهنا جاء رد سيلينا سريعا: " لا تستمعي إليها... تأخرت في تجهيز نفسها"

تنامى شعوري بالغضب أكثر منها، إنها غير معقولة، تحرك كل من حولها كالدمى وتتصرف هي كما تشاء، فحدجتها معاتبة، لكنها كعادتها لم تهتز لها شعرة وأمرتني بالصعود إلى جانبها في السيارة. ففعلت وقد غاب عن ذهني لحظتها أن أسأل عن سبب جلوس سيلينا في المقعد الخلفي عوضا عن المقعد الأمامي لأجد الجواب يلوح أمام ناظري حين مدت لورا لي ورقة مطوية آمرة بلهجتها الملوكية ذاتها بأن أستلمها من يدها. فتساءلت عن محتواها، فقالت: " هذه خريطة لترشديني إلى الطريق"

هل تختبر لورا صبري أم ذكائي؟ فسألتها عن جهاز تحديد المواقع في سيارتها لتجيبني بأنه معطل، وأن سمير لم يجد الوقت الكافي لأخذ السيارة لإصلاح العطب فيه، ثم تساءلت مجددا: " طيب ولم علي أنا أن أقوم بقراءة الخريطة؟"

أجابتني من فورها بلهجة متهكمة: " آءءء أنا أقود!"

أضافت سيلينا بمكر: " لهذا جلست في الخلف"

شعرت بالغيظ يتآكلني ومع ذلك قررت ابتلاع الغصة لئلا يفسد اليوم الذي من صباحه لا يبشر بخير. ثم بدأت لورا مشوار رحلتنا، وأخذت أنظر في الخريطة بينما أشعر بالضياع، ثم قلت لها: " حسنا انعطفي الآن يمينا"

فغرت لورا فمها بدهشة وأجابتني: " يمينا؟ ليس هناك أي مسرب أمامي نحو اليمين!"

-" هذا مذكور هنا.. انظري"

لوت لورا فمها بعد أن ألقت نظرة سريعة وهتفت لي باقتضاب: " راما!"

- " نعم؟"
- " اقلبي الخريطة يا غبية!"

فهمت لحظتها أنني حملت الخريطة مقلوبة، فعدلتها وأنا أحدث نفسي بأنها الآن باتت منطقية، لكنها وبختني على غبائي غير المبرر ونبهتني إلى التركيز أكثر لئلا أتسبب بضياعنا.

قادت لورا بنا السيارة حسب إرشادات الطريق التي كنت أوجّهها لسلكها بالرجوع إلى الخريطة، حتى تساءلت سيلينا في منتصف الطريق: " صحيح! لم تخبراني أين سنذهب؟"

تولت لورا الإجابة قائلة: " سوف آخذكما إلى مكان يسمى (dream island) وهي من أجمل مدن الألعاب هنا. وهي فرع من فروع الشركة الأصلية المتواجدة في نيويورك.

اصطحبني سمير إليها قبل فترة، ولم أكن أحلم بوجود مكان رائع هكذا. لكن المشكلة أنني لم أحفظ الطريق لذا أبقيت الخريطة في السيارة لحين الحاجة وكما تريان احتجنا إليها بالفعل."

أسرعت لورا بالقيادة وهي متحمسة لنقضي برفقتها رحلة العمر.

بعد مرور ما يقارب الساعة بدأنا نشعر بأن الطريق يمسي موحشا، وأكدت لي لورا شكوكي بسؤالها عن تأكدي من الاتجاهات على الخريطة، وكنت ملتزمة بالاتجاهات بحذافيرها، مما أثار في نفس لورا ريبة أكبر.

أكملت الطريق قليلا لكنها توقفت وسط منطقة نائية لا بشر فيها، وشارعها محاط بالأشجار المتشابكة من كل مكان. ولم يكن منظر الأشجار مرحبا، بل شعرت أن أغصانها المتشابكة تخفي فيها أرواحا شريرة تسكنها وتمنعنا من الغوص في المكان أكثر.

نظرت لورا حولها وهي تتساءل بخفوت بنبرة مرتابة: " حسنا، أنا حقا لا أعرف هذه الطريق."

مدت سيلينا رأسها من خلفنا وهي تشير بإصبعها قائلة: " ثمة بيت هناك على اليمين، ما رأيكما لو نسألهم عن الاتجاه؟"

نظرت إلى الموضع الذي تشير إليه سيلينا لألمح بيتا متهالكا وكأنه مهجور، فتساءلت بوجل: " لكن من يبني بيتا في مكان مخيف كهذا؟"

أجابت لورا بنبرة غير مبالية: " الله أعلم... انزلي واسأليهم عن الطريق"

التفتّ نحوها بسرعة كبيرة سببت لي ألما طفيفا في رأسي ولوهلة بدت الصورة أمامي سوداء لكنني لم أكترث لأن في بالي تساؤل أكبر، فصرخت بها: " لماذا أنا؟"

- "لأن الخريطة بحوزتك! تحركي ولا تؤخرينا أكثر بمشاهد الدراما التي لا تتوقفين عن إثارتها."

لماذا توجب علي القيام بكل شيء؟ لمَ أنا دائما؟ أكان علي اقتراح موضوع الرحلة السخيفة هذه؟ دارت هذه الأسئلة في مخيلتي بينما كنت أترجل بغضب متأجج من السيارة متجهة نحو ذاك البيت المهجور، حتى أنني تعمدت إغلاق باب السيارة بقوة لعلي أثير سخط لورا فشعرت بنشوة انتصار حينما شتمتني بغل مؤكدة لي أنني استطعت إغاظتها.

وصلت حيث المدخل، كان علي أن أصعد سلمين خشبيين متهالكين لأصل حيث هو الباب، التفتّ عن يميني وعن يساري وأنا أشعر بالقشعريرة تسري في عروقي. وقبل أن أتمكن من طرق الباب لمحت نافذة أمامية للبيت في الشرفة الصغيرة في الطابق الأرضي. كانت مغطاة بستارة تخفي ما في الداخل إلا من شق صغير. اقتربت أكثر لأنظر من خلال الشق لربما أخذت فكرة عن المكان قبل أن أتفجأ بوجود مجرمين في الداخل، أو ربما وحوش! ألقيت نظرة بعيني فرأيت شيئا عجيبا؛ مجموعة من الأشخاص كانوا جالسين على أريكة كبيرة، والوشوم تنتشر على أذرعتهم المكشوفة، واحد منهم كان يضع لفافة التبغ في فمه وأخرى كانت مستسلمة لشاب يقوم بحقنها بإبرة في موضع من ذراعها.

بدأت أسئلة سريعة تتوافد في رأسي متسائلة عمّ يجري في الداخل حتى جاءني الإلهام أخيرا لأفهم أن هؤلاء الأشخاص يتعاطون المخدرات!

شهقت بصوت مسموع فالتفت ذاك الشاب الذي كان يحقن يد الفتاة باتجاه النافذة، فرآني. قفز قلبي من بين ضلوعي إلى سقف حلقي من شدة الرعب، فتراجعت خطوة عن النافذة قبل أن يوصل دماغي إشعارات لرجليّ بأن تركضا أخيرا لأجد طوق النجاة قبل أن يهجم علي هذا الشاب.

قفزت عن السّلّمين الخشبيين بسرعة، وجريت وكأنما نمت لي عشر سيقان مسرعة نحو السيارة، وأنا أصيح: " لووووورا! لورا لورا لورا!"

وصلت حيث السيارة ومن شدة ذعري لم يخطر لي أن أفتح الباب بل قفزت من فوقه كالهمجية وأنا أحاول الصعود بينما لورا استهجنت تصرفي البدائي كونها فتاة تهتم بأصول الإتيكيت، فصرخت بي متسائلة عم أفعل، لأجيبها وسط دموعي وأنا أشير بيدي نحو البيت صارخة: " مدمنون! مدمنون! لنهرب من هنا!"

- " ماذا؟ لم أفهم!"

أعدت صراخي عليها بنبرة أعلى: " مدمنوا مخدراااات!"

صرخت كلتاهما رعبا غير مصدقتين لما سمعتا، في ذات الوقت خرج هو ذاته من البيت، كان شابا بجثة ضخمة، يضع حلقا بأذنه اليسرى، ومنظره كان يدب الرعب في الرائي إليه. فصرخت بلورا مشيرة نحوه بأن هذا أحدهم، وبكت سيلينا بدموع من شدة الرعب، أما لورا فحاولت تشغيل السيارة بيدها المرتجفة.

ركض الشاب نحونا، فتشبثت بذراع لورا لأرجوها لتتحرك، وسيلينا كانت بين قاب قوسين أو أدنى من أن تفقد وعيها، في النهاية تمكنت لورا من تشغيل السيارة وقادتها

بسرعة أخافت الشاب من أن يتم دهسه بسببها، فابتعد عن الطريق بسرعة وهو يصرخ بنا لنتوقف.

كانت سرعة لورا كبيرة جدا لدرجة جعلتها تفقد السيطرة، صرخت بها لتخفف السرعة لكنها قابلتني بصراخها هي الأخرى مبينة عجزها عن التحكم بالسيارة، بينما سيلينا فقدت كل حس لديها عدا الصراخ والنواح.

كان أمامنا منعطف ولم يكن في مقدور لورا تحريك السيارة أو إيقافها، ولن أنسى ما حييت تلك اللحظة التالية لرؤيتنا للحافة؛ قفزت السيارة عنها فتراءى لي في تلك اللحظة شريط حياتي وكان آخر ما لمحته وجه فراس بينما يودعه قلبي وأنا متأكدة بأننا سنغدو جثثا متهالكة لا محالة، وصرخت سيلينا لحظتها" سنموت!" . هبطت السيارة نزولا عن الجرف الوعر وهي تتخبط تحتنا، وكنا نتمسك بكراسينا بأمل مفقود وفي مخيلتنا فكرة واحدة كانت تجول في الأفق حولنا؛ الموت!

لمحنا مستنقعا من الماء أمامنا، لتصرخ سيلينا مجددا: "سنموت غرقا!"

في لحظة مقدرة غير متوقعة توقفت السيارة فجأة دون سابق إنذار أمام حافة المستنقع. كنا مطأطئات برؤوسنا مغمضات أعيننا مستسلمات لمصيرنا المجهول، حيث لم يتسنى لنا توديع أحبتنا. ثم جاءنا صوت لورا ليوقظنا من غفلتنا قائلة: " نجونا! لا أصدق! نجونا!"

فتحت عينيّ وعلى مهل رفعت جذعي المائل وأنا متمسكة بظهر المقعد. كان جسدي ما يزال مرتجفا لحظتها، وسيلينا المسكينة بكت من شدة فرحتها المخلوطة بذعرها. ثم ختمت لورا مشهد فرحتها بالنجاة لتفتح فمها الكبير بقولها: " كل هذا حصل بسبب راما!"

استدرت نحوها مستبدلة بخوفي بداية غضب لعلمي أنني سأدخل معها في نقاش عقيم فهاجمتها بقولي: " كيف أصبح الموضوع غلطتي؟"

أشارت بإصبعها نحوي بلؤم مجيبة لي: " لأنك أنت التي قرأت الخريطة!"

- " أنت تعلمين جيدا أنني لا أجيد قراءة الخرائط ! "
- " كان بإمكانك أن ترفضي!"
- " أنت لا تسمحين لأحد بأن يقول لك لا"
- " آه! أرجوك لم يضع أحد الفأس فوق رأسك!"

كان لي رغبة عارمة بلكمها في أنفها بشدة، إنها فعلا بغيضة، فهدرت بها مجددا: " كواقع أنك أجبرتيني على استطلاع الوضع عند بيت المدمنين!"

فأجابتني بخبث واضح في نبرتها: " لم أجبرك! لو رفضتي كنت سأبعث سيلينا!"

- " ولما لا تذهبين أنت؟"

كان صوت سيلينا يتردد بيننا في أثناء شجارنا لكننا لم نعرها انتباها وكل منا تحاول التفوق على الأخرى بإجابتها المغلظة، حتى رفعت نبرة صوتها لتجذب انتباهنا إليها: " بنات!"

التفتت لورا نحوها غاضبة وسألتها عما تريده، فكانت تحمل في يدها الخريطة. قالت وهي تشير نحوها: " هذه الخريطة لمدينة ألعاب في نيويورك"

نظرنا نحو سيلينا بذهول لوهلة من الزمن، وقد عقدت المفاجأة لسانينا، حتى قطعت لورا الصمت بعتابها الموجه إلي قائلة: " عظيم! لا تنفك راما توقعنا في المشاكل!"

- " أنا لا ذنب لي! أنت التي أحضرت الخريطة الخطأ!"
- " أما كان بوسعك أن تنتبهي إلى أنها غير صحيحة!"
- " أنت غير معقولة! تخطئين وتلومين غيرك!"
- " الجرم الوحيد الذي اقترفته أنني اعتمدت على غبية مثلك!"
- " يا لك من بغيضة!"

أتعجب من كوني صديقة معها إلى هذا اليوم، فنحن كثيرا ما نتشاجر ، ومع ذلك فإن لورا تنسى غضبها علي بسرعة؛ فهي تحبني حبا عجيبا لا أجد له مبررا، بالرغم من محبتي لسيلينا أكثر منها. ومع ذلك لا يمكن لي أن أستغني عنها حتى ببغضها وتصرفاتها المقيتة فهي من تصنع شخصية لورا المتغطرسة هذه، وبالرغم من نفور البعض منها إلا من أصحاب الطبقة الراقية مثلها إلا أنني أحبها كما هي، ربما بسبب وجود بقعة نقاء في قلبها رغم تصرفاتها المنفرة.

حاولت لورا إعادة تشغيل السيارة لكنها لم تشتغل، فضربت المقود بكف يدها بغضب واضح، فهاجمتها بقولي: " والآن ستقولين أنها غلطتي."

أجابتني رافعة حاجبيها لأمر بديهي: " أنت قلتها"

أظهرت استيائي من إجابتها، يا لها من متسلطة! ترجلت من السيارة فأثارت تساؤلنا إلى سبب نزولها. كانت ترفع هاتفها عاليا لعلها تحصل على إشارة لكن محاولتها ضاعت عبثا.

ثم سارت مبتعدة قليلا عن السيارة قائلة لنا: " سأذهب بحثا عن المساعدة، من سيرانا إذا بقينا هنا؟"

نظرت نحو المنحدر الذي يبعد مسافة عنا من حيث هوت بنا السيارة فراودني تساؤل مهم، كيف لها أن تسير عليه بحذائها هذا علما أنها ترتدي حذاء ذا كعب عال؟ وجهت إليها قلقي بسؤال، فأكدت لي أنها ستكون بخير وأنها ستمضي بطريق مخالف لبيت المدمنين حتى لا تلتقي بهم لا قدر الله.

سارت بشعرها الأشعث عقب ما حصل معنا مبتعدة عنا، واختفت من أمامنا ونحن نراقبها بينما تصعد المنحدر الوعر وحدها، بعدما أكدت علينا ألا نتحرك من موقعنا أبدا.

وقتها خطر في بالي تساؤل لو عرضته على لورا لكانت التهمتني وأنا على قيد الحياة، إذا كان جهاز تحديد المواقع معطلا في سيارتها فلماذا لم نستعمل خرائط هواتفنا المحمولة؟ أظن أن لعبة الغباء لا تكون عادلة أحيانا!

بعد مرور وقت ليس بالهين تمتمت سيلينا بخفوت معربة عن قلقها من تأخر لورا، كنا خارج السيارة، أنا متكئة على الباب الأمامي بينما هي متقدمة عني ظهرها لي وهي تنظر نحو الجرف منتظرة أن تعود لورا. طأطأت برأسي إلى الأسفل بأسف واعتذرت إليها مشيرة إلى أنني السبب في كل ما حصل، موضحة بقولي: " لو أنني لم أقبل بدعوة إيان على العشاء ما كان ليحصل أي من هذا، ولكنا الآن نمارس حياتنا بشكل طبيعي"

التفتت نحوي برأسها وهتفت لي بقولها: " تكرارك للموضوع لن يغير شيئا، ثم أنني تخطيت ما حصل بشأن إيان فانسي الأمر رجاء."

أعلم أنها تراوغ وأنها لم تتخط أي شيء، ثمة سخط في قلبها لا يبديه لسانها، كما أنها لم تبح بكل شيء يختلجها، لو أنها تخرج ذلك الثقل من صدرها لنتصافى ونستمر بعلاقتنا فسيكون أفضل للجميع، لا أريدها أن تبني حاجزا بيننا فلا أستطيع تخيل حياتي دون سيلينا.

لورا

تعبت من وقوفي بانتظار أي سيارة لتمر من هذا الطريق، ألهذه الدرجة هذه المنطقة معزولة؟ كنت قدابتعدت مسافة عن مكان الفتاتين، ولم أحصل على إشارة لهاتفي بعد. غريب تواجد مكان كهذا لا تغطيه الشبكة، كنت أجري حوارات متضاربة مع ذاتي أحدها يقول بأنه ربما كان من الأجدر بي أن أعود أدراجي، والثاني يهتف بلا سأسير قليلا إلى الأمام، لربما وجدت بصيص أمل.

راما

تعبنا من الوقوف فجلسنا على صخرة كبيرة متكئتين على ظهر بعضينا، محافظات على صمت الأجواء بيننا، فلم أجرؤ أبدا على التحدث بأي كلمة لئلا أثير سخطها علي أكثر.

استسلمت سيلينا في النهاية بينما تحتضن بطنها قائلة: " أنا جائعة...."

التفتّ قليلا ناحيتها واقترحت قائلة: " إذن فلنأكل."

لكنها كانت مترددة بعض الشيء وهي تتساءل عن لورا، فطمأنتها بوعدي بأن نحتفظ لها بحصتها من الطعام.

عدنا إلى السيارة وجلسنا في المقعدين الأمامين بينما نضع سلة الطعام التي عبأناها بالشطائر اللذيذة وأنواع من البسكويت والمقرمشات، وشرعنا بالأكل باستمتاع، متناسيات للحظة المصائب التي حلت علينا في محاولة منا لخلق جو جديد ملؤه التفاؤل، ففي النهاية نحن خرجنا بهذه الرحلة بهدف الاستمتاع وليس لزيادة الأجواء المشحونة.

لورا

تعبت من السير وحذائي هذا لم يساعدني في السير كل هذه المسافة، فشعرت بقدميّ تتورمان، كما أن بطني بدأت توجعني من الجوع. لذا قررت أن أعود أدراجي. لكن ما إن التفتّ للعودة حتى فوجئت بالضيفين الواقفين خلفي، وكأنهما كانا بانتظار أن أنظر ناحيتهما ليخرج نباحهما وكأنهما يرحبان بوجبتهما التي تقف أمامهما على طبق من ذهب.

نعم كان ثمة كلبان يقفان خلفي، ومن مظهرهما عرفت فورا أنهما كلبان ضالان. كانا يزمجران بخفوت وكأنهما بانتظار خطوتي التالية. وبالنسبة لفتاة مدللة مثلي تعيش في قصور بحصون محمية من الوحوش المتشردة فإن خطوتي التالية بالتأكيد ستكون الهروب من هنا، دون أدنى تفكير بخطوة أخرى.

فجريت بسرعة وأنا أصرخ بملء صوتي أطلب المساعدة من أي كان، ليستغل الكلبان الفرصة ويركضا خلفي وكأنهما مستمتعان بالرعب الذي استطاعا دبه في قلبي.

راما

أكلنا وشبعنا، ثم قمنا بالسطو على المشروبات التي أحضرتها لورا لنا لنجد أنها أحضرت لنا مشروبات غازية بطعم التوت. فرحنا بالغنيمة وباشرنا بالشرب بينما أقلب في قائمة الأغاني في جهازي لنرسو على أغنية لإنريكي، وهو مغن مشهور أحب سماع صوته. وبالأخص أغانيه القديمة.

ووسط استمتاعنا بأجواء الموسيقى وبينما كنا نردد كلمات الأغنية إذ بنا نسمع زمجرة ما.

استغربت من الصوت فالتفتّ نحو سيلينا متعجبة لأراها تحمل التساؤل ذاته في تعابيرها، فاستدرنا برؤوسنا خلفنا لنفاجأ بكلب يقف على بعد سنتيمترات عن السيارة.

في تلك اللحظة فهمت حرفيا معنى عبارة – جفت الدماء في عروقي- لأنني متأكدة بأن بشرتي بهت لونها لتصبح كالأموات من شدة الذعر. اقترب الكلب من المقعد الخلفي فقفزت سيلينا رعبا نحوي لتتعلق بي وتحوطني بذراعيها وهي تبكي خوفا بينما تتساءل عمّ يفعله. كان يشتم رائحة الطعام الذي خبأناه في سلة القش، فأدخل رأسه لينهش كل ما يصل إليه فكه فصرخت به: " هيه! أنت! هذه حصة لورا!"

زمجر بي غاضبا بينما يلتهم كل شيء هناك بغض النظر عن محتواه، فأجبته برعب: " كل! كل! بالصحة والعافية!"

لورا

دموعي المالحة زادت من عطشي بينما جوفي يرتشف منها، وشعري الأشعث لأول مرة في تاريخ حياتي يتمايل مع الرياح التي تدفعه إلى الخلف لتبعثره في كل ناحية، تجري رجلاي

العاريتان المدميات بالكدمات بكل سرعة بينما أحمل في يديّ حذائي غالي الثمن مكسور الكعب، والذي بات رثًّا مما أل به من مصائب اليوم. في تلك اللحظة تأكدتّ بأن هذا اليوم كان أتعس يوم يمر علي على الإطلاق.

ظننت يقينا أنني لن أنجو، وبدأت أستسلم تلقائيا عن الركض وأخذت سرعتي تخف تدريجيا لعلمي أنني لن أتمكن من مواصلة الهرب أكثر. فإلى أين سأذهب؟ لا أحد هنا لينجدني، ولا أستطيع الذود عن نفسي أمام كلبين ضالين جائعين.

حينما أدركت لا محالة ألا مجال لي للنجاة. إذ بالكلبين يتوقفان فجأة عن الركض ويغيران طريقهما مبتعدين، مما أثار ريبتي إلى السبب. أردت أن أتوقف لكن رجلاي أكملتا الركض تلقائيا حتى اصطدمت بظهر شخص أمامي شل حركتي السريعة.

نظرت أمامي حينما رن صوته في أذني هاتفا باسمي بتعجب ملحوظ. لا أتذكر تماما في أي ساعة من حياتي خفق قلبي له، لكنني لن أنسى أن هذه اللحظة بالذات، هي ما زادتني تعلقا به وعشقي له وصل إلى مرحلة جديدة، ذلك لأن نجاتي من مصيبة كبرى ربما كانت على يديه، أو ربما لأن وجهه هو الذي سطع في الأمل الذي كاد يتبخر مني.

خرج صوته الحنون وهو يتفحص مظهري والقلق باد في عينيه: " ماذا حصل؟ ماذا .. ماذا تفعلين هنا؟"

نظرت حولي عن اليمين واليسار غير مصدقة بعد أنني أراه، ثم تساءلت بصوت مبحوح: " سمير؟ ماذا تفعل أنت هنا؟"

أشار بيده إلى مجموعة من الأشخاص وبعض المعدات التي يحملونها قائلا: " أمسح المنطقة من أجل مشروع التخرج... آمم. ما الذي أوصلك إلى هذا الحال؟"

اقترب مني أكثر ومد يديه ليمسح بهما بحنو على ذراعي فبدأت أبكي باستسلام وعيناي لا تفارقان نظراته المرتعبة، وأردف قائلا: " انظري إلى نفسك حبيبتي، تبدين بحال مزرية، ماذا جرى؟ وأين صديقتاك؟"

راما

تساءلت هامسة وأنا لا أجرؤ على النظر إلى الخلف من شدة الذعر: " ماذا يفعل الآن؟"

التفتت سيلينا بحذر لتنظر في الاتجاه الذي اختار أن يبرك فيه، ثم أجابت هامسة أيضا: " إنه نائم على العشب."

فعلقت ساخرة: " طبعا! بعد أن تناول وجبة دسمة! طماع!"

لم يخبرني أحد من قبل أن الكلاب تفهم لغة البشر، فحينما سمعني أصفه بالطمع زمجر غاضبا، فأثار خوفي أكثر وبدأت أعتذر إليه كالبلهاء وحدجتني سيلينا بلؤم قائلة: " راما كفي عن استفزازه!"

ثم التفتت جانبا وأضافت بنبرة منخفضة كأنها تحدث نفسها: " ألا تستطيعين العيش دون استفزاز؟!"

لم أكن لأسمح لعبارتها هذه أن تمر مرور الكرام وقد قبضت أخيرا على رأس الخيط، فهاجمتها متسائلة: " ماذا يعني هذا؟"

ضمت ذراعيها إلى صدرها وأجابت ببرود: " لا شيء."

أثارت سخطي ببرودها الزائد فضغطت عليها أكثر بقولي: " بلى قصدت شيئا! بوحي بما يخبئه قلبك من أحقاد لربما كانت هذه آخر لحظات نعيشها!"

- " قلبي ليس مليئا بالأحقاد!"

- " كفي عن المراوغة، أنت تكرهينني ولا تريدين أن تكوني صديقتي بعد الآن! أكل هذا من أجل إيان؟ هل ستجعلينه يفرق بيننا؟ من حقي معرفة مشاعرك الساخطة نحوي!"

أخيرا التفتت إلي يكسو وجهها الغضب، تصك أسنانها غيظا وحاجباها معقودان بشدة، ثم هتفت لي: " تريدين معرفة مشاعري؟ حسنا سأبوح لك بها، أنا غاضبة... نعم غاضبة! أينما نكون الأنظار دائما موجهة إليك! لا أحد يلمحني، بالنسبة للكل أنا نكرة عندما أكون تحت جناحك، لكن الغريب في الأمر أنني لم أكن أهتم! لست من النوع الاجتماعي ولا أهوى الاختلاط بالبشر ووجودك في حياتي كان كافيا بالنسبة لي. لكن..... لكن عندما سرقت إيان مني تغير الكثير "

قاطعتها محتدة: " لم أسرقه منك.."

لكنها لم تسمح لي بمتابعة كلامي فقاطعتني بحدة لتضيف: " أنا لست معجبة به فقط! بل أعشقه، لم أخبرك شيئا عنه لئلا... لئلا تحصل الطامة ويعجب بك إذا رآك... وللأسف كان ظني السيء في مكانه، في البداية لم يكن الأمر ذنبك، أما الآن فأنت مذنبة ... مذنبة لأنك أعجبت به ولم تعترفي لي بذلك حتى!"

دعكت رقبتي بيدي وحاولت تبديد شكوكها بدفاعي عن نفسي قائلة بصوت ضعيف: " كفى سخافة! لست معجبة بإيان!"

- " لا تكذبي علي! الأمرواضح، أنت معجبة به بشدة وتتمنين لو كنت خارج الساحة لتحصلي عليه لك، هذا الشاب حلم لكل فتاة وأنت حصلت عليه بسهولة لكن الشوكة الوحيدة التي علقت بطريقك وتتمنين زوالها هي أنا اعترفي!"

مررت يديّ في خصلات شعري وقلت بانفعال وقد فجرت وترا حساسا في رأسي: " حسنا حسنا! أعجبت به ارتحت؟!"

صمتت سيلينا لوهلة وهي تتأمل ردي الصاعق، ثم أردفت موضحة: " لكن هذه هي الحقيقة الوحيدة في كل اتهاماتك، إيان شاب مهذب وراق ومن الصعب على الفتيات ألا يقعن تحت سحره، هذا شيء لا يختلف فيه اثنان، لكن... "

نظرت نحوها بعينين مغرورقتين بالدمع وقلت: " أنت صديقتي، أختي الغالية. لئن أختفي أهون وطأة من أن أتسبب بأذيتك، الحقيقة أنني شعرت بالذنب تجاهك، لكن بصراحة شعرت بالذنب أكثر تجاه فراس"

تأملت عينيها وهي تغوص في عيني وقد بدأت ملامحها تلين قليلا، ثم أدرت وجهي بعيدا عنها لأضيف: " حينما رأيته في الأمس شعرت حقا باشتياق له، مشاعري تجاهه لم أكوّنها في شهر أو شهرين، هذه خمس سنين من عمري، لم يخرج من بالي خلالها قط حتى في غيابه، بات شمسي التي لا تغيب وناري التي لا تنطفئ، أشعر بالسخط من نفسي لأنني خنته حينما سمحت لنفسي بالإعجاب بشاب غيره، أعلم انه لا ينتبه إلي وربما لم يكلف نفسه أن يلمحني ولا مرة ومع ذلك شعرت بالتقزز من نفسي لأنني سمحت لقلبي بأن يلهو بعيدا عنه.

أتعرفين ما أتمناه فعلا؟ أحلم بألا يلمحني رجل في الدنيا إلا فراس وأن يكون هو نصيبي، لا أن تخرجي من حياتي ولا أريد أن أحصل على إيان، بل أتمنى فعلا لو حصلت على ذلك العشاء مع فراس."

مدت سيلينا يدها نحوي ثم احتضنت كفيّ اللذين كانا في حجري بيدها وأخذت تمسح على ظهر كفي وعيناها ترويان الكثير واختصرت كل الكلام الذي فهمته في عينيها بقولها:

" أنا آسفة"

أجبتها بينما أمسح دموعي: " وأنا أيضا آسفة!"

ثم جاء صوت الكلب من خلفنا مرددا : " woove"

فغرنا أفواهنا ونحن نطالعه من مكانينا وتساءلت بنبرة لا يخلو منها التعجب: " هل يخيل إلي أم أنه قال (love)؟"

أومأت سيلينا رأسها مستنكرة بدورها وأجابت: " لست متأكدة مما سمعت!"

فجأة نهض الكلب وسار مقتربا بمحاذاتنا وهو ينظر نحو الجرف الذي انحدرت منه السيارة، فبدأت بالتساؤل مع سيلينا إلى سبب وقوفه المفاجئ هذا، وإلى أين ينظر. ثم ما لبث أن ركض مبتعدا فارا بجلده من هنا.

وقبل أن نستطيع الاحتفال بابتعاد الكلب عنا، وإذا بنا نلمح سيارة قادمة من بعيد حيث كان ينظر الكلب قبل ثوان، فصاحت سيلينا مشيرة بإصبعها: " ثمة سيارة قادمةَ"

لكنني شعرت بالذعر فجأة فمن يعلم بوجودنا هنا؟ لا أحد طبعا إلا المدمنين، فبكيت بعويل وأنا اتساءل: " هل يعقل أن تكون لذلك الشاب المخيف؟"

طوقتني سيلينا بذراعيها وهي تبكي قائلة: " لا يا رب! الكلب أرحم!"

ثم اشتد عويلنا وبكاؤنا ونحن نستصرخ طلبا للمساعدة.

توقفت السيارة في أعلى المنحدر وترجلت منها فتاة شعثاء لم نتنبه لهويتها بادئ الأمر إلا حينما هتفت لنا من بعيد: " بنات!"

فخرج صوتانا بتناغم غير مسبق وهتفنا لها والدموع تغسل وجهينا سعادة: " لورا!"

هتفت بفرحة مضيفة: " عثرت على سوسو بالصدفة"

فأجبناها بالتناغم ذاته:" سوسو!"

ترجل سمير من السيارة وهو ينظر نحونا مستنكرا قائلا: " حقا؟! سوسو!"

....

جلست في المقعد الخلفي بجانب سيلينا بينما يقود سمير بنا سيارته متجها بنا إلى بيوتنا ليعيدنا سالمات إلى ذوينا، ثم قال وهو يوجه خطابه للورا: " سيتم قطر سيارتك وتصليحها بالكامل لتعود إليك جديدة لا خدش فيها"

فرحت لورا بالخبر وأرادت أن تحتفل برجعتنا سالمة، فاحتضنت سلة الطعام التي أنقذتها من السيارة قبل رحيلنا وقالت بحماس: " أخيرا سآكل، أكاد أموت من الجوع!"

شحب وجهي شحوبا ملحوظا كذلك الأمر بالنسبة لسيلينا، ثم حصل ما توقعته صرخت لورا بأعلى صوتها فأجفلت سمير لوهلة، ثم التفتت نحونا يتملكها الغضب وهدرت بنا: " أي نوع من الحيوانات أنتما؟ ماذا تسميان هذا؟"

أشارت بيدها إلى مخلفات الطعام التي تركها الكلب عقب شبعه، فبررت لها محرجة بقولي: " في الواقع، هذا من عمل الكلب."

وأضافت سيلينا مؤكدة: " نحن تناولنا حصتنا أما حصتك... فاعتدى عليها الكلب!"

حاولت لورا ألا تبكي لكنها استسلمت بسهولة للدموع فهي جائعة ومتعبة، لكن سمير بقلبه الحنون لم يشأ لها أن تبقى بلا طعام فقال: " لا تقلقي حبيبتي، عند أول مطعم نجده في طريقنا سأحجز لك طاولة فيه لتتناولي طعامك"

لكنها قابلت إحسانه بصراخها : " هل جننت؟ هل تريد أن يراني الناس هكذا؟ شعثاء بقدمين داميتين دون حذاء!"

حاول المسكين مجاراتها فقال: " إذن سأشتري لك شيئا كي تأكليه في السيارة"

- " ما الفرق؟ سيراني الكل إذا أوقفت السيارة!"

يئس سمير أخيرا من محاولته إرضاءها فهب فيها قائلا: " ماذا أفعل لك؟ كابدي الجوع حتى تصلي البيت"

غرقنا وسط شلالات دموعها وأنهار عويلها واتهاماتها الباطلة لخطيبها بعدم تحمله مسؤوليتها، وكلام هذرت به دون تفكير، بينما تحامل المسكين على نفسه محاولا كظم غيظه والصبر عليها.

الفصل السابع

مرت أيام قبل أن تصفو سيلينا بقلبها لي من جديد، أعتقد أن ما ساعدها على مسامحتي المواجهة التي خضناها في ذاك اليوم الذي ذهبنا فيه إلى تلك النزهة التي تركت وصمة في تاريخنا. فبعد نجاتنا باتت ذكرى مضحكة بالنسبة لنا وخصوصا أننا تسنى لنا رؤية لورا شعثاء وبمظهر رث لأول مرة في حياتنا.

جلسنا في كافتيريا الكلية قبل موعد المحاضرة الأولى لنستطلع صور أزياء الخريف لهذا العام من مجلة أحضرتها لورا، بينما كنا نرتشف من أقداح القهوة الصباحية مصحوبة بقطع لذيذة من الشوكولاه.

هذه هي الأجواء التي أعشقها أن أجلس برفقة صديقتاي في جو خاص لنا، بعيدا عن المنغصات وقصص الحب الفاشلة. كانت سيلينا تجلس في المنتصف بيننا والمجلة بين يديها وننظر باستمتاع إلى كل فستان أو معطف بانبهار.

وكما قلت لكم سابقا صفو الحياة لا يكتمل، فإن هربت أنت من المشاكل تأتيك هي سعيا كرزقك الذي لا يخطئ هويتك فيأتيك بنفسه.

رن صوتها المزعج في أذني، فشعرت بتشنج عضلات فكي من التوتر الذي يسببه صوتها لخلايا دماغي فهتفت لي قائلة: " راما! أيتها الفاشلة، أخيرا عثرت عليك!"

أكاد أقسم أن هذه المدعوة ميساء لديها مرض ذهاني يدعى راما في دماغها، فهي لا تحيا يوما دون أن تنبش لي مقلبا أو تحضر لي إساءة من نوع ما. هكذا كنا وهكذا تربينا منذ الصغر، لم يكن بيننا ود يوما قط، بالرغم من أن علاقة ذوينا طيبة فيما بينهم.

لوحت أمامي ببطاقة سوداء مزركشة وقالت بثقة ملغومة:

" احزري ماذا أحمل في يدي؟"

أجبتها بتهكم مما دفع سيلينا إلى محاولة كبت ضحكتها الخافتة: " دعوة لحفل زفافك لعجوز في الثمانين من عمره يضربك بالعصا ومصاب بالزهايمر؟"

أجابتني وهي تكظم غيظها: " اسخري قدر ما تشائين، لأنني أنا من سيضحك في النهاية؛ فهذه دعوة لحضور حفل على متن قارب فراس الخاص بمناسبة شفاء قدمه المكسورة"

أي شيء يرد ذكر فراس فيه يفقدني تركيزي حتى بات عندي هوس به لدرجة جعلتني أوصي بتصميم قلادة تحمل تعليقة محفورة بحرف اسمه أرتديها أينما ذهبت. نهضت كالإعصار المفاجئ وزلزلت الطاولة بضرب كفي عليها دون وعي وهاجمتها بسؤالي لأتأكد من أن ما سمعته حقيقة: " مستحيل! كذب! كيف حصلت عليها؟"

شعرت في عينيها احتفالا بنصرها علي، لقد أغاظتني وتمكنت مني فعلا هذه المرة فأجابتني بينما تحمل بين طيات نبرتها نوعا من الغنج المصحوب بغرورها قائلة: " أرجوك! أنا وفراس في الكلية ذاتها ونتشارك ثلاث محاضرات معا. ألم أقل لك سابقا؟ نحن مناسبان لبعضنا ويبدو أنه لم يقاوم شعوره بالانجذاب نحوي لذا دعاني، هكذا يقول الجميع."

استدارت مبتعدة بعد أن تأكدت من تحطيم آخر حصن في قلعة أحلامي الشاهقة التي تبخرت مع السراب الآن وأضافت بنبرة خبيثة شعرت بأنها كالفحيح لتنشر سمها في كل بقعة سليمة بقيت لي من الإدراك بقولها: " صحيح! أنا متعجبة لجهلك بموضوع الحفلة بما أن سمير أعطى لورا بطاقة دعوة صباح اليوم!"

تمكن سمها من التغلغل في خلايا دماغي لتفقدني القدرة على النطق السليم فبات فمي يردد دون فهم بقولي: " سمير ماذا؟ لورا؟"

خطفت لورا المجلة من سيلينا لتخبئ خلفها وجهها المرتعد مني بينما ضحكت ميساء بخيلاء وهي تضفي اللمسات الأخيرة على لوحة انتصارها: " يا للهول! يبدو أنني بحت بشيء سري عنك! ههه تشاو يا فاشلة!"

لا يمكن أن تكون لورا بهذا اللؤم، من المؤكد أن ميساء تكذب هذا واضح، ولكي أبدد شكوكي وأعطي لورا فرصة لإظهار براءتها سألتها بخفوت: " لورا؟ هل هذا صحيح؟"

صمتت صمتا مطولا وهي تتجنب النظر في عينيّ وعلمت من صمتها أن ما قالته ميساء صحيح، فشعرت ببرودة تجتاح أوصالي بعد تيقني من نيلي طعنات في ظهري من أعز صديقاتي، كيف طاوعتها نفسها أن تغدر بي وتفعل شيئا كهذا وهي تعلم تمام العلم بمشاعري الجياشة نحو فراس؟ لماذا تصر لورا علي بأن أقذفها بحمم بركان غضبي؟ لماذا لا تدعني أعيش بسلام مع قلبي وشعوري المرهف تجاه فراس؟ ما الذي تراه منفرا إلى هذه الدرجة فيه لتحاول جهدها إخراجه من بالي وقلبي؟ وكلما سألتها لا تعطيني إجابة شافية، فهل لمشاكلها التافهة معه والحرب الباردة بينهما سبب كاف لترغمني على التنازل عنه؟

" راما انتظري! ليس كأنني فعلت ذلك عن قصد"

هتفت لي بينما كنت أسير في الممر مولية ظهري لها وأنا مندفعة باتجاه دورة المياه وهي تحاول مجاراة سرعتي برفقة سيلينا، فأجبتها بجفاء دون أن ألتفت إليها: " بلى تعمدت!"

- " ءءء.. حسنا .. هلّا توقفت قليلا لنتناقش قليلا في الموضوع؟"

رفضت الانصياع لها أو الاستماع إليها، لكنها أصرت عليّ أن أعطيها فرصة للتوضيح فتمسكت بذراعي لتجبرني على التوقف، صفعت قبضتها واستدرت نحوها وهدرت بها بينما أشير إلى دورة المياه إلى محاذاتي: " أليس لديك عمل أو مكان تذهبين إليه؟ أنا لدي؛

عندي محاضرة، لذا سأدخل إلى دورة المياه لأصلح مظهري وعندما أخرج لا أودّ رؤيتك هنا مفهوم؟"

مع انتهاء آخر حرف من جملتي جاءني صوت فتاة تخرج من دورة المياه تخاطبني بقولها: " عفوا لم أقصد التدخل في حديثك، لكنني سمعت رغبتك في الدخول... آم.. لا أنصحك بذلك؛ يوجد جماعة غريبة في الداخل يقمن بإخافة كل من تدخل"

تركتنا الفتاة وعلى محياها علامات الفزع فاستغلت لورا الفرصة وأخذت تعظني للاستماع إلى نصيحة الفتاة رغبة منها في تبرير فعلتها النكراء، لكنني فقدت التركيز في حديثها حينما لمحت عيني ذاك الخيال المتميز بطول قامته ونظافة مظهره، كان يقف قريبا من أحد النوافذ في الطابق يحمل في يده سترة بزته الرسمية ويتحدث من خلال هاتفه المحمول، لذا قاطعت لورا في حديثها معربة عن رغبتي في الدخول إلى دورة المياه: " آآمم... أظن أنني سأدخل."

استاءت لورا من كلامي وقالت بنبرة مجروحة: " لا أصدقك! تفضلين مواجهة غريبات الأطوار على الاستماع إلي؟"

- " لا ... بل أهون من مواجهة إيان... هناك خلفك"

لورا

استدرت برأسي حيث تشير راما بإصبعها. كان يقف على بعد خطوات عنا أمام إحدى النوافذ في الممر يحمل سترة بزته في يد ويحمل هاتفه بيده الأخرى، كان منشغلا بمكالمة هاتفية ولمحت من مكاني أن وجهه مكفهر وتعابير الضيق واضحة على محياه.

سمعت صوت سيلينا قبل أن أعيد توجيه انتباهي إليهما وهي تقول: " أنا سألحق براما"

- " كفا عن التصرفات الطفولية ألا تريانه مشغولا بالحديث عبر الهاتف؟.."

استدرت فورا ناحيتهما لأؤكد كلامي لكنني تفاجأت باختفائهما، تركتاني أحدث نفسي واختبأتا من إيان، حمقاوتان! ولإضافة المزيد من الأجواء الكرزية على الموقف رن صوته في أذني وهو يحييني من خلفي قائلا: " مرحبا لورا فلورا!"

تبا لحظي علقت وحدي! حاولت التصرف بشكل طبيعي أمامه حتى لا يعرف أن راما هربت من مواجهته فطبعت ابتسامة ساحرة وقابلت تحيته بأخرى مرحة.

راما

ساد الصمت علي وعلى سيلينا لوهلة ونحن نملأ أعيننا بمظهر تلكم الفتيات أو ربما أشباه فتيات لا أدري... عبدة شياطين ربما؟ أو عصابة مخدرات؟ أو مجرد فتيات لديهن عشق لأزياء كئيبة فكل ما كن يرتدينه هو السواد مع شيء من الألوان القاتمة وتسريحات شعر غريبة واكسسوارات ملأى بالجماجم عدا عن عيونهن المكحلة بشكل مبالغ.

كن قد قمن باحتلال زاوية من أمام باب أحد المراحيض ينفثن الدخان من أعقاب السجائر التي وقعت أسيرة بين أصابعهن لتحترق ببطء وتلفظ أنفاسها الأخيرة بين شفاههن المصبوغة بأحمر شفاه أسود اللون.

أخيرا تكلمت إحداهن لها شعر مصبوغ بلون أحمر قاني كالدم بينما كانت متكئة على كتف أخرى وهي تنظر إلينا بملل بسؤالها الملغوم: " إلى متى ستبقى منافسة التحديق هذه إذن؟"

أجابت أخرى وكانت متكئة بظهرها على باب المرحاض بينما تنفث الدخان من سيجارتها كأنها تجيب عن سؤال بديهي بنبرة غير مبالية: " ربما حتى أشرط أذن إحداهما بالمشرط!"

وكعادتها سيلينا حينما تهاب شيئا فإنها دائما ما تحتمي بي كأنني حصنها الحامي من كل شيء لكن ما يجب أن تدركه سيلينا الآن أنني هذه المرة أشعر بذات الرهبة التي تشعر بها هي وربما أكثر، لأن تلك الصهباء كانت تنظر نحوي بشكل متفحص أنا بالذات.

احتضنت كتبي بيد وحوطت سيلينا بذراعي الأخرى تلقائيا كأنني أحميها من نظراتهن المرعبة ونجحت في تكوين عبارة لأجيبها قبل أن تفكر حقا في أذية أي واحدة منا: " نحن آسفتان.. لـ.. لم نقصد .. التحديق... كنا.. سـ.. سأشيك على. مظهري ونخرج... لن نطيل لن نأخذ من وقتكن صدقا.."

لورا

إيان شاب سمح سلس في التعامل ولطالما أحببت تبادل أطراف الحديث معه، وكنت أشعر بالبهجة كلما زارنا في بيتنا إما لعمل بينه وبين أبي أو لزيارة ودية، لكن الآن لم أكن أرغب في محادثته في هذه اللحظة بالذات حتى لا يسألني شيئا عن راما وأتخبط في إجابتي، كونها مختبئة من مواجهته. ولكن لأن حظي عكر في هذه الأيام هاجمني على حين غرة دون مقدمات بقوله: " إذن بعيدا عن الحديث في أمور عشوائية أجيبيني على سؤالي؛ إلى متى ستبقى راما مختبئة في الداخل؟"

تصنعت ضحكة محرجة خرجت كأنها صوت صرير طبشورة على السبورة، وحاولت الكذب عليه بقولي: " عمّ تتكلم؟ لا تكن سخيفا! ولمَ ستفعل راما شيئا غبيا كهذا؟"

وقع نظري على كف يده من تحت سترته المستريحة على ذراعه فلمحت بطاقة دعوة لحفل فراس، ولصرف انتباهه عن موضوع راما سألته بسرعة: " هيه! معك بطاقة دعوة للحفل الذي سيقيمه فراس؟ كيف؟ لم أكن أظن أنك على علاقة حميدة معه، هل سوف تأتي؟"

نظر إلى البطاقة بعينيه المكحلتين الزرقاوين وأجاب بلا مبالاة: " سمير أعطانيها.... طلب مني الحضور، لكنني لست متأكدا من رغبتي في ذلك... ماذا عن راما؟ هل وصلتها دعوة؟"

أزحت خصلة من شعري خلف أذني بارتباك واضح ولم أجبه فورا لكنه كان لماحا بشكل عجيب فأجاب بنفسه على تساؤله بسؤال آخر: " يا إلهي! هي لن تحضر؟لكن لماذا؟"

تجنبت التواصل البصري معه واحتضنت جسدي باستياء وأجبته: " حسنا.. أنت تعرف مشاعري تجاه فراس... لم نكن على وفاق يوما... ولا أريده أن يحظى بها... وخصوصا بعدما علمت من سمير بـ... بعرض الزواج ... بأي حال هي غاضبة مني الآن لأنني أريدها أن تبقى بعيدة عن فراس.. أنا أحاول حمايتها فقط... لكنها عنيدة لا تفهم مصلحتها"

ابتسم إيان بحنان والتفت مبتعدا وقال عبارة طاردتني طيلة ذاك اليوم: " لا تقلقي... مع الوقت ستدرك أنك فعلت الصواب"

<u>**راما**</u>

شعرت أننا أطلنا بوقوفنا أمام المرآة كحمقاوتين لا نفعل شيئا فهمست لسيلينا بقولي: " اذهبي وتفقدي الوضع في الخارج"

- " ولماذا أنا؟ لست وحدك من لا تريد مواجهة إيان، هل نسيت؟"
- " أعلم، لكن تعرفين ما قد يحصل لو خرجت أنا"

قبل أن نتعمق في نقاشنا أكثر تدخلت إحداهن من تلك العصابة بسؤالها: " هل لديكما مشكلة؟"

ذاك الصوت جاء من الفتاة التي تقف في وسط المجموعة تلك التي تتكىء على كتفها الفتاة ذات الشعر الأحمر، وقد لفتت نظري في البداية دونا عن الكل بسبب التزامها بالسواد فقط في لباسها دون وشوم أو حلق في أنفها أو شفتها كما الباقيات، كانت ترتدي بنطالا أسود يعلوه قميص أسود وعقدا من اللؤلؤ الأسود،ولها شعر أسود حريري ربطته على هيئة ذيل فرس دون مبالغة في مظهرها إلا بكمية الكحل الذي في عينيها وأحمر الشفاه أسود اللون.

مازال سؤالها يرن في أذني فأجبتها فورا بكل تملق وابتسامة مهذبة قدر الإمكان: " من؟ نحن؟ لا! لا نشكو من شيء!"

وبالرغم من إجابتي النافية لها إلا أنها أصرت بقولها: " فقط سمياه لي،وأنا سأتخلص منه.. وبسعر زهيد"

اتسعت حدقتا سيلينا رعبا وتجمدت الدماء في عروقي من نبرتها المخيفة، فجررت سيلينا نحو الباب بينما أردد لها وقد انتزعت الابتسامة عن وجهي الشاحب: " أه.. لا شكرا.. نحن أصلا تأخرنا.. لدينا محاضرة.. نأسف على الإزعاج!"

ثم أضفت بنبرة هامسة لسيلينا: " تحركي أسرع! أظن أن مواجهة إيان أهون!"

حينما خرجنا لم نجد إلا لورا تقف بجانب المدخل بصمت مريب، سألتها عن إيان فقالت: " لقد غادر.. كان مستعجلا ولم ينتبه إلى وجودي هنا"

أغلقت سيلينا موضوع إيان وهي تصف فيلم الرعب الذي شهدناه في الداخل : " تلك الفتاة كانت محقة. يوجد خمس فتيات مخيفات في الداخل!"

أبدت لورا اهتماما بمعرفة المزيد، لكنني ارتأيت أن نغادر المكان بسرعة قبل أن يخرجن علينا.

اجتمعنا من جديد بعد المحاضرة لنجلس في الكافتيريا، واليوم هو دوري في شراء شيء نأكله لنملأ معدتنا الفارغة إلا من القهوة الصباحية، فدسست يدي في حقيبتي لأخرج محفظتي بينما كانت سيلينا تحتضن وجهها وهي ما زالت تتساءل عن طبيعة تلكم الفتيات الغريبات، ما أصلهن؟ وهل يعقل أنهن يتاجرن بالمخدرات؟ أو ربما جاسوسات؟ أو قاتلات مستأجرات.

زفرت نفسا بضجر وأجبتها : " لا يهمني أمرهن البتة، كل ما يهمني هو مشكلتي الحالية.."

اتجهت نظراتي نحو لورا وأضفت: " متى ستحضرين لي بطاقة دعوة؟"

تجهمت لورا في وجهي وأجابت: " هل حقا ما زلت تفكرين في الموضوع!"

هذه المرة أظهرت حزما أكثر في تهديدي قائلة بنبرة مغلظة: " سأصوغها بهذه الجملة؛ سأذهب لشراء شيء نأكله، وعندما أعود أريد أن أراك قد غيرت رأيك! مفهوم؟"

لورا

هذه الفتاة لا تعرف المعنى الصحيح للاستسلام. حاولت سيلينا ترطيب الأجواء فاقترحت علي أن أستمع لكلام راما: " عليك مواجهة الأمر... إن لم تحضري لها بطاقة فلن يهدأ لها بال"

- " وأنت أيضا يا سيلينا؟ حبا بالله توقفي عن التفكير بأنانية وفكري في مصلحة صديقتك!"

احمرت خدود سيلينا من شدة سخطها من كلامي وهاجمتني بسهام قولها: " أنت حقا غير معقولة! أنا الأنانية؟ ماذا عنك؟ أنت تريدين لراما أن ترتبط بإيان لإشباع غرورك ولتتباهي أمام صديقاتك الفارغات بزواج صديقتك المفضلة من أحد النجوم الذين

يصعب التحدث معهم! لا تفكرين أبدا بما تريده راما ولا حتى ما أريده أنا... ماذا أكون بالنسبة لك؟ غير مرئية؟ كيف تصفين نفسك بصديقتي إن لم تهتمي بمشاعري؟ هذا الشاب الكامل في نظرك حطمني! وأعلن ذلك صراحة، فكيف يكون نصيبا أفضل لراما من فراس؟ سأقولها في وجهك دون تردد أو خوف منك أنت متغطرسة وأنانية ولا تطاقين في معظم الأوقات!"

لم أكد أصدق ما سمعته أذناي في تلك اللحظة. هل حقا سيلينا تشعر بالسخط هكذا تجاهي؟ لم أفعل شيئا يسيء إليها، لو كانت هي من وضع إيان عينه عليها لبذلت ذات الجهد في محاولة الجمع بينهما، تتحدث هي عن الأنانية بينما هي لا تسمح لصديقتها بالتخلص من حب ميؤوس تجاه من لا يستحقها من أجل إعجاب تافه من طرف واحد! نهضت عن الكرسي بغضب متجنبة الدخول معها في أي نقاش عقيم، وجررت قدمي خارج المكان بينما أحدث نفسي بقهر عن أسلوب سيلينا المؤلم في حديثها اللئيم معي.

حينها لمحت إيان يسير خارج الممر وقد لفت نظره مظهري الغاضب، فسألني بنبرة قلقة: " لورا؟ هل أنت بخير؟"

تعجبت من كثرة زيارته لكليتنا فأجاب أنه يساعد أحد الدكاترة في ترجمة بعض النصوص التي ستساعده في تأليف كتاب خاص بالمناهج الدراسية، كلام ممل لست مهتمة بالتعرف إلى تفاصيله. ثم أعاد سؤاله علي بينما ينحني نحوي وهو ينظر إلي بعينيه بقلق واضح:

"you look upset.. What bothers you? "

ركلت قدمي بخفة في الهواء وأجبت: "لا شيء... خضت شجارا صغيرا مع صديقتاي"

- " همم... دعيني أحزر.. راما مصرة على الذهاب إلى الحفل"
- " يعني.. شيء من هذا القبيل"

وقف إلى جانبي واتكأ بظهره على الحائط بينما يوجه نظره إلى الأعلى فنظرت إليه من طرف عيني، ثم قال بنبرة مبهمة: " إذا كانت تريد الذهاب فدعيها تذهب"

- " عفوا؟"

أمال رأسه قليلا إلى الجانب ونظر إلى الأسفل باتجاهي مبتسما بثقة، وأوضح قائلا: " إذا رأت بعينيها شعبية فراس بين زميلاته ستدرك ألا مكان لها بينهن، وقتها ستستسلم ويخلو الجو لي"

فتحت فمي باندهاش، كيف لم يخطر ذلك في بالي؟ غريمات راما كثيرات، عدا عن كونهن من عائلات راقية ويتمتعن بالجمال والجاذبية، وبالرغم من كون راما أخاذة الجمال إلا أنها غير مدركة لمقدار جاذبيتها، وتظن أن ميساء مثلا أجمل منها وشتان الفرق بين الثرى والثريا، عودة إلى الموضوع أعجبت على الفور باقتراح إيان وظهر الابتهاج فورا على محياي، وأخرجت هاتفي من حقيبتي الصغيرة وسارعت للاتصال بسمير ليؤمن لي تذكرتين إضافيتين.

راما

عدت إلى حيث هي طاولتنا بينما الحيرة تحوم حول رأسي وأنا أتساءل عن سبب اختفاء لورا من المكان بينما سيلينا تسند رأسها بين ذراعيها على الطاولة، حاولت أن أسألها عن لورا لكنها كانت محتدة وغاضبة لسبب لم أفهمه ولم تعطني إجابة شافية.

قدمت لورا بعد وقت قصير مبتسمة بشكل مريب، فعرضت عليها شطيرة مما ابتعت قبل بدء موعد المحاضرة القادمة.

شعرت أن خلف ابتسامتها شيئا غريبا، حتى أخرجت يدها من خلف ظهرها تحمل فيها بطاقتين لحفل فراس وقالت موضحة: " انظرا ماذا أحضرت لكما"

لم أتمالك نفسي في تلك اللحظة، فلست من النوع المتزن فيما يخص فراس على الإطلاق.
صرخت بأعلى صوتي بعد أن انقضضت كتمساح يقفز فجأة من تحت الماء ليتشبث بفريسته قبل أن تفكر بالهروب: " آآآآآآه! أحضرت لي بطاقة!! شكرا لك يا أحلى لورا!!"
شعرت كأنني أطير وسط السحاب بجناحي الحب وانا أرفرف سعادة بينما أحتضن البطاقة وأهمس لها بأنني سأفعل المستحيل لألقى فراس، وتركت سيلينا ولورا لتتصافا بينهما ودخلت فقاعة أحلامي حيث سأقترب خطوة أكبر تجاه فراس، هذه فرصتي الثمينة للقائه بعد عذاب سنوات من حبي له من طرف واحد.
لكن كان على ذاك الأخرق وليد أن يستل خنجره ويفقأ لي فقاعة أحلامي بصوته الذي دوى في المكان حولنا وهو يحدجني بسخط قائلا: " ماذا أصابك لتصرخي هكذا دون سبب مبرر، هل تريدين فضحي؟ وأن يقول الجميع بأن زوجتي المستقبلية صاخبة؟"
- " كيف تجرؤ؟......"
- " ثم ما هذا الذي تحملينه في يدك؟"
لحظة يا راما بدل أن تخوضي معه نقاشا عقيما لما لا أغيظه قليلا؟ ربما شعر باليأس مني وتركني بحالي.
رفعت البطاقة بخيلاء أمامه وأجبته بكيد واضح: " هذه؟ إنها بطاقة دعوة لحفل لأحد طلاب الهندسة على متن قاربه الخاص وطبعا لا مكان لك فيه.. و.."
لكن لورا قاطعتني وهي تشير إليه بكبر: " احم.. انقلع!"
لم يستطع وليد طبعا أن يجابهها كالمرة السابقة، فسحب نفسه مبتعدا لكن ليس قبل أن يرميني بتهديد عقيم لا يسمن ولا يغني من جوع: " سأعود يا راما وسترين!"
جاء دوري بهجوم لورا علي فحدجتني بنبرة مؤنبة: " هل جننت؟ أمسكي لسانك!"

- " ماذا؟ أريد أن أغيظه كما يفعل بي!"
- " ليس بإخباره شيئا من خصوصياتك! عليك أن تتعلمي ألا تثقي بأحد، من يدري ماذا يمكن له أن يفعل!"

لم أهتم صراحة بتأنيبها لأني شعرت أنها تبالغ بمخاوفها، وعدت للتحليق في عالم أحلامي الوردية وأنا أتخيل نفسي ألبس فستان الزفاف الأبيض ليتم زفي إلى عريس أحلامي.

عدت إلى البيت والفرحة لا تكاد تغادر قلبي، لكنني لم أشأ ان أدخل البيت دون رد الصاع لميساء أولا. لذا طرقت باب بيتها ولحسن حظي قامت هي بفتح الباب لي، ثم هاجمتني بقولها بازدراء واضح: " أنت؟ ماذا تريدين؟"

بدأت عبارتي متصنعة تعابير الحزن المثيرة للشفقة: " كنت أريد أن أقول.."

ثم فورا دون تأنٍّ عرضت البطاقة أمامها وتغيرت نبرتي إلى تشف واضح مردفة: " فليرد كيدك في نحرك يا مكيودة! "

وكما نجحت هي بإغاظتي سابقا فقد تمكنت منها أيضا بدوري هذه المرة فأشارت بيدها نحو البطاقة والصدمة تتملكها بالكامل: " من أين جئت بها؟!"

- " لورا أحضرتها لي.... شكرا لك فلولاك ما كانت لتحضرها.. أراك في الحفلة، سلام يا فاشلة!"

صعدت السلالم لأتجه نحو بيتي تاركة إياها بمظهرها الأبله أمام باب بيتها ثم توقفت في سيري لأضيف بعض البهارات على وصفتي الناجحة: " آه صح! إذا كنت حقا كما تقولين أجمل فتاة في كلية الهندسة فقد ضمنت الفوز بقلب فراس!"

- " ستندمين على هذه الكلام! سترين يا فاشلة هذه ليست نهاية الجولة!"

لم أهتم كثيرا بهذرها وصعدت نحو البيت أحمل كأس انتصاري الوشيك، اقتحمت غرفة المعيشة حيث تجلس أمي وهي تطعم وسيم وهو جالس على كرسي طعامه وأنا أحمل ابتسامة مشرقة، فتساءلت أمي بجمود قائلة: " لماذا تأخرت؟ وما سر هذه الابتسامة البلهاء؟ وما هذا الذي تحملينه في يدك؟"

- " إنها دعوة لحضور حفل بمناسبة شفاء قدم فراس على قاربه الخاص مساء الخميس"

توقفت امي عن إطعام وسيم ورفعت بصرها بحدة نحوي وقالت: " وماذا تنتظرين مني؟ أن أوافق؟ طبعا لا! لن تذهبي."

حدثت نفسي بأنني سمعتها بشكل خاطئ أو أنها فهمت الموضوع خطأ فألححت عليها مؤكدة ذهاب لورا وسيلينا معي لكنها كانت محتدة بشدة وقالت بحزم: " كفى! لا تناقشي في الموضوع، لن تذهبي وهذه كلمتي الأخيرة، هل فهمتني؟"

لم أفهم وقتها لما تعاملني أمي بلؤم هكذا؟ لماذا ترفض طلبا صغيرا كهذا؟ لماذا لا تستطيع أن تكون أما متفهمة ولو لمرة في حياتها؟ في تلك اللحظة دمرت أمي كل أحلامي التي بنيتها وعالمي الوردي صبغ بلون رمادي كئيب وصورتي كعروس أحتضن ذراع فراس قد مزقتها أمي بوحشية من مخيلتي لتقتل أملي بلقاء الحب الذي نقش في قلبي عميقا.

....

نفث وليد دخان سيجارته بضيق واضح وهو يحدث نفسه بسخط: " تبا أين هي؟ لقد تأخرت!"

وكأن عبارته كالتعويذة السحرية التي تستحضر من كان في انتظارها، فجاءه صوتها في عتمة الليل الحالكة وهي تتساءل بنبرة واثقة ملغومة: " هل تأخرت عليك؟"

وقع بصره ناحيتها فورا، كانت ترتدي السواد كالليلة الحالكة التي خلت من جميع الأنوار إلا من ضوء مصباح مهترئ من مصابيح الحي الفارغ من أحد سواهما.

اقتربت قليلا لتبان ملامحها المخبأة خلف كحل عينيها الغامق وأحمر الشفاه الأسود المطبوع على شفتيها، أمسكت خصلة من شعرها الأسود الحريري لتزيحها عن عينها بينما تحمل في يدها بطاقات دعوة للحفل الذي سيقيمه فراس على متن قاربه،لوحت بها أمامه وهي تقول بثقة: " ها قد أحضرت لك البطاقات"

ابتلع ريقه متعجبا مذهولا، ثم تساءل بقوله: " يا إلهي! فعلا تمكنت من إحضارها.. لكن كيف؟"

أجابته بابتسامة ماكرة: " لدي طرقي الخاصة.. والآن.. أين باقي المبلغ الذي وعدتني به؟"

ابتسم وليد بمكر وهو يقدم لها ما تبقى من ثمن أتعابها غير مصدق بعد أنه تمكن من الحصول على بطاقات للحفل، ثم حدث نفسه قائلا: " والآن.. سيندم ذاك الثري المدلل لأنه سرق مني فتاتي."

الفصل الثامن

" لماذا أنت متصلبة هكذا؟"

- " لست متصلبة وإنما ما تفعلينه خطأ!"
- " وما الخطأ في أن أشتري لصديقتاي ملابس كهدية؟! هذه الحفلة غير عادية "
- " لا يا لورا، لا! "
- " راما ما رأيك؟"

كنا نسير وسط السوق حيث اصطحبتنا لورا لشراء ملابس للحفلة واحتدم النقاش بينها وبين سيلينا في نيتها لشراء شيء لنا للحفل من المحل ذاته الذي تذهب إليه كل أسبوع مرة، لكن سيلينا كانت رافضة للفكرة رفضا تاما ولم تهنأ المسكينة بقطعة المثلجات التي تتناولها بسبب شجارها مع لورا.

التفتّ نحو لورا وألقيت نظرة خاطفة عليها، كانت تنظر نحوي بينما تحمل كوب القهوة الورقي وترتدي فستانا أبيض قصيرا وضيقا وألقت على نصفها العلوي سترة خفيفة من الشيفون لتستر شيئا من مفاتنها الملفتة. وكانت قد سرحت شعرها الحريري بتسريحة مموجة أوحت للناظر إليها بامتلاكها لشعر كثيف بينما سيلينا إلى جانبها تغرف من كأس المثلجات وتتناوله بغل واضح، كانت ترتدي قميصا قطنيا صيفيا وتنورة قصيرة وتربط شعرها بكعكة على جانب رأسها وكعادتها بدت بمظهر طفولي وخصوصا في طريقة تناولها للمثلجات وسط نيران غضبها.

أعدت بصري أمامي نحو ظلي الذي يسير أمامي وتنهدت بحسرة قائلة: " مهما يكن لست ذاهبة."

- " أستميحك عذرا؟!"

- " أمي لم توافق على ذهابي"

حاولت لورا كبت ذاك التنين الهائج في صدرها وهي توبخني بقولها: " يعني أفهم من ذلك أنك جعلتيني أتكبد عناء إحضار بطاقة لك للا شيء؟"

نفثت بغضب بينما ألوح بيدي في الهواء بمشهد درامي: " ألم تسمعي الجزء المتعلق بأمي؟"

- " إذا كانت أمك هي الشوكة العالقة في يدك فلا بأس الأمر بسيط سأكلمها أنا"

عاد الابتهاج سريعا إلي وعدت أبصر الأنوار من جديد بدل المشهد الرمادي الذي رسمته لي مخيلتي وصفقت بيديّ بحماس مبالغ وأنا أردد: " حقا ستفعلين ذلك من أجلي؟"

- " أجل بالتأكيد، بشرط واحد سأشتري لكما ملابس سهرة للحفل"

- " لا مانع لدي افعلي ما يحلو لك المهم أن أذهب!"

توقفت سيلينا عن السير وهتفت لنا معترضة لعلنا نستمع إليها ونتوقف: " هيه! أنتما! إلى أين؟ من قال أنني موافقة؟"

أكملنا سيرنا متجاهلتين اعتراضها فرضخت لنا غصبا في النهاية؛ فنحن صوتان ضد صوت واحد.

وقفنا نستطلع الفساتين المعروضة في المحل، بالنسبة لي كل شيء جميل، لكن بالنسبة للورا لا شيء يرضي ذوقها بسهولة.

وقع نظر سيلينا على فستان ذهبي جميل لكن لورا كانت لها نظرة أخرى فاختارت لسيلينا فستانا طويلا من الدانتيل باللون الوردي، وأنا اختارت لي فستانا أصفر قصيرا أيضا من الدانتيل ويتميز بأكمام قصيرة.

رضينا باختيار لورا ليس لأننا لم نملك خيارا آخر بل لأن ذوقها أعجبنا في اختيار الملابس، فهي لها نظرة في الموضة وطبيعة الملابس التي تناسب الأجساد المختلفة، فسيلينا مثلا

حجمها ضئيل والفستان الوردي هذا سيضفي عليها رونقا بديعا ويظهر لها بعض المفاتن، أما أنا فلدي مفاتن واضحة وهذا الفستان سيساعدني على رسمها بطريقة أنثوية ملفتة. وربما هكذا ألفت نظر فراس.

عندما رسونا أخيرا على قرارنا لوحت لورا بيدها عاليا لتلفت انتباه العامل في المتجر وهتفت له قائلة: " أنطوان، نريد شراء هذين الثوبين."

كان ذاك الشاب المدعو أنطوان يحمل طردا وهو يتجه نحو باب يؤدي إلى المخزن، التفت نحو لورا نصف التفاتة وهتف لها بدوره: " ثواني- darling- وأكون عندك"

لم أستطع إمساك لساني عن التعليق فنظرت نحو سيلينا التي كانت تبادلني ذات النظرة وهمست لها بتهكم: "!darling "

أخيرا وصلنا البيت بعد شرائنا لباقي مستلزماتنا من أحذية واكسسوارات. كانت لورا تجلس في صدر المجلس إلى جانبها سيلينا وبكل تهذيب ووقار وجهت حديثها إلى أمي: " راما فتاة واعية ويمكن الاعتماد عليها لا أرى سببا يجعلك تخافين عليها، ثم أنها ستكون في رعايتي، وصدقيني لن يجرؤ أي شاب على الاقتراب منها ما دامت برفقتي"

أجابتها أمي بطريقة لبقة في المقابل: " فهمت عليك لورا، لكن أعتذر راما لن تذهب"

تدخلت سيلينا بقولها: " أرجوك يا خالة!"

- " رجاء، لا داعي للإحراج"

طيلة الوقت كنت أنظر إليها بسخط بينما أشاركها الجلوس على ذات الأريكة فوضعت يدي على فخذها وهتفت لها بتوسل: " أمي!"

التفتت نحوي وأزاحت يدي عن ركبتها ونهضت وهي تكبحني قائلة: " راما، قلت لك لا! والآن اعذرني لدي طعام على النار أخشى أن يحترق"

انحنت لورا فورا نحو كيس مشترياتي وهتفت في محاولة أخيرة منها: " انتظري يا خالة دقيقة فقط! أريد أن أريك ثوب راما لربما غيرت رأيك"

لكنها كانت متزمتة بقرارها فلم تعطي لورا مجالا وسارت نحو المطبخ قائلة: " لا داعي يا لورا لأن تتعبي نفسك لدي عمل"

أمسكت طرف فستاني الأزرق الذي ما زلت أرتديه وشددت قبضتي عليه لأحاول كظم غيظي، اقتربت مني صديقتاي وقالت لورا: " آسفة يا راما حاولنا جهدنا...."

قطع كلامها على صوت رنين هاتفها، فانتشلته من حقيبتها لتستقبل المكالمة: " أهلا أمي .... انتهيت من التسوق... أنا في بيت راما الآن.... أها!... حسنا أنا قادمة.... هيا يا سيلينا"

نهضت واقفة وأشارت لسيلينا بالنهوض أيضا وقالت: " علي أن أذهب يا عزيزتي لذا اعذريني، حاولي إقناع أمك مجددا وأبلغيني بما يحصل معك"

غادرتا بعد أن حاولتا طمأنتي إلى أنها ستلين مع الإلحاح وأن منعها هذا من باب خوفها علي فقط.

ألقيت نظرة نحوها حيث تقف أمام الموقد في المطبخ وهي توليني ظهرها وتتم طهيها للطعام، بينما أفكر في سري بطريقة لإقناعها لعلمي يقينا أنها لن تلين بسهولة.

لورا

- " أهلا أهلا.. يا لهذه المفاجأة!"

سرت في حديقة منزلنا باتجاه المقاعد الخشبية المخصصة للاسترخاء أمام بركة السباحة، حيث تستلقي أمي وإلى جانبها ... رنيم.

اعتدلت رنيم في جلستها ليلمع شعرها الأصهب تحت أشعة الشمس التي شارفت على الرحيل واستقبلتني بابتسامة مزيفة بقولها: " مرحبا يا لورا... مر زمن طويل منذ رأيتك"

- " سلامات! ماذا حصل لأمك؟"
- " لا داعي للقلق إنها بخير، أصيبت بجلطة في رجلها وستبيت أسبوعا في المشفى وبما أن أبي مسافر في رحلة عمل أصر عمي حيدر علي بالمكوث هنا حتى تخرج أمي بالسلامة"

أمالت رأسها إلى الجانب بخنج بسيط وقالت بينما تتصنع الإحراج: " آمم.. سمعت أنك مدعوة إلى حفلة ستقام على متن قارب هلّا أخذتني معك إليها؟"

تفاجأت من جرأتها العجيبة في طلبها هذا فسألتها مصعوقة: " من أين عرفت؟"

أشارت نحو أمي خلفها وأجابت ببراءة مصطنعة: " أمك قالت لي"

- " أها!"

قلتها بينما أتفحص ردود أفعال أمي المضطربة وهي تعدل نظاراتها الشمسية لإخفاء عينيها المرتعبتين عني.

شبكت باطن كفي ببعضهما وحافظت على تهذيبي قدر الإمكان بينما أرفض طلبها: " كان في ودي أن أصحبك معي... لكن للأسف لن تستطيعي الحضور إن لم يكن معك بطاقة دعوة."

أجابت بسماجة كأنها على علم مسبق برفضي: " آه لا بأس أمك قالت لي أنك تستطيعين تدبير بطاقة لي كما فعلت مع صديقتيك!"

ابتلعت غصة وحاولت كبح الإعصار الذي يهدد بخلخلة أساسات القصر، وأجبتها بينما أصر على أسناني: " بالطبع أستطيع تدبير بطاقة لك ولو! ... عادل اترك ما في يدك وأرشد الآنسة رنيم إلى غرفتها من فضلك!"

عادل شاب في منتصف العمر يقوم بعدة أعمال في القصر من اهتمام باللوازم الأساسية وغيرها، وحينما سمع هتافي له علم أن في طيات صوتي ثورة ما فرمى الدلاء التي كان يحملها وأسرع نحو رنيم ليقبض على حقائبها ويطلب منها بتهذيب أن ترافقه إلى الداخل.

انتظرت بصبر يحترق اختفاءها من ناظري حتى فجرت الإعصار كاملا في وجه أمي لأوجه لها العتاب بقولي: " حسنا أمي! ما كان هذا؟"

تظاهرت بالبراءة وتصنعت عدم الفهم، فأوضحت لها بقولي: " أنت تعلمين تمام العلم أنني لا أطيق هذه الأفعى ولا أمها الحرباء!"

اعتدلت أمي في جلستها ورفعت نظاراتها قليلا عن عينيها الخضراوين المحاطتين بطبقة كثيفة من الماسكرا وقالت بنبرة استعطافية لتخفف من غضبي: " لورا! أنا أيضا لا أطيقهما لكنهما من أقرباء والدك وتعرفين كم يحب أقاربه ويخلص لهم، علينا أن نصبر"

استلقت من جديد على المقعد لتسترخي فلم أتمالك نفسي وعقبت متهكمة: " هذا ليس ذنبي! لم يقل أحد لرجلها أن تصاب بجلطة!"

زفرت أمي مقدارا من الهواء كناية عن انزعاجها وقالت: " هل تسمعين نفسك؟ حبيبتي اصبري! لأسبوع فقط!"

<u>راما</u>

خرجت على أمي أحمل هاتفي بيدي وعلى وجهي ذاك التعبير المبهم ظاهره الاستياء ثم قلت: " حسنا أمي! أنت فزت"

كانت تقوم بتغيير ملابس وسيم حينما سمعت عبارتي فالتفتت نحوي متسائلة عن مقصدي، فزدت في قولي: " لن أذهب إلى الحفلة... لكن اعلمي أن سيلينا أيضا ليست ذاهبة؛ لأنها لا تريد التواجد وحدها بالقرب من صديقات لورا... لذا، اتفقنا أن أبيت عندها ليلة الخميس لتعطيني بعضا من الدروس في مادة الإحصاء... تعرفين أنني لست صحبة مع الرياضيات."

ثم أضفت بنبرة منخفضة مع حرصي على جعلها مسموعة لأمي: " على الرغم من أن فراس كان يمكنه أن يدرسني...."

حافظت أمي على صمتها وهي تتفحصني بعينين حادتين حازمتين، ثم دست على خوفي منها وسألتها متصنعة الشجاعة: " إذن.. هل توافقين على مبيتي عندها؟"

أشاحت بصرها عني نحو وسيم وقالت بهدوء: " حسنا موافقة، على شرط واحد.. لا تفتحي ثانية موضوع الحفل أمامي... والآن قومي بتجهيز مائدة العشاء."

ضغطت على شاشة هاتفي بينما أجيبها: " أعطيني ثانية حتى أبلغ سيلينا بموافقتك.."

كتبت رسالتي لسيلينا بهدوء وكان نصها كالتالي: " مرحبا سوسو أمي وافقت على ذهابي إلى الحفلة... نلتقي في بيتك ليلة الخميس للقاء لورا"

أرسلت رسالتي بينما أقيد ضميري عازمة على فعل ما أراه الصواب لي. آسفة يا أمي لن أسمح لأحد بالوقوف بيني وبين فراس مهما كلفني الثمن.

<u>لورا</u>

كم أعشق تلك الأوقات التي تجمعني بسمير وخصوصا عند تفرغه بالكامل لي؛ ففي الفترة السابقة لم يعد متواجدا حولي بما فيه الكفاية. كثرت أشغاله وأمسى يمضي وقتا أطول في مشروع التخرج الخاص به لدرجة لا تمكنني من رؤيته أحيانا لمدة أسبوع كامل. كما أن

رفقته لفراس ازدادت في هذه الآونة بشكل مزعج، فكل مرة أتصل به يخبرني أنه برفقة فراس، هذا إذا تلقى المكالمة من الأساس. أحيانا يمر يوم كامل دون أن أسمع صوته. لذا قرر اليوم أن يعوضني عن الفراغ الذي صنعه بغيابه المتكرر وأن يخصص لي جزءا من وقته. سمحت لنفسي أن أريح رأسي تحت ذراعه المستريح على مسند الأريكة من الخلف. أمال رأسه إلى الجانب قليلا فاستطاعت رائحة عطره العذبة التغلغل عميقا في إدراكي فأذابني بسحره. أخذت أصابعه تداعب ذراعي وهو يهمس لي : " إذن كنت أفكر أن نذهب في شهر العسل إلى أوروبا"

تحمست فورا للفكرة فسألته: " أووه! أين بالضبط ؟"

ابتسم بخبث مجيبا: " هذا سر.."

رفعت رأسي عن كتفه وتشبثت بوجهه بكلتا يدي وأخذت أرجوه بأن يخبرني وما زال هو يغيظني ويرفض إطلاعي، حتى هددته ألا يحصل على قبلته لهذا اليوم، طبعا لم يعجب بتهديدي له وأخذ يحاول التقرب مني ليقبلني وفي المقابل أدفع وجهه بعيدا مداعبة إياه. ووسط شجارنا اللطيف أطلت رنيم برأسهامن خلف الحائط، حيث أن الغرفة التي نجلس فيها لا باب لها، بل تتميز بمدخل مقوس مزين بعناية، وجلوسنا فيها كان بناء على رغبة والدي حتى لا يتسنى لسمير أخذ راحته معي أكثر مما ينبغي.

- " احم.. آسفة على المقاطعة."

شعرت بالاستياء من مقاطعتها جلستي الخاصة مع خطيبي من تظن نفسها؟ فحتى الخادمات يقمن بقرع الجرس تنبيها لي لقدومهن من أجل إكرام ضيفي، فحدجتها بنبرة ساخطة: " رنيم، يوجد شيء يسمى خصوصية"

ابتسمت ابتسامة صفراء لم تعجبني وأجابت: " ليس للغرفة باب.. ولو أردت خصوصية لذهبت إلى غرفتك... على كل حال أردت مناداتك لتناول طعام العشاء"

فاجأني سمير بسؤاله فجأة: " لورا؟ ألن تعرّفينا؟"

أشرت بضجر نحوها لمجاراته فقط قائلة: " هذه رنيم... والدتها ابنة عم أبي... رنيم هذا سمير خطيبي"

سمحت رنيم لنفسها بأن تخطو عتبة الغرفة لتقترب من حيث نجلس وقالت: " أعرف رأيته في حفل خطبتك"

ثم وجهت حديثها لسمير مردفة: " تعرف؟ لورا فتاة محظوظة لارتباطها بشاب مثلك"

لم يخطر في بالي وقتها بأن رنيم تتحرش بسمير، فغروري بنفسي غطى علي الحقيقة في تلك اللحظة، فعقب سمير على قولها: " سمعت؟ أنت محظوظة بي"

- " انتبه لئلا يكبر رأسك أكثر ولا تستطيع الخروج من الباب والآن هيا تعال لنتعشى"

بقي سمير واقفا خلفي ولم يسر معي فهتف لي معتذرا: " في الواقع لورا، أعتذر لن أتناول طعام العشاء معكم اليوم لدي بعض الأعمال بشأن مشروع التخرج"

- " يبدو أنك لم تسمعني جيدا، سأعيد عليك فافتح أذنيك لن تغادر البيت إذا لم تتناول العشاء معنا، والآن تحرك هيا!"

سبقته ناحية المخرج ولم يغب عن سمعي وصف رنيم لي بالمتسلطة وموافقة سمير على كلامها فاستدرت خلفي لأنبه عليه بالسير بدل الوقوف وتبادل الإهانات ضدي مع تلك الأفعى، لكنني فوجئت بهذا المشهد؛ رنيم تداعب خصلات شعرها الأصهب وهي تتغنج في وقفتها وتسبل عينيها له، بينما هو منحن إلى الأمام قريبا منها يضحك على شيء قالته متبعا كلامه بوصفها بالظريفة.

راما

- "سأسحقها هكذا كالحشرة!"

أجفلتني لورا حين ضربت بباطن كفيها بهذا الشكل بينما هيء إلي أنها نمت لها أنياب مشعوذة من شدة سخطها. حاولت سيلينا تهدئة انفعالها بقولها: " يا إلهي! اهدئي قليلا يا لورا!"

وأضفت بدوري باستياء: " نعم! نحاول التركيز هنا أرجوك يا لورا إذا لم أفهم الإحصاء لن تسمح لي أمي بالذهاب إلى الحفل"

لكنها كانت مغتاظة بشدة فزمجرت قائلة: " لو رأيتما كيف كانت تنظر إليه طيلة العشاء، لم تبعد عينيها عنه! جعلت كل لقمة تدخل فمي كالسم!"

لم ألحظ يوما أن ثقة لورا بنفسها يمكن أن تتزعزع بهذا الشكل فحاولنا تهدئتها وتذكيرها بمشاعر سمير نحوها وأنه متيم بها، لكن نظرات عينيها لا تبشر باستماعها لنا.

رن هاتف لورا ليقطع علينا حديثنا التشجيعي لها حينها تغير وجهها وأصبح قاتما أكثر، استقبلت المكالمة وقالت: " ماذا تقصدين بأنك هنا؟ ..... آخ.. حسنا انزلي السلالم وستجدينني في الكافتيريا"

أنهت المكالمة ونظرت نحونا محتدة وأردفت:

" speak of a divel! "[13]

عقب كلامها ظهرت فتاة صهباء عند الباب كانت جميلة ترتدي فستانا قصيرا وبدا عليها مظهر الثراء بشكل واضح ، ولوحت بيدها لتلفت انتباه لو را إليها، علمت يقينا أن هذه الفتاة هي رنيم.

---

[13] "بالحديث عن الشريرة"

اقتربت من طاولتنا قائلة: " ما هذه الجامعةالغريبة؟ يتصرف الفتيان كأنهم لم يلمحوا فتاة من قبل!"

أظهرت لورا تعابير اشمئزاز على محياها وهمست لنا قائلة: " طبعا هي لا تترك شابا إلا وتغريه بنظراتها ثم تتصرف ببراءة." ثم التفتت نحوها فهاجمتها باستفسارها: " كيف دخلت الجامعة؟"

- " أمن الجامعة أدخلوني ألم أقل لك قبل قليل كأنهم أول مرة يرون فتاة... والآن هيا انهضي أم نسيت وعدك لعمي حيدر باصطحابي في جولة في الجامعة؟"

نهضت لورا عن الكرسي في ذات الوقت وقع بصر الفتاة علي فأشارت إلي بيدها قائلة بمرح: " هيه! أنا أعرفك!"

أشرت نحو نفسي متعجبة وتساءلت: " أنا؟"

- " أجل! أنت التي وقعت في حجر سمير في حفل الخطوبة.. كانت حركة جريئة من قبلك لتلفتي نظره!"

سرعان ما احتقن وجهي بالدماء وشعرت بالدم يغلي في عروقي فهاجمتها لأستبسل بالدفاع عن نفسي: " ماذ؟ كان حادثا! لم أفعل ذلك عن قصد أنا لست معجبة بسمير!"

أجابتني بمكر: " هل تقولين أن سمير قبيح وغير جذاب؟"

ازداد احتقان وجهي وشعرت كأن عيناي ستنفجران من شدة اشتعالي، فأجبت بإحراج طاغ: " لم أقل ذلك! ءءء... عنيت... سمير وسيم ... وجذاب. لكن... لكنه طويل لسان وليس من نوعي.... آسفة يا لورا"

صرفت لورا الأمر بتلويح يدها مجيبة لتطمئنني: " إه.. لم أعتبرها إهانة، فهذه الصفة من أجمل صفاته بالنسبة لي"

التفتت نحو قريبتها وتابعت: " يكفي نقاشا وتوقفي عن استفزاز راما اتركي البنت بحالها.... سلام يا صبايا أراكما لاحقا."

قبضت على كأس العصير البلاستيكي أمامي وعضضت على القشة وأنا أهتف بخفوت: " حقيرة! إذا وكزتها ووقعت ميتة هل أعتبر قاتلة وقتها؟"

أجابت سيلينا بحذر: " نعم تعتبرين!"

دخل إلى الكافتيريا شاب أصهب بدا لي مألوفا بصحبة شاب آخر وفتاة، لوحت الفتاة لسيلينا بمرح وردت لها سيلينا التحية، لكن ما لفت نظري أن الشاب الأصهب كان ينظر نحو سيلينا متفحصا مع ابتسامة خفيفة شقت ثغره ولمحت حمرة طفيفة تزين خدوده الناعمة.

بدا لي أن سيلينا لم تنتبه إليه فكانت تحدثني عن الفتاة حيث أنها تدعى تمارة وتتشاركان معا محاضرة –الأدب والمسرح– ، وأثناء حديثها ومض في مخيلتي هوية الشاب؛ فهو أحد أصدقاء فراس المقربين، كثيرا ما كنت ألمحه قربه ويشجعه في الملعب يدعى أوس أو ما شابه. لكن هل هو معجب بسيلينا؟ أم هيء إلي ذلك؟ على كلٍّ لم أشأ الحديث في موضوعه لئلا أتسبب بالارتباك لها فهي خجولة وقليلة خبرة في التعامل مع هذه المواقف، كما أنني لست متيقنة مما لمحت.

لورا

دعا والدي سمير معنا لتناول طعام العشاء في الخارج، بصحبة رنيم أيضا،جلست على طرف سريري وما زلت أتدثر برداء الاستحمام حينما دخلت علي أمي فتساءلت باستهجان: " لورا! ألم تلبسي بعد؟ أسرعي سنتأخر عن الحجز"

التفتّ نحوها بوجه حزين ووجهت سؤالي إليها مباشرة دون مقدمات: " أمي، هل يجب أن نصحبها معنا إلى العشاء؟ لا أريد تواجدها بالقرب من سمير"

رق حالها لي خصوصا بعدما شكوت لها محاولة رنيم التقرب منه، اقتربت مني وجلست إلى جانبي ومسحت على كتفي مطمئنة، وأردفت: " حبيبتي، لا نستطيع تركها وحدها في المنزل، هذا تصرف معيب، هيا الآن قومي والبسي سننتظرك في الأسفل"

أخذنا نستطلع قائمة الطعام الخاصة بالمطعم، كنت أجلس بجانب سمير وإلى يساري أمي أما تلك الأفعى فكانت تجلس مقابل سمير تماما، رسوت في النهاية على طبق الجمبري المشوي، أما سمير فاختار أن يأكل الفيليه مع صوص الليمون، فأسرعت رنيم برمي تعليقها قائلة بغنج: " يا إلهي! كنت سأطلب هذا الطبق للتو!"

اتكأت بمرفقها على الطاولة وبدأت تداعب نهايات خصلات شعرها وأضافت: " هل لاحظت كم أن ذوقينا متشابهان؟"

عقب سمير بتهذيب: " صدفة عجيبة صح؟"

بينما تلوى لساني بتعليق ساخر: " عاشت الصدف!"

في أثناء انتظارنا للأطباق حاولت رنيم نبش بعض المعلومات عني وعن سمير فسألت بنبرة فضولية: " صحيح، أنا لم أسألكما؛ متى ستتزوجان؟"

أجابها سمير: " قررنا أن يكون حفل الزفاف في شهر حزيران أو ربما في آب"

أصابها الفضول أكثر فأضافت إلى قائمة استفساراتها: " ومتى تتخرج من الجامعة؟"

- " هذا الفصل الأخير لي، إنني أعمل الآن على مشروع التخرج"

لم ترحني أسئلتها هذه ولم أتنبه إلى أين تريد الوصول من استفساراتها. قطع علي أبي حبل أفكاري حينما لمح بالصدفة تواجد عائلة فراس في المطعم إلى الطاولة المجاورة فنبه أمي بقوله: " عزيزتي، إنهم عائلة شريف"

ثم لوح للسيد عدنان مرحبا، ولأن أبي رجل يهتم باللباقة ووضعه الاجتماعي مع الآخرين فقد نهض واقفا وهو يهتف لأمي: " انهضي يا سناء حتى نرحب بجيراننا عن قرب عيب أن نراهم ولا نصافحهم باليد"

استأذن مني سمير للنهوض معهم ليتحدث مع فراس قليلا، حبا بالله! ألا يشبع من فراس؟

والد فراس كان قد أجرى عملية قسطرة للقلب منذ فترة وأراد أبي الاطمئنان عليه، أما فراس فيبدو أنه جاء معهم مرغما على العشاء، فهو بطبيعة حاله لا يهوى الجلسات العائلية بل يفضل ركوب الدراجة النارية ولعب الكرة، شاب طائش! لا أرى سببا يجعل راما تهيم به، إن كانت تبحث عن المظهر فأنا لا أختلف معها بكون فراس وسيم الطلة لكن إيان يتمتع بوسامة وجاذبية أكبر، كم يغيظني أنها تدفعه بعيدا من أجل هذا الصعلوك، إيان هودج لقطة وأي فتاة تتمناه، هداك الله يا راما.

كانت رنيم المزعجة تلاحق سمير بعينيها ولم تسمح لأي حركة يقوم بها بأن تغيب عنها، خلقت لنفسها قوقعة خاصة وهي تراقبه متجاهلة كمية الوقاحة بتصرفاتها المزعجة، أنا في العادة لا أغار على سمير لثقتي بما أملك من مقومات ولأنني أنجح في دب شعور الانحطاط في نفس أي فتاة تحاول النظر إليه، لكن هذه الوقحة أجادت لعب دورها ببراعة، استطاعت بكل قوة سحب لسانه ليتحدث معها ويشاركها المزاح والضحك، مع أنه لا يميل للحديث مع النساء عادة.

حدجتها بنظرات ثاقبة لكنها لم تتنبه إلي كونها منشغلة بمراقبة خطيبي، وأنا لا أحب اللف والدوران ولا أجيد التملق لأكثر من خمس دقائق ليس من عادتي أن أتنازل عن حقي في شيء فكيف لو كان سمير؟

لذا أخيرا نطقت فهاجمتها دون مقدمات: " توقفي عن النظر إليه؟"

لا أدري إن نجحت في مهاجمتها أو أنها سارت في مركب تمثيلها للبراءة فتساءلت ببهتان: " عفوا؟"

هنا كان لا بد من وضع النقاط على الحروف فأردفت غير مكترثة لوقع كلامي مهما بدا ثقيلا: " اسمعي يا هذه، أنا لست من النوع المتملق وحين ألمح الخطأ أقوله صراحة دون تلاعب بالألفاظ، ولا أستطيع التظاهر بمحبة من لا أطيقه، أعرف تمام المعرفة أنك تحاولين سرقة سمير مني والتلاعب بعقله ليهيم بك، لكن دعيني أوضح لك هذه المعلومة، سمير خطيبي وحارب من أجلي سنتين ليرتبط بي فلن يتخلى عني بسهولة من أجل فتاة مثلك، لذا خذي بنصيحتي وحاولي إغواء غيره فهو لن يلتفت إليك أبدا"

ضحكت ببرود وأجابت متصنعة البراءة: " لورا، بم تهذين؟ توقفي عن قول الحماقات"

قاطعتها محتدة: " اختصري العناء علي وعليك، أنا أعرف أنك لست بريئة وإنما أفعى سامة وتسعين للحصول على ما هو ليس لك، عيب عليك تتظاهرين بمحبتي وتحاولين هدم زواجي؟ لست غبية، بل أفهم جميع الحيل فأنا أيضا فتاة وعلى اطلاع بكيد النساء!"

ابتلعت ريقها لوهلة وهي تطالعني مبهوتة للحظات، لكن سرعان ما بان وجهها الآخر وطبعت على شفتيها ابتسامة سمجة لئيمة، تبدلت نظراتها كأنها شيطان تم استحضاره من العالم السفلي.

اتكأت على الطاولة بمرفقيها وأراحت ذقنها على أصابعها المتشابكة وبدأت ببث سمومها وهي تهمس لي كفحيح الأفعى: " تعرفين أمرا يا لورا؟ أكره أن أدمر عالمك الخيالي المزكش بخرافات الحب، لكن أعتقد أن زواجك من سمير لن يتم"

- " يا لك من مختلة! هل تظنين أنه بوسعك سرقته مني بهذه السهولة؟"
- " عزيزتي! لا يد لي في الموضوع، زواجك بسمير لن يتم لأنه ببساطة لا يحبك!"
- " هل تتوقعين مني تصديق تخاريفك؟"

ضحكت بخفوت ضحكة سمجة ثم قالت: " آه يا لورا، أنت لا ترين إلا ما تريدين رؤيته، الأمر واضح في أعين الجميع حتى صديقاتك، لكن لا أحد يجرؤ على إخبارك بهذا بسبب تسلطك الدائم، الدلائل مزروعة أمامك لكنك تتظاهرين بعدم انتباهك إليها، فمثلا هو سيتخرج هذا الفصل من الجامعة وهو غني أصلا ووظيفته مؤمنة في شركة والده، فما الداعي لتأجيل الزفاف حتى الصيف؟ لا أرى مبررا"

أردت مقاطعتها لكنها تابعت قبل أن تعطيني فرصة للرد: " بل لم يرسو على بر في موعد الزفاف، وعندما سألتك عن شهر العسل قلت لي أن سمير أبقى الموضوع سرا، حقا سر؟ أم أنه لا يوجد من الأساس شهر عسل؟ عدا عن محاولاتك الفاشلة بالاتصال به فإما أن يكون هاتفه مغلقا أو يرفض المكالمة، وأوضحت أمامي أنها ليست أول مرة! من يمتلك الجرأة لمعاملة مخطوبته بهذا الشكل؟ وخصوصا ابنة حيدر عثمان؟ إذا كان هكذا في فترة الخطوبة فكيف بعد الزواج؟ كما أنه لم يعطك مبررا مقنعا لعدم تواصله الكافي معك، أنت قلت بلسانك أنه تغير في الآونة الأخيرة. ثم لا أدري لماذا لدي هذا الإحساس غير المطمئن لكنني أشعر بأن لصديقه ذاك يدا في تجاهلك فهو لا يبدو لي سويًّا، مظهره يوحي بأنه شاب أزعر والصاحب ساحب، ربما ما سمعته في الأمس لم يكن مجرد تخيلات مني، لم أجرؤ على

إخبارك لكنني أظن أنني سمعته يتحدث على الهاتف عقب العشاء في الأمس عن مراهنة مع أحد ما ونجاحه في إيقاعك وأنه يريد مكافأته اللذيذة، ربما كان الرهان مع صاحبه هذا وربما كانت مكافأته بأن يعرفه إلى الفتيات ويقضيان وقتهما بالسهر والسمر وربما التلذذ بالمحرمات. أوليس هذا الشاب هو ذاته جارك الذي لا تطيقنه؟ كيف طاوعته نفسه بمصادقة أشد الناس عداوة لك؟ أليس من المفترض أن تكوني رقم واحد في حياته؟ ومع ذلك اختار أن يذهب إليه ويتحدث معه مع العلم أنه كان برفقته اليوم وسيلقاه غدا في الجامعة! أكل هذا الود له؟ أم لحجز موعد مع فتاة هوى بعد العشاء؟ رأيت؟ لا داعي لأن أتدخل في علاقتك معه فهي متزعزعة مرأى العين"

كمية اللؤم والحقد في كلامها أخرجتني من طوعي وما جلب لي القشة الأخيرة هو تعليقها الأخير: " الخسارة صعبة صح يا لورا؟"

أمسكت بكأس الماء الموضوع أمامي ودون تفكير رشقتها به فدوى صوت صراخها فجأة في أرجاء المطعم. تنبه أبي إلى تصرفي غير اللبق فصرخ مهتاجا: " لورا! ما الذي فعلته يا بنت؟"

ووصل إلى مسامعي ضحك ذاك الأرعن فراس وهو يهتف: " واو! هذا مشهد لا نراه دائما!"

نهضت عن المائدة وسرت مبتعدة بسرعة لأخرج من المطعم وأعود إلى البيت في سيارة أجرة بعد البلبلة التي تسببت بها.

....

هتف السيد حيدر لابنته لأن تعود وتعتذر إلى قريبتها بعد الفضيحة التي تسببت بها له أمام كل من في المطعم لكنها تجاهلت أمره وتابعت هرولتها خارجا، هتف لها سمير بدوره

ليلحق بها لكن رنيم أوقفته وهي تقول له بنبرة حزن مصطنعة: " انتظر سمير! لورا لم تقصد أن تفعل ذلك بي، هي فقط متضايقة من صديقتها الشقراء"

تعجب سمير لكلامها فحسب علمه أن علاقة لورا براما طيبة وهي لم تشكو له شيئا عن أي مشاكل بينهما مؤخرا. كما أن لورا ليس لديها صديقة شقراء عدا راما.

لورا

كنت جالسة على أرضية غرفتي بعدما غيرت ملابسي وذلك لأنني مزقت ثوبي، فذاك الثوب الجميل الذي ارتديته على العشاء الليلة أهدانيه سمير في عيد ميلادي السنة الفائتة، كنت قد أخذت أربط بجميع الأحداث مع بعضها، كيف لم أتنبه إلى شيء مما قالته رنيم قبل الآن؟ ولماذا لم تنبهني راما وسيلينا؟ في كلام رنيم منطق، سمير لا يجيب على اتصالاتي، كما أنه أصبح يظهر ضيقه من تصرفاتي في الآونة الأخيرة وحتى الآن لم يقم بحجز فندق لإقامة الفرح فيه. عدا عن ذلك فمصاحبته لفراس وشلته المزعجة المخلوطة بالفتيات التافهات زادت أكثر من السابق، هل يعقل أنه وقع في الحرام؟ ربما تلك القذرة جولي استمالته لأن نرجس، إحدى صديقاتي، نبهتني منها مرة وقالت لي أنها معجبة بسمير. ربما فراس عرفه عليها، فهو يكرهني ولن يهمه أن يخونني بل ربما هو من شجعه على خيانتي معها. تذكرت أمرا آخر ، حينما كنت مع سمير مرة لمحها من بعيد ولوح لها مرحبا. لم آخذ بتصرفه ذاك لأنني ظننته يعاملها بود كونها صديقة فراس. يا إلهي سأجنّ لقد استغفلني الجميع.

أجفلت على صوت طرق الباب بخشونة، فتنبهت إلى عودة أهلي من المطعم حيث جاء صوت أبي من الخارج وهو يهتف لي: " لورا! افتحي الباب! هل جننت بتصرفك هذا؟ فضحتيني أمام الناس! ماذا سيقول عني أقاربي إن علموا بما فعلته برنيم؟!"

أهذا وقتك ووقت أقاربك؟! تجاهلت عتابه لكنني سمعت صوت سمير يخاطبه من خلف الباب: " عمي اهدأ، اتركني لأتكلم معها وأفهم منها"

أقنعت أمي والدي بأن يتركاني مع سمير ليتفاهم معي، وما إن اختفى صوت أبي حتى فتح سمير باب غرفتي بعد طرقه عليه مرة.

أطل رأسه من خلف الباب هاتفا باسمي فصرخت به ليخرج، لكنه تجاهل أمري ووقع بصره على الفستان الممزق أرضا فشهق مصعوقا وقال: " لما مزقت الثوب؟"

صرخت به وسط دموعي التي غسلت وجهي: " قلت لك اخرج من هنا! أنت بالذات لا أريد رؤيتك!"

عضضت على شفتي وأكملت بينما أبكي بحرقة: " أنت منافق وعديم أصل! كشفت لعبتك خدعتني وخدعت أهلي، جعلتني أقع في حبك، خسارة فيك المحبة."

- " بم تهذين يا لورا؟"
- " أعرف أنك تراهنت علي مع فراس لتوقعني في شباكك، تريد الارتباط بابنة حيدر عثمان لتوسيع نطاق عمل والدك.... يعني دخلت علينا طمعا لا محبة"

فتح عينيه مصدوما لكنه اختار عدم الدخول في نقاش معي فأجابني: " أنت تتكلمين من غيروعي لذا سأغادر قبل أن تتفوهي بالمزيد من الحماقات وعندما تهدئين اتصلي بي"

- " أها! ستهرب!"
- " لن اهرب، فقط لن أجادلك وأنت غاضبة"
- " ماذا إذن؟ تأخرت عن موعدك مع جولي؟ لا بد أنها باعت جسدها الرخيص لك"

شهق سمير غير مصدق لما قلت وصرخ بي: " لورا، هذا الكلام عيب!"

فهاجمته دون اكتراث بما قال: " إذن اترك صداقتك بفراس وسأصدق بأنك بريء"

- " بريء من ماذا؟ وما شأن فراس في كل هذا؟"
- " لن تغادر حتى تختار، إما أنا أو فراس!"
- " هل جننت؟ لن أختار بين مخطوبتي وبين صديق طفولتي!"

نهضت غاضبة ودفعته من صدره بغل وأردفت: " إذن أنت تعترف بأنك خسيس وخائن! تخاف إن قطعت علاقتك به ألا تتعرف على فتيات الهوى! لهذا تتصرف بغموض وتختفي طيلة الوقت! فعلا كل من يتعرف على فراس يصبح نذلا وأنت أثبت لي أنك واحد منهم!"

أمسك بيدي ودفعني بعيدا عنه ففقدت توازني ووقعت جالسة على سريري ثم هاجمني وقد طفح به الكيل: " هذا يكفي يا لورا! منذ اللحظة التي دخلت فيها غرفتك وأنت تذمينني بقبيح العبارات، ليست هذه الطريقة المناسبة لتحدث المرأة زوجها المستقبلي، تريدين مني فك الغموض؟ حسنا سأقول، أنا أعمل ارتحت! أعمل مع إيان في شركته مؤقتا ريثما أتخرج لأستلم العمل مع أبي، إن كنت لا تصدقيني فاسأليه! وهل تعرفين لماذا أعمل؟ حتى أقيم لك حفل زفاف أسطوري لم تشهده عروس من قبل ولأؤمن ثمن التذاكر لشهر العسل على نفقتي أنا لأنني أردت إدخال السعادة على قلبك فأنا أعلم أنك تهتمين بهذه الأمور، أردت لكل شيء أن يكون مثاليا، لهذا أضطررت للكذب عليك وإخبارك أنني برفقة فراس في أغلب الأحيان!"

أخفض صوته هذه المرة محافظا على نبرته المستاءة: " وفوق ذلك تتهمينني بالخوض بالحرام؟ أنت أدرى الناس بي وتعلمين أنني لا أصافح الفتيات باليد، جريت خلفك سنتين وأنا أرجو أباك أن يقبل بي وتخطيت جميع اختباراته، ليس لطمع في أمواله فلست بحاجة للمال! لو أردت مالا لتزوجت شقيقة إيان! لكنني كنت طامعا بقلبك أنت لأنك سلبت

إحساسي، وبكل وقاحة تملين علي من أصادق؟ أتعلمين؟ هذه أول مرة في حياتي أشعر فيها بالاشمئزاز من النظر إليك!"

جاءت عبارته الأخيرة كريح عاصفة اقتلعت طعم الحياة من قلبي وتركني غارقة وسط بهتاني وغادر دون أن يزيد حرفا.

الفصل التاسع

لورا

- [الهاتف المتنقل المطلوب مغلق حاليًّا، الرجاء المحاولة فيما بعد]
- " يا الله!"

كنت قد شارفت على فقد أعصابي، ولا أعرف كم اتصالا أجريت حتى الآن به وما زال هاتفه مغلقا.

فتح باب غرفتي على مصراعيه وأطلت من خلفه كل من راما وسيلينا وهما تحملان القلق على محياهما، وهتفت لي راما من فورها: " لورا، يا عمري!"

وعقبت سيلينا: " هل أنت بخير؟"

تفاجأت من زيارتهما لي في وقت مبكر كهذا علما أننا لدينا دوام اليوم وسألقاهما في الجامعة، فتساءلت مصدومة: " ماذا تفعلان هنا؟"

أجابت سيلينا: " أمك اتصلت بنا فجئنا من فورنا"

أضافت راما: " ما الذي حصل في الأمس؟ لماذا تشاجرت مع سمير؟"

قطعت التواصل البصري لألقي نظرة على هاتفي وأجبت والدمعة تكاد تهدم حصوني: " تلك المشعوذة رنيم! سممت رأسي وتمكنت من إلقاء وساويسها علي ضد سمير ومن غبائي صدقتها وتشاجرت معه شجارا عنيفا، أهنته بشكل متواصل حتى انفجر!"

أخيرا استسلمت لبكاء مرير فغطيت وجهي بكفي وهدرت بلا توقف: " يا رب لم أنم الليلة أبدا بينما أحاول الاتصال به لكن هاتفه مغلق حتى الآن، ما الذي فعلته؟ لقد خسرت سمير!"

قفزت صديقتاي على السرير وسارعتا بعناقي لتخففا عني وقالت راما بسرعة لتحاول طرد الهواجس السيئة من بالي: " لا يا حبيبتي لا! لم تخسريه!"

أردفت سيلينا بدورها: " مهما كانت المشكلة بينكما فلها حل، سمير عاقل وطيب القلب ويحبك كثيرا سيسامحك بالتأكيد"

- " أما بالنسبة لتلك الأفعى سوف نكزها حتى تقع ميتة ونرتاح منها "

نظرت سيلينا نحو راما وأنبتها قائلة: " راما!"

- " ماذا؟"

جلستا أمامي وابتسمتا لي ابتسامة مشجعة وقالت سيلينا: " لورا اسمعي، أنت فتاة قوية ولست انهزامية هكذا أعرفك، لا تسمحي لأي شيء بكسرك، لذا قومي واغتسلي وغيري ملابسك لتذهبي معنا إلى الجامعة لنبحث عن سمير. ولن نتركك حتى تتصالحي معه"

نظرت نحوهما بعينين دامعتين وأنا أتفحص ملامحهما، من بين جميع صديقاتي فإن راما وسيلينا هما الأكثر إخلاصا وتحبانني لنفسي دون شروط أو مصلحة، سألتهما من باب التأكيد لما سمعت: " هل حقا ستأتيان معي؟ ستساعدانني؟"

ابتسمت سيلينا مطمئنة: " بالتأكيد"

أكدت راما على قولها: " لن نتخلى عنك في موقف كهذا"

إنهما فعلا صديقتان حقيقيتان، تمكنتا بكل قوة من زرع ابتسامة أمل على وجهي، فتحمست لوعدهما وقمت أتجهز للذهاب إلى الجامعة.

راما

توجهنا إلى ملعب الجامعة لنبحث عن سمير هناك، حيث من عادته مشاهدة فراس وهو يلعب كل صباح، أعلم أنني يفترض بي التركيز على مهمتي بمساعدة لورا بالتصالح مع

خطيبها لكنني لم أستطع منع نفسي من استراق النظر نحو فراس وهو يجري مع أصحابه خلف الكرة، آه يا رب هل يزداد وسامة كل يوم يمر أم أنني أتخيل ذلك؟

لم نجد سمير في المدرجات لكننا قررنا التوجه إلى المقاعد التي يجلس عليها أصدقاؤه لتسأل لورا عنه، حينما وصلنا كنت أحاول التركيز معها بينما عيناي مركزتان على فراس تارة وعلى صديق سمير تارة أخرى. سألته لورا بوجل: " صباح الخير يا أوس، هل تعلم أين سمير؟"

ابتسم لها أوس ابتسامة ناعمة تتلاءم مع طبعه الهادئ وأجابها: " أنا آسف لا أعرف، حاولت الاتصال به صباحا لكن هاتفه مغلق، هل كل شيء على ما يرام؟"

تصنعت لورا ابتسامة غصبا عنها وأجابته نافية وجود أي خطب. لم أستطع عدم ملاحظة أن أوس ينظر نحو سيلينا خلسة بين الثانية والأخرى، هل شكّي في مكانه الصحيح؟ لكن بدا لي أن سيلينا غير واعية لهذا الأمر.

سمعت فجأة صوت فراس يخطف خفقة من قلبي ويعيد انتباهي إليه بعيدا عن مواضيع لورا وسيلينا حينما هتف للورا من بعيد: " صباح الخير يا قطة! كيف هي قريبتك بعد استحمامها البارحة في منتصف المطعم؟ أوصلي تحياتي إليها وأخبريها أن المطعم يحتوي على الكثير من المناشف في المرات القادمة"

يا إلهي ما أظرفه! كم يجيد انتقاء نكاته! غضبت لورا من تعليقه الساخر وأجابته مغتاظة: " حينما أنهي كل شيء عالق في رأسي سيأتي حسابك أيها التمساح!"

دوت ضحكته في أرجاء الملعب وبدأ في إثارة غيظها بتقليد مشهد سكب الماء على رنيم لينال ضحكات أصحابه من حوله.

أسرعت سيلينا بجر لورا لتخرجها من الملعب ونبحث عن سمير في مكان آخر قبل أن تهدر طاقتها على فراس بينما أحاول كبت ضحكاتي لئلا أثير استياءها أكثر، يا رب ماذا أفعل؟ كل فعل يخرج من فراس يكون ظريفا حتى لو لم يكن قاصدا، هذا الشاب عبارة عن قطعة حب تمشي على الأرض، ظريف ولطيف!

سيلينا

أصرت علينا لورا أن نتابع محاضراتنا حتى لا يفوتنا شيء مهم، مع أننا حاولنا الرفض لمساعدتها في البحث عن خطيبها، ومع ذلك وقع أمرها كالسيف علينا.

خرجت بعد الانتهاء من محاضرتي الأخيرة وهاتفت راما وأعلمتها أنني في طريقي إليهما حيث تنتظراني عند البوابة الشمالية للجامعة قرب سيارة لورا.

سمعت صوت تمارة تناديني فتوقفت عن المسير والتفتّ خلفي. كانت تركض باتجاهي وهي خارجة من باب القاعة فأسرعت بالتوضيح لها: " آسفة يا تمارا، لقد حجزت لك مقعدا بجانبي لكنك تأخرت وتلك الفتاة جاءت وأحرجتني..."

قاطعتني مبتسمة: " لا عليك، لم أنادك لهذا الأمر، أريدك في موضوع مهم هل أنت مستعجلة؟"

أجبتها محرجة: " في الواقع صديقتاي تنتظرانني لأمر مهم"

أشارت لي بيدها تفهمها للأمر وقالت: " إذن سأتكلم بسرعة... ثمة شاب"

قاطعتها فورا بقولي: " آم... أنا لا.."

- " اسمعيني حتى النهاية، ثم قرري. هذا الشاب يبحث عن عروس بشكل مستعجل، لا يشترط فيها مواصفات معقدة، فقط يريدها طويلة ونحيلة وهادئة وبريئة، ومن أكثر براءة ونعومة منك؟ إذن ما رأيك؟"

لست متأكدة من رغبتي في استقبال عرسان في هذه الفترة، قلبي لم يبرأ من شعوره المجروح من إيان، فسألتها من باب التهذيب: " هل هو من أقاربك أو معارفك؟"

أجابتني مبتسمة: " لا لا، أنا لا أعرفه هو زميل خطيبي في مشروع التخرج، لكن حسب وصف خطيبي فهو لقطة"

أخذت نفسا عميقا ورسوت على إخبارها: " دعيني أفكر في الموضوع"

استدارت مبتعدة وقالت لي وهي تودعني: " حسنا عندما تقررين اتصلي بي على الفور، اتفقنا؟"

عريس؟ زواج؟ هل يمكن لارتباطي بشاب آخر أن يساعدني في تخطي مشاعري تجاه إيان؟ لكن أليس تصرفا خاطئا أن ألزم نفسي بإنسان لأنسى آخر؟ إيان ليس مجرد حب عابر وجدته في طريقي، لقد أحببته منذ فترة ليست بالهينة ولن يكون سهلا علي نسيان أمره بهذه السهولة، لكن إلى متى سأبقى أرثي قلبي المحطم؟ ما بك يا سيلينا تتحدثين كأنك ستتزوجين الآن؟ ماذا لو لم يجدني العريس أهلا له من الأساس؟

وصلت إلى خارج الجامعة حيث تقف راما ولورا بجانب السيارة بانتظاري، سمعت صوت راما تحدث لورا بوصولي. شعرت الأخيرة باضطرابي فسارعت بسؤالي: " ما بك؟ تبدين شاردة؟"

ترددت فيما إذا كان علي إخبارهما أم لا، لكنني قررت مشاركتهما الأمر فقلت بشكل مبهم: " تمارة، زميلتي في المحاضرة، ترغب في أن تدل علي عريسا ما"

تساءلت راما بفضول: " وماذا كان ردك؟"

أجبتها: " لم أعطها جوابا، أردت التفكير في الموضوع أولا"

هزت لورا رأسها وقالت: " مهما كان جوابك فلا تتسرعي، وأعطي الإجابة بناء على قناعتك في رغبتك بالارتباط أم لا، أنت صغيرة والفرص أمامك كثيرة لا تنسي ذلك"
لورا تتحدث عن الموضوع كأنه شيء عادي غير مهم، فهي مخطوبة وضمنت دورها في الزواج، أما راما لا يخلو بيتهم من دخول العرسان عليهم وفي كل مرة ترفض، بسبب أو بغير سبب لكنني أعلم أنها ترفض بسبب فراس.

أما بالنسبة لي... من النادر أن يدخل أحد بيتنا للتقدم لطلب يدي، لا معارف لدينا ونحن لا نختلط كثيرا بأقاربنا، دائرة معارفي محدودة تكاد لا تتخطى أمي وأخي وراما ولورا.

صعدنا في سيارة لورا باتجاه بيت أهل سمير كما أعلمتنا بوجهتها قبل أن تبدأ القيادة، وكنا عازمات على مساندتها لآخر نفس.

حينما وصلنا تفاجأنا بعدم وجوده في المنزل، وكانت الصاعقة الكبرى لي حينما أعلمتنا مدبرة المنزل عن تواجده في منزل إيان.

عند هذه النقطة بالذات التفتت نحوي لورا وراما تنظرن إلي بقلق، لكنني حاولت تبديد اضطرابهما فقلت بعزم: " لورا أنا وعدتك أن أذهب لمساندتك أينما كان وسألتزم بوعدي لك"

أجابتني والقلق لا يغادر صوتها: " سيلينا لست مضطرة حقا"

قاطعتها متظاهرة بالقوة: " لا، لا بأس. قلت لكما سابقا أنا تخطيت مشاعري تجاه إيان"

حاولت لورا أكثر من مرة التأكد من قابليتي لرؤية إيان وربما التحدث معه حتى، لكنني كنت مصرة، فلربما إذا أرغمت نفسي على رؤيته قد أتمكن من طرده من قلبي فعلا.

غادرنا بيت أهل سمير. لم يكن في البيت أحد عدا مدبرة المنزل والخدم، فوالده وإخوته في الشركة وأمه مسافرة في رحلة عمل. قادت لورا السيارة متجهة إلى بيت إيان وقلبي يخفق

بشدة، وصلت إلى طريق راقٍ شبه خال من الناس وتزينه من جانبيه قصور فخمة، كنت أنظر إلى القصور من كلا الجانبين وأنا أتساءل في سري عن أيها هو بيت إيان.

توقفت لورا عن القيادة وأشارت إلى جانبها قائلة: " ها قد وصلنا"

فغرنا أفواهنا كالساذجتين ونحن نتأمل المنظر الذي سلب منا عقولنا لوهلة حتى نطقت راما أخيرا: " هذا ليس منزلا وإنما قلعة!"

أردفت بقولي: " أهو ثري إلى هذه الدرجة؟"

كان المنزل ضخما بشكل لا يصدق ومحاط بحديقة عملاقة مخبأة بأسوار عظيمة الارتفاع. لم تكن لورا مصدومة فهي على علم بوضع إيان فكما فهمت منها أن علاقته بذويها طيبة ويتبادلون الزيارات فيما بينهم.

أجفلنا صوت فتاة جاء من العدم وهي تقول: " Exuse me"[14]

التفتنا ناحيتها وما زال الذهول مطبوعا على وجوهنا فظنت المسكينة أننا ارتعبنا منها فابتسمت بحياء وقالت:

"I'm sorry did I scare you? How can I help you? "[15]

أجابتها لورا بحذر: " آآمم... أنا أبحث عن شخص يدعى سمير..."

لوحت الفتاة بيدها معتذرة قائلة:

[16]" pardon me, I don't speak Arabic but did you say Sameer?"

---

[14] عفوا

[15] " آسفة، هل أرعبتكن؟ كيف لي أن أساعدكن؟"

[16] " عذرا، لا أتكلم العربية، لكن هل قلت سمير؟"

هزت لورا رأسها متفهمة، وعرفتها بنفسها، ابتهجت الفتاة وأعلمت لورا بمعرفتها لسمير فهو صديق شقيقها إيان، مما أثارت دهشتنا، أعلم أن له أخوات، لكنني لم أعرف أنهن يعشن هنا.

أخبرتها لورا بأنها علمت أنه متواجد في بيت إيان وجاءت للبحث عنه، فأصرت علينا الترجل من السيارة وملاقاته في الداخل، رفضنا فورا وطلبت لورا أن يخرج إليها هنا، وبعد نقاش عقيم بينها وبين لورا تمكنت من إحراجنا ووجدنا أنفسنا نتخطى العتبة المحاطة برجال الحراسة وسرنا خلفها في حديقة إيان الكبيرة.

كنت أتأمل سحر هذه الفتاة فأنستني لوهلة جمال المنظر من حولي، أخته كانت شقراء مثله لكنها تمتلك عينين عسليتين وليستا زرقاوين مثل عينيه، لها قامة طويلة وقوام ممشوق، ربما تمارس التمارين الرياضية لهذا تتمتع بانحناءات جميلة.

أما بالنسبة للحديقة، فقد كنا نسير في ممر مبلط بالرخام الأبيض وتحيطه من جانبيه حديقة خضراء ملأى بالأشجار والورود الجميلة، في أثناء سيرنا لمحنا نافورة جميلة تتوسط الباحة الخارجية للقصر، لكنها لم تسر بنا باتجاه بوابته بل تابعت سيرها في الممر الطويل وكذلك تبعناها حتى أصبح مبنى القصر خلفنا، نزلنا سلمين حجريين ثم انعطفت بنا يسارا، التفتت نحونا وأعلمتنا أن شقيقها الآن في المسبح.

ازداد خفقان قلبي من لقائه الآن وقد اقتربت اللحظة ولا يفصلنا عن رؤيته إلا شجرة عملاقة في الطريق، نظرت إلى راما ولورا وبدا عليهما الارتباك أيضا، هتفت أخته بمجيء زوار له وسرعان ما لاحظت احمرار وجهي كل من لورا وراما، ولم أفهم ما حلّ بهما إلا حينما اقترب من خلف الشجرة التي تفصلني عن رؤيته لأراه يرتدي بنطالا قصيرا عاري الصدر ويضع على كتفيه منشفة، وكان يرتدي نظارات شمسية لامعة، حينما رأيت مظهره

بشعره الأشقر الذي يلمع تحت أشعة الشمس وتكشف عضلات صدره وبروزها وضح النهار شعرت بدوري بالخجل الشديد وتلقائيا أشحت نظري بعيدا عنه.

كان متفاجئا من رؤيتنا فأسرعت لورا بتوضيح سبب مجيئنا قائلة: " نحن آسفات، لم نقصد الإزعاج... علمت أن خطيبي هنا لهذا جئت..."

رفع نظاراته الشمسية عن عينيه ليقابل لورا بعينيه الزرقاوين اللامعتين وأجابها معتذرا: " أنا آسف يا لورا لكن سمير غادر قبل نصف ساعة"

لم تتحكم لورا بنبرة استيائها فأجابت مندفعة: " غادر؟ يا لحظي!"

ثم أردفت معتذرة: " سامحنا على إزعاجك واسمح لنا سنغادر الآن.."

ارتسمت ابتسامة ساحرة على شفتيه وقال معترضا: " بهذه السرعة؟ وصلتنّ للتو!"

- " لا حقا يجب أن نغادر لا نريد إزعاجك!"
- " لم أنزعج! ولو! أهلا وسهلا بضيوفي.. واجب الضيافة يملي علي أن تشربن شايا"

ثم أضاف وهو يسير نحونا:

" And I won't take a no for an answer!" [17]

تابع مسيره متجاهلا اعتراض لورا حتى مر من جانب راما، نظر إليها بطرف عينه مبتسما وهمس لها بعبارة تمكنت من الوصول إلى مسامعي:

" So Rama.. Did you like the view?" [18]

احمر وجه راما خجلا وهيء إلي أنني سمعتها تصفه بالوقح، بينما تابع سيره وهو يأمرنا باللحاق به. ماذا عنى بجملته تلك حتى خجلت راما بهذا الشكل؟ ولماذا أثار ذلك

[17] تعبير يقال عند إرغام أحد على قبول شيء ما

[18] " إذن راما، هل أعجبك المنظر؟"

سخطي أكثر؟ أشعر أنني سأحترق من نار غيرتي، هتفت لنفسي داخليا بأنني قوية وأن تحرشاته براما لن تؤثر علي، حاولت إقناع نفسي بأنني تخطيت مشاعري تجاهه.

كان السير خلفه صعبا فقد كان ملفتا جدا بعضلات ظهره القوية وطول قامته وشعره الحريري الذي يتطاير مع نسمات الهواء في سيره، لماذا هو مثالي هكذا؟ إنه يصعب علي مهمة تخطي مشاعري تجاهه! بالنسبة لأخته تلك فقد اختفت من المكان كأنها لا ترغب في إقحام نفسها بخصوصيات ضيوف أخيها أو هكذا فسرت الأمر.

وصل بنا إلى مدخل القصر وتخطى العتبة أمامنا، كانت لورا تجاهد طيلة الطريق على إقناعه بالسماح لنا بالمغادرة بينما كان يتجاهل طلبها المتكرر كليا. توقف في سيره عند سلالم في داخل قاعة كبيرة وأشار إلى الجهة الأخرى من السلالم نحو مضافة عملاقة مزينة بقطع الأثاث الفاخر ومفروشة بأرائك جلدية باللون العسلي، ثم ابتسم قائلا: " أرجو منكن أن تسترحن هناك على الأرائك ريثما أرتدي شيئا ... ورجاء لورا توقفي عن الاعتذار فأنا لن أسرحكن قبل إكرامكن بشرب الشاي"

سرنا ثلاثتنا نحو الأرائك تتوسطنا راما، ثم همست لنا قائلة: " علينا الخروج هنا، مكوثنا عنده خطأ"

أجابتها لورا هامسة باستياء: " ماذا أفعل؟ لقد حاولت معه لكنه عنيد، ثم أنتما لا تساعدانني هل تتوقعان مني تنفيذ كل شيء وحدي؟"

هنا تدخلتُ قائلة بحزم: " فقط لنشرب الشاي ونخرج من هنا واختصرا الكلام!"

شعرت بأن راما تختنق من وجودها هنا فهي محاصرة بين إرضاء مشاعري وبين إحراجها من إعجاب إيان بها، شعرت بالشفقة عليها لكن في ذات الوقت كنت أشتعل غيرة، لا تسألوني كيف جمعت بين الشعورين فأنا لا أفهم ذلك أيضا.

جلسنا ثلاثتنا على ذات الأريكة كأن المكان ضاق إلا منها أو كأننا نلجأ إلى زاوية للحماية من وحش ضار .

لم يتأخر إيان كثيرا. راقبناه وهو يهبط السلالم كأحد مشاهير السينما ثم سار بثقة وخطوات ثابتة نحونا، ألقى إلينا ابتسامته الساحرة وهو يسألنا بتهذيب: " هل تأخرت عليكن؟"

تولت لورا الإجابة عنا وأخذت تجامله بالكلام، قدمت الخادمات فورا حينما استقر جالسا مقابلنا، كأنهن يحسبن موعد جلسته بدقة، ثم قمن بإكرامنا بوضع الضيافة أمامنا؛ أكواب من الطراز الانجليزي تحوي الشاي الساخن وإلى جانبها قطع من الكعك بطعم الشوكولاه، آه كم أعشق الشوكولاه. لكن لا لن آكل منها، أو ربما قضمة صغيرة لن تضر.

طلب منا بتهذيب أن نباشر بشرب الشاي، سألته لورا عن شقيقته إذا ما كانت ستعيش هنا، فأجابها نافيا، موضحا لها بأنها ستمكث شهرا واحدا هنا ثم تعود إلى بلادها ووجودها هنا كان بناء على رغبته في قضاء حاجة له، لم يزد على كلامه عن أخته. صمت قليلا ثم قبض على كوبه وهو جالس يرفع رجلا فوق الأخرى ثم سأل لورا وهو يقرب الكوب من شفتيه: " إذن لورا ما خطبك؟"

أبدت لورا جهلها من سؤاله، فأوضح قائلا: " ما الذي فعلته بسمير؟ الشاب مدمر بالكامل"

رددت لورا كلامه كأنها تحاول تفسيره لنفسها: " مدمّر؟!"

أردف قائلا بعدما ارتشف من كوبه قليلا: " أحيانا لا أفهم تفكيركن أنتن الفتيات... اعذريني إذا فهمت أنني أتدخل في شؤونك الخاصة لكن أظن أن عليك مصالحته... سمير لا يستطيع العيش دونك، إنه يعشقك بصدقك"

تأملت ملامح لورا وهي تستمع لإيان باهتمام يشوبه الحزن، ولوهلة تمكنت من الخروج من عالمه لأشعر مع لورا وأحزن لحالها، إلى أن فتح فمه ثانية ليعيد تشغيل وضع الغيرة من جديد حينما ألقى التحية لراما بنبرة مرحة قائلا: " !Hi Rama"

كانت على وشك أن تشرب شيئا من الشاي لكنها توقفت فورا إثر احمرار خديها من تحيّته بتحبب لها. ثم قال: " اشتقت إليك"

شعرت بحرارة تتصاعد في رأسي من شدة القهر، معرفتك بها لم تدم مدة طويلة لتشتاق إليها! استرقت نظرة نحوه لأجده ينظر بهيام نحو راما، انتقلت ببصري نحوها فكانت تنظر إلى أصابعها في حجرها بارتباك واضح، أعدت النظر إليه ففوجئت به موجها بصره نحوي لماذا ينظر إلي؟ شعرت بالخجل الشديد وتحاشيت النظر إليه ثانية.

رفع ذراعه ليسندها على ظهر الأريكة خلفه ثم أعاد توجيه كلامه إلى راما قائلا:

[19] " What a lovely dress that you wearing, Rama"

أخذت راما تأتئ وهي تشكره على مضض وتتحاشى النظر إليه كأنها تقول في سرها اسكت يا إيان قبل أن تحقد علي سيلينا، لذا قبل أن تنمو مشاعري بالغيظ أكثر أخذت نفسا مجروحا ثم انحنيت نحو لورا هامسة لها: " لورا دعينا نذهب من هنا، جلسنا كفاية"

فهمت لورا التلميح بسرعة ثم اعتذرت من إيان لنغادر، ومع إصراره علينا بالجلوس لإنهاء كؤوسنا متسائلا إذا ما كان الشاي يشكو من خطب إلا أنها أصرت عليه أن يسمح لنا بالمغادرة مراعية شكره على وقته وضيافته لشاي لذيذ، لكنها تذرعت بقلقها على سمير وعدم قدرتها على التركيز في شيء حتى تجده وتصفو الأجواء العكرة بينهما.

---

[19] " يا له من فستان جميل ذاك الذي ترتديه يا رما"

ابتسم من جديد ابتسامة ود وقال منهيا الجلسة: " حسنا لن أضغط عليكن" ثم وجه حديثه لراما بالأخص قائلا: "سعدت بوجودك يا راما "

وأضاف بصوت حنون لعله ينجح في تخطي أسوار قلبها: "you made my day!"[20]

لم تجد راما ما ترد به عليه وآثرت الخروج محافظة على صمتها المبهم، شعرت أنه تمكن من تسلق أسوار قلبها كان ذلك واضحا على وجهها لكنها ما زالت تحاول تشديد الحراسة أكثر حتى لا يصل إلى عرش قلبها ويطرد فراس منه ويتوج نفسه ملكا جديدا لمملكتها بعد فراس، هل يعقل أن تستسلم راما له يوما؟ مجرد التفكير بهذا الأمر يزيدني شعورا بالنفور من السير معها أو مع أحد الآن. ليس كرها بها فأنا أحبها كثيرا وإنما احتجت وقتا لأفرغ فيه شعوري بالسخط من حالي.

وصلنا حيث تصطف سيارة لورا. كانتا تمشيان أمامي وهما تتحدثان، قالت راما: " وأخيرا خرجنا. هذا المدعو إيان لا يعرف شيئا اسمه حدود!"

عقبت لورا: " يجب أن أوصلكما إلى بيتيكما لقد تأخرتما بسببي أما أنا سأكمل البحث عن سمير بمفردي"

قبل أن تجيبها راما، نطقت أولا قائلة: " سأعود إلى البيت وحدي، لن أركب"

توقفتا عن المسير والتفتتا نحوي بقلق، ثم سألتني لورا إذا ما كنت متضايقة من إيان

فأجبتها: " لا.. فقط علي شراء بعض اللوازم لأمي وقد نسيت"

لماذا أصر دائما على إخفاء مشاعري؟ لماذا لا أستطيع مشاركة شعوري بالأسف والقهر؟ كم أنا جبانة وعديمة شخصية لماذا لا أصبح مثل راما واضحة وصريحة ولا تهاب من قول ما ترغب به وتستبسل بالدفاع عم تؤمن به، حتى لو لاقت الرفض! حاولت لورا من جديد

[20] عبارة تقال كناية عن الشعور بالسعادة بسبب شخص ما

إقناعي بالركوب معها ووعدتني بأن توصلني بنفسها إلى السوق لكنني رفضت محتدة وطلبت منهما أن تعذراني وغادرت متجنبة الالتفات نحوهما، حتى أنني سلكت طريقا فرعيا لن تمر منه لورا حتى لا تلحقا بي وتريا الوهن الذي طفح منه جسدي وبان على وجهي كالزبد الذي يخرج من البحر.

سرت وأنا أحدث نفسي عن مقدار ضيقي من غيظه لي، فعل ذلك متعمدا أنا متأكدة، لأنه يكرهني ويريد التأكيد علي ألا مكان لي في قلبه، ما الخطأ الذي اقترفته؟ لماذا يكرهني إلى هذه الدرجة؟ لِمَ هو حاقد علي؟ ماذا أجرمت في حقه؟

تناولت هاتفي وأنا أصارع دمعتي من النزول وضغطت على رقم تمارة وبعد سماعي للرنين مرتين تلقت المكالمة من الطرف الآخر، فسارعت بقولي: " مرحبا تمارة، فكرت في موضوع العريس وأنا موافقة على رؤيته، سأزودك برقم أمي لتعطيه لعائلته"

جاء صوتها مبتهجا من الطرف الآخر لموافقتي مبينة لي أنها سعيدة بقراري وتتمنى لي التوفيق، أنهيت المكالمة معها حينما اكتشفت أنني أغرق وسط دموعي التي غسلت وجهي تماما، وحدثت نفسي بصدق قائلة: " الشيء الوحيد الذي فعلته لنفسي في حياتي ... أنني أحببته!"

ثم لفظ لساني غصبا: " كم أكره العيش الآن!"

....

جلس سمير في مقهى قريب من بيته، وحاول قدر الإمكان تجاهل محاولات لورا المتكررة للاتصال به منذ اللحظة التي فعّل فيها هاتفه، أخذ يرتشف من فنجان القهوة الممدود أمامه وهو يستمع إلى صديقه فراس من الطرف الآخر من المكالمة، فقال: " لقد قسوت عليها

كثيرا، نعم هي أخطأت لكنك أعطيتها رد فعل مبالغ، برأيي كان عليك أن تفهم السبب الذي جعلها تهذر بهذا الكلام الغريب، فهل هو وليد صدفة أم تراكمات؟ لا تنس أنك مقبل على الزواج بها، أعطها فرصة يا رجل، الفتيات هكذا كومة مشاعر تارة تراهن يضحكن وتارة يبكين دون سبب"

أجابه سمير متهكما: " عجيب! من بين الناس كلهم أنت تقف في صف لورا علما أنك لا تطيقها؟"

وصل إلى مسامع سمير ضحكة صديقه المستمتعة وأردف: " مهما يكن يا رجل الحق حق! أنت لا أخوات لك لذا تجد التعامل مع لورا صعبا"

عقب سمير على قول صاحبه: " تعرف شيئا؟ إيان قال مثل كلامك هذا، ربما علي فعلا أن أسمع منها أولا"

- " إيان يعرف قبلي؟ أي نوع من الأصدقاء أنت؟"
- " لا يحق لك أن تغضب فأنت أخفيت عني رغبة والدك في تزويجك"
- " حسنا الآن سأنهي المكالمة... سلام"

شتم سمير صديقه لإنهائه المكالمة قبل أن يعطيه فرصة للنقاش، ثم لفت نظره رسالة وصلته من لورا، فتح نص الرسالة ليجدها كتبت له أنها ترغب في لقائه لتفسر له كل شيء وأنها بانتظاره في غرفتها في بيت ذويها.

<u>راما</u>

جلست على طرف سريري أتفقد جميع ما أحتاجه من أجل الليلة، وضعت مساحيق التجميل، زجاجة العطر التي أهدانيها إيان، ثوبي في أسفل الحقيبة حتى لا تراه أمي، فرشاة

أسناني، مشطي، حقيبة صغيرة، هاتفي، حذائي، المرطبات، وملابس للنوم.... كل شيء كان جاهزا.

اتفقت أمي مع جارتنا لإيصالي في سيارة زوجها في طريقهم لزيارةٍ عائليةٍ لهم، لتضمن فعلا ذهابي إلى بيت سيلينا، مسكينة هي أمي!

هتفت لها بينما أربط شريط حذائي بأنني سأخرج حالا، فهجمت سارة مع كومة إزعاجها وأخذت تدفع بظهري وأنا جالسة أرضا أعقد بالربطة الأخيرة، وأخذت تلح علي بأخذها معي، نظرت إليها من طرف عيني بانزعاج وهدرت بها: " انقلعي بعيدا، لم ينقصني إلا أنت!"

فصاحت بأعلى صوت لها: " أمي! قولي لراما أن تأخذني معها!"

أخذت صراخها كإشارة لي للنفاد بجلدي قبل أن تحمّلني مسؤولية أخذها معي، فهذا ليس وقتها. جريت خارجا ولم يغب عن أذني بكاءها من خلف الباب.

لورا

- " لم أقصد جرحك... تعرف كيف يكون الوضع عند تواجد الحساد وشياطين الإنس، كل ما حصل كان بسبب رنيم هي التي أوقعت بيننا أقسم على ذلك، لا أبرر لنفسي لكنها فعلا أجادت تمثيل دور الشيطان!"

أطلت أمي علي من خلف باب غرفتي متسائلة بحيرة: " لورا؟ مع من تتكلمين؟"

أجبتها بتوتر: " ءءء.. لا أحد كنت أتدرب مع نفسي على الاعتذار لسمير"

تنهدت بأسى وقالت: " على ذكر موضوع سمير إنه في الطابق السفلي، ويريد الصعود هنا ليتحدث معك"

أشرق وجهي حينما علمت بقدومه، لكن فرحتي لم تكتمل حينما رمتني أمي بقنبلة لم أتوقعها بقولها: " لورا... عزيزتي، أعلم أنك غاضبة من رنيم، لكن لا تقولي لسمير أنها التي زرعت الفتنة بينكما"

انفعلت بشدة وأجبتها باستياء: " أمي! ما هذا الكلام الذي تقولينه؟!"

أجابتني بنبرة مستعطفة: " صغيرتي.. فكري جيدا، آخر ما نريده أن تقع العداوة بين والدك وخطيبك، أعرف أنك تشعرين بالقهر والظلم، وأريد حقا أن تتصالحا لكن ليس على حساب حصول مشاكل جديدة فكري بعقلك لا بقلبك، ومع أنني أكره الكذب ولم أربك عليه فإني أعتقد أن عليك أن تجدي كذبة مقنعة تقولينها له... سأذهب الآن لأناديه ليصعد إليك"

لطمت وجهي وأنا أنظر نحو الباب مبهوتة من كلام أمي وأمرها المفاجئ هذا بينما أتمتم في سري: " ماذا سأقول له؟"

راما

وصلت شقة أهل سيلينا، قرعت الجرس بانتظار أن تفتح لي الباب، وما هي إلا ثوان وأطلت هي بنفسها بابتسامتها الرقيقة من خلف الباب، لمحت أن عينيها محمرتان بشدة كأنها كانت تبكي، لكنها لم تظهر لي شيئا بل قالت لي مبتسمة مهللة: " أهلا راما، كنت في انتظارك.. خشيت أن تعدل أمك عن قرارها... تفضلي البيت بيتك"

شكرتها وأنا أحمل وجها هادئا بينما في الحقيقة ملايين الأعاصير تهتاج في داخلي، لأنني كذبت على الجميع ومن بينهم أمي.

الفصل العاشر

راما

شحب وجه سيلينا بشكل ملحوظ وهي تحاول تجنب النظر في وجهي مقطبة الجبين، مررت أصابعي في خصلات شعري لأزفر أنفاسي المختنقة، لا مفر لا أستطيع السكوت أكثر لذا أخيرا وجهت توبيخي لها بهدوء مصطنع: " كيف عادت الغرفة بهذه الفوضى ألم أساعدك في تنظيمها قبل شهر؟"

أجابتني بسماجة: " شهر مدة كافية لهدم قلعة!"

بالرغم من كون سيلينا فتاة جميلة ورقيقة إلا أن هذه الصفة لا تنطبق على غرفتها، فهي فوضوية بشكل لا يصدق، لا يمكن أن تجد شيئا في مكانه الصحيح هنا. وبالرغم من مساعدتي لها مرارا في تبني أسلوب حياة يساعدها على الحفاظ على غرفتها مرتبة إلا أنها تعيد تشغيل وضع رجل الغاب من جديد.

أمسكت بيدي وجرتني نحو المرآة وأشارت إلى انعكاس صورتي قائلة بابتسامة خفيفة بريئة: " انسي أمر الغرفة الآن، لدينا العمر كله لنقلق بشأنها، أما الآن دعينا نركز على مهمتنا الأساسية، يجب أن أصنع منك عارضة تخطف أنفاس من ينظر إليها، ستلمعين بين الفتيات جميعهن وتحصلين على حب حياتك الليلة! أنت جميلة بما حباك الله من مقومات لكن مع لمساتي السحرية عليك ستخضع لك القلوب ولن تتمكن عين من الرمش وهي تتأمل آية من آيات الكون"

حمستني سيلينا بشدة بكلامها التشجيعي هذا وصرفت تفكيري بالكامل عن أرض زيكولا التي تعيش فيها، وتخيلت للحظات عينا فراس وهو يتأملني لأول مرة في حياته مسلوب

الذهن معقود اللسان ثم ما لبثت أتخيل نفسي أرتدي الفستان الأبيض متعلقة بذراعه نحو السيارة التي ستقودني إلى بيته لأعيش زوجة له.

سحبت كرسي المنضدة على الفور وهتفت لسيلينا بأن تباشر في تلطيخ وجهي بمساحيق التجميل بيدها السحرية فلطالما كانت بارعة في هذا المجال.

لورا

ها هو سمير يقف أمامي بيننا إنشات معدودة، ينتظر مني أن أبدأ بالكلام. اختار أن يتعامل معي بصبر بينما يحمل سترة بزته في ذراعه وهو يتأملني دون أن يلفظ بأي حرف. أما أنا فكنت أطأطئ برأسي إلى موضع قدمي بينما أدعك بأناملي طرف سترة بيجامتي المخملية باهظة الثمن وأنا لا أعرف من أين أبدأ فأنا لم أرسو على كذبة أقولها له وأنى لي أن أخترع كذبة في ثوان؟ لكنني قررت أن أتلفظ بأي شيء حتى لا يمل من وقوفه هنا وأدفعه بعيدا ثانية، فهو جاء بناء على طلبي بعدما وعدته بشرح كل شيء له. لذا فتحت فمي أتأتئ بالآتي: " آمم... ءء... أنا، في الحقيقة..."

نفد صبره كما توقعت أن يحصل، فنفخ مستاء ثم قال مقاطعا لي: " إذا كان صعبا عليك الشرح إذن سأبدأ أنا"

حافظت على الصمت وتركت المجال له ليبدأ لعلي أجر من كلامه كذبة مقنعة أقولها له، فتابع: " لا أعلم ماذا حصل لك في تلك الليلة لم تكوني على طبيعتك أبدا، طيلة فترة خطبتنا لم أرى منك إلا الشفافية في تعاملك معي، وهذا أكثر ما أحبه فيك، لا تخفين علي شيئا أبدا... وبناء على ما حصل استنتجت أن كل ما بحت به أمامي له علاقة بشجارك مع راما"

رفعت رأسي صوبه لأتأكد من سماعي لآخر كلمة بشكل صحيح: " راما؟ هل قلت راما؟"
أجابني مومئا برأسه: " رنيم قالت لي أنك تشجارت معها بسببي، فما الأمر هل لك أن توضحي لي؟ وكلي آذان صاغية"
رنيم قالت؟!...

راما

هتف لنا شقيق سيلينا الأصغر منبها لنا وصول لورا، حينها فتحنا الباب مستعدتين للمغادرة، ففتح فمه مذهولا وهو يتفحصنا، ثم قال لي بوجه متورد: " تزوجيني!"
ضحكت على كلامه وظرافته، شقيق سيلينا في الخامسة عشر من عمره، يشبه سيلينا إلى حد ما وله طلة هادئة مثلها يتمتع بشعر بني غزير وحريري وعينين عسليتين تماما كأخته.
داعبته سيلينا بضربه على طرف كتفه بخفة وأمرته مبتسمة إظهار احترامه في حديثه معي.
نظر إليها وتغيرت نظراته إلى الجدية وهو يتساءل: " هل أنت متأكدة أن لورا ستصحبكما إلى حفل خال من الشبان؟"
أجابت مبتسمة بارتباك: "بالتأكيد! هذه حفلة خاصة لإحدى صديقاتها العزيزات كما شرحت سابقا لك ولأمي"
لم أستطع إخفاء دهشتي من كذبة سيلينا، لست وحدي من كذبت على أمها، لكنها أثبتت أنها أذكى مني، لو قلت لأمي منذ البداية أن الحفلة لإحدى صديقات لورا لما تعاملت معي بحزم هكذا ولما حرمتني من الذهاب إليها، يبدو أن علي أن أتعلم بعض الدروس من سيلينا.

أوصت سيلينا أخاها بإبقاء الباب مقفلا ولا يفتحه لأحد مهمن كان، وهو بدوره أبدى انزعاجه منها موضحا لها أنه ليس طفلا لتخشى عليه.

والدة سيلينا تأخرت في عملها، فحسب وصف سيلينا رئيسة عملها امرأة متسلطة تستعبد أمها في العمل كونها تعمل مساعدة خاصة لها وتحتاج إليها في كل خطوة متناسية أن لها بيتا ومسؤولية، ولطالما كانت سيلينا هي المسؤولة عن البيت وعن شقيقها، مما أدى إلى خلق فجوة بينها وبين أمها، المسكينة تعاني من فراغ عاطفي لغياب حنان والديها عنها بعد ممات أبيها، ولم تجد من يملؤه لها إلا بصداقتها معي، فهي كانت وما زالت تحبني بشدة على الرغم من اقتحام إيان الصورة بيننا.

نزلنا إلى الشارع حيث تنتظرنا لورا في سيارتها بجانب الرصيف، كانت ترتدي فستانا أبيض جميلا جدا يشبه كثيرا فستانا ارتدته مطربة مشهورة، وسرحت شعرها الجميل في كعكة مشابهة لتسريحة سيلينا، وبدت جميلة جدا حتى أنها راعت في اختيارها لمساحيق التجميل أن تبرز لون عينيها الخضراوين، من يرى لورا في مظهرها هذا سيعلم تماما بأنها من الطبقة المخملية التي يصعب الوصول إليها أو التحدث معها، ركبنا السيارة معها بينما شقيق سيلينا واقف على حافة الرصيف ليتأكد من وصول أخته آمنة إلى السيارة، ثم أوصى لورا بها، ووعدته أنها في أيد أمينة.

انطلقت بنا بسيارتها بعدما تبادلنا المجاملات فيما بيننا، بدا لي أنها تعاني من خطب ما. لكن من شدة حماسي للقاء فراس أخيرا لم يخطر في بالي أن أسألها عن الخطب، بل أنني لم أقاوم إظهار تحمسي فكنت أتراقص في موضعي وأصفق بيدي بحبور زائد وأنا أردد: "يا الله يا الله هذا أجمل يوم في حياتي!"

تعلقت سيلينا بمسند مقعد لورا من الخلف وسألتها عن تطورات قضيتها، لتذكرني بالمشكلة بينها وبين سمير، كيف نسيت الأمر؟ هوسي بفراس سينسيني اسم عائلتي يوما.
ظهر الامتعاض على وجه لورا ولم تتمكن من إخفائه ثم صرخت باكية على غير عادتها فجأة، فأجفلتنا: " آآآه! حاولت الحفاظ على رباطة جأشي، لكن لم أستطع! إنها تلك السامة رنيم! قالت لسمير أن سبب غضبي هو شجار خضته مع راما، وأمي الفالحة منعتني من مواجهته بالحقيقة وأمرتني بالكذب عليه حفاظا على العلاقات العائلية!"
سكتت لوهلة والدمع في عينها، ثم وجهت كلامها إلي وصوتها يرتجف رعبا مما سيخرج من فمها من كلام: " اضطررت ... أن أضحي بك يا راما... وأخرجت من كلام رنيم كذبة أقولها.... فوجدت لساني دون وعي يهذر بأن نرجس قالت لي أنك تكنين مشاعر لسمير وتحاولين أخذه مني وتتظاهرين بمحبة فراس، وأنني تشاجرت معك مما دفعك إلى تسميم أفكاري بخطيبي وزرعت الفتنة بيننا"
ما هي الكلمة التي أبحث عنها الآن؟ مصدومة؟ لا لا، بل مغدورة، شعرت كأنها استلت خنجرها المسموم وطعنتني به في ظهري ثم أخرجته وهو يقطر دما لتوجه طعنة أخرى في صدري.
ساد صمت رهيب في السيارة جعلت الدماء تجف في عروق سيلينا ولورا وهما في انتظار ما سأقوله كرد لها، لن أقول شيئا فالكلام معها لن ينفع، هذه الغبية تحتاج أن يلقنها أحد درسا قاسيا، لذا دون تردد انقضضت نحوها أهزها كالمجنونة من شعرها ففقدت القدرة على التحكم بسيارتها لتتأرجح يمينا ويسارا وننال غضب السائقين من حولنا مع أصوات زوامير السيارات والشتم واللعن لنا، لكنني لم آبه لذلك وأخذت أشد شعرها بأقصى قوة

لي وهي تصرخ مستنجدة وسيلينا تحاول تخليص لورا من هجومي عليها حتى تمكنت بعد جهد من فصلي عنها، واستطاعت العودة إلى المسرب الصحيح في القيادة.

ضربت مقدمة السيارة أمامي مرارا وأنا أردد كالمجنونة من غير توقف: " تبا لك! تبا لك! تبا لك! آه! مغفلة! أنانية! معتوهة!"

توقفت عن الضرب لألتفت نحوها وأشير لها بإصبعي بتهديد بينما أكمل وبل نيراني المتأججة من لساني: " لن أسمح لك بإفساد ليلتي، هذه فرصتي في لقاء فراس، فعلت المستحيل لأحضر الحفل! لن تفسدي ليلتي بحركاتك غير المعقولة!"

حاولت سيلينا تهدئتي لكنني كنت عازمة على المواصلة، انفجر البركان لا مجال لعودة الحمم إليه: " سوف أستمتع بوقتي! هل تسمعين! وأنت ستصلحين الوضع! مفهوم؟ قلت لكما منذ البداية دعونا نكزها فتقع ميتة كنا لنرتاح منها، لكن لا راما اسكتي! ما هذا الكلام يا راما؟ والآن انظرا إلى نتائج أفعالها، من كان الضحية؟ نحن بلا أدنى شك! إنها أفعى، بل أفعى سامة يجب التخلص من سمها إلى الأبد!"

توقفت لورا قريبا من الميناء وركنت سيارتها بين مجموعة كبيرة من السيارات، ثم أصلحت لها سيلينا مظهرها بعدما بعثرته يداي. كنت قد استسلمت لتعبي من كثرة ما هذرت به من كلام مفهوم وغير مفهوم، في النهاية آثرت السكوت لنهاية المشوار.

ترجلت صديقتاي من السيارة ولورا تهتف لي بتوسل لعلي أصفح عنها: " هيا يا راما، انزلي. هل ستبقين تتجاهلينني هكذا؟ وعدتك أن أصلح الوضع!"

نزلت من السيارة مستسلمة، ونظرت إليها بجمود ثم قلت: " أخبريه بالحقيقة يا لورا، لا تعتادي على الكذب عليه فتبني علاقتك معه على أساس مغشوش، أنا أكلمك لصالحك.

سمير سيغدو شريكا لك وإذا اخترت الكذب كملجأ لك لن تكون حياتكما آمنة ولن يثق بك أبدا"

شردت لورا في كلامي وهي تظهر في عينيها استياء مع علمها يقينا بصدق نصيحتي. ثم سرنا باتجاه الميناء لتصحبنا إلى قارب فراس.

أُخذنا بالمشهد العظيم أمامنا؛ قارب ضخم له طوابق، بل سفينة ضخمة! مدهون باللونين الأبيض والأسود وطبع على مقدمته الحرف الأول من اسم فراس متبوعا بالحرفين الأولين من اسم عائلته باللغة الانجليزية، اتجهت بنا لورا نحو مدخل القارب حيث جمع غفير من معارفه يلجون من خلاله إليه.

حينما عبرنا منطقة التفتيش الأمنية بُهرنا بالصالة العملاقة التي يقام فيها الحفل، كانت سيلينا متحمسة للغاية لأخذ صور تذكارية وقد سلب المكان عقلها، فرحت لحماسها كأنها طفلة مبهورة بأضواء الرقص التي تتخايل فيما حولها. بالنسبة لي لم أهتم كثيرا لكل هذا، كان لي هم آخر وهو معرفة مكان فراس فهاجمت لورا بسؤالي عنه. فقالت وهي تسير أمامنا كالمرشد: " أنا أعرف أين هو تعالا"

أوصلتنا إلى طاولة ما وطلبت منا الجلوس عليها، لكنني لم أجد أثرا لفراس ولم آبه بإخفاء استيائي عنها، فأجابتني ببرود بينما تشير نحو مجموعة قريبة منا مكونة من شبان وفتيات: " هؤلاء الذين يقفون قريبا من الدي جي شلته المقربة سيأتي عم قريب ويشاركهم، بما أنه شاب صاخب ستفاجئين بوقوفه هناك فقط امنحيه دقائق ويظهر من العدم"

أشارت سيلينا نحو موائدة كبيرة تحيط جدران القاعة وقالت: " سنتسلى بالمقرمشات والطعام الذيذ ريثما يظهر"

نظرت لورا ببرود نحونا من رأسنا حتى أخمص أقدامنا، وقالت بلهجة جدية: " لا تفضحاني أمام صديقاتي، ولا تظهرا الكثير من الانفعالات، ثم لا تأكلا كثيرا.."

توقفت عن قول المزيد وهي تتفحصنا بنظراتها ثم أضافت: " أنت لا تأكلي كثيرا أما أنت يا سيلينا.."

ألقت نظرة نحو مفاتن سيلينا وأردفت: " فبإمكانك أن تغرفي مما تشتهين"

تركتنا فاغرات أفواهنا وسارت مبتعدة ثم قلت باستنكار: " هل لمحت إلى أنني سمينة؟"

وأضافت سيلينا بسخط: " هل وصفتني بطريقة غير مباشرة بأنني مسطحة؟!"

نظرنا نحو بعضنا وقالت لي بسرعة: " لا تستمعي لها أنت جميلة وتتمتعين بقوام ممشوق"

ابتسمت لها وقلت: " وأنت أيضا فاتنة و..."

سكتّ حينما لاح خيال أحدهم خلفها ثم قلت باستياء: " ماذا يفعل ذاك هناك؟"

استدارت خلفها لترى عمن أتكلم ففوجئت برؤية إيان في الحفل فعقبت باستياء: " تلك الغبية تجنبت ذكر حقيقة حضور إيان إلى الحفل... يا لها من ماكرة!"

كان يرتدي بزة رسمية أنيقة باللون الزيتي، مهما كان ما يرتديه فهو دائما ما يبدو متألقا وملفتا وجميع الألوان تناسبه، هل عليه أن يكون بهذه الجاذبية؟ سيلينا تتمتع بذوق رفيع بحبها له لكنني أشعر بالأسف عليها مما آل بها منه ومني.

لاحظنا أنه يحدث فتاة ما فأثار فضول سيلينا المشوب بالغيرة وتساءلت: " لكن من هذه التي يتحدث معها؟ لو أنها تستدير ناحيتنا لنراها"

مدت يدها وهي تضحك على شيء ما قاله وأخذت تمسح على ذراعه بغنج كأنها تحاول استمالته، ثم لوحت بشعرها الأصهب لندرك لحظتها بأن هذه الفتاة هي رنيم، وهنا لم

تتمالك الغضب الذي احتلها فزمجرت بغل واضح في نبرتها: " فعلا كنت محقة! دعينا نكزها لعلها تقع ميتة ونرتاح منها"

حاولت التخفيف عنها بابتسامة مرتبكة قائلة: " على رسلك يا سيلينا"

فجأة لمع تحت الأضواء شبح فراس من بعيد حينما لمحته يدخل من الباب ويسير برفقة أحد أصدقائه، كان يرتدي سترة جينز فوق قميص قطني وبنطال جينز يلتف حول ساقيه الطويلتين بطريقة جذابة. بدأ قلبي يخفق بجنون ولم أستطع إخفاء بهجتي وأخذت ألوح لسيلينا باقترابه من مكاننا، ثم حصل ما تمنيته تقدم باتجاهنا ومر من جانبي وهو منشغل بالحديث مع صاحبه لتعلق بأنفي رائحة عطره الزكية، كان كمشهد سينيمائي؛ لحظة دخول بطل الحكاية بالتصوير البطيء. شعرت أنني كالشمعة التي تذوب ما إن لمحت نارها التي تلتهم قلبها بشغف. حاولت سيلينا حثي على تمالك نفسي حتى لا نلفت الأنظار ونغضب لورا إن بدونا بمظهر غير لائق أمام صديقاتها. لكنه مر من جانبي يا سيلينا! حب حياتي سار على مقربة مني! كيف لي أن أهدأ بعد هذا؟

لورا

اقتربت من إيان الذي كان واقفا مدبرا ظهره لي بينما كان منشغلا بتبادل أطراف الحديث مع تلك السامة، ثم هاجمته بإقراري مستنكرة: " يا حسرة يا إيان، لم أكن أعلم أن ذوقك في النساء رديء هكذا!"

ابتسم لي فظهر صف أسنانه البيضاء، ثم ألقى لي تحية دافئة، أما رنيم نظرت إلي ببرود وسألتني عما أريده منها، فصرّحت: " جئت أنقذ إيان من سمومك!"

فهاجمتني من فورها بقولها: " يا لك من مريضة.."

قاطعتها قبل أن أعطيها الفرصة لقول المزيد: " أنت المريضة التي تتوقع من كل شاب تكلمه أن يقع في غرامها"

هنا تدخل إيان أخيرا قبل أن يحتدم النقاش بيني وبينها قائلا وقد تغيرت تعابيره إلى الذهول: " لحظة! هل كنت تظنين أنني أتجاوب معك في الحديث من باب إعجابي؟ أنا آسف إذا طبعت هذا الانطباع في مخيلتك، كنت أستجيب لحديثك معي من باب الأدب فقط، آنستي أنا لست معجبا بك!"

احمر وجهها فورا وهدرت به قبل أن تحلق مبتعدة لتحافظ على ما تبقى لها من كرامة: " لم أكن أنوي استمالتك أصلا!"

سارت من جانبي غاضبة وهمست لي بحقد: " أنت نذلة"

فأجبتها بغطرسة: " مع السلامة!"

ما إن اختفت من محيطي حتى عاتبت إيان على الخوض معها بأحاديث جانبية، مما أثارضحكه وأجابني محرجا: " كنت فقط أتعرف على قريبتك احتراما لك، ما أدراني أنك تكرهينها؟"

فتحت فمي لأجيب لكن صوت سمير الذي جاء من خلفي أجفلني فابتلعت شهقتي، حينما قال: " مرحبا إيان، هل لي باستعارة لورا منك؟"

أشار له إيان بأن يأخذ كامل حريته معي ثم انصرف ليترك المجال له ليحدثني على انفراد.

أمسك بي من معصم يدي ثم قادني نحو زاوية من القاعة، أفلتني ثم وقف أمامي عاقدا ذراعيه على صدره وبدأ استجوابه لي قائلا: " تكلمي معي بصراحة دون لف ودوران، قلت لي أنك متشاجرة مع راما صح؟ فكيف أجدك قد جئت بها إلى الحفل؟ وإياك أن تراوغي رأيتها برفقتك وتتحدث معك كأن شيئا لم يحصل بينكما"

دعكت بارتباك شحمة أذني حيث حلقي يتدلى منها ثم تنفست برعب قائلة: " حسنا سأشرح لك..."

قطع حديثي على صوت مألوف يعود لأحد أصدقاء سمير حين سمعته يخاطب أحدا بقوله: " لاه يا رجل تمت خطبتك؟"

التفتّ خلفي لأجد شابا يدعى قصي يجلس بجانب أوس على أريكة منزوية قريبة منا، حينما أجاب أوس قبل أن يرتشف من الصودا التي كانت تستريح في كف يده: " لا، ليس بعد، فأنا لم أر الفتاة... لكن زميلي دلني عليها قيل لي أنها تدرس في كلية العلوم التربوية وهي في سنتها الثانية. ربما يتم النصيب وربما لا، موعدي للقائها مساء الأحد"

هتف لي سمير بأنه ينتظر شرحي، لكن ذهني تشتت بعيدا عنه وأنا أتأمل كلام أوس، يا للهول! أوس هو العريس المنتظر لسيلينا؟ من كان ليتوقع؟ أصررت في تلك اللحظة أن أنبه سيلينا لذلك، لذا انطلقت مسرعة تاركة سمير ببهتانه، حاول أن يوقفني بندائه علي لكن لم يكن بيدي حيلة فقدت التركيز كاملا معه.

أسرعت الخطى بين جمع من الأشخاص وقبل أن أصل إلى سيلينا جذبتني نرجس من معصم يدي وهي تحييني بلهفة، ثم ما لبثت أن اجتمعت باقي صديقاتي حولنا وهن يتغزلن بجمال فستاني وتسريحتي، فتهت وسط مجاملاتهن لأنسى كل المواضيع العالقة.

راما

كان فراس يتبادل أطراف الحديث مع مجموعة من الشبان بينهم فتاتان، وكانت إحدى الفتاتين تتقرب منه بشكل ملفت وتضحك بصخب على أي شيء يقوله، فشعرت بالغيرة تجتاحني، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل حوطته مجموعة جديدة من الفتيات وهن

يتشاجرن فيما بينهن فيمن سيكون لها النصيب في التقاط أول صورة معه، اشتعلت غيظا اشتد حينما لمحت ميساء بين تلكم الفتيات وبدأت النيران تتأجج في رأسي لتحرق بحرارتها خلايا دماغي، حاولت سيلينا تهدئتي لكن لم تكن حتى قريبة من النجاح في ذلك.

اقترحت علي في النهاية أن تصحبني إلى ظهر القارب لعل جزءا من غيظي يزول مع نسمات الهواء الباردة، لكنني رفضت وبشدة، فجلست في الكرسي أنظر إليه من مكاني وأعتصر ألما، فهمت تماما شعور سيلينا المسكينة في تجربتها العاطفية إنه لأمر مؤلم أن تحب شخصا من طرف واحد فقط.

تأملت عالمه حول أصدقائه الأثرياء والبنات المحيطات به كالمسامير المنجذبة بقوة نحو المغناطيس ومهما جررتها بعيدا تعيد التصاقها به، حينها شعرت يقينا ألا مكان لي في هذا العالم، فراس لا ينقصه شيء، إنه ثري ووسيم وله العديد من الأصدقاء والمعجبات من كل الطبقات فما الذي سيجعله يلتفت نحو فتاة في بساطتي؟ أعرف أنني جميلة لكن الجمال ليس كل شيء في عالمنا هذا. استسلمت لهذه الفكرة فقمت من مكاني وسيلينا تراقبني بفضول ثم طلبت منها أن ترافقني نحو أحد الطاولات لنشرب بعض الصودا لأغير مزاجي قليلا.

.....

قفز عماد من العدم لإبعاد الفتيات عن فراس خصوصا بعدما شعر أن صديقه قد ضاق ذرعا بهن لكنه لا يجد الطريقة المناسبة لصرفهن بتهذيب. فهتف عماد لهن بإخلاء سبيله لحاجة ملحة له ليساعده فيها. أخذه جانبا على مرأى الفتيات اللاتي شعر باستياء كبير من تصرفه فأخذن يرمينه بين أنفسهنّ بقبيح الكلام.

شكره فراس على إنقاذه من براثنهنّ فضحك الآخر معلنا له أنه جاء به ليأخذ منه نصيحة قائلا: " هل تذكر قطعة الحلوى التي حدثتك عنها مرة؟"

تساءل فراس بجهل: " قطعة حلوى؟"

- " ما بك يا رجل؟ صديقة الآنسة لورا التي حدثتك عنها سابقا، إنها هنا وأرغب في مراقصتها، لكن كلما اقتربت من ناحيتها ترميني بنظرات كالجمر، انصحني يا صاح، كيف أتقرب منها دون إثارة سخطها؟"

نظر فراس حوله وهو يتساءل عن مكانها، فأشار عماد إليها بطرف سبابته حيث تقف برفقة صديقتها تتأمل الأضواء المتراقصة فوقها بضجر وفي يدها زجاجة صودا.

<u>راما</u>

حاولت سيلينا حثي على الرقص لكنني كنت رافضة تماما للفكرة؛ فمزاجي معكر من تهافت الفتيات على فراس بهذا الشكل، بدأت أفقد الأمل حقا وقصتي الخيالية التي أحلم بها يوميا بين ذراعيه أضحت تضمحل رويدا رويدا، يا لمرار قلبي التعيس في تلك اللحظة. فجأة ودون سابق إنذار اصطدم بي أحدهم، كانت الدفعة قوية وعلى أثرها كدت أقع، ثم سمعت صوتا يحدثني بإجحاف: " ألا ترين أمامك أيتها الشقراء؟ فعلا بنت بيئة!"

أخذ مني الأمر بضع ثوان لأدرك أن الواقفة خلفي هي رنيم وقد اصطدمت بي بينما تحاول سيلينا جرّي نحو وسط زحام المتراقصين لأشارك في الرقص وأخفف من شعوري بالاستياء. وحينما أدركت لحظتها أنها نعتتني ببنت البيئة لم يكن مني إلا أنني رشقتها بزجاجة الصودا التي أرتشف منها. فشهقت مصعوقة وقد بللت لها خصلات شعرها وفستانها الأحمر الجميل. لكنها سارعت بالانتقام لنفسها موجهة صفعة مدوية لوجهي.

لطمت سيلينا صدرها وسمعت شهقتها المختنقة تخرج متفاجئة من مخبئها، في العادة أحرص على عدم إثارة البلبلة والمشاكل، لكنني في تلك اللحظة كنت جمرة متقدة لا تنطفئ نارها بسهولة، ولا أدري إن كنت مستاءة بعد من معجبات فراس، أو أن صفعة رنيم أيقظت الجزء المجنون من دماغي، لأنني وجدت نفسي على أثرها أجذبها من شعرها بيد وأضربها على رأسها بتتابع بيدي الأخرى.

علا صوت رنيم بالصراخ ونعتي بالهمجية وهي تحاول تخليص نفسها ونجحت في استقطاب الأنظار إلينا، وأسرعت نحوها مجموعة من الفتيات من بينهن صديقات لورا واستطعن فك حصاري عنها بصعوبة. توقف تشغيل الأغاني لفترة وشعرت بعيون الكل علي وقد امتلأت المساحة حولي بالشبان والفتيات، لكنني لم أجرؤ على النظر في وجه أحد حتى لا ألمح فراس بينهم حيث كنت أرجو في تلك اللحظة ألا يكون فراس رأى وجه هذه الهمجية التي افترست إحدى ضيوفه في الحفل. كانت صديقات لورا يحاولن تهدئة انفعال رنيم المبالغ وهي تبكي وتمسح على رأسها وبذات الوقت يرمقنني بنظرات مستهجنة، ثم قدمت لورا بنفسها وفي تعابيرها ألف حكاية وحكاية.

جرتني مبتعدة نحو الخارج وهي تدفع من حولها بنظرات مهددة من عينيها فيتطايرون بعيدا عن أمامها، ولحقت بنا سيلينا على الفور، ثم دفعتني عند الباب وحدجتني بسخط قائلة: " ألم أقل لك أحسني التصرف أمام صديقاتي؟! ماذا دهاك؟ أفسدتي صورتي أمامهنّ إياك إذا تأثرت شعبيتي بسببك! ابقي في الخارج حتى أصلح ما أفسدت يداك! غبية!"

حاولت أن أرد لها الإهانة، لكنني كنت حانقة بشدة لدرجة منعتني من الكلام ولاختصار المشاكل جرتني سيلينا مبتعدة بي وحاولت تهدئتي فقالت: " أنت متضايقة من شعبية

فراس مع الفتيات فتحاولين صب جماح غضبك على رنيم، لقد بالغت في ردة فعلك، فقط اهدئي وفكري بروية لـ...."

قطع كلامها على صراخ فتاة خلفنا، التفتنا فرأيناها تنظر نحو سارية القارب الأمامية، وهي تهتف: " وشاحي طار مع الرياح!"

ثم جاء صوت آخر يعود لفتاة أخرى واقفة إلى جوارها وهي تحاول تهدئتها: " لا بأس اشتري غيره!"

قالت الأولى: " لا، هذا الوشاح هدية من أبي، إنه غال علي!"

سمعت سيلينا تهتف بخفوت شعورها بالحزن تجاهها، فرقّ قلبي لنظرات التعاطف المطبوعة على وجه سيلينا حينما سمعت بأن الوشاح هدية من والد البنت. وجهت نظري إلى مقدمة القارب فرأيت الوشاح عالقا فيها، فتقدمت متخطية الفتاتين وصعدت على عتبة القارب بينما أهتف لتلك الفتاة واعدة إياها بأن أحضره إليها. لا أحب أن أرى أحدا في مشكلة دون تقديم مساعدة له.

اقتربت سيلينا مسرعة وهي تنبهني أن أتوخى الحذر لئلا تنزلق قدمي فأقع في المياه، مددت جذعي من حافة القارب وأنا متدلية من فوق العتبة حتى تصل يدي إلى السارية، لكن ودون تنبيه مسبق شعرت بقبضة قوية تجذبني من وسطي وتسحبني بعيدا عن الحافة وتدفعني إلى داخل القارب بخشونة أشعلت حفيظتي.

استدرت خلفي وفي قلبي نية الصراخ على هذا الشخص كائنا من يكون، لكنني توقفت فورا وفقدت القدرة حتى على إصدرا أي صوت ولو كان أنينا، نظرت خلفي كمن لمحت شبحا يهدد باقتلاع روحها، فوجئت بعينين زرقاوين تتفحصانني بدقة بينما بريقهما يلمع بشدة، ولا يمكن لي أن أخطئ هوية تلك العينين الجميلتين فما هما إلا ذاتهما من طاردتا

مخيلتي لخمس سنين متواصلة لتفجرا ينابيع العشق في فؤادي وتلقيا علي تعويذة الغرام الأبدي، بلا أدنى شك هما عينان ذلك الساحر الذي استحضر قلبي ليسقيه من كأس الحب ما جعله يرتوي من فيض سحره وجاذبيته.

لوهلة من الوقت كنت أتأمل عينيه المرتعبتين دون أن أبادر بقول شيء أبدا، لدرجة أنني ظننت ساعتها أنني أتخيل رؤية فراس أمامي. ربما وصل بي الهوس أن أخلق عالما أرى فيه وجهه مطبوعا على كل الوجوه، ثم ما لبث فمه يتحرك ليخرج صوته الرنان فيعزف في أذني سمفونية العشق حين قال والرعب في عينيه واضح: " هل تحاولين الانتحار؟!"

علق لساني ولم أجب، لما هو خائف هكذا؟ لم أكن قريبة من السقوط حتى! ساد صمت ثقيل في الأجواء بينما يتفحص كل منا الآخر، ثم كسر الصمت بنفسه وقد لانت ملامحه قليلا حين وجه لي سؤاله الآخر وعيناه تجوبان برحلة في وجهي وجسدي الأنثوي المليء بالمفاتن: " هل أعرفك؟ هل التقينا من قبل؟"

خرجت من فمي شهقة مسموعة، لازلت لا أستوعب أنني أرى فراس أمامي فكيف به يحدثني ويتفحصني؟ أحنى رأسه للأمام نحوي وأشار إلى صدره بكف يده قائلا: " أنا أدعى فراس، صاحب الحفل هنا، هل لي بمعرفة اسمك؟"

التفتّ فورا نحو سيلينا وقلت لها بصوت متحشرج من هول صدمتي: " اقرصيني!"

سمعت ضحكته الخافتة وهو يقول من بعدي: " اسمك اقرصيني؟"

احمر وجهي على الفور فأسرعت سيلينا لتتعلق بكتفي من الخلف وتتولى هي عجلة الحديث معه موضحة: " إنها تدعى راما، ونحن صديقات لورا"

لم تفارق عيناه شبحي الواقف أمامه وهو يجيب سيلينا قائلا وهو مبتسم لي: " شككت بذلك"

اقترب أكثر من أمامي فازدادت ضربات قلبي عنفا ثم سألني بتهذيب: " ربما قد يبدو طلبي غريبا، لكن هل ستركلينني بعيدا إن طلبت مراقصتك قليلا في الداخل؟"

وأشار بعينيه الجذابتين نحو باب القاعة، جف حلقي وارتفعت حرارة جسدي أكثر فشعرت بالعرق يتصبب من جبيني، لكنني أجبته من فوري: " بالتأكيد!"

رفع حاجبيه مصدوما فسارعت بالتوضيح: " أعني الجزء المتعلق بالرقص.. لا الركل.. أنا آسفة.... آه يا إلهي أتصرف بغباء أحيانا.. هل يمكنك أن تعيد من البداية؟"

وضع ظهر يده على فمه ليخفي ابتسامة مستمتعة بالتيه الذي أصابني بسببه، ثم مد لي يده الثانية ليصحبني برفقته لأؤدي رقصتي الأولى معه، فسلمته يدي وقد نسيت تماما أمر الفتاة ووشاحها وما علق على محياها من نظرة خيبة الأمل.

سيلينا

هل نسيت راما أنني واقفة هنا معها وفي يدي حقيبتها؟ تركتني ولم تودعني! كل ما تبقى لها من سلامة عقل طار مع الوشاح في مهب الريح ما إن نظر إليها فراس بنظرة. لكن هل ألومها؟ بالطبع لا، لقد انتظرت سنين لأن تحظى بلحظة مماثلة هكذا معه، أكاد أشعر بشعورها الآن، فمن شدة فرحها، ربما تنسى اسمها، ففكرة أن يلمحها أو يلمس يدها كانت تثير حماسها وتغوص بها نحو عالم التيه، فكيف به يصحبها ليرقص معها هكذا دون سابق إنذار ولا مقدمات؟ لم أتوقع أبدا أن تنجح راما الليلة في لفت نظر فراس وبهذه السرعة، خصوصا أنه محاط بالكثير من الفتيات الجميلات. واو يا راما! تعديت أحلامك بأشواط! رجائي الآن فقط ألا يخونها قلبها ويتسبب لها بسكتة قلبية، فتموت من فرط السعادة.

لورا

عاد الجميع للرقص والاستمتاع بالحفل كأن شيئا لم يحصل، بينما حاولت جاهدة صب كامل اللوم على رنيم أمام صديقاتي، دون التجريح بها حفاظا على وضعي أمام أبي؛ فآباء بعضهن على علاقة وثيقة بأبي ولست أثق بهن كفاية في عدم إيصال أي ذم مني لرنيم إلى مسامع أبي، فقلت لهن أن بينها وبين راما ثأرا ما وعلى أثره كانتا تتشاجران ولم أغص في أي تفاصيل.

شعرت بأنامل باردة تصفع إحساسي حينما لامست ذراعي، التفت برأسي خلفي ففوجئت برؤية إيان، كان يوزع ابتسامته الساحرة لصديقاتي حين سألهن بتهذيب: " عذرا آنساتي، هل لي باستعارة لورا قليلا؟"

وكعادته يتملك القلوب ويخضعها إما بنظرة من عينيه الساحرتين أو ابتسامة من شفتيه الجذابتين، فتاهت البنات أمام سحره الأخاذ وهن لا يجدن ما يقلنه له عدا ابتساماتهن السخيفة له وعيونهن تفضح رغبة كل واحدة منهن في أن يصبح إيان أمير أحداهن يوما ما.

سار بي على بعد مسافة ليست ببعيدة عن صديقاتي وليست قريبة كفاية حتى لا يستطعن سماع حديثنا، ثم بادر بسؤاله قائلا: " أين ذهبت براما؟ أما كان من المفترض إبقاؤها هنا حتى تتيقن من شعبية فراس بين الفتيات وتنسى أمره؟"

أجبته بشيء من الانزعاج الذي تسببت هي به: " لقد تصرفت بشكل أرعن! كان لا بد لي من إصلاح الفوضى التي تسببت بها أولا ثم لا تخش شيئا، إن لمحها فراس مع الجمع الغفير المتفرج، فسينفر منها لأنها تصرفت بهمجية لا تتناسب مع أي من المتواجدين في القارب هنا، فحسب ما أراه فهو ينجذب إلى الفتيات اللاتي يتصرفن بغنج زائد."

ابتسم بمرح وقال: " لكنها همجية ظريفة وملفتة!"

لست متأكدة من قبولي لوصفها بالظريفة، فهو لم يجرب أن يعلق بلسانها حينما يخرج عن السيطرة.

التفتّ لأشير نحو الباب ونصحته بملاقاتها في الخارج حيث طردتها، فلم يجبني، أعدت بصري نحوه لألمح عينيه الزرقاوين متسعتين بصدمة بائنة، ثم أظلمت عيناه ليختفي بريقهما وقد اختلفت ملامحه، ما أثار ريبتي فسألته عن الخطب.

أشاح وجهه بعيدا ثم قال مرغما بصوت مجروح: " تأخرت.... حصل ما كنت أخشاه.. انتهى الموضوع"

- " عمّ تتحدث؟ ما بك؟"

- " انظري خلفك"

حينما استدرت إلى الخلف وكأن شهابا ضرب الأرض فأحرق كل مخططاتي وآمالي، لم أكد أصدق ما تراه عيناي، فشعرها الذهبي يتراقص بالتناغم مع خصرها المحاط بكفيه الضخمين وهو يمايل جذعها تحت الأضواء وعلى أنغام أغنية رومانسية.

ابتسامتها لا تفارق شفتيها وعيناها تهمسان بوضوح بحبها له، وهو بدوره مستمتع بمراقصتها والنظر في وجهها الجميل ويتلذذ بالتحكم بخصرها الرفيع. كيف حصل شيء كهذا؟ متى تسنى لفراس اللقاء بها؟ وأين؟

كنت أحاول ترجمة ما يدور حولي حينما استدار إيان مبتعدا وهو يودعني متمنيا لي وقتا ممتعا، حاولت إيقافه فتوقف، لكن لم يتوقف بسببي بل لأنه كان شاردا أمامه مصدوما ثم سمعته يهتف بخفوت: " ماذا تفعل هذه هنا؟ تبا سأنسحب!"

سار مسرعا نحو الباب وهو يحاول الاختفاء بين الحشد. أعدت النظر إلى موضع نظراته السابقة لأحاول فهم ما يدور معه، فلم أر ما يثير استهجانه إلا وجه سيلينا وهي تتحدث إلى فتاة ما.

أطلت التحديق بسيلينا وأنا أستحضر كلامه، هل هو مصدوم من رؤيتها هنا؟ لكن ألم يلمحها تدخل معي؟ كيف يظن أنني سأحضر راما دون سيلينا إلى الحفل؟ عليه أن يعتاد على رؤيتها فهي صديقتي، راودني شعور غريب في تلك اللحظة؛ فلأول مرة أشعر بالسخط على إيان وبالشفقة حقا على سيلينا، لم أتوقعه يكره رؤيتها إلى هذه الدرجة.

سيلينا

نزلت السلالم من خارج القاعة نحو الدور السفلي حيث أشارت إلي إحدى الفتيات حينما طلبت منها أن تدلني إلى مكان دورات المياه، وذلك لأصلح مظهري. من إحدى مساوئ امتلاك شعر ناعم أنه يفسد مع التسريحات لمدة طويلة وخصوصا أن عبوة مثبت الشعر قد فرغت تماما حينما سرحت لراما شعرها ولم تكفني لأقوم بتثبيت شعري.

كان الممر طويلا ومليئا بالأبواب الخشبية المغلقة، إلا بابا زجاجيا في نهاية الرواق حيث لمحت في الغرفة من خلف الزجاج عدة رياضية، فتساءلت إن كان فراس يقضي وقته هنا بممارسة الرياضة.

فتحت أحد الأبواب بشكل عشوائي ولمحت فيها غرفة فندقية فيها سرير كبير ومنضدة وأريكة مقابل السرير. تأملت الغرفة وأنا أسير فيها متجهة نحو باب داخلي فيها لاعتقادي بوجود حمام هناك.

كان ظني في مكانه الصحيح، حينما دلفت وجدت حماما صغيرا فيه مرحاض ومكان خاص بالاستحمام، ومرآة معلقة فوق المغسلة. وقفت أمام المرآة لأطلق سراح شعري من

تسريحتي المتهالكة بينما تدور في رأسي أسئلة كثيرة بخصوص هذا القارب، فربما يستخدم والد فراس الغرف لغايات التأجير الفندقي. وإلا ما الفائدة من امتلاك قارب ضخم كهذا بغرف ملمعة ونظيفة بشكل حريص هكذا؟

أجفلت على صوت باب يغلق بقوة فقفزت من فقاعة تساؤلاتي لأعود إلى الواقع.

استدرت ناحية الباب أبتلع ريقي بقلق، ورويدا رويدا اتجهت نحو باب الحمام لألقي نظرة إلى الغرفة لأتأكد أن الصوت قد جاء منها أم لا.

شهقت على شكل صرخة مكبوتة، وتوقف قلبي عن العمل لثوان أقسم أنني شعرت به يمزق ضلوعي ويثب خارجا منه. التفت بجسده الطويل خلفه يحمل ملامح مصعوقة بينما يقف أمام الباب وهو متمسك بمزلاجه العريض. والتقت نظراتنا، فتح فمه ليقول شيئا لكنه لم يتمّ جملته: " عفوا.. لم أعلم بوجود أحد هنـ..."

- " إيان؟ هل هذا أنت في الداخل؟"

كان الصوت عائدا إلى فتاة ما من خلف الباب، وعلى أثره توقف إيان عن الكلام، عاد الصوت متسائلا بنبرة أشد إلحاحا. ثم أعقبه طرق عنيف على الباب.

خرج صوتي ليسبق تفكيري فتساءلت: " ماذا يجري هنا؟"

توقف الطرق للحظات ثم عاد صوت الفتاة يعبر من خلال الباب وقد تبينت من صوتها أنها تبكي: " معك فتاة في الداخل؟ سمعت صوتا عندك لا تراوغ! هل هي تلك الشقراء؟"

شقراء؟ عمن تتكلم؟ ومن هذه الفتاة أصلا؟ اتكأ إيان بجبينه على الباب وهتف لها بصوت منخفض لكنه لم يكن منخفضا كفاية ليمنعني من سماعه، فقال بنبرة متعبة: " ميريديث!... أرجوك افهميني! أنت تهدرين وقتك وتعبك سدى.."

قاطعته محتدة وهي تصيح من خلف الباب: " لا! أمك قالت أنه بوسعنا الزواج والارتباط! وبعد أن ماتت أخلفتَ وعدها كيف يمكنك أن تفعل بأمك شيئا كهذا؟"

أجابها متنهدا: " أمي – رحمة الله عليها- لا علاقة لها بقراراتي، توفيت ونحن لم نرسو على بر، لم أوافق يوما على الارتباط بك..."

قاطعته مجددا بقولها متوسلة: " لماذا؟ ماذا ينقصني؟ أنا جميلة وشقراء مثلها، أم تحب العربيات؟ اشرح لي لأفهم ما تجده فيها ولا تجده بي! إذا قصصت شعري مثلها فهل ستحبني؟"

- " ميريديث! كفاك كلاما سخيفا!"
- " لماذا تصر على تحطيم قلبي؟ أخذتها إلى المطعم لتغيظني، وأهديتها ألماسا لتقهرني، والآن جئت بها الحفل لتختلي بها في غرفة وحدكما لتمارس ما تشتهيه معها وتغدقها بحبك الذي حرمتني منه!"

شعرت بالانزعاج من كلامها ولمحت احمرارا يلطخ خد إيان من الخلف ليصل الاحمرار إلى أذنيه وقال مقاطعا لها: " ميريديث! عيب عليك! أنا شاب محافظ! لا أمارس المحرمات!"

ضربت الباب بقوة من الخارج فأجفل كلانا ثم تابعت بصوت باك وكأنها لا تسمعه: " تصرف كما يحلو لك لكنني لن أسامحك وستكون نهايتك هنا على يديك فلتتعفن معها إلى الأبد"

اختفى صوتها مرة واحدة وسمعت صوتا غريبا خلف الباب، صوت احتكاك شيء ما.

التفت نحوي إيان وعلى وجهه إحراج بائن ثم هتف لي: " أنا آسف... فعلا فعلا آسف على ما شهدته هنا... أرجوك اعتبري أن شيئا لم يحصل وسأكون ممتنا لو لم تحدثي به أحدا"

لماذا يتحدث إلي بهذه الطريقة كأنه يراني لأول مرة؟ وماذا يجري من حولي أصلا؟ لمحت أمامي غيمة تنقشع وتكشف لي حقائق لم أكن واعية لها من قبل، في الحقيقة إيان لا يعرفني البتة، هو لم يكن يغيظني، كل تصرفاته السابقة ولقاؤه لراما في المطعم كان لإغاظة فتاة أخرى لا علاقة لها بي، فتاة شقراء كراما، فتاة تحبه وموعودة بالزواج منه ليمحو الوعد ويهرب منها إلى هنا... حيث نعيش نحن، ثم يقع في حب راما. اختلفت الرواية الآن فما كابدته من نفوره مني كان سرابا، فلست إلا شخصية ثانوية في مثلث الحب الذي يحياه . لو كنت أعيش الآن في رواية أو مسلسل لكان الآن هو الوقت المناسب ليتخلص الكاتب مني لأخرج من أحداثه المتهالكة وتنتهي معها قصة عشق لم تعش لتحكى.

التفت إيان مبعدا وجهه عني تاركا لي مرارا يتجرع منه حلقي وهمّ بفتح الباب وأدركت لحظتها أنه بخروجه فقد انتهى ما لم يكن له بداية أصلا ليكون مجرد ملصق زينت به جدران قلبي ولن يتسنى لي الحصول ولو على نظرة أخرى منه.

سحب مزلاج الباب ليفتحه لكنه لم يخرج ما زلت أراه واقفا، لم يفتح الباب أصلا، حاول فتحه مجددا لكن دون جدوى تذكر، ثم هتف لتلك الفتاة مناديا باسمها لعلها تستجيب، فاستجابت فورا وجاءنا صوتها منتحبا وهي تجيبه: " لن تتمكن من الخروج أبدا، وضعت قضيبا حديديا في مقبض المزلاج، لقد حبستك معها ولن يدري أحد بوجودكما هنا حتى ولن أخرجك حتى تسلم نفسك لي طواعية! أو .... تموتا سوية!"

التقت نظراتنا المصدومة لوهلة ثم هتف لها مجددا لكن دون رد منها ثم مرّر أصابعه في خصلات شعره كناية عن نفاد صبره وزفر نفسا عميقا، ثم أخرج هاتفه من جيب بنطاله الأمامي بينما ما زلت أحاول استيعاب كل ما يجري حولي وعيناي لا تفارقان شبح خياله أمامي.

التفت نحوي والضيق لا يغادر نظراته ثم قال: " أنا آسف يا آنسة مجددا، أعدك أن أخرجك من هنا، لكن هل لي بطلب؟ نفدت بطارية هاتفي هل يمكنك الاتصال بأحد لإخراجنا من هنا؟"

تذكرت وقتها أنني تركت محفظتي وحقيبة راما في الحمام، فركضت عائدة لأحضر هاتفي وأحاول الاتصال بلورا، لكن ولخيبة أملي لم يلتقط هاتفي أي إشارة، جبت الغرفة من كل الزوايا أملا في الحصول على شيء لكن عبثا.

أدركت وقتها ألا حل أبدا، حُبسنا هنا وحدنا ولا أحد يعلم بمكاننا، وفي لحظة رعب تراءى لي سيناريو مخيف، حيث نبقى عالقين ولا أحد يعلم بمكاننا وتمر الأيام والأسابيع حتى يستعمل أحد القارب مجددا ويجدنا جثتين هامدتين هنا شاحبتين بلا نبض ولا حياة تذكر، فأصابني الجزع، وخانني لساني وهو يتلوى من الفزع وبدأت أهذر كلاما دون وعي مني: " سأموت.. سأتعفن هنا ولن يدري أحد بوجودي! سأموت قبل أن أتمّ العشرين من عمري!"

حاول إيان جاهدا تهدئتي وهو يلوح بيده ويهتف لي لعلي أستمع إليه، وحينما لم يجد مني تفاعلا معه سمح لنفسه بالاقتراب من مساحتي الخاصة ليستقر أمامي ومدّ كفيه على كتفيّ وأحنى رأسه باتجاهي، وقال: " اهدئي رجاء! اسمعيني، سيدرك أحد اختفاءنا ويأتون للبحث عنا، لن نموت! من أين جئت بهذه الفكرة السخيفة؟"

رفعت بصري نحوه بنظرات مرتعدة، عيناه الزرقاوان تخترقان فروة رأسي وهو ينظر إلي كمن يحاول قراءة أفكاري، لم أره من قرب هكذا قط، هل يخيل إلي ام أنه يبدو أشد وسامة من ذي قبل؟

بسبب قربه الشديد مني استطاعت رائحة عطره أن تعلق في دماغي، ثم تنبهت أخيرا إلى لمسه لي وعينيه المسلطتين علي فشعرت بالدم يسري جريا نحو وجنتيّ، واكتسى وجهي بحمرة قانية تصبغت بها خدودي، فاستدرت مبتعدة عنه إلى الجانب قليلا لأتخلص من لمسة أصابعه لي، وابتعدت بجسدي من تحت خياله بينما هو يطالعني ملجوما بتصرفي.

سكت هنية من الوقت وهو يتفحص كل تفصيل بي، وأظن أن شيئا لفت نظره لكن لم أهتدي إليه في البداية، إلا حينما حاول كسر الحاجز الذي سارعت ببنائه بيننا، فقال: " بما أننا محتجزان وحدنا هنا، دعينا نتعارف، أدعى إيان، هل لي بشرف معرفة اسمك؟"

حافظت على الصمت لوهلة ثم أجبته بعد تردد: " سيلينا"

استشعرت في قوله التالي ابتسامته وهو يسألني: " حسنا سيلينا، هل تقابلنا قبل الآن؟"

شعرت بشحوب يعتريني، لن أقول له شيئا عني، لا أريده أن يعرف أنني صديقة راما حتى. فأجبته نافية: " لا.. لا أظن!"

أجاب بنبرة متهكمة وقد سرق من قلبي خفقة جعلتني أشعر بأنني بين قاب قوسين أو أدنى من الانهيار أمامه: " إذن هل يمكنك أن تفسري لي لماذا تحملين حقيبة فتاة أخرى؟ هل تريدين مني البوح بهويتها؟"

....

اعتلى ظهر القارب برفقة مجموعة من أصدقائه ، وسار بخطوات ثابتة مستعدا لخطوته التالية، أشار برأسه لأحد أصدقائه بالتوجه إلى النقطة المتفق عليها، ثم وجه أنظاره نحو القاعة أمامه، وتمكنت ابتسامة سمجة من شق طريقها نحو شفتيه فهمس بانتشاء يسبق إحساسه المؤكد بالفوز على غريمه قائلا: " الآن تبدأ حفلتك أيها المدعو فراس... لن يحلم أحد بالارتباط من راما قبلي أنا، فهي ملكي!"

الفصل الحادي عشر

كان ذهني خارج الإدراك ولم أكن أفكر بشيء أبدا إلا به هو بينما يسير أمامي وممسك بيدي كي لا يضيع أثري بين الحشد. جسده المتين يسير برشاقة وشعره الأسود يلمع بطيف أزرق وهو يتطاير أثناء سيره. أشار من موقعه للدي جي بتغيير الأغنية ففوجئت به يبث إحدى الأغاني المفضلة لي بعنوان (could I have this kiss for ever) للمغني المشهور انريكي.

ألقيت نظرة خاطفة نحو الشاب الواقف عند الدي جي فلمحت ابتسامة لم أفهم مدلولها وهو ينظر نحو فراس، لأجد فراس ينظر نحوه بذات الابتسامة. لماذا اختار هذه الأغنية بالذات؟ هل يعلم بأنني أحبها؟ لا كيف له أن يعلم وهو لا يعرفني! أم أنه أعجب بي ويأمل بالحصول على قبلة مني؟ أو..... هل يفكر في استغلالي؟ ربما افتتن بمظهري ويظنني فتاة حمقاء رخيصة مستعدة لأركع عند قدميه افتنانا بسحره.هل علي أن أشعر بالضيق من هذه الفكرة؟ طبعا، لكن قلبي يأبى الاستماع لأفكاري، فأنا من ستموت لأحصل منه على شيء ولو كان نظرة إعجاب ، أيمكن أن يقبلني فراس الليلة؟ توقف يا قلبي عن تعذيبي فربما كان اختياره لها عشوائيا ولا نوايا خفية له. لماذا أرهق نفسي بالتفكير بهذا الأمر الآن بدل الاستمتاع بوقتي المحدود معه؟ إن كان يريد استغلال الموقف ليحصل على قبلة فلا يهمني! تفكيره هذا يثبت لي أنه يراني جميلة وأستحق التقبيل. لكن بالرغم من حبي الجنوني له فلن أستسلم لأهوائي، حافظت على نفسي سنينا، صحيح أنني أريده لي وحدي لكن أريده أن يكون حلالي.

فرقع أصابعه في الهواء أمام وجهي فأعاد انتباهي إليه، ثم سألني وهو يبتسم بخفة: " ما بك؟ شردت بعيدا، هل كل شيء على ما يرام؟"

هززت له رأسي بإحراج فمد لي كفه ليبدأ مراقصتي، حمدا لله أنني كنت أتدرب هذه السنين على الرقص مع سيلينا في انتظار لحظة مماثلة كهذه، من كان ليتوقع حصولي عليها بعد هذا الصبر والانتظار؟ مددت له يدي ليحتضن باطن كفي بلمسة أشعلت نيران قلبي ويدي الصغيرة تختبئ في حضن كفه الحامي كفارس انتشلها من عتمة الليل ليحميها. ثم بدأ جسده يتمايل موجها أوامره الخفية لجسدي المقابل له بالتحرك بتناغم معه، دس يده الثانية في وسطي ليساعده على التحكم بخطواتي مما أثار دغدغات سرت في عروق جسدي وأنا لا أكاد أصدق أنه يلمسني حقا، هذه المرة أرجو من كل قلبي ألا أستيقظ على وجه سارة، إن كنت الآن أعاني من غيبوبة فلأبقى أبد الدهر فيها حتى لا تفارق عيناي سحره، وجسدي لمساته، كم أحبه وكم أهواه!

عيناه المتلألئتان تتفحصان نظراتي وكأنه يكشف حقائق حبي المدفون له، وأخيرا تحدث معي حين قربني إلى جسده أكثر وأحاطني بكلتا يديه من وسطي لتستغل يداي الفرصة وتستريحا على كتفيه العريضين: " إذن.. قولي لي كيف لي ألا ألتقي بك من قبل؟"

أجبته مع ضحكة خفيفة: " لأنني لا أدرس في كلية الهندسة، بل في كلية التربية"

أجابني بتهكم مبتسما: " آه! هندسة كتاكيت!"

ضحكت على تعليقه الساخر مع أننا في العادة نتضايق من طلبة كلية الهندسة حين يصفوننا بهذه العبارة كأنهم يزدرون تخصصاتنا ولا يرون في تعليم الأطفال أو ذوي الاحتياجات الخاصة تخصصا ذا أهمية.

استمر إيقاع الأغنية يتردد في أنحاء الصالة بصوت انريكي العذب مصاحبا لصوت المطربة الأخرى والتي تدعى ويتني. وكلما لاح صوت انريكي يحرك فراس شفتيه تناغما معه وهو يردد لي كلمات الأغنية فيحمر وجهي خجلا وخصوصا حينما يأتي مقطع طلبه للقبلة. هل يلمح لي حقا برغبته في تقبيلي؟ لكنه لم يلتق بي إلا توًّا!

انتهت الأغنية ليتردد بقايا إيقاعها من حولي وألقى فراس نظره نحو شفتي فشعرت بجسدي يذوب وبالحرارة تتلف لي خلايا دماغي، من مجرد نظرة منه حصل لي هذا فكيف لو استشعرت طعم شفتيه؟ أردت مهربا فأنا لا خبرة لي في مواقف كهذه، فماذا يفترض بي فعله؟ وكإنقاذي من هيامي المخلوط بخجلي قطعت الكهرباء فجأة، فشعرت بالذعر على الفور وما زاد خوفي صراخ الفتيات من حولنا، وبدأت الأصوات تتعالى والكل يتساءل عن سبب انطفاء النور لكن صوت فراس أحاطني ليحمل الأمان وهو يهتف للجميع بالحفاظ على الهدوء أعقبه عودة الأنوار فجأة.

شحب وجهي شحوب الأموات، فأول ما أبصرته عيناي بعودة الضوء هو وجه ذاك الصعلوك وليد محاطا بمجموعة من الشبان غير مريحي المظهر، ينظر حوله نحو الأضواء متجهما بعبوس، ثم تمتم عبارات موجهة لفراس: " لديك مولدات احتياطية! كيف غابت هذه الفكرة عن بالي؟ على كل حال، الأمر ليس بتلك الأهمية، في انقطاع الأنوار أو عودتها سأهشم وجهك الجميل بيديّ"

حدثتني نفسي بالهرب من المكان ولم أبقي شتيمة في قاموسي إلا وقذفت بها ذاك الأخرق في سري. تساءل فراس متعجبا باستهجان: " من أنت؟ وماذا تريد؟"

أجابه بسماجة: " أنا كابوسك الذي سينهي حلمك الآن!"

أحمق! يظن نفسه ظريفا وهو يلقي كلاما مسجوعا! نظر إلي فراس مقطب الجبين وتساءل بعدم فهم: " هل فهمت شيئا مما يريد؟"

هنا خرج صوت وليد ثانية وهو يصرخ مغتاظًا: " لقد سرقت مني فتاتي!"

أعاد فراس نظره نحوي متسائلا إن كان يقصدني بالكلام، فأسرعت بطرد هذه الفكرة من رأسه وأنا أهز رأسي استنكارا، ثم أضاف ذاك الأبله: " استعدّ لتكسر قدمك ثانية!"

التفت فراس نحوه وهو يهدده باستدعاء الأمن إن لم يخرج من تلقاء نفسه من القارب، لكنه قوبل بالرفض وخصوصا بعدما بين له أن أصدقاءه يحملون معهم قنابل دخانية، وما إن سمع الجميع بكلمة قنابل حتى بدؤوا يتدافعون كالجراد نحو باب القاعة وصراخ الفتيات عم الأرجاء.

أخذت هذا التهافت كإشارة لي للهرب حتى لا يتيقن فراس أن ذاك الأحمق يقصدني، فيفضحني أمام فراس وينهي لي أي فرصة تسنح لي بالارتباط به.

لورا

درت في الأرجاء خارج القاعة بينما أبحث عن سيلينا، كيف سمحت لراما بالذهاب مع فراس؟ وأين اختفت؟ ألم تكن تتحدث مع فتاة ما في الصالة حين لمحها إيان؟ حاولت الاتصال بها، لكن الشبكة كانت مشغولة. هل يعقل أنها غادرت؟ هل رأت من إيان تصرفا جعلها تهرب وتغادر المكان؟ لماذا لم تقم بتبليغي على الأقل؟

دوى صوت سمير مع نسمات الهواء الباردة وهو يهتف باسمي، وقبل أن أكمل استدارتي نحو مصدر الصوت إذ به يحكم قبضته على ذراعيّ ويسحبني أمامه، ثم هدر بي بنفاد صبر بائن في صوته: " ما بك؟ هل أبقى أركض وراءك كالطفل؟!"

حملقت به مصدومة بخشونته المفاجئة فهو دائما هادئ الطبع والشرر الذي لمحته في عينيه لم أرى فيه سمير الذي أعرفه، فأجبته بخفوت: " أنت تؤلمني!"

حررني من بين براثنه وقد اعتلى وجهه لمحة ندم، وتراجع خطوة إلى الوراء، أراد قول شيء ما لكنه آثر السكوت. ووسط هذا الجو المشحون إذ بنا نجفل على أصوات صراخ متبوعة بانقطاع الكهرباء، ثم عادت الأنوار وهي تحمل معها مفاجآت لنا حيث كان العديد من المعازيم يركضون خارج القاعة الكبيرة وهم يصرخون ويتهافتون ومظهرهم بدا لي أشبه بالجراد الذي هجر مكان عيشه بسبب رشه بمبيدات حشرية.

ثم لاح شبح أوس يجري نحونا مقتلعا جسده من بين الزحام وهتف لسمير على الفور دون مقدمات: " سمير! الحق! يوجد مجموعة من الهمل وقد رموا المكان بقنابل دخانية ويتوعدون فراس بتشويه وجهه!"

شعرت بالذعر حين تراءى لي صورة عن كلام أوس ثم تساءل سمير وقد تبدلت ملامحه إلى الذعر والقلق عن أصدقائهم الباقين ليجيبه أوس بعدم علمه بمكانهم واعتقاده أنهم ما زالوا في الداخل معه، فأمره سمير باستدعاء الأمن المحيطين بالقارب بينما يريد رمي نفسه وسط الدخان لإنقاذ صديقه العزيز، أردت إيقافه لكنه هاجمني أولا؛ فالتفت إلي قبل أن يبتعد وقال بسرعة: " رافقي أوس إلى الخارج وابقي في مكان آمن، سنتكلم لاحقا.. هيا اذهبي!"

سيلينا

"إذن... لم أسمعك تتحدثين!"

بهت وجهي واصفرت ملامحي ذعرا، ولم يستطع فمي المطبق أن ينفرج ولو بحرف ثم أضاف: " هل لفظ اسمها صعب إلى هذه الدرجة؟"

- " أنا صديقتها المقربة.. كـ..كنا معا قبل قليل.. حتى جاء..."

ولم أتمم كلامي فقد فوجئت بالظلام الذي غلّف المكان، فأدركت أن انقطاعا حصل للتيار الكهربائي، وأنا فتاة جبانة أخاف من الظلام، فبكيت بصوت مرتجف: " ماذا حصل؟ أنا أخشى الظلام! هل لتلك الفتاة يد في الموضوع؟ سأموت ذعرا!"

ومع كل جملة نطقت بها كان صوته يتردد إلى مسامعي ليحاول طمأنتي، لكن رهبتي من الظلام منعتني من الاستماع إليه.

ثم عادت الأنوار لتعمل مجددا وحينما أشرقت الغرفة من جديد سطع وجهه الساحر بعينيه الأخاذتين وشعره اللامع المصفف بعناية. كان واقفا أمامي ينظر إلي بهدوء ووقار، حتى تحدث أخيرا حين استفسر قائلا: " هل أنت بخير؟"

صدى خفقات قلبي وهو يتردد إلى مسامعي تسبب لي بالتشتت لوهلة، لكنني سارعت بتمالك نفسي وتراجعت إلى الخلف خطوة، احتضنت جسدي بذراعي وأشحت بصري عنه بعبوس مصطنع لأحاول إخفاء مشاعري الجياشة تجاهه وهاجمته دون مقدمات قائلة: " راما لا تحبك! فتوقف عن إزعاجها"

ارتسمت ملامح ساخرة على وجهه وقطب جبينه ثم أجابني مبتسما بغيظ:

"very funny! only! I don't feel lik laughing "[21]

التفّ حولي وهو يسير من أمامي متجها خلفي ثم أضاف: " هل قالت لك بلسانها أنها منزعجة مني؟ لأنني أشعر بأنك أنت المنزعجة!"

وجهت له نظرة غضب واضحة فأردف: "أستطيع رؤية ذلك في عينيك."

[21] " مضحك جدا! لكن لا رغبة لي بالضحك"

حاولت جاهدة إنكار ذلك فأجبته على الفور: " توقف عن الكلام السخيف.. أنا لا يهمني ما يحصل بينكما، لكنني أساعدك فقط في إيصال شعور راما تجاهك؛ فهي لا تكترث بشاب يحطم القلوب بدم بارد، ويتغزل بها كلما سنحت له الفرصة غير مهتم للحطام الذي يلوث به يداه عند كل لقاء"

- " أوه! على رسلك يا فتاة! حطام ماذا؟ وغزل ماذا؟ هل أسأت إليها بشيء؟ فسري لي فأنا ضعت"

وليته ظهري بحنق متنامٍ وأجبته: " هي لا يعجبها أنك تقوم بتحطيم قلب تلك الفتاة!"

جاءني صوته يجيبني ببرود: " هذا كلام سخيـ..... "

صمت لوهلة ثم تساءل فجأة وهو يرتب كلماته في مسامعي ببطء: " ثانية من فضلك! راما لا تعرف ميريديث، ولم ترها يوما، فكيف لها أن تبدي اهتماما بمشاعرها؟ ثم متى قابلتُ راما بوجود ميريديث؟"

حافظت على صمتي ولم أجبه ملجومة برده، وسرعان ما جعل قلبي يخفق بضربات جنونية حين أضاف سؤاله محتدا: " أما زلنا نتحدث عن ميريديث؟ أم أن ثمة شيء آخر لا أعرفه؟"

احتضنت حقيبة راما إلى صدري بارتباك بينما أعض على لساني من غباء ما تفوه به فمي، فحاولت إنقاذ نفسي وقلت بعناد: " راما.. تشعر بالشفقة على الفتاة.. ولا يعجبها الكبد الذي تعانيه تلك المسكينة بسببها.."

ابتسم بخفوت ثم انحنى بجذعه قريبا من مؤخرة رأسي وهمس لي ليترك شعورا غريبا من الرجفة يتسلل في أوصالي: " بالله عليك! هل تحاولين إقناعي بأن راما حساسة لمشاعر الآخرين إلى هذه الدرجة؟ نعم شعرت أنها طيبة القلب لكن ليس إلى هذه الدرجة، إذا كان

الأمر كذلك فلما لا تتنحى جانبا وتتوقف عن التهافت على فراس حتى لا تتسبب بالتعاسة لمعجباته المجنونات به؟"

أخذ يلتف حولي مجددا ببطء وهو يضيف: " حدسي ينبؤني أن ثمة سببا أقوى يجعل راما تصدني، ما هو؟ قولي!"

ما إن قالها حتى كان مستقرا جانبي منحنيا ناحية وجهي كالمحقق في جريمة ويستجوب الجاني بطريقة تبعث في قلبه الرعب ليعترف، تسللت إلى أنفي رائحة عطره الزكية، وسرعان ما شعرت بخديّ يحمرّان بشدة، أردت أن أطلب منه أن يتراجع قليلا إلى الوراء، لكن حضوره كان قويا يعجز اللسان عن الرد عليه. ثم ألح مجددا بقوله:

"come on beautiful! Speak "[22]

ازدردت ريقي مرارا وأنا أحاول تجنب النظر في عينيه، فهما كالتعويذة ما أن تلقيا سحرهما حتى ينتزعا ثباتك المزعوم وتخرجك من كهف أسرارك العميق لتتنازل عما حاولت حراسته عن مسامع من لا يصح له أن يسمع.

قبض علي بكفيه من ذراعيّ وأدارني نحوه بلطف، ثم قال أخيرا وقد سحب طرف الخيط قائلا: " من هي التي تخشى راما على مشاعرها بشدة فامتنعت عن الرضوخ لي؟"

لا يمكن أن يستهان بهذا الشاب، فهو فطن ويتمتع بسرعة البديهة، تمكن من اكتشاف مشاعر راما بالضيق نحوي. ولأنني لم أكن أتمتع بذاك الثبوت والجبروت الذي تتمتع به لورا وجدت دموعي مهربا من مقلة عينيّ وأجادت رسم طريقها عبورا نحو وجنتي ومرورا بفكي وذقني، ثم استسلمت لزلتي باكية: " ابتعد عني لقد تعبت من ألم قلبي بسببك!"

---

[22] " هيا يا جميلة تكلمي"

قطب جبينه أكثر ثم خرجت من فمه شهقة صغيرة ما إن تكشفت له الأمور ورفع الستار عن المحجوب ليترك ذراعيّ ويبتعد قليلا من أمامي وهو يهمس بغير تصديق: " هي تخشى على مشاعرك أنت؟"

راما

التدافع الذي كان على مخرج القارب منعني من الهروب إلى الخارج فغيرت وجهتي بسرعة وتبعت السلالم لأهبط الدور السفلي وركضت في الممر غير مهتدية إلى وجهتي. لمحت في طريقي بابا مغلقا بمقبض حديدي معلق في مزلاجه مما أثار فضولي، اقتربت من الباب لكنني سرعان ما سمعت صوت إطلاق لعيار ناري فوثب قلبي رعبا وأكملت الجري نحو باب زجاجي في آخر الرواق.

قلبت عيني بين الأجهزة الرياضية في الغرفة وجال في خاطري منظر فراس وهو يتمرن باستخدامها فتدفق الدم بقوة إلى وجنتي، لكن هذا ليس وقت التفكير بفراس! التفتّ حولي في الغرفة حتى لمحت بابا في زاويتها فقررت الركض باتجاهه لعلي أجد لي ملاذا أختبئ فيه ريثما تنتهي هذه المهزلة.

أغلقت الباب خلفي بينما أدعو في سري ألا يفضحني وليد أمام فراس، يا له من شاب أحمق! كذب على نفسه وصدق الكذبة. شعرت بأطراف أصابع تلامس كتفي فقفزت ذعرا، ثم التفتّ خلفي فورا لأتفاجأ برؤية آخر شخص توقعت وجوده هنا على الإطلاق.

كانت تنظر إلي باستنكار واضح ثم بادرت بالسؤال: " ماذا تفعلين هنا؟"

أجبتها بسؤالي: " أنت ماذا تفعلين هنا؟"

أجابتني بلا مبالاة مصطنعة: " جئت أستطلع غرفة زوجي المستقبلي وحبيبي الأزلي"

نظرت إليها باشمئزاز واضح، من تظن نفسها هذه المدعوة ميساء؟ إذا كانت تظن أنها ستحظى بفراس لها فهي بالتأكيد تحلم، فوجهت لها تهديدي قائلة: " اسمعي! قلت لك ابتعدي عنه.."

سكتّ من فوري حين استطاع دماغي أخيرا معالجة كلامها، فضيقت عيني وأنا أتفحص ردود أفعالها حين سألتها: " مهلا! هل هذه الغرفة خاصة لفراس؟"

- " هل تعانين من انفصام؟ أظن أنني أوضحت لك منذ البداية. جئت هنا لأتفحص اهتماماته وهواياته..."

قاطعتها بقولي: " هذا مرض نفسي!"

نظرت نحوي محتدة وقالت: " إذن غادري! أتحداك ألا تستسلمي لرغبتك بتفقد المكان بعد علمك أن هذه الغرفة هي غرفة الشاب الذي منحته قلبك"

ابتلعت ريقي غير قادرة على الرد، فمن أخدع؟ هوسي به يكاد يفوق هوس أي فتاة أخرى، فقلبت عيني في الغرفة بشكل لا إرادي لمحت فيها شاشة كبيرة معلقة وأريكة كبيرة مقابلها وخزانة رفوفها مليئة بالكتب. لم تنتظر مني ردا بل حدجتني ببرود بقولها: " ماذا حصل معك؟ هل يئس أخيرا من مراقصتك ورماك ليتسلى مع أخرى؟"

شهقت بغل وأجبتها وأنا أصر على أسناني: " بماذا تفضلت حضرتك؟ أكره أن أنقل إليك هذا الخبر، لكنه الآن متيم بي بشدة لم يرد حتى فراقي، أنا التي هربت "

- " ولما هربت؟"
- " ... حسنا... الأمر هو.."

وصل إلى مسامعنا فجأة صوت جدال حاد، وكان الصوت يقترب من الباب، فأسرعت بإمساكي من معصم يدي وجرت بي نحو باب آخر يقود إلى الداخل حيث وجدتُّ فيها سريرا وخزانة صغيرة.

اختبأنا خلف الباب تباعا مع صوت صرير الباب الخارجي وهو يفتح ثم تبينت الصوت الأول الذي يعود إلى فراس حين قال بلهجة تنم عن نفاد صبره: " قلت لك اتركني وشأني!"

ثم أجابه الصوت الثاني الذي استغرق مني ثانيتين لأدرك أنه صوت سمير حين أجابه بنبرة غاضبة: " ليس قبل أن تقول لي ما أساس الشجار! هل تريد إقناعي أن شابا لا تعرفه جاء يضربك دون سبب؟"

- " تماما!"
- " هل يمكنك أن تتوقف عن التصرف كأحمق وتكون جديا لدقيقتين من حياتك فقط؟"
- "ماذا تريد مني أن أقول؟ كنت أستمتع بوقتي وجاء ذاك الأحمق مع مجموعته السخيفة وهو يتهمني بسرقة فتاته، ولم يعطني فرصة لأفهم شيئا ألقى القنابل الدخانية في أرجاء المكان وهمّ بمهاجمتي! هل توقعت أن أسكت له؟"

هدأت نبرة سمير وهو يسأله بقلق: " هل هذه القصة التي سترويها لوالدك؟"

شعرت في نبرة فراس غضبا مكبوتا حين وجه سؤاله لسمير: " وما شأن والدي؟ .... لماذا أنت صامت؟ تكلم!"

زفر سمير نفسا مثقلا ثم أجاب: " والدك... أمر الأمن بإبلاغه عن أي شيء يخرج عن السيطرة، لذا هو في طريقه لتقابله وتشرح له"

خرج فراس من طوعه وهو يصرخ به: " لماذا يا سمير؟ لماذا؟"

أجابه الآخر وهو يحاول تهدئته: " اهدأ وفكر بشيء تبرره لوالدك بدل الصراخ والغضب، فلن تصل إلى حل بعنجهيتك، والآن اذهب واستحم وغير ملابسك حتى تلقى والدك حسن الطلة"

شدتني ميساء إلى الخلف بسرعة وأشارت إلي لنختبئ تحت السرير، فأطعتها دون جدال، لأنني سمعت خطواته تقترب من مكاننا وسارعنا للاختباء فورا.

فتح الباب ولمحنا قدميه تجرانه إلى الداخل أعقبه قول سمير له: " فراس! كل شيء سيكون على ما يرام، سأكون معك حين يأتي والدك، فاطمئن، المهم أن تفكر بشيء تقوله له وحاول ألا تثير غضبه فقط"

لم يطل في استحمامه، سمعنا صوت الباب الذي دخل منه إلى حمام داخلي يفتح، ثم لمحنا قدميه تسيران حول السرير، احمرّ وجهي من فكرة وقوف فراس مستحما فوقنا، صحيح أننا لم نتمكن من رؤية شيء إلا قدميه، لكن الفكرة بحد ذاتها سببت لي الإحراج، نظرت نحو ميساء لأجدها الأخرى مثل حبة البندورة في احمرارها.

أخذ يرتدي ملابسه حين جاءنا صوت سمير مجددا وهو يسأله: " إذن مع من كنت تتسكع مؤخرا؟"

- " ما هذا السؤال؟ لا أحد! لماذا؟"
- " ألم تقل أن الشاب قال لك أنك سرقت فتاته؟ هل في بالك بنت معينة؟"

شحب وجهي وشعرت بعروقي تجف، جلس فراس على السرير فوقنا، تخيلته جالسا يقوم بارتداء قميصه، ثم أجابه: " لا أعرف... كثير من الفتيات يتقربن مني، إما لحجة دراسة أو غيرها، لا يمكنني أن أحفظ جميع الوجوه التي تحدثني"

سكت سمير قليلا كأنه يدرس كلامه ثم قال: " وماذا ستقول لوالدك؟"
نهض عن السرير واقفا واتجه إلى الأمام ثم سقط من يده شيء، كان فرشاة شعر، فانحنى بقامته لالتقاطها وهنا شحبنا شحوب الأموات وذاك الرعب سيطر علينا، ماذا لو رآنا؟ وبشكل لا إرادي كممت كل منا فم الأخرى بيدها لئلا نثير جلبة فيعلم بمكاننا.
تنفست الصعداء حين اعتدل واقفا أخيرا، وخرج من الغرفة وهو يتمتم لسمير: " سأقول الحقيقة ولن أزيد"
سمعت صوت تنهيدة متعبة تخرج من سمير أعقبها إغلاق الباب.
خرجنا من مكاننا ونحن نلتقط أنفاسنا المثقلة بالرعب الذي شهدناه، ثم وجهتني ميساء بقولها: " أسرعي! علينا أن نخرج من هنا، مجيء والده يعني انتهاء الحفل"
تبعتها مسرعة نحو الباب لكننا صدمنا بأنه كان موصدا، فقالت ميساء بذعر: " يا ويلي حبسنا في غرفته!"
طرقت على الباب دون تفكير حين توارد إلى أذني كلمة حبسنا وأخذت أهتف كالمجنونة ليفتح أي كان الباب.

سيلينا

جلست على الأرض أمام السرير حيث يجلس إيان في انتظار أن يكتشف أحد مكاننا. كان الصمت الثقيل هو المطبق على الأجواء. كليلة ضبابية تشعرك بالإحباط حتى كسره هو أخيرا فقال: " لا يصح جلوسك على الأرض هكذا، ستتسببين بمشكلات صحية لك.."
قاطعته محتدة: " لا شأن لك"
صمت لوهلة ثم ما لبث أن قال: " أنا آسف، لم أقصد يوما أن أتسبب بإيذائك"

اختلطت علي الأحاسيس من ذعر من سجني هنا وجرح قلبي منه، وهيامي به فبكيت قهرا وحدثت نفسي بلا وعي مني بصوت مرتفع: " أنا السبب!"

- " عفوا؟"

استرسل لساني قبل أن أتمكن من ردعه: " سنبقى هنا ولن يدري أحد بوجودنا، ولا منفذ لنا للهروب، كل هذا بسببي، لو لم أقم بكسر رجل فراس لما أقام حفلا على متن قاربه من الأساس"

وكأنني رميت على مسامعه قنبلة مدوية فانتفض من مكانه وهو يتساءل غير مصدق: " لحظة! توقفي هنا! أنت؟ أنت من كسر قدمه؟ لكنني سمعت أنه كان شابا متخفيا"

أجبته بجفاء: " نعم أنا.. لم يكن من الصعب علي التنكر على هيئة شاب. كانت حماقة مني لم أقصد أن تكسر ساقه أردت أن أتسبب له بألم طفيف فقط حتى لا يكسر قلب راما بمقابلته غريمتها ذاك اليوم"

طال صمت إيان قليلا وشعرت بذهوله يلجمه عن التفكير في شيء يقوله، إلى أن تمتم أخيرا: " ونجحت في زرع انطباع في قلبي إلى كوني الشرير هنا!"

التفتّ نحوه فورا وهاجمته محتدة بقولي: " ماذا تفضلت وقلت؟ كيف تجرؤ؟ أنا لست شريرة مثلك! فعلت ذلك من أجل راما لأنني أحبها ومستعدة لفعل المستحيل لها، لست مثلك أنانيا يؤذي الآخرين لأجل مصلحته الخاصة!"

تغيرت نظرته اللطيفة إلى التجهم، وقطب جبينه قبل أن يجيبني مستاء: "لست أنانيا! بل أفكر في مستقبلي كأي شاب! لست مجبرا على الارتباط بفتاة لا أحبها، وبالتأكيد لست مخطئا برغبتي في الزواج من فتاة لهف قلبي لها، هكذا الفطرة البشرية فأين الأنانية في الموضوع؟ "

وسط هذه الأجواء المشحونة تم فتح الباب أخيرا لينهي النقاش العقيم الذي ما كان لينتهي لو لم يفتح. نظرنا نحو الباب كغريقين متعلقين بقشة وقد جاءت فرقة إنقاذ، فكان أول ما لمحت وجه سمير المذهول متبوعا بفراس الذي كانت نظراته تتفحص كلينا.

نهضت فورا عن الأرض وقد امتلأ قلبي أملا وبهجة وهتفت: " سمير! حمدا لله ظننت أنني سأبقى هنا"

تساءل سمير بريبة وهو يقلب بصره بيننا بنظرة شك: " ماذا يجري هنا؟"

أجبته لطرد أي فكرة قذرة عني في مخيلته قبل أن يبدآ برسم تفسير لوجود شاب مثل إيان منفردا مع فتاة ما: " حبيبته المختلة حبستنا هنا"

أجاب إيان محتدا: " ليست حبيبتي"

لكنني اخترت تجاهله وأسرعت الخطى نحو سمير لأسأله عن مكان لورا لألحق بها وأخرج من هنا فأجاب: " تعالي، سأوصلك إلى خارج القارب"

رفعت رأسي صوبه متفرسة في ملامحه حيث لم يبد لي طبيعيا: " خارج القارب؟ لماذا؟"

أجاب وهو ينظر نحو إيان: " انتهى الحفل"

- " بهذه السرعة؟"

عم الصمت بينه وبين فراس، وأخذ كل منهما يتبادلان النظرات فيما بينهما، حتى لمحت كدمة تحت عين فراس مما أثار فضولي، فقلت قبل أن أفكر: " يوجد كدمة تحت عينك!"

من تسبب له بها؟ ألم أتركه مع راما ليراقصها؟ ماذا حصل؟ هل يعقل أنه حاول إيذاءها فلكمته في عينه؟ أعرفت عنه راما شيئا جعلها تكرهه وتلكمه؟ هل تكرهه الآن؟ أيعقل أنها ستوجه مشاعرها الآن لإيان؟

لم يجبني فراس، كان يدعك رقبته بارتباك وهو ينظر في وجه صاحبه، فقررت ألا أضغط عليه، مهما كان ما حصل فسأعرفه من راما، رفعت يديّ مستسلمة: " حسنا، انسيا الأمر، أريد فقط أن أخرج من هذا الكابوس!"

لاحت مني التفاتة نحو إيان فوجدته ينظر إلي مجروحا وكأنني شتمته أو جرحت كبرياءه فجاهدت لإسكات صوت ضميري عن تأنيبي بشدة.

راما

" يا إلهي! لا أحد يسمعنا! سأموت وأتعفن هنا وحدي معك! تحقق أكبر كوابيسي!"

أن يكون أكبر كابوس لها أن تحبس معي وتموت بجواري بمثابة طعنة لي، ألهذه الدرجة لا تطيقني؟ لتجعل مني كابوسا يلاحقها؟ هي اختارت مطاردتي وتحويل لحظاتي الحلوة إلى غم، فإن كان أحد الآن يحيا كابوسا فهي أنا.

من شدة غضبي منها دفعت الباب بقوة ففتح مصدرا صوتا غليظا، تبادلنا نظرات مصدومة ثم تفقدنا الباب ثانية لنفهم أنه لم يكن موصدا وإنما عالقا، وكل ما احتاجه هو ضربة مجنونة من فتاة غاضبة ليرفع الراية البيضاء مستسلما فيخرجنا من حبسنا.

ركضنا في الممر المظلم بحذر يشوبه ذعر وميساء متعلقة بذراعي كطفلة جبانة، وحينما وصلنا سطح القارب، كان خاليا تماما فأخذنا نُخرج أنفاسنا المرتعدة ببطء، ثم اتجهنا نحو المخرج لنراقبه من بعد مسافة آمنة، فوجدناه مليئا بالحراسة المشددة وفي الخارج لمحنا خيال فراس مع سمير وعدة رجال من بينهم رجال مباحث.

غطت ميساء فمها وهي تكبت شهقات بكائها متسائلة عن المخرج الآن، فلا يمكننا الخروج هكذا ببساطة من أمامهم دون التعرض لاستجواب، ومحال أن أزرع في رأس فراس فكرة أنني مريضة نفسيا لأختبئ في غرفته وأراقب خصوصياته، أو أعطيه طرف

الخيط لتصرف وليد الأرعن! فالتفتّ من حولي بحثا عن حل، حتى خطرت في بالي فكرة، والأفكار المجنونة كثيرا ما تكتسح مخيلتي ليس إلا لأن المخاطرة والتشويق عنصران أساسيان في قاموسي، فيستحيل أن يمر أسبوع دون أن أصطنع لنفسي مغامرة. وبالرغم من كره سيلينا لمغامراتي المخيفة إلا أنني دائما أجرها معي وسطها. الآن على ميساء أن تتذوق شيئا من حس المغامرة لي.

جريت بها وقد غدقتها بكلمة أمان بوعدي أن نخرج من هنا بأقل الأضرار، حتى وصلنا إلى حافة بعيدة منزوية من خلف القاعة لا تهتدي إليها الأعين بسهولة، فنلت من ميساء نظرة متشككة وكأن ثقتها بي أخذت تتخلخل، وحين لمحت نظراتها المتشائمة مما يدور في ذهني، قلت بكل هدوء:" كفاك تشاؤما! سنقفز عن الحافة"

أجابتني بصوت مرتعد: " حسنا الرقص مع فراس أثر على عقلك، بالتأكيد جننت!"

تجاهلتها وتابعت كأنني أرسم بقية المخطط: " سنقفز في الماء، لن تكون عميقة، فنحن قريبون من البر"

فكرتي كانت أن نقفز من الحافة نحو الماء، وبما أن ميساء تجيد السباحة فسنستطيع الوصول إلى البر بأمان. لكنها رفضت ورددت بذعر وهي تلوح بيدها ذعرا: " لن أقفز أبدا أبد! لن أقتل نفسي بسبب جنونك! "

حاولت تهدئتها مرارا بينما أحافظ قدر الإمكان على ثباتي وجاهدت لإخفاء ذعري عنها حتى لا أزيد الطين بلة هنا.

أخيرا تجرأتُ لعلها ترضخ للأمر الواقع وصعدت على الحافة وتعلقت بها، بينما جن جنون ميساء من فعلتي. هتفت لها لتتبعني وطمأنتها أن كل شيء على ما يرام، وإن تعدت هذه الخطوة فالباقي سهل.

وما هي إلا بضع لحظات حتى كانت ميساء متعلقة بالحافة إلى جانبي وذلك بعدما ساعدتها بالتعلق بالقضبان التي تحيط بالحافة، ازداد ذعرها حين استقرت بجانبي وبكت أكثر من السابق، أمسكت بيدها لأطمئنها ووعدتها أن كل شيء سيكون على ما يرام، وأرشدتها أن تتبع تعليماتي فقط منبهة لها أننا سنقفز حين أعد إلى الثلاثة.

- " واحد.."
- " لا أصدق أنني استمعت إليك وإلى جنونك!"
- " اثنان.."
- " سنموت لا محالة!"
- ثلاثة! هيا!"

سمعنا صوت أحد الحراس يهتف باحثا عن وجود أحد في المكان، فربما سمع أصوات جدالنا وبكاء ميساء، فأخذت ذلك إشارة لأقفز، فتشبثت بها أكثر وقفزت بها عن الحافة حتى سقطنا في الماء ولمفاجأتي كانت أعمق مما تخيلت، حاولت أن أهتف لها بينما أقاوم الماء حتى لا أغرق لكي أسلم لها زمام الأمور، وقد بات كل شيء الآن أسهل لها: " هيا دورك...... أمسكي بي... وجريني... إلى .... اليابسة.."

أجابتني وهي تصارع الماء : " عمّ تتكلمين؟ كيف؟"

- " ألم.... ألم تتباهي أمامي.... بأنك تجيدين السبا.. حة!"

أخذت تلاطم الماء بذراعيها لتحاول النجاة وهي تصيح لي: " أنا لا .. أجيد السباحة! كذبت عليك ... لأغيظك فقط!"

ماذا؟ الآن تقول هذا الكلام؟ اما كان بوسعها أن تبوح بذلك قبل أن نقفز؟ من يكذب في شيء كهذا؟ فجأة باتت حركتي أصعب وشعرت بأن مقاومتي للمياه تبوء بالفشل، وازداد

ثقل الموج على ذراعي، وفي لحظة سكن كل شيء من حولي ولم أعد أستشعر شيئا إلا طعم الماء المالح في جوفي وقد استسلم جسدي تماما ليسمح للماء بجرفي إلى الأسفل.

سيلينا

فهمت شيئا مما جرى على متن القارب بوساطة لورا حيث كنت أتحدث معها من خلال هاتفي لأبحث عنها بين هؤلاء الحشد، بينما كنت أسير على البر بحثا عنها وعن راما، فصدمتُ بكونها وحدها وهي تشرح لي بأنها باتت فترة تبحث عن كلتينا.

إذا لم تكن راما برفقتها فأين هي؟ وكيف سأجدها بين كل هؤلاء الناس؟ والمصيبة الأخرى أن حقيبتها بما فيها هاتفها بحوزتي، فأين وكيف سأبحث عنها؟

الفصل الثاني عشر

راما

ضباب غلف عيني، لم أقوى على الحديث، عجزت عن كل شيء حتى التفكير. كان جسدي مخدرا ولساني ثقيلا، ثم ما لبث صوت هيء إلي أنه يأتي من بعيد ليتردد صداه في أذني وهو ينادي باسمي مرارا، لا أدري كم دامت هذه اللحظة حتى أدركت أخيرا مصدر الصوت... كان صوت سيلينا تهتف باسمي، ثم بدأ الضباب رويدا رويدا بالانقشاع حتى استطعت بيان ملامحها.

كانت تنظر إلي من فوقي بعينين دامعتين، ما الأمر؟ لماذا تبكين؟ أردت سؤالها لكن ذاك الثقل على لساني يأبى النهوض بسهولة، ولماذا شعرت أن صورتها مترنحة فوق رأسي؟ هل فعلا تحوم فوقي أم أنني كنت أهذي؟

ثم لمحت طيفا آخر إلى جانبها بدا لي مألوفا، تلك العينان الخضراوان أحفظهما عن ظهر قلب، القلق باد فيهما، ماذا جاء بك يا أمي إلى هنا؟ وأين أنا أصلا؟ ماذا حصل؟ ثم هاجمتني ذكرى عينيه الزرقاوين الآسرتين ولمساته الدافئة لأصابع يدي، أكاد أقسم أنني ألمح شبحه يطوف من خلف أمي مبتسما لي، فاستجمعت قوتي لأنهض جالسة بشكل مفاجئ تسبب في مزيد من الألم في رأسي وأنا أهتف باسمه بلهفة: " فراس!"

ومن شدة الألم احتضنت رأسي من فوري بيداي لعل الألم يخف. مدت سيلينا يدها لتربت على ظهري وتمسح بحنو عليه وهي تهمس لي: " اهدئي! أنت بخير والحمد لله!"

ثم هاجمتني أمي بقولها: "لم يجف لي دمع من خوفي عليك وأول ما تمكن لسانك من لفظه اسمه؟ هل فقدت كل حس سليم لديك؟"

تمكنت أخيرا من إلقاء نظرة على المكان الذي أنا فيه، لمحت غرفة كبيرة جدرانها بيضاء، ومغذيا موصولا بيدي، هل أنا في المشفى؟ أخيرا وضحت لي سيلينا ما يجري حين قالت: " تم العثور عليك من قبل خفر السواحل مع ميساء غارقتين في المياه! ماذا حصل؟ هل تشاجرتما وسقطتما من القارب؟ أم السبب من تدافع الناس؟ أم...."

ميساء؟ الآن بدأت أتذكر، نعم لقد كنت معها أذكر أننا قفزنا سوية نحو الماء... بماذا كنت أفكر وقتها؟ صحيح! أين هي ميساء؟ أردت أن أسأل عنها لكن صوت الباب وهو يفتح بقوة سلب قدرتي على النطق وخصوصا بعدما لمحت ذاك الشرر المتقد في عينيه.

اقترب صوبي مكفهر الملامح ودون سابق إنذار وجّه صفعة مدوية لوجهي تردد صداها في أرجاء الغرفة ليترك سيلينا ملجومة عاجزة عن الحديث. نهضت أمي بسرعة وتعلقت بذراعه وأخذت تحاول سحبه إلى الخلف وهي تقول لمحاولة تهدئته: " رويدك يا عصام! هذه ليست الطريقة الصحيحة في التعامل معها! إنها متعبة لقد نجت بالكاد من الموت!"

رد عليها أبي بقسوة: " ما أفسدها إلا دلالك المبالغ لها! فضحتني! وأساءت إلي وإلى سمعتي! عديمة التربية وقليلة أدب! اشرحي لي الآن ما كانت تفعله ابنتك على متن سفينة وسط مجموعة من الهمل؟ ماذا تفعل ابنتك من ورائنا؟"

حاولت أمي تهدئته والإحراج بائن في نبرتها وهي تقنعه أن يعالجا الموضوع لاحقا وليس في مشفى في مكان عام حيث يلفت الأنظار نحونا، لكنه كان رافضا وغاضبا بشدة وتابع وابل شتمه وسبابه ووعيده لي بالعقاب المرير بينما سيلينا تحتضنني كأنها تحميني من حممه البركانية التي كان يقذفني بها، وأنا أبكي بين ذراعيها ألما وإحراجا من إشهاره بي بهذه الطريقة.

جاءت لورا أخيرا من الخارج وأسرعت باقتحام الغرفة، لا أدري إن وصلت للتو أو كانت هنا من قبل، لكنني حمدت الله في سري على مجيئها. وقفت أمام أبي بثبات وقالت له بنبرة صارمة: " يا عمّ لو سمحت اخرج من هنا بالحسنى! جعلت ابنتك فرجة! ألا تفقه شيئا في أصول التربية؟"

أجابها أبي غاضبا: " أنت لا تتدخلي يا هذه! أكثر من مرة نبهت عليها أن تترك صداقتك فقد كنت أعلم أن بصداقتها لثرية مثلك أن تجرها نحو الخطيئة!"

- " أي خطيئة؟! اذكر الله ياعمّ سمعة ابنتك أزكى من المسك! عيب عليك! اخرج قبل أن أستدعي لك الأمن!"

ثم رفعت هاتفها لتثبت له قدرتها على طرده دون الاهتمام بمكانته كوالد لي، لكن أمي تدخلت واستطاعت بعد جدال عقيم ومع تدخل طبيب مقيم إخراجه من الغرفة لتتفاهم هي معي وتعالج الموقف بنفسها. بينما نبه الطبيب عليهما بالتزام النظام والهدوء في المشفى وإلا أمر الأمن بطرده وعدم السماح له بالدخول. ثم أمره بمغادرة المشفى وعدم العودة إلا عندما يحسن التصرف.

ارتأت سيلينا ولورا أن من الأفضل لي أن أبقى مع أمي على انفراد. فغادرتا بعد اطمئنان الطبيب على وظائفي الحيوية وسلامتي من أي ارتجاج أو فقد للذاكرة.

وعدتني لورا بأن تبقي والدي بعيدا عن غرفتي، ولا أخفيكم سرا أنني كنت أرتجف بشدة من غضبه هذا، أبي ليس رجلا سمحا ولطالما كان هكذا، عصبيا ومتحفظا وصعب المراس، فهو لا يؤمن بالحوار الهادف البناء، بل في حضوره علينا دائما أن نصمت ونستمع. ولأن والدي يعمل حارسا في إحدى الشركات فإنه يبيت أحيانا خارج البيت ويعود إلينا محملا بالطاقة السلبية والمزيد من الغضب والاهتياج.

جلست أمي على حافة السرير وهي تفكر بشيء ما، فأسرعت بالحديث لاستعطافها فبدأت أبكي حين تلفظت: " أمي! أعلم أنك مستاءة! أنا آسفة... آسفة بشدة..."

تنهدت بانزعاج وقاطعتني قائلة: " وثقت بك يا راما، ظننتك إنسانة أفضل، خنتي ثقتي فيك، ومن أجل ماذا؟ من أجل شاب لا يلمحك ولا يهتم بالنظر إليك؟ عندما أغلقتُ ملف الأجنبي ذاك فإن هذا لا يعني قبولي لتصرفاتك تجاه الآخر!"

ازداد بكائي شدة وشعرت بالدموع المالحة تؤلم خدي المصفوع أكثر، فرجوتها قائلة: " كنت يائسة! سامحيني! أعدك ألا أكررها! ها قد نلت عقابي حين كدت أغرق!"

استدارت نحوي وخطفت يدي بين كفيها وقالت: " إياك! لا تقولي هذا الكلام! خسارتي لك ليست عقابك! لو حصل لك مكروه فلا أدري ما كان ليحصل لي!"

تحول بكائي إلى نحيب، واختلطت مشاعري وقتها من ألم جسدي وحزن على مشاعر أمي وشعوري بالإهانة من صفعة والدي وخصوصا أمام صديقتي المفضلة، عدا عن ذعري الشديد منه، لعلمي يقينا أنه لن يمررها هكذا دون عقاب.

احتضنتني أمي إلى صدرها وأخذت تمسح على شعري وتهدئني وتعدني بألا يطأني مكروه من أحد.

<u>لورا</u>

كنت أسير حول الباب كحارس شخصي خوفا من عودة والد راما فجأة، أغضبني بشدة اعتراف سيلينا بإقدامه على صفعها، لو كنت متواجدة وقتها لما سمحت له بالنفاذ بفعلته، كيف لرجل بالغ عاقل أن يمد يده على ابنته البالغة من العمر تسعة عشر عاما؟! هل قدم من قبيلة البربر مثلا؟ مسكينة هي راما لعيشها مع أب متسلط مثله.

لاحظت حركة مفاجئة من سيلينا، حيث كانت متكئة على الحائط فانتفضت فجأة وهي تنظر أمامها مصعوقة، وجهت نظري إلى حيث تنظر ففوجئت بقدوم إيان من بعد.

كان يسير في الممر الطويل باتجاهنا وهو يحمل في يديه باقة عملاقة من الورود الحمراء الجميلة، فكان بطلّته الأخاذة ملفتا لكل من في الممر، بشعره الذهبي اللامع، وقامته الطويلة وبزته الأنيقة وملامحه الساحرة الجذابة. آه منك يا راما! كيف ترفضين شابا مثله لأجل أرعن مثل فراس؟

سارت به قدماه حتى استقرتا واقفتين على مقربة منا، ثم قال موجها خطابه لي: " مرحبا يا لورا، كيف أصبحت راما؟"

شعرت بالارتباك، وخشيت أن يعود والد راما ويراه هنا ويزيد الطين بلة، فسألته بقلق: " ماذا تفعل هنا؟"

قبل أن يجيبني دخلت سيلينا على الخط مقاطعة وهي تتكلم ببرود متجنبة النظر نحو إيان: " لورا سأنتظرك عند النافذة"

ابتعدت دون أن تلتفت إلى أي منا، لكنني لمحت إيان ينظر إليها ويتتبعها في سيرها وهي تبتعد، شعرت أن نظرته تلك لم تكن عابرة هل حصل شيء غفلت عنه؟ أخيرا التفت نحوي وأعاد سؤاله للاطمئنان على راما: " هل هي بخير؟"

- " نعم... لقد استيقظت، الطبيب طمأننا إلى أن حالها مستقرة.."

قاطعني مقتحما صلب الموضوع، كعادته الصريحة لا يحب اللف والدوران فهو في النهاية لم يأت إلا ليراها: " هل يمكنني رؤيتها؟"

نظرت نحو سيلينا بشكل آلي، كانت تسترق النظرات نحونا وحين لمحت عيناي عليها أسرعت بإبعاد بصرها عنا، ثم قلت له: " دعني أعلمها بقدومك أولا"

أعلمتها بمجيئه فترددت باستقباله، لكن أمها أصرت على دخوله، ربما كان الفضول يقتلها لرؤية الشاب الثري المعجب بابنتها أو تريد أن تبحث عن سبب جعل راما ترفضه.

راما

دخول إيان هنا ومجيئه في هذا التوقيت لا يصب في صالحي، فأنا أخشى من عودة أبي ورؤيته له هنا، كما أنني لا أريده أن يلمح أثر الصفعة على وجهي، وأيضا كرهت فكرة لقائه بأمي، عدا عن كوني غير مستعدة للتعامل معه وخصوصا بوجود سيلينا في الخارج! آه ألم رأسي يزداد مع كل فكرة تهاجمني.

حينما خطت رجله عتبة الغرفة شهقت أمي بشكل ملفت وصوت مسموع وهي تتفحصه، ثم سارعت لورا لجذبها بأدب إلى الخارج لنبقى على انفراد، وفي طريق لورا بأمي نحو الخارج ألقى إيان نظرة نحو أمي وابتسم لها بتهذيب منحنيا برأسه لها ليلقي لها تحية، أما هي فكانت تتفحصه وتنظر إليه ببلاهة وهي مأخوذة بمقدار ما يحمله من سحر وجاذبية.

صفعت نفسي ذهنيا من ردة فعل أمي بمقابلته، تصرفي بشكل طبيعي أرجوك! ستلفتين انتباهه.

يا للهول! ماذا لو غيرت رأيها وأصرت علي بالارتباط به؟ لا، لا يمكنني ليس بعد أن لمحني فراس أخيرا! كما أنني لن أقوى على فعل ذلك بسيلينا، لن أحطم صديقة عمري لأجل شاب مهما بلغ سحره وثروته.

حينما بقينا وحدنا أخيرا نظر إلي مبتسما أما أنا فكنت أحمل ذراعي بيدي الأخرى لأغطي بكفي خدي المصفوع من عيني إيان، ثم قال أخيرا: " كيف حالك princess؟"

هززت له رأسي بإحراج واكتفيت بهمهمات صغيرة، ثم مد لي باقة الورد التي كانت تشع جمالا بين يديه، فشكرته وقد زاد إحراجي منه، ماذا أفعل بهذا الشاب؟ لباقته وتهذيبه يضفي علي تشوشا ويلجمني عن قول أي شيء له.

اقترب أكثر ناحيتي ودون استئذان سمح لنفسه بالجلوس على حافة السرير، نظر في عيني واستطعت أن أستشف شيئا من القلق فيهما، ثم تساءل: " كنت قلقا عليك، ماذا حصل معك حتى غرقت؟"

أجبته محرجة: " قصة طويلة سأعفيك من سماع تفاصيلها المملة"

تنهد قبل أن يهتف باسمي بجدية قائلا: " راما"

شهقت فورا لدى جذبه يدي واحتضانها بين كفيه بدفء أشعل حفيظتي، هتفت باسمه مصدومة فقاطعني قائلا: " اسمعيني أرجوك، أنا أعلم أنك مجنونة بحبك لفراس، لكنني أعلم أنك في صميم أعماقك تكنين لي مشاعر إعجاب أيضا"

احمر وجهي خجلا وحاولت سحب يدي وانا أتوسله لئلا يتكلم أكثر، فقال: " رجاء دعيني أنهي"

رضخت له فورا، كأنما ألقى تعويذة لاستحضار قلبي فيهدأ ويخنع له، باتت الأعاصير التي تهيج داخلي تسكن في انتظار ما سيقوله وأنا في ترقب فظيع لما سينطق به، حتى قال أخيرا: " دعيني أعرض نفسي عليك مرة أخرى، وأريد جوابا حالا، أنا مضطر للحصول على إجابة منك الآن، فإذا ما زلت مصرة على الرفض فلن أزعجك ثانية وهذا وعد، لذا أنا أرجوك يا راما إن كان سبب رفضك لي هو فراس ففكري بعقلانية قبل البت بإجابة، أما إن كان سبب رفضك أهم، فلن أتمكن من الضغط عليك"

ماذا يقصد من كلامه المبطن هذا؟ عن أي سبب أهم يتكلم؟ أحنى رأسه باتجاهي ليوقظني من غفلتي وعلق عينيه بي وهو يسألني بجدية يشوبها شيء من القلق: " إذن يا راما؟ هل تقبلين بي زوجا لك؟"

لورا

كانت عيناي مثبتتان على الخالة شذى وهي تراقب الباب بفضول قاتل، ففي النهاية اضطرت لترك ابنتها تتحدث على انفراد مع شاب غريب، كان التوتر مؤثرا عليها فلم تهدأ قدمها عن النقر على الأرض في انتظار خروجه. التفتّ نحو سيلينا الواقفة بجانبي وهمست لها متسائلة: " عم يتحدث معها يا ترى؟"

أجابتني بينما تحاول تمالك نفسها والسيطرة على مشاعرها، ومع ذلك شعرت في نبرتها غيظا واضحا: " لا يهمني ذلك، هذا الشاب لم يعد يعني لي شيئا أعتقد أنني كنت واضحة معك سابقا حينما قلت أنني تخطيت مشاعري تجاهه، أدركت أن تلك المشاعر كانت سخيفة، كنت كغيري مفتونة بمظهره فقط، حمدا لله أنني أفقت من هذا الغباء"

من سألها عن مشاعرها؟ كان سؤالي عفويا وبسيطا ولا يحتاج إلى كل هذا الغضب والتبرير! لمحت قبضة الباب تفتح، ثم خرج إيان من الغرفة، نظر نحو والدة راما وابتسم لها محرجا، وأكاد أقسم أنني لمحت طيف احمرار على وجنتها، قابلت ابتسامته بأخرى ثم استأذنت للعودة إلى داخل الغرفة.

سار نحوي وتلقائيا استدارت سيلينا مولية ظهرها له وابتعدت من جانبي مقدار خطوتين. لفت نظره تصرفها فبقيت عيناه عليها بينما يوجه خطابه لي قائلا: " أنا مضطر الآن للمغادرة، أرجوك اهتمي براما فهي بدت لي متعبة"

أراد أن يمضي فهتفت له أن ينتظرني لأوصله إلى الباب، بينما في سري نية أخرى.

حينما ابتعدنا مسافة آمنة عن سيلينا تجرأت أخيرا وسألته: " حسنا، كان ذلك واضحا فلا تنكر، ما سبب هذا الجو المتوتر بينك وبين سيلينا؟"

- " من؟"
- " صديقتي التي كانت معي، توقف عن المراوغة"

توقف عن مسيره ونظر إلي مطولا، ثم ألقى نظرة خلفه نحو مكان سيلينا حيث كانت بعيدة عنا وتقف عند النافذة وحدها.

زفر نفسا مثقلا ثم طلب مني مرافقته ليشرح لي في الخارج.

راما

" إذن هذا هو صديقك الأجنبي!"

- " أمي أرجوك، لا تبدئي، أنا أصلا مشوشة"

كانت ما تزال واقفة عند الباب المغلق ويدها على قبضة الباب، أفلتت المقبض وسارت باتجاه النافذة أسفل سريري، وقالت وهي تنظر إلى السماء من خلف الزجاج: " سأحكي لك حكاية... لكن عليك أن تحفظيها فلا أحد يعلم بها خصوصا والدك، لكن ما زال تأثيرها على قلبي إلى اليوم"

رفعت بصري صوبها في فضول لما ستقول، حتى نطقت أخيرا قائلة: " نظرات سيلينا أعداتني بالزمن إلى ما قبل اثنين وعشرين عاما، حيث كنت شابة في ريعان شبابي، وجمالي يجعل كل من يراني يركع تحت قدمي. كان لي صديقات كثر ومع ذلك اخترت منهن خليلة لتكون رفيقة دربي، كانت أكثر من مثابة أخت لي، منبع لأسراري ملجأ لهمومي، الحضن الذي أبكي فيه، كانت لي كل شيء"

شعرت كأنها تتكلم عني وعن سيلينا، فالود الذي أحمله تجاه سيلينا يتعدى كونه صداقة إلى شيء أكثر قدسية، فهي كأختي التي لم تلدها أمي.

ثم تابعت كلامها: " كنت مغرمة بشدة في تلك الفترة"

فتحت عيني مصدومة لكنني لم أقاطعها، فأردفت: " لم يكن شابا مميزا بمظهره لكنه كان ذكيا ولطيفا، وكثير من الفتيات مغرمات به، أما بالنسبة له هو فقد كان واضحا لجميع زملائي في الكلية أنه يكن مشاعر نحوي حتى أن الإشاعات كانت متمحورة حول ارتباطنا الوشيك، وكل يوم يمر كان تفاؤلي يزداد بارتباطنا، ومشاعري الجياشة تنمو نحوه بشكل فظيع، حتى جاء ذاك اليوم الذي قلب كياني رأسا على عقب.... دخلت القاعة متفائلة بشدة لأنني حلمت ليلتها بارتباطه بي، لكن فوجئت بصديقتي قد تمت خطبتها وحينما علمت من هو خطيبها شيعت في ذاك اليوم جنازة لقلبي"

شهقت مصدومة وسألتها لأتأكد مما هيء إلي أنني سمعته: " هل كان خطيبها هو...."

لم أتم سؤالي من شدة صدمتي. اكتفت أمي بابتسامة حزينة وقالت: " غدرت بي ففي الوقت الذي كنت أصف لها فيه مقدار حبي له كانت هي توصل إليه رسائل بكرهي له وأنني سأحطم قلبه عم قريب بارتباطي بآخر على مرأى عينيه. فوقع في فخها وخدع باهتمامها الزائف له وتزوجا."

تنهدت واستدارت نحوي واقتربت من السرير لتجلس على حافته ثم أضافت: " أقسمت على ألا أكن مشاعر لأحد، لا حب ولا صداقة، وأن أوجه مشاعري لأحب ذاتي فلا أحد يستحق أن أفتح له أبواب قلبي، أردت أن أرد له الصاع وأسارع بالارتباط بأول شاب يقرع باب بيتنا، لكن لم يحالفني الحظ، فما إن تم زفافهما حتى سافرا خارج البلاد مقتلعين قلبي من جذوره ليتركا خلفهما ندبة لا تزول.... مرت سنة ثم ارتبطت بوالدك وحافظت

على عهدي ولم أهده من مشاعر الحب إلا المقدار الذي يجعلني أعتاد وجوده وأؤسس معه عائلة، وبطبيعة والدك الجامدة سهّل علي ألا أكوّن مشاعر تعلق به، أو لأنني تعلمت درسا ما زال يدمي قلبي إلى اليوم"

مدت ذراعها لتمسح على شعري وقالت: " عينا سيلينا المحملتين بالأسى والجرح العميق فتح لي جروحي، فقد حملت ذات النظرة سنين طالت... الآن القصة ذاتها تتكرر، فإما أن تعيشي بسعادة مع شاب لقطة مثله لكن على حساب صديقتك كما فُعِل بي، أو تتنازلي عنه وانتظري ما يخبئه لك القدر، الكرة في ملعبك يا ابنتي"

لم أتخيل يوما أن أمي عاشت قصة كهذه قط، بدأت أفهم أخيرا سبب جديتها المفرطة أحيانا والحاجز الذي تكونه حولها ولا تسمح لأحد باختراقه حتى نحن أبناؤها. لكن أن تفتح لي قلبها وتحدثني بها فهذا يعني أنها تأثرت على حال سيلينا كثيرا فهي في يوم ما عايشت ذات المشاعر المسيطرة على سيلينا، لكن مع وضع سيلينا فهو أشد بؤسا، كونه لم يلتفت إليها أبدا بل لا يطيقها، عدا أنها ترعرعت يتيمة مكسورة الجناح.

غادرت أمي ووعدتني بالعودة في المساء حتى تنهي أعمالها وتتفقد حاجيات سارة ووسيم اللذين تركتهما في بيت جدتي. همّت صديقتاي بالرحيل أيضا بعد اطمئنانهما إلى حالي، وطلبت مني لورا إبلاغها في حال تعرض لي والدي لدى خروجي غدا من المشفى، أعرف لورا تمام المعرفة فهي مجنونة وقد ترفع شكوى ضد والدي لأنها ترى من منظورها أن التربية الحديثة تحث الأهل على احترام الأبناء ومن يؤذي ابنه لا يستحق أن يعيش معه تحت سقف واحد. وبما أنها وحيدة والدها الثري فقد تربت على هذه المعتقدات.

لكن عليها أن تفهم أننا نعيش في مجتمع شرقي حيث السيادة في الأسرة لرب البيت ولا يمكنني أبدا أن أشي به إذا ضربني، فهذا أب واحترامه واجب علي، فارتأيت مسايرتها دون جدال فقط لإسكاتها والتصرف بما أراه أفضل لعائلتي.

توقعت منهما أن تغادرا فور توديعي، لكن فوجئت بأن لورا لم تتزحزح، في حين وصلت سيلينا إلى الباب، ألقت نظرة نحو لورا وهتفت لها لتنهض، لكن تلك كانت تنظر نحوي دون أن ترمش، ثم ابتسمت مستسلمة وقالت: " يا لك من ماكرة! يعني لن تقولي شيئا"

رمشت مرتين قبل أن أسألها: " أقول ماذا؟"

أجابت بسخط: " حسنا من أين أبدأ؟ ألن تفسري لنا رفضك لعرض إيان بالزواج منه للمرة الثانية؟"

وقع فك سيلينا من شدة صدمتها، أما أنا فقفز قلبي خارجا من بين ضلوعي، هل أخبرها إيان برفضي الارتباط به؟ حكّت لورا أنفها بتوتر ملحوظ وقالت: " لم أعد أعلم ماذا أفعل بك، الشاب ذلّ نفسه لأجلك، متى ستفهمين أنه ليس شابا عاديا؟ إنه ليس وسيما بل خارق الوسامة وليس ثريا بل فاحش الثراء وليس رذيلا بل يحمل طبقات عدة من اللطافة واللباقة التي أهدرها على غبية مثلك! ماذا تريدين أكثر من هذا؟"

أجابتها سيلينا بحنق: " أن يبتعد عنها ويتركها في حالها؟"

نظرت إليها لورا باستياء وقالت: " لماذا تربكينها برسائلك الملغومة! أنت قلت أنك تخطيت مشاعر سخيفة تجاهه! فبماذا يضرك ارتباطها به؟ لا تريدينه لك ولا تريدينه لها؟ كم أنت أنانية!"

لمحت سيلينا تبتلع غصة لتمنع نفسها من البكاء أمام لورا، ولا أدري إن كانت لورا حقا لا ترى مشاعر سيلينا أو أنها لا تهتم لها فعلا.

نظرت سيلينا إلي وقالت وهي توجه كلامها لي: " أراك لاحقا يا راما، يجب أن أغادر تركت أخي وحده فترة طويلة، يجب ان أعود إلى البيت بسرعة لأعد له طعاما فأمي ستتأخر في العمل اليوم أيضا... سلام"

أشارت لورا بسخط نحو الباب وقالت باندفاع: " أين ذهبت هذه المجنونة؟ كنت سأوصلها بنفسي!"

مددت ذراعي وأمسكت بمرفق يدها، ثم قلت لأفتح عينيها قليلا على مشاعر سيلينا: " لورا! أرجوك أنت تجرحينها، ألم تفهمي بعد؟ البنت مغرمة به"

أجابت معترضة: " لكنها قالت أنها تخطت مشاعرها.."

قاطعتها مقطبة الحاجبين: " توقفي عن قول الهراء! سيلينا ليس فتاة واضحة مثلك ولا تبوح بما في قلبها بسهولة أكره أن أنقل لك هذا لكن عليك أن تتقبلي أنها تخفي أسرارا دفينة مثل كونها متيمة به لكنها لا تريده أن يدوس كبرياءها أكثر، ربما كان فهم سيلينا صعبا عليك لأنك تتمتعين بالشفافية ولا تحبين اللف والدوران، في حين انها غامضة هادئة لها عالمها الخاص ولا تحكي بفمها لغة قلبها، لكنني أفهمها تماما، فقد ترعرعت معها منذ أن كنا في الرابعة من العمر"

صمتت لورا وهي تنظر إلي بينما تدرس كلامي، ثم تنهدت بقوة وجلست على حافة السرير، وقالت: " أحاول أن أفهم تفكيرها حقا، لكنها معقدة كثيرا ولا تعطي مجالا لأحد بفهمها.... هل علمت أنها احتجزت معه في غرفة في قارب فراس؟"

فتحت عينيّ مصعوقة ثم روت لي لورا القصة التي أفادها بها إيان من ملاحقته من قبل مجنونة متيمة جاءت من بلاد الغرب، مسقط رأسه، لتتبعه إلى هنا، ثم كيف حبسته في الغرفة برفقة سيلينا ظنا منها أنها أنا. ثم المواجهة التي حصلت بينه وبين سيلينا وصدمته

من اكتشاف مشاعرها تجاهه وعدم معرفته شيئا عنها من الأساس. هل يعقل أنه قصدها في كلامه حين قال لي إن كان سبب رفضي له أهم من فراس؟

أغمضت عينيّ لعلي أجد راحة وأنام، بالرغم من ذهني المشوش بغضب أبي ورفضي لعرض إيان وقصة أمي ومشاعر سيلينا المجروحة، فلم يجد النوم سبيلا إلى عيني. حاولت تصفية ذهني مرارا وعدم التفكير في شيء حتى نجحت في جذب ذاك الشعور الذي يتسلل إليك معلنا اجتياح الغفوة لبدنك وتبدأ معها فقدان الإدراك لما يدور حولك. سمعت طرقا على الباب لكنني لم أجب فقد ارتخى جسدي واستسلمت للنوم.

حلمت بفراس، وجهه لا يغادر مخيلتي، شعرت بأصابع يده تلامس خصلات شعري الأشقر، ثم سمعت صوت باب يغلق.

استيقظت مساء مصعوقة بباقة من الزهور البيضاء الجميلة، فمن أحضرها لي؟ كانت أمي قد عادت في ذاك الوقت ولمحتها جالسة على الكرسي عند النافذة.

اعتدلت في جلستي وهتفت لها متسائلة عن الباقة، لتوضح لي الأمر بقولها: " لا أدري ، ربما كانت هذه الباقة من عائلة ... ذاك الشاب فراس، لقد جاء والده للاعتذار عما حصل بك ولتقديم العوض المادي والتكفل بدفع مصاريف العلاج"

أجبتها بحيرة: " لماذا؟"

أيعقل أنه وقع في حبي؟ فأجابتني لدحض ظنوني البريئة: " لأنك أصبت بحادث على متن ممتلكاتهم، يبدو أن والده خشي أن يتقدم والدك بشكوى، المهم اتفق هو مع والدك بكل ما يخص علاجك"

انقلب مزاجي من حديثها وتركتها تكلم نفسها في حين حاولت استذكار مقتطفات من ليلة الأمس بينما كنت بين ذراعيه آملة أن تؤدي هذه الرقصة إلى شيء جديد.

خرجت من المشفى في صباح اليوم التالي وكان أبي قد هدأ غضبه، طبعا فهو لن يدفع قرشا واحدا الآن. فعندما وجدني خفر السواحل تم نقلي إلى أقرب مشفى من المنطقة ولسوء حظ أبي وقتها فقد تم نقلي إلى مشفى خاص، ربما كان هذا أحد أسباب غضبه، فكيف كان ليتصرف لو تكفل هو بالدفع لهم؟

ومع أنه كان هادئا هذه المرة إلا أنه لم يتخط استياءه مني بعد، فعاقبني بعدم الخروج من البيت لمدة أسبوعين كاملين مستثنيا الجامعة من العقاب، كما أنه حرمني من استعمال هاتفي إلا عند الحصول على إذن بذلك.

تواصلت مع لورا لأطمئنها على حالي وسألتها عن تطور علاقتها بسمير لتقول لي أنه ما زال يتجنبها متحججا بجدول أعماله المزدحم،أما تلك الحرباء رنيم فستبيت أسبوعا آخر في منزلها، كان الله في عونها.

سيلينا من ناحية أخرى أعلمتني بقدوم الخطّاب لها مساء الغد، ومع كرهي لفكرة ارتباطها لإخراج حب فاشل من قلبها، فهذه ليست الطريقة الصحية للتعامل مع مشاعرها المجروحة، إلا أن كلماتي تبخرت سدى معها موضحة لي بالحرف الواحد أن عليها المضي قدما والسعي للحصول على مستقبل أفضل من المستنقع الذي تحياه.

اتجهت إلى الجامعة صباح الأحد، وقابلت سيلينا خلف مبنى الكلية حيث كانت تجلس تحت شجرة في الحديقة وتذاكر بعضا من دروسها، تفاجأت من قدومي وتساءلت عن سبب عدم تغيبي اليوم، فأوضحت لها كرهي التواجد في البيت مع الأجواء المشحونة، والجامعة هي المكان الوحيد المستثنى من عقاب أبي.

سألتني عن ميساء وعن وضعها لتذكرني بألمي، لأنني علمت أن السيد عدنان تكفل بعلاجها أيضا، ولم تتوقف عن التباهي بزيارة فراس لها مما سبب لي موجة من الغضب

والألم، حاولت سيلينا تطييب خاطري بتذكيري بكونها زميلته وربما كان هذا هو سبب زيارته لها. طيب لماذا زارها ولم يخطر في باله المرور بغرفتي؟

قطعت لورا علي استسلامي لأفكاري المحبطة بقدومها مبتهجة إلينا تحمل معها علبتان من الشوكولاه الفارهة، قدمت الأولى لي لتهنئني على سلامتي وقدمت الأخرى لسيلينا معتذرة منها على فهمها بشكل خاطئ وإثارة حزنها، لم تفهم سيلينا كلام لورا لكنها لم تهتم فقد أحضرت لها الشوكولاه، صحيح أن فهم سيلينا قد يكون صعبا لمن حولها لكن عشقها للشوكولاه واضح بروز الشمس. قفزت فرحا وانقضت على لورا بعناق كبير.

جلسنا في الكافتيريا لنشرب قهوتنا الصباحية، أسندت لورا ظهرها على مسند المقعد وعقدت ذراعيها على صدرها وقالت وهي تنفش ريشها كمن اكتشف مكان البيضة الذهبية: " حسنا، بما أننا اجتمعنا أخيرا ولدينا وقت للجلوس معا دعاني أزفّ لكما هذا الخبر! أنا أعرف من هو الشاب الذي سيتقدم لخطبتك اليوم"

فتحنا أعيننا بفضول ونحن نرقبها متسائلتين بتناغم واحد: " من؟"

ظهرت ابتسامتها الماكرة وهي تنظر نحو سيلينا قائلة: " أوس"

اندفعتُ بسرعة لسؤالها: " أوس؟ أليس هو ذاته صديق سمير؟"

أومأت لورا برأسها بإيجاب، فسألتها سيلينا: " وكيف عرفت؟"

أجابتها: " سمعته يتحدث إلى أحد أصحابه في الحفل، أعرف أنه لا يقارن بإيان لكنه شاب مميز، مهذب وخجول وهادئ ولا خلطة له بالفتيات، كما أن عائلته محترمة، ثم أنه أصهب وسيم، هل ذكرت أن طبعه هادئ؟"

أضفت على كلام لورا بابتهاج: " حسنا بما أنه العريس المنتظر فلا داعي لإخفاء الأمر؛ فقد لمحته عدة مرات ينظر إليك نظرات إعجاب."

علت خدا سيلينا حمرة طفيفة وهي تنظر في الفراغ أمامها أما لورا فازداد حماسها لفكرة ارتباط سيلينا بأوس.

تقدم مني أحد العاملين في الكافتيريا يحمل لي كوبا من القهوة في صينية، قائلا ليلفت نظرنا إليه: " تفضلي يا آنسة، هذه القهوة لك"

حامت علامة استفهام فوق رأسي وأنا أنظر إليه مصدومة، ثم قلت: " لكنني لم أطلب قهوة...." ثم أشرت إلى كوبي الورقي أمامي: " كما أنني أشرب كأسا الآن"

منذ متى يأتي عمال الكافتيريا لتقديم القهوة لنا؟ فالخدمة هنا ذاتية، ولإجابتي عن تساؤلاتي أشار بإصبعه إلى الطاولة المجاورة موضحا: " طلبها لك الشاب هناك"

نور سطع في المكان، ليحجب عن عيني كل ما حولي إلا من طاولة واحدة يجلس إليها حب حياتي، بشعره الأسود اللامع، وعينيه اللتين تشعان بزرقة ملفتة، متكئا على الطاولة بذراعيه الرياضيين، وكان ينظر إلي مع ابتسامة لطيفة على ثغره لتطبع عليه وسامة تفوق وسامته الاعتيادية.

خفق قلبي بشدة وتسلل إلى مسامعي استياء لورا وهي تقول بخفوت: " ماذا يفعل هذا هنا؟"

حدجتها بينما أنظر إليه مبتسمة ملوحة بيدي: " أنت اسكتي!"

ردت علي بنبرتها المؤنبة: " لا تلوحي له! عيب!"

- " لا تتدخلي فيما لا يعنيك أيتها المغرورة"

غطت سيلينا فما لتخفي ضحكتها، بينما شعرت بأنني طرقت وترا حساسا في دماغ لورا المتسلط، لكنها علمت ألا فائدة من الحديث معي الآن أبدا، فقد غاب ذهني في عالم آخر

بعيدا عنها، فأبعدت بصرها عني لتكمل حديثها مع سيلينا قائلة: " حساب هذه الغيبة لاحقا، المهم ماذا سترتدين اليوم لاستقبالهم؟"

أجابتها: " أي شيء في الخزانة، لم أقرر بعد"

أشار إلي فراس بيده لأقترب، ازداد احمرار وجهي مبتسمة بسخافة وأنا أشير إلى نفسي لأتأكد أنه يحدثني، في ذات اللحظة أجابت لورا سيلينا بقولها: " إذن سأعيرك فستاني الوردي، سيبدو جميلا جدا عليك فبشرتك ناعمة وبيضاء"

قطعت عليهما حديثهما وأنا أنهض عن الطاولة قائلة: " عن إذنكما"

تساءلت لورا بسرعة هجومية: " إلى أين؟"

أجبتها بخيلاء: " سأذهب لأرى فراس، إنه يريدني في موضوع"

تركتهما بفك لورا المعلق للأسفل واتجهت نحوه فورا، نهض بدوره قائلا: " كيف حالك اليوم؟"

- " بخير... شكرا لك على القهوة"
- " لم تكن إلا بادرة للفت انتباهك، هل نتكلم في الخارج؟ بعيدا عن لورا"

سرت خلفه نحو المخرج واستدرت ناحية لورا بوجهها المحتقن غضبا وإلى جانبها سيلينا المصدومة ولوحت لهما مودعة مع قبلة خفيفة لأغيظ لورا أكثر.

اصطحبني إلى مقاعد خشبية خلف الكلية لنجلس تحت ظل شجرة تساقطت بعض من أوراقها.

جلست على المقعد أولا بعدما أشار لي بيده، ثم استقر جالسا إلى جانبي، شعرت بالتوتر فجأة وجلت بعيني في المكان لأتأكد من عدم وجود أحد ممن أعرف، فالكل حولي يعلم

أنني لا أتحدث أبدا مع الشبان، وجلوسي الآن معه سيطبع في أذهان زميلاتي انطباعا آخر عني، خصوصا أنني كونت صداقات مع بنات المصلى الملتزمات.

كان جسده قريبا جدا مني، فشعرت أن جسمي بدأ بالغليان، وأنني على وشك الإغماء، فرجوته في سري أن يبتعد مسافة صغيرة، أو لا فليبقى، من يدري متى تتكرر هذه اللحظة.

كان يقلب بصره في المكان قبل أن تستقر أنظاره على فخذي المتكشفين من تحت فستاني القصير، فازداد خجلي وجذبت طرف الفستان لأسترهما عن عينيه، ويبدو أنه فهم رسالتي الصامتة، فرفع بصره نحو عيني مبتسما متحاشيا النظر إلى جسدي.

تنحنح في البداية ثم قال: " هل أعجبتك الأزهار؟"

تساءلت ببلاهة: " أزهار؟"

- " أزهار زنبق الكالا، إنها واحدة من أجمل الورود في العالم، لم يكن إيجادها هينا علي. كنت نائمة حين قررت وضعها على المنضدة بجانبك"

إذن حينما لمحته في منامي يدخل غرفتي لم يكن حلما وقتها، بل كان بشحمه ولحمه، لكن هل اكتفى بوضع الأزهار أم أنه فعلا داعب خصلات شعري؟ ربما كان هذا الجزء الأخير مجرد حلم من أحلامي الغبية به. تبا لك يا ميساء الآن سأغيظك كما فعلت بي.

قرب رأسه مني فأجفلني وسرعان ما تصاعد الدم جريا إلى وجنتي، ثم قال متسائلا: " هل تشردين هكذا في العادة عندما يكلمك أحد؟"

ثم ابتسم أكثر لما لمح من تيه واضح على محياي، تراجع إلى الخلف وأسند رأسه على كف يده المتكئة على ظهر المقعد وقال مضيفا: " أنت فتاة مميزة ولم تغيبي عن ذهني ولا لحظة، وسبب قدومي هنا رغبتي في..."

ضربات قلبي الجنونية كادت تحاول منعي من سماعه لكنني جاهدتها لأسمع ما سيبوح به، رغبته في ماذا؟ حدق بي مطولا ثم قال: " ما رأيك لو تنضمي إلى مجموعتي ونصبح أصدقاء؟"

أصدقاء؟! **أصدقاء!** هل قال أصدقاء! ظللتني غمامة خيبة أمل، لقد جاهدت لإيقاعه في حبي وهو الآن يعرض علي صداقة؟! هل يمازحني؟

كنت قد أشحت وجهي عنه دون وعي مني فشعرت بأصابعه تلامس طرف شعري ليبعد خصلاته عن عيني ويرى ملامحي بوضوح، فعادت الحمرة لتغلف خدي وتحرقهما بلهيب متقد، ثم قال مبتسما: " ما الأمر؟ ألم يعجبك عرضي؟ أم أن لورا السبب؟"

أجبته بسرعة: " كلا، لا علاقة للورا بعلاقاتي، لكنني لا أصادق الشبان... "

ضحك ضحكة خفيفة ظريفة سلبت إحساسي وقال: " لسنا أي شبان! مجموعتي الخاصة لا يدخلها أحد إلا إن كان مميزا، فأنا لا أختار أصدقائي عشوائيا"

هو يراني مميزة لذا يريد صداقتي؟ بدأ بصيص من الأمل ينمو في جذور قلبي فربما كان لصداقتي به مدخل إلى قلبه مستقبلا، من يدري؟ لربما إذا قبلت بصداقته أن أصبح مقربة منه أكثر وأجر مشاعره تجاهي، فإن أردته فعلا أن يحبني فعلي الاختلاط به أكثر، من يدري ربما فتحت صداقته لي بابا جديدا في قصة سعيي لنيل قلبه. تذكري يا راما الخطوات الصغيرة تقود إلى النجاح.

ابتسمت في وجهه أخيرا وأعلنت قبولي لصداقته، ولأنني لا أحمل هاتفي معي، كونه مصادرا في البيت فقد حصلت على رقمه مدونا على ورقة. ثم رن هاتفه، ألقينا نظرة على شاشته فلمحت اسم والده.

اعتذر مني ونهض واقفا لتلقي المكالمة مبتعدا قليلا، لكن ابتعاده لم يمنعني من سماع المكالمة من طرفه حيث كان يتجادل معه في أمر ما: " أبي رجاء...... قلت لك الوقت مبكر الآن! لا شأن لي بسمير وما يدور في حياته!.... اسمعني يا أبي، سبب ارتباط سمير وقوعه في الحب! أعطني مهلة لأجد ..... لا يمكنك فعل ذلك بي!....... اليوم؟ لماذا؟"

لم يطل في مكالمته أكثر وقام بإنهائها وهو يستشيط غضبا ثم عاد إلى حيث أجلس معتذرا عن المقاطعة الصغيرة ثم حاول أن يبتسم وهو يعرض علي الخروج برفقته الآن لتناول شيء خارج حرم الجامعة، ابتسمت بحزن له واعتذرت بحجة اقتراب موعد المحاضرة، أردته أن يحدثني عن فحوى مكالمته مع أبيه لكنه لم يقل شيئا، لست غبية فقد فهمت أن الموضوع له علاقة بالزواج، وإلا ما ذكر أمر سمير، لكن السؤال هنا هل دبر له والده زيجة ما؟ إذا ارتبط الآن فكل آمالي وأحلامي ستتدمر ولن يبقى معنى لصداقتي به، بل دخولي حياته وهو على وشك الارتباط سيزيدني بؤسا ويخلق التعاسة في قلبي.

غادرته معتذرة بموعد محاضرتي، طلب مني أن أتصل به بأقرب فرصة فأومأت بإيجاب كاذب، آسفة يا فراس لن أحتمل مشاركتك لحظاتك الحميمة مع أخرى.

حدثت سيلينا بما حصل بيننا، وحتى هي لم تستطع زرع بصيص أمل في داخلي وقد اعترفت لي بحديث لورا لها عن إصراروالده على زواج ابنه، وأنه ربما وجد ضالته وسيرغمه على مرافقته لمقابلة الفتاة في أقرب فرصة. كان علي أن أفهم الموضوع أكثر من لورا، فخرجت من القاعة قبل مجيء الدكتور بدقيقتين لأتخلف عن الحضور وأجد لورا وأفهم منها الأمر، فلحقتني سيلينا على الفور. وجدتها بسرعة بعد اتصال سيلينا بها وقابلتها عند مدخل كلية الآداب لأن لديها محاضرة في اللغة هناك. ثم وجهت لها استفساراتي كلها، فقالت: " لو أنك كنت تستمعين إلي منذ البداية لأدركت ذلك الآن! لديه اليوم موعد للقاء فتاة ما

وسيذهب برفقة والديه ليراها، قلت لك أخرجيه من رأسك وتفكيرك لكنك كنت عنيدة ومصرة بشكل مزعج! فليشفك الله!"

حاولت سيلينا إسكاتها بعد جرعة السم التي حقنتني بها، فاعتراني إحباط شديد، وسمحت لليأس بالتأصل في جذوري عميقا، وتابعت دوامي وأنا أعيش في دوامة اكتئابي، إذا تزوج فراس فأنا سأنتهي لا محالة.

كانت سيلينا تحاول دعمي والترفيه عني، لكنها كانت تعلم أن محاولاتها فاشلة، فهي تعلم تماما كيف أشعر لأنها عايشت تجربة مماثلة. قابلتنا لورا عند باب الكلية لتطمئن علي وتحاول التخفيف عني، حينها رن هاتفها بمكالمة، تغيرلون وجهها حينما لمحت اسم سمير مطبوعا على الشاشة، فحاولت سيلينا طمأنتها إلى أنه ربما يرغب بمصالحتها والتفاهم معها بكل شيء.

أول مرة ألمح كل هذا الارتباك على لورا، في العادة هي قوية ومتسلطة ولا تحسب حسابا لأحد حتى سمير نفسه، أما الآن فهي تكاد تقع مغشيا عليها من شدة ارتباكها من لقائه بعد خصام دام فترة بينهما. لا أذكر أنها تشاجرت معه شجارا جديا هكذا قبل هذه المرة.

تناسيت ألمي ودست جرحي لأظهر لها دعمي ونبهت عليها بتحري الصدق في كلامها معه لترتاح هي وتكسب وده ثانية.

تلقت المكالمة وتفاجأت بطلبه لقاءها الآن حيث ينتظرها في كافتيريا كلية الهندسة، دعمناها نفسيا وبادرنا بالذهاب معها لنقدم لها الدعم، وقتها تفقدت سيلينا هاتفها حيث نسيته في الوضع الصامت ففوجئت بثلاث عشرة مكالمة فائتة من أمها.

توقفنا عن المسير لننتظر اتصالها بأمها ونحن ندعو ألا يكون مكروه أصابها أو أصاب شقيقها، يكفيها المسكينة ما عانت من الفقد. أخيرا استجابت لها أمها ودخلت سيلينا في

صلب الموضوع متسائلة عن الخطب، صمتت قليلا وهي تستمع لأمها بينما القلق سيطر علي وعلى لورا ثم أجفلتنا فجأة برفعها نبرتها باستياء وقد لفتت إليها بعض الأنظار ممن حولها حين صرخت: " ماذا؟ لماذا يا أمي؟ أنا لم أغادر الجامعة بعد! ألم يكن في مقدورك أن تعتذري لاستقبالهم غدا إن لم يستطيعوا القدوم مساء؟"

تبادلت نظرات الحيرة مع لورا وأردفت سيلينا: " حسنا ستدفعين أنت مقابل ركوبي في سيارة الأجرة.... إلى اللقاء"

رمت هاتفها في حقيبتها باستياء واضح وقالت: " الجماعة في طريقهم الآن، طرأ لديهم موعد مهم في المساء لذا سيأتون الآن، ومن خوفها من إلغائهم، ربما، لم تؤجل لقاءهم إلى الغد! أنا حقا لا أفهمها، إذا أردناها بشيء مهم تقول أن حصولها على مغادرة من العمل شيء صعب "

قالت لورا لتمتص غضبها: " لا داعي للغضب، لا بأس كل شيء على ما يرام، تذكري أن العريس هو أوس، دعيني ألغي لقائي بسمير لأوصلك بنفسي"

رفضت سيلينا بشدة موضحة للورا أن هذا حق سمير وقد طال الجفاء بينهما، وعليها حل المشاكل العالقة في حياتها، فتدخلت في النقاش مطمئنة لورا بأن أركب مع سيلينا وأعدل مظهرها بنفسي حتى إذا وصلت متأخرة تكون جاهزة في كل الأحوال"

غادرنا بسرعة وصعدنا إلى الباب الشمالي للجامعة كونه أقرب من الباب الرئيسي لنا، ووقفنا في انتظار سيارة أجرة، كان الارتباك واضحا بشكل لا يمكن إخفاؤه عن وجه سيلينا بينما شعرت بموجة أسف عليها وعلى حالي.

لورا

لا مزيد من اللف والدوران، سأقابل سمير الآن وأوضح له كل شيء، كل كذبة وكل تلفيق، لا يهمني ما قد يحصل من مشاكل بعدها، لكن ماذا لو كانت أمي محقة وتشاجر مع أبي بسبب رنيم؟ ألن أزيد الطين بلة هكذا؟

وصلت إلى الكافتيريا وقلبت بصري بحثا عنه حتى وجدته كان جالسا على كرسي على طاولة ما موليا ظهره لي، تفاجأت بالشاب الجالس مقابله حينما رفع رأسه ناحيتي مخاطبا سمير بقوله: " ها قد جاءت مخطوبتك"

نهض سمير عن الكرسي وتقابلت نظراتنا، اقترب صوبي وطلب مني الخروج معه لنتحدث على انفراد، لكن صدمتي في تلك اللحظة كانت مسيطرة علي فسألته وسط اندهاشي: " ماذا يفعل أوس هنا؟"

قطب جبينه مستغربا وأجاب: " أوس يدرس معي في الكلية!"

- " لم أقصد هذا، أليس لديه موعد لمقابلة فتاة ليخطبها؟"

فتح عينيه متفاجئا من تصريحي وأجاب: " كيف عرفت؟ لم أقل لك شيئا عن أوس"

رددت عليه بنفاد صبر: " لا تجب عن سؤالي بسؤال!"

دعك جلدة ما بين عينيه بإصبعيه وأجاب مستسلما: " أخ! طيب سأجيبك اختصارا لأي مشكلة جديدة، موعده للقاء الفتاة مساء اليوم"

وقفت أتساءل مع نفسي بصوت مسموع: " كيف يعني موعده مساء والبنت موعدها الآن؟"

- " ماذا؟"
- " أين صديقك الأخرق ذاك؟"
- " من؟ فراس؟ لديه موعد مع والده... هل يمكنني أن أفهم ما يجري حولك؟"

لطمت فاهي وانا أردد مصعوقة بعد أن استوعبت الأمر: " هاه! العريس المنتظر ليس أوس! يا إلهي لقد أخطأت العريس هو..... علي أن أتصل بسيلينا الآن!"

خطف الهاتف من يدي بسرعة ودسه في جيب بنطاله قائلا: " لا لن تتصلي بأحد قبل أن نتفاهم"

فقلت متوسلة: " على الأقل دعني أرسل رسالة"

أمسك بيدي وسار بي نحو الخارج متجها إلى الموقف حيث تصطف سيارته وهو يقول: " لا! دعينا من دراما صديقاتك ليوم ولنقم بحل مسائلنا العالقة"

سيلينا

علقنا في أزمة سير مما زاد من اضطرابي، واتصالات أمي لم تهدأ معلنة لي وصول الجماعة فشعرت بأن توتري على وشك حرق دماغي، لكن راما قدمت لي الدعم وحاولت بث الصبر وتذكيري بكظم غيظي.

أخيرا وصلت حينا، فترجلت من السيارة وطلبت من راما ألا تنساني بدعائها، ودعتها ومضيت نحو البيت.

فتحت الباب فأسرعت أمي لاستقبالي وجرتني نحو المطبخ بسرعة وقالت هامسة: " احملي صينية العصير وادخلي بسرعة، ارمي حقيبتك على الكرسي هنا، ماطلتهم حتى يصبروا على مجيئك، كوني مهذبة و... لماذا تربطين شعرك؟"

مدت يدها واقتلعت ربطة شعري ثم سرحته بأصابعها والتوتر بائن عليها، ما الأمر ما بها؟ لم أرها بهذا الارتباك من قبل، ثم قالت لتجيب عن تساؤلي: " هذا الشاب يكون حفيد رئيستي في العمل، سأفسر الأمر لاحقا أرجوك بيضي وجهي أمامها "

ماذا؟ كيف حصل هذا؟ الآن فهمت ما ألم بها وسبب استقبالها لهم بهذه السرعة وسبب تواجدها في البيت مبكرة على غير ما اعتدته منها.

سبقتني نحو صالة الضيوف وسمعتها تعتذر إليهم وتنبؤهم بوصولي، أخذت نفسا عميقا وحملت الصينية متجهة نحوهم لاستقبالهم وقد استطاعت أمي حقني بجرعة أخرى من الارتباك.

حين وصلت العتبة صعقت بما رأيت ولوهلة لم أصدق ما أبصرته، فوقعت مني صينية العصير بينما أنظر في عينيه الزرقاوين وهو يتأملني مدهوشا بدوره، في تلك اللحظة لم أستوعب شيئا إلا صوت حطام الكؤوس يدوي في أذني.

الفصل الثالث عشر

سيلينا

- " كم أنت فعلا أنانية! كل سنيني أضعتها سدى عليكما حتى لا تشعرا بالنقص قدمت لكما كل شيء وأعطيتك الحرية في عيش حياتك كما تشائين وهكذا تجازينني! أنا لست راضية عن إحراجك لي بتلك الطريقة! ألم تستوعبي شيئا من تنبيهي عليك بكون جدته رئيستي في العمل؟"
- " هذا الزواج لن يتم! لن أرتبط به!"
- " قلتِ نعم أم قلتِ لا فالكلمة الأولى والأخيرة لها"
- " لماذا؟ أعطيني سببا، على الأقل اشرحي لي كيف لرقم حصلوا عليه لنا من زميلتي أن يكون ملكا لحفيد رئيستك؟ وما مصلحتها من ارتباطي بحفيدها؟ لماذا أنا؟"

سارت باتجاه النافذة، في البداية ظننتها تجاهلت سؤالي، ثم وقفت أمام الزجاج المغلق وهي تراقب سير السيارات بصمت.

دعوني أعود بكم في الأحداث إلى الوراء لربما شعرتم بوجود حلقة مفرغة..........

وقعت مني صينية الكؤوس وارتطمت بالأرضية المبلطة بالسيراميك وتناثر الزجاج في كل مكان وملأ العصير الأرض حتى وصل إلى تلك السجادات الصغيرة التي تزين بها أمي المداخل، لم يجفل لي جفن ولم ترمش عيني أبدا بعدما حصل؛ ذلك لأن عيناي ما زالتا متسمرتين على ذاك الشخص الجالس في صدر المجلس.

نهرتني أمي بشدة وأسرعت صوبي لتوبخني وتهمّ بتجميع قطع الزجاج الكبيرة، فهتفت لها رئيستها وهي امرأة كبيرة في السن، لكنها ما زالت تحتفظ برشاقتها وصحتها، كانت ترتدي

بزة نسائية أنيقة وشعرها المصبوغ مسرح بعناية وتضع شيئا من مساحيق التجميل على وجهها، فقالت لأمي: " على رسلك يا غنى، كان مجرد حادث فقط!"

كنت أقف كالبلهاء أوزع الأنظار من حولي غير مدركة لما يجري هنا، ثم نهض عن الأريكة واقترب من أمي بينما عيناي تطاردانه كشبح يستعد لاستنزاف روحه.

أمال جذعه للأسفل وربت على كتف أمي وقال: " انهضي يا سيدة غنى، لا يصح ما تفعلينه ستتسببين بجرح في يدك"

نهضت أمي من فورها وهي تكبت دمعتها المحرجة والخائفة، لما هي خائفة إلى هذا الحد؟ وجهت نظرها نحوي محتدة وأمرتني بتنظيف الفوضى بينما تصحب الضيوف إلى الغرفة المجاورة.

في أثناء سيرهم، كان كل منهم يتفحصني بنظراته، أول من مرّ بجانبي أخته، ابتسمت في وجهي ابتسامة صغيرة ومضت، أما جدته فكانت تنظر إلي من رأسي إلى أخمص قدمي كأنها تعاين بضاعة أوشكت على شرائها، ثم جاء دوره.... مرّ بجانبي ولم يغب عني نظرة ألقاها نحوي.

هبطت أرضا أحتضن خدي بيدي وتساءلت مع نفسي مبهوتة بشدة هل أنا أحلم؟ بالتأكيد أحلم! هذا ليس بحقيقة لا فليقرصني أحد. ثم شعرت بقرصة على ذراعي فتأوهت كابتة صرخة، التفتّ خلفي ففوجئت به منحنيا نحوي يبتسم بسماجة قائلا: " لا هذا ليس حلما، أنا هنا بشحمي ولحمي"

اعتدل واقفا محافظا على ابتسامته وهو مستمتع بمظهري المبهوت، هل كنت أحدث نفسي بصوت مسموع؟ يا للإحراج!

نظفت الأرضية بشكل سريع واتجهت نحو المطبخ لملء كؤوس أخرى وفي ذات الوقت كنت أحاول تهدئة نفسي والسيطرة على انفعالاتي المتخبطة، لم أرسو على بر في نوع المشاعر الطاغية على الأخرى، فبعيدا عن صدمتي المهولة هل أنا سعيدة بقدومه؟ أم مستاءة؟ كيف لك أن تسعدي وهو مغرم بأخرى؟ بل بأعز صديقة لك؟ كما أنني لا أفهم، ألم يطلب يدها للزواج قبل يومين؟ إذن ماذا يفعل بمجيئه هنا؟ وبموعد مسبق؟ هل يتسلى بالبنات ومشاعرهن؟ أيمكن أن تخطئ لورا بوصفها له كشاب واضح بعيد عن اللف والدوران؟ هل غش الجميع واستغفلهم؟ لا تفسير آخر يدور في ذهني، لكن السؤال الأهم هنا، هل كان يعلم بأنني العروس المحتملة؟ لا أظن؛ لقد كان مصدوما مثلي تماما من رؤيتي.

حملت الصينية واتجهت نحو المعيشة حيث رافقتهم أمي للجلوس فيها، كانت يداي ترتجفان بشدة بينما أحمل الصينية باتجاههم، ولم يراع أي منهم شعوري بالتوتر فقد كانوا يرقبون تحركاتي كعيون الصقر مما زادني رهبة.

قدمت العصير دون حوادث مأساوية ولله الحمد وجلست بالقرب من أمي وأنا أضم يداي على فخذي. كانت أجوائي مشحونة والتوتر باد علي، ثم تساءلت شقيقته وهي تنظر نحوي:

[23]" Have we met? I feel like I know you"

أجابها هو:

[24]"She's a friend of Lora "

هزت رأسها في حين قالت جدته: " إذن أنتما تعرفان بعضكما مسبقا؟"

[23] " هل تقابلنا؟ أشعر كأنني أعرفك"

[24] " إنها صديقة للورا"

أجبت: " لا" وهو أجاب " نعم" بنفس الوقت مما جعل جدته تقلب بصرها بيننا في فضول، فأوضح بقوله: " رأيتها برفقة لورا عدة مرات"

انتقلوا بعدها للحديث عن الجامعة وتخصصي وتحصيلي الأكاديمي، ثم قالت جدته لأمي: " يمكنها أن تتابع دراستها إن شاءت بعد الزواج إيان شاب منفتح ولا يمانع فكرة الزوجة المثقفة"

فتحت عيني بذهول تام، زواج من؟ لم يمض على وجودهم أكثر من نصف ساعة في زيارتهم الأولى وقررت جدته أن كلا الطرفين موافق على الزواج! هي لم تسمعني أتحدث حتى! هل غفلتُ عن شيء هنا؟ هل جاؤوا من قبل طالبين الزواج وأصبت بحادث أنساني الماضي؟ من أكد لها أننا سنرتبط؟ ماذا عنه؟ هل هو موافق على كل هذا؟ أنا لم أعد أفهم شيئا، ألم يحاول مرارا التقرب من راما وطلب يدها للزواج؟

وجهت نظري نحوه مصعوقة، فلم أر منه إلا وجهه الهادئ وكأنه على علم مسبق بقرار جدته، وقتها راودني إحساس بأن هذا الزواج مرتب له دون علمي أو له غاية ما، وجهت نظرة لأمي ولم يبد عليها أيضا أنها متفاجئة، هل أنا الوحيدة التي لا تفهم شيئا مما يحصل هنا؟ قولوا لي ماذا يجري بحق السماء!

تنحنحت قبل أن أقاطع حديثهم بقولي: " أمي لم تأخذي بمشورتي!"

فتحت جدته فمها ذهولا، تصنعت أمي ابتسامة صفراء وأجابتني: " مشورتك بماذا؟"

أجبتها بينما أنظر نحوها بحدة: " في كل هذا... أعني ألا يجب أن أفكر بالموضوع قبل البت فيه؟ ألا تريدين فرصة للسؤال عنه؟ ألا يجب أن نتعرف عليه أكثر؟ ألا يريد هو التفكير في الموضوع؟"

قاطعتني أمي وهي تتصنع ذات الابتسامة المحرجة: " بماذا تهذين يا سيلينا؟ هذا إيان أشهر من نار على علم..."

- " ومن قال بأنني موافقة؟"
- " سيلينا!"

تدخلت جدته في النقاش بيننا بسؤالها لأمي: " غنى أنت لم توضحي لها قبل مجيئنا؟"

ازداد احمرار وجه أمي ولم تستطع إجابتها، فقالت جدته: " اسمعي يا ابنتي، هذا الزواج مخطط له وسيتم حسب الأصول وستتزوجين من حفيدي خلال شهر"

علق فكي ذهولا، وحاولت أمي لكزي لأتصرف بتهذيب أكثر، فقلت وقد استجمعت شجاعة غريبة لم أحلم يوما بامتلاكها: " وهل هو موافق؟"

أجابت وكأنها تقول شيئا حتميا: " بالطبع!"

لم أمسك لساني حين علقت قائلة: " لكنه يحب الشقراوات!"

تشردق إيان في كأس العصير وأخذ يسعل بشدة، كانت أمي وجدته توزعان أنظارهما بيننا قبل أن تجيب الأخيرة بقولها: " إيان لا يحب الشقراوات! إن كنت أعرف شيئا عن ذوقه فأنا أعلم أنه يهوى الشعر الطويل لكن ما شأن أهوائه هنا؟"

نظر إيان في عينيّ وهو يكبت آخر سعلاته وظهر يده على فمه، احمرّ وجهي وتحاشيت النظر إليه، ثم قلت: " من حقي أن أحصل على فرصة للتفكير"

رفعت جدته حاجبيها مصدومة وسلطت نظراتها نحو أمي التي شعرت بأنها تنصهر كما الشمعة، فحدجتني بنظرة تهديد مرعبة، وبصراحة نجحت في إخافتي.

أما إيان فابتسم بوقار وقد مسح فمه بمنديل نظيف ثم نهض وهو يوثق أزرار سترة بزته موجها كلامه لأمي بقوله: " لا بأس سيدة غنى، ما زالت البنت مصدومة سنترككما لتتفاهما الآن، جدول أعمالي ممتلئ لهذا اليوم ولدي صفقة عمل مهمة"

ثم سار قبل أن يرافقه أحد نحو الباب، نهضت جدته وأخته تباعا، وسارت أمي معهم جميعا نحو الباب وتسلل إلى مسامعي تأكيد جدته لأمي بقولها: " أعتمد عليك في إقناعها يا غنى"

لا أدري إن كان طلبها هذا تهديدا أو أن نبرتها في الحديث بطبيعتها مرعبة، فلم أر إلا الشحوب يغطي معالم أمي وقد بهت لونها.

....

"صديقتك تمارا قد أوقعتني في مشكلة عويصة"

قالت جملتها وهي تنظر نحو النافذة بشرود ثم تنهدت قبل أن تضيف:

"الواقع أن هذا الزواج مدبر... لكن باءت خططي في إحباطه بالفشل حينما لم تشأ الصدف إلا جمعك بعلاقة صداقة بمخطوبة شاب يساعده إيان في مشروع تخرجه."

تفحصتها بعيني وأنا لا أفهم شيئا مما تقول، ثم أوضحت الموضوع أكثر لتزيل غمامة ارتباكي، فقالت: "إيان يريد تأسيس أسرة بأمر من جدته حتى ينجب ورثته في ريعان شبابه وبما أنه الوريث الذكر الوحيد بين ثلاث أخوات فالضغط كبير عليه لتأسيس عائلة، لكن هذا ليس السبب الوحيد، ففي وصية والده إن طبق إيان السادسة والعشرين دون زواج فإنه سيحرم من حقه من الميراث لتصبح أملاكه وقفا للدولة. فأخذ يبحث عمن تملأ فراغ قلبه بحسب وصف جدته، أما هي لم تكن لتنتظر منه إيجاد ما تسخر منه بقولها (حب حقيقي) وهنا رفع الستار عن كل شيء"

نظرت صوبي وفي عينيها لمحة من ألم وأردفت:

"فأوصت شابا من أحد أبناء رجال الأعمال بأن يدلها على أحد من معارفه وحسب ما فهمت إيان يساعده في مشروع تخرج أو ما شابه فسمعت مخطوبته، والتي اتضح أنها صديقتك تمارا بالأمر ويبدو أنها معجبة بك فأصرت عليه بأن يدلهم عليك بالرغم من أننا لا ننتمي للطبقة المخملية مثل خطيبها معللة بأنهم لن يجدوا خيرا منك فحصلت على رقمنا وكانت هناك مفاجأتها والتي واجهتني بها..... بالنسبة لموضوع الزواج المدبر فإن جدته كانت تظن أنك ما زلت في الخامسة عشر من العمر فكانت تنتظر بلوغك السن القانونية لتجمعك بحفيدها برباط شرعي "

هل يعني كلامها أنني من المفترض أن أكون زوجته الثانية؟ أم أن الأولى احتياط؟ ما زلت لا أفهم، لماذا هذا الإصرار العجيب على هذا الزواج؟ من نحن مقارنة بهم؟ أشعر كأنني أعيش حاليا لحظات من مسلسل رومانسي رخيص أو رواية غرامية مكشوفة الأحداث تبدأ بزواج مبدبر وتنتهي بحب أبدي أو خيانة وشيكة أو ربما طلاق مرير.

فسألتها وسط حيرتي: " من أوصل لها فكرة كهذه عني؟ لماذا كانت تظنني في سن المراهقة؟ ثم أنني لا أفهم رغبتها في تزويجه حالًا وانتظاري لأبلغ السن القانوني في آن! تريد تزويجه مرتين! "

اتكأت بجبينها على زجاج النافذة واعترفت قائلة: "أنا أوصلت إليها هذه المعلومة، لم أرد أن تعرف سنك الحقيقي وأملت في تدبير زيجة لك قبل فوات الأوات... لكن ما لم أعلمه أنه فات بالفعل"

ما زال ذهني مشوشا بكل ما حدث وعقلي الصغير يجري محاولة في فهم ما يجري حولي، لم تزودني أمي بتفاصيل أكثر، مما زرع في داخلي إصرارا على فهم الأمر عن كثب. لكن من

سأسأل؟ لورا لم تقل لنا شيئا، هل هذا يعني أنها لا تعلم بخصوص زواجه المدبر هذا؟ كل ما وصل إلى مسامعي الآن جعلني أتساءل ما مقدار ما تعرفه لورا عن إيان؟ وإلى أي درجة وصلت علاقتها وعلاقة سمير به؟ لورا قالت لي أن العريس المنتظر هو أوس، فكيف حصل ووجدته هو عوضا عنه هنا؟ أم أن لورا فهمت القصة بشكل خاطئ؟

بمجرد أن تخيلت نفسي زوجة للشاب الذي تعلق به قلبي شعرت بأنني سأفقد الوعي، لكن ثمة خطب ما خلف هذا الزواج؛ أنا أعرف؛ فلا شيء يسير في حياتي حسب آمالي..... هذه أنا سيلينا، وما هو موقعي من الإعراب؟ لست إلا حرفا زائدا في اللغة لا محل له من الإعراب، فإن حصل وارتبطت به فلن أكون سعيدة لعلمي أنه مغرم بأخرى وبما أنه على دراية بمعرفتي فلن يتعب نفسه بإخفاء الموضوع.

سأكذبكم القول إن أعترفت أنني تمكنت من النوم أو أغمض لي جفن ليلتها، يوجد تناقضات كبيرة في حديث أمي السابق، حتى أنني بتّ أشك في أن الأمر كله مجرد رواية سخيفة يحكيها ذهني، لا بد أنني أصبت بحادث وأنا الآن فاقدة للوعي وهذا كله مجرد حلم عابر، أو أنني أصبت بورم في دماغي فجعلني أرى ما لم يكن له وجود أصلا. لكن أوهامي هذه تبددت ليحل محلها اليقين حينما لمحت طيف شبحه واقفا أمامي ما إن خرجت من مبنى العمارة لأذهب إلى الجامعة في صباح اليوم التالي، ففاجأني بطلبه لي أن أرافقه لشرب فنجان قهوة صباحي في أحد المقاهي.

في البداية ترددت كثيرا، وحاولت جهدي تجنبه والابتعاد عنه لكنه بملاحقته لي لفت بعض الأنظار نحوي من سكان حينا فاضطررت إلى الموافقة على ملاقاته في المقهى بعدما أصررت على ركوبي مواصلات عامة لألقاه هناك رافضة بشدة ركوب سيارته الفارهة.

ماذا سيقول عني الناس إن رأوني أركب معه؟

تجاهلت اتصالات لورا وراما المتكررة لي وفي النهاية عمدت إلى إغلاق هاتفي، وبعد مضي ساعة تقريبا وجدت نفسي حيث أشار لي بمقابلته، وكما توقعت فهو اختار أحد المقاهي في حي راق بدل الجلوس في أحيائنا الشعبية.

كنت أسير بشكل آلي مشتتة الذهن حائرة التفكير، بمعنى آخر كنت ضائعة. جلست مقابله على الكرسي الأبيض في مقهى نظيف مفروش ببلاط رخامي أبيض وديكور أبيض يبعث في النفس الراحة ويضفي جوا من الألفة.

إيان بطبيعته يمتلك وجها سمحا فإن نظرت إليه تتخلل الراحة عظامك تماما كمن يشعر بارتخاء عضلاته المتشنجة من أثر جلسة التدليك. لكن إيان الجالس أمامي الآن وبالرغم من ابتسامته المشرقة المطبوعة على ثغره الباسم إلا أن في عينيه قلقا واضحا وغموضا معتكفا يختبئ خلف ظلال عينيه.

طرح علي مجددا تحية الصباح فلم أزوده إلا بوجه ثابت غير مرحب، في السابق لم تكن تلمحني، أما الآن فأنت مصر على جلوسي هنا أمامك؟ ما الأسباب التي تجعلك ترغب في لقائي؟ أو حتى تستسلم لرغبة جدتك في ارتباطك بي؟ أو ربما لم يستسلم! ماذا لو لم يكن راضيا بهذا الزواج؟ هذا التحليل بدا لي منطقيا. وأخيرا عثر لساني على شجاعته ليهاجمه بقولي: "إن كنت تريد لقائي لتطلب مني رفض عرض جدتك فلا تخشى شيئا فالرفض هو إجابتي"

تأمل عينيّ قليلا قبل أن يأخذني على حين غرة بقوله فجأة: "تزوجيني"..........

تلك الصدمة المتربعة على وجوهكم هي ذاتها التي لم تفارق وجهي المتشنج في تلك اللحظة، فخرج صوتي مبحوحا بينما أتساءل مندهشة: "لماذا؟"

قال باختصار: "لو أردنا الرجوع بالزمن إلى الوراء فأستطيع أن أقول.... بسبب جدك"

ابتلعت ريقي في عدم فهم، ثم قدم النادل ليضع فنجانين من القهوة أمامنا مرفقين بمغلفين من السكر وإبريقا من الكريما ثم وجه سؤاله لإيان إن كان يرغب في صب كريما في قهوته ليصرفه إيان بتهذيب مؤكدا له أننا سنستلم زمام الأمور.

رفع فنجانه وارتشف من قهوته وهي ساخنة، ثم أراح فنجانه موضعه أمامه ورحلت عيناه باتجاه النافذة الجانبية، ثم بدأ يحكي لي القصة من البداية: "منذ زمن مر دخل جدك في شراكة مع جدتي واستثمر كثيرا من أموالها في مشاريعه التي كان يسعى لتنفيذها، لكن ما لم تعلمه جدتي حينها أن جدك كان يعاني أزمة مالية وديونا هائلة حتى أعلن إفلاسه، فاستولت الحكومة على ممتلكاته وصادرتها فيما بينها الأعمال التي كانت لجدتي استثمارات وأسهم برؤوس أموال ضخمة فيها."

كنت أعلم مسبقا أن جدي كان خارج البلاد لكنني لم أعلم يوما أنه كان ثريا في يوم ما أو أنه أعلن إفلاسه، أذكر أنه كان مريضا في أواخر عمره حينما كنت في الخامسة وكان يعيش في بيتنا ليقدم له والداي الرعاية كونه كان فقيرا حسب وصف أمي لي. لكن هذه القصة لم أسمع بها من قبل. ابتلعت ريقي ثم سألته: "وأنا ما علاقتي بكل هذا؟"

نظر نحوي مجددا ثم قال: "جدك تلاعب ببنود العقد المشترك بحيث لا تنال عائلتنا شيئا من أملاكه أو الأعمال المشتركة حين إعلانه إفلاسه، إلا بطريقة واحدة وهي رباط شرعي بين العائلتين. وحينما حاولت جدتي مرارا استرجاع الأملاك كلها من الحكومة بطرق أخرى لم يسعفها أي حل... وكانت الحكومة قد أعادت جدك إلى الديار، فأقسمت جدتي على البحث عنه لاسترجاع ما هو من حقها وللأسف حين وجدت عائلتكم كان جدك قد استودع أمانته عند ربه"

طرق بأصابعه على الطاولة ليلفت انتباهي إليه فقد جعلت مني الصدمة أتسمر في ملامحي حتى هيء إلى الناظر لي أن روحي غادرت جسدي لتتركني جسدا متصلبا لا يتحرك. ثم تابع: "عَمِلَ والدك كنوع من سداد ديون جدك عند جدتي حتى... أخذ الله أمانته..."

حديثه عن أبي فتح لي بابا من أبواب مواجعي التي أحرقت وما زالت تحرق قلبي بشدة، أذكر حينما مات أنني كنت ما زلت في العاشرة من عمري، كنت متعلقة به بشدة وكرهت فكرة عمله في الخارج لأننا لا نستطيع رؤيته إلا نادرا، لكن حينما كان متواجدا فقد كان يغدقنا وخصوصا أنا بكل أنواع الحب والحنان اللذين رحلا برحيله وكأنهما دخلا في حداد أبدي بعد مغادرته دنيانا ليتركنا مع أمي التي تجبّر عليها الزمان وصنعت منها شخصا آخر فاقدا للحب والإحساس. موت أبي جعلها قاسية خالية من المشاعر فلا أذكر أنها احتوتني في مشكلة قط أو قدمت لي العون أو النصيحة، لا أذكر أنها قبلتني أبدا بعد رحيله عنا. أصبحت مجرد بنك متنقل في البيت لإيداع المال فيه، لم يهمها شيء سوى اشباعنا ماديا ولم تلقي بالا بإشباع عواطفنا.

مدّ لي بمنديل نظيف حين لمح دمعتي التي تحاول خيانة عيني لتهبط منها بسلام، أخذت المنديل بصمت ومسحت طرف عيني متجنبة النظر نحوه ثم عاد إلى موضوعه مردفا: "لم يكن موت والدك ليسكت جدتي عن سعيها نحو نيل حقوقها فوجدت أمك نفسها مجبرة على العمل لديها لتغطي نفقات بيتها، بعدما رفع الكل يده عنكم متذرعين بأوضاعهم المادية الرديئة، ورتبت منذ صغرك لتنفذ مخططها بصمت ولم تبح بنواياها لأحد عدا أمك التي بدورها كذبت على جدتي وصغرتك في العمر أربع سنين، فقد كانت جدتي آنذاك تظن أن أخاك هو أنت حينما كان صغيرا وتماشت أمك مع ظنها مخفية كيانك كله عنها، والآن وقد ظهرت الحقيقة فلا مجال لردع جدتي"

لكن لماذا كذبت أمي عليها؟ ولماذا تصر جدته على زواجه مني؟ لماذا لا تختار أحدا آخر من أقربائي؟ يستحيل أن يرفضه أحد، وحينما وجهت له أسئلتي هذه أجاب: "ذلك يا حلوتي لأن جدك اشترط في العقد برباط شرعي من ابنه البكر أو من صلبه، فصبرت جدتي لتصلي السن القانونية للزواج، أما سبب كذب أمك فهو علمها أن جدتي لن تحسن إلى حفيدة الرجل الذي أساء إليها وسرق أموالها وهرب دون ترك أثر خلفه إلا إجبارها على عقد زواج مكره لتسترجع حقوقها، لذا أرادت مني أن أتزوج منك حتى لو كنت الزوجة الثانية حتى تنال أملاك جدك التي يتوجب أن تكون لها ثم لا يهمها ما يحدث بعد ذلك إن استمر الزواج أو انتهى"

تذكرت حديث أمي عن وجوبه الزواج قبل وصوله إلى السادسة والعشرين من العمر حتى أصبحت الصورة الآن أكثر فهما لي، هو كان سيتزوج بأي فتاة تستطيع تحريك مشاعره تجاهها ليؤسس معها أسرته مثل راما، ثم يعقد قرانه على الزوجة الثانية أي أنا كنوع من أنواع التجارة، ليطلقني كسلعة انتهت صلاحيتها. شعرت كأنني سأتقيأ حينما استوعبت كل الأمر فسألته بوجل: "وهل تطمح أنت للطلاق عقب حصولكم على الممتلكات جميعها؟"

أطال تحديقه بعينيّ مترددا من الإجابة وهو يتفحص ردود أفعالي الهشة، فهز رأسه قائلا: "أنا آسف.... لكن هذا ما سيحصل"

طبعا وإلا لما سيقبل بزواج مرتب له بفتاة عشوائية لم يشتهيها قلبه؟ كان علي فهم ذلك منذ البداية، كل الألم الذي عانيته في كفة وصفعته هذه وحدها في كفة. وهنا نهضت بسرعة لأغادر المكان بعدما أوضحت رفضي لكل هذا الهراء لست لعبة بين أيديهم، لست دمية يسيرونها وفق أهوائهم، من يظن نفسه هو وجدته ليفعلا بي شيئا كهذا؟ لكنه أسرع فقبض

على معصم يدي ثم قال هامسا ليحاول إقناعي: "أكره فكرة استغلالك لكن أرجوك افهميني فهذه رغبة جدتي، لقد هددتني بحرماني من كل ميراث العائلة ومصادرة جميع ممتلكاتي، وأنا أعرفها لن تتوانى عن تنفيذ تهديدها إن لم أرتبط بك، لكنني سأعوضك، لن أسرحك دون تعويض"

سألته بصوت مبحوح: "تعويض؟"

ثبت نظراته في عيني قبل أن يجيب: "سأجعل مؤخرك من المهر عشرة ملايين دولار، فهل يرضيك هذا؟"

سحبت يدي من قبضته بخشونة بينما أنظر نحوه ببلاهة وأنا أحاول فهم مشاعري بالضبط، عشرة ملايين! لا أريد أن أبدو مجحفة هنا، لكن هل يعوض كسر القلب بمال الدنيا حتى لو كان عشرة ملايين؟ سيعرضني لمذلة الطلاق ويسكتني بعوض مادي! نعم أفهم كونه مبلغا ضخما لم أحلم يوما بامتلاكه، لكن.... هل سيصفني أحد بالجنون إن قلت أنني كرهت فكرة الزواج هذه أكثر من السابق الآن؟ أشعر بنفور مقيت داخلي، كأنه يراني نوعا من تلكم الفتيات الرخيصات المستعدات لممارسة الرذيلة مقابل المال. لكن ما يجهله إيان أنني لست أهتم لأي من بذخ الدنيا، فهو لا يعلم بأنه يكلم فتاة لا تحمل من حياتها أملا مشرقا إلا بفكرة حب سخيف من شخص ينظر إليها كسلعة رخيصة مقابل تحقيق رغباته. أنا لست إلا فتاة محطمة لا تملك في قلبها ذرة إحساس لطيف إلا لأخيها الأصغر وصديقتها المقربة وذاك الحب التافه الذي انتشل قلبها من وحل الدنيا ليلطخه بقسوة إحساسه ويرجمه في زاوية قصره الفاره غير قادر على الهروب من سحر تعويذته التي عذبته وما زالت مصرة على تعذيبه.

بكيت وانهمرت الدموع تباعا من عيني، شعرت بالمذلة والرخص وحينما حاولت قراءة لغة عينيه استشعرت فيها نوعا من الشفقة والندم، لكنه لم يضف شيئا ولم يتزحزح عن عرضه حتى مع بكائي أمامه، ابتلعت غصة جرحت صدري وركضت خارجة من المقهى لعلي أهتدي إلى أي مكان بعيد عنه، بعيد عن كل القصة الدرامية التي صفعني بها، كنت أظن أن هذه القصص فقط يتردد صداها خلف شاشات السينما أو متقلبة في صفحات الكتّاب في رواياتهم الخيالية، لم أستطع تصديق أن لهذه القصص وجودا حقا في الحياة الواقعية.

الفصل الرابع عشر

راما

رفضت لورا رفضا قاطعا الاتصال بسيلينا مبررة بأنها ستبادر هي بالتأكيد بالاتصال بنا لنفهم منها حقا إن كان فراس هو العريس المنتظر لها، كنت كالبركان الهائج لم أصدق ما قالته لي لورا أبدا. شعرت أنني سأجن سأفقد صوابي في أي لحظة.

مرة أطلب منها الاتصال بها بتهذيب ومرة أتوسل، ومرة أنفجر غضبا عليها حتى استسلمت في النهاية لبكاء مرير بينما أقول وسط قهري: "لا يمكنها أن تفعل هذا بي، قولي لا يمكنها! لقد رفضت إيان لأجلها! عليها أن ترفض بالمثل مهما كان الظرف... هي .. هي أكثر الناس دراية بعشقي له"

حاولت لورا تهدئتي وإسكاتي حتى لا يصل صوتي إلى مسامع أمي في الصالة خارج غرفتي، حيث استقبلت لورا في زيارة متأخرة غير متوقعة، في البداية حدثتني عن سمير وعن تصالحها معه ظاهريا بكذبها عليه من جديد وغشه بقصة أخرى وهي أننا، هي وأنا، تصالحنا وأن كل ما وصلها عني من كلام مكذوب كان على لسان ميساء.

أنا أكره ميساء لكنني شعرت بالأسى تجاهها حين علمت أن سمير أقسم على حرمانها من مساعدته لها في الدراسة أو أي من أصدقائه، لكن ذاك الجزء الخبيث في داخلي يتراقص فرحا من وعده بخصوص عدم السماح لأصدقائه بمساعدتها، لأن من قائمة أصدقائه عشيق روحي، فراس بطل حكايتي.

ثم فاجأتني بالقنبلة الثانية وهو تخوفها من كون فراس هو العريس المنتظر لسيلينا، وقد تذكرتْ أن خطيب صديقتها تمارة هو أحد أبناء رجال الأعمال الذين يتعامل معهم والد فراس.
بكيت وعضضت على ملابسي وضربت رأسي مرارا كالنائحة التي تودع ميتها ولورا تحاول حثي على الهدوء. كان يمكن أن أتصل بها أنا لكن هاتفي مصادر بحوزة أمي ولن تعطينيه إلا غدا صباحا لدى خروجي إلى الجامعة، وذلك بعد توسلها الشديد لأبي لإعادة هاتفي إلي كي تتمكن من الاطمئنان علي أثناء تواجدي خارج البيت، فكيف لي أن أصبر حتى الغد؟
ذرفت عيناي الدموع بشدة بعدما تمكنت لورا من ترويض جسدي لأستسلم بين ذراعيها وأنا أبكي بنحيب متواصل أوصلني حد الشهقات والتأتأة. شعرت بألم مريع في عيني، فأغمضتهما قليلا لأريحهما فما كان مني إلا أنني دخلت في سبات ليستسلم جسدي للنوم كأنه يوصل إلي رسالة بشدة إرهاقه بكثرة ما بكيت.
لم يكن صباحي أهون حالا، حاولت مسح عينيّ بالثلج لعل تورهما يخف، ونلت التوبيخ الشديد من أمي لإفراطي في البكاء على شيء سخيف في نظرها، طبعا هي لا تعيش في عواصف قلبي حتى تفهم شعوري تجاه فراس، أنبتني وأعطتني دروسها في الحياة عن أن الحب مجرد مقبرة للسذج وأن الحياة الواقعية والدراسة وأعباء العمل والأسرة هي المهم...... الخ.
لم أهتم لحديثها الممل بالنسبة لي، لست في سنها ولست في وعي كامل لأهتم بجوانب أخرى في الحياة عدا مشاعري التي تكاد تودي بي إلى التهلكة تجاه فراس، ماذا أفعل؟ حبه

طغى على كل خلية في جسمي فأمسى يتنقل في دورتي الدموية من وإلى قلبي، وبانقطاع دورته ينقطع أملي في الحياة وربما أموت.

حاولت الاتصال بسيلينا لكنها لم تجب، وكذلك أصررت على لورا بالمحاولة من طرفها، استمرت محاولتي بالاتصال بها حتى سمعت إشعار إغلاق هاتفها من الطرف الآخر. لماذا أطفأته؟ هل فعلت ذلك متعمدة؟

كدت أفقد أعصابي ويجن جنوني وهممت بمغادرة الجامعة لأذهب إلى بيتها حين استوقفتني لورا لتهدئ من توتري وقلقي المتناميين مؤكدة لي أن ننتظر قدوم سيلينا لنفهم منها. كيف لها أن تتحدث معي بهذا البرود؟ لو كان سمير لما هدأ لها بال.

قوة شيطانية كانت مستحوذة علي في تلك اللحظة فلم ألق بالا للورا ولا كلامها المزعج، فدفعتها من أمامي حتى كادت تتعثر مما أثار بعض الجلبة ولفت بعض الأنظار ومع ذلك لم أهتم. هرولت بسرعة متجهة إلى الباب الخلفي للكلية حين كدت أصطدم به.

توقفت بسرعة كسيارة داست المكابح فأصدرت ضجيجا يخطف على أثره ذعرا من القلوب. التقت أعيننا ولوهلة شعرت بوميض يلمع متنقلا بين زرقة أعيننا. نظر إلي من رأسي إلى أخمص قدمي، كنت أرتدي بنطالا أسود اللون ضيقا فوقه سترة مفتوحة من الجينز تختبئ تحتها بلوزة قطنية بيضاء، وحذاء أسود عريضا.

ظهر عليه الإعجاب سريعا وهو ينظر إلي مبتسما فتوردت وجنتاي بسرعة، ثم قال أخيرا: "أين كنت؟ انتظرت اتصالك في الأمس ولم تتصلي بي"

قبل أن أفكر بإجابة تدخلت لورا بيننا فقالت: "كثرت زياراتك لهذه الكلية على غير عادتك، أليس لديك موعد مع كرة غبية لتركلها برجلك؟"

أجابها متجنبا النظر إليها: "لم يكلمك أحد! كنت أحدث صديقتي راما"

قال اسمي على لسانه! تمالكي نفسك لا تفقدي الوعي.
أرادت لورا أن تهذر بالمزيد لكنه لم يعطها مجالا وهو يهتف لي قائلا: "هل تمانعين مرافقتي؟ أرغب في شرب القهوة معك"
وهل هذا يحتاج إلى سؤال؟ خذني معك إلى حيث تريد حتى لو كنت تريد الانتحار فوق فوهة بركان ذو حمم مشتعلة سأقفز خلفك بالتأكيد. سرت مطاوعة متناسية أمر لورا خلفي فصرخت بي لتوقظني من غفلتي: "هيه لحظة! ماذا عن سيلينا؟ ألا تريدين الاطمئنان عليها؟"
أجبتها ببلاهة: "آه نعم سيلينا... أبلغيني في حال تمكنت من التواصل معها"
تجاهلت غيظها البادي والذي لفت نظر فراس فزاده استمتاعا بحالها وسار معي إلى جانبي متجها بي نحو الخارج متجاهلين هتاف لورا من جديد بتذكيري بموعد محاضرتي الأولى.
اشترى لنا فراس كوبين من القهوة من أحد الأكشاك القريبة ثم سرنا جنبا إلى جنب على الرصيف الطويل عودة إلى الجامعة من بوابة أخرى، ثم قال متسائلا من جديد: "لم تقولي لي، لماذا تخلفت عن الاتصال بي البارحة؟"
لم أكن لأقول له أن هاتفي كان مصادرا بسبب اقتحامي حفله دون إذن والدي لذا تذرعت له بأول كذبة خطرت في بالي: "لم أرد إزعاجك بصراحة فقد علمت من لورا أن لك موعدا مهما برفقة والدك "
ضحك ساخرا وقال: آه ذاك؟ لا لم يكن ذا أهمية تملصت منه بسهولة "
كانت هذه العبارة هي كل ما صرّح به ولم يأت على ذكر المزيد حاولت التفكير بطريقة لحثه على قول المزيد حتى أتأكد من زيارته في الأمس لسيلينا لكن لم أجد في جعبتي شيئا أقوله.

أعادني صوته إلى حيث نحن وهو يسألني بمرح: "هل أحضرت معك هاتفك هذه المرة أم نسيته مجددا؟"

أخرجت الهاتف من جيب سترة الجينز ألوح به بوجه متورد، ابتسم مبتهجا ثم طلب مني الاتصال به ليقوم بحفظ رقمي، كنت قد أدرجت رقمه في لائحة الأسماء صباحا حينما استرددت هاتفي من أمي، فاستخرجت رقمه وبادرت بالاتصال به وهو يراقبني رافعا حاجبيه. نظرت في عينيه بتساؤل عما يدور في ذهنه فقال مبتسما بتشكك: "تمارا؟"

فهمت ما يرمي إليه فورا، فقد حفظت رقمه باسم تمارا حتى إذا وقع الهاتف بين يدي والدي لا يفتضح أمري، ضحكت بسخافة محاولة إخفاء إحراجي وفسرت له قائلة: "سيقتلني والدي إن علم أن ثمة شابا في حياتي"

ابتسم مستهزئا عاقدا حاجبيه ثم قال: "لكننا مجرد أصدقاء"

أعرف حدود علاقتي به لكنني شعرت بنيران تكوي قلبي وعلقما مرا يتجرع في جوفي لوصفه حالنا بالصداقة، لكنني قاومت هذا الشعور فأجبته بحذر: "أبي لا يؤمن بالحوار بين الجنسين "

- "والدك ذو عقلية رجعية إذن"
- " رجاء لا تتحدث عن أبي هكذا إنه إنسان ذو مبادئ، يمكنك أن تقول أنه رجل محافظ وأنا أحترمه كثيرا"

كانت إجابتي جافة ومحتدة أكثر مما ينبغي، لا يختلف اثنان في تحديد مشاعري تجاهك يا فراس، أحبك بجنون، لكن والدي خط أحمر، لا أسمح لأحد بالتحدث عنه بهذه الطريقة. صمت قليلا وهو يتفحص ردود أفعالي ثم اعتذر عن كلامه بكلمات مقتضبة، هل شعر بنفور مني؟ يا لي من غبية، لماذا دفعته بعيدا هكذا؟

وصلنا البوابة الغربية واتجه بي نحو الجهة الخلفية من الملعب، كنا صامتين طوال الطريق ولم يكن الصمت مريحا، بل شعرت بتكهرب الأجواء قليلا، وأخيرا نطق من جديد ليسألني:

"لا بدّ أنك عانيت الكثير في صداقاتك أو علاقاتك لإخفائها عن أبيك"

ما زال موضوع أبي يدور في رأسه إذن، نظرت إلى السماء وأجبته: "ليس تماما، أنت الأول.... أعني... لم أختلط بأي شاب من قبل"

توقف عن المسير فورا فتوقفت بدوري، التفتّ ناحيته حيث يقف خلفي ينظر نحوي مبهوتا، ثم تساءل عن السبب، هززت له كتفيّ دون تقديم مبرر، لا أعرف ما أقوله له، نحن تربينا على ثقافة العيب ولسنا بانفتاح المناطق التي يعيش فيها هو وطبقة الأغنياء التي عبر من نسلها، تقدم مني قليلا حتى استقر واقفا إلى جانبي فأحسست بقوة حضوره ليبدأ قلبي بالخفقان من جديد، وزّع أنظاره في كل تفصيل في وجهي كأنه يريد حفظ معالمه لاختبار قادم له، مدّ يده باتجاه وجهي وأبعد خصلة من غرتي عن جانب وجهي ليثبتها خلف أذني بينما قلبي هددني بانفجار قريب إن لم يبتعد عني، حبست أنفاسي الثقيلة بينما أتأمل عينيه اللامعتين، ثم ابتسم لتظهر أسنانه التي نسجت بعناية في فكه الجذاب قائلا:

"جميلة ومهذبة وتكن احتراما لوالدها، وطاهرة من افتراس الشبان، ماذا لديك في جعبتك أيضا؟... فاجأتيني.... حرّكت شيئا في داخلي لدرجة تجعلني أرغب في تملكك وعدم عرضك على أصدقائي لئلا أحرم منك"

شعرت بارتباك على الفور فأوقعت كوب القهوة الورقي من يدي دون قصد مني، فقد أسرني شعور بالخدران في أناملي عقب كلامه الغريب هذا، ولم أجد ما أتفاعل به معه. قفز مبتعدا من فوره لئلا يتلطخ بالقهوة، أما أنا فازداد ارتباكي، فأخذت أعتذر منه مرارا، لكنه

قابلني بضحكته الجميلة التي تذيب قلبي، ثم مدّ لي بكوب القهوة الخاصة به ليعرض علي شربه عوضا عن كوبي.

حاولت الرفض مرارا، لكنه أجبرني على أخذه قائلا: "خذيه! شربت واحدا قبل مجيئي، لست بحاجة إليه صدقا، أم أنك تشعرين بالتقزز لأنني شربت منه؟"

هل تمازحني؟ بمجرد حديثك معي أشعر أنني أطفو فوق السحاب، فكيف إن شربت من فضلك؟ استسلمت له ثم قبضت على الكوب من يده وتلامست أصابعنا لوهلة وكدت على أثرها أفقد وعيي، لكن سرعان ما حافظت على رباطة جأشي حين فاجأني أحد أصدقاء فراس بعناقه من خلفه كأنه يصارعه بينما يتساءل عن مكان اختفائه إلى الآن.

بادله فراس المصارعة حتى تمكن من تخليص نفسه منه، ثم اقترب شابان آخران ناحيتنا برفقة ذات البنتين اللتين لمحتهما في القاعة برفقة فراس. اتجهت أنظارالجميع نحوي، ثم تساءل الأول الذي كنت أعرفه من كثرة تحرشاته بي قائلا وهو يشير إلي: "إذن اصطدت السمكة! على الأقل عرفنا إليها"

احمر وجهي بشدة من تعليقه المحرج، ولم أفهم ما عناه بكلامه هذا لكن فراس حدجه مؤنبا بعينيه ثم قال: "أودّ تعريفكم بصديقتنا الجديدة التي ستنضم إلينا، راما"

أخذ الجميع يتفحصني بصمت مريب بينما يعاينون الفتاة الغريبة التي جاء بها فراس مقتحما أسوار مجموعته على حين غفلة ، فشعرت بأن توتري قد اختلط بإحراجي وبدأ العرق يتصبب مني بالرغم من برودة الجو.

كان أول من كسر الصمت إحدى الفتاتين والتي تتمتع بشعر أسود، وهي ذاتها التي كانت تضحك بصخب على كلام فراس في الحفل حين تقدمت مني ومدت يدها تطلب المصافحة، فسلمتها يدي طواعية، ثم قالت: "أين وجدك فراس؟ يا لك من جميلة! من أي

عائلة أنت؟ ما نوع الصبغة التي تستعملينها لشعرك؟ أشعر أنك بجمالك كالألعاب! هل تضعين عدسات لاصقة في عينيك؟ ما تخصصك في الجامعة؟ أين مسكنك؟"

أسئلتها لم تكن مترابطة، كما أنها أذهلتني بثرثرتها من غير توقف، حتى سحب فراس يدي من قبضتها وقال لها مؤنبا: "جولي! مابك؟ اهدئي يا بنت"

اعتذرت مني محرجة فبادرتها بابتسامة طفيفة محرجة، ثم أشار نحو بقية أصدقائه قائلا:

"هذا عماد، ربما رأيته سابقا فهو يعمل في مقهى كليتنا"

غمزني عماد فتجاهلته على الفور، أعرفه لأنه كثيرا ما كان يحاول التحرش بي سابقا. أشار فراس إلى شاب آخر ذا شعر أسود وعينين شديدتي السواد وقال: "هذا وائل، يهيم في عالم الأشعار"

رفع إصبعيه السبابة والوسطى ليقدم لي تحية بهدوء زائد، منظره يذكرني بشخصيات الأنمي من القصص المصورة، ثم أشار نحو الشاب الأخير الذي لفتني باكتنازه العضل على نحو ملفت قائلا: "وهذا قيس عضو في النادي الرياضي، وكثيرا ما يدربني لكنه قاس فيما يتعلق بالتدريب البدني"

وأخيرا أشار نحو الفتاة التي حافظت على سكوتها طيلة الوقت وهي تتفحصني بهدوء مريب: "وهذه... رشا"

لم يعجبني بطريقة لفظه باسمها كأنه اختار الأفضل للنهاية متلفظا باسمها بنبرة محببة، هل يعقل أن بينهما شيئا؟ تفحصتها بدوري كانت فتاة نحيلة وجميلة لها شعر بني بلون قهوتي التي سكبت مني، مجدل إلى الخلف مع خصلة حائرة تزين وجهها، وعينان لا تدري لونهما صراحة فهما مزيج من الأخضر والعسلي، تبادلنا النظرات بيننا كأننا نخوض حرب النظرات.

وقفت جولي أمامها لتحجب نظراتها عني مقترحة: "أحضرها معك اليوم لنتعرف عليها أكثر، لن تمانعي يا رشا لو شاركتنا جلستنا في بيتك صح؟"

لم يعطني أي منهم مجالا لأفكر في الموضوع وشعرت بأن تلك المدعوة رشا قد وافقت على مجيئي بالإحراج، لكنني معاقبة فكيف لي أن أذهب برفقتهم؟ وحتى لو لم أكن محاصرة في عقابي فكيف لي أن أخرج معهم وأهلي لا يحبذون هذا النوع من العلاقات؟ بأي حجة سأرافقهم؟ وكيف لي أن أدخل بيت هذه المدعوة رشا وأنا لم أتعرف عليها إلا الآن، عدا عن شعوري بعدم ترحيبها بي؟

أردت أن أهمس لفراس بأن ينسى الأمر، لكن لفت نظره شيء ما أو لنقل أحد ما، كان ينظر خلفي متفحصا وهو صامت، فألقيت نظرة حيث ينظر ففوجئت بسيلينا تسير بمفردها، يداها في جيب كنزتها وكأنها تجر معها جبلا من الهم خلفها.

سرت بسرعة باتجاهها بعدما اعتذرت إليه على مضض ووعدته بالتحدث معه لاحقا.

أسرعت الخطى نحوها، هتفت لها مرارا لكنها لم تسمعني، كان بالها مشغولا وبدا ذلك واضحا جدا عليها، وصلت خلفها مباشرة ومددت يدي على كتفها فتوقفت عن المسير مجفلة.

حينها رأتني هدأت عيناها قليلا ثم اعتذرت مني، فهاجمتها بسؤالي: "ما بك لا تردين على هاتفك؟ ولماذا أغلقته؟ أثرت قلقي هل كل شيء على ما يرام؟"

أجابتني: "آسفة، كنت نائمة ويبدو أن بطارية هاتفي قد نفدت"

كاذبة، عيناك تقولان أنك كاذبة، لكنني لم ألح عليها بل وجهت إليها سؤالا آخر لعل عواصف قلبي تهدأ: "ماذا حصل معك بخصوص العريس المتقدم لك؟ هل أمورك على ما يرام؟ من هو العريس؟ هل هو أوس؟"

شعرت بأنها تتصنع ابتسامة رغما عنها وهي تجيبني: "كلا، لورا أخطأت. انسي أمره لا أظن أنني أثرت إعجابه وعلى كل حال مشواري طويل، ما زلت صغيرة على الارتباط الآن."
غريب أمرها، كانت مستعدة تمام الاستعداد للزواج لتنسى إيان والآن تتذرع بصغر سنها حتى لا تتزوج؟ ماذا ألم بها؟
أجفلت على صوت فراس يأتي من جانبي وهو يطلب مني أن أعرفه على صديقتي، نظرت نحوه بتشكك ثم سألته بنبرة هجومية: "عفوا؟"
أمسك بي من ذراعي وسحبني جانبا وهو يستأذن سيلينا معتذرا أن يحدثني على انفراد، ابتعدنا مسافة آمنة عنها، ثم هاجمته بسؤالي: "ماذا تريد منها؟ لماذا تريد التعرف عليها؟ هل أنت معجب بها؟"
بدا في لهجتي طيف من الغيرة كان ذلك واضحا، وأظن أنه استشعرها لكنه لم يعلق، بل أجاب ضاحكا: "معجب؟ لا يا حلوتي! الأمر أن صديقتك هذه قد سلبت تفكير أحد أصدقائي وأردت أن أدله على اسمها وربما سكنها ليتقدم لها، صديقي هذا ثقة صدقيني، فهو هادئ ومهذب،وهو أيضا صديق لسمير، ربما تعرفينه يدعى أوس"
إذن كانت ظنوني صحيحة وفي محلها فهو فعلا معجب بسيلينا، تحمست للفكرة فورا لعلي أصرف فراس بعيدا عن طريقها وأمهد لها طريقة لتتخلص من ألم قلبها وأضرب عصفورين بحجر واحد..... لحظة واحدة.... بدأت أربط الخيوط، فهمت الآن هو تهرب فعلا من موعده في الأمس لأنه يعرف أن أوس معجب بسيلينا وهي لم تحدثني بالأمر لأنها لم ترد أن تجعلني أشعر بانعدام الأمن والغيرة، لأنها في قرارة نفسها سترفضه من أجلي. هي لا تعرف بأنني على علم بتقدمه لها وهو لا يريد التطفل على صديقه وسرقة الفتاة التي

أعجب بها، شكرا لك يا أوس لأنك معجب بسيلينا أرحت بالي، سأخصص لك دعوة في سجودي.

عدت مع سيلينا إلى الكلية بعدما أجبرتني جولي على قطع وعد لهم بمقابلتهم فور انتهاء محاضراتي. كنت ما زلت أحمل الكوب الورقي في يدي وعيناي لا تغادران فوهته، لا أصدق أنني سأشرب من ذات الكأس التي شرب منها فراس، كأنني حصلت على قبلة غير مباشرة منه، أو أنني أنا التي سأعطيه قبلة غير مباشرة؟

كانت لورا تستجوب سيلينا عن العريس الغامض الذي فعلت أمها المستحيل لاستقباله في الأمس، وسيلينا تجيبها إجابات مقتضبة من غير زيادة في الكلام، حتى خلقت في داخلي شعورا بالريبة.

انتهى دوامي لليوم، وسأبدو مثيرة للشفة إن قلت لكم أنني احتفظت بالكوب الورقي في مغلف شفاف في حقيبتي عقب شربي لكل ما احتواه من قهوة، مع العلم أنني لا أرغب القهوة دون سكر، ومع ذلك يكفيني شعوري الكاذب بطعم فراس فيها لأجعل منها ألذ كوب قهوة ارتشفته على الإطلاق.

ظننت أن إصرار فراس وجولي علي بمرافقتهم كان كنوع من المجاملة، فلم أكد أصدق عيناي حينما لمحت كامل المجموعة تقف في الخارج بانتظاري. فوجئت سيلينا بالأمر أيضا ونظرت نحوي مذهولة. والآن كيف علي أن أتصرف؟

قالت سيلينا: "هل حقا ستذهبين؟ إذا لم ترغبي بذلك فلا أحد يستطيع إرغامك"

نظرت إليها بعينين تقولان أريد رفقته، لكن أنا محرجة منهم وخائفة من والديّ، فأمسكت بي من مرفق يدي وسارت بي باتجاههم وقالت هامسة لي: "لا بأس قولي لهم ما تريدينه إن كنت رافضة فأنا سأدعمك، وإن وافقت فسأتكلم مع أمك كغطاء وأقنعها برغبتي في

مجيئك عندي حتى تشرحي لي درسا في القواعد لاختبار غد، أنا أدعمك في أي قرار تتخذينه"

حبيبتي سيلينا، دائما ما تنصب مشاعري في أول قائمة أولوياتها. مسحت على يدها بحنو وشكرتها خافتة واتجهت صوب فراس، مدّ يده حتى جذبني من كتفي إليه لأسير إلى جانبه، وأشار لسيلينا مودعا وجرني معه. حاول عماد في الطريق أن يسير إلى جانبي فنظر إليه فراس بتهديد فابتعد وهو يحمل ذعرا صريحا في عينيه.

ركب الجميع باستثنائي وفراس في سيارة رشا، وعلمت أنها سيارتها لأنها جلست في مقعد السائق، ثم وعدهم بملاقاتهم في بيتها. أمسك بي من يدي واتجه بي مبتعدا نحو دراجة نارية مركونة جانبا. رفعت حاجباي وأنا أطالعه مبهوتة، فضحك على مظهري وألقى تعليقا ساخرا على الذعر البادي على وجهي.

هل يمازحني؟ بالطبع أشعر بالرعب، فأنا لم أركب دراجة نارية من قبل. انتشل خوذته من الدراجة ومدّها لي وقال: "لم أكن أعلم أنني سأصحب معي أحدا اليوم، لذا ارتدي خوذتي وفي المرات القادمة سأحرص على إحضار خوذة احتياطية"

ارتديتها طواعية دون نقاش، وقلبي يكاد يهوي بين ساقاي قبل أن أركب، فبعيدا عن شعوري بالخوف من ركوبي لدراجة نارية لأول مرة في حياتي، فإن شعورا آخر يستوطن في جسدي، شعورا أقوى؛ فأنا سأركب خلفه وذلك يعني أن علي أن ألامس جسده وأحضنه من ظهره لأتمسك به كحزام بشري، إن خطوة كهذه في قاموسي الغرامي بفراس تهدد بانفجار وشيك وسكتة دماغية قد تودي بحياتي.

ركب قبلي ونظر إلي من الخلف وشجعني على الصعود، ابتلعت ريقي بصعوبة ثم تجرأت وركبت بحذر شديد، مراعية قدر الإمكان ألا ألمسه، وحاولت التمسك بمؤخرة الدراجة،

لكن يبدو أن تصرفي لم يعجبه، فقام بتشغيل المحرك فجأة ليجفلني، ونجح في ذلك لأنني أسرعت بلف يدي من تحت ذراعيه متمسكة بصدره بقوة بشكل عفوي خشية أن أقع.

شعرت بالزمن قد تجمد وأنفاسي حبست مكانها ولم أستطع إخراجها، كان صدره صلبا ولم أتخيل يوما أن إحساس جسده متين إلى هذه الدرجة، النظر لا يشبه اللمس.

التفت إلى جانبه ليلقي نظرة نحوي إلى الخلف يحمل تعابير مستمتعة، ثم سألني هامسا:

"أشعر بخفقات قلبك على ظهري هل أنت بخير؟"

نبهني بكلامه إلى أنني مرتمية عليه وملصقة صدري بالكامل على ظهره فازداد شعوري بالاضطراب والخجل، رفعت بصري بحذر نحوه فكان يتأملني بصمت دون أن يلمّح إلي بأي تعبير، طال تحديقنا ببعضنا شيئا من الوقت وهو يتأمل احمرار المنطقة المكشوفة من خديّ وعيني الغائرتين من شدة الخجل، ثم شعرت بأن حمرة طفيفة تعلو خديه، فتنحنح وأشاح بصره أمامه بعيدا عني ولم يكرر سؤاله مجددا.

قام بتشغيل المحرك من جديد وقاد الدراجة وأنا متمسكة به كأنه طوق نجاة لي وراعيت إغماض عيني طيلة الطريق من شدة ذعري وخجلي وارتباكي، أرحت رأسي على ظهره وتمسكت به بقوة أكبر حينما زاد من سرعته، ولا أدري إن كانت مخيلتي تلعب بقذارة في ذهني لكن هيء إلي أنني أشعر بضربات قلبه قوية على كف يدي.

وأخيرا توقف لكنني ما زلت متشبثة به بشدة، اعتدل في جلسته ويداي تحوطانه ورأسي ملاصق لظهره، فربت بيده على أصابعي لينبهني إلى توقفه، عاد الاحمرار يستوطن خديّ، ثم حررته من قبضتي، حاولت الاعتدال جالسة لكنني كنت ما زلت أشعر بانعدام توازني.

ساعدني في خلع الخوذة بسبب تيبس أطرافي من حس المغامرة المفاجئ، ثم ترجلت عن الدراجة ففقدت توازني وكدت أقع، لكنه أسرع بالتقاطي من ذراعي وهو يهتف بذعر لي أن أتمهل، اعتذرت منه من جديد مخبرة إياه أنني لست معتادة على ركوب دراجات نارية. أمسك بذراعي وتأبطها تحت ذراعه وسار بي نحو عتبة بوابة البيت التي اصطف أمامها، حتى فتح له رجل البوابة، أعتقد جازمة أنه حارس الفيلا، تركه فراس ليقوم بتأمين دراجته لئلا ينشلها أحد، وسرنا معا في حديقة كبيرة حتى وصلنا مسبحا عملاقا. وهناك عند المسبح كان أصدقاء فراس جالسين على مقاعد خشبية وبدا لي أنهم كانوا مستمتعين بوقتهم.

قال عماد: "هيا يا فراس، لماذا استغرقت كل هذا الوقت؟ انتظرناك كي نسبح معا"

أوصلني فراس إلى مقعد خشبي وطلب مني الجلوس عليه وهو يعيد سؤاله علي ليطمئن إلى أنني بخير أم لا. ثم وجه انتباهه إلى أصدقائه ودخل في حوارات عشوائية معهم، لاحظت أن رشا لم تكن تشاركهم الحديث بل كانت منشغلة بتفحصي وتوجيه نظرات مبهمة لي، لم أشعر بالراحة من نظراتها، لكنني اخترت مواجهتها ومبادلتها النظرات حتى أشاحت هي بصرها أولا.

اتفق الشبان الأربعة على التسابق في البركة وبدؤوا بخلع قمصانهم فورا، وكبنت ترعرعت في بيئة لا تحبذ الاختلاط تمكن الخجل من السيطرة علي، فتجنبت النظر إلى أي منهم، لكنني صدمت بعدم مبالاة جولي ورشا بالنظر إليهم والتحدث عن أجسادهم، فقالت جولي وهي تخاطب رشا: "وائل نحيل جدا مقارنة بالباقين، يحتاج إلى بناء شيء من العضلات، ألا تظنين أنني محقة؟"

أجابتها رشا: "بالطبع، لكنه لا يجد وقتا للتمرين فأنت تعرفينه يعيش في عالم الكتب كثيرا"

تنهدت جولي ثم قالت: "بالرغم من امتلاك قيس جسدا مفتولا إلا أنني أرى أن مقومات فراس أجمل، أم لأنني أميل إلى فراس أكثر؟ ما رأيك يا راما؟ أليس فراس وسيما بطريقة يخطف الأنفاس؟"

كنت أعرف سلفا أن وجهي ملطخ بالكامل بالحمرة ولم أجرؤ على النظر ناحيتها، وحافظت على صمتي بينما لا أجد ما أرد به عليها، بالنسبة لي فراس مثالي في كل شيء حتى وإن كان قبيحا، مع أنه بعيد كل البعد عن ذلك، أنا أعشق هذا الشاب، فكيف أرد عليها دون فضح إحساسي؟ وأخيرا تجرأت وأجبتها: "بالنسبة لي المضمون هو ما يجعلك ترين الشخص الذي أمامك جميلا أم لا.... لا أهتم كثيرا للشكل الخارجي بصراحة"

رفعت حاجبيها مدهوشة وقالت: "كلام عجيب يصدر من حسناء مثلك"

تجاهلت تعليقها ووجهت نظري أمامي وأنا أراقب فراس وهو يسبح بين الثلاثة الباقين، كان أول الواصلين هو قيس ففاز بالتحدي. فهتفت له جولي مشجعة بمرح.

خرج الشبان من البركة حالما استدعتهم رشا بعد قدوم خادمة بصينية العصير، اقترب فراس من حيث أجلس وهو يجفف شعره المبتل بالمنشفة التي علقها على كتفيه. ثم اختار أن يجلس إلى جانبي، لا أرجوك ارحمني، لا تقترب من محيطي وأنت عاري الصدر فأنا بالكاد أحافظ على تركيزي وأنت محتشم بالكامل، سيتوقف قلبي سأموت لا محالة.

ارتشفت من العصير الذي قدم إلي بالقشة التي غرزت فيه، كان منعشا ولذيذا ومزينا بقطعة ليمون على فوهة الكأس. ثم أسرع فراس بحركة خاطفة في سرقة الكأس من يدي ليعطيني كأسه التي لم يشرب منها بعد قبل أن يثير الأنظار، نظرت نحوه مصدومة فوضع شفتيه على القشة ذاتها وغمزني، فكدت أذوب من شدة إحراجي، لم أفهم رسائله لي، لماذا

يرغب بشرب عصير ارتشفت منه للتو؟ أعني أن الأصدقاء لا يشربون من فضل بعضهم، فعلها أولا مع كوب القهوة وها هو يكررها من جديد.
حاولت التصرف بشكل طبيعي، لكن للأسف لمحت رشا تنظر نحونا بريبة، يا للهول هل ضبطته وهو يقوم بتبديل الكأسين؟ هل زرع في ذهنها فكرة مغلوطة عنا؟
اقترح عليهم قيس الذهاب إلى الشاطئ نهاية الأسبوع قبل أن تتبدل الأجواء أكثر، فاعتذر عماد عن الذهاب متبرما بعمله فضحكت جولي وقالت مغيظة له: "آه نسينا انك تعمل، يا لك من مسكين!"
أجابها مغتاظا: "كلامك ليس مضحكا البتة"
حاولت كبح لساني لكنني لم أقدر، كثيرا ما يخونني هذا الأحمق فيزل بأسئلة أو كلام غير لائق فتساءلت بنفور: "وما العيب في أن يعمل؟ ألا يفترض بالشبان من سنه أن يعملوا؟"
وقبل أن تجيبني جولي أجاب هو قائلا: "بالرغم من صداقتنا التي استمرت سنين طالت إلا أن وضعي الاجتماعي ما زال عثرة في طريقهم، فهم ينظرون إلى أنني أقل منهم مستوى لأن والدي أستاذ متقاعد وليس طبيبا أو رجل أعمال مثل آبائهم"
شعرت بشحوب يعتريني من تصريحه، حاول قيس وفراس الاستماتة بالدفاع بينما جولي ازدادت ضحكا ووائل لم يهتم بمجاملة صاحبه، وحتى رشا بقيت صامتة، نظرت نحوي جولي أخيرا كأن كلام عماد ذكرها بفضولها تجاهي فقالت: "لم تقولي لنا ماذا يعمل والدك؟"
شعرت بأن العرق يتصبب مني، إن كان صديقهم منذ عهد ليس بقليل محط سخريتهم لأن والده معلم متقاعد، فكيف إن علموا بوضع أبي كحارس لشركة وهو لا يحمل حتى شهادة جامعية، ابتلعت ريقي ثم خرج صوتي مبحوحا بغير قصد مني وأنا أقول باختصار: "مـ.. موظف في شركة"

تساءلت جولي: "شركة ماذا؟"

- "صناعة الورق....."

صمتّ بعد هاتين الكلمتين متحاشية النظر إليهم بينما أدعو في سري ألا يصروا على معرفة المزيد، ثم تساءلت جولي من جديد: "وماذا بالنسبة لك؟ ماذا تدرسين؟ وما نوع الصبغة التي تستعملينها لشعرك؟ أحلم بامتلاك هذا اللون صدقا"

زفرت رشا بانزعاج وأجابتها عني: "جولي! اعتقي الفتاة من أسئلتك المزعجة! الأشقر سيبدو مريعا عليك فهو لا يتناسب مع بشرتك"

دخلت كلتاهما في حوار أقرب إلى شجار لفظي عما يناسب بشرة جولي وما لا يناسبها، وقتها شعرت بأنني مراقبة فألقيت نظرة في الوجوه من حولي بحثا عمن يراقبني حتى استقرتا على فراس بجانبي حيث كان يتأملني بصمت، ثم ابتسم لي ليذيب إحساسي تجاهه أكثر.

اقتربت سيدة محجبة من جلستنا وألقت لنا تحية مرحة، وبادلها الجميع بالتحية بابتسامة عريضة، ثم وقع بصرها علي فكادت ابتسامتها تختفي وهي تتأملني ثم تساءلت: "هل لديكم رفقة جديدة؟"

نهضت رشا متجهة نحو السيدة وقالت: "أمي هذه راما، صديقة جديدة من طرف فراس"
نظرت المرأة نحو فراس وهي تحاول جاهدة تثبيت ابتسامتها التي أصبحت متصنعة الآن على وجهها رغما عنها، ماذا ألمّ بها؟ ألا يعجبها انضمامي إلى مجموعة ابنتها؟ لماذا؟

طلبت منا أن نأخذ راحتنا ونستمتع بوقتنا ريثما تشرف على إعداد الغداء. ما إن ابتعدت حتى علق فراس قائلا: "أغبطك يا رشا فأمك لا تخشى على طلاء أظافرها من التلف وتطهو الطعام بيديها"

أجابته متهكمة: "ليس دائما فهي في العادة لا تتواجد في البيت من ازدحام مشفاها بالمرضى"

من عبارتها هذه فهمت أن والدتها تعمل إما رئيسة في مشفى أو طبيبة مشرفة، واو كم أغبطها! أمي درست اللغة وعلقت شهادتها على الحائط ولم تعمل يوما.

رن هاتفي تزامنا مع تقديم الخادمة صحونا من الفواكه المشكلة من كل صنف حتى أن بعضها لم تكن في موسمها بعد مما أثار دهشتي.

استقبلت المكالمة بعدما تأكدت من هوية المتصل، فأنا أعلم إن لم أجب على مكالمتها فإنها ستأكل رأسي فقلت قبل أن تقاطعني: "أهلا لورا...."

- "أين أنت؟ الأمر مستعجل!"

فاجأتني بهجومها مع أنني يفترض بي الاعتياد على أسلوبها المرعب هذا، نظرت من حولي في وجوه الجميع بينما تركوا أحاديثهم وانصب اهتمامهم بمكالمتي المفاجئة فاحمر وجهي وأنا أجيبها: "برفقة فراس والأصدقاء..."

- "حقا؟! أصدقاء؟ تريدين القضاء علي؟"
- "لورا ماذا تريدين؟"
- "جهزي نفسك سآتي لأقلك الموضوع مهم ... إنه يخص سيلينا"

نهضت بسرعة وأنا أتساءل برعب واضح عن الخطب الملم بسيلينا فوعدتني بأن تشرح لي حينما تصل إلي. أرسلت إليها موقعي واعتذرت منهم مبلغة لهم بنيتي في المغادرة.

واستأذنت من رشا أن أغسل يديّ فقد شعرت بأنهما دبقتان من شدة ما تعرقت بسبب خجلي.

فأرشدتني بنفسها إلى مكان الحمام في داخل منزلها وسارت معي بصمت حتى وصلت هناك وتركتني أختلي بنفسي. كثير من الأعاصير كانت تجتاح مخيلتي، خوفي على سيلينا، انعدام شعوري بالراحة وسط مجموعة فراس، حبي له بطريقة مأساوية، عدم فهمي إشاراته لي، تخوفي من شعور أصدقائه نحوي..... القائمة طويلة إن بدأت بها فلن أنتهي.

خرجت من الحمام لأعود من نفس الطريق الذي اقتادتني فيه رشا وهناك فوجئت بأمها واقفة عند السلالم وقد خلعت حجابها بينما تكلم أحدهم وتضحك باستمتاع معه، حينما اقتربت أكثر تبينت الشخص الواقف حيث كان شبحه مخفيا خلف أحد الأعمدة في الصالة الكبيرة لأفاجأ بأنه فراس وقد ارتدى قميصه أخيرا.

وقعت أنظار الاثنين علي فابتسم لي الأخير وأشار بيده أن أقترب، فسرت وأنا أحاول فهم ما يجري من حولي، ألم أرها متحجبة قبل قليل في الخارج؟ فكيف أراها بشعرها أمام فراس؟ هل تكشف شعرها أمام أصدقاء ابنتها عادة أم فقط أمام فراس؟ هل علاقة فراس بابنتها تعدت كونهما صديقين؟ ربما، فلا يوجد في بالي تفسير آخر لنظراته المحببة لها ونظراتها غير المرحّبة لي، هل تشعر بالخطر مني وتخشى أن أخطف فراس منها؟ أمها أيضا رمقتني بنظرة غريبة بدورها وخصوصا بعد علمها أنني من طرف فراس، هل تحلم بارتباط ابنتها منه وترى بي نوعا من التهديد لها؟

وصلت حيث يقف فراس وراعيت البقاء إلى جانبه كأنني أحتمي به، فقالت والدة رشا مجاملة: "ابقي على الغداء على الأقل يا ابنتي ثم تغادرين"

راعيت أن أطبع ابتسامة على شفتي وأنا أرفض عرضها بتهذيب ثم طلبت من فراس أن يرشدني إلى الباب لملاقاة لورا.

وصلت لورا أسرع مما توقعت، فسارعت بالركوب إلى جانبها، كان فراس واقفا معي ينتظر قدوم لورا ليطمئن إلى إيصالي سالمة إليها، ألقت إليه لورا نظرة متعالية من خلف نظاراتها الشمسية، فلوح لها مودعا بابتسامة سمجة فشعرت أنه تمكن من إغاظتها.

قادت الربع الأول من الطريق بصمت حتى انفجرت أخيرا وقالت معاتبة: "حقا يا راما! ذهبت معهم إلى بيت رشا؟ ما رأيك أن تشاركيهم المبيت في قارب فراس المرة القادمة؟"

حدجتها بغضب بقولي: "لديك أنت أيضا صديقات خارج محيطنا فلماذا يتعبك أنت في من أصادق؟"

ألقت نظرها نحوي باستياء ثم أشاحته على الطريق قائلة بنبرة متألمة: "أنا خائفة عليك افهمي!..... أخاف... أخاف أن يمزق فراس وأصدقاؤه قلبك"

حاولت طمأنتها بكونها تبالغ فأنا لم أر منهم أي تصرف غريب أو سلوك مشين حتى أنهم استقبلوني برحابة صدر، حسنا عدا رشا فهي الوحيدة التي شعرت بأنها تبني حاجزا بيني وبينها. أردتها أن تخرجني من بالها فوجهت انتباهها لموضوع سيلينا فقلت: "ما الأمر بشأن سيلينا؟ هل هي بخير؟"

أجابتني وهي تكبح نيران غضبها: "سيلينا كذبت علينا"

قطبت جبيني في عدم فهم فتنهدت وأردفت: "قبل أن تخطر في بالك أفكار مغلوطة سأصدمك بالحقيقة.... عريس سيلينا الغامض ليس إلا..... إيان هودج"

الفصل الخامس عشر

إيان هودج اسم لمع بقوة في وسطنا العربي فبعد سفره إلى بلادنا واستقراره عندنا عرف بشدة ثرائه ليوضع ضمن قائمة أصغر مليونيري العالم، يمتلك إيان مجموعات كبيرة من الشركات متوزعة في أنحاء العالم وله الكثير من العقود المشتركة مع رجال أعمال كبار. كما أنه عرف بسخائه وجود كرمه، فهو يساهم في دور رعاية المسنين وجمعيات رعاية الأيتام ويدعم دور الزكاة، عدا عن الأعمال الخيرية التي يقوم بها بعيدا عن ضجة الإعلام حسب وصف لورا لنا، والآن إيان هودج هذا ذاته، مصدر هوس العازبات وحب سيلينا الأول، والذي وهبته قلبها دون تردد ليعيده إليها مجروحا خائبا مهشما إلى أشلاء، ذهب برجليه ليتقدم لخطبتها. وماذا فعلت حسب وصف لورا؟ رفضت عرض الزواج!

كانت سيلينا متدثرة تحت غطاء سريرها حينما استقبلنا أخوها وأعلمنا بتواجدها في غرفتها. استطاعت لورا صرف انتباهها عن الفوضى العارمة التي تغرق فيها غرفة سيلينا كالمعتاد لأن في جعبتها شيئا أكثر أهمية.

وأخيرا دون مماطلة هاجمتها كعادتها قبل أن تستمع لوجهة نظر الشخص المقابل لها: "أعمل جاهدة على فهمك حقا لكنك دائما تجعلينني أشعر بالضياع. فحين تقدم إيان بطلب يد راما للزواج لم تتمكني من كبح انزعاجك، والآن بعدما رماه القدر في دربك رفضته؟! اشرحي لي كيف يعمل نظام دماغك فأنا عاجزة فعلا عن التفكير"

تجنبت سيلينا النظر إلينا وشعرت بتيهها لكنني أردت فهم الأمر أيضا، فهل رفضته حفاظا على كرامتها؟ والسؤال الآخر الذي كان يدور في بالي هو لماذا ذهب لطلب يدها للزواج؟ هل شعر بالأسف عليها وتقدم لها كنوع من الشفقة؟ لا يا راما ما هذا الجنون! الزواج ليس لعبة أولاد صغار.

نفخت سيلينا بانزعاج لأنها تعلم أنها لن تجد ملجأ من لورا وقالت: "جاءك ليستعملك كوسيط لأقبل بعرض التجارة الذي فجرته جدته في وجهي؟"

أصابني القلق من كلامها فسألتها على الفور: "ماذا تقصدين بعرض التجارة؟"

رفعت بصرها ناحيتي ورأيت ذاك الكسر ذاته مختبئا بين سطور عينيها، ذاك الكسر الذي حملته نظراتها في اليوم الذي ودعت والدها من الدنيا، فشعرت بصدع يتشقق في صدري أسفا على حالها. ثم دعكت صدغيها بأصابعها ومسحت دمعها المنسكب على خدها.

جلسنا على حافة سريرها في انتظار ما ستبوح به.

سيلينا

لم يكن هينا على قلبي أن أسرد ما حصل بالضبط بيني وبين إيان والقصة الحقيقية من خلف هذا الزواج، لكنني مع ذلك أطلعتهما على القصة بتفاصيلها المزعجة وخصوصا نيته في الحصول على الطلاق عقب استرداد جدته كل الممتلكات المحجوزة وذلك حتى أثبت للورا أن إيان ليس كما تظنه.

في البداية لم تجدا ما تردان به علي، حتى لورا فتحت فمها بذهول لما سمعت، فتأكدت من جهلها حقا بالموضوع فإيان لم يوضح لها شيئا. أرادت راما أن تعلّق بأي كلام كي تخفف عني لكن لورا تكلمت أولا ودون أن ترمش قالت: "اقبلي بهذا الزواج"

اتجهت أنظاري إليها كمن وجهت لها لورا صفعة، فاعترضت راما قائلة: "هل سمعت الجزء المتعلق بالطلاق؟ هذا ليس زواجا وإنما عقد تجارة!"

نفخت نفسا مثقلا من صدرها وأجابت: "الزواج سيحصل بكل الأحوال ما دامت جدته هي من تسعى إليه، لن يكون في يدها صنع شيء حقا. إذا قبلت الآن فستحصل على عوض مادي ضخم لم تحلم به فتاة في عمرها قط! فكرتي هي أن ترضى بالاتفاق الذي بينهما

قبل أن تضع جدته يدها في الموضوع وتجعلك تخرجين من هذا الزواج خائبة.... اسمعي سيلينا أنا أعرف هذه المرأة جيدا وأعرف ما هي قادرة على صنعه حقا، لا يوجد ما هو مستحيل عليها سيتم هذا الزواج حتى وإن كلفتك خسارة لذا اقبلي بالعرض الحالي أفضل لك، ثم أن العوض عشرة ملايين! أي مجنونة ترفض عرضا كهذا؟"

اشتد النقاش بين لورا وراما في ما علي فعله، فبدتا لي كإعصارين هائجين يتقاتلان ليطفئ أحدهما جبروت الآخر. أما أنا فكنت أشعر بغمامة تغطي تفكيري فلم أهتد إلى ما علي فعله، لا أريد القبول بهذا الزواج كسلعة رخيصة يستخدمها إيان وجدته ثم يلقيان بي بعيدا بعدما ينالان مرادهما. وربما يخلف بالاتفاق ولا أنال شيئا بالمقابل.

قالت راما وسط النقاش: "من الأفضل لها أن ترتبط بأوس بدلا من هذه المهزلة"

نظرت لورا نحوها بريبة كما فعلت بدوري، ثم قالت لورا مستفسرة بذات التساؤل الذي دار في بالي وقتها: "ما شأن أوس في كل هذا؟ ألم أكن واضحة معك حينما قلت لك أنني أخطأت في تحديد هوية العريس الغامض؟"

صمتت راما لوهلة وهي تقلب بصرها في سقف الغرفة لتتجنب الإجابة، لكننا ضغطنا عليها لتبوح بما تضمره في سرها، شعور غريب ينبؤني أنها أقدمت على فعل أحمق من نوع ما، لكن ما هو؟ في النهاية استسلمت لنا وقالت بنفس واحد: "فراس قال لي أن أوس معجب بسيلينا وأنه مستعد للارتباط الآن فطلب مني أن أزوده برقم أهلها ليتواصل أهله مع أمها"

لطمت لورا صدرها وهي تكبت شهقاتها غير مصدقة بينما أنا ألجمتني راما باعترافها فصرخت بها لورا: "ستفقديني عقلي أقسم على ذلك! بماذا كنت تفكرين؟ كيف لك أن تثقي به؟ ماذا لو وزع الرقم بين أصحابه ليتسلى ويسيء إلى سمعة البنت! سمير بذاته وهو

صديق أوس المقرب وصداقته به أكثر متانة من صداقة فراس به لم يتجرأ على هذه الخطوة!"

تركتهما تتجادلان وتتشاجران مستسلمة للضباب الذي يكتنف تفكيري، لم أدر كيف أتجاوب مع الموضوع، فهل أغضب؟ هل علي أن أنظر إلى الموضوع من زاوية أفضل؟ أم أن ظن لورا في مكانه الصحيح؟

استدعتني أمي لتحدثني على انفراد في المطبخ بينما أبقيت راما ولورا تتشاجران في غرفتي، حين استقررت عندها أغلقت الباب بسرعة ثم نظرت إلي محتدة وقالت وهي تشير نحو هاتفها: "ما هذا الذي فعلته؟ كيف تزودين جماعة برقمي ليطلبوا يدك مع العلم أنك على وشك الزواج من شاب آخر؟ إذا علمت السيدة جينيفر فستحول حياتنا إلى جحيم!"

سألتها هامسة: "أي جماعة؟"

- "شاب يدعى أوس! تحدثت معي أمه للتو وقالت لي أنه تعرف عليك عن طريق الجامعة! ألهذا ترفضين عرض إيان؟ لأنك تعرفت على شاب وتعيشين قصة غرام سخيفة معه؟ أنا لم أربك على قلة الأدب!"

لم أعد أحتمل كل ما يجري حولي فصرخت بها: "ومنذ متى كنت متواجدة لتربيتي أو لنصحي؟ لما لا أتزوج من شاب مثل أوس؟ على الأقل هو صادق في نيته وليس تاجرا كرئيستك وحفيدها وأنت!"

ما إن تلفظت بعبارتي الأخيرة حتى وجهت لي أمي صفعة أسقطت حلقي من أذني فتردد إلى أذني صوته وهو يرتطم بالأرضية. نظرت إلى أمي بينما أغطي خدي بيدي فلمحت دموعها التي لم تتمكن من كبحها كخيط منسوج على خدودها، ثم قالت: "يا لك من

أنانية! قلت لك أن هذه المرأة لن تسكت حتى ترتبطي بحفيدها ألا تستطيعين التفكير بأخيك أبدا؟ متى ستخرجين من قوقعة سيلينا لتفهمي أن العالم لا يدور حولك!"

لم أقاوم دموعي أنا أيضا، كيف لها أن تصفني بالأنانية وأنا كل ما فعلته في حياتي هو تعويض الحنان الذي لم تستطع هي إيفاءه لأخي، فكنت أنا أمه وأباه حتى لا يشعر بالنقص، كيف تمكنت من إسقاط صفاتها علي أنا؟ علاقتي بها كأم وابنة متزعزعة منذ سنوات والآن بعد هذا الموقف لا أظنني قادرة على تحسينها أبدا.

ودعتني راما ولورا فقد شعرتا بأن أجواء البيت متكهربة ولم تشأ أي منهما التسبب في المزيد من الإحراج لأمي.

لازمت فراشي ولم أخرج من غرفتي، وتحاشيت الاحتكاك بأمي وحتى أخي. ظننت أنني إذا قضيت يومي نائمة بأنني سأهتدي إلى السبيل الصحيح، لكنني كنت مخطئة ففي صباح اليوم التالي لم يكن حالي أهون.

أخرجت من خزانتي بنطال جينز ورميت على جسدي كنزة أكبر من حجمي ولم أهتم كثيرا بتسريح شعري فوضبته في كعكة مرتفعة وخرجت متجهة إلى الجامعة.

كنت قد تجاهلت اتصالات راما ورسائلها العديدة في محاولتها للاطمئنان علي؛ لأنني لم أكن أمتلك طاقة لأتحدث مع أحد. جلست في الكافتيريا في انتظار قدومها بينما أتأمل الصورة الوحيدة التي أبقيتها في جهازي لإيان وهو يحمل صندوقا خيريا في أحد دور رعاية الأيتام. حصلت على هذه الصورة من أحد المواقع الإخبارية منذ سنة وإلى الآن لم أستطع التخلي عنها، ربما لأنه بدا في الصورة طبيعيا وهو يضحك مع فتاة صغيرة يتيمة. باطنيا كنت أشعر أنه يضحك لي أنا وأن هذه الفتاة ما هي إلا تلك الروح المكسورة في داخلي والتي تبحث عمن يملأ عاطفتها التي جار عليها الزمن.

سمعت صوت الكرسي قبالتي يتزحزح عن مكانه وحينما رفعت رأسي فوجئت بإيان يسحب الكرسي بنفسه وهو يرتدي بزة بلون رمادي أنيق. جلس على الكرسي وعيناي تتأملان تحركاته بالتفصيل، رفع رجلا فوق الأخرى ثم وجه نظره إلي وسألني عن الحال. هممت بالمغادرة فورا لكنه أسرع فقبض على معصم يدي ليمنعني من النهوض وعيناه تنظران بجدية في وجهي المحمر بشدة، ثم دنا بنظره نحو هاتفي في يدي وخطفه بيده الأخرى متأملا شاشته فكدت أفقد الوعي من شدة إحراجي. أعاد بصره نحوي وهو يزم شفتيه رافعا إحدى حاجبيه، يا ليت الأرض تنشق وتبتلعني في هذه اللحظة. ابتلعت ريقي وعلق صوتي في حنجرتي ولم أتمكن من قول شيء ولا حتى المطالبة باستعادة هاتفي.

تنهد بصوت مسموع وما زالت يده تحاصر معصمي، وأخيرا قال: "آخر ما أريده أن أزيد تعاستك، لكنني يائس ولا حل آخر لي، أرجوك توقفي عن الهرب من قدر محتوم عليك، اقبلي بعرضي لك، لن تخسري شيئا بل على العكس ستخرجين وقد كسبت الكثير، ستكون نفطة في تغيير حياتك نحو الأفضل."

طأطأت رأسي إلى الأسفل لأتجنب النظر في عينيه ولأكبح دمعتي من ذلي أمامه ثانية. ثم ألح علي مجددا بقوله: "أرجوك يا سيلينا"

وأخيرا خرج صوتي بنبرة أعلى مما توقعت حينما صرخت به دامعة العين: "اترك يدي!"

التفت الجميع نحونا، وشعرت بأنه أصيب بالإحراج فتركني وهو ينظر حوله مشيرا بيده التي يحمل فيها هاتفي بأن كل شيء على ما يرام. أخذت ذلك كإشارة لي فنهضت بسرعة وركضت خارج حرم الكلية غير مهتدية إلى مكان هروبي.

قضيت يومي أتنقل بين الكليات ضائعة تائهة وقد فوّت على نفسي جميع محاضراتي، ولأن هاتفي بحوزة إيان فلم أتمكن من التواصل مع أي من راما أو لورا.

كنت قد جلست على مقعد خشبي تحت شجرة خلف مبنى المكتبة، فشعرت بحركة إلى يساري فالتفتّ تلقائيا لأحدد هوية الشخص الجالس إلى جانبي فتملكني الذهول، فالشخص هذا لم يكن إلا أوس صديق سمير.

في البداية ساد صمت في الأجواء، شعرت بأنه كان مرتبكا بشدة كحالي تماما. في النهاية واتته الشجاعة أخيرا ليلقي لي تحية صغيرة. لم أجبه بل لم أتلفظ بأي كلمة، حتى أنني تحاشيت تماما النظر إليه. في عالمي أنا كسيلينا لم أجرب شعور أن يعجب بي أحد. فالأعين كانت دائما على راما، وحتى في أيام المدرسة سابقا فإن تهافت المعلمات والطالبات كان موجها لراما، فعدا عن جمالها الأخاذ الذي يندر وجوده في عالمنا العربي، فقد كانت أيضا فتاة متفوقة ومتواضعة ومهذبة وخدومة ولا يرتاح لها بال إذا لم تقدم المساعدة لمن يحتاج إليها. راما كاملة في كل مواصفاتها حتى أنني لا أجد فيها عيبا واحدا.

وبمجرد التفكير بأن شابا لطيفا ووسيما كأوس معجب بي قد حرك في داخلي شعورا غريبا لا أقدر على وصفه، إلا أنه يشعرني بشيء من البهجة. لكنني لم أمتلك في قاموس خبرتي رد فعل مناسب لمشاعره، عدا أنني لا أكلم الشبان عادة، فأكثر شاب اختلطت به أو تحدثت معه يوما هو سمير فقط.

يبدو أن أوس قد فهم شعوري بالارتباك فتولى عجلة الحديث بنفسه قائلا: "أنا آسف على اتصالنا بأمك في الأمس.... لم تقل صديقتك لفراس بأنك مخطوبة.. إذا كنت قد تسببت لك بالإحراج مع خطيبك.."

قاطعته على الفور قبل أن يهذر بالمزيد: "أنا لست مخطوبة.... القصة معقدة... أمي تريدني أن أرتبط بذاك الشاب"

سألني: "ماذا عنك؟ هل أنت موافقة؟"

صمتّ للحظة، فأدرك أن ثمة شيئا مريبا خلف صمتي هذا فقال: "لا أريد أن أبدو كشاب لحوح أمامك، لكن إذا كان لك تحفظات ولا ترغبين بالارتباط به فلا أحد يستطيع إرغامك، في النهاية هذا قرارك وهذه حياتك، ومن حقك أن تختاري من تريدين"

نظرت إليه أخيرا بنصف التفاتة، كانت عيناه تحملان قلقا واضحا. لكن قبل أن يلفظ أحدنا بالمزيد قطع حديثنا على وجه إيان الذي هبط من السلالم الخلفية للمكتبة على مقربة منا وهو يوجه نظرة غير مريحة لنا.

استقر واقفا أمامنا، ولحظتها شعرت برغبة في الهروب أو الاختفاء. تلاقت نظراته مع أوس ثم هاجمه أولا بقوله: "تخطب على خطبة أخيك؟ عيب عليك"

بدا على أوس جهله في البداية فسأله من باب الحصول على تفسير: "ماذا تقصد؟"

أشار إيان نحوي بيده وقال: "أتحاول إقناع مخطوبتي بتركي لترتبط بها أنت؟ توقعت هذه التصرفات من شاب مثل فراس، لكن أنت؟! كنت أظنك أكثر تهذيبا من هذا"

ظهر على أوس الذهول وأخذ يقلب بصره بيني وبين إيان، بدا وجهه كورقة بيضاء بدأت الحروف تترتب فيها ليفهم على مهل مقصد إيان، في حين أنني كنت على شفير الاستسلام لنوبة هبوط سكر مفاجئ، ثم نهض أوس وهو مثبت نظره على إيان وتفاجأت بكمية شجاعته وثباته في إجابته له: "لا يحق لك أن ترغمها على شيء لا تريده، فمن الواضح أنها رافضة، اسألها إن كنت تظنني مخطئا"

ابتسم إيان نصف ابتسامة ووجه نظرة محتدة نحو غريمه، ليقابله ذاك بالنظرة ذاتها، لا أدري كم دامت حرب النظرات بينهما فيما كنت أدعو في سري ألا تتطور لشيء لا يحمد عقباه. قال إيان مهددا له: "اترك لي البنت وامض في سبيلك"

أجابه الآخر: "ماذا تريد منها؟ عالمك مليء بالفتيات من عائلات مرموقة مصطفات في انتظار الحصول على نظرة منك، هذه البنت بعيدة عن عالمك ولا تناسبك إنها أكثر براءة من التورط في حياتك، ابتعد عنها واتركها في حالها"

- "أتركها لك؟"
- "لما لا؟"

فتحت فمي كالبلهاء وأنا أتابعهما وقد اشتد النقاش بينهما. ابتسم إيان مظهرا صوت ضحكة خفيفة وهو يشزر أوس بنظرة تهديد صريحة ثم رفع سبابته في وجهه مهددا وقال: "كلمة لا رد لها، اترك سيلينا وابتعد عنها وأنقذ ما تبقى لك من كرامتك، فزواجي بها حاصل إن شئت أو أبيت"

عند هذه المرحلة كانت أنفاسي محتبسة والدم متجمد في عروقي وتمنيت انتهاء هذه المشاجرة في الحال قبل أن يحصل ما لا يحمد عقباه، كلاهما يتمتع بالهدوء والرزانة لكن أعتقد يقينا الآن أنهما مستعدان لرمي تلكما الخصلتين والبدء بمعركة ضارية كما تفعل الوحوش عادة.

هممت بالنهوض والتسلل بعيدا عن المكان فإذا أرادا لفت الأنظار إليهما فليفعلا ذلك بعيدا عني، آخر ما أريده أن تنتشر صوري والإشاعات عني كفتاة من الطبقة الوسطى تسعى للتسلل كما الأفعى لتوقع بشابين ثريين في أسرها. لأنني أعلم تماما ما سيعقب هذه الإشاعات من هجوم وتنمر لفظي ونكت مسيئة نحوي.

قررت في النهاية التوجه إلى البيت والتحدث مع لورا من هاتف أخي لأطلب منها استرداد هاتفي من إيان، فوجودي في الجامعة لم يعد ذا أهمية بالنسبة لي.

وقفت في انتظار قدوم حافلة لأستقلها في الموقف حين فوجئت بسيارة كبيرة فارهة سوداء اللون تصطف أمامي. فُتحت نافذتها الخلفية لتطل علي منها جدة إيان بوجهها الصارم وهي تخفي عينيها خلف نظاراتها الشمسية وقالت بلهجة آمرة: "اركبي"

وفورا خرج السائق من الجهة الأمامية متجها نحو الباب ليفتحه لي، نظرت في وجه السائق الذي يعتريه الجمود، ثم وجهت نظري لذاك الكائن المخيف في الداخل فتوجست خيفة.

ابتلعت ريقي بصعوبة وقررت الانصياع لها لئلا أتسبب في مشكلة ما.

استقررت جانبها فورا وانطلقت السيارة دون تردد. التفتت نحوي التفاتة خفيفة وقالت: "أما زلت رافضة لعرض الزواج؟"

كنت أتصبب عرقا من شدة ذعري ولم أستطع إجابتها فقالت بنبرة مهددة: "ألم تقل لك أمك ما قد أصنعه بكم إن لم تقبلي بالزواج من إيان؟"

فتحت عيني بذعر وترقب لما هي مقبلة على الإفصاح به، فزفرت بانزعاج قائلة: "معك مهلة حتى نهاية اليوم لأحصل على موافقتك من أمك وإلا ستودعين أخاك إلى الأبد، لأنني سأجهز له أوراقا للانتقال إلى خارج البلاد لترعاه عائلة أخرى بما أن أمك على وشك أن تخسر وظيفتها بسببك ولن تتمكن من الاعتناء بك أو بأخيك لمشكلات نفسية تعانيها من فقدان زوجها مثبتة في تقارير طبية في حوزتي"

هل هذه المرأة تتحدث بجدية؟ أمي لا تعاني أي مشاكل نفسية! هل تقصد بأنها زورت تقارير تظهر فيها أمي عاجزة عن رعاية أخي؟ ما نوع الأفكار التي تجوس في خاطر هذه المرأة؟ هل هي إنسان؟

أوصلتني بسيارتها إلى عمارتنا ونبهت علي بالتفكير في كلامها جيدا قبل البت في إجابتي.

صعدت السلالم غير قادرة على مواجهة المزيد، أكاد أنفجر ولا أملك حلا من أي نوع.

فتردد صدى صوت لورا في ذهني وهي تشجعني على الموافقة على ذلك العرض وتنبيهها لي بخصوص جدته.

فتحت الباب ففوجئت بأمي متواجدة في البيت، تساءلت عن سبب مغادرتها العمل فأوضحت لي أن السيدة جينيفر طلبت منها أن تأخذ بقية اليوم إجازة. ثم قالت: "لقد جاءك زائر"

أشاحت وجهها عني بذعر وأردفت: "أصر على انتظارك في غرفتك ولم أستطع منعه"

سألتها بينما أحاول طرد ذلك الشك في قلبي: "من؟"

زفرت بعد تردد: "إيان"

احمرّ وجهي بشدة أعقبه شحوب قاتل، متى غادر الجامعة؟ وكيف انتهى النقاش بينه وبين أوس؟ هل يعقل أنه أقدم على تصرف آذاه؟ ثم تذكرت شيئا في غاية الأهمية، غرفتي عبارة عن دمار شامل، فصرخت بها هامسة: "لماذا أدخلته غرفتي؟ بماذا كنت تفكرين؟"

يا للهول! إيان في غرفتي ليشهد فوضاها بعينيه أي حرج أحمله الآن في قلبي؟ لماذا تصر هذه الدنيا على رجمي بالمزيد من المواقف المحرجة؟

ركضت ناحية الغرفة بسرعة ووقفت عند بابها وأنا أنظر إلى خياله داخلها حيث كان موجها ظهره لي بينما يقف وسط الغرفة ووسط الفوضى فيها، فحتى سريري لم أقم بترتيبه صباحا. التفت خلفه فلمحني وكان أو ما قاله: "في البداية ظننت أمك أخطأت الغرفة وأدخلتني غرفة شقيقك، ما هذه الفوضى؟ كيف تعيشين وسطها؟ ينبغي بمخطوبة إيان أن تكون أكثر نضجا وترتيبا"

ركضت صوبه متجاهلة تعليقه بوصفي بكلمة مخطوبته وحاولت جره من ذراعه خارجا لكنه كان ثابتا كالجبل ولم يتزحزح، بل أنه جذبني بذراعه الأخرى نحوه وتأبطني تحت

جناحه، ثم قال معاتبا: "كدت تتسببين بمشكلة بيني وبين سمير كيف يخطر في بالك أن تقدمي لأوس رقم هاتف والدتك؟ أظننت انني لن أعلم؟ احمدي الله فقد تدخل سمير بالنقاش العقيم بيننا فقد كنت على وشك أذيته"

كنت أفتح فمي كالبلهاء من كلامه، فنظر إلي ثم قال: "لم أعد أفهم، هل تحبينني أم بدأت تكونين مشاعر نحو ذاك المدعو أوس؟"

اشتد احمرار وجهي ثم تذكرت لحظتها أنه يحتضنني تحت ذراعه فدفعته مبتعدة عنه واتجهت نحو سريري، ووقفت أمامه مولية ظهري له، تنهد تنهيدة متعبة وأعاد إلحاحه علي بقبول عرض الزواج منه بقوله متوسلا: "اسمعيني يا سيلينا، أنت أملي وطوق النجاة الوحيد لي، جدتي ستصادر قصري وممتلكاتي وترميني بلا تركة وكل تعبي ستهدمه أمامي بلحظة، يعني لن أحرم من ميراثي فقط بل من كل حياتي، ساعديني أرجوك، أعرف أنني أطلب منك الكثير، لكنني يائس بشدة فلا تشاركي جدتي في تحطيمي، لا تكوني سببا في دماري أتوسل إليك"

عضضت على خدي لكي أمنع دموعي من الانهيار، يكفي لقد تعبت من كل ما يشكل لي ضغطا من حولي، تذكرت وعيد جدته لي، وتخيلته يعاني بسببي، ثم تدمير عائلتي ودموع أمي وخيبتها، فأيقنت أن رفضي لن يكون إلا سببا في معاناة الجميع بمن فيهم أنا، فقلت أخيرا: "حسنا...... أنا موافقة..... بشرط واحد"

سكت لينتظر مني البوح بشرطي فقلت بعد أن استدرت نحوه متظاهرة بالقوة والثبات: "سيكون زواجا ورقيا فقط، أي زواج بلا دخول.... وحينما أحصل على الطلاق ستعوضني كما وعدتني"

أطال تحديقه بي بصمت مريب ثم جال بنظره في كياني كاملا مدققا بكل تفصيل بي حتى شعرت بانعدام ثقتي وازداد شعوري بالخجل. ثم اقترب مني ومد لي بهاتفي ليعيده إلي وهو ينظر في عيني بثبات وقال: "مبارك خطبتك سيلينا، سأحرص على إكرامك طوال فترة تواجدك في بيتي. وأعدك بألا يطأك ذل"

انتشر خبر خطبة إيان بسرعة جنونية، قبل أن أتمكن من تصديقها بنفسي، وما زاد من حماس الخبر هو رغبة المتابعين وجميع معارفه والمهووسين به من أفراد المجتمع بالتعرف إلى كيان تلك الفتاة النكرة غير معروفة الهوية، والتي استطاعت التسلل إلى قلبه والاستحواذ عليه.

تم تناقل العديد من الإشاعات حول هذه الخطبة أحدها يتهم لورا بالتمهيد لهذه الزيجة بما أنها صديقة لكلينا، وكنت أشك يقينا بأن صديقات لورا من نشر هذه الإشاعة بسبب شعورهن بنقص أهميتهن أمامها كونها على اعتقادهن رشحتني لأكون زوجة لإيان بدل أي واحدة منهن مع علمهن بأنهن يمتلكن مقومات تفوقني جمالا ومالا.

وإشاعة أخرى أفادت بأنني استغللت لورا طيلة الوقت للوصول إلى إيان وإيقاعه في أسري، كما تم تناقل إشاعة غريبة وفحواها أنني ابتززت إيان مقابل ارتباطه بي.

قيل الكثير بخصوص هذه الخطبة لكن كل الإشاعات اتفقت على نهاية واحدة وهي أن إيان سيدرك خطأه يوما وأن الطلاق هي نهاية قصة مفبركة لفتاة اختارت ضحيتها بعناية.

ما آلمني حقا هو أن هذه هي النهاية المؤكدة بغض النظر عما تتناقله الإشاعات، فهو لم يرغب بالارتباط بي أصلا وحينما يحين الوقت سيظن الجميع أن ما أطلقوه من كلام سخيف قد كان صحيحا وستبقى الحقيقة طي الكتمان.

جلست في الكافتيريا بانتظار قدوم راما وأنا أحاول طرد شعور النفور من داخلي، فقد بتّ أكره الدخول إلى الجامعة لأنني أصبحت محط أنظار العديدين من طلبة وعاملين حتى

المدرسين. أصبح الوضع لا يطاق؛ فبالنسبة لفتاة تعيش في الظلال لن تحتمل سطوع الشمس بقوة عليها.

كنت أحاول إخفاء شعور الامتعاض من النظرات الموجهة إلي والهمس الذي كان يتم تداوله بين الجالسين في المكان، كما حاولت جهدي إخفاء خاتم الخطوبة الذي فاجأني به إيان في اليوم ذاته الذي أعلن فيه خطبته لمعارفه وأقاربه، وذلك حينما جاء قبل ليلتين في عتمة الليل برفقة أخته الصغرى لأقوم بارتداء الخاتم حتى يتأكد من كونه مناسبا لمقاسي موضحا أنه حاول انتقاء خاتم أصغر من أصابع أخته مشيرا إلى صغر حجمي مقارنة بها مما زادني شعورا بقلة ثقتي بنفسي. ربما إيان يحب رؤية شيء من التضاريس لهذا وقع في حب راما، وربما هذه المدعوة ميريديث تشبه صفاتي في كونها نحيلة وضئيلة الحجم لذا لا تستهويه أبدا.

جاءت راما لتنقذني من الغرق في مزيد من الأفكار السيئة، لكن لمفاجأتي فهي لم تحضر وحدها، بل جاءت برفقة صديقة من صديقات فراس، وجهت إليها نظرة متسائلة وفي ذات الوقت مهاجمة، فهذا وقتي الخاص معها قبل أن نبدأ المحاضرة الأولى والوحيدة التي تشاركنا جلستنا إن استيقظت مبكرة هي لورا.

ابتسمت في وجهي ابتسامة صفراء وأشارت نحو الفتاة قائلة: "هذه صديقتي جولي، لقد أصرت بشدة على مرافقتي للتعرف إليك لترى مخطوبة إيان"

هذه الفتاة جولي صاخبة أكثر مما يستطيع قلبي الصغير احتواءه، فهجمت نحوي دون مقدمات وانتشلت يدي المخبئة في جيب كنزتي ونظرت نحو الخاتم الماسي اللامع حيث لمحتُ آثار لمعانه في عينيها، وقالت بحماس: "يا لك من محظوظة! يااه ليت لإيان أخ كنت سأطلب منك أن تدبري لي موعدا معه! قولي لي يا حلوة كيف كانت؟"

كنت أنظر نحوها بعينين متسعتين من ذهولي بشدة حماسها، فحتى راما ولورا لم تتفاعلا هكذا مع الخاتم، ربما لأنهما تعرفان أن كل شيء زائف ولا معنى لارتدائي خاتما كهذا إن لم أحصل على حكاية منصفة لي. وجهت نظري نحو راما وأعدتُ سؤال الفتاة بحيرة لربما فسرت لي هي مقصدها: "كيف كانت؟!"

أجابت جولي على الفور: "القبلة الأولى التي تشاركتها معه!"

سرعان ما شعرت باحمرار في خدي، فسحبت يدي بسرعة وتحاشيت النظر حولي عقب جملتها التي خرجت منها بنبرة أعلى مما كان ينبغي، حتى راما أنبتها بصوت منخفض، فحاولت جولي كتم ضحكتها وهي تغطي فمها بيدها وتنظر نحو راما معتذرة.

حاولت جولي تغيير الموضوع فاقترحت على راما بقولها: "اصحبيها معنا في الرحلة نهاية الأسبوع"

أجابتها راما: "ربما لن آتي.... فوالدي لن يسمح لي بالخروج"

تجنبت راما ذكر الجزء المتعلق بعقابها وحرمانها من الخروج، لكن جولي أصرت كثيرا حتى تساءلت مقاطعة كلامهما عن طبيعة الرحلة التي تتحدثان عنها، فقالت جولي بمرح: "سنذهب إلى البحيرة ونقضي وقتا ممتعا هناك، نحن نذهب إليها بين الفترة والأخرى وارتأينا بما أن الأجواء ما زالت دافئة نهاية الأسبوع بأن نذهب إلى هناك قبل أن يفسد علينا البرد متعتنا، نخشى إن قمنا بتأجيل الرحلة أن تتغير الأحوال الجوية في الأسبوع القادم... ما رأيك يا مخطوبة إيان؟ أقنعي راما بالحضور وتعالي معها، ستحبين المكان هناك أنا أعدك بذلك"

ربما كان اقتراحها هذا جيدا. لربما إذا رافقتهم إلى البحيرة أن أغير مزاجي المعكر قليلا وأتخلص من التفكير بإيان لو لساعة على الأقل. نظرت نحو راما لأحاول إقناعها مبينة لها

أنني سأسعى جهدي لتوافق أمها موضحة لها بأن نتذرع برغبتي في شراء ملابس لي من أجل الزواج.

شعرت بعيني راما بأنها بدأت تلين، ومع ذلك لم تشأ أن أستخدم زواجي كذريعة لأمها لأنني سأضع نفسي في موضع أسئلة من قبلها، كيف حصل وخطبني، هل وقع في حبي؟ ألم يكن يريد ابنتها؟ هل تغيرت ميوله بسرعة؟

منذ تمت خطبتي لم أر والدة راما ولا أدري يقينا بما تعرفه عن طبيعة زواجي، راما في العادة لا تخفي شيئا عنها ليس لسبب إلا لكثرة حبها للكلام لكنني لا أعلم إن أخبرت أمها بشيء عن علاقتي بإيان.

راما

اقترب موعد محاضرة اللغة الإنجليزية، وفاجأتنا الدكتورة ماجدة بحضورها مبكرة إلى القاعة، بحثت بعينيها في أرجاء القاعة حتى وقع بصرها علي، ثم أشارت لي أن أقترب، ففعلت بعد تردد دام للحظة.

دخلت في صلب الموضوع بسرعة وهي تتساءل: "سمعت أن إيان قد ارتبط بفتاة ما من معارفك"

قالت وهي تتفحص يدي بحثا عن خاتم الخطوبة كأنها تحاول أن تؤكد لنفسها بأنني لست هي. ثم رفعت بصرها نحوي وهي تصطنع ابتسامة، وأضافت: "هل هذه الإشاعة صحيحة؟ وهل فعلا إيان وقع في حب فتاة بسيطة؟"

هيهات أن أعطيك اللذة في التحدث عن صديقتي العزيزة، فأجبتها باختصار: "نعم بالرغم من ثراءه فهو متواضع ويبحث عن البساطة"

استدرت من فوري لأعود إلى مقعدي متجاهلة رغبتها في طرح المزيد من الأسئلة لكنني توقفت فجأة وقد كتمت شهقة مرتعبة حينما لمحت طيف ذاك المجنون يلج إلى القاعة عيناه مثبتتان علي بتهديد صريح...........

كانت هذه أول لحظة أرى وليد فيها بعد زجه في السجن عقب محاولته إثارة شغب على متن قارب فراس ليلة احتفاله بشفاء ساقه.

الفصل السادس عشر

كان تجاهل نظرات وليد المشتعلة بالغيظ أمرا بالغا في الصعوبة؛ فعيناه لم تفارقاني طيلة المحاضرة، ومع كل ثانية تمر كنت أشعر بالاختناق أكثر. وما إن انتهت المحاضرة حتى قفزت فورا خلف الدكتورة لأخرج من القاعة قبل أن يحاصرني وليد بإزعاجه المعهود مضافا إليه جبل من السخط، عقب خروجه من السجن بسبب فراس.

استهجنت الدكتورة ماجدة تصرفي بالجري مسرعة خارج المكان حتى أنني كدت أدفعها لأمر من جانبها، أرادت أن تقول شيئا لكن هذا الحادث المرير الذي سببته ألجمها عن الكلام، فلم أسمع إلا سكون الأجواء وهي محملة بالجو غير المريح، فماذا تتوقعون حصل معي؟ حينما تعديت الدكتورة ركضا وإذ بي أصطدم بإيان وهو مقبل من بعيد وكان الاصطدام قويا مما جعلني أرتد فأقع أرضا وحتى هو شعرت بألمه حين اصطدم جبيني بصدره، فقد تردد إلى مسامعي تأوه خافت صدر منه.

جلست أدعك جبيني وأنا أحبس صرختي وألمي، ثم همّ نحوي بسرعة وساعدني على النهوض. كان هذا اللقاء هو أول لقاء لنا بعدما رفضت عرضه للزواج في المشفى، وحتى حينما أعلن عن خطبته لسيلينا لم يرمه القدر في دربي ولم ألمحهما معا كثنائي قط. مع العلم أنه مر على خطبتهما قرابة الأسبوع.

التقت نظراتنا فسارعت بإبعاد بصري عنه أولا، ثم تمتمت بخفوت عبارة تهنئة لخطبته، فهز رأسه دون أن يجيبني. اقتحمت الدكتورة ماجدة الحدث وسمحت لنفسها بالوقوف كحاجز بيني وبينه، ثم سألته بادئ ذي بدئ عن خطبته وطبيعة الفتاة التي خطبها واسمها وعمل والدها ومن أي عائلة تنحدر، فقال باختصار دون البوح بالكثير: "إنها طالبة في هذه الكلية، كنت أبحث عنها"

ثم نظر نحوي وأضاف: "ظننت أنك تعرفين مكانها يا راما فهلّا ساعدتني؟"
رفعت كتفيّ كناية عن جهلي وهممت بالرحيل بسرعة قبل أن تزداد الأجواء غرابة وخصوصا مع نظراته الخانقة نحوي، كأنه يوصل إلي رسالة فحواها يا ليتك كنت المقصودة لا هي. كم أنت مسكينة يا سيلينا وكم صعبت علي، لا يمكنني أن أزيد الأمر صعوبة عليها بوقوفي هنا مع إيان وتجاذب أطراف الحديث معه لذا كان من الأفضل للجميع لو اختفيت من أمامه فورا.
ركضت صوب السلالم واخترت التوجه نحو مختبر الحاسوب في المبنى للعمل على تقرير طلبته الدكتورة ماجدة للمحاضرة القادمة، لكنني فوجئت به يترك ماجدة مبتعدا عنها ليلحق بي.
قبل أن أنزل السلالم قررت مواجهته للمرة الأخيرة، فإذا تجاهلته وأبقيت الملف مفتوحا أمامه فلن يغلقه بنفسه وسنبقى في دوامتنا إلى الأبد. التفت نحوه وقابلته بنظرة تحمل مدلولات عدة ويبدو أن نظرتي قد سببت له ارتباكا لوهلة لأنه لم يجد طريقة ليفاتحني الحديث بشكل لائق، فقال بعد تردد مستغلا خلو المكان من أحد سوانا: "أنت بالتأكيد على علم بوضعي مع سيلينا، لا أظن أنها أخفت الموضوع عليك، زواجنا لن يدوم لكن ما بقي على حاله في قلبي إلى الآن هو مشاعري نحوك"
تنهدت ثم أجبته: "نعم أدرك كل شيء... لكن اسمع مني هذه المعلومة وتصرف بها كيفما تشاء، سيلينا مجنونة بك، بل هي تحتضر يوميا بسبب حبها لك"
مسح على فمه وفكه السفلي بكفه وتحاشى النظر نحوي من ارتباكه، أعرف أنه على علم بمشاعرها نحوه، لكن عليه أن يسمعها مرارا ليتوقف عن تعذيبها فأردفت هامسة:
"طلاقها هو كابوس تحياه منذ الآن، وسيلينا صديقة عمري لن أزيد همها وبؤسها بقبولي

بك أبدا، لن أكون تلك الغدارة التي تطعن في الصميم من جعلتها مستودعا لأسرارها وملاذا من همومها، أنا أحب سيلينا أكثر مما تظن أنت فلن أخونها"

وضع يديه في جيب بنطاله المكوي بعناية ووجه بصره نحو الأرض كأنه يدرس كلامي جيدا، ثم استغللت الفرصة لأضيف بقولي: "حماقة منك أن تسعى للانفصال، لماذا لا تحاول الاختلاط بها والتعرف عليها؟ ستحبها بالتأكيد فهي لطيفة وجميلة وذات مبسم يذيب القلوب. إذا عرفت من تكون سيلينا فمحال أن تستغني عنها"

رفع بصره في عيني صامتا، عيناه تحملان الكثير من الكلام، لكن لسانه أبى أن ينطق فقررت أن أبتعد الآن وقد وضعت النقاط على الحروف وأنهيت كل أمل كان يظن أنه يحياه، ثم استدرت لأنزل السلالم لكنني توقفت من فوري حينما لمحت سيلينا من أسفل السلالم تصعد نحو الأعلى، حينما رأتني توقفت فورا ثم هتفت: "بحثت عنك ولم أجدك، فقررت الصعود للبحث عنك مرة أخرى، ألن تخرجي معي لنتناول شيئا؟"

هممت بإجابتها لكن لون وجهها امتقع حينما لمحت إيان يقف خلفي، فشعرت أن العرق يتصبب من جبيني، ماذا لو دار في مخيلتها مشهد خاطئ؟ ثم حصل ما لم يكن في الحسبان، فقد تعداني إيان وهو يهبط السلالم نحوها مجيبا لها كلامها السابق لي: "كلا، أعتذر نيابة عنكما فلن تذهبي مع راما إلى أي مكان بل في الواقع عليك ترك الجامعة الآن ونسيان أمر محاضراتك الباقية لهذا اليوم لأنك سترافقينني في مشوار مهم، ودعي صديقتك وتعالي معي"

لم تتحرك سيلينا نهائيا بل تسمرت مكانها وهي تنظر إليه وقد وصل نهاية السلالم، فمد يده لها ثم قال ملحا: "هيا سنتأخر عن الموعد"

سألته بصوت مبحوح محرج عن طبيعة هذا الموعد لكنه لم يجبها بل أصر عليها أن ترافقه، فالتفتت نحوي ثم اعتذرت مني وقد لمحتُ طيف احمرار في وجنتيها، فأشرت إليها أن ترافقه ووعدتها بملاقاتها لاحقا.

سارت نحوه هبوطا وراعت تجاهل عرضه في إمساك يدها، وهو بدوره احترم قرارها فلم يضغط عليها، ثم سارا مبتعدين وراقبتهما من مكاني وأعين كل من في الطابق السفلي لم تفارقهما فضولا، ولا أدري إن تصرف بهذا التصرف ليبعد الشكوك عنه لكنه أحاط خصرها بذراعه ليتأبطها كثنائي حقيقي، وشعرت بها تجفل كأنه أخذها على حين غفلة، ومع ذلك فلم تتصرف سيلينا بأي تصرف يفضح تصنعهما وتماشت معه في تمثيليته.

جلست في المختبر أمام أحد الأجهزة لأبدأ العمل على التقرير ففاجأني وليد بلحاقه بي وجلوسه على الكرسي المجاور، كتمت صرختي والتفت حولي وأنا أسأله هامسة بنبرة مهددة: "ماذا تريد؟"

ابتسم نصف ابتسامة ولمحت مكرا في عينيه وهو يجيبني: "لن أسامح ذلك المدلل الذي يسعى لخطفك مني، أوَكنت تظنين أنني سأعتقك بحالك بعد المهزلة التي تسببت بها لي؟"

أجبته محتدة: "أنت أوقعت نفسك في المشاكل فلا تسقط غباء تصرفاتك على غيرك، أخرج من هنا واتركني بحالي قبل أن أستدعي لك قيّم المختبر"

أجاب بلهجة ساخرة: "لم أقترف ذنبا ولم أفعل شيئا خاطئا فأنا أعمل على التقرير الذي طلبته الدكتورة"

اشتعلت غيظا وهممت بالرحيل ثم شعرت بيد تمتد على كتفي لتربت عليها، فرفعت بصري للأعلى وإذ بي أصدم برؤية فراس ينظر نحو وليد مهددا. شعر الآخر بالارتباك وشعرت بأن شجاعته المتصنعة تبخرت فورا، فقد أسرع بالنهوض عن الكرسي ليخرج من

المكان لكن ليس قبل أن يرميني بنظرة مهددة ثم اختفى، جبان! لم أتوقع أن يخاف من فراس هكذا، الله أعلم بما فعله الأمن به وبأصدقائه ليتولد لديه خوف من فراس.
استوى فراس جالسا على الكرسي الذي جلس عليه وليد ثم قرب الكرسي مني جرا ليصبح بمحاذاتي فشعرت بالخجل على الفور. ابتسم في وجهي ابتسامته الساحرة التي تفقدني صوابي ثم قال: "ما كان هذا؟ هل يضايقك ذاك المخبول عادة؟ لا تكذبي علي وأجيبيني صراحة.. هل كنت أنت المقصودة من كلامه الغريب وتصرفاته الرعناء ذاك اليوم؟"
أخرجت نفسا لم أكن أدري أنني أحبسه طيلة الوقت ونظرت نحوه متوردة الخدين وأجبته: "هو مجرد أحمق كغيره.... أنا لا أعيره انتباها لكنه يظن أنه بملاحقته لي قد يتمكن من استمالتي.. أنا آسفة ... لم أشأ أن تكوّن في بالك صورة مغلوطة عني"
اتسعت ابتسامته وقال: "حاشاك، أنت فتاة رائعة... وبصراحة ... لا ألومه على اللهث خلفك فأنت بديعة الجمال، وفتاة ساحرة تصطاد القلوب بمهارة"
ثبتّ بصري عليه مصدومة بتعليقه، لست أدري إن كان يتكلم بشكل عفوي أو أن حديثه هذا مقصود، كان نفَسي يزداد ضيقا ودقات قلبي تتسارع بشكل مميت. دنا مني أكثر ومد ذراعه خلف الكرسي الذي أجلس عليه وصار وجهه بمحاذاة وجهي مما زاد من الحمم في قلبي اشتعالا، ثم تساءل وهو ينظر نحو الشاشة أمامي: "ماذا تفعلين على كل حال؟ هل لديك تقرير أو ما شابه؟ بإمكاني مساعدتك إن شئت"
ارتأيت أن أجيبه على عرضه بالإيجاب متجاهلة كلامه السابق حتى لا أحرج نفسي فقد لا يرمي من كلامه شيئا مقصودا لي، يجب أن أذكر نفسي دائما بأنه وصف علاقته بي بالصداقة، لو أراد شيئا أعمق لصرح بذلك أليس كذلك؟ أم يعقل أنه فعلا يريد تطورا جديدا ويمهد

لي رغبته ببعض التصرفات الملفتة أو الكلام المعسول؟ أو أنه هكذا بطبعه مع الفتيات بشكل عام، فمن مراقبتي له في هذه الفترة فقد أدركت أن علاقته برشا مميزة وليست مثل صداقته بجولي فالتناغم بينهما ولغة العيون التي يتخاطبان بها أوضح من سطوع الشمس، ما السر العجيب بينهما؟ هل هما متحابان؟ يا للهول مجرد التفكير بذلك يجلب غصة في حلقي يصعب علي ابتلاعها وربما أموت خنقا إن كانت مؤكدة. لذا علي أن أقنع نفسي بألا شيء بينهما. فلأتعايش مع هذه الحقيقة ولأقنع نفسي يقينا أنهما صديقان عزيزان وما يربطهما علاقة أقرب إلى الأخوة، نعم هما يحبان بعضهما كما الإخوة وهي أصلا مغرمة بشخص آخر، آممم لنقل مثلا أنها مغرمة بوائل. ممتاز سأقنع نفسي بهذه الفكرة وأبني عليها استنتاجاتي، عظيم يا لي من عبقرية......

"راما؟ أين غاب ذهنك مجددا؟"

أفقت من جديد من قوقعة أفكاري على صوت فراس فأدرت وجهي ناحيته بذهول بينما أحاول تذكر المكان الذي أجلس فيه برفقته، فالتقت أعيننا وبدأت عيناه رحلة استكشاف لدماغي من خلال عيني كأنه يستقرئ أفكاري. في هذه اللحظة سمعت صوتا ذكوريا من خلفي يتكلم: "لو سمحت يا آنسة لقد جلست على الجهاز فترة طويلة وانتهى وقتك منذ فترة"

لوهلة ظننته يخاطبني لكن صوت الفتاة الجالسة إلى جانبي من الطرف الآخر أيقظ إدراكي حين تسلل إلى مسامعي رجاؤها لقيم المختبر بأن يمنحها عشر دقائق أخرى، لكنه أجابها بنفاد صبر: "لو سمحت أنت تعرفين القواعد هنا، لا يسمح لك بالجلوس أكثر من ساعة إن كان المكان ممتلئا والآن هذا حق غيرك"

استدرت إلى الخلف فوجدت قيم المختبر واقفا مع إحدى الفتيات اللاتي بدا عليها نفاد الصبر ففهمت الأمر برمته، هذه الجالسة إلى جانبي انتهى وقتها وثمة فتاة أخرى تحتاج الجهاز لتعمل عليه، ألقيت نظرة متفحصة حولي فأدركت أن المكان امتلأ بالطلبة وحتى الجهاز الذي كان يجلس أمامه وليد قد تم احتجازه من قبل أحد الطلبة وقد دبر لنفسه كرسيا عوضا عن الذي يجلس عليه فراس.

كان فراس من ناحية أخرى يترقب نظراتي ويحاول فهم ما يدور في ذهني، وكالمعتاد من راما شعرت بالشفقة فورا على الفتاة الجالسة بجانبي وهي تتوسل الشاب لمنحها مزيدا من الوقت لتنهي تقريرا مهما جدا عليها تسليمه اليوم، فنهضت فجأة عن الكرسي وتدخلت في النقاش موجهة كلامي للفتاة الواقفة: "يمكنك استعمال جهازي "

قطب فراس جبينه تعجبا أما أنا فأردفت موجهة كلامي لقيم المختبر: "رجاء دعها تكمل عملها ولتأخذ الأخت جهازي فلا مانع لدي حقا"

نهض فراس متعجبا من تصرفي ليتبعني خارجا بينما أومئ برأسي لتلك الفتاة التي تعمل على تقريرها وهي تشكرني بحرارة.

حينما خرجنا أوقفني فراس بسرعة وتساءل قائلا: "ألست بحاجة إلى إعداد تقرير أنت أيضا؟ لا أفهم سبب تصرفك هذا"

أجبته بوجه متورد وأنا آمل أن يفهم تفكيري قائلة: "لدي وقت لتسليمه،أما تلك المسكينة فقد شعرت بأنها بحاجة إلى المساعدة... لم يقو قلبي على مشاهدتها وهي تطرد عن الجهاز ... لا بأس سأعمل على إنجاز تقريري لاحقا"

تسمرت نظرة ذهول على وجهه وهو يطالعني دون أن يرمش، يا إلهي هل يظن أنني فتاة حمقاء لا شخصية لها؟ لكن لا أستطيع ترك شخص احتاج مساعدة دون تقديم بادرة مني، ماذا أفعل هذه نقطة ضعفي.

تنهد بعمق ثم تعداني سيرا نحو السلالم ثم أدار رأسه ناحيتي وهتف لي قائلا: "ألن ترافقيني؟ أود أن آكل شيئا"

هكذا إذن لن يعلق على الموضوع، سارعت بالاستجابة له وسرت معه إلى جنب باتجاه المخرج. كان علي التنبؤ بخطوته التالية وهي الخروج مع أصدقائه جميعهم لتناول طعام الغداء، شعرت بأنني ضيف ثقيل وثمة حدس ينبؤني بأن رشا لا تستلطف تواجدي معهم، على عكس جولي فهي مرحة وأظهرت لي من البداية تقبلها لانضمامي إلى مجموعتهم.

أصر علي فراس أن يتكفل بدفع ثمن وجبتي مع محاولتي الشديدة للرفض وانتهى بي المطاف جالسة بإحراج بينه وبين جولي وأمامي وجبة من البرغر مضافا إليها البطاطا المقلية مع مشروب غازي.

بدأ الجميع بتناول الطعام وتبادل أطراف الحديث، وأثناء ذلك فاجأتنا لورا بانضمامها إلينا وقد استقرت جالسة على الطرف المقابل لنا بجانب رشا، بعدما أمرتها بلهجة صارمة بإفساح المجال لها لكي تجلس ثم نظرت في عيني وقالت بمكر: "ما دمت ترغبين بمرافقة مجموعتك الجديدة قررت الانضمام إليك فقلت لنفسي هيا يا لورا اجلسي مع أصدقاء راما حتى تبقي بقربها وتذكريها بأن لها صديقة من الزمن القديم"

احمر وجهي وأنا أطالعها مصدومة ثم أجبتها بأول فكرة خطرت لي: "ظننتك تريدين مجالسة سمير فلم أرغب في إزعاجك"

اتكأت جولي على الطاولة وسألت لورا بمبسم عريض: "كيف حال خطيبك؟ لما لا تتصلي به لينضم إلينا؟"

نظرات لورا كانت كافية لإيصال ردها، فعيناها كانتا تقولان صراحة في أحلامك يا سارقة الأزواج، هي مقتنعة تمام الاقتناع بأن جولي تحب سمير، وأنا أعرف أن نرجس قد زرعت فيها هذه الفكرة، أما أنا فبدا لي أن جولي فتاة تحب النظر إلى أي شاب وسيم، إن كان سمير أو غيره لا فرق لديها فهي تتغزل بأي شاب جذاب حتى وإن كان مرتبطا، لكن لا أظن أنها تحلم بالحصول على سمير أو غيره وانتشاله من رفيقته.

عرضت عليها رشا أن تشاركها وجبتها أو تكرمها بوجبة على حسابها فأجابتها وهي تلجمني بنظراتها: "شكرا لك، أنا لا أتناول الوجبات السريعة حفاظا على وزني"

أغضبني تعليقها المستفز، دعيني آكل ما أريد ماذا سينقص من عمرك؟! فأجابها فراس ساخرا: "إنهم يقدمون وجبات سلطات إن أردت تناول بعض الحشائش"

ضحكت جولي بصخب على استهزائه، وهنا بدأت حرب النظرات بين لورا وفراس.

فحاول قيس إنهاء الحرب وهو يسألها عن مشروع سمير للتخرج لكنه لم يستطع لفت انتباهها. وكجولة أخرى مضافة إلى الحرب الباردة بينهما مد فراس ذراعه من خلفي لتستقر على كتفي فجذبني إلى جسده أكثر.

ارتفعت حرارة جسدي وشعرت بعروقي تتقطع من غليان الدم فيها. رائحته العذبة استقرت في أنفي وأبت مغادرتي لتسكر إدراكي وأذوب في مملكة عشقي له، شعرت أن لورا من الجهة الأخرى يكاد ينفجر لها عرق لكنها تمالكت نفسها وقررت بنفسها إنهاء حربها حالما سمعت صوت سمير من خلفها يلقي التحية على المجموعة.

وقعت نظرات سمير علي فبانت دهشته واضحة، منذ قبولي لصداقة فراس لا أتذكر رؤية سمير لي برفقته، ويبدو أن لورا لم تقل له شيئا عن صداقتنا. انتقل في بصره نحو فراس متسائلا باستهجان، لكنه تجاهل نظرته أو أنه لم يفهم مدلولها، فطلب سمير أن يحدثه على انفراد.

شعرت بأن فراس متردد بقبول طلب سمير لكنه رضخ له في النهاية، فأخذت أراقبهما من بعيد وهما يتحدثان، ولم يبدو على سمير بأنه مرحب لفكرة صداقتنا، أو أن شيئا آخر يدور في خلدهما ولا علم لي به.

وقع بصري على رشا التي كانت تراقبني بصمت بينما أتفحص كل تفصيل في فراس فازداد خجلي، هل تعلم رشا بأنني أحب فراس ولهذا لا تستلطفني؟ تحاشيت النظر نحوها ونحو فراس مجددا لئلا يقبض علي أحد آخر بالجرم المشهود وأنا أملأ عيني به فيفتضح إحساسي تجاهه. لكن يبدو لي أن عماد أيضا لاحظ نظراتي فقد كان هو الآخر يراقبني بعينيه بنظرة غريبة غير مريحة.

عاد فراس برفقة سمير وجلس إلى جانبي مجددا أما سمير فاقترح على لورا مرافقته قبل موعد المحاضرة، فاستجابت له فورا وودعتني بعدما وعدتني بمحادثتي لاحقا.

عُرض علي مجددا موضوع الرحلة التي ستقام نهايةالأسبوع وأصرت علي جولي بالحضور وإحضار لورا وسيلينا معي، وعدتهم بأنني سأحاول مرافقتهم وأنا أحيك كذبة مقنعة لأمي لتسمح لي بالخروج رغما عن عقابي، بحجة أن تقوم سيلينا بشرح درس لي لم أتمكن من فهمه في المحاضرة.

سيلينا

ركبت مع إيان في سيارته الشخصية، كانت سيارة حديثة فضية اللون، مقاعدها المريحة مفروشة بالجلد النظيف ورائحة العطر تنتشر في أرجائها. لم تتركنا العيون الفضولية لآخر رمق ونحن نستقل السيارة، وحينما انطلقنا مبتعدين تنفست الصعداء أخيرا، هل يعقل أن أتصرف مثلهم لو عرفت بأمر خطبة إيان بفتاة ما؟ بعد التفكير في الأمر أدركت أنهم لا يلامون على شيء، فأنا لست الوحيدة المهووسة به.

حافظ إيان على الصمت منذ بداية الطريق، وددت لو يطلعني عما دار بينه وبين راما لكنني لم أجرؤ على سؤاله، وهو لم يبادر بذكر الأمر من جهته. دار في بالي الكثير من التساؤلات والسيناريوهات المحتملة لكنني آثرت عدم الغوص فيها لئلا تزيد من بؤسي.

أوقف السيارة في موقف خاص فألقيت نحوه نظرة متسائلة عن وجهتنا التي أظن أننا وصلنا إليها. التفت نحوي بمبسمه الدافئ ثم قال: "ستغدين عروسا في أقل من شهر لذا علينا تجهيز فستانك منذ الآن"

أهذا هو سبب اصطحابه لي؟ لم يخطر في بالي أبدا التفكير في احتمالية وجود حفل زفاف، ظننت أن هذا الزواج سيتم في المحكمة بشكل رسمي ثم أتجه من المحكمة إلى بيته لأقضي فترة مزيفة تحت سقف قصره الفاره لأطرد منه بعد شهرين أو أكثر أو ربما أقل حتى تكتمل الإجراءات القانونية وتستعيد عائلته الأملاك التي احتجزت لدى حكومة بلادهم.

التفكير في حصول حفل زفاف وأعين الجميع علي بين مزدرٍ ومتفحص زادني نفورا من القصة برمتها. سألته بصوت خافت: "ما الفائدة من كل هذا؟ نهاية هذا الزواج محتومة فلم التكبد بعناء تجهيز فستان وإقامة حفل؟ لا يبدو أي شيء من هذا منطقيا لي"

حك حاجبه بطرف إصبعه ثم أجاب: "حسنا.. الأمر أنني أردت ... إنني أود التعويض عنك بأي طريقة، من حقك أن تعيشي يوما كهذا لك، ولا أريد لأحد أن يسخر منك أو يتحدث عنك بالسوء إذا تزوجنا دون حفل"

عضضت على شفتي لأكبت قهري ثم أجبته متجنبة النظر إليه: "سيتكلمون في كل الأحوال وعندما ينتهي كل شيء سيشمت بي الجميع ويتحدث عني الكل بأرذل الكلام، كل هذا ليس إلا تأخيرا عن قذفي بألسنتهم"

فتح باب السيارة ليهم بالنزول وقال: "لا لن يحصل، سأحرص على ذلك، أعدك "

راقبته وهو يترجل خارجا من السيارة بينما أحاول فهم ما يدور في خلده، كيف سيخرجني من ورطة الطلاق بأخف الأضرار يا ترى؟ هل يعقل أن يلقي اللوم على نفسه؟ كيف سينقذني من القال والقيل؟

فتح باب السيارة لي وطلب مني الترجل، ثم أرشدني معه إلى واجهة زجاجية عملاقة لمخيطة كبيرة أيقنت أن روادها من أفراد الطبقة العليا.

دخلنا المكان فأدهشني بترتيبه ونظافته مقارنة بأماكن الخياطة التي نرتادها في أحيائنا الشعبية، وحتى أرضيته كانت لامعة لدرجة مكنتني من لمح طيف من خيالي عليها.

استقبلتنا على الفور امرأة بدت لي في العقد الرابع ترتدي تنورة طويلة تفصل جمال قوامها يعلوها قميص أبيض ناصع ذو ياقة مزركشة وقد سرحت شعرها الطويل بتسريحة مموجة.

وجهت نظرها نحو إيان وهي تمد لها يده لتصافحه بابتسامة عريضة وترحيب حار، قابل تحيتها بتهذيب ثم نظرت نحوي مبتسمة وقالت: "إذن أنت العروس المنتظرة، سأسعد بخياطة ثوب زفاف لك"

ثم وجهت نظرها نحو إيان وهي تصافح يدي وقالت: "إنها أجمل مما تخيلت"

أحرجتني بتعليقها لي، ثم قادتني نحو غرفة في الداخل وبقي إيان جالسا في الغرفة الكبيرة في الخارج، كنت أشعر بتوتر فظيع ولم أدر ما علي فعله. طلبت مني التخفيف من ملابسي لتستطيع الحصول على مقاساتي، فترددت كثيرا بذلك، فأنا لست معتادة على أن يلمسني أحد أو أخلع ملابسي في مكان عام.

شعرت هي بتوتري وحاولت حثي من جديد وهي تعدني بأن الأمور ستغدو على ما يرام وأنها ستصنع لي أجمل فستان قد ترتديه عروس يوما. في النهاية لم أجد بدا من الانصياع لها. وأثناء أخذها مقاساتي كانت تتساءل عن طريقة التقائي بإيان وكيف انتهى به المطاف ليتقدم لطلب يدي، فأجبتها باختصار بدخوله بيتنا في عرض زواج تقليدي عن طريق صديقة لي. حينما شارفت على الانتهاء رفعت بصرها نحوي وهي منحنية للأسفل لتأخذ مقاسات قدمي لتوصي لي بزوج من الأحذية لتناسب فستاني ثم قالت: "كنت سأقول أنك محظوظة بإيان زوجا لك فهو شاب رائع لكن يبدو أنه هو أيضا محظوظ بك فأنت جميلة وتتمتعين بجسد جميل"

لم أكد أصدق أذني بوصفها لي بامتلاكي لجسد جميل، فطالما كنت أظن أن صغر حجمي ونحافتي شيء سلبي بي فعلقت بخفوت: "لكنني نحيلة جدا"

أجابتني وهي ترفع حاجبيها اعتراضا على تعليقي: "كلا أنت جميلة كثيرا، وتتمتعين بجسد أنثوي خال من العيوب، كل شيء فيك مثالي"

تمكنت هذه المرأة من زرع ابتسامة على شفتي رغما عني، ولأول مرة منذ إعلان خطبتي أبتسم فعلا من قلبي، وصفها لي بأنني مثالية قد حسن من نظرتي قليلا تجاه نفسي.

حينما عدت إلى إيان بعد ارتداء ملابسي شعرت أنه لاحظ تغير مزاجي فلم يبعد عينيه عني، أرادت المرأة استضافتنا على فنجان قهوة لكنه رفض. ثم أخذ يتفق معها على الموعد

النهائي لتجهيز الفستان وبعض الأمور التي تخصه حتى وجدت طريقي معه خارجا نحو السيارة من جديد.

بقي الفضول يعتريه ليفهم سبب تغير مزاجي، رفضت إطلاعه في البداية على الأمر لشعوري بالحرج منه، ثم استسلمت له بعد إلحاحه الطويل وتهديده بعدم تشغيل السيارة، فأجبته بإحراج: "لقد أعجبت بي صاحبة المخيطة ووصفتني بالجميلة"

رفع حاجبا باستغراب ثم علق قائلا: "ومنذ متى كنت قبيحة؟"

ازداد احمرار وجهي من تصريحه المفاجئ، يعني هو يراني جميلة؟ ظننته يميل إلى الشقراوات ذوات الصدر الممتلئ والقوام الممشوق كراما، لذا قلت له باختصار عله يفهم مقصدي: "لكنني لا أمتلك مقومات راما"

أرجع ظهره على الكرسي وبدأ بتشغيل السيارة ثم خرج من الموقف وهو صامت، في النهاية قرر أن يفصح عما يدور في خلده فقال: "راما جميلة ولا يختلف اثنان في ذلك، لكن سبب افتناني بها ليس مظهرها، وإنما أحببت شخصيتها، لست أهتم للشكل كثيرا ولا ألقي له بالا، نعم أحب الأناقة والفتاة التي تعتني بنظافتها لكنني أهتم بالجوهر، لو كنت أبحث عن الجمال لما رفضت ميريديث فهي أكثر جمالا من راما، لكن عقلها بحجم النملة وشخصيتها منفرة..."

ما أعرفه عنه أنه إنسان ذو مبادئ ولا يجري خلف إغراءات النساء، لديه اهتمامات من نوع آخر. لكن فيما يتعلق بالنساء فإنه يحب البنت العفوية المرحة ذات الشخصية القوية وبذات الوقت متواضعة ويحب امتلاكها شيئا من الشراسة المخفية، وهذه المقومات موجودة كلها في راما ولأنها جميلة زاد ذلك من تعلقه بها، وهل ألومه؟ إنها فتاة تستحق المحبة لأنها جميلة من الداخل والخارج، وكلما تعامل معها الشخص المقابل ازداد محبة لها.

التفت نحوي ثم أضاف: "أنت أيضا جميلة يا سيلينا، لك وجه ملائكي وجسد أنثوي جميل وإن كنت ترين العكس، ولكي أكون أكثر وضوحا معك فأنا لا أميل إلى ذوات الشعر الأشقر، بل أهوى السمراوات ذوات الشعر الطويل "

لحظة لحظة هل يمتلك أحد جهاز تحكم لأعيد سماع كلامه؟ إذن أنا أقرب إلى ذوقه من راما؟ يعني لو أراد الوقوع في الحب بناء على الشكل لاختارني أنا؟

حاولت جاهدة العمل على إخفاء سعادتي من كلماته لي، هو يراني جميلة لقد تغزل بي للتو. أو... ربما فقط يجاملني حتى يجعلني أشعر بشعور أفضل تجاه نفسي.. أو لأنه يشعر بالذنب تجاهي. تلقائيا اختفت ابتسامتي وعاد إلي وجهي الممتعض.

هتف لي لأتنبه إليه فقال: "في المقعد الخلفي جهزت لك لباسا من أجل الليلة"

نظرت إلى الخلف فوجدت كيس هدايا كبير، كيف لم ألمحه سابقا؟ ثم وجهت إليه سؤالي بحيرة واضحة: "وماذا يوجد الليلة؟"

رفع حاجبيه متعجبا وهو ينظر أمامه ثم قال متسائلا: "ألم تقل لك لورا؟ نحن مدعوان على العشاء عندهم الليلة فوالدها يرغب بالتعرف إليك أكثر"

هل هذه مزحة من نوع ما؟ ليس كأن والد لورا لا يعرفني لكنه لم يكن مهتما يوما بالتعرف إلي وإلى راما جيدا لعدم انحدارنا من عائلة مرموقة، أما الآن وسأغدو زوجة على ورق لمليونير مثل إيان أصبح لديه الفضول ليتعرف إلي! غريب أن لورا لم تأت على ذكر هذا الأمر! لحظة.... أنا لم أجلس مع لورا اليوم فهي تأخرت في النوم صباحا ولم تشاركنا جلستنا المزعجة مع جولي.

أصررت على إيان أن يعيدني إلى البيت وذلك بعد رفضي مرافقته لتناول طعام الغداء، لأجهز نفسي من أجل العشاء ولكي أتفقد حاجيات أخي من طعام وغسيل قبل أن أتركه مجددا وحده مساء.

تفاجأت بالفستان الذي أحضره لي إيان، كان بلون بيجي وله ياقة مدورة مزركشة وأكمام طويلة ينتهي بمعاصم مزركشة، وكانت خامته من الدانتيل لقد كان جميلا ويفوق الوصف لكن ما أزعجني أن الفستان قصير والجو بارد قليلا فهل سأحتمل البرد فيه؟ لست مثل راما أو لورا تحتملان البرد مع اللباس القصير، فالبرد برد بالنسبة لي، كباقي البشر أرتدي ملابس دافئة تقي عظامي من الزمهرير.

كان قد جهز لي كل ما يتعلق بهذه الليلة فهو لم يكتف بالفستان بل جهز معه الحذاء حتى أنه وضع لي حقيبة أيضا تتناسب مع الفستان، ووجدت علبة صغيرة تحتوي قرطين مدورين كاللؤلؤ.

ارتديت ملابسي وأنهيت تجهيز نفسي ووقفت أمام المرآة لأتأمل مظهري، قررت أن أسرح شعري بطريقة مموجة وأضع كمية قليلة من مساحيق التجميل حتى لا أفسد إطلالة الفستان. حينما تأملت انعكاسي في المرآة شعرت بشعور غريب.... أنا مخطوبة إيان... الشاب الذي أحبه... الشاب الثري الذي استطاع قلب كيان العازبات ليصبن بالهوس به قد تقدم لخطبتي أنا.... لو لم تكن راما في حياته ولو لم يخدع جدي عائلته لكان فعلا تقدم إلي عن طريق تمارة كفتاة لا يعرفها وربما ..... ربما وقتها تم النصيب.

كنت لأغدو زوجته بحق لولا الحقيقة التي أحياها الآن. وضعت يدي على المرآة لألامس انعكاس صورتي ثم همست لها: "ستكونين بخير حتى عندما يطلقك إيان ستكونين

بخير... انظري إلى الجزء المملوء من الكأس، لديك أصدقاء مخلصون.. لديك أخ يتمناه الكل... أنت بخير"

انتهيت من قول عبارتي هذه وقد غسلت الدموع وجهي، فأسرعت بمسحها قبل أن تفسد لي مكياجي وعند هذه اللحظة رن هاتفي بمكالمة من إيان.

أسرعت بالاستجابة له وسمعت صوته الدافئ يعلمني بوصوله وانتظاري في السيارة على باب العمارة. أنهيت المكالمة معه وأكدت على أخي بالتزام البيت ودراسة اختباره جيدا فهز رأسه بضجر.

أخي لا يعلم شيئا عن عقد التجارة بيني وبين إيان وكان أشد الناس حماسة لخطبتي من شاب مثله، أكره أن أراه مكسور القلب حينما أعود إليهم بعد الطلاق.

حينما نزلت وجدت سيارة فارهة أخرى غير الفضية وليست الليموزين أيضا، كم سيارة يمتلك هذا الشاب؟ كان أمام الباب سائق ينتظرني، عندما لمحني سارع بفتح الباب لي فشعرت بالإحراج على الفور، ثم أسرعت لركوب السيارة حتى أهرب من البرد الذي شعرت به ينخر عظامي.

استقررت جالسة والتفتّ نحو إيان حينما حيّاني بتحية المساء، ابتسم في وجهي ثم قال:

"تبدين جميلة جدا، كما توقعت ... الفستان يناسب مقاسك تماما، ولونه مناسب لبشرتك"

شكرته بصوت منخفض وأنا لا أستطيع إخفاء إحراجي، ثم اقترب برأسه صوبي أكثر فأجفلني وأبعدت رأسي تلقائيا، كان يدقق النظر في عيني بشكل جدي ثم قال: "هل كنت تبكين؟"

كذبت بسرعة: "لا.... دخل شيء في عيني ... فدمعت"

حدق بي مطولا كأنه لا يصدقني ثم اعتدل جالسا بظهر مستقيم وأعاد نظره نحوي، مدّ يده إلي وفاجأني بلمسه لطرف أذني فاحمر وجهي على الفور، ابتسم ابتسامة رضا ثم قال: "خشيت أن ترفضي ارتداء القرط... جيد أنك زينت به أذنك"

سألته بجهل: "ولِمَ سأرفض ارتداء القرط؟"

هز كتفيه وقال: "لا أدري ظننتك مثل راما، فهي لم ترتح لدى ارتدائها لمجوهرات أصلية"

ابتلعت ريقي وسألته: "ماذا تعني؟"

نظر نحوي مجددا وقال: "أقصد أن القرط من اللؤلؤ "

هذا لؤلؤ حقيقي؟! لماذا ظننته مجوهرات مقلدة؟ لم يخطر في بالي أنه فعلا أحضر لي لؤلؤا حقيقيا! بدا عليه أنه أدرك أنني عرفت للتو أنني أرتدي مجوهرات حقيقية فقال: "لست من العامة من الناس حتى ألبس مخطوبتي مجوهرات مقلدة... عيب في حقي"

تركني بفمي المفتوح المعلق للأسفل وأخذ يتفقد هاتفه حيث وصلته عدة رسائل تتعلق بالعمل.

نظرت إليه ونظرت إلى انعكاس صورتي على الزجاج بجانبه فأدركت أن هذا الشاب بعيد المنال عني، أنا لست أهلا له...

الفصل السابع عشر

وقفت أمام باب منزل لورا كأنني سأخطو بيتها لأول مرة في حياتي، كان التوتر قد وصل مبتغاه معي، أنا معتادة على زيارة لورا فلماذا أشعر باضطراب فظيع هكذا؟ ألأن سبب العشاء... أنا؟ بالتأكيد سيودّ والد لورا التعرف إلي أكثر ليفهم سبب ارتباط إيان بي، فلا أظن أنه يراني أرقى لمستواه.

أدخلتنا مدبرة المنزل نحو الصالة الكبيرة التي تستقبل فيها عائلة السيد حيدر ضيوفا مهمين حسبما علمنا من لورا منذ زمن، لكنني لم أدخل هذه الصالة يوما، فنحن كنا نجلس في غرفتها أو في الحديقة أو المضافة الأخرى التي تستقبل فيها لورا خطيبها حينما يأتي لزيارتها.

استقبلتنا العائلة استقبالا حارا واحتضنتني لورا بقوة وهي تهمس في أذني مقدار جمالي وروعتي في هذا الفستان مشيرة إلى ذوقي الرفيع في اختياره، هل كانت تظن أنني خرجت مع إيان لشرائه؟إذن هي لم تستوعب بعد طبيعة علاقتي بإيان، هو يملي علي ما ألبس ويحضر كل شيء دون مشورتي مثل خاتمي الذي أرتديه أو طقم المجوهرات الذي سلب قلب أمي وأخي حينما فاجأنا بإرساله مع حارسه قبل يومين. هو يعتبرني دمية يسيّرني حسب أهوائه، ويلبسني ما يراه مناسبا حتى أنه اصطحبني لأخذ مقاساتي لفستان لا علم لي كيف تصميمه، كل شيء على ذوقه وهواه. لا اعتراض لي على ذوقه فهو يتمتع بذوق رفيع لكن لي أنا أيضا رغباتي وأهوائي.

جلسنا على الأرائك البيضاء النظيفة وحرص إيان على الجلوس بجواري كأنه يقوم بإخفائي عن عيون السيد حيدر، تساءلت والدة لورا عن شقيقته لما لم يقم بإحضارها، فقال: "لديها موعد عشاء مع جدتي لذا اعتذرت عن مرافقتنا "

سأله والد لورا عن جدته وأمورها في العمل فدخلا في الحديث عن الأعمال والصفقات وأشياء لا علاقة لي بها، وليست ضمن نطاق فهمي. كانت والدة لورا تنظر إلي بين الفينة والأخرى تتفحصني وكأنها تراني لأول مرة في حياتها مما خلق في داخلي شعورا بالارتباك.

قادنا والد لورا إلى غرفة المائدة لنباشر تناول طعام العشاء، وحتى هذه اللحظة لم يفتح أحد موضوع خطبتنا أو أي شيء يخصني.

أزاح إيان الكرسي لي لأجلس عليه كما فعل والد لورا لأمها، واو كيف يتعامل الأثرياء! لا أظن والد راما يفعل ذلك، هذا أصلا إن تمكنت زوجته من التحدث معه، فهو دائما يطبع وجها صارما على محياه، عكس ابنته تماما.

استراح إيان إلى جانبي تقابله لورا ومقابلي كانت تجلس والدتها، أما والدها فجلس على مقدمة الطاولة. باشرنا جميعا بالأكل بعد شكرهم على ما تكبدوه من أجلنا وعادوا للتحدث في مواضيع عشوائية حتى طرح والد لورا سؤاله في شيء يخصنا فاسترعى انتباهي حين قال : "لماذا لا تقيم حفل زفافك في فندق اللؤلؤة؟ فحسب علمي علاقتك وثيقة بمالكه"

ابتسم إيان وأجابه: "وهذا ما نويت فعله بالضبط، اتفقت معه وكل شيء سيكون جاهزا حسب الأصول وفي الميعاد"

شهقت لورا من حماستها فنهرتها أمها بخفوت لتذكرها بآداب الطعام، لكنها تجاهلتها ونهرتني بصوت منخفض بقولها: "لماذا لم تقولي لي أنكما حجزتما حفل الزفاف في ذاك الفندق؟ إنه فندق اللؤلؤة من أفخم الفنادق على الإطلاق!"

زممت شفتي وأنا أنظر إليها نظرة تحمل الكثير من معاني الضياع، لم أسمع بهذا الفندق من قبل، كما أن إيان يتصرف من تلقاء نفسه وليس لي يد في قراراته. وجه إيان ردا لعتابها بقوله: "هي لا تعلم، أحببت أن أفاجئها بالأمر"

لانت نظرات لورا وهي تنظر نحو إيان بإعجاب بائن، حقا يا لورا؟ لو كنت مكاني أيتها المسيطرة لشعرت بالسخط على سمير إن قرر شيئا لمستقبلكما دون الأخذ بمشورتك.

والآن حانت اللحظة التي كنت أخشاها حينما حركت والدة لورا شفتيها لتريح فضولها تجاه هذا التساؤل الذي كاد يخنقها إن لم تطرحه فقالت: "عفوا... لا أقصد التدخل في شؤونكما لكن... ألم تكن ترغب في الزواج من راما؟ صديقة لورا الأخرى؟ كيف.... كيف حصل وارتبطت بالصديقة الثانية؟"

كنت أعلم أن لورا ذات الفم الكبير قد حدثت أمها عن رغبة إيان بالارتباط من راما سابقا، فما كان منها إلا أنها أسرعت بتولي الإجابة لتصحيح الموقف: "راما كانت غلطة... هو أدرك ذلك متأخرا"

وضع إيان الشوكة في طبقه ورفع مرفقه على الطاولة وعلق معترضا: "لا يمكنني أن أصف راما بالغلطة أبدا، لكن يمكننا القول أننا تقابلنا في ظروف خاطئة"

لم أعرف كيف أتصرف مع تصريحه، سكت كل من والد لورا وأمها وهما يتفحصان وجه إيان الهادئ تارة ووجهي المحتقن من محاولتي كبت دمعي تارة أخرى، حاولت التصرف بشكل طبيعي كأنه لم يقل شيئا جارحا لي لكنني لم أستطع فوضعت الشوكة من يدي شاكرة

لهم على الطعام وحرصت على توجيه بصري إلى الأسفل نحو حجري حتى لا أقابل نظرة أي منهم نحوي.

أسرعت بالتوجه إلى المغسلة بعد العشاء في حمام الضيوف وأوصدت الباب خلفي لأفك حصار دموعي التي كادت تقتلني خنقا، بكيت بشدة مراعية كتم صوتي، فعضضت على شفتي وكممت فمي بيدي بينما أبكي بحرقة، أعلم أنه يحبها لكن هل سيضره لو أبقى ذلك في قلبه بدل تذكيري بكرهه الارتباط بي؟ هل قصدني بالظروف الخاطئة التي منعت ارتباطه براما؟ أخذت أضرب على صدري بكفي الآخر لأحاول التوقف عن البكاء، حينها سمعت صوت لورا من خلف الباب تخاطبني بنبرة قلقة لتطمئن على حالي، فأجبتها بصوت مختنق: "أنا بخير أمهليني ثانيتين وأنضم إليكم"

عدت للجلوس معهم في الصالة الكبيرة حيث كانت إحدى الخادمات تكرم المتواجدين بتقديمها للعصير. جلست بجانب إيان حتى لا أثير جوا مشحونا ويشك والداها بخطب بي إن قررت خلق فجوة بيني وبينه. لاحظت أن إيان ولورا ينظران نحوي لكنني اخترت تجاهلهما وعدم مبادلتهما النظرة، وتظاهرت بمراقبة الأسماك الملونة في حوض الأسماك العملاق الذي كان يزين ركنا في الصالة. ثم استشعرت حركة رأسه وهو يديره للجهة الأخرى لمواصلة حديثه مع والد لورا ، وقبل أن أتمكن من إخراج ذاك النفس المضطرب من داخلي وإذ بي أشعر بلمسة يده وهي تتسلل لتمسح بحنو على ظهري، ففتحت عيني مصدومة وخرج نفسي متقطعا.

استرقت نظرة نحوه فلم ينظر إلي بل بدا لي أنه منشغل مع والد لورا، مع أن مسحة يده تكلمني بأن باله منشغل معي.

شربنا القهوة وأكرمنا والد لورا بالحلويات الشامية باهظة الثمن، وانتهت سهرتنا ولله الحمد وخرجنا من بيتهم بعد وداع طويل أوشكت معه على التجمد من شدة البرد بسبب وقوفي على الباب بفستاني القصير هذا. وربما فطن إيان لشعوري بالبرد فقد خلع سترته وآواني داخلها لعلها تقي شيئا من البرد عن جسدي المرتجف.

تسللت رائحة إيان لتستحوذ على إحساسي وتسلب قلبي من جديد، وشعرت بأنني فقدت القدرة على التواصل مع العالم الحقيقي بينما أسمح لسترته باحتضاني ومؤانسة قلبي المنكسر.

ركبنا السيارة من جديد للتوجه نحو البيت، كنت صامتة وراعيت عدم التحدث إليه، حتى بادر هو بنكش الموضوع فسألني بصوته الهادئ: "هل دخل شيء آخر في عينك الليلة؟ أم أنك ترغبين في الفضفضة عما يعتري صدرك؟"

أجبته بهدوء مصطنع: "أنا بخير ... لا أشكو من شيء"

تجاهل إجابتي وقال: "هل الأمر يتعلق براما؟"

نظرت إلى انعكاس صورته في الزجاج بجانبي فلمحته ينظر نحو انعكاسي، سألته وقد تمكن من ضرب وتر حساس لدي: "هل ما زلت تحبها؟ هل أنا مجرد عثرة في طريقك إليها؟"

أطال تحديقه بانعكاسي لكنني تجرأت وأبقيت بصري عليه بدوري بتحدٍّ، ثم أجاب محافظا على ثبات نبرته: "المشاعر هي الشيء الوحيد الذي لا يتمكن الشخص من تخطيه بسهولة... لن أكذب عليك وأقول أنني أخرجتها من قلبي..."

قلت: "واضح أنك تكره فكرة الارتباط بي وتراني أكبر حاجز بينك وبين راما، ربما كنت تتمنى لو تتخلص من وجودي بطريقة ما، أو لو أنني لم أكن يوما صديقة لراما.. أو.."

قال مقاطعا: "سيلينا.. اهدئي..لا تقولي شيئا ربما تندمين عليه إنني أحاول قدر الإمكان مراعاة مشاعرك"

لكنني تابعت: "لو كنت فعلا تهتم لمشاعري لأخذت مشورتي قبل أن تقرر من نفسك كل شيء... حفل الزفاف... فستان الزفاف! مكان إقامة الحفل! والمجوهرات التي أهدتنيها وهذا الخاتم و حتى فستاني هذا! لا شيء تم حسب إرادتي... لا شيء على الإطلاق! أنت تقوم بتزيين بضاعتك فقط وتجميلها لتقايضها بثمن ..... لو كانت راما... لكنت.. أكثر شفافية في التعامل معها"

صمتنا لوهلة وكان الصمت ثقيلا بطريقة غير مريحة، ثم قرر كسر الصمت بنفسه فقال:

"نهاية الأسبوع... سآخذك كي...."

قاطعته على الفور: "لدي موعد نهاية الأسبوع"

تساءل بإحراج: "حقا؟ مع من؟"

رددت بتهكم: "وهل يهمك؟"

ولم أزد وقررت إنهاء التواصل البصري بيننا فأخذت أقلب في شاشة هاتفي المحمول لتفقد رسائلي ومواعيد تسليم واجباتي، أما إيان فلم ينبس بعدها ببنت شفة، ربما شعر بالضيق مني لمقاطعته ومعاملته ببرود هكذا، لن أهتم ولن أجعل ذلك يؤثر بي، علي أن أتذكر أن علاقتنا كلها متصنعة ولا شيء منها حقيقي أبدا، كل ما يحاول إبرازه هو مظاهر مدهنة بظاهرها وخداعة في باطنها لإخفاء الحقيقة المرة، زواج مصالح على ورق.

راما

حانت نهاية الأسبوع وجاء اليوم المنتظر للنزهة التي اتفق الجميع عليها وتمكنت من خداع أمي مرة أخرى لتظن أنني أدرس مع سيلينا، أظن أن أمي لا تتمتع بفراسة كافية لتدرك أن

عليها ألا تثق بطلباتي مجددا، لكن ربما أرادت هي أن أنفس عن نفسي من سجن أبي لي، فما إن أصل البيت بعد الجامعة حتى يتم مصادرة هاتفي حتى صباح اليوم التالي ثم أبقى حبيسة المنزل، ولا يسمح لي حتى بالخروج إلى بيت الجيران.

اتفقت معنا جولي على ملاقاتها بعد محاضرتي الثانية وتجاهل ما تبقى لنا من يوم جامعي، لأكون صريحة لست من النوع الذي يتسيب عن حضور محاضرات مهمة، لكنني قد أفعل أي شيء من أجل قضاء الوقت مع فراس.

تقابلنا خارج حرم الكلية وبادرت بمهاتفة سيلينا ولورا لأعلمهما بانتظاري لهما أمام الباب الأمامي. لقد وافقت لورا على مرافقتي في الرحلة لتحرسني من مشاعري الساذجة نحو فراس بحسب كلامها حرفيا، أما سيلينا فقالت أنها ترغب في الابتعاد عن فوضى حياتها ولو لفترة محدودة، فهمت من حديثها أنها تحاول الهروب من رؤية إيان وربما هو لا يدري شيئا عن رحلتها.

بعد دقائق معدودة كانت كلتاهما واقفتين إلى جواري، سيلينا بمبسمها اللطيف ولورا بنظرتها المتحدية لجولي، فشعرت بالأسف تجاه الأخيرة لما لمحت من اضطراب في وجهها كأن لورا نجحت في إخافتها.

ركبنا جميعا في سيارة لورا لتوصلنا إلى الباب الجنوبي من خلف الجامعة حيث ينتظرنا الجميع، وأعني بهم فراس ورشا وعماد وقيس ووائل. اقترح فراس سابقا على سمير وأوس بمرافقتنا، لكن سمير اعتذر منه بحجة عمله على مشروع التخرج، أما أوس فرفض الانضمام لعدم شعوره بالراحة لمرافقته مجموعة مختلطة مما أثار استهزاء أصدقاء فراس به.

ترجلت جولي من سيارة لورا لتصعد في سيارة رشا، أما فراس فناداني لكي أترجل بدوري وأشاركه الركوب على دراجته النارية مما أعاد إحياء ذاكرتي لتجربتي السابقة معه في ركوبها

وقربي الشديد منه وإحساسي بمتانة جسده، مما جعل الدماء تتدفق بقوة إلى وجنتي فتحاشيت الرد، وبما أن لورا أوكلت نفسها بمهمة المتحدث الرسمي عني والمتخذ لقراراتي كالمعتاد تدخلت في حديثه لتجيبه بالرفض، بالتالي أثارت استياءه فدخلا في نقاش عقيم، وكانت وجهة نظر لورا أن سيارتها تحتوي متسعا فما حاجتي إلى ركوب دراجته التي تعتبر مركبة لشخص واحد؟ بينما هو لم تكن له حجة غير رغبته في قضاء الوقت برفقتي. أذاب حصون قلبي بكلامه المعسول هذا!

دام الجدال بينهما برهة من الزمن وحاولت رشا التدخل لإقناع فراس بالانسحاب من الحرب الباردة والتسليم بالقرار الأصوب، وهو قرار لورا في ركوبي معها في سيارتها؛ لأن ذلك بدا أكثر منطقية. حتى اقترحت عليه أخيرا أن يشاركنا الركوب في السيارة،

فتصاعدت الدماء جريا نحو وجنتيه وصرخ برشا قائلا: "لن أركب بجانب مخطوبة صديقي المقرب هل فقدت عقلك؟"

حاولت رشا المحافظة على ما تبقى من هدوئها وهي تجيبه: "لم أطلب منك خيانة صاحبك! أردت فقط أن أجد حلا يرضي جميع الأطراف... أتعرف انس الموضوع أتعبتماني بشجاركما المتواصل، لا تفسدا جو الحماسة على الجميع بعنادكما المستمر"

ترجلت من سيارة لورا فشهقت وقبل أن أعطيها مجالا لمجادلتي قلت: "كل هذه المشكلة بسببي، إذن فلنختصر الأمر وسأركب مع فراس وإلى هنا انتهى النقاش"

نظر فراس نحوي مبتسما بانتصار ولم يغب عنه توجيه نظرة كيد إلى لورا التي احتبس الدم في وجنتيها غيظا، سكتت وقتها لكنني أعلم أنها لن تمررها لي هكذا وستعاتبني لاحقا على تصرفي المشين في حقها.

انطلق الجميع بدءا بسيارة رشا وانتهاء بدراجة فراس حيث أجلس خلفه كالمرة السابقة، لكن بزيادة خوذة أخرى، تمسكت بخصره جيدا لئلا أقع، وأكاد أشعر بقلبي يثب من حلقي ليس خوفا من ركوب الدراجة بل لحماستي من قربي الشديد من فراس مجددا، لا أظن أنني سأعتاد يوما على ملامسته، فكلما لمسته شعرت باضطراب ويسيطر التوتر علي حتى أكاد أنسى كل ما يحيط بي.

في أثناء قيادته انعطف فراس مبتعدا عن الطريق التي تسير فيها السيارتان، ليتجه نحو طريق فرعي، في البداية شعرت بالذعر من تصرفه الغريب وتراءى إلى ذهني تنبيهات لورا المكررة من تلاعب فراس بي وخوفها من إيذائه لي يوما. أعلم أنني أحبه فوق كل تصور لكن لا يمكنني أن أعيش مع فكرة إيذائه لي، فصرخت بصوت مرتفع ليتمكن من سماعي: "إلى أين تذهب؟ أليس من المفترض أن تسلك الطريق ذاته خلف رشا؟"

هتف لي بدوره بنبرة مرتفعة لأسمعه: "سنلحق بهم بعد قليل"

نظرت إلى الطريق من حولي فبدت لي مألوفة نوعا ما، حتى أدركت وجهته أخيرا حينما توضحت لي معالم الحي الذي تقطن فيه لورا، تساءلت مع نفسي لوهلة عن سبب قدومه هنا حتى فطنت متأخرة إلى وجهته نحو بيته وقد نسيت تماما أنه جارها في تلك اللحظة.

أوقف الدراجة بمحاذاة البوابة الخارجية العملاقة للقصر ثم قام بالضغط على زر لجهاز على السور الخارجي، تلاها صوت مرتفع صدر من البوابة، ففهمت أنهم يقومون بفتحها وكان ظني في مكانه الصحيح لأنها فتحت بشكل آلي.

تابع فراس دخوله إلى حديقة الفيلا متجاهلا سؤالي عن سبب مجيئه إلى هنا حتى توقف بعد برهة أمام مبنى الفيلا العملاق، ترجل عن الدراجة قبلي وقال موضحا: "لم أشأ الخروج في

النزهة بمظهري هذا، فقد سكبت رشا القهوة على بنطالي صباحا ولم أجد الوقت لمغادرة الجامعة لتغييره"

لم أتنبه سابقا إلى تلطخ بنطاله بالقهوة، ربما لأنني لم أره اليوم إلا لحظة انطلاقنا وقت شجاره مع لورا، فنظرت تلقائيا نحو بنطاله لألمح بقعة داكنة على فخذه الأيمن، شعرت بالإحراج على الفور من تفقدي لمظهره وخشيت أن يفهم من نظرتي نية غير سوية فسارعت بإبعاد بصري نحو الأرض وتساءلت بنبرة قلق واضحة: "وهل كان عليك اصطحابي معك؟ أعني لو رأتني أمك أو أي أحد من أفراد العائلة...."

قاطعني مبتسما: "لا أحد في البيت، أمي تقضي نهارها في زيارتها لنادي.... آمم لا أدري شيء يخص المرأة، حقوق المرأة ربما.. فلا تخشي شيئا سأرافقك إلى المضافة لتنتظريني وأوصي بإكرامك بشرب شيء ريثما أنهي أموري"

أمسك بيدي ليشجعني على الترجل عن الدراجة والسير معه نحو الداخل، قلبي يرفض الدخول، لكن رجلاي أطاعتاه بسذاجة، كنت أشعر بإحساس غريب ومخيف، فها أنا ذا أدخل بيت شاب لأول مرة في حياتي، أهله غير متواجدين بينما يظن والداي أنني أتلقى تعليمي في الجامعة، ماذا لو أصبت بحادث في بيته؟ أو متّ هنا؟ ماذا سيظن والداي بي؟ أي حماقة جعلتني أستمع إليه وأركب معه طواعية؟ أما كان من الأجدر بي البقاء مع لورا في سيارتها؟ بالرغم من حبي الشديد له إلا أنني لأول مرة أشعر حقا بالذعر من فكرة مرافقته على انفراد.

شعر هو باختلاف بنظراتي ومشيتي فدفعني أمامه للإسراع بالمسير وقال: "ما بك كأنك على وشك الدخول إلى بيت الرعب؟ لن يحصل لك شيء، ستشربين العصير ريثما أستحم وآتيك، لن يؤذيك أحد أنت في رعايتي"

رعايتك هي ما أخشاها حاليا، ماذا لو وضع شيئا في العصير ليفقدني الوعي ويتعدى علي؟ كيف لم أفكر بشيء هكذا سابقا؟ ولماذا لا تغيب تنبيهات لورا عن مخيلتي بينما أشعر بالذعر من دخولي بيته؟ أكانت تنبيهاتها لي في محلها حقا؟ يا إلهي ما كان يجدر بي القدوم معه.

وضعني فراس أمام الأمر الواقع واستضافني في غرفة عملاقة مؤثثة بأرائك فخمة وفي زاويتها خزانة تحف عملاقة ومن الزاوية المجاورة لها ساعة بندولية طويلة، فجلست أراقب البندول المتحرك فيها بتوتر ملحوظ بينما أقبض على بنطالي الجينز الذي يستر فخذي لأحاول السيطرة على توتري.

دخلت علي خادمة تحمل معها كأس عصير ووضعته أمامي متحاشية النظر في وجهي، كأنها إنسان آلي وغادرت دون النطق بحرف، نظرت نحو الكأس تارة ونحو البندول المتحرك تارة وأنا أصارع أفكاري، أخشى إن شربت أن تكون وساوسي صحيحة وإن لم أشرب ربما يشعر فراس بإهانة وقد يسبب ذلك نفوره مني. فقبضت على الكأس وأخذت أشتمه لأحدد إذا ما كان يحتوي رائحة غريبة، لكن كل ما استطعت شمه هو رائحة الفواكه الطازجة التي عصرت في داخله، لذا تجرأت وارتشفت منها رشفة، ووضعت يدي على قلبي في انتظار ما قد يحدث لي، فأخرجت نفسي المرتعب أخيرا حينما أدركت أن العصير لا يحتوي شيئا وشعرت بالذنب على الفور لأنني ظننت به الأسوأ.

فجأة شعرت بحركة غريبة عند الباب وسمعت صوت محادثة خافتة لم أتبينها لكنني سمعت صوتا أنثويا، حاولت التركيز أكثر مع الأصوات حتى تراءى إلى مسامعي قول إحداهن: "السيد قد عاد برفقة فتاة وأمرنا بإكرامها"

تلا قولها فتح الباب لتطل علي امرأة بدت لي في نهاية الأربعين، لها شعر طويل أسود كالليل وعينان خضراوان مكحلتان وكانت ترتدي قميصا بأكمام وتنورة ضيقة تتعدى ركبتها

بقليل، وقع بصرها علي ففتحت عينيها بدهشة ملحوظة وهيء إلي بأنها تمتمت بكلمة ما لم أسمعها جيدا لكنني متأكدة لسماعي حرف كاف فيها.

أبقت بصرها علي دون أن تنطق فشعرت بالذعر والتوتر حتى أسعفني صوت فراس الذي سبق خياله حينما قال وهو على مشارف دخول الغرفة: "أمي، ماذا تفعلين هنا؟ ظننتك ستتأخرين في الجمعية"

وقف أمامها عند نهاية تساؤله كأنه يحاول إبعاد نظراتها عني، لكنها أزاحت رأسها لتطل علي من خلف كتفه وتساءلت بصوت مسموع: "مـ... من هذه؟"

أجابها: "هذه صديقتي، تدعى راما... لدينا موعد مستعجل لذا اعذرينا سنغادر"

التفت نحوي وأشار إلي بعينيه أن آتي، فقمت مطاوعة حتى صرت خلفه، ألقيت تحية مهذبة لوالدته وهممت بالخروج برفقته فورا، لكنها أوقفتني فجأة بإمساكها لمعصم يدي وهي تتمعن ملامحي جيدا، فنظرت إليها باستغراب، فقالت وعيناها متسمرتان علي: "أحضرها إلى هنا لتناول العشاء معنا"

عاد أدراجه نحونا وأمسك بيدي من الجهة الأخرى لعل أمه تتركني وأجابها: "صعب يا أمي، والدها... يمنعها من الخروج ليلا"

فقالت غير مستسلمة: "إذن تعال بها يوما وقت الغداء لنتعرف عليها أكثر"

شعرت باحمرار يعتكف خدي فهي لم تزح عينيها عني أبدا وفاجأتني باقتراحها هكذا من غير تفكير ملي، فلماذا ترغب والدة فراس بالتعرف إلي بهذا الإصرار الفظيع؟ تنهد فراس بانزعاج وأجابها: "حاضر كما تشائين، والآن اسمحي لنا، أصدقائي بانتظارنا"

شدّ فراس يدي وهو يحاول جري بينما يرمق أمه بنظرة منبهة، فتركتني أخيرا ووضعت يدها على صدرها وهي تتمعن بي كأنها تريد إبقاء صورتي في مخيلتها، ملامحها كانت مضطربة غريبة زرعت في داخلي إحساسا مريبا تجاهها.

حينما عدنا أدراجنا نحو الدراجة بادرت بسؤال فراس عن الموضوع، فأجاب غير مكترث: "أمي لا تعرف إناثا في حياتي عدا رشا، فهي الوحيدة التي دخلت بيتي"

هل هذا يعني أن جولي لم تلتق بأمه؟ ولماذا رشا؟ هل تجمعهما علاقة خفية؟ لكن تعقيبها على شجاره مع لورا لم يظهر لي أي شيء مريب بينهما، ناداني فراس لأوجه تركيزي إليه متسائلا عن سبب شرودي الدائم، فقبضت على الخوذة من يديه متصنعة ابتسامة ولبستها على رأسي قبل أن أصعد خلفه على الدراجة بينما يتابع خطواتي بحذر.

التفتّ نحو القصر مرة أخيرة ففوجئت بأمه تقف على شرفة ما من الطابق الأول وهي تنظر نحونا بصمت مريب، وحتى حينما لمحتني لم تجاملني بتلويح أو ما شابه مما زادني استغرابا من تصرفاتها المريبة.

انطلقنا من جديد نحو الوجهة المقصودة وتمكنت رائحة فراس من تملك إحساسي بسبب قربي منه مجددا، فتعلقت بأنفي رائحة غسول استحمامه مع عطره الرجالي.

وصلنا أخيرا إلى طريق ترابي مما اضطر فراس إلى إبطاء سرعته في القيادة وكان الطريق ممتدا بممر طويل تابعنا انطلاقنا عليه حتى لمحت من بعيد سيارتي لورا ورشا مصطفتان عند إحدى ضفاف النهر الذي لمحته يمتد نحو الأفق مبتعدا حتى لامس السماء في أبعد نقطة منه، بينما ماؤه يلمع متراقصا تحت أشعة الشمس الصافية.

أعجبت بجمال المنظر وروعته وسرت إلى جانب فراس مأخوذة بسحر المكان ودفء الأجواء مقارنة بها في الجامعة حيث يميل الجو إلى البرودة.

أشار فراس بيده نحو بيت في نهاية الطريق الذي نسير فيه موضحا: "هذا النّزل ملك لعائلة رشا، لا بد أن الجميع ينتظرنا هناك"

ابتلعت ريقي مجددا وسرت معه بترقب فظيع ولم أشعر بالراحة حتى لمحت رأس لورا من خلف زجاج أحد النوافذ وهي تنظر إلى الخارج في انتظار قدومنا. وحينما لمحتني اختفى رأسها من خلف النافذة لتخرج بجسدها من الباب الأمامي ثم هاجمتنا مستفسرة عن مكاننا وسبب اختفائنا، أراد فراس إغاظتها فلم يجبها، لكنها نبهت عليه بعدم التفكير بأي تصرف مشين تجاهي، أردت إسكاتها حتى لا تحرجني أكثر، لكنه قاطعني بقوله لها:

"سأتركك مع مخيلتك لتسرح في سبب تغيبنا المريب"

ثم غمزها بعينه ومضى نحو الداخل، احمر وجهي على الفور، وسارعت بإنكار أي فكرة تراود مخيلتها، فسحبتني نحو الداخل بغضب وجرتني نحو أحد الأبواب على مرأى من فراس وهو واقف مع وائل وقيس وأغلقت الباب خلفها، كانت في الغرفة جميع الفتيات وهن يقمن بدهن أجسادهن بواق للشمس، فنهرتني غير مكترثة لوجود رشا وجولي بقولها: "ما معنى غيابكما المفاجئ هذا؟ هل حاول إيذاءك بأي تصرف مشين؟"

وقع بصري على الفتيات خلفها فازداد إحراجي، وأجبتها منكرة لأي فكرة مغلوطة تكونت لديها أو قد تتكون في رؤوسهن بسبب اتهامها: "لا، لم يحاول أبدا... أراد.. تغيير ملابسه فقط، فاستضافني في مضافته ريثما... يجهز نفسه"

تركت جولي ظهر سيلينا الذي كانت تدهنه واتجهت نحوي وتساءلت بعينين متسعتين:

"فراس اصطحبك إلى منزله؟ واو! خطوة جريئة منه فهو لا يدخل أحدا إلى بيته بسهولة"

فتحت فمي وأغلقته مرارا وأنا أنظر بين وجوههن المصدومة، ثم كأنني لمحت عينا لورا محتقنتين كأنها تحاول كبت دمعها، ماذا أصابها؟ ثم تساءلت رشا أخيرا: "هل كانت أمه في البيت؟"

زممت شفتي وأومأت برأسي بصمت، فنظرت نحو لورا التي لم تقو على الوقوف أمامي أكثر، فانسحبت خارجة من الغرفة لتتركني وسط حيرتي من تصرفاتها الغريبة، وعادت جولي وسط أجواء صمت ثقيل لتكمل دهن ظهر سيلينا بواقي الشمس، ثم غيرت رشا عجلة الحديث مقترحة علي أن تقوم بدهن ظهري إن قررت النزول في الماء قليلا منبهة أن الوقت ما زال في الظهيرة وقد تصيبني الشمس بالحروق.

جلست إلى جانب سيلينا على ضفاف النهر ونحن نتأمل المنظر حولنا فقالت بانبهار: "احتجت شيئا كهذا كي أصفي ذهني، من الجيد أن جولي طلبت منك إحضاري لمرافقتكم"

كانت سيلينا قد حدثتني عن رغبة إيان بإقامة حفل زفاف واصطحابها لأخذ مقاستها لتفصيل فستان خاص لها وامتعاضها من الفكرة برمتها، لأن ذلك هدر للوقت ولمشاعرها المتهالكة بسببه، فلم أستطع إلا أن أشعر بمزيد من الحزن عليها، يفترض بها أن تلبس الأبيض في يومها الأبيض وليس في اليوم الذي تبدأ فيه العد التنازلي لتحطيم قلبها وبعثرته إلى أشلاء.

نظرنا إلى الجهة الأخرى من النهر حيث قام أصدقاء فراس بتشغيل بعض الأغاني الصاخبة والرقص عليها برفقة جولي، أما رشا ولورا فقررتا الجلوس عند الطاولة القريبة من النافذة الأمامية من النزل لمراقبة الجميع بينما تتهامسان سوية. عجيب! لم أكن أظن أن لورا تستلطف أيا من أصدقاء فراس وها هي تتحدث مع رشا كأنهما صديقتان منذ زمن.

أعدت بصري نحو البقية حيث تقوم جولي بالرقص وسط أحضان قيس وعماد أما فراس فاكتفى بهز جسده متناغما مع رأسه وهو يتفقد هاتفه بقرب أسطوانة التشغيل، وبالنسبة لوائل فاكتفى بالاستلقاء على العشب الأخضر قريبا منا وهو يقرأ في كتاب صغير أظنه كتيبا للأشعار حيث صرحت رشا أمامي مرة.

أعدت نظري نحو فراس لأتفحصه، فرأيته ينظر نحوي من بعيد فغلبني الحياء، غمزني مبتسما فأشحت بصري عنه في إحراج وعدت إلى الحديث مع سيلينا، حتى فوجئت بخياله يغطي الشمس خلفي فرفعنا رؤوسنا إلى الأعلى لنلمحه يبتسم إلي.

اقترح علي مرافقته فنظرت نحو سيلينا باستئذان، فأشارت إلي بيدها أن ألحقه. لمحتنا لورا نبتعد قليلا فنهضت عن الكرسي وهتفت له ليتوقف مهددة له ألا يفكر بأي نية سوداء وإلا أذاقته المر.

تجاهلها مجددا وأمسك بيدي واصطحبني نحو ضفة بعيدة عنهم قليلا نحو ممر خشبي معلق فوق ضفة النهر، وفي نهاية الممر قارب على شكل إوزة بدواسات، فقال مبتهجا:

"هل جربت ركوب مثل هذه القوارب يوما؟"

أومأت برأسي نفيا بينما أتفحص القارب فازدادت ابتسامته المستمتعة وقادني نحوه وهو يعدني بأنني سأستمتع على متنه. في البداية شعرت بالخوف من فكرة ركوبه وخشيت أن تنزلق رجلي فأقع في الماء، لازلت أتذكر مأساتي مع الغرق سابقا ولست مستعدة لإعادة تجربة ذلك.

حينما شعر بترددي حاول حثي مجددا، لكنني أصررت على الرفض فما كان منه إلا أنه انحنى من خلفي فأمسك بظهري بذراع ومد الأخرى من تحت ركبتي فحملني وسط

ذهولي ودهشتي، فتعلقت بشكل آلي برقبته خوفا من أن يسقطني وأخذت أرجوه أن ينزلني وقد شعرت بأنني على وشك فقد الوعي من حمله لي بتلك الطريقة كما يفعل العشاق.

قفز في القارب وهو يحملني فصرخت رعبا بينما أتعلق به أكثر، ثم نبهني أنه استقر بي في القارب فلا يوجد داع للخوف الآن، كنت أدفن رأسي بغير وعي في رقبته وحينما تأملتها بطولها وانسدال شعره الحريري عليها شعرت بتسارع الدماء في جسمي وبدأ قلبي يخفق بشدة، أبعدت رأسي عنه فلمحت عينيه المثبتتين علي وذاك الطيف المحمر المتوهج على خديه وهو يتأملني. كنت ما زلت أتمسك برقبته بقوة وهو ما يزال يحملني في داخل القارب، تعلقت نظراتنا لوهلة ونحن نتأمل عيني الآخر بخدود محمرة وأمسى ذاك الوهج على خديه يزداد قتامة، حتى قرر هو إنهاء هذه اللحظة المحرجة فأنزلني وهو يبتسم لي بسخافة بينما يحاول إخفاء وجهه عني ليخفي خديه المشتعلتين احمرارا، هل يعقل أنه شعر بما شعرت به؟ أيعقل أنه ليس معتادا على التقرب من الفتيات هكذا؟ مستحيل! لكن ماذا عن رشا؟ أيعقل أنه يعاملها بالمعاملة ذاتها؟ أو ربما يفعل ذلك مع أي فتاة، هذا فراس، الشاب المحبوب ذو الشعبية الواسعة بين الفتيات والذي بنظرة من عينيه يذيب عقولهن ويسحرهن بمحاسنه الظاهرة.

جلس أخيرا وأشار إلي لأجلس بجانبه ثم لفت نظره عقدي الذي هرب خارجا من قميصي والذي يحمل تعليقة بحرف اسمه، فسارعت لإخفائه مجددا بأصابع مرتعشة، تأملني قليلا بصمت ثم طبع ابتسامة مرتبكة وبدأ بتحريك القارب بدواسته، حينها شعرت بقلبي يتراقص حماسة وسط الأجواء الجميلة والنسمات البديعة التي أخذت تداعب شعري وبشرتي، ثم أخرج هاتفه ورفعه عاليا قائلا: "لنأخذ صورة تذكارية"

غطيت وجهي رافضة بإحراج لكنه أصر فأبعد يدي عن وجهي وألصق خده بي ونظر نحو الكاميرا مبتسما بينما أبقيت ذاك التعبير المحرج على وجهي غير قادرة على الابتسام من ذهولي من تقربه مني بهذا الشكل.

أكمل التقاط صور للسماء والنهر، بينما أحاول استيعاب ما أعيشه الآن، التفتّ نحوه فرأيت ابتسامته المشرقة، وهو ينظر نحو الطبيعة أمامه، ثم قال لي: "أحيانا تأتيني لحظات لا أتمكن من إمساك لساني وقد أندم بعدها على تركه ينفلت مني، لكنني لا أستطيع كتم الأمر... بصراحة.. أنا جد مستمتع برفقتك يا راما، وأخشى أن أستيقظ يوما وأجد أن كل هذا مجرد حلم بديع انتهى باستيقاظي وسط غرفتي الكئيبة"

حاولت الحفاظ على تعابير وجهي المتظاهرة بالاتزان بصعوبة وأنا أستمع لكلماته. لو أنك تعلم بعدد المرات التي استيقظت فيها من حلم بديع عنك لأصعق بوجه سارة المزعج والذي كان يبدد أحلامي لتذكرني بأنك بعيد عني، صدقني فأنا هي التي تخشى أن تستيقظ ولا تجدك إلى جانبي.

التفت نحوي وزاد على كلامه: "أرجوك يا راما عديني.... عديني بألا تتركيني يوما ولا تسمحي لأي ظرف بإخراجك من حياتي"

وجهت له نظرة مصدومة في البداية، فأعاد طلبه مني أن أعده بالبقاء معه، حتى حصل مني على ابتسامة فقلت: "لا تخشى شيئا إن دخلت حياة أحدهم فمن الصعب طردي منها"

ضحك فضحكت، وأكملنا جولتنا في القارب ونحن نلوح لجولي من بعيد وهي تقفز مرحا بينما تهتف لنا، وخلفها تقف لورا متجهمة الوجه وهي تلاحقنا بنظراتها غير الراضية.

الفصل الثامن عشر

خالفت الأجواء توقعاتنا فتلبدت السماء بالغيوم فجأة وسرعان ما بدأت الأمطار بالهطول، وها نحن الآن جالسون في الردهة الكبيرة داخل النّزل نرقب الأمطار من خلف زجاج النافذة. أخذت أنفخ بضيق وأهز رجلي بنفاد صبر في انتظار أن يتوقف هطول المطر حتى أسرع بالعودة إلى البيت قبل المساء وانشغال بال أمي بي، خطرت في بالي فكرة مخيفة، فماذا لو طلبت من جيراننا إحضاري واكتشفوا بأنني لست في بيت سيلينا فماذا ستفعل بي إن علمت؟ لن تسامحني هذه المرة أنا أدرى بذلك، قد تصل عقوبتي حد حرماني من الدراسة وترميني مع أول شاب يقرع باب بيتنا دون الاهتمام بمواصفاته فقط لتستر ابنتها التي سيتحدث الجميع بفضيحتها.

عندما وصلت الأفكار السوداوية هذا الحد في مخيلتي أسرعت بالوقوف وبدأت أسير جيئة وذهابا في الردهة متجاهلة نظرات بعضهم نحوي بين منزعج من توتري مثل لورا ورشا وبين فضولي ليفهم ما ألم بي، لم أعرهم اهتماما فأنا لدي هم أكبر في هذه اللحظة. في تلك اللحظات الأشد توترا لم يتوقف هاتف سيلينا عن الرنين وكلما تفقدت شاشته تتجاهل المكالمة حتى هببت بها من شدة توتري: "حبا بالله ردي على هاتفك!"

فتحت فمها وهي تطالعني مصدومة بصراخي عليها، فأسرعت بالجلوس جانبها واعتذرت منها مرارا، لا يجب أن أصب غضبي عليها لا ذنب لها في مصيبتي التي أوقعت نفسي فيها.

اختفت لورا من المكان متجهة نحو الغرفة التي سحبتني إليها سابقا لتتلقى مكالمة وردتها، وأخذت جولي تلعب بأوراق الشدة مع قيس لقتل الوقت، أما عماد ووائل وفراس فكانوا

يتحدثون عن أحد المواد الدراسية الخاصة بهم، ورشا اكتفت بالصمت وتوزيع النظرات بيننا كأن لديها اختبارا في شخصياتنا.

اشتد هطول المطر على غير العادة في هذا الوقت من السنة، فأدركت أن هذا عقاب لي على خذلان والدي فدعوت ربي أن ينجدني بأي طريقة، ووعدت في سري ألا أخرج دون علم والدي خارج حرم الجامعة مجددا، مر الوقت بطيئا ومع كل ثانية شعرت به يستنزف طاقتي أكثر حتى سألني فراس حينما بدأت ملامحي تلفت الأنظار: "هل أنت بخير يا راما؟ هل يؤلمك شيء؟"

وجهت نظرة نحو الجميع فرأيتهم يسلطون أنظارهم نحوي بلا استثناء، لذا كذبت لأنقذ نفسي من أحكامهم المريرة إذاما علموا بالسبب الحقيقي وراء توتري فقلت: "معدتي... إنها تؤلمني قليلا"

نهض ليتجه إلى المطبخ خلفه مقترحا علي بأن يحضر لي بعض الأعشاب فحاولت الرفض بحجة أن الألم سيزول وحده، فجأة لمحنا ضوءا يتسلل من النافذة فالتفتّ نحوها لأحدد مصدره لنفاجأ جميعا بسيارة تصطف أمام النزل، أعقبه رنين هاتف سيلينا مجددا.

نظرت سيلينا إلى الخارج بريبة ونحو هاتفها كأنها تربط الأمور ببعضها، وعندما لم تستجب سمعنا قرع الجرس.

أسرعت رشا بفتح الباب فبانت صدمتها واضحة وهي تنظر إلى الزائر المفاجئ ثم استقبلته نحو الداخل ففوجئنا بإيان يتقدم نحونا وقد بلل المطر جزءا من كتفيه ورأسه. ألقى تحية مهذبة للجميع ثم وجه أنظاره نحو سيلينا واتجه نحوها وتلك تسمرت من هول مفاجأتها. حينما وصل أمامها قال معاتبا: "لماذا لا تردين على اتصالاتي؟ لقد شعرت بالقلق!"

تجاهلت سيلينا الرد ووجهت نظرها نحو لورا وقد أدركتْ في ذات الوقت الذي فهمتُ فيه الأمر بدوري بأن مكالمة لورا التي استقبلتها سابقا كانت من إيان، وأنها أرشدته إلى موقعنا. فدعكت رقبتها في ارتباك متجنبة مبادلة سيلينا النظر نحوها.

دعاه فراس من باب التهذيب إلى الجلوس وشرب شيء ساخن وهو يتجه إلى المطبخ، لكن إيان اعتذر رافضا فقال: "أنا أعتذر لدي أعمال كثيرة يجب إنجازها قبل حلول الليل، لذا فإني أستميحكم عذرا بأن آخذ مخطوبتي لنغادر"

قطبت سيلينا حاجبيها وفتحت فمها لتعترض لكنني وجدت نفسي أقاطعها بقولي:

"خذاني معكما"

أعرف أنني تسرعت بفتح فمي، ونلت نظرة سخط من سيلينا المصدومة بطلبي هذا، فتساءل فراس عن الخطب، كان لا بد لي من قول شيء ما كعذر لئلا يفهم أحد وخصوصا سيلينا نية سوء من رغبتي في المغادرة برفقة إيان فقلت بسرعة: "أمي أرسلت إلي برسالة ألا أتأخر فهي متوعكة وتحتاجني لكي أرعى إخوتي الصغار، أرجوكم اعذروني يجب أن أغادر"

اقترح فراس بأن يوصلني هو وقد اتجه نحو طاولة صغير جانبية بين الأرائك والتقط عنها مفتاح دراجته النارية لكن إيان أصر بنفسه على إيصالي منبها فراس إلى أن الأمطار غزيرة في الخارج وسيبتل كلانا وقد تنزلق معه الدراجة على الأرض المبتلة، ثم اقترح على لورا مرافقتنا فرفضت مبينة أنها ستغادر في سيارتها عقب انتهاء هطول المطر.

سيلينا

أغلق إيان باب السيارة لراما عقب جلوسها في المقعد الخلفي ، وجهت إليها نظرة استياء من خلال المرآة الأمامية فقالت متوسلة أن أسامحها في الوقت الذي ركب فيه إيان في السيارة: "أرجوك يا سيلينا سامحيني! أنت تعرفين الظرف الذي أنا فيه"

أبعدت عيني عن انعكاس صورتها في المرآة لأحدق في الفراغ من حولي، لا أصدق أنها وضعتني أمام الأمر الواقع وأجبرتني بطريقة غير مباشرة على المغادرة برفقة إيان الذي أخذت اليوم بطوله لأهرب منه ومن استحواذه على حياتي.

قام بتشغيل السيارة ثم داهمني بتوبيخه لي فقال: "لم أكن أعلم أن موعدك هذا بصحبة شبان. هل تدركين مكانتك وسط المجتمع كونك مخطوبة لي؟ هذا يعني عدم تسكعك مع الجنس الآخر وخصوصا في منطقة معزولة، لذا من اليوم فصاعدا لن تخرجي إلى أي مكان دون رقابة من حراسي"

هيّج كلامه غيظي فارتفع مستوى الأدرينالين في دمي، فأجبته باعتراض وبنبرة حانقة: "ماذا تظن نفسك؟ أنا لم أذنب في شيء كنت أستمتع فقط بوقتي، وهؤلاء أصدقاء راما ليسوا .."

قاطعني بحدة: "النقاش انتهى إلى هنا، لا يسمح لك بمصادقة الشبان! وخصوصا فراس وشلته"

خرج لساني عن السيطرة فأجبته بوقاحة: "لماذا؟ بماذا آذوك؟ أم لأنك تغار على راما من فراس؟"

داس المكابح فجأة فتوقفت السيارة في منتصف الطريق، حمدت الله بعد أن استرددت وعيي بأن الطريق لم يكن مغزوا بالسيارات في ذلك الوقت.

وجه نظرة عتاب مخلوطة بالغضب نحوي فشعرت بشيء من الندم، ثم أزاح بصره عني وأكمل المشوار، نظرت إلى راما من خلال المرآة الأمامية فكانت تنظر نحوي بنظرة مجروحة معاتبة، أظن يقينا الآن أنني بالغت في كلامي فتمكن مني الندم كليا وتمنيت لو يعود الزمن بي وأمنع نفسي من مجادلته. فها قد خسرت الجولة وخرجت بنفور كليهما مني في تلك اللحظة.

استلقيت في فراشي بعدما أرسلت لراما رسالة اعتذار على كلامي القبيح بحقها، أعلم أنها لن تتمكن من قراءة الرسالة قبل يوم الأحد، فهاتفها سيبقى مصادرا في عطلة نهاية الأسبوع لأن فترة عقابها لم تنته بعد.

عادت إلى مخيلتي لحظة دخول إيان إلى النزل مبتلا ونظراته المتوترة وتصريحه بشعوره بالقلق نحوي، ثم خفقة قلبي التي حاولت جاهدة تجاهلها لئلا تذيب حصني الذي بنيته حوله حتى لا أتأثر به وأقع في حبه أكثر مما وقعت.

هززت رأسي لأطرده من مخيلتي وأخذت أذكر نفسي بأنه ليس قلقا علي كشخص بل هو قلق على بضاعة جدته فأنا حلقة الوصل الوحيدة بينه وبين الممتلكات التي تحاول جدته استرجاعها، وإذا أصابني مكروه فستخسر عائلته الفرصة المتبقية لهم للحصول عليها. وفكرة أن يخصص أحد حراسه بمراقبتي قد تبدو منطقية، لكنني لم أرد أن أبسط له كل هذه الهيمنة علي، فما زلت أتألم في الصميم من علاقتي الواهنة به.

غزت أشعة الشمس صباح اليوم التالي غرفتي بسطوع غير معهود فأيقظتني من نومي، كنت أصارع عيني لأحاول فتحهما حينما تسلل نحو مسامعي صوته وهو يخاطبني بقوله: "ظننت أنك ستصلحين فوضى غرفتك بعد تقابلنا سابقا فيها"

فتحت عيني بسرعة فشعرت بألم فيهما فنهضت وأنا أدعكهما بقوة وأحدث نفسي متوسلة: "أرجوك لا تكن حقيقة! عساه حلما، رجاء!"

شعرت بثقل على سريري فتمكنت أخيرا من فتح عيني قليلا فتبينت شبحه فعلا في الغرفة جالسا على سريري ينظر إلي متفحصا، ثم تمكنت من النطق لأحرك لساني بسؤاله عمّ يفعله في غرفتي، فقال مجيبا: "ألم أكن أنوي اصطحابك من قبل؟ أتذكرين رفضك سابقا من أجل نزهتك تلك؟ حسنا أجلت مشوارنا إلى اليوم"

تحاشيت إبقاء عيني عليه حين سألته بارتباك: "ظننتك غاضبا بسبب ما قلته لك في الأمس في السيارة"

زم شفتيه ثم أجابني: "أنا لست غاضبا، لكنني مستاء قليلا... عليك أن تنضجي في تفكيرك فأنت لست طفلة"

شعرت بصغر حجمي أمامه وازداد شعوري بالنقص تجاه نفسي،ثم نهض عن السرير وقال وهو يتجه نحو الباب: "جهزي نفسك، سأشرب مع أمك فنجان قهوة ريثما تنهين أمورك" قال قوله وغادر مغلقا الباب خلفه، وبتيه وحيرة نهضت عن سريري أفكر في خطوتي التالية، عضضت على شفتي بقلة حيلة ثم أخذت نفسا عميقا وقررت عدم مجادلته لأنني دائما ما أخرج خاسرة ضده، كما أنني مازلت أشعر بالسوء من تجريحه أمام راما في الأمس.

رافقته نحو سيارة بيضاء هذه المرة وكانت أكبر من السيارتين السابقتين فسألته بشكل عفوي: "كم سيارة تملك؟"

وقف ينظر في الفضاء عاقدا حاجبيه قبل أن يفتح بابها الأمامي لي كأنه يفكر في شيء، ثم نظر نحوي مبتسما وأجاب: "ربما ست عشرة، لست متأكدا"

سقط فكي ذهولا وعيناي مثبتتان عليه، أعرف أنه غني لكنني لم أتخيل يوما فحش ثرائه ولم يخطر في بالي أن أفكر بنمط عيشه حتى.

لم يكن لي فكرة عن ماهية وجهتنا، وهذه الطرق والشوارع الحديثة أكدت لي أنه سيأخذني إلى مكان بعيد عن أحيائنا الشعبية، وبالرغم من رقي الشوارع وتطورها إلا أن قلبي لم يرتح لها، لا أحب الاختلاط بالأغنياء والعيش بينهم ولو لم تكن لورا صديقة راما لما فكرت يوما بصحبتها، فهل يعقل أن يأتي يوم أتقبل عيش الأثرياء؟

وصلنا على مشارف فندق ضخم له بوابة زجاجية عملاقة، فتقدم شاب يرتدي زيا أحمر وبنطالا أسود وقبعة صغيرة حمراء، فتناول مفاتيح السيارة من يد إيان حال خروجنا من السيارة ووعده بالحرص عليها، فأدركت أنه سيأخذها لتصطف في المواقف الخاصة بالفندق. نظر إيان نحوي ومد ذراعه لي ليشبكها بذراعي، ترددت بادئ الأمر لكنه اقترب مني وأشار لي بعينيه أن أسير وفق التيار، فدسست يدي في ذراعه محاولة قدر الإمكان إخفاء حيائي. ثم سرنا نحو البوابة حيث قوبلنا باستقبال حار من العاملين في الداخل وقام أحدهم وأعتقد جازمة أنه رئيس القسم بمرافقتنا إلى قاعة خاصة مكشوفة وأجلسنا إلى طاولة بكرسيين وانصرف مستأذنا ليستدعي رب عمله.

نظرت إلى المكان فأسرني بجماله؛ كان حولنا مجموعة من الأعمدة المنحوتة بشكل جميل وأرضية القاعة تلمع بشكل ملفت وكان المكان محاطا بالأشجار الجميلة والأزهار من كل الألوان، لم أستطع إخفاء دهشتي فكنت أتفحص المكان بحرص كطفل أهديته لعبة الكترونية بألوان. وقع نظري على إيان الذي كان ينظر نحوي مستمتعا بانبهاري الطفولي فشعرت بالخجل على الفور وألقيت نظري في حجري بتوتر بائن.

قدم لنا نادل عصيرا طازجا حيث تصاعدت إلى أنفي رائحة الفواكه المنعشة، وحينما بدأت أرتشف من العصير قدم صاحب الفندق ليرحب بإيان ترحيبا حارا، ففوجئت بصغر سنه، توقعت أن يملك هذا المكان رجل في عقده الخامس على أقل تقدير، لم أتوقع قدوم شاب في مقتبل العمر كهذا، وهذا ليس كل شيء فقد كان شابا ملفتا حقا، له شعر أسود داكن كالليل وعينان تشعان بزرقة عميقة فالناظر إليه يشعر بأنه يتأمل صفحة ماء من بحر مائج تحت سماء الصيف الصافية، وملامحه كانت جميلة مرتبة وله جسد طويل القامة، رياضي متكنز بالعضل يكاد يكون أضخم من حجم فراس، وما لفتني أكثر فيه تلكما الغمازتين اللتين حفرتا عميقا في فكه حين ابتسم لإيان فزاده سحرا، هل هذا بشر أم ملاك؟

أشار إيان نحوي بعدما استقبله في الأحضان ليعرفه بي، فابتسم وهو يضع يده على صدره قائلا: "تشرفت بمعرفتك يا آنستي، اعذريني لن أصافحك باليد لدي زوجة غيورة ستقتلني إن لامست أصابعي أصابع حسناء ما"

هل وصفني بالحسناء أم يتكلم بشكل عام؟ أملت في رؤية زوجته فقد أصابني الفضول لأرى هوية الفتاة التي جعلت شابا كهذا وبمواصفاته الخلقية والمادية يقع أسير عقد زواج بها. وكأن أفكاري كانت مسموعة فقد سمعنا صوتا أنثويا يأتي من خلف الباب الخشبي العملاق المؤدي إلى الردهة: "هل جاء أحد على ذكري؟ أم هيء إلي؟"

خرجت باتجاهنا فتاة محجبة ترتدي فستانا أخضر طويلا كانت نحيلة وفي مثل حجمي تقريبا سارت بخفة مع وقع أقدام مسموع من صوت حذائها ذا الكعب الرفيع على الأرضية اللامعة، بهرتني بثقتها الواضحة بنفسها وبابتسامتها الأخاذة، عيناها تتحدثان بمقدار قوة شخصيتها، اقتربت منا وألقت تحية شفوية لإيان وردها لها ثم مدت يدها لتصافحني، فسارعت لمبادلتها المصافحة ونظرت إلى وجهها بتمعن أكثر، كانت جميلة

بملامح مرسومة تتمتع بعينين بلون بني غامق وبشرة فاتحة، لم تختلف مواصفاتها عني كثيرا، ومع أنها جميلة إلا أن العين لا تخطئ برؤية مقومات زوجها الجمالية ترجح في كفة المقارنة بينهما، لذا لا بد أنها مميزة من الداخل حتى يتزوجها شخص كهذا.

نظر إيان نحوي أخيرا وقال:" أعرفك إلى صديق عزيز علي هذا الشاب حسن الطلة هنا يدعى يزن شاهر وهذه الحسناء زوجته السيدة ليان سامح وهنا سنقيم حفل زفافنا وبالأخص في هذه القاعة فما رأيك؟"

فتحت فمي كالبلهاء وبدأت أتفحص المكان من جديد كأنني لم أره من النظرة الأولى. ثم قال السيد يزن: "كنت أفكر في تزيين الطاولات بالشموع وأزهار التوليب، ونقوم بتنسيق المناديل لتتناسب مع لون الأزهار"

وأشار بإيماءات في الهواء متابعا: "ويمكننا استعمال بتلات الزهور المجففة لرشها عليكما أثناء خروجكما من الحفل"

ابتسمت زوجته معلقة: "يا لك من رومانسي!"

غمزها بعينه موافقا مع ابتسامة خفيفة ثم سار مع إيان لعرض مزيد من الأفكار في بعض زوايا القاعة. التفتت زوجته إلي مبتسمة وسألتني عن رأيي في كل هذا، فهززت برأسي بإيماءة مبهمة وقلت: "لا مانع لي.... ما دام إيان متقبلا لأي من هذه الأفكار"

أطالت تحديقها بي مبتسمة بصمت حزين مما أثار ريبتي فسألتها محاولة إخفاء ضيقي في نبرتي: "هل من خطب ما؟"

تبسمت بخفوت وأجابت بنبرة لا تخلو من العاطفة: "لا، كل شيء على ما يرام... أنت تذكرينني بأختي الصغرى فقط... فهي هادئة وذات جو غامض وبريئة جدا تماما مثلك"

أربكتني بكلامها وشعرت بكم الدفء في حديثها كأن أختها قطعة من قلبها، لم أدر بما أرد في المقابل فحولت عجلة الحديث نحو موضوع مختلف متسائلة: "كيف تعرفت إلى زوجك؟"

تغيرت ابتسامتها لنوع آخر فيها شيء من المشاكسة، وأجابت وهي تنظر نحوه: "كان أبغض شخص إلى قلبي يوما، وبأساليبه الملتوية أوقعني في غرامه"

عاد كل من إيان والسيد يزن نحونا وهما يتحدثان عن القاعة وتجهيزاتها ثم التفت إيان نحونا وقال مخاطبا زوجة صاحبه: "فستانك جميل جدا لقد أعجبني"

شكرته مبتسمة وأجابته: "إنه من يزن، هذا المهووس يمدني كل يوم بفستان حتى أنني لا أتذكر آخر مرة اشتريت فيها فستانا على ذوقي"

لفتتني عبارتها فأردف زوجها: "ألمح قطعة فأتخيلك فيها فأراك تشعين بجمالك عبرها فلا أقاوم رغبتي في إشباع ناظري منك داخلها"

ضحك كل من إيان وزوجة السيد يزن أما أنا ففتحت فمي مبهورة برده، وحاولت ربط تصرفه بما يفعله إيان معي، هل يعقل أنه يشتري لي حسب ذوقه لأنه يريد رؤيتي في الملابس التي تعجبه؟ يا للرومانسية إن كان تفكيره مشابها! كم أنت محظوظة يا ليان بهذا الزوج المحب. تمعنت بهما قليلا وبنظراتهما تجاه بعضهما البعض وتمكنت من إبصار مقدار الحب الذي يشعر به تجاهها، إنه عاشق لها بلا منازع.

كان إيان يتأملني بغير وعي مني، وحينما تنبهت إليه أبعد بصره عني هذه المرة محرجا فأثار تعجبي من رده الغريب، فهو في العادة لا يكترث إن ضبطته وهو ينظر إلي. أعادني صوت السيد يزن إلى الواقع وهو يهتف لزوجته: "هيا يا لؤلؤة كي نكرم ضيفانا بمائدة إفطار على الأصول"

بقي لصدى كلمة لؤلؤة وقع غريب في أذني حتى أيقنت متأخرة إلى سبب تسمية الفندق بهذا الاسم.

أمضينا وقتا طيبا برفقتهما وعرفت الكثير عنهما وعن حياتهما وصدمت حينما اكتشفت بأنها ترعرت بلا أب مثلي وأنها انحدرت من عائلة فقيرة كانت فيها المعيل الرئيسي لها، فشعرت بألفة أكثر نحوها وبدأت أكون مشاعر إيجابية لهما فلم ينتهي اللقاء إلا وقد دخلا قلبي من أوسع أبوابه.

......

جلس فراس في كافتيريا الهندسة يدعك صدغيه بيديه، فشعر بخيال شخص يشاركه الجلوس إلى ذات الطاولة رفع بصره باتجاهه ليتأكد من هويته، فسأله ذاك: "هل أنت بخير؟"

قبض على كوب القهوة الورقي أمامه وأجابه: "لا، تشاجرت مع أبي مجددا، إنه يصر على موضوع الزواج مجددا، هل تصدق أنه ما زال مستاء لأنني هربت من موعده للقاء عائلة تلك المخبولة قبل فترة؟"

رد سمير مستنكرا: "رنيم ليست مخبولة إنها فتاة راقية وجميلة، كما أنها قريبة لورا التي تحبها وتحترمها"

رفع فراس حاجبيه ساخرا وعلق بقوله: "وأنا برميل من الماء مهجور وسط الصحراء!"

نفخ سمير باستياء: "ما معنى هذا؟ تكلم بلغة مفهومة"

ارتشف فراس من كوبه ثم أجابه: "هذا يعني يا صديقي أنك أعمى البصيرة"

قطب سمير حاجبيه وحاول السيطرة على انفعاله فقال: "انتبه إلى كلماتك، وتوقف عن اللف والدوران وكن أكثر وضوحا.....بمناسبة الحديث عن اللف والدوران، ماذا حصل بشأن علاقتك براما؟"

أجاب فراس غاضبا: "مجددا؟ ألن تكف عن التدخل بي؟ لا شأن لك بمن أدخل إلى حياتي"

رد عليه سمير بذات النبرة: "يصبح من شأني إن كان لمخطوبتي أو صديقاتها دور، اسمع مني يا فراس هذه البنت ليست كالغبيات المتهافتات عليك، إنها بنت مهذبة من عائلة محترمة، ليست مناسبة لنمط حياتك، لا تلوث نقاءها بتصرفاتك الرعناء"

نهض فراس عن الطاولة مغتاظا وقال: "أوَتراني استدرجتها في علاقة مشبوهة؟ أنت ابقى خارج الموضوع واتركني في همي"

مشى خطوتين مبتعدا قبل أن يوقفه سمير بقوله: "أنت تعلم أنها لن تصلح شيئا مما تعانيه"

سحب نفسا عميقا ثم اتجه نحو الخارج وقد اختار عدم الرد.

راما

كنت جالسة على المقاعد الخشبية في انتظار قدوم سيلينا التي تأخرت على غير عادتها بينما أعيد قراءة رسالة اعتذارها مرارا وتكرارا، يا لها من بريئة كم تحزنني بتصرفاتها، إنها تظن أنني غضبت منها، في الواقع كان لي هم أكبر في ذاك الوقت وهو ألا تكتشف أمي شيئا من كذبي عليها، ولله الحمد مرت أموري على خير ما يرام ولم يشعر أي من والداي بأي شيء مشبوه.

لمحت عماد يتقدم من منطقة جلوسي فعلقت بصري به بترقب، استمر في السير حتى استقر أمامي، ثم طرح علي ترحيبا لكنني أجبته بسؤالي: "لا أقصد أن أكون وقحة لكن ألست تعمل في مثل هذا الوقت؟"

هز كتفيه بغير اكتراث مجيبا: "دبرت من يغطي مناوبتي.... في الواقع أردت الحديث معك في موضوع"

اتكأ على غصن الشجرة بجانب المقعد فوجهت انتباهي إليه، بدأ بالسؤال عن وضع أمي الصحي، فطمأنته على حالها حينما تذكرت أنني كذبت بشأن توعكها. ثم بعد تردد دام وقتا وهو يحك مؤخرة رأسه بارتباك استجمع شجاعته وقال: "في الواقع.. قبل أن تنضمي إلى مجموعتنا كنت معجبا بك بشدة... وما زلت.."

سكت هنية ليدرس ملامحي المصدومة ثم تابع متأنيا رغبته في إعطائه فرصة لمبادلته شعوره.

احتضنت جسدي وأجبته بشيء من البرود: "عماد أنا آسفة... لكنني لست ..."

هز رأسه كأنه على علم مسبق بردي ثم قال: "هل السبب فراس؟"

لم أفهم ما يرمي إليه حتى أوضح بقوله: "هل يهيمن عليك بجبروته ليمنعك من محادثتنا؟"

أجبته على الفور نافية اتهامه لأبعد فراس عن الصورة وتعمدت أن أصفه مع باقي الشبان بلقب أصدقاء، لكنه هاجمني برده: "الصداقة تعني الأخذ والعطاء وقد لاحظت بأنك تبقين دائرة اختلاطك بجولي وفراس... بالأخص فراس"

سألته مقاطعة اتهامه الخفي: "ماذا تقصد؟"

رفع يديه في الهواء قائلا: "الأمر واضح كالشمس .. فراس ليس صديقا عاديا بالنسبة لك"

ابتلعت ريقي بتوتر ملحوظ فجاء صوت وائل لينقذني من براثن عماد قائلا: "كف عن إزعاجها"

كان وائل قد ظهر من العدم من خلف حائط المبنى من ورائنا، نظر محتدا نحو عماد، فقال الأخير بارتباك: "ما بك يا رجل؟ كنا نتحادث فقط"

ثم سار مبتعدا من أمامي وتابع: "هيا بنا لدي عمل يجب تغطيته"

التفت نحوي وائل وسألني إن كنت أرغب في الانضمام، لكنني رفضت بحجة انتظار سيلينا، وقد كنت أخبئ في قلبي سببا آخر، لم يكن لي رغبة في الاحتكاك بعماد في تلك اللحظة.

قبل أن يبتعد كلاهما التفت نحونا عماد وقال مترددا: "آمم... هل يمكن إبقاء هذه المحادثة بيننا؟ لا داعي لأن يعلم فراس بما حصل"

وجه نظره نحو وائل متوسلا، فرمقه الآخر بنظرة مبهمة غامضة ثم سار مبتعدا دون كلام، وائل بالنسبة لي شاب غامض أعجز عن فهمه في كثير من الأحيان لذا أتجنب الحديث معه حتى لا أشعر بالضياع.

أمضيت فترة الصباح تلك وحدي مع أفكاري وتخيلاتي ولم تحضر أي من لورا وسيلينا. عانقت نسمات الهواء الباردة خدي وشردت بكل الأحداث التي تطورت أسرع مما تخيلت هذا الشهر، من تحطيم قلب سيلينا ومشاعر لورا المريبة تجاه فراس وحتى علاقتي الغريبة من نوعها بشاب أحلامي. ربما لاحظ عماد مشاعري المتقدة نحو فراس، فيا ترى إلى أي محطة ستصل بي السكة التي اعتليت قاطرتها؟ وهل ستبقى علاقتي بفراس ضمن حدود الصداقة؟ هل يعرف بأنني أحبه؟ هل يشعر هو بشيء تجاهي؟ ربما أبدو أكبر غبيةعلى الإطلاق لكن مشاعري نحوه تنمو بشكل خطير مع كل يوم يمر حتى أنني بت أخشى خسارته. وكلما فكرت بذلك شعرت بألم في قلبي كمن يصاب بذبحة صدرية.

الفصل التاسع عشر

تأخرت سيلينا في النوم على غير عادتها، ففاتتها المحاضرة الأولى لذا جلست معها في الكافتيريا لتقوم بنقل الملاحظات التي قمت بتسجيلها. شعرت بأن المسكينة تائهة وتوترها يزداد كل يوم يمر فأصبحت أكثر شرودا من عادتها المألوفة ولم أعد ألمح ضحكتها الطفولية المعتادة منها. لقد تغيرت سيلينا كثيرا بعد دخول إيان حياتها، لكن للأسف تغيرها كان نحو الأسوأ وما كان في يدي حيلة لأساعدها إلا بالدعاء لها والوقوف بجانبها لتقديم المؤازرة لها. كانت لورا تقوم بتصفح هاتفها في كرسيها بصمت ثم نفخت بضيق حين لمحت جولي تقتحم باب الكافتيريا وهي تقترب منا، جلست على الكرسي الذي بجانب لورا ملقية تحية شفوية بأسلوبها المرح المعتاد، ثم قالت مجيبة عن سؤال لورا الوقح عن سبب انضمامها إلى جلستنا: "أحببت مشاركتن الجلوس معكن اليوم لأنني أردت تجنب فراس حاليا... شكرا لك على الاستقبال الحار!"

سألتُها متجاهلة الشرر الذي يكاد يقدح بينهما عن الخطب بفراس فأجابتني: "إنه معكر المزاج قليلا.. لا تقلقي تصيبه هذه الحالة أحيانا لكننا نفضل تجنب الاختلاط به لأنه يكون حاد الطباع نوعا ما ...."

شعرت بتشنجٍ أصاب لورا لكنها حاولَتِ التصرف بشكل طبيعي متظاهرة بتفقد هاتفها ثانية، فسألتُ جولي عن سبب انزعاجه لتعلمني بشجاره مع والده مع جهلها بطبيعة الشجار، ثم غيرت الموضوع فجأة لسؤال سيلينا عن موعد زفافها وموقع إقامته وشهر العسل......الخ. بينما تجيبها سيلينا إجابات مقتضبة. وشعرت بأنها تنفست الصعداء حينما اقترب موعد محاضراتنا التالية لتتخلص من استجواب جولي لها.

عزت جولي لاحقا سبب تكتم سيلينا إلى خجلها الزائد وقد طُبعت في رأسها فكرة أن سيلينا خجولة كثيرا وفتاة انطوائية غير متحدثة، هي لم تخطئ بوصفها وإنما أخطأت في تحديد سبب تكتمها، فالشيء الذي لا يعرفه أحد سوانا أنا ولورا أن سيلينا ذاتها ضائعة في علاقتها مع إيان ولا علم لها بأي خطوة مستقبلية يقوم بها؛ لأنه ببساطة يتصرف بكل شيء بمفرده تماما ولا تجد نفسها إلا وقد فُرِض عليها أمر جديد.

فوجئتُ بفراس يطل علي بعد محاضرة اللغة الإنجليزية، فتقابلت نظراته المحتدة مع نظرات وليد في القاعة قبل خروجي وقد كنت ما زلت أجمع ملاحظاتي وممتلكاتي، قمت بسرعة لاستقباله في الخارج قبل أن يثير تساؤلات زميلاتي في القاعة وتبدأ الإشاعات السيئة بالتناقل حولي، لكنه لم يكن ليرحل بهذه البساطة فحصل ما كنت أخشاه.

بقيت عيناه معلقتين بوليد بحزم ثم سمح لنفسه بالدخول حينما خرجت نحوه، ولم أجده إلا وهو يتجه نحو وليد ودون مقدمات وجّه له لكمة على وجهه فوقع الأخير بين المقاعد أرضا، وشهق من كان في المكان وتسمروا في أماكنهم بفضول وخوف في آن.

عدت بسرعة إلى الداخل وحاولت حثه على المسير وأنا أجذبه من ذراعه لدرء المزيد من الفضائح، فهدد وليدًا قائلا: "أقسم لك إن رأيت عيناك تتجولان دون رقابة في المرة القادمة أن أتسبب لك في نزيف في الدماغ ليذكرك بالتزامك حدودك"

أخيرا سار معي بعد تصريحه بتهديده المرعب والذي قد يؤدي إلى مشكلات عظمى إن أراد وليد التقدم بشكوى للجامعة بضده وخصوصا مع وجود هذا الكم من الشهود، وحينما عاتبت فراس بذلك لم يلق بالا بالأمر، فقال: "لست مهتما، وعلى كل حال إنه أكثر جبنا من أن يفعلها"

توقف قليلا لينظر نحوي ثم قال: "الجو بارد لا داعي للتكشف بهذا الشكل، وخصوصا أمام قذر مثله، لا تسيئي فهمي لكنني أنصحك باختيار ملابسك بعناية للجامعة"

ألجم كلامه لساني عن النطق، كنت في ذاك اليوم أرتدي تنورة قصيرة منقطة تصل منتصف الفخذ وفوقها بلوزة من الصوف الناعم وزينت رقبتي بشال، لم أكن أع أن لباسي ملفت إلى الشكل الذي يجعله يفتعل شجارا. وهنا بدأت أتساءل عن سبب ضربه لوليد، فهل قام بذلك لأنه أغضبه بنظراته الوقحة لي فضربه غيرة علي كصديقة؟ أم بسبب تعكر مزاجه حسب اعتراف جولي سابقا ووجد حجة يفرغ فيها سخطه؟

تابعت سيري لأجاريه حتى لا أفقد أثره، ثم سألته عن الخطب الملم به فأوعز ذلك إلى وليد، يا لك من كاذب أنت كنت غاضبا قبل رؤيتك له فلماذا المراوغة؟

أخذني معه إلى خارج الكلية ولم يكن لي علم بوجهته. استقر بنا المقام في مقهى بجانب حرم الجامعة وبكوبين من القهوة المثلجة أمام كل واحد منا، كان ينظر في كأسه بصمت ووجوم على غير عادته المرحة، أردت أن أقول شيئا لأكسر الصمت، لكنه بادر أولا فقال: "أتعرفين السبب الذي جعل ثريا مثلي يلتحق بجامعة حكومية عوضا عن الالتحاق بجامعة خاصة مرموقة ؟"

سألني وعيناه ما زالتا معلقتين نحو كوبه ثم أجاب بنفسه كأنه لا ينتظر مني إجابة: "بعيدا عن قوة تدريس هذه الجامعة ومستواها الأكاديمي الذي يطغى على جامعات البلد كله، فلم يكن لي اهتمامات بالجانب الأكاديمي مثل سمير، ما جعلني فعلا ألتحق بهذه الجامعة هو الحفاظ على ترابط مجموعتنا، فكون عماد لا يقدر على الالتحاق بجامعة خاصة قد يؤدي إلى تباعدنا وبالتالي انسلاخه عن المجموعة، فعماد لم يكن بشخصيته هذه منذ البداية، لقد

كان شابا جبانا بلا شخصية تذكر حتى أصررت مع قيس على صقل شخصيته نحو الأفضل بتمارين رياضية وحياتية حتى أصبح عماد على ما هو عليه الآن"

رفع بصره نحوي بينما أحاول فهم المغزى من كلامه المفاجئ حين قال: "وفكرة أن يخونني ويتعدى على خصوصياتي لم تكن مدرجة في بالي أبدا.... إلا إذا ...."

تسارعت دقات قلبي بينما أتابع كلامه بصمت، إلى ماذا يرمي بكلامه؟ هل يقصدني بخصوصياته؟ هل يعقل أن وائل باح بشيء عما حصل صباح اليوم له؟ اتكأ فراس بمرفقيه على الطاولة وعيناه تقدحان شررا بينما ينظر إلي فقال: "اسمعيني.... إن كانت لك رغبة في أن تصبحي حبيبته أو ترتبطي به بعلاقة حب أو ما شابه فهذا من شأنك لك الحرية فيما يرغبه قلبك.. لكن إن حصل فإلى هذا الحد تنتهي معرفتي بك وسأنسحب من حياتك، اختاري... حسب ما يمليه عليك قلبك فأنا لن أضغط عليك"

قطبت حاجبي بينما فمي مفتوح ببلاهة ثم ابتلعت ريقي وأجبته بحزم: "لست أشعر بشيء تجاه عماد، من أين جاءتك هذه الفكرة؟ إني بالكاد أحدثه.... لو خُيّرت بينكما فالاختيار واضح.. إنه أنت "

أسند رأسه على أصابعه وتساءل: "لمَ؟"

ربما أنت أعمى أو ما شابه، فالإجابة واضحة، إني مغرمة بك إلى حد الجنون، حبك يسري في عروقي. لكنني ببساطة لم أتمكن من البوح بالحقيقة فماذا عساي أفعل لو رفض مشاعري تجاهه؟ لا يمكنني أن أتخيل ما قد أفعله بنفسي وقتها.

أسند ظهره على المقعد ليعدل من جلسته حين لم يجد مني ردا فتساءل بطريقة أخرى: "هل أنت مستعدة لخوض الحلو والمر معي؟ لأكون واضحا معك أحيانا لا أكون على ما يرام.. أعني نفسيا... فهل ستحتملين تقلبات مزاجي السيئة؟"

مددت يدي لألامس أطراف أصابع يده المستريحة على الطاولة ثم قلت: "لكل منا أيامه السيئة، لا أحد دائما سعيد، فكما أنك تضحك أحيانا ستبكي في أحيان أخرى، هذا حال البشر، من منا لا يعاني من تقلبات مزاجه؟ نحن الفتيات خبرة في هذا المجال"

بانت أسنانه الجميلة أخيرا بابتسامة عقب جملتي الأخيرة ثم تابعت: "قبلت الدخول إلى مجموعتك لأنني أردت أن أكون جزءا من يومك أنت لا شخص آخر.. وإذا تراجعت وهربت عند أول معضلة تصيبك فأنا من الأساس لا أستحق صداقتك، ألن تحتملني مثلا إن كنت أعاني من مشكلة ما؟ هذا هو حال الأصدقاء يقفون معا في الفرح والترح"

أصابعه التي كنت أتحسسها قبض بها بلطف على أطراف أصابعي، ففجر في داخلي أحاسيسي المرهفة تجاهه لأشعر بمهرجانات يقيمها قلبي، وتلمع في سماء عشقي ومضات حبه كألعاب نارية تزين سماء ليل قاحلة بألوانها البهيجة وأصواتها التي تطرب الأذان وتهيج القلوب. ثم قال:" في قلبي لستِ كأي صديقة"

أمسك كوبه وارتشف منه في حين تركني معلقة في حيرتي وصدى جملته يتردد في مخيلتي لأحاول تفسير مقصده من كلامه، هل تطورت مشاعره نحوي كما كنت آمل؟ أم أنه رفع مكانتي لأصل إلى دائرة الصداقة المقربة؟ لن أسأله أي شيء حتى لا أغير مزاجه الذي بدأ يتحسن وحتى لا يشعر بسذاجة حبي له فيفر هاربا، قررت أن أتماشى معه وأشاركه شرب القهوة لنمضي ما تبقى من جلستنا بصمت مريح وعينانا لا تفارقان الآخر.

كما توقع فراس فوليد لم يتقدم بشكوى ضده، كما أنني صدمت حين رأيت عين عماد المتورمة لتفسر لي رشا بنظرات متهمة السبب وراء ذلك وهو تصريح عماد لفراس بعرض مشاعره علي وعدم قدرته على إخفاء الأمر عنه فحصل لنفسه على لكمة من فراس والذي لم يكن أصلا على ما يرام منذ بداية يومه. ثم أضافت: "عماد كان يريدك من الأساس

وطلب من فراس المساعدة في عرض نفسه عليك في يوم احتفالنا بشفاء قدم فراس، لكن لسبب ما منعه عن ذلك وثم صدمنا برؤيته يراقصك على متن القارب وبعدها أوضح لنا رغبته في صداقتك مؤكدا على شباب الشلة بعدم التقرب منك"

حاولت تجنب نظراتها التي تحمل اتهاما من نوع ما لم أهتد إليه وقتها. كنت جالسة برفقتهم على مدرجات الملعب بعدما عدنا إلى الجامعة وأخذني فراس للجلوس مع الشلة، ولأن سيلينا لديها محاضرة قبلت بالانضمام مع الحرص على الجلوس بجانبه بعيدا عن عماد، لكن استقر بي الحال بجانب رشا عوضا عنه لأنه نزل إلى أرض الملعب ليتمرن فبقيت أسيرة نظراتها المتّهِمة، كنت على يقين برغبتها بقول شيء، فذاك واضح في نظرات عينيها لكنها آثرت عدم البوح.

تفقدت الساعة فقمت واعتذرت منهم جميعا لألحق بمحاضرتي الأخيرة لهذا اليوم، وعندما وصلت الكلية حاصرتني مجموعة من الفتيات ليفهمن طبيعة علاقتي بفراس وقد أثار ضربه لوليد حديث الكلية أجمع، حاولت التملص منهن حتى أوضحت بشيء من الكذب أن جولي من مجموعة فراس صديقة مقربة لي منذ الطفولة وما فعله فراس بوليد هو من باب حفاظه على أصدقاء جولي بقوله ما يخص جولي يخصني، وحاولت تبديد أي شكوك أو اتهامات تحوم حولهن، وتركت لهن مهمة تصحيح الإشاعات التي تتناثر هنا وهناك عن علاقتي السرية بفراس ابن أحد كبار التجار في البلد وصاحب أكبر خمس دور للنشر على مستوى المنطقة. لكنني لم أتمكن من تبديد الإشاعات كلها بل أن الكلام الجارح امتد ليطأ سيلينا بقول البعض بأننا ماصات لأدمغة الرجال الأثرياء وعلاقتنا بلورا سهلت لنا التسلل نحو عالم الثراء وإيقاع رؤوس عملاقة تحت سيطرتنا مستخدمات نفوذ لورا وجمالنا وكيدنا.

لم تكترث سيلينا لأمر الإشاعات لأنها اعتادت عليها كما أن لديها هموما أكبر على المحك، فزواجها اقترب واقترب معه طلاقها لتعود إلى نقطة الصفر من جديد أو أدنى، لو أنها لم تكن تحبه لكانت الفاجعة أهون. أخبرتني سابقا عن مؤخرها من المهر ولو كانت فتاة أخرى لطارت من السعادة فمن كان يتوقع أن يصبح مليونيرا بين ليلة وضحاها؟ لكن سيلينا لم تكن مرحبة بالفكرة لعدة أسباب، أولها أن جرح قلبها من عدم مبادلة إيان لمشاعرها ولو بمقدار ضئيل لا تعالجه كنوز الكون، وثانيها هو حكم المجتمع عليها بعد طلاقها وانتشار قصص الفضائح في المجلات والجرائد والمواقع الالكترونية بحديثهم القذر عنها بعد تسوية الطلاق، وهذا السبب يعد مدخلا للسبب الثالث وهو خوفها من امتلاكها لمبلغ ضخم كهذا دون وجود من يعينها على تدبيره وخشيتها من اللصوص والمجرمين والنصابين حين قالت: ما يأتي بسرعة يذهب بسرعة. وأذكر عبارتها حينما تلفظت شفتاها: لو أن لدي أبًا أو أخًا أكبر لسلمته زمام الأمور.

أما بالنسبة للإشاعات التي تدور حولي فكان لها رأي آخر، فهي تشعر أن فراس لا ينظر إلي كصديقة، موضحة لي أن جولي ترتدي دائما ملابس مكشوفة أكثر من لباسي ولا يبدي فراس غيرته عليها، ثم اعترفت بشكها بأنه يكن لي مشاعر أكثر من مجرد صداقة لكن هو ربما نفسه لم يفهم طبيعتها بعد.كنت آمل بأن يكون ظن سيلينا صحيحا لكنني قررت عدم رفع سقف توقعاتي لئلا يصدمني بالرفض فأخسره.

مرت الأيام تباعا، وانشغلت باختباراتي والتجهيزات مع سيلينا لزواجها القريب، فلم أستطع رؤية فراس كثيرا في تلك الفترة، وعلمت من بعض الأحاديث من لورا بأن والد فراس أراد تزويجه برنيم لكنه رفض الفكرة تماما، وما زال والده مصرا على رغبته، فزاد من ألمي وحسرتي.. وربما كان هذا سببا آخر لأخفف اختلاطي به، فإذا تزوجها فعلا أمام

ناظري فقد أؤذي نفسي من شدة القهر، ومع أنني خففت اختلاطي به لكن ذلك لم يؤثر على مشاعري التي كانت تنمو بشكل مرعب أكثر نحوه حتى بات شبحه في مخيلتي يرافقني في ليلي ونهاري وكثرت أحلامي به في نومي، فكانت سارة تغيظني باستمرار بقولها بأنها كانت تستيقظ ليلا على صوتي وأنا أهتف باسم فراس وتهددني بإخبار أمي إن لم أعطها ثمنا لسكوتها كل مرة، يستحيل أن تكون هذه البنت أختي فمن يخالطها يظن أنها ولدت من رحم شيطان.

سيلينا

لم يعد يفصلني عن زواجي إلا يومان، قررت فيهما بناء على اقتراح لورا أن آخذ إجازة من الجامعة. فاتجهت إلى أساتذتي وطلبت منهم إجازة لكي لا يحتسبوا لي عدم تواجدي غيابا فيؤثر على تحصيلي. وافق جميعهم مع تمنياتهم لي بالسعادة بتذكيرهم الدائم والمزعج بأنني محظوظة لارتباطي بشاب في مثل مواصفات إيان التي لا تتكرر بسهولة.

وبدل أن أرتاح في هذين اليوم اتخذتهما فرصة لإفراغ دموعي وانحطاط مشاعري، أحيانا كنت أبكي وحدي أو على مسامع راما من خلال مكالمة هاتفية لتطمئن علي وتصبرني على المر. وأحيانا أخرى كنت أبكي في أحضان أخي الذي لم يكن هينا عليه فراقي ، فإذا غادرت البيت سيبقى وحيدا لانشغال أمي بالعمل دائما. لم يكن يعلم هذا المسكين بأن السبب الوحيد لقبولي هذا الزواج هو خوفي من تنفيذ جدة إيان لتهديدها بإبعاده عنا، وأنا متأكدة بأنها هددت أمي بالمثل وهذا ما جعلها تفرض علي زواجي من إيان حتى تحافظ على ما تبقى لها من أفراد عائلتها. ربما قالت لنفسها حتى لو انتهى بي المطاف مطلقة فعلى الأقل سأعود إليهما، وهذا أخف ضررا مقارنة بالوضع إن لم أقبل بإيان.

جاء اليوم المنتظر لزواجي وبدل أن أعد الأيام بت أعد الساعات، أرسل لي إيان مجموعة من خبراء التجميل لتجهيزي في البيت.

جلست في غرفتي التي كانت تضج بالفوضى لتصبح الآن خاوية إلا من الأثاث المفرغ من كل ممتلكاتي حيث تم نقلها في اليومين الفائتين بوساطة رجال يعملون عند إيان، وقد وعد بأن يتم ترتيبها في غرفة خاصة بي حين أستقر في قصره.

بدأت إحدى الخبيرات بتجهيز مستحضرات التجميل لتصنع مني عروس هذا الموسم وقالت لي أنها ستستغل لون عيني العسليتين بمكياج عيون ساحر وقد وضحت أنها تعشق العيون العسلية لما تضفيه من رونق خاص لأي عروس، سُرّح شعري ليُترك منسدلا على ظهري مموجا فبدا أكثر حيوية وجمالا ورُصِّع بمشبك شعر فضي مزخرف على شكل ورود.

وما بهرني حقا وأنساني لوهلة رهبة هذا اليوم هو فستان الزفاف ذو التصميم الملوكي حيث له أكمام طويلة من الدانتيل وصدره على شكل قلب ومزين بالورود المشابهة في تصميمها لمشبك شعري وكانت اللمسة النهائية هو تزيين رقبتي وأذني بمجوهرات من الألماس.

وقفت عند باب غرفتي بعد انتهاء الفريق من مهمتهم وقد اعتلت وجوههم نظرات الفخر بما أنجزته أيديهم، فوجئت لدى خروجي بأعداد النساء اللاتي اجتمعن في الصالة من جارات وأقرباء وأبدين إعجابهن بطلتي حين لمحنني.

لاحظت وجه أمي من خلفهن وقد اعلتها نظرة مندهشة في ذات الوقت كانت حزينة، لكنها لم تقترب مني وآثرت إبقاء مسافة بيننا.

وجدت راما ولورا بين الحشد وهما تبتسمان لي، كانت لورا متحمسة بشدة كأنها تناست الهدف خلف هذا الزواج، ثم قامت بمراقصتي وسط الصالة على صوت بعض الأغاني

ذات الإيقاع، اقتربت مني وهمست في أذني: "حتى وإن لم تكوني سعيدة فعلى الأقل تظاهري حتى لا تتركي مجالا لضعاف النفوس بتناقل الغيبة والنميمة عنك"

لورا محقة تماما، لكن من الصعب علي التظاهر بشيء أعلم أنه غير حقيقي، وأنه في طريقه إلى الزوال، فأخذت تلتقط معي الصور التذكارية مع انضمام راما لعلها تلهي تفكيري قليلا، وبالفعل نجحت في ذلك.

لم يأت إيان لاصطحابي إلى الحفل، وعوضا عن ذلك أرسل سيارة ليموزين لي ولعائلتي، وسيقوم هو باستقبالي حال وصولي قاعة الفندق، كما تجري العادة في بلده، هذا ما فهمته من أمي. ها هو يفعلها مجددا يسيّرني كالعمياء ولا يطلعني على خطواته القادمة إلا حينما تقع الفأس في الرأس.

لازمت أمي الصمت طوال الطريق، على غرار أخي الذي كان منبهرا بكل شيء ويكاد يقفز من شدة حماسته. وصلنا إلى الفندق ونزلت من السيارة بمساعدة من السائق وأخي. لم نكن وحدنا الواصلين، بل انضم معارفنا وصديقاتي خصوصا راما ولورا. ساروا جميعهم باتجاه القاعة ولمحت راما تسير مع والدتها وهي تلوح لي فقابلتها بإيماءة من رأسي.

خلا المكان من أحد سوى عائلتي وأنا. أشارت أمي على أخي أن يسبقنا نحو القاعة ليطلب من عمي استقبالي خارجها لتسليمي للعريس وذلك حسب طلب إيان، ثم اقتربت مني حال اختفائه من المكان، ومدت يديها لتحتضن خدي وبدأت عيناها تذرفان الدموع. فهمست لها أن تتمالك نفسها لئلا يفسد مكياجها وكنت بدوري أكبح دموعي حتى لا أنهار أمامها.

حاولت أن أبقي نظراتي طبيعية لكن عيني خانتاني واغرورقتا بالدموع أيضا وقد توضحت مشاعرها المنكسرة نحوي، فكانت عيناها تهمسان بقلة حيلتها وتلفظت شفتاها بغمغمة خافتة بالكاد وصلت مسامعي بقولها: "سامحيني"

أمي لا تعلم بالاتفاق الذي بيني وبين إيان ورغبته في الحصول على الطلاق، لكنها تعلم أن زواجي به لن يدر علينا الخير، فجدته لن تكترث بي ما إن تضع يديها على الممتلكات والأموال المحتجزة، وهي أصلا غير عابئة بي كزوجة لحفيدها، فطوال الشهر الماضي لم أرها بعد مواجهتها لي في السيارة ذاك اليوم، ولم تتعب نفسها بالتعرف إلى زوجة حفيدها المستقبلية كأنني ورقة هامشية نمت على غصن شجرة متهالك مهدد بالقطع. كما أن أمي ليست عمياء ولا بلهاء فهي تدرك تماما أن إيان ارتبط بي مرغما وأنه لا يرى بي مقومات فتاة أحلامه.

لأول مرة منذ سنوات أرى مشاعرها الحقيقية نحوي، لمحت الحسرة وحزن الفراق .. وقلة الحيلة، لأول مرة أشعر بأنها أم. تركتني مستسلمة للحال وسبقتني نحو الداخل بعدما طلبت منها وقتا خاصا بي لأضبط انفعالاتي. كان الوقت عصرا وبقي للغروب قرابة الساعة، وطأت قدمي مدخل الفندق العملاق وغمغمت لنفسي بينما ألمح حراس إيان يقتربون صوبي: "من أجل أخيك.. تذكري.. أنت تضحين من أجل أحمد فقط، فاصبري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا"

أنهيت حديثي التشجيعي تزامنا مع وصول حراس إيان إلي ليقوموا باصطحابي إلى بوابة القاعة لأدخل برفقة عمي الذي ينتظرني هناك، لكنني توقفت هنية على إثر صوت فتاة تتكلم وعلمت يقينا أن حديثها موجه لي، فالتفتّ نحوها حين قالت: "التضحية صعبة وقد تكلفك سعادتك إنه لمن الصعب أن تُرغَمي على الارتباط بمن لا تريدين"

كانت فتاة شابة عشرينية محجبة، تجلس في كرسي مدولب ولمحت أن رجلها من تحت فستانها تم تجبيرها. كانت تنظر نحوي بعينين خاويتين، لكن بالرغم من ذلك فقد طغى جمالها على حزن عينيها، كانت ناعمة الملامح بعينين عسليتين واسعتين لامعتين وأنف مستقيم وشفتين ممتلئتين جذابتين، كانت مثالا للأميرات الجميلات، لكن في عينيها حزنا لم أعرف سببه.

بقيت واقفة مكاني أطالعها بفضول إلى أن اقتحمت السيدة ليان، زوجة صاحب الفندق، سكون الأجواء وهتفت للفتاة: "أين كنت؟ بحثت عنك في كل مكان! هيا سنتجه إلى القاعة للاحتفال"

وقعت عيناها علي فبانت ابتسامتها واقتربت صوبي فاستقبلتني بعناق حار، ثم شيدت بجمالي وطلتي الأخاذة فشعرت بالخجل على الفور، بعدها أشارت نحو الشابة الجالسة على الكرسي وقالت: "هذه أختي التي حدثتك عنها سابقا.. المسكينة أصيبت بحادث تسبب في كسر ساقها، لكن الطبيب طمأننا إلى إزالة الجبيرة الأسبوع القادم، لم يتبق الكثير يا إيلينا"

اسم جميل لفتاة جميلة غامضة، تمنت لي ليان الخير وجرّت كرسي أختها مبتعدتين عني، أخذت ذلك كإشارة للتحرك مع الحراس إلى مكان عمي، بينما كلام تلك الشابة لا يغادر مخيلتي.

عمي فؤاد هو الأكبر سنا بعد أبي، وعرض عليه أن يكون وكيل زواجي، وبالطبع لم يرفض وخصوصا بعد علمه بمواصفات إيان فغلبه الحماس، هل علي تذكيره بأنني العروس هنا لا هو؟

خطت رجلانا عتبة الباب، فالتفت الكل نحوي بانتظار لحظة ظهوري وتعلقت عيون الجميع بي، أكره أن أكون موضع نظرات الآخرين، وخصوصا تلك النظرات المتفحصة التي تريد معاينة البضاعة التي اشتراها إيان. سار بي عمي في الممشى حيث من يمينه ويساره خصصت مقاعد لجلوس المعازيم عليها، كما كنت أرى في الأفلام، أما نهاية طريقي كان يؤدي إلى ثلاث طاولات مستطيلة مرتبة، من اليمين تجلس عائلة إيان ومن اليسار تجلس عائلتي أما في الوسط فيجلس إيان وعلى يمينه شيخ، أما المقعد الذي على يسار إيان فكان فارغا بانتظار أن أملأه.

وقف إيان حالما لمحنا، وذلك بعد أن تعالت أصوات التصفيق والهتاف، سار بي عمي حتى سلمني يدا بيد لإيان الذي بادله بابتسامة مهذبة، ثم أشار إلي نحو مقعدي وجلست.

بدأ الشيخ في تلاوة خطبته التي كنت شاردة عنها طيلة الوقت، ثم بدأ بتلقين عمي كلمات يعيدها على مسامع إيان ولفظ الأخير بكلمة قبلت منهيا إجراءات الزواج اللفظية وبقي لنا العقد الذي كان جاهزا، ولا ينقصه إلا توقيع كلينا.

وُكّل إيان أولا بالتوقيع، ففعل دون تردد يذكر، كم أغبطه! إني لأتمنى أن أكون واثقة إلى هذا الحد باختياراتي ومستعدة لما يحمله المستقبل الغامض تماما مثله. جاء دوري فأخذت القلم بيد مرتجفة وبتأن قمت بكتابة توقيعي حتى أنجزت المهمة بعد جهد بليغ كأنني كنت أحمل أثقالا. زفرت نفسا مضطربا في داخلي وانا أتخيل وسط أصوات الزغاريد أن كل شيء بدءا من هذه اللحظة سيتغير إلى الأبد.

بدأت ألحان الموسيقى الهادئة بالتغير إلى أصوات أغان صدمت فيها بقدوم مغنيين معروفين فأثاروا بقدومهم الجلبة وهتاف الجميع وصراخ الفتيات بحماس زائد. نظرت نحو إيان متفاجئة فابتسم لي.

أصر معارفه على أن تكون الرقصة الأولى من نصيب العرسان، فنهض إيان واثقا وهو ممسك بيدي، ثم سار بي على مهل نحو منطقة مخصصة للرقص وبدأ بمراقصتي على أجواء أغنية رومانسية فوضع يديه على خصري وأمرني هامسا بوضع يديّ على كتفيه ومجاراته في رقصته، ما لم يعلمه إيان أنني أجيد الرقص بالفعل، فراما كانت دائما ما تستخدمني كدمية رقص لها استعدادا لمراقصتها فراس يوما ما، من كان يظن أن آمالها قد تحققت ذات ليلة؟ اقترب برأسه مني ثم همس في أذني قوله: "تبدين أجمل مما تخيلت عين الله تحرسك" شعرت بدقات قلبي تضرب بعنف حتى هيء إلي أن ضرباتها كانت صاخبة أكثر من صوت الأغنية عبر المكبرات. قام بعدة حركات رومانسية بعضها أعرفها والآخر أجهلها، لكنني حرصت على مواكبته حتى لا أثير سخرية الجميع مني وخصوصا تلك الطبقة الارستقراطية المخيفة والتي لم يزح أي منهم عيونهم عني من رجال ونساء، فعزوت نظراتهم إلى رغبتهم في البحث عن شيء مميز في هذه النكرة ليرتبط بها إيان، المليونير الوسيم، حلم كل فتاة عزباء. كانت عينا إيان مثبتتين علي طيلة الأغنية، ولو لم أعش معه تجربتي الحقيقية لقلت أنه فعلا مغرم بي، كم هو بارع في التمثيل! اقترب برأسه صوبي ثانية وهمس في أذني: "سامحيني على نظراتي الغريبة لكنني لم أتخيل أن أرى تحفة هذا المساء، أتعرفين النجوم المتراقصة في سماء ليل حالك؟ أنت القمر بدرا يشع بنوره فيسرق تألق تلكم النجوم "

رفعت بصري نحوه مصدومة لكنه قابلني بابتسامته الساحرة، لماذا؟... لماذا تجعل عملية كرهي لك أصعب؟.. لماذا تزيدني محبة بك فيتقطع قلبي ألما على فراقك؟.... أنهى إيان الرقصة بضمي إلى صدره مع تمايل جسدينا بخفة.

اجتمع على منطقة الرقص عدد من المعازيم مع مطلع الأغنية الجديدة وبدؤوا بالرقص والتمايل، سحبتني لورا من جانب إيان وأنا أشعر بالضياع وبدأت بمراقصتي ثم انضمت راما إلينا تلتها تمارا ثم قريباتي أما إيان فأخذ أصدقاؤه ومعارفه بمراقصته، ميزت منهم سمير وخطيب تمارا والسيد يزن فقط. لم أقم بحركات مبهرة بالرقص كما تفعل لورا وراما واكتفيت بحركات خفيفة مع تمايل كتفي. انضمت إلى رقصتنا أخت إيان وبدأت بمراقصتي بمرح عفوي، يبدو أن هذه الأخرى لا علم لها بما يجري حقيقةً خلف هذا الزواج.

ومن أغنية إلى أغنية شعرت بالتعب وأردت الجلوس حتى سمعت صوت إيقاع أغنية أجنبية أعشقها لمغنية تركية الجنسية واعتلت منقطة الرقص وبدأت في الغناء وعيناها علي وهي تتمايل بجسدها بالرقص لنا. فهمت من نظرتها أنها تريدني أن أرقص على أغنيتها، لم أستطع مجاراتها في البداية فحركاتها خفيفة متقنة وكانت ترقص باحتراف، وليست مقيدة مثلي بثوبي الثقيل فوقفت كالبلهاء أمامها أوزع نظراتي نحو الجميع حيث كانوا مستمتعين برقصها ويقومون بمجاراتها. شعرت وقتها بالإحراج وانعدام ثقتي مجددا فهممت بالعودة إلى طاولتي للجلوس عليها حين شعرت بخيال خلفي ففوجئت بيدي إيان تلتفان حول وسطي من خلفي وألصقني من ظهري نحو صدره وبدأ يحرك بخصري لأتماشى مع رقصته، وضعت يدي على يديه لأحاول إيقافه لكنه تعمد تجاهل رغبتي في الهرب وبجسده الذي كان يهتز خلفي أجبر جسدي على التحرك بتناغم معه... شعرت كأن جسدي تم حقنه بالكامل بمخدر من نوع ما، فسرت دغدغات عجيبة في كل خلية من خلاياي، وأنا أستشعر صلابة صدره على ظهري وأشتم رائحته الزكية المسكرة للإحساس وسخونة أنفاسه القريبة من رقبتي. التفّ حولي ليصبح أمامي وهو ممسك بيدي وأخذ يحرك رجليه

مع نغمات الأغنية ويحرك بذراعي لأتحرك معه، شعرت بالخجل ولم أتماشى معه كما يجب واكتفيت بحركات خفيفة حتى انتهت الأغنية حيث بدأت الحركات تشتد في سرعتها وإيقاعها ثم توقف الجميع بتزامن واحد كأنهم تدربوا معها سابقا على أدائها.

كانت يدي ما تزال أسيرة لديه ليبعث في نفسي شعورا غريبا من قربه مني بهذا الشكل، فهمست له متوردة الخدين رغبتي في الجلوس لأريح رجلي من الرقص بهذا الكعب المؤلم. فأوصلني بنفسه إلى حيث كنت جالسة في بداية الحفل.

راما

كان الحفل جميلا ومنسقا بعناية، شعرت بأنني أخون سيلينا باستمتاعي بوقتي، لكن لم أستطع إخفاء بهجتي من سحر المكان ورؤيتي لمغنين كبار أعشقهم، خصوصا إنريكي! كيف استطاع إيان إحضاره إلى هنا؟ كدت أطير من الفرح وأنا أراقبه من بعيد وهو يغني، وأوجعت رأس أمي وأبي بحماسي المفرط من رؤيته. كان أبي ينظر نحوي متقززا من محبتي لمغن لا يتحدث بلغتي ويستحيل أن ينظر نحوي ولو بنظرة.

ربما تتساءلون كيف جاء أبي إلى الحفل، في الواقع وصلت الدعوة إلي باسم والدي وتعمدت سيلينا ذلك حتى تشعره بعظم أهميته، ورجته أن يحضر الزفاف قائلة أن فرحتها لن تكتمل إن لم أشاركها، وبعد توسل كبير وافق على الحضور وخصوصا أن إيان قد دبر مواصلات مؤمنة لكل معازيمه الذين لا يمتلكون سيارات. أما بالنسبة للأطفال فقد أمّن إيان كذلك حاضنات في الفندق لكل من أحضر أطفاله، وهكذا ارتحت من مجالسة سارة أو وسيم ولله الحمد. يا ليت كل العرسان مثل إيان.

اتجه كلا والدي نحو المائدة المفتوحة ليحصلا على ما يشتهيان من طعام، وخصوصا أن إيان قام بتوظيف طهاة كبار، كان الكل مستمتعا بوقته هناك، أردت التوجه نحو سيلينا لأسألها

الرقص ثانية فقد شعرت بأنها تنكمش في كرسيها، لكنني أجفلت على يد تمتد لتوقفني، التفتّ نحو صاحب اليد ففوجئت بفراس، سألته بخفوت عم يفعله هنا ليجيبني بأن إيان قدم دعوة حضور لوالده، بناء على علاقة العمل بينهما. نظرت من حولي لأبحث عن والدي وهمست له: "أمي وأبي هنا، إذا رآك أحدهما سيفهمان الموضوع بشكل خاطئ" جذبني من يدي وهو يومئ برأسه متفهما وجرني معه إلى منطقة معزولة عن الأعين خلف النافورة والأشجار، ثم اعترف أخيرا وقد أصبحنا وحدنا: "لقد اشتقت إليك... كنت منشغلة عني كثيرا في الفترة السابقة... كما أنني أردت مراقصتك قليلا على انفراد، بهرتني بطلتك الأخاذة ولم أتمالك نفسي... كنت موضع اهتمامي طيلة الأمسية"

أشاد بجمال فستاني فابتسمت ساخرة حين استرجعت ذكرى استلام أمي الفستان من عادل الشاب الذي يعمل في بيت لورا، وقد نبهت علي الأخيرة بعدم مناقشتها وأجبرتني على ارتدائه الليلة.

سمعت بداية لحن لأغنية لعمرو دياب بعنوان (أنا ليك) فقفزت من شدة حماسي صارخة: "إيان أحضر عمرو دياب إلى هنا أيضا؟"

مد فراس يده لي طالبا رقصة على أنغام الأغنية فقبلت على الفور وأنا أحاول السيطرة على حماستي من الرقص ثانية برفقته.

بدأ بمراقصتي وهو متعلق بيدي الاثنتين مرة يجذبني قريبا ومرة يرسلني بعيدا وتارة يقوم بلف جسدي تحت ذراعه مراعيا تحريك شفتيه مع كلمات الأغنية وهو يشير لي بعينيه، هل يحاول إيصال رسالة من نوع ما لي؟

انتهت الأغنية وأنا بين أحضانه مسلوبة التفكير ويداه تلتفان حول وسطي، عيناه اللامعتان تتأملان عيني تحت الأضواء الخافتة عقب غروب الشمس في ذاك الوقت، رحلت عيناه

مبتعدتين عن عيني لتحطا على شفتي اللتين زينتهما بأحمر شفاه وردي اللون تتناسب مع لون فستاني، أطال تحديقه بشفتي فشعرت بأنفاسي تتثاقل، قرب رأسه أكثر مني فكدت أستسلم له بالكامل، ثم اتجه بنظره نحو منطقة الصدر من فستاني حيث أعطاه موقعه القريب إطلالة أفضل لمفاتني فتوردت خدوده على الفور وأغمض عينيه مبتعدا عني وهو يبتلع ريقه الذي شعرت بجفافه، ثم همس لي بصوت أجش: "ما رأيك لو نعود؟ سيقلق والداك من غيابك المفاجئ"

كنت ما زلت أشعر بثقل في رأسي وقتها، وكنت أحاول استعادة توازني من اللحظة الحميمية التي كانت وشيكة بيننا. لكن لا أدري لما تراجع في اللحظة الأخيرة.... هل السبب رشا؟ هل هو على علاقة بها ولا يريد خيانتها معي؟ لا تفسير آخر دار في ذهني وقتها.

عدنا منفصلين إلى مقاعدنا، كان والداي مشغولين بالاحتفال والطعام فلم يتنبها إلى غيابي، رحلت عيناي أكثر من مرة باتجاهه وهو جالس برفقة سمير وبعض الأصدقاء، وكان طوال الوقت ينظر نحوي بصمت.

شاركت والديّ تناول الكعك الذي حضر خصيصا لهذه الأمسية وآه كم كان لذيذا! كل لقمة كانت تدخل فمي تذوب بقوام غني وبذات الوقت لم يكن دسما منفرا، بل لذيذا خفيفا وغنيا حيث اجتمعت كل هذه الصفات معا.

تفاجأت بوالدة فراس تقتحم جلستنا من بين الحشود المتراقصين أو المتحادثين. وجهت نظرها نحوي مبتسمة ومدت يدها لتصافحني فوقفت اللقمة في حلقي. نظر إليها والداي متعجبين، فمدت يدها لتصافحهما أيضا وأشادت بجمالي وروعتي وسألتهما إن كانا يريدان أي خدمة، بينما أنا مسلوبة التفكير بوقوفها هنا. أقبل فراس نحونا بسرعة وحاول حث أمه

على الابتعاد ثم ألقى تحية اعتذار لوالدي وسار معها مبتعدا، أما هي فلم تزح عينيها عني وهي تسير برفقته. تساءل والدي باستهجان:" ما خطب هذه المرأة؟ من أين تعرفينها؟"
أجبت على الفور بأول كذبة خطرت في بالي: "رأيتها في بيت لورا مرة"
أما أمي فكانت تنظر نحوي بصمت مريب وكأنها تحاول فهم هوية الشاب وربطه بمواصفات فراس التي عرفتها مني لفظيا، فتجنبت النظر إليها لئلا تسألني شيئا فأتلعثم قبل أن أفكر بكذبة مقنعة. ثم حررتني من نظراتها لتعقب على تعليق والدي حين زل لسانه بإعجابه بجمال تلك المرأة، قائلة له أنه حصل بنفسه على ملكة جمال لكنه لا يقدر النعمة. تركتهما مع جوهما المشحون وشجارهما اللفظي لأنضم إلى لورا وأمضي برفقتها بقية الأمسية.

سيلينا

انتهى حفل الزفاف في وقت متأخر، شعرت معه باستنزاف كل طاقة بقيت لي، راعيت خلال الحفل الحصول على توقيع إنريكي لأعطيه لراما لاحقا، فهي غادرت مع والديها قبل نصف ساعة، لأنني أعلم أنها تعشقه بجنون وطلبت منه أن يكتب: (إهداء خاص إلى راما المميزة) باللغة الانجليزية فوافق مع إضافة عبارة (مع قبلاتي الحارة) عرفت أن راما سيطير عقلها فرحا وستخلد هذا التوقيع إلى أبد الآبدين.
اتجه بي إيان نحو سيارة مرسيدس سوداء فاخرة، وفتح لنا سائقها الباب الخلفي لنصعد فيها، وقفت قبل أن أصعد لأودع أخي وأمي. احتضنت أحمد وهمست له بأنني سأسأل عنه كل لحظة ولن أهمل مسؤوليتي تجاهه عقب زواجي. فأكد إيان أنه سيتكفل به وسيلبي كل احتياجاته، صعدت أولا إلى السيارة وأنا أمسح دموعي الوشيكة، ووقف إيان يحدث جدته وأمي عند الباب.

أطلت علي أخته من النافذة التي بجانبي بعيدا عن الجميع ومدت لي يدها بمغلف صغير أحمر مربع الشكل لا يصل حجمه كف اليد ثم قالت غامزة:

[25]"You don't wonna be pregnant from the first night!"

لم أفهم مقصدها وقتها، إلا حين صعد إيان السيارة وانطلقت بنا، ثم أريته المغلف ببراءة وأخبرته أن أخته أعطني إياه متسائلة عن ماهيته.

نظر نحو المغلف ونحوي مطولا حتى أدرك جهلي التام به، فقال بنبرة طبيعية: "هذا واقٍ ذكري"

فتحت فمي بعدما استوعبت كلامه أخيرا فألقيت المغلف على أرضية السيارة والتفتّ برأسي إلى الجهة الأخرى لأتجنب النظر إلى عينيه بعد هذا الموقف المحرج، ليت الأرض انشقت في تلك اللحظة وابتلعتني. مد يده ليداعب أذني المحمرة وقال ضاحكا: "يا لك من بنت خجولة! انظري إلى احمرارك العجيب"

صفعت يده بعيدا وأزحت نفسي إلى أبعد بقعة في السيارة بعيدا عنه وأصررت على تجاهله طيلة الطريق.

وصلنا قصره أخيرا ثم سألني إن كنت أستطيع السير عقب إنهاكي من ارتداء الكعب العالي طيلة اليوم، فخشيت أن يقوم بتصرف محرج لي كأن يحملني لذا كافحت تعبي وأنا أصر كاذبة أنني بخير.

سألته عن مكان شقيقته فحسب علمي هي تبيت في قصره فأجاب برغبتها النوم في بيت جدتها في هذه الفترة بسبب زواجه، ليأخذ كل منا راحته. هي فعلا تظن أننا ارتبطنا بشكل طبيعي.

[25] "لا تريدين أن تصبحي حاملا من الليلة الأولى"

سرنا في مدخل القصر العملاق، ووقعت عيني على ذات الصالة الكبيرة التي جلسنا فيها سابقا حين كنا نبحث عن سمير، ثم أمسك بيدي ليساعدني في صعود السلالم ليتجه نحو الطابق العلوي، حيث غرفنا، سار معي في الممر الطويل مشيرا نحو الأبواب، ليعرفني ما بداخلها، مكتبه، غرفة نومه، غرفة نوم أخته، صالة رياضية.... فقدت التركيز في كلامه من شدة تعبي وتوتري، ثم أوصلني أخيرا إلى باب في نهاية الرواق، فتحه لي مشيرا بقوله:

"وهذه غرفتك، فأهلا بك في بيتي المتواضع يا حلوتي"

فتحت فمي بانبهار لما أرى أمامي، كانت غرفة عملاقة تحتوي خزانة حائط، وفيها سرير عملاق مغطى بشراشف وردية أنيقة وعلقت في الغرفة أرجوحة لطيفة بيضاء وبجانبها طاولة ومكتبة صغيرة فيها كل كتبي مرتبة ترتيبا هجائيا. وللغرفة باب زجاجي يطل على شرفة مزينة بنباتات الزينة الملونة الزاهية.

وضع يده على كتفي فاستدرت برأسي نحوه، ابتسم لي وقال: "بيتي هو بيتك فخذي راحتك، أتمنى لك ليلة طيبة يا عروسي الجميلة"

اقترب مني وفاجأني بطبعه قبلة على خدي فشعرت بأنني سيغشى علي، ثم سار مبتعدا نحو الباب بعدما أوصاني باللجوء إليه إن أردت شيئا، مشيرا إلى أن غرفته في نهاية الرواق من الجهة الأخرى.

اتجهت نحو السرير لأجلس عليه وألقيت نظرة أخرى متفحصة نحو الغرفة، وجال في بالي كل الانكسار والحطام الذي سأعانيه حين أغادر قصره، كما شعرت بالخيبة من كوني عروسا على ورق. أخذت لحظة تأمل لكل ما عشته وما سأعيشه لأتبين فعلا أنني فتاة لعب الحظ لعبته القذرة معي، فخدعني بوهم سيرحل، فسلب مني حبيبا قد تجرعت المر لأنسى

حزني على فراقه، ثم ها هو يعيد اللعب بي بقسوة ليسلخ قلبي من جسدي وأراه يتحطم أمام عيني عاجزة بلا حول ولا قوة.

لم أقاوم دموعي هذه المرة وقد كافحت جاهدة ألا تهزمني في الحفل أمام الجميع، وبكائي في أحضان أخي لم يكن إلا مجرد تنفيس. وحينما تأكدت أنني بت الآن بمفردي أطلقت العنان لنحيبي المتواصل طيلة الليلة ولا أدري كيف نمت أثناء دموعي وأنا أحتضن نفسي على السرير وما زلت أرتدي ثوب الزفاف.

الفصل العشرون

انتبهت من نومي على صوت امرأة ما تهتف لي وتهزني من ذراعي، نهضت متثاقلة بعينين نصف مغلقتين بينما أحاول فهم معالم المكان الذي أنا فيه، ألقيت نظرة نحو الأسفل فلمحت فستان الزفاف ما زال يغطي جسدي، لحظتها عاد إلي وعيي وومضت مقتطفات من أمسية البارحة في مخيلتي من بينها قبلة إيان على خدي، فوضعت يدي على خدي تلقائيا. أخيرا تنبهت إلى الزائر المقتحم غرفتي، فقد لمحت خيالا يقف أمامي فأجفلت، فقابلتني بقولها: "صباح الخير يا سيدتي، تبدين متعبة يا صغيرتي، هل ترغبين بأن أقدم لك المساعدة في شيء؟"

أول رد خطر في بالي سؤالي لها: "من أنت؟"

ابتسمت ابتسامة سمحة وأجابتني: "أدعى السيدة سوزان وأنا مدبرة المنزل، يمكنني أن أساعدك في خلع هذا الثوب أو إزالة مستحضرات التجميل عن وجهك...."

قاطعتها مشيرة بيدي بالرفض قائلة: "شكرا لك أستطيع تدبير أموري بمفردي"

هزت رأسها كعلامة على قبولها رفضي ثم قالت: "إذن سأعد لك الفطور، ستجدين كل شيء جاهزا في المطبخ، إنه قريب من غرفتك لن تتوهي"

ثم استأذنت وانصرفت، أما أنا فقمت لأجاهد نفسي للخروج من هذا الثوب، يا ليتني قبلت بمساعدتها فلم أكن أعي صعوبة خلعه إلى أن حاولت، وكما أن عملية تنظيف وجهي واستحمامي أخذت جهدا أكثر مما تخيلت، فبسبب بكائي الشديد تلطخ وجهي بالدموع فوق مساحيق التجميل فبدا مظهري أقرب إلى تلك الفتاة المرعبة من فيلم رعب يدعى (The ring) .

سرت في الممر باحثة عن المطبخ بينما أحاول مصارعة الألم في رأسي من كثرة ما بكيت في الأمس حتى وجدته في منتصف الرواق بحيث صمم بمدخل مقوس لا باب له.

ولجت إلى الداخل ملقية بالتحية على ذات المرأة لتقابلني بابتسامتها مجددا، ثم سألتها بتردد: "ءءء... لم أجد ثيابي في الخزانة... هل لديك علم بمكانها؟"

كنت أرتدي فستانا خريفيا أحمر وأسفله كيلون أسود، عثرت عليهما في خزانة الحائط المليئة بالكثير من الملابس الأنيقة والأحذية ذات الماركات العالمية.

اتجهت نحو خزانة علوية للمطبخ وأخرجت منها صحنا وضعته أمامي لتفرغ فيه عجة البيض التي حضرتها لي، وأجابتني بينما تسكب لي كأسا من الشاي: "السيد أمرنا بالتخلص من ملابسك القديمة"

أجبتها من فوري بدهشة غاضبة: "لماذا؟"

وضعت أمامي منديلا نظيفا مرتبا بجانب الصحن وأجابت بهدوء: "هو لم يقل، لكنني أظن انه أرادك أن تتخلصي من ملابسك القديمة لأنك لن تحتاجي إليها مقارنة بالملابس التي ابتاعها فهو اختار كل قطعة بعناية "

حاولت قدر الإمكان طرد صورته من مخيلتي وهو ينتقي قطعا مناسبة لي، بينما كنت أتأمل الفستان الذي أرتديه، ووجهت تفكيري نحو حنقي من تصرفه، كيف يظن أنني لن أحتاج إلى ملابسي القديمة؟ إنني أحبها فكل قطعة ارتديتها كان لها معنى في قلبي، كنت أحب كنزتي الكبيرة المرسوم عليها أرنب كبير، وبيجامتي التي زينت برسومات السلاحف الظريفة، وغيرها الكثير من القطع المميزة بالنسبة لي، كيف طاوعته نفسه على التخلص منها؟ لماذا يصر على التصرف بما يشاء هو ويتجاهل أهوائي؟

طلبت مني السيدة سوزان أن أباشر بتناول طعام الإفطار، فتذكرت أنني لا أعيش هنا وحدي فسألتها مجددا: "ألن يتناول إيان فطوره؟ أم أنه ليس من النوع الذي يأكل صباحا؟ أو أن له طقوسا أخرى؟"

أو أنه لا يرغب بتناول الطعام معي! ضحكت السيدة سوزان وهي تتجه نحو المغسلة لغسل الأدوات التي أعدت بها الطعام وأجابتني: "أبدا يا حلوتي هو منتظم نوعا ما بتناول وجبة الإفطار، لكن لا موعد محدد له، فقد خرج في الصباح الباكر اليوم من أجل موعد لصفقة ما ولم يشأ إيقاذك"

شردت في كلامها قبل أن تضيف: "السيد لا يكثر تواجده في البيت، فهو دائم الانشغال بين دراسته الجامعية وعمله في الشركة وصفقات العمل والأمسيات التي يقضيها برفقة رجال الأعمال، لذا من النادر تواجده هنا، وإذا جاء يكون ذلك لاستقبال ضيوف أو ليتدرب على السباحة، أو ممارسة الرياضة"

لم أعلق على كلامها واكتفيت بتناول طعامي شاكرة لها جهدها في صنعه، عرفت بعض الأشياء عنها، فهي امرأة خمسينية أرملة قضت عمرها في خدمة إيان ورعايته وخصوصا بعد مرض أمه، ووصفت نفسها بأن علاقتها به وثيقة فهو يأتمنها على كثير من الأسرار فنما في داخلي شعور بعلمها باشتراطي بأن يبقى زواجنا حبرا على ورق.

وربطت ذلك بلحظة دخولها غرفتي، فهي لم تبد متفاجئة من نومي في غرفة مستقلة عن إيان، ولم تعلق حين رأتني عالقة في فستان الزفاف ليلة كاملة. احمرّ وجهي سريعا من كشفها لحقائق كهذه وربما أحست هي بذلك فقالت لي: "اطمئني يا صغيرتي أنا لست من هواة النميمة وأجيد الاحتفاظ بأسرار سيدي"

تجولت في البيت لأتعرف معالمه قليلا، علمت أن الطابق العلوي هو من مسؤولية السيدة سوزان فقط ولا يسمح لأحد بالصعود ما عدا مارك، حارس إيان الشخصي، وهي بالإضافة إلى من يسمح لهم إيان بالصعود مثلي ومثل أخته وجدته أو أي أحد يستدعيه بنفسه.

هذا الطابق يحتوي على أربع غرف للنوم مع وجود حمام في كل منها، بالإضافة إلى حمام خارجي في الرواق قريب من المطبخ، كما يوجد غرفة خاصة للملفات والأشياء المهمة له وتبقى مغلقة دائما، وكما أرشدني سابقا فمكتبه على اليمين وغرفة التمارين إلى اليسار.

الطابق السفلي كان أكثر اتساعا وفيه صالتان عملاقتان مفتوحتين على بعضهما تحويان أرائك فخمة وتحفا تزين الزوايا ومائدة طعام عملاقة، وطبعا لا ننسى الصالة الثالثة وهي الصالة الصغيرة مقارنة بهما تلك القريبة من السلالم حيث جلسنا عليها، ويوجد مطبخ آخر يستخدمه حين يقيم مأدبة في بيته أو اجتماعا لرجال الأعمال، ويوجد ثلاث حمامات متقاربة، ومكتبة عملاقة فيها الكثير من الكتب وأجهزة حواسيب حديثة، بالإضافة إلى قسم خاص للخادمات، أما الحراس فلهم مبنى خارجي يبيتون فيه.

لإيان خمس خادمات كلهن أعمارهن صغيرة لا تصل الثلاثين، يرتدين لباسا موحدا ومهمتهن متابعة نظافة الطابق الأرضي والحديقة، وإكرام الضيوف وتأمين النواقص في المطبخ أو عدة التنظيف.

استقر بي المطاف في المكتبة، وذلك لأنني أعشق الكتب ورائحتها، فاخترت كتابا عشوائيا واتجهت إلى الصالة لقراءته حين فوجئت بقدوم جدة إيان السيدة جينيفر إلى القصر، كانت تتحدث مع السيدة سوزان عند السلالم فوقع نظرها علي وأنا مقبلة من ناحية المكتبة.

نظرت نحوي متفحصة ثم قالت للسيدة سوزان: "أبلغي إيان أن يتصل بي لدى عودته، لدي سمسار أريد منه أن يتفق معه على بعض الأمور"

أظهرت السيدة سوزان احترامها لأمرها ثم استدارت لتبتعد، لكنها توقفت للحظة والتفتت إلينا من جديد وقالت وهي تشير إلي: "جهزي البنت لأمسية اليوم، لا أريدها أن تظهر بمظهر غير لائق أمام الجميع"

ثم أردفت موجهة حديثها إلي: "أوصلي سلامي إلى زوجك يا سيلينا"

وغادرت دون قول المزيد، حضورها القوي زرع في قلبي الخوف منها، حاولت السيدة سوزان طمأنتي إلى أنها ليست بذلك السوء، لكنها فشلت في إقناعي.

سألتها عن أمسية الليلة فأعلمتني بقدوم رجال أعمال وبعض من أقاربه من أجل تهنئته بالزواج. عدت إلى الطابق العلوي وصعدت السيدة سوزان خلفي لكنني توقفت في منتصف الطريق حين رأيت امرأة تهم بنزول السلالم، لها شعر قصير أسود وعينان عسليتان وكانت ترتدي فستانا قصيرا ضيقا أبيض اللون، توقفت هي بدورها حين لمحتني ثم جاء صوت السيدة سوزان من خلفي تخاطبها: "هل تحتاجين إلى خدمة أخرى يا آنستي؟"

ابتسمت وهي تنظر إلي وأجابتها: "لا، لقد أنهيت مهمتي، يتوجب علي العودة إلى المكتب الآن"

هبطت السلالم حتى أصبحت مقابلي، مدت إلي بيدها تطلب مصافحتي قائلة: "مرحبا سيدتي، لي الشرف بمقابلتك، أتمنى لك يوما سعيدا"

تركت يدي ولساني عاجز عن الرد عليها بينما أتامل جمالها وألف سؤال يدور في بالي عن سبب صعودها إلى الطابق العلوي، ما إن اختفت حتى أسرعت بسؤال السيدة سوزان

عنها، فقالت: "هذه مساعدة السيد الخاصة تدعى الآنسة أماندا، كان قد أوصاها بإيصال بزته من محل التنظيف لتعلقها في مكتبه ليرتديها لأمسية اليوم"

أغاظني فكرة امتلاكه لمساعدة خاصة بهذه الجاذبية وهذا الجمال مع امتلاكها جسدا جميلا يشبه قوام راما، وزاد غيظي معرفتي بأنها عزباء حين وصفتها السيدة سوزان بكلمة الآنسة، ناقوس الخطر بدأ يدق في داخلي.

عاد إيان مساء وكنت في غرفتي أشعر بالملل يقتلني، كنت قد حادثت أحمد واطمأننت إلى كونه بخير، فقد أعلمني أن إيان أرسل إليه مدبرة منزل لترعى حوائجه من طعام وغسيل، وحادثتني أمي لتطمئن على حالي، وتعتذر عن عدم قدرتها على المجيء إلي بسبب جدول أعمالها الممتلئ، لكنها لم تفوت سؤالها عن حالي وما جرى معي ليلة الأمس فسألتني:

"كيف سارت أمورك الليلة الفائتة؟"

أجبتها متلعثمة بكوني بخير، ويبدو أنها شكت بخطب في نبرتي فسألتني مجددا بصوت منخفض أشبه بالهمس: "هل كل شيء على ما يرام؟ هل نزفت كثيرا من الدماء؟"

قطبت حاجبيّ بعدم فهم محافظة على صمتي ثم أدركت أخيرا مقصدها حين تذكرت حديث لورا سابقا لنا عن ليلة الزفاف، فاحمر وجهي لدرجة جعلتني أشعر بحرارة تشتعل على خدي فأجبتها بنبرة كانت أعلى مما توقعت: "أمي لا يمكنك أن تسأليني أسئلة كهذه!"

أجابتني بنبرة حادة بأنها أمي ولها الحق في الاطمئنان علي، وأن سؤالها لا يعتبر غريبا حسب ما تجري عليه العادات لدينا.

بعد أن أنهيت مكالمتي غير المريحة معها جمعت راما ولورا في مكالمة جماعية لأطلعهما على ما خبرته حتى الآن في هذا المكان.

سمعت أصواتا في الخارج، ففتحت الباب لأتفقد الأمر حين وجدت إيان يتحدث مع السيدة سوزان، كان واقفا يرتدي بزة عسلية اللون قميصها أبيض ويحمل في يده سترة البزة، حين رآني ابتسم لي فتوردت خدودي على الفور، اقترب مني وقال: "كنت قادما إليك لأطمئن عليك، هل تحتاجين إلى أي شيء؟ هل ينقصك شيء؟"

هززت رأسي نفيا بإحراج، ثم التفت نحو السيدة سوزان وقال: "ألبسيها الفستان الفيروزي والحذاء الفضي، سرحي شعرها ليكون منسدلا ولا تكثري من مساحيق التجميل... وصحيح ضعي في رقبتها عقد الألماس الذي اشتريته عصر اليوم"

وقفت كالبلهاء أستمع إليهما وأنا أتساءل إن كان يتحدث عني أم لا، وحينما غادر سارت نحوي السيدة سوزان لتدخلني غرفتي وتبدأ عملية تجهيزي. كان الفستان الذي أمر به إيان طويلا بأكمام بحيث يغطي الركبة وله فتحة جانبية تصل الفخذ، صدره مفتوح قليلا فأثار استيائي لذا طلبت منها شيئا يغطي منطقة الصدر فعلقت في رقبتي عقدا مرصعا بالألماس ليخفي قدر المستطاع المنطقة المكشوفة. كان العقد ثقيلا وتخيلت لو أنني سرت به في الشارع فبالتأكيد سيتم اختطافي وربما قتلي ليحصل عليه أصحاب النفوس الضعيفة فسرت رعشة في جسدي من مجرد تخيل ذلك.

أوصلتني السيدة سوزان إلى السلالم لأهبطها بمفردي نزولا، سمعت قهقهات وضحكات فشعرت بالجبن على الفور وهممت بالعودة إلى غرفتي، لكن السيدة سوزان بقيت واقفة نهاية السلالم لتتأكد من نزولي بسلام، فاضطررت لإكمال سيري.

اتجهت نحو الصالة الكبيرة ثم وقفت عند بابها مترددة، اتجهت بعض الأنظار نحوي فتظاهرت بعدم انتباهي للعيون المسلطة علي، ولمحت إيان يتوسط المكان واقفا بيده كأس من العصير وهو يتجاذب أطراف الحديث وإلى جانبه مساعدته التي رأيتها عصر اليوم،

حينما رآني اعتذر من الأشخاص الذين يكلمهم واتجه نحوي، مد ذراعه لتستقر على كتفي البعيد عنه ليجذبني إليه ثم سار بي نحو مكانه الذي تركه.

أنزل يده لتلامس خصري فغلبني الحياء، ثم علق أحد الرجال بقوله: "لم نتوقعها بهذا الجمال، أحسنت الاختيار يا إيان"

ثم علق آخر: "كان الفضول يقتلني لأرى الفتاة التي ستستعمر مملكتك، كنت أحدث نفسي بأن عليك اختيار فتاة ناعمة لتتناسب مع شخصيتك، وها قد بهرتنا"

احمرّ وجهي خجلا بينما أخذ الرجال يتغزلون بي، فغرس في داخلي شعورا بالنفور، وما جعلني أتضايق أكثر أن إيان استقبل كلامهم برحابة صدر دون إظهار أي نوع من الغيرة، ربما لأنه لا يحبني، لكن على الاقل لن يضره لو تظاهر بالحميّة قليلا تجاه زوجته. أو ربما... ربما في مجتمعهم الأجنبي هم معتادون على ذلك، سأتظاهر بأن هذا هو السبب حتى لا أموت بقهري.

أخذوا يتحدثون فيما بينهم بينما أحافظ على صمتي وشعرت بالغيظ لوصفهم مساعدته بالجمال أمامه، ومدحها وتلقيبها بأفضل مساعدة وطلبهم منه استعارتها بعبارات مازحة، بينما يرفض طلباتهم مبتسما وهو يردد حاجته المستمرة لها وعدم قدرته على العيش يوما دونها، ما هذا بحق الجحيم؟ هل يتغزل بها؟

كانت أماندا من جهة أخرى تبتسم مستمتعة وكلما مدحها إيان بكلمة تمسح على ذراعه فازداد غيظي أكثر فأكثر حتى انسلخت من أسره لي وآثرت الابتعاد قليلا لأستقر جالسة على أريكة منفردة تحت النافذة بعيدا عن الكل.

نظر إيان نحوي متعجبا وأشار لي بعينيه أن أعود لكنني آثرت الرفض فتجاهلته وأبعدت بصري عنه نحو إحدى التحف وعلقت بصري عليها.

طالت الأمسية على غير ما أملت، وأنا لست معتادة على الاختلاط بهذا الكم الهائل من البشر، لذا قررت النهوض والاتجاه نحو الشرفة لأتنفس قليلا من الهواء النقي بعيدا عن رائحة سجائرهم التي تذكرني برجال المافيا، نعم ذاك النوع من السجائر الكوبية الممتلئة ذات اللون البني العتيق.

في البداية كان إيان يراقبني بنظراته فلم أجرؤ على الابتعاد أكثر، ثم وجدته منشغلا بالحديث مع رجل خمسيني ومساعدته تلك لا تفارقه أبدا، فتحينت الفرصة وسرت باتجاه الحديقة لعلي أبتعد عن هذا الزحام قليلا وأبعد بصري عنهما لئلا أجنّ، جلست على حافة النافورة وأنا أراقب السماء المتلألئة بالنجوم وأذكر نفسي بأن نهاية هذا الزواج نهاية مأساوية وشعوري بالغيرة عليه لن يقدم ولن يؤخر من الأمر شيئا، حينها سمعت صوتا رجوليا خلفي يتكلم: "كنت أظن أن القمر لن يظهر في السماء الليلة ففوجئت به قد هبط على الأرض"

نهضت لألتفت خلفي فوجدت رجلا أربعينيا يرتدي بزة بنية مع قبعة مماثلة باللون، سار باتجاهي فتوجست منه خيفة، حتى توقف قريبا مني وهو يتأمل السماء ثم نظر إلي مبتسما وقال: "أحيانا أكره فكرة كوني عما لفتاة مجنونة لكن... الأقرباء أولى بالمعروف أليس كذلك؟"

شعرت بالتّيه من كلامه وقبل أن أسأله عم يعنيه وإذ بي ألمح فتاة شقراء ذات عينين زرقاوين، تظهر من عتمة الليل لتستقر واقفة بجانب الرجل، كانت جميلة بشكل لا يصدق ولو لم تكن أمامي لظننت أنها صورة معدلة ببرنامج تعديل الصور.

كانت ترتدي فستانا أنيقا طويلا وتنظر نحوي ببرود، تأملتني من رأسي إلى أخمص قدمي ثم قالت دون مقدمات: "أنت سرقت مني حب حياتي، تلك الشقراء كانت غطاء حتى

يتزوجك أنت! لكن ما لا أفهمه كيف يرتبط بقبيحة مثلك؟ لست مميزة بشيء! لن أسامحه! سأحطم قلبه كما حطمني!"

رويدا رويدا بدأت أدرك أخيرا بأن هذه الفتاة هي ذاتها المدعوة ميريدث، شعرت بالذعر في كل خلية في داخلي، فقلت بسرعة لأدرأ عن نفسي حقدها: "الأمر ليس كما تتوقعين! لقد فهمت الموضوع خطأ"

رفعت يدها في وجهي لأسكت فشعرت بالذعر منها ولم أزد، اقتربت أكثر من أمامي وقالت: "اتركيه حالا، اخرجي من حياته وإلا أصابك ما لا تحمدين عقباه"

نظرت نحو الرجل مرتعدة وخطوت خطوة للخلف لكنني اصطدمت بصدر رجولي فشلّ حركتي، التفتّ خلفي فوجدت رجلا عملاقا يرتدي بزة رسمية، أمسك بذراعي وجذبني خلفه ثم قال بنبرة غليظة: "can I help you?"

لوح الرجل بيده ساخرا وهو يقول أن كل شيء على ما يرام، حينها ظهر إيان من العدم وتقدم ليقف بين الرجل الممسك بي والآخر المخيف برفقة تلك المجنونة، نظر إيان نحوهما محتدا وقال: "إن قدمتما للتهنئة فأهلا بكما، لكن إن حاولت تعكير مزاج زوجتي فارحلي يا ميريدث، إنها ليست بحاجة إلى تهديداتك، تعرفين أنني لن أسمح لك بأذيتها"

ضحك ذاك الرجل مجددا وربت على كتف الفتاة وقال: "ما هذا الكلام يا إيان؟ طبعا قدمنا لتهنئتك! بالمناسبة أحسنت الاختيار إنها فتاة جميلة وحساسة"

لم يجبه إيان بأي كلمة واكتفى بنظرة باردة نحوه، ثم التفت نحوي وأحاطني من ظهري وسار بي مبتعدا وهو يهتف شكرا للرجل ذي البزة حيث علمت أن هذا هو حارسه مارك، تذكرت وقتها أنني رأيته من قبل يوم زفافي وحين قام إيان بدعوة راما إلى المطعم قبل فترة.

نبهني إيان على عدم الابتعاد عنه ثانية وأكد علي البقاء في المحيط الذي يغطي بصره لكنني أصبت بالعناد في تلك اللحظة، فنار قلبي لم تهدأ بينما صورته مع مساعدته وهما قريبان من بعضهما تهاجم مخيلتي بقوة، فأسرعت الخطى مبتعدة عنه قائلة: "كف عن التظاهر بأنك مهتم بأمري، تصرف على سجيتك وكفاك تمثيلا، أنت لا تحبني ولا تكن لي المودة، وجودي في حياتك مؤقت فتصرف على هذا الأساس يا لك من متملق!... إن كانت تلك المجنونة تحبك فتزوجها ماذا ينقصها؟ ثم أنك لا تهتم إن ارتبطت بفتاة لا تحبها فها قد ارتبطت بي!" تركته هائما على وجهه واتجهت نحو مدخل آخر للقصر بعيدا عن الضيوف، صعدت إلى غرفتي وخلعت العقد الذي شعرت به يخنقني ورميته على المنضدة ثم اتجهت إلى الحمام لأقوم ببلّ وجهي بقليل من الماء، كنت مهتاجة، مغتاظة بشدة لدرجة جعلتني أشتعل وسط نيراني.

اقتحم إيان غرفتي دون استئذان فهممت بطرده لكنه هاجمني أولا بقوله: "سواء كان زواجنا مؤقتا أم دائما فلا يحق لك أن تكلميني بهذه الطريقة، أنا زوجك ولست ولدا أحمق لتصرخي بي بهذا الشكل! ولمعلوماتك أنا لا أمثل، وعدتك سابقا أن أكرمك وألا يطأك ذل في بيتي هل تعرفين لماذا؟ لأنني أحترمك، الاحترام لا يحتاج إلى الحب حتى نهبه للآخرين"

أشرت له نحو الباب صارخة: "اخرج! عد إلى حبيبتيك ميرديث وأماندا!"

فتح عينيه بذهول ثم قال: "أهذا هو الأمر؟ غيرة؟..... أماندا مساعدتي منذ الأزل! وهي تكبرني بخمس سنوات! لو أردتها زوجة لما توانيت عن طلب يدها، إني لا أرى فيها مقومات زوجة لي، كما أنها لا تكن لي أي مشاعر مما تظنين! وميريدث؟ ألا تذكرين حديثنا حين قلت لك أنني لا أطيقها؟"

دعك جسر أنفه بين عينيه ثم أضاف: "منذ اللحظة التي تمت فيها خطبتنا راعيت إكرامك فبماذا قصرت بحقك؟ أجيبيني! "

صرخت به: "أنت تفعل كل شيء وحدك ولا تأخذ بمشورتي! لست مهتما بآرائي فحتى ملابسي قد تخلصت منها دون الرجوع إلي!"

رفع حاجبيه وقال مستهزئا: "بيجامات تساوي ضعفين من حجمك؟ أم كنزاتك التي تضيعين في داخلها؟ أم تلك القطع المزينة برسومات كرتون؟"

احمرّ وجهي وشعرت بالخزي من ملابسي الطفولية، فقد فهمت تلميحه، ثم زاد: "أنت زوجة إيان هودج! لن تسيري في الشارع في ملابس... اعذريني على الوصف ... ملابس طفولية رخيصة"

سار نحو خزانة الحائط وفتح بابها وقال وهو يشير إلى داخلها: "عوضتك بملابس ترقى مستواك وراعيت اختيار قطع قطنية وحريرية ومن أجود أنواع القماش! نظرت إلى الجزء الفارغ من الكأس ولم تري كل هذا؟!"

ختم قوله وهو متجه نحو الباب وقال: "لا أسمح لك بأن تصفيني بالتملق، فأنا أتصرف على سجيتي معك، لا تحكمي علي بأهوائك لتظهري نفسك ضحية، أثبتّ لي اليوم أنك فعلا طفلة.... اكبري!"

استسلمت لدموعي فور إغلاقه الباب، ثم هبطت أرضا أحتضن وجهي بين كفيّ.

اختلطت الكثير من المشاعر في داخلي بين ندم على كلامي السخيف معه وغيرتي التي ليست منطقية أبدا نظرا لعلاقتنا الرسمية، عدا عن شعوري المجروح من توبيخه الحاد لي.

علمت من السيدة سوزان في وقت متأخر من الليل بأن أصوات صراخنا كانت مرتفعة فوصلت للطابق السفلي مما أثار الجلبة بين الضيوف وأدركوا أن ثمة خطبا بيننا، لكن إيان

كذب عليهم بقوله أنني أعاني توعكا صحيا لا شيء آخر. ومع ذلك فإني أشك بأنهم خدعوا بذلك.

غاب إيان في الأيام التالية عن القصر ولم يكن يعود إلا في وقت متأخر ومع أن السيدة سوزان طمأنتني إلى أن هذا طبيعي منه إلا أن ثمة شيئا ما في داخلي ينبؤني أنه يفعل ذلك متعمدا حتى لا يلتقي بي.

عدت إلى الجامعة بعد أسبوع غياب أمضيته حبيسة غرفتي وأفكاري المحبطة ومكالماتي مع أحمد للاطمئنان عليه أو تلك مع أمي التي تزيد من إحباطي بسؤالها الدائم والمتكرر إن كنت أحسن معاملة إيان حتى لا ينتهي بي المطاف مطلقة ، كم أكره تخيل تعابير وجهها حين أعود إليها فعلا مطلقة.

لم أتواصل مع راما ولورا في تلك الفترة فأم راما مرضت بالحمى وطال مرضها فكان على راما أن تسد عملها حين تعود من الجامعة، أما لورا فكان لدى أهلها مناسبات كثيرة وأفراح فلم تجد وقتا لمهاتفتي.

عدت إلى الجامعة برفقة زائر، فقد نبه إيان على أحد حراسه بمتابعتي دائما أينما ذهبت ووكل الحارس بمهمة إيصالي من وإلى الجامعة. بالنسبة لي فلم يكن ذلك مقبولا البتة.

راما

فوجئت عند عودة سيلينا إلى الجامعة بذاك الرجل العملاق الذي يسير خلفها، فاستطاع صرف انتباهي عن تغييرها نمطها في اللباس، فلم يتركها في حال سبيلها حتى أنه سمح لنفسه بدخول القاعات والوقوف بجانب الحائط ليبقي بصره عليها بأمر من سيده، ولم يجرؤ أحد من الأساتذة بمجادلته أو طرده، ذلك لأن هيئته كانت تدب الرعب في قلب من

ينظر إليه، فهو ضخم الجثة يرتدي نظارات قاتمة، له فك متين ويوصل سماعة إلى أذنه طيلة الوقت، كما أنه يحمل سلاحا مرخصا، والأهم من كل شيء أنه أحد حراس إيان.

جلسنا ثلاثتنا أنا وسيلينا ولورا في الكافتيريا لنشرب القهوة عقب المحاضرة الأولى، سألتني لورا عن وضع أمي فأجبتها بعد تنهيدة: "حمدا لله لقد أصبحت أحسن حالا، على الأقل فهي ستتمكن من الطبخ وتريحني من عناء إطعام العائلة طعاما محروقا وأتخلص من تعليقات سارة وأبي عن كوني طاهية فاشلة"

التفتت نحو سيلينا ثم سألتها: "وأنت؟ ما آخر المستجدات بينك وبين إيان؟"

نظرتُ مع سيلينا نحو الحارس الشخصي الواقف بالقرب من طاولتنا ثم همستُ لسيلينا: "هل يسمعنا إذا تكلمنا؟"

تولت لورا الإجابة بنبرة متهكمة: "طبعا يا فالحة فهو إنسان وليس آلة"

جادلتها بقولي: "ليس هذا قصدي، وإنما أعني هل يفهم ما نقوله؟"

أعادت إجابتها بتهكم: "أكيد! فهو إنسان وليس حيوان!"

زمجرت بغضب وقلت: "لم أعني هذا!"

قاطعتني سيلينا أخيرا موضحة استفساري: "هي تعني هل يتكلم لغتنا أم أنه أجنبي؟"

هزت لورا كتفيها بغير علم مجيبة: "لا أدري صراحة، لو سألتني عن مارك لقلت لك أنه أجنبي بحت أما بقية حراسه فمنهم الأجنبي ومنهم العربي، وهذا لا أدري ما موقعه من الإعراب"

سكتت لوهلة ثم أضافت: "علينا أن نكتشف ذلك بأنفسنا"

التفتت نحوه وهتفت له: "أنت! احضر لي كوب قهوة!"

بقي وجهه بلا تعبير ولم يحرك ساكنا، فنظرتُ إليها معاتبة وقلت: "إنه حارس وليس خادما!"

التفتت نحوه مجددا لتسأله عن اسمه فلم يجبها مجددا، لوهلة ظننته ميتا، همست لها بصوت مسموع أن تسأله ما ناتج جمع واحد مع واحد فضحكت أما سيلينا فهزت رأسها غير راضية وهي تنعتنا بالمتنمرتين.

أعادت لورا تركيزها معنا متجاهلة وجوده وسألت سيلينا: "إذن قلت لنا أنك تشعرين بالحنق لتخلصه من ملابسك القديمة؟ حقا يا سيلينا؟ تلك الملابس سخيفة وهي تعطي انطباعا لكونك طفلة! تذكري أنت في عيون المجتمع امرأة وزوجة لرجل أعمال محترم!"

سيلينا لم يبدو عليها الاقتناع وأبدت استياءها بتعابير وجهها، بالنسبة لي كنت أرى أن لإيان وجهة نظر أيضا، لكنني لم أرغب في إزعاجها في عرض رأيي، سألتها لورا: "لم تقولي لي ما أنواع الملابس التي جهزها لك؟ هل اختار لك شيئا عرائسيا؟"

احمر وجه سيلينا على الفور وأبت إجابتها لكنها استمرت بإزعاجها بقولها: "أقول لك يا بنت ارتدي شيئا فاضحا أمامه فتنمو رغبته فيك فلا يطلقك"

سمعنا نحنة مع كحة فالتفتنا نحو الحارس لنلمح وجهه محمرًا بشدة، أدركنا وقتها أنه يفهم العربية، فلطمنا أفواهنا أما سيلينا غطت وجهها المصبوغ بالحمرة. في ذاك الوقت وردتني مكالمة من فراس فنهضت على الفور وقد جاءتني فرصة ذهبية لأهرب من الأجواء المحرجة التي تسببت بها لورا لنا.

التقيت بفراس في شارع كلية الآداب ثم جلسنا على أحد المقاعد أمام الباحة التي تقود إلى مدخل الكلية، كان في يده لوح من الشكولاه قام بتقسيمه إلى نصفين وعرض علي نصفا لأتناوله، رفع رجلا فوق الأخرى ثم سألني عن وضع أمي الصحي، فبسبب مرضها

انشغلت عن الكل بمن فيهم هو وسيلينا، ثم سألني عن سيلينا وعن أمورها موضحا بعبارات متقضبة شعوره بالأسف نحو أوس الذي رفض حضور الزفاف مع والديه حسرة على عدم قدرته على الارتباط بها، الحق يقال إن كان يرغب بها إلى هذه الدرجة فلماذا لم يتقدم لطلبها سابقا؟ إن كنت إنسانا خجولا فعليك رمي خجلك جانبا حين تقاتل من أجل من تحب، هذه هي قناعتي.

أخذ فراس نفسا عميقا ثم التفت نحوي وعلى محياه تردد ثم قال أخيرا: "والآن بما أن أمك تحسنت.... فهل.... هل تقبلين بدعوة أمي لك على الغداء؟ اختاري أي يوم ترتاحين فيه"

ظهر الارتباك سريعا على وجهي ولم أعرف بم أجيب فأصر علي بقوله: "رجاء! أريحيني من إلحاحها المستمر"

سألته عن سبب إصرار أمه العجيب على لقائي لكنه أجابني بأنها تتصف بهذا الطبع وتقحم أمورها في حياته الشخصية دائما، وبالرغم من إجابته الثابتة ودون أن يرمش إلا أنني اسشتعرت كذبه، شيء ما في داخلي ينبؤني أن ثمة سببا آخر خفيا لا يريدني أن أعلمه.

ألح علي من جديد بقوله: "أرجوك اقبلي! سأريك حديقتنا... سنطهولك ألذ أنواع الطعام! سأعد لك بسكويتا مخبوزا بيديّ"

التفتّ نحوه مستمتعة وسألته: "أتجيد الخبز؟ حسنا أيها الطاهي البارع ماذا تجيد أيضا؟"

أجابني مع ابتسامة: "أجيد العزف على الجيتار... أعشق السباحة... ألعب الكرة... القائمة طويلة بعض الشيء لكنني يمكنني عرضها عليك حين تحلين ضيفة في بيتي، ما رأيك؟ هلّا وافقت؟"

وعدته بأن أجد وقتا لزيارته خلال هذا الأسبوع بعد الكثير من الرجاء والتوسل، نهضت لأتركه عودة إلى الكلية فقد اقترب موعد محاضرة اللغة الانجليزية، حاول التشبث بي

وأمسك بكف يدي متوسلا أن أبقى معه لكنني رفضت بين ضحكاتي ومشاكسته. في النهاية تمكنت من تحرير نفسي وسرت عائدة نحو الكلية وكلما التفتّ خلفي وجدته يتابعني بنظراته من بعيد فيزداد قلبي خفقانا.

قبل أن أصل مدخل الكلية شعرت بقبضة خشنة توقفني ثم فوجئت بوجه فتاة غاضبة تنظر نحوي بازدراء، راجعت قائمة معارفي في ذهني حتى تذكرت هوية الفتاة، فهي إحدى صديقات لورا المتغطرسات وتدعى نرجس، وكانت إلى جانبها ميساء.

كلاهما تنظران نحوي بسخط، وكانت أول المتحدثتين نرجس فقالت: "إن كنت تعلمين مصلحتك فابتعدي عنه!"

أضافت ميساء: "إذا أردت ألا يعلم والداك بعلاقتك بفراس فاتركيه حالا!"

وزعت نظري بين الاثنتين ملجومة في البداية، ثم سحبت يدي من قبضتها بقوة أجفلتها قليلا، اقتربت منها أحمل نظرات متحدية ثم أجبتها: "لست خائفة من تهديدك! إن كنت تغارين وتحبينه وترغبين به لك فقاتلي بعدل وإنصاف! لا تظني أنك بتصرفك الغبي هذا قد زرعت الخوف في قلبي، فكل ما وصلني منك هو جبنك ومعرفتك بأنني تفوقت عليك"

التفتّ نحو ميساء وأردفت: "وأنت! قولي لهما ما تشائين، لكن لا تنسي أن لك أبوين متحفظين كوالديّ ولن يعجبهما بالتأكيد صداقتك بأولئك الشبان مثل سامر؟ وذاك المدعو صهيب؟ ويوجد ثالث أيضا في شلتك صح؟"

شحب وجه ميساء وتجمدت الدماء في عروقها فأضفت بثقة: "عدا عن علمهما بمشاعرك تجاه فراس وطرقك الملتوية في رمي نفسك عليه... والآن اعذراني لدي محاضرة"

دفعت نرجس بكتفي بقوة فآلمتها لأنني سمعت تأوها صادرا منها، وسرت بخطى ثابتة نحو القاعة وفي رأسي فكرة واحدة، لن تتمكن أي فتاة من خطفه مني فهو لي وأنا جاهدت للوصول إليه فلن أقدمه على طبق من ذهب لغيري حتى وإن اضطرني ذلك لخسارة كل شيء، لست مهتمة، فراس لي ولن يكون لأحد غيري إلا على جثتي!

جلست في مقعدي أنفث النيران من منخري وبدأت الأفكار السيئة تتردد إلى ذهني، هل يعقل أن لورا تمنعني عن فراس لعلمها بمشاعر نرجس نحوه؟ ألهذا السبب تحاول إبعادي عنه؟ بدت الأمور أكثر وضوحا من ذي قبل ووجدت تفسيرا مقنعا أخيرا لتصرفاتها السلبية تجاهه أو لحثها لي الابتعاد عنه ومحاولتها سابقا إرغامي على قبول عرض إيان بالزواج! شعرت بأنني سأفقد عقلي بين لحظة وأخرى ولا أكاد أذكر كلمة واحدة قيلت في أثناء المحاضرة وعند نهاية وقتها نهضت مسرعة لأبحث عن لورا، وحتى حينما جاء وليد نحوي ليحاول التحدث معي هاجمته بشراسة أشد من سابقاتها صارخة به: "يا أخي اتركني بحالي! سأكسر لك سنا إن حاولت مخاطبتي ثانية! مزعج!"

خرجت من القاعة تاركة خلفي وجهه المصدوم والذهول المطبوع على ملامح بقية الزملاء وركضت على السلالم نزولا وهناك لمحت سيلينا تهم بالصعود لتلاقيني كالعادة عند باب القاعة، تفاجأت بهجومي بهذا الشكل وسألتني عن الخطب، فتابعت سيري متجنبة الرد وهاتفي على أذني في انتظار ان تستجيب لورا للمكالمة.

تبعتني سيلينا على الفور مع حارسها الشخصي في حين تمكنت من ملاقاة لورا في شارع الكلية، حينما تلاقت عيناها بي وهاتفها على أذنها وهي تصف لي مكانها وإذ بي أجرها مسرعة إلى خلف الكلية حيث المنطقة هناك معزولة ويندر وجود طلاب فيها، حينما وصلنا دفعت لورا بأقصى قوة لي أمامي فاصطدم ظهرها بالسياج المعدني خلفها.

حملت عيناها تساؤلا واضحا، أما سيلينا فاكتفت بالوقوف إلى الخلف فزعة من غضبي فهي تعلم أنني إذا غضبت فإنني أتحول إلى بركان هائج، صرخت بلورا متجاهلة عرض أسراري أمام حارس سيلينا الشخصي: "اعترفي بكل شيء الآن! كنت تمنعينني عن فراس من أجل صديقتك نرجس؟! أنت تعرفين أنها تحبه ولهذا لا تريدينه لي؟ أمشاعر نرجس أشد أهمية بالنسبة لك من مشاعري أنا؟ كيف تسمين نفسك صديقة لي؟ أنت خائنة!"

هزت رأسها برعب نافية فصرخت بها لتتوقف عن الكذب ثم انقضضت نحوها لأهزها من كتفيها بخشونة مهددة بإيذائها وإيذاء صديقتها المتغطرسة إن حاول أي أحد الوقوف بيني وبين فراس، وقد وضعت صداقتي بها على المحك.

دفعتني عنها بقوة بعد تهديدي بالتخلي عن صداقتها ونظرت إلي بعينين دامعتين ثم قالت: "لم أمنعك عن فراس من أجل نرجس، لست مهتمة لمشاعرها! أنا أهتم بك أنت لأنك غالية على قلبي وأحب صديقة إلي!"

صرخت بها بغل والشرر يقدح من عيني: "كاذبة! كفي عن الكذب! ولمعلوماتك لقد دعاني إلى بيته لتناول الغداء مع والديه وسأذهب رغما عنك!"

أسرعت بالتعلق بذراعي وأخذت تتوسلني ألا أدخل بيته أبدا، لكنني كنت عازمة أمري فدفعتها بعيدا عني وسرت مبتعدة عنها متجاهلة الذعر الذي دب في سيلينا فصرخت لورا بي لتوقفني: "لم أمنعك عنه من أجل نرجس! بل لأنه مدمن مخدراااات!"

الفصل الحادي والعشرون

لا يمكن أن يكون ما سمعته حقيقة، شعرت بأنني على وشك الانهيار، فراس ملك مملكة قلبي لا يمكن أن يكون كما قالت، ذاك الشاب الوسيم... لاعب الكرة المحترف... البارع في اصطياد قلوب الفتيات... من استحوذ على كياني خمس سنين متواصلة، لا يمكن أن يكون مدمن مخدرات!

كانت دموعي تجري كنهر فاض ماؤه من منبع لا ينضب بينما أحاول فهم حديثٍ تعيده لورا على مسامعنا لتؤكد لي الحقيقة المرة: "كان مدعوا مع عائلته إلى مأدبة عشاء السنة الفائتة، وطلب استخدام المرحاض فلمحته يدخل حمام الطابق السفلي القريب من السلالم، وطوال الأمسية لم يطلب أحد غيره استخدام الحمام، ثم فوجئت بعد رحيلهم بالخادمة تناولني حبة دواء زرقاء وجدتها على أرضية الحمام تحت المغسلة. فما كان مني إلا أنني عرضت الأمر على أمي فلم تعرف استخداما لهذا العقار وخصوصا أنه لم يطبع عليها شيء. فانتظرت حتى جاءتها أم فراس في اليوم التالي لشرب الشاي معا وحينما أرتها الحبة أنكرت معرفتها بها وأصرت على ألا أحدا من أفراد أسرتها يتناول أي نوع من العقاقير إلا أدوية القلب التي يتناولها العم عدنان مما اضطر بأمي في النهاية إلى التخلص منها قبل الأخذ بمشورتي فلم أتمكن من التحري عن ماهيتها وقتها،لكنني أصررت وبحثت في مواقع البحث عن حبوب زرقاء حتى وجدت مقالا يحتوي أنواعا من العقاقير المسببة للإدمان ومن بينها ذاك العقار بلونه الأزرق."

أخذت نفسا وهي تحاول تجنب النظر إلى عيني وتابعت: "دُعينا في نهاية ذاك الأسبوع إلى تناول العشاء عندهم، فاستغللت الفرصة وتسللت إلى غرفته بينما الكل مشغول بحفل الشواء في الحديقة، فتّشت الغرفة جيدا فلم أجد شيئا، حتى قررت تفتيش حمامه الخاص،

فوجدت علبة صفراء في الخزانة التي فوق المغسلة تحتوي الكثير من هذه العقاقير فثبتت شكوكي"

تحول بكائي إلى تنهيدات متقطعة وأخذت أنكر كلامها وأصر على أسناني كمن ستفقد عقلها، فقالت لتثبت حجتها: "كلفت عادل بتعيين شخص موثوق لمراقبته دون علم أحد ليأتيني بمعلومة مفادها أن فراس خرج بعد منتصف ليلة ما وقابل دراجا لم يظهر وجهه واستلم منه خفية في منطقة بعيدة عن أضواء الشارع مغلفا قام بتخبئته في سترته علما أن الجو آنذاك لم يكن بهذه البرودة"

طال نحيبي فترة من الزمن حتى أنني فوّت موعد محاضرتي التالية، وبقيت بجانبي كل من سيلينا ولورا تؤازراني بصمت.

بعد وقت هدأت عن البكاء وبدأت رحلة التفكير بهدوء مريب دون إعطاء انطباع لأي منهما فيما أفكر فيه، حتى قررت في النهاية أن علي التحلي بشجاعة والتصرف حسب ما أراه الصواب، فأخرجت هاتفي من جيب بنطالي على مرأى من سيلينا ولورا وضغطت على زر الاتصال برقم فراس، وهما تتابعاني بصمت قاتل.

قام بالرد علي بعد الرنة الثالثة وسمعت صوته العذب يهمس لي متحمسا، فقلت محاولة الحفاظ على نبرتي طبيعية ما أمكن: "كيف حالك يا فراس؟..... أردت أن أبلغك بأنني قبلت دعوة أمك وسآتي يوم الخميس عقب انتهائي من دوامي..."

لم أطل في مكالمتي وأنهيتها على الفور ثم التفتّ نحو وجهي لورا وسيلينا المصعوقتين، فقلت مبررة: "لا أهتم لما ستظنانه بي.. لكن أنا أحبه! ولأنني أحبه لن أتركه دون مساعدة... لن أتخلى عنه مهما كان، لذا سأسرق علبة الدواء عله يتوقف عن التعاطي ويعود مستقيما"

صرخت بي لورا من فورها: "مجنونة! لا لا لا! لست في كامل صحتك العقلية تحتاجين إلى مساعدة حقا!"

جادلتها باكية: "لا بدّ من سبب جعله مدمنا بهذا الشكل! لا بد من سبب قوي! أنا متأكدة!"

أجابت لورا بغضب: "كثرة الأموال؟ النفوذ القوي؟ وقت الفراغ؟ أحيانا عندما يملك الإنسان كل شيء ينتهج الطريق الخطأ بسبب عدم كفاءته على إدارة وقته وأمواله! عليك الاستسلام لفكرة أن الدنيا لا تسير دائما وفق أهوائنا وأن من نكن له الحب ليس بالضرورة شخص صالح!"

عاندت أكثر بقولي بتحد: "لا! لن أصدق ذلك! ما زلت أبصر فيه نورا لن تتمكني من إعتامه في قلبي أبدا!"

طال جدالي مع لورا، حتى تدخلت سيلينا معربة لي موافقتها هذه المرة لأفكار لورا، لكن تدخلها زادني غضبا ومع كثرة الجدال انتهى بي المطاف قائلة: "سأتصرف حيال الموضوع سواء ساعدتماني أم لا وهذا قراري النهائي!"

نفثت لورا زفيرها في انزعاج وقالت: "حتى لو أخذتها سيأتي بغيرها"

أجبتها بثقة بينما أنظر في الفراغ: "ليس بهذه السهولة... أشياء كهذه لا يتم تأمينها في أي وقت، يوجد مواعيد محددة لتوزيع الممنوعات الأمر لا يتم بسهولة خوفا من تتبع رجال الشرطة"

نظرت لورا نحو سيلينا مستنكرة ثم أعادت نظرها نحوي وهاجمتني بسؤالها: "من أين تعلمين شيئا كهذا؟"

كانت إجابتي هي أنني شاهدت شيئا كهذا في أحد الأفلام السينيمائية مما زاد من غضبها فقالت: "مراجعك التي ستخاطرين من أجلها أفلام لا تمت للحقيقة بصلة؟!"

رددت لها الهجمة بقولي: "المخرجون يلجؤون إلى الحياة الواقعية أيضا في كتاباتهم، وكل رجائي أن يكون موعد استلام الجرعة الجديدة في وقت بعيد حتى تنجح خطتي وينسى تأثير المخدر، ثم سأكشف له كل شيء وأبرر له أنني أردت مصلحته..... وإن أردتما صداقتي فعلا فإما أن تساعداني أو تتسترا علي ولا خيار ثالث!"

تركتهما في أجواء الحيرة وأسرعت بالابتعاد عنهما باكية وشبه محطمة ومتمسكة بأمل ضعيف بأن يكون كلام لورا كله مجرد وهم لا حقيقة.

سيلينا

صعدت مع الحارس في السيارة لنتجه إلى البيت، فهتفت له منادية فأدار وجهه قليلا كعلامة لإعطائي انتباهه فقلت متلعثمة: "هل.... هل ستبوح لإيان بشيء عما.... سمعت؟ أعني أن راما صديقتي ولا أحبذ فكرة تناقل أسرارها"

أشاح وجهه إلى الطريق أمامه وهو مختبئ خلف نظاراته القاتمة ثم أجاب بصوت غليظ قوي: "سيدتي وُكّلت بمهمة واحدة، صون خصوصيات السيد، وصديقتك ليست ضمن نطاق صلاحياتي، فلا يهمني ما يدور في حياتها ما لم يطأك أذى"

شعرت بالراحة لكلامه وتنفست الصعداء، فآخر ما أريده أن يعلم إيان بشيء عن هذا الموضوع وحصول مشكلة كبيرة كفضح فراس، والتسبب في جره إلى إصلاحية أو حتى إلى السجن، فيجن جنون راما وقد يؤدي بها ذلك إلى أذية نفسها، وأنا أريد مساعدتها حقا لكنني قد عجزت عن التفكير في أي حل، لذا سأحاول إقناع لورا بأن نفعل شيئا لها.

راما

بعد يومين من تجنب كلتيهما حاصرتني لورا وسيلينا في دورة المياه صباحا قبل بدء المحاضرة الأولى مغلقتين الباب خلفهما. ثم أخيرا قالت لورا بعد صمت ونظرات متبادلة مطولة بينها وبين سيلينا: "لن يهون علينا تركك لتنفذي خطة إعدامك بنفسك...
سنساعدك حتى لو عنى ذلك جرنا نحو الهاوية، لكن لن نسير بتخبط، بل سنتبع خطة محكمة بذلت يومين كاملين في التخطيط لها"
وضحت لي لورا بمزيد من الشرح بأن خطتها ستساعدني في الوصول إلى علبة الدواء لأخذها، ولتنفيذ ذلك سنحتاج السير وفق منهج خططت له بعناية، وسنحتاج أيضا إلى كمية من المال هي ستتكفل بدفعه، وبعض الحماية وذلك باستغلال وجود حارس سيلينا الشخصي عندما أظهر تكتمه عن القصة بأكملها ولم يبح بشيء لإيان، وفي النهاية فإن الدور الأكبر متروك لي بدءا بالكذب على أمي وإقناعها بقضاء أمسية نهاية الأسبوع في بيت لورا مع طمأنتها بإيصالي إلى البيت سالمة بسيارة العائلة وثم تطبيق تعليماتها حرفيا حتى تصل يدي إلى العلبة الصفراء التي يخبؤها في الحمام.
لم تتمكن سيلينا من مقابلة إيان لانشغاله في صفقات تجارية لذا أرسلت له رسالة تخبره فيها برغبتها قضاء ليلة الخميس مع لورا في غرفة بيتها، فأرسل موافقته مشترطا عليها اصطحاب الحارس وهو ما أرادته لورا أصلا.
جاء اليوم المنتظر وغيرت خططي مع فراس بانضمامي إليهم في وجبة عشاء، مبررة له كاذبة زيارة أحد الأقارب لنا وعدم سماح أمي لي بالخروج إلا عند رحيلهم.
وهكذا انطلقنا في سيارة لورا عقب مغيب الشمس إلى النقطة المتفق عليها بقيادة حارس سيلينا للسيارة وجلوس لورا إلى جانبه لإعطائه التوجيهات دون ذكر للمكان المنشود، ومكثت مع سيلينا في المقعد الخلفي.

جلسنا نترقب تحت الأضواء الخافتة في شارع غير مألوف والحارس يلتفت يمنة ويسرة بتأهب واستعداد، كأنه يستشعر خطرا، ووسط هذا الجو المشحون لمحنا خيالا يقبل علينا من بعد، وبالرغم من تدربي على اللقاء بها ثانية إلا أنني لم أنجح في إخفاء شحوبي خوفا مما تخفيه عنا في هذا المكان شبه المظلم.

ما أرعبنا ليس قدومها فحسب بل مجيء شخصين معها، أحدهما ميزتها وهي ذات الشعر الأحمر التي كانت معها في دورة المياه حين رأيتهن للمرة الأولى..... جماعة من الفتيات أشبه بعبدة الشياطين، مخيفات... بمساحيق تجميل باهتة ووشوم تغطي أذرعتهن وأعقاب السجائر في أفواههن، لم يغبن أبدا عن بالي منذ ذلك اليوم.

بالنسبة للشخص الآخر القادم معهما فقد كان شابا أصلع الرأس ضخم الجثة يرتدي سترة جلدية ولمحت على صلعة رأسه وشما كعلامة X فشعرت بالرعب يتأصل عميقا في داخلي.

التفت حارس سيلينا نحو لورا متسائلا ففهمت على الفور غضبه المخفي من تعريض سيلينا لملاقاة جماعة غير موثوقة مثلهم، فأشارت له مطمئنة أن كل شيء بخير وتحت السيطرة.

اقتربت الفتاة التي في الوسط ذات الشعر الأسود والتي أتذكرها تماما حين عرضت علينا التخلص من إيان مقابل سعر زهيد، ثم اتكأت على باب السيارة الأمامي بجانب لورا وقالت متسائلة: "هل أحضرت لي أموالي؟"

أخرجت لورا من محفظتها ظرفا وسلمته للفتاة، فأخذت الأخيرة تنظر فيه وتقوم بعد النقود حتى اطمأنت إلى حصولها على المبلغ المتفق، ثم قالت لورا بحدة: "لا تنسي أن تقطعي الكهرباء عن الحي في الوقت المتفق عليه"

غمزتها بعينها مطمئنة ثم ألقت نظرها نحو المقعد الخلفي، نحونا، فقالت: "بسكوتتان لذيذتان! ألك مصلحة يا حلوة بمرافقتي في مغامرة يوما؟"

كان سؤالها موجها إلى سيلينا فشعرت بالذعر وأخذت تحاول دفن نفسها في المقعد لربما تخلصت من نظراتها، لكن حارسها أبى تركها بلا مساعدة فأسرع بإشهار مسدس في وجهها فتراجعت عن السيارة رافعة يديها باستسلام مع ابتسامة سمجة، بينما تقدم الشاب المرافق لها بسرعة من خلفها يحمل معه مضربا، لكنها مدت يدها له فتوقف على الفور، ثم قالت موجهة كلامها للحارس: "لماذا غضبت أيها الوسيم؟ كنت أداعبها فقط!"

تدخلت لورا لتحاول وقف أي شجار على وشك البدء وأكدت مجددا على الفتاة التزامها بدورها من الاتفاق وأمرت الحارس بتحريك السيارة والابتعاد عن ذاك المكان للعودة إلى بيتها. كنت أشعر بكتفي الحارس من الخلف متشنجتين غضبا فأملت ألا تقع سيلينا في المشاكل بسببي.

تنفسنا الصعداء بعد تنفيذنا الجزء المرعب من المخطط، والآن يحين دوري أنا.... أنزلتني لورا عند بوابة بيتها وأكدت علي التزام الهدوء وتصنع أجواء طبيعية قدر الإمكان، ثم تركتني لأتجه إلى بيت فراس حيث ستبدأ الحكاية.

فُتحت لي بوابة البيت العملاقة ثم ولجت إلى الداخل برفقة فراس ذاته الذي كان ينتظرني على أحر من الجمر.

استقبلني في غرفة واسعة مقسمة إلى قسمين قسم لنستريح على الأرائك بالقرب من المدفأة الحجرية وقسم للجلوس حول مائدة الطعام، يفصلهما عن بعضهما عتبة صغيرة، ثم هناك ممر على يسار الصالة أعتقد أنه يوصل إلى بقية المنزل بالإضافة إلى السلالم التي ستوصلني إلى غرفة فراس.

جلست بارتباك يعتريني، وحاول هو كسر الحاجز بيننا بسؤاله عن أحوالي فنحن لم نلتق كثيرا هذا الأسبوع، ثم سألني كيف أقنعت أمي بالخروج مساء لأجيبه مع ابتسامة مرتبكة بأنها تظنني في استضافة لورا.

قدمت أمه برفقة أبيه لتعرفه علي..... حين كدت أغرق سابقا وجاء إلى المشفى ليعرض على والدي تحمله الكامل للمسؤولية ماديا فإننا لم نلتق وقتها، أما الآن فسأرى أخير ا السيد عدنان، السيد المخيف الذي ينبت بذرة خوف في كل من ينظر إليه.

حين لمحته رأيت رجلا قد تمكنت بضع خيوط من الشيب من رأسه، طويل القامة كابنه، أكحل العينين ولونهما بين الأخضر والأصفر، بدا لي كرجل يحسب تماما كل خطوة قبل أن يخذوها.

حين رآني توقف في منتصف الطريق بينما كنت واقفة في انتظار استقبالهما وإلقاء التحية عليهما. لم يطل وقوفه لكنه لم يتمكن من إخفاء نظرة مندهشة طبعت على ملامحه الصارمة. اقترب أكثر حتى أصبح على مسافة أعطته مجالا أكثر لتفحصي فكان يوزع نظره في كل تفصيل في وجهي فزاد من ارتباكي، عرّفه فراس بي ومددت يدي لمصافحة كليهما، أمه بمبسمها الدافئ وعيناها تنظران نحوي بعطف، أما والده فقد بدا لي كأنه رأى مخلوقا من عالم آخر.

عرض علي فراس مشاركته في المطبخ ليخبز لي البسكويت ريثما ينضج الطعام، فسعدت لاقتراحه. قادني نحو المطبخ بينما أتفحص المكان جيدا لعلي أجد السلالم التي تصعد بي إلى الطابق العلوي، فلن أستطيع إيجادها في الظلام حين يتم قطع الكهرباء. وللأسف لم يسعفني الوقت لإيجادها.

بدأ بخلط المواد الجافة معا وحاولت تقديم المساعدة فانتهى بي المطاف ملطخة بالطحين الأبيض على وجهي وقميصي فانفجرنا ضحكا.

سألته أثناء قيامه بالعجن عن سر تعلمه هذه الصنعة فأجاب: "الوحدة قاتلة، فوالداي يكونان غائبين عن البيت معظم الوقت ولا أحد يسليني صراحة إلا إن كانت رشا متفرغة"

شعرت بالأسف عليه، وبالغيرة من ذكره لرشا، ثم سألته عن بقية أصدقائه ومنهم سمير فوضح لي أن حياتهم لا تتوقف عليه ولكل منهم حياة خاصة يريد عيشها. ابتسم وهو يقوم بصنع دوائر من العجين وقال: "أشكرك من قلبي على القدوم إلى هنا فقد أصرت أمي على الطهو بيديها من أجلك... آخ أخيرا سآكل من صنع يديها، لا أتذكر آخر مرة قامت فيها بالطبخ!"

ثم همس مستهزئا: "الحمد لله اليوم سأرتاح من طعام بثينة، مدبرة المنزل.... قليل الملح وقليل البهارات، حفاظا على صحتنا حسب قولها!"

ضحكت من جديد وأنا أتخيل منظره وهو يأكل من طعامها مرغما، ثم أطلت التحديق به بينما أقنع نفسي بأن شابا كهذا بهذه الطاقة وبهذا النشاط يستحيل أن يكون مدمنا للمخدرات....أنهينا المهمة بنجاح، ووضع فراس البسكويت في سلة من القش مفروشة بغطاءقماشي نظيف وطلب مني الانتظار ريثما يبرد البسكويت، ثم عرض علي تغيير ملابسي التي اتسخت وتركت خلفها بقعا. في البداية رفضت لكنه أصر وجذبني معه خارج المطبخ من خلال صالة المعيشة نحو ممر صغير ينتهي بسلالم تصعد إلى الدور العلوي.

أعلمني أنه سيعيرني قطعا من خزانة شقيقته مما أثار فضولي فتساءلت بريبة: "ألم توضح لي أنك وحيد؟"

سكت هنية ثم التفت نحوي مبتسما وقال: "نعم... هي... متزوجة ولا تعيش هنا... إنها مغتربة عن البلاد"

شعرت بشيء أكبر يختبئ خلف هذه الكلمات لكنني لم أزعجه بطرح أسئلة لا داعي لها.

بينما كنا نسير في الممر وصلنا غرفة مغلقة وقبل أن يدخلني إليها أشار إلى جانبها قائلا: "هذه غرفتي، هل ترغبين في إلقاء نظرة عليها؟"

احمر وجهي من الفكرة برمتها فاعتذرت منه قائلة: "ربما في وقت لاحق"

دخل الغرفة متقبلا رفضي ثم اتجه نحو دولاب كبير، سألني أن أختار ما أرغب به لكنني طلبت منه أن يتولى المهمة بنفسه، فكيف لي أن أنبش في خزانة فتاة لا أعرفها؟ طبعا لن يعجبها ذلك. اختار لي في النهاية فستانا شتويا قصيرا بيجي اللون فأخذته مترددة.

تركني في الغرفة بمفردي ليعلمني أنه سينتظرني عنه السلالم، فندبت حظي، لو أنه يسبقني إلى المائدة فسأستطيع التسلل إلى غرفته الآن لسرقة العقار، يبدو أن علي في النهاية السير وفق الخطة.

راعيت ألا أطيل عليه في غياري، فأسرعت خارجة نحوه أحمل معي ملابسي المتسخة لكنه أصر علي تركها في سلة في الغرفة لتقوم الخادمة بتنظيفها لاحقا، رفضت كثيرا لكن كانت الغلبة لكلمته. ألقى نظرة نحوي متفحصا فحاولت التصرف بشكل طبيعي، حتى كدت أجفل لاقتراب يده المباغتة وإمساكه بعقدي الذي نسيت التأكد من إخفائه عن عينيه، رماني بنظرة مريبة بعينيه الحادتين ورمش عينيه يتراقص من تحت جفنه ثم قال: "أردت سؤالك بشدة سابقا عن سر هذا الحرف المعلق على رقبتك! "

خطفت تعليقة العقد من يده وسارعت بدسه في ياقة الفستان وأجبته متلعثمة: "أمي.. هذا الحرف الأول من اسمها.."

- "حقا؟ ما اسمها؟"
- ".. ف... فاتن!"

رفع حاجبيه ولوى فكه متفحصا تعابيري المرتبكة، ثم قرر أخيرا إسقاط الموضوع وعدم الغوص فيه أكثر. ربما فهم أنني لن أزوده بأكثر مما قلت. سرت معه محرجة إلى المائدة من جديد وهو يثني على جمالي وبأنني بدوت أجمل بكثير في الفستان من أخته، فسألته عنها كيف تبدو ليصفها لي بأنها أقرب شبها إلى أبيه فحاولت تخيلها بعينين مكحلتين بملامح فراس فرأيت في مخيلتي فتاة جميلة.

أظهرت أمه رضاها بمظهري في الفستان وأمسكت بيدي لترفعها عاليا حتى تديرني حول نفسي وهمست لي مع غمزة: "مفاتنك أكثر إغراء من ألما"

ازداد احمرار وجهي ولم أجبها، ثم جلسنا إلى المائدة بينما أفكر في أخته ألما، أين تعيش يا ترى؟ ومتى تزوجت؟ وهل لها أبناء؟

أثناء تناولنا الطعام لم أستطع تجاهل حقيقة مراقبة والدته المستمرة لي، فلم أتمكن من أخذ راحتي في الأكل. فجأة نهضت عن المائدة واختفت دون إعطاء أحد تفسيرا لغيابها، كان كل من فراس ووالده يراقبها بحذر.

غابت لدقيقتين أو ثلاث وعادت تحمل معها... كتابا...؟ لا.. أعتقد أنه ألبوم للصور.

اقتربت وهي تبتسم بغرابة وقالت: "أريد أن أريك بعض الصور!"

وكأنها على وشك تفجير قنبلة موقوتة فقد نهض كل من فراس وأبيه نحوها وأخذا يصرخان بها ليقولا، ماذا تظنين نفسك تفعلين؟... كفي عن هذا!... أظهري قليلا من الاحترام!... كفاك تصرفات سخيفة!... وصرخ والده بها في النهاية: "ميار! كفى! هاتي الألبوم وإلا أقسم بأنني سأحرقه!"

تجمعت الدموع في عينيها وهي تحتضن الألبوم إلى صدرها ثم خرجت من الصالة مبتعدة وهي تبكي، وكرد فعل من والده ضرب كأسا على المائدة فأوقع عدة صحون عنها ليتردد صوت تحطيمها في أرجاء المكان ويدب المزيد من الرعب في قلبي. نظر نحو ابنه وقال آمرا:
"أنهيا تناول العشاء وأوصلها إلى بيتها!"

ثم خرج على أثر زوجته، أما أنا فانكمشت في مقعدي بذعر وإحراج شديدين، فاعتذر مني فراس على الفور وحاول إقناعي بأن والده لا يحمل ضغينة ضدي، وأمه بطبعها غريبة أطوار. كنت أريد سؤاله عن سبب غضبهما عليها هكذا، لكنني توقفت حين لمحت الساعة تشير إلى اقتراب موعد تنفيذ الخطة، فأسرعت بطلب الإذن للذهاب إلى الحمام لأختفي فيه قبل انقطاع الكهرباء لأتمكن من التسلل إلى غرفته وهم منشغلون في سبب هذا الانقطاع.
أرشدني إلى مكان الحمام فأسرعت بالتوجه إليه، هناك قبل أن أصل سمعت تمتمات وتراءى إلى مسامعي صوت والده وهو يقول: "إنها صديقة فراس! أتريدين خسارة ابنك أكثر مما خسرته؟ لا تضايقيها مجددا بتصرفاتك الطفولية وإلا أقسمت يمينا مغلظا ألا يلتقي بها بعد الآن"

أجابته باكية على الفور: "لا أرجوك! لا تفعل! سيكرهني فراس أبد الدهر لا تبعدها أرجوك لا تبعدها!"

ثم تحول كلامها إلى توسلات متقطعة غير مفهومة، فخشيت أن يلمحني أحدهما ويظنان أنني أسترق السمع فأسرعت نحو الوجهة المنشودة بينما أشعر بالتيه مما يدور في داخلها.
اختبأت في حمام قريب من السلالم وأنا أحاول السيطرة على ضربات قلبي المرتعدة وأنظر إلى ساعة هاتفي بين كل ثانية وأخرى، حتى حصل الأمر أخيرا.... أخيرا قطعت الكهرباء.

إذن التزمت تلك الفتاة بالخطة ووفت بوعدها، أسرعت بالخروج على ضوء هاتفي وصعدت السلالم بحذر وخفة ،وسرت أكافح رعبي في الممر حتى وصلت الباب الذي أشار إليه حين أبلغني أن خلف هذا الباب غرفته. سمحت لنفسي بالولوج وأسرعت بتفحص المكان باستخدام ضوء شاشة هاتفي، لم أجرؤ على تشغيل المصباح في الهاتف لئلا أثير الريبة إن لمح أحد ضوءا ساطعا في ظلمة المكان.

وجدت أبوابا في الغرفة وأسرعت لفتح أحدها بسرعة لأجد نفسي في الحمام فحمدت الله في سري أن اهتديت إلى المكان بسرعة دون تيه.

دخلته بحذر لئلا أصطدم بشيء أو أقع، ثم سرت نحو المغسلة حيث الخزانة المعلقة فوقها وبقلب يدق رعبا ويد مرتعشة وحلق جاف قمت بفتح الخزانة أخيرا ووجهت إليها ضوء هاتفي لتعلق غصة في حلقي حين بدأت ذاكرتي تعيد علي كلام لورا مرارا وتكرارا وهي تردد في أذني.. علبة صفراء في داخلها الحبوب الزرقاء.... تأكدت أن كلامها صحيح، فعلى مرأى من نظري تستريح علبة صفراء اللون لا كتابة عليها، قبضت عليها وفتحتها بهدوء مصطنع لأرى داخلها ذات الحبوب الزرقاء التي وصفتها لي لورا، فلم أتمكن من محاربة دموعي التي خانتني، ابتلعت الغصة مرغمة ودسست العلبة في حقيبتي، ثم سرت كالأموات نحو نهاية الممر لأهبط السلالم حيث كدت أتعثر أكثر من مرة وأنا أشعر أن رجلاي بالكاد تحملانني وقد سلمت بصحة ما قالته لورا.

أظلم الكون من حولي أكثر مما هو مظلم في عيني، وهيء إلي أنني أسمع صوت فراس يهتف باسمي، حينها شعرت بيد وسط الظلام تلامسني لأهتدي إلى صاحبها... فراس. سألني إن كنت بخير أم لا، لكنني لم أجبه عن سؤاله بل طلبت منه بعبارة مقتضبة أن يوصلني إلى منزل لورا لأعود إلى البيت، لأن أمي أمرتني بالعودة.

لم يجادلني كثيرا وخرج معي بعد أن أضاء لي الكشاف ليسير معي إلى بوابة منزل لورا، وحين وصل ضرب جبينه بحسرة وقال: "نسيت أن أطعمك من البسكويت! حسنا سأحضر لك منه يوم الأحد هذا وعد"

هززت رأسي بابتسامة مرغمة ثم تنفست الصعداء حينما قام عادل بفتح الباب لي لأتجه معه إلى غرفة لورا والظلام يكتنف محيطي الخارجي والداخلي وأنا لا أدري ما هي الخطوة القادمة..........

<u>سيلينا</u>

عدت إلى البيت فور انقطاع الكهرباء لأن الحارس لم يشأ تركي في حي منقطع عن الكهرباء حتى يبعدني عن أي خطر محتمل. حين وصلت غرفتي استلقيت على فراشي شاردة في أفكاري حول ما قد يصيب راما من مخاطر، حتى شعرت بأنني غير قادرة على التنفس خوفا عليها، في ذاك الوقت اقتحمت السيدة سوزان غرفتي بعد أن قرعت الباب مستأذنة لتبلغني بأن إيان ينتظرني في الطابق السفلي في موضوع مهم. وحينما حاولت تحديد ماهية الموضوع منها أظهرت لي جهلها بالأمر.

وجدته في إحدى الصالتين الكبيرتين جالسا أمام المائدة شاردا في تفكيره، وحينما استشعر وجودي أمرني بالتقدم نحوه دون أن ينظر نحوي. أطعته على الفور وأنا أخفي ريبتي من لقائه بعد فترة من غيابه عن بصري.

أشار إلى الكرسي المجاور له فجلست بترقب، استدارنحوي ثم فاجأني بسحب الكرسي الذي أجلس عليه لأصبح أكثر قربا منه، فتلامست أرجلنا ببعضها.

انحنى نحوي وبنظرات ثابتة وجهها إلى عيني أفقدتني القدرة على التركيز هاجمني قائلا: "ماذا تظنين نفسك فاعلة حينما تعرضين نفسك للخطر؟ أتحاولين إرغامي على افتعال المشاكل معك؟ أم ماذا تحاولين فعله؟"

ازدردت ريقي وأنا أنظر في عينيه الزرقاوين برعب فسألته متظاهرة عدم الفهم عم يقصده، لكنه حدجني بصرامة فزاد من رهبتي، وقال: "من اليوم فصاعدا ستقومين بما يراه عمر مناسبا"

تساءلت بخفوت: "عمر؟"

أجاب: "حارسك الشخصي! أم كنت تظنين أنه سيخفي عني معلومة كبيرة كهذه؟ أنا لا أفهم! ما الغرض من وراء مقابلة عصابة مدمنين؟ ألا تخشين على أرواحكن؟"

إذن هو وشى بي لكنه لم يقل له كل شيء وإلا لما بدا إيان جاهلا بالأمر هكذا، تلعثمت مرارا حتى قلت له أخيرا: "أنا لا أرغب بالكذب عليك، لا تضغط علي رجاء! لكن الأمر لا يخصني... بل يخص راما... هل ستبقى غاضبا ؟"

سألني عن الخطب الملم براما لكنني رفضت إخباره ثم قلت له بحنق: "لماذا تريد أن تعرف؟ هل أنت مهتم بأمرها؟ هل تشعر بالقلق عليها؟"

كانت الغيرة واضحة جدا في نبرتي، فأخفض رأسه إلى الأسفل وهو يشبك يديه ببعضهما فراقبت شعره الأشقر النظيف اللامع بخصله الذهبية قبل أن يرفع رأسه مجددا لتتلاقى نظراتنا ثم قال: "بالطبع أشعر بالقلق، لكن قلقي ليس بسبب إعجابي بها، بل لأنها إنسان... لأنها مثلك.. فتاة بريئة لا تنوي شرا لأحد... أقلق على كل شخص أستشعر فيه نقطة ضعف... لكن.. قلقي عليها نابع من خوفي عليك أنت في المقام الأول لأنك تعايشينها حياتها... أنت الآن بتّ مسؤوليتي بالكامل، وإذا أصابك مكروه فلأنني فشلت

كرجل في حمايتك.... أنت زوجتي وأصبحت قطعة من عالمي فلا يمكنني تعريضك للخطر أفهمت كيف أشعر الآن؟"

سحبت مقدارا من الهواء لأملأ رئتي ثم قلت مجاهدة نفسي على عرض ما يحبطني: "لا يمكنك وصفي بأنني قطعة من عالمك بينما أنت غائب طيلة الوقت ولا نلتقي أبدا... ثم أنني لست بلهاء فأنا أعرف أنك تتجنبني لأنك غاضب مني بسبب شجارنا ذاك اليوم وتعد الأيام قبل حصولك على الطلاق من طفلة ترتدي ملابس لا تصل مستواك"

ضحك مقهقها فأثار غضبي ودهشتي، فلم أتوقع ردة الفعل هذه، كنت أتوقع أن يتهمني بالطفلة مجددا وأن زواجنا لم يكن بإرادته... لكنه عوضا عن ذلك انفجر ضاحكا.

مسح دمعة من طرف عينه، ثم نظر إلي مستمتعا وقال: "من أي تربة قد جُبلت؟ أحيانا أشعر أنك وصلت إلى مستوى في الظرافة لم يصله غيرك... كم أعشق سذاجتك!"

هل يمدحني أم يذمني؟ ولماذا أشعر بأن وجهي يكاد ينفجر خجلا؟ مدّ يديه ممسكا بوجهي، ثم قال بنبرة هادئة تقرع أبواب قلبي للمزيد من جرعات اللطافة التي يأسر بها وجداني: "لم أشأ إتعابك معي في سهرات رجال الأعمال من أجل راحتك حتى تذهبي إلى الجامعة بكل نشاطك، لكن إن أردت أن تشاركيني عالمي فسأكون سعيدا لذلك... لذا ابتداء من الغد سأصحبك معي في مواعيد الصفقات والجلسات المسائية... "

حدقت في عينيه مطولا ثم اقترب مني أكثر فشعرت بقلبي يكاد يهوي بين ساقي، فأغمضت عيني لأستشعر إحساس شفتيه على جبيني مقبّلا.

راما

لم يزرني طائف النوم تلك الليلة بينما أفكر في فظاعة ما فعلت.. هل سيعلم فراس بأنني سرقت منه العبوة؟ هل يمكن أن يغضب مني ويهجر علاقته بي؟ لكن إن فعلها فسأخسر

كل أمل لي بأن يحبني يوما.... هل يمكن أن يحصل على عبوة أخرى مجددا في أقرب وقت ويضيع تعبي سدى؟ لكن عبوته هذه ما زالت ممتلئة أي أن موعد الشحنة القادمة لن يكون قريبا... هكذا آمل.

مرت عطلة نهاية الاسبوع وقد شارفت على فقد ما تبقى لي من رباطة جأش، وكدت أصاب بانهيار كلما وصلني إشعار مكالمة أو رسالة. لم أتلق مكالمات في العطلة إلا من لورا وسيلينا لتطمئنا إلى سير الخطة، ولأعلم من سيلينا أن إيان منعها من المخاطرة بنفسها مرة أخرى مبينة لي أن حارسها وشى بها، لكنه تجنب ذكر أي شيء بخصوص موضوعي، وعلمت منها شعورها السلبي من مرافقتها له إلى إحدى سهرات رجال الأعمال لما رأت من فتيات ونساء مغريات فشعرت بأنها لا تساوي شيئا مقارنة بهن وخصوصا عندما يتحدثن فتشعر بأنها طفلة مقارنة بهن في رقي كلامهن وحديثهن بثقة.

لو كنت في كامل قواي العقلية لآزرتها وشددت على يديها، لكنني كنت تالفة الأعصاب فلم أتمكن من قول الكثير لها وتركت تلك المهمة للورا.

أخيرا عدت إلى دوامي وذهبت باحثة عن فراس قبل أن أبدأ يومي، أعلم أنه يلعب الكرة صباحا في الملعب، لكنني فوجئت بعدم انضمامه لزملائه في اللعب وحتى سمير وأوس كانا مختفيين من المكان.

هممت بالاتصال به لكنه لم يجب، فقررت التوجه إلى كفتيريا كلية الهندسة لأسأل عماد عنه. ففوجئت بجلوسه هناك عند إحدى الطاولات. اتجهت إليه فورا وقبل أن أطرح عليه التحية هاجمته بسؤالي: "لقد هاتفتك لماذا لا ترد؟"

كان يريح رأسه على الطاولة أمامه، وكانت رشا إلى جانبه ووائل مقابله، أجابني وهو ينظر إلي دون أن يرفع رأسه: "سمعت الرنين لكنني لم أتمكن من سحب هاتفي من جيبي... اعذريني إني متعب قليلا وأرغب بالنوم"

علقت رشا ساخرة: "إذن عد إلى البيت ونم!"

ضحك وائل أما فراس فاكتفى بابتسامة متعبة، ماذا يحصل له؟ هل هو بخير؟ ظهر القلق واضحا في نبرتي وانا أتساءل إن كان يحتاج الذهاب إلى الطبيب، لكن رشا طمأنتني إلى كونه بخير وسيتحسن فور شربه القهوة وأنها حذرته من السهر مرارا لكنه أبى الاستماع لها.

عدت إلى الكلية لألحق محاضرتي بينما فراس لا يغادر تفكيري، عرضت ما رأيته منه على سيلينا، فقالت لي: "هذا شيء طبيعي فلا تخافي! إنها أعراض الانسحاب التي ترافق التوقف عن الإدمان... مرحلة وتمر"

ليت كلام سيلينا كان صحيحا، لكن الأيام أثبتت لي عكس قولها، فقد تحول فراس من متعب إلى نكد وكثير الغضب، بات التعامل معه صعبا فحتى أصدقاؤه لمسوا تغيرا فيه نحو الأسوأ، لم يعد يمارس نشاطاته مثل لعب الكرة وزاد من مقدار شربه للقهوة حتى حدجته رشا مؤنبة إلى أن هذا الكوب رابع كوب خلال ساعة مما أثار غضبه بشكل ملفت فرمى الكوب وهو ممتلئ على ساقها فسبب لها آلام حروق بسبب سخونة القهوة.

نظرتُ إليه مصدومة فكان ينظر نحو رشا ببرود لم أعده من قبل فشعرت بالحزن عليها، صرخت به مع البقية مشيرة إلى سلوكه المشين وهممت بمساعدتها لتنظيف بنطالها بمناديل نظيفة، لكنها كانت مستاءة جدا من فراس فنهرتني حتى أبتعد عنها،فلم أجدها إلا وقد وُجهت لها صفعة تردد صداها في الآفاق من شدة قوتها فسقطت أرضا.

احتضنت خدها بألم وهي تنظر نحو فراس مصدومة، فقال لها ببرود: "لا تكلميها بهذا الشكل! إن حاول أي منكم إيذاءها فسينتهي به الحال أسوأ من هذه القذرة"

نطق بآخر كلمة مشيرا نحو رشا المصدومة بكلامه، ثم سحبني من يدي واختفى من المكان تاركا أصدقاءه بحيرتهم وذهولهم.

آلمني وهو يقبض على معصم يدي بقوة وسار بي حتى خرجنا من الجامعة بينما أخذت طوال الطريق أرجوه ليحكم عقله فيما يفعل. ثم وأخيرا ترك يدي وأخذ يمسح على وجهه وشعره وهو يقول: "تبا! لقد آذيتها.. لم أقصد حقا! يا رب لم أقصد!"

مسحت على ذراعه وأكدت له أنها ستسامحه إن اعتذر منها وتوسلت إليه أن يعود معي ويستسمحها علها تصفح عنه، ووعدته بمؤازرته والوقوف معه حتى شعرت أخيرا بأنه يبدأ يتقبل كلامي فسرنا على حافة طريق رملي لنعود.

سمعت في أثناء سيرنا صوت زامور لشاحنة ما، أدرت رأسي إلى الخلف فلمحتها كبيرة جدا وعندما أردت تنبيهه لنبتعد أكثر نحو الطريق الرملي لنكون في مأمن وإذ بي لا ألمحه إلى جانبي.. بل وجدته واقفا في منتصف الطريق والشاحنة تطلق زامورا متواصلا عله يبتعد ودون تفكير مني شعرت بساقاي تطيران وأنا أتجه نحوه صارخة... تجمد الزمن... توقفت عقارب الساعة عن الدوران... غابت كل الأصوات وكأن العالم من حولي تحول إلى سراب لم ألمح فيها إلا ذاك الخيال الذي كنت أركض صوبه، فألقيت عليه جسدي دون ممهدات ليقع كلانا ويتدحرج جسدانا لنمتلئ بالخدوش في كل جزء من وجهينا وأيدينا ونحن نتدحرج على الأرض الترابية، حتى سكنت حركتنا ومعها عاد العالم إلى حركته وأصواته الصاخبة لتمر الشاحنة بسلام مع صوت زامورها الذي لم يتوقف.

الفصل الثاني والعشرون

أذكر اللحظات التي عقبت نجاتنا من الموت... ما زالت أصوات أنفاسه تلفح أذني بينما وجهي مغطى بخصلات شعري المبتلة من دموعي التي كانت تنهمر بلا توقف... كان جسدي مرميا فوقه وذراعاي تحتضنانه خوفا من تلاشيه من تحتي... لم أكن أصدق بعد أنه نجا من الموت... للحظات أحسست بقلبي يتوقف والرعب قد سيطر على كل ذرة في جسدي فكانت يداي ترتعشان بشدة وأنفاسي تتلاهث بقوة، كنت أبكي لكنني لم أسمع صوتي وكأن شيئا قد ران على أذنيّ.

رفعت نفسي عنه لأنظر إلى وجهه المليء بالخدوش وبيدي المرتجفة مسحت على خده وشعره لأنفض عنه الغبار بينما عيناه مثبتتان علي، ثم همس رغما عنه بصوت أجش قائلا: "كدت تموتين يا حمقاء!"

وجهت له صفعة قبل أن أسيطر على تفكيري فكانت أشد قوة مما أردت، ثم نهضت عنه لأستقر جالسة إلى جانبه وأكملت نحيبي المتواصل وأنا أردد: "الأحمق الوحيد هو أنت! لو حصل لك مكروه فلن أتمكن من العيش! ما زال قلبي يؤلمني بسبب غبائك!"

نهض بدوره جالسا متكئا بمرفقيه على ركبتيه، صمت صمتا طويلا ثم بصوت مبحوح هتف لي: "أنا متعب... أريد العودة إلى البيت"

نظرت إليه من طرف عيني ثم مسحت دموعي، وبعد لحظات طالت من الصمت أخرجت هاتفي لأتصل بلورا، أعلمتها بمكاني وانتظرتها لتقدم إلينا. وما هي إلا دقائق وكانت لورا تصطف بسيارتها إلى جانب الطريق قريبا منا متسائلة عن الخطب.... لم نقل شيئا ولم نزودها بأي تفاصيل فقط طلبت منها إيصال فراس إلى البيت... ساعدته في

النهوض والاستلقاء في المقعد الخلفي وركبت إلى جانبها أصارع ألم ركبتي الذي سببه لي الخوف.

قادت لورا السيارة وعيناها ترحلان نحوي ونحو ملابسي المتسخة بين حين وآخر، كنت أعرف أن الفضول يقتلها لتفهم السبب الذي جعلنا بهذا المظهر، لكن الرعب الذي عشته تلك اللحظة قد ربط لساني عن كل تفسير، ولم أتمكن من شرح شيء لها حتى بعد أن سلمت فراس بيدي إلى حارس الفيلا ليأخذه إلى الداخل وعدت مع لورا من جديد إلى الجامعة.

حاولت إقناعي مرارا بتغيير ملابسي وإصلاح مظهري في بيتها لكنني رفضت، لم أقوى على فعل شيء وكنت أرغب بدوري في العودة إلى البيت لكن ما التفسير الذي سأعطيه لأمي إن رأت حالي؟

تابعت محاضرتي المتبقية بعينين مظلمتين رعبا وذهن غائب، ومع أن الطلبة والأساتذة كانوا ينظرون إلي بفضول إلا أنني لم أهتم لأي شيء، همي الوحيد كان منصبا على فراس، ولحظة موته الوشيكة، أدركت لا محالة وقتها إن أصابه مكروه فقد يصل بي الأمر إلى الجنون، وهذه ليست مبالغة، وصلت في حبي له إلى هذه الدرجة وربما أكثر، فاستسلمت لدموعي أثناء المحاضرة حتى غرقت في عالم الوهم.

تحلق حولي عدد لا بأس به من الطالبات ليفهمن ما أوصلني إلى هذه الحال، وسألني الأستاذ المحاضر إن كنت بحاجة إلى الذهاب إلى عيادة الطبيب، فعرفت سبب سؤاله العائد إلى الخدوش والكدمات على وجهي، لكنني رفضت وكذبت على الجميع بقولي أنني وقعت عن السلالم وأعاني من آلام طفيفة فقط لأتخلص من إلحاحهم المستمر. وهذه هي القصة التي اعتمدتها لأرويها لأمي.

سمح لي الأستاذ بالمغادرة قبل انتهاء موعد المحاضرة واتجهت إلى الساحة الخلفية لأكمل بكائي وحدي هناك بعيدا عن عيون البشر، أين وقع الخطأ بالضبط؟ كنت أظن أنني أقدم مساعدة لفراس بإبعاده عن الإدمان، هل يعقل أنني أخطأت؟

مرّ أسبوع ولم أره بعد ذلك الحادث أبدا، فقد تغيب أسبوعا كاملا وكلما سألت عنه تصلني أخبار بنومه في غرفته، وحتى سمير ذهب إليه ليرغمه على المجيء لكن دون جدوى.

أوصلت لي لورا مخاوفه من تغير فراس المفاجئ، أردت الذهاب إلى بيته مرارا لكن كلما وصلت وقرعت جرس البيت فلا أحد يقوم بفتح البوابة لي حتى بدأ صبري ينفد.

سيلينا من جهة أخرى كانت تعاني من مشاكلها الخاصة مع إيان بسبب جدول أعماله المزدحم دائما ومرافقة الحارس لها أينما ذهبت حتى في بيت أمها، أو بسبب الاجتماعات المفاجئة التي يقيمها في بيته لرجال الأعمال وأصحاب النفوذ دون إعلامها مسبقا فتضطرّ إلى مواكبة السهرات لئلا تطأها الألسن من الفجوة التي بينها وبين زوجها، وبالتالي تضطر لمراقبة النساء وهن يتغزلن به ويتقربن إليه بغنج ودلع... أو لتجاهل جدته لها حين تأتي لزيارته كأنها شخص غير عاقل، فتشعر بالضياع وسط أجواء من الحديث لا تفقه منه شيئا... وهكذا زادت نظرتها المتدنية لنفسها وانعدام شعورها بالأمن والثقة.

وبسبب كل ما تعيشه لم أرغب في زيادة همها بشكواي عن مخاوفي تجاه فراس، أو شعوري بالذنب لأخذ العقار ليعيش بسببي كئيبا بهذا الشكل، أعني يوجد ذوو اختصاص للتعامل مع هذه المشاكل، وحلها ليس بهذه السهولة، لكن كان للورا نظرة أخرى فهي ترى أن ما فعلته خير له وأنه سيتخطى هذه المشكلة ويعود أفضل من السابق، كانت تتحدث عنه كأنها تتحدث عن مجرد كرسي يحتاج إلى تصليح، لذا لم ألجأ إليها بعد ذلك أبدا. ومع نهاية هذا الأسبوع حلت الكارثة.....

سيلينا

في غرفتي كنت أحاول التواصل مع راما لأعرف أي أخبار جديدة عن فراس، لكنها لم تزودني بالكثير، هل يعقل أنها تتكتم علي بشيء عنه؟ ربما صداقتها بجولي ورشا جعلها تنساني لتستبدلني بأشخاص أفضل فكريا واستقرارا نفسيا مني وخصوصا مع ظلي ذاك، حارسي الشخصي، الذي لا يفارقني فبات مثل الكابوس لي، شعرت أنني عثرة في طريق الجميع بمن فيهم راما.

اقتحم إيان غرفتي في ذاك الوقت، وألقى علي أوامره بالخروج برفقة السيدة سوزان لشراء ثوب جديد لأمسية الغد حيث سيقام احتفال بذكرى الثلاثين عاما على تأسيس شركة جدته. أما هو فكان له عمل مستعجل وبسببه لن يتمكن من مرافقتي... لم يتحدث كثيرا فقد استقبل مكالمته الهاتفية وغادر، وصلت إلى مستوى متدنٍّ في المستنقع الذي أعيشه إلى الحد الذي جعلني أسأم هذا الحال... أعلم أنه يحاول توفير حياة كريمة لي بتذليل وسائل الراحة لي، أو بإغداقي بأمواله، لكن ذلك آخر همي... إنني بحاجة ماسة إلى من يؤويني تحت جناحيه، لقد سئمت شعوري الدائم بالانكسار .. أنا بحاجة إلى ذاك الحضن الذي ينسيني مر ما ذقته في حياتي إلى الآن... إني أفتقد إلى الحنان...

خرجت مع السيدة سوزان في السيارة التي يقودها الحارس المكلف بي، عمر، واتجهت بنا نحو المتجر في الحي الغربي وهناك وطأت قدمي محلا مرموقا لم أحلم يوما بدخوله... تذكرت حين كنا نمر من جانبه حينما كنت أخرج لقضاء الوقت مع لورا وراما وكانت بعض القطع المعروضة تلفت نظري، لكنني لم أتخيل يوما أن أتواجد داخله بنفسي.

رحبت امرأة بالسيدة سوزان أشد ترحيب وبدا لي أنها تعرفها، ثم أشارت السيدة سوزان نحوي وهي تطلب منها شيئا يناسب مقاسي على شرط أن يتناسب مع ذوق إيان، وقتها فهمت أنه يبتاع الملابس من متجرها بكثرة ولولا ذلك ماعلمت بطبيعة ذوقه.

نظرت نحوي المرأة بتفحص ثم نظرت نحو السيدة سوزان قائلة: "كنت أحلم بلقاء زوجة السيد إيان الغامضة، قيل لي أنها طالبة جامعية لطيفة، لكن لم يذكر أحد لي مقدار نعومتها وحسنها"

شعرت بالخجل لمديحها وغمغمت بعبارات شكر محرجة، ثم أخذتني في جولة للبحث عما يناسبني ارتداؤه حينها جاءني اتصال من راما التي كانت تبكي من الجهة الأخرى لكنني لم أفهم ما ألم بها، فسألتها الإعادة ببطء حتى أفهم منها، وحين سمعتها من جديد وقع هاتفي من يدي تلقائيا ودون تفكير بما أفعله ركضت بسرعة نحو المخرج وقد غيم على سمعي وبصري لما حولي واقتحمت السيارة التي كان الحارس ينتظرنا فيها لأوجه له أوامري بالاتجاه إلى بيت لورا الآن.

راما

كررت محاولتي المئة بعد المليون وأنا أحاول الاتصال بفراس عله يجيب هذه المرة، ثم توقفت حين بلغت باب الشقة حتى لا أثير شكوك أمي، اتجهت نحو الحمام لأستحم وأبكي بصمت على ما آلت إليه الأمور، وأخذت أتساءل عن المدة التي يحتاجها المدمن حتى يتخلص من آثار المخدر في جسده، ماذا لو كانت طريقتي خاطئة في إيقافي لإدمانه؟ هل يمكن أن تسوء حاله أكثر؟ هل علي إخبار والديه بشيء؟ ماذا سأقول لهم؟ ربما أمكنني الحديث مع سمير عن الموضوع، أو ربما رشا فهي تبدو الأقرب إليه، بالرغم من المشكلة

التي حصلت بينهما بسببي، إلا أنها الأخرى كانت تحاول التواصل معه لتطمئن عليه، يبدو أنها تحبه أكثر مما توقعت، لو كانت فتاة غيرها لتركته وتخلت عن صداقته لإهانتها.

ظللت حبيسة أفكاري حين خرجت منها على صوت أمي تناديني بينما كنت أجلس إلى مكتبي أحاول الدخول إلى عالم الدراسة وطرد الأفكار السلبية من ذهني لبعض الوقت.

خرجت على صوت أمي نحو الصالة لأفاجأ برشا تجلس على الأرائك بجانب المطبخ المفتوح. شهقت بصدمة بينما قالت أمي: "إنها صديقتك من الجامعة؟"

كان تصريحها أقرب إلى سؤال منه إلى تصريح، فهي لا تعرف فتاة تدعى رشا في حياتي، فتقدمت بابتسامة مرتبكة وهززت برأسي إيجابا، ثم طلبت مني التحدث في غرفتي على انفراد. فلم تنجو من نظرات أمي الفضولية نحوها، فأسرعت بتبرير نفسها قائلة: "أعاني من مشاكل عائلية وأردت النصحية من راما... إنها مشاكل خاصة"

زمت أمي شفتيها وغادرتنا نحو المطبخ وهي تلتفت نحونا بفضول قاتل. أغلقت الباب علينا في غرفتي ودعوتها إلى الجلوس فلم تفعل، بل ألقت نظرها في الأرجاء حولها ثم قالت: "شقة لطيفة"

شكرتها بإحراج وسألتها عن الخطب فأدخلت يدها في خصلات شعرها وهي تزفر أنفاسا مثقلة حتى قالت: "اسمعي سأدخل في صلب الموضوع فلا وقت للمماطلة، فراس تغير كثيرا في هذه الفترة وكما تلاحظين تغيره هذا أثر عليه سلبا في كل شيء... إنه في طريقه إلى الهاوية... لذا رجاء يا راما.... أنت زرته قبل ثلاثة أسابيع في بيته صح؟"

علا صدري وهبط بأنفاس ثقيلة وسألتها عن مرادها فقالت: "هل لمحت شيئا؟ أعني ... هل ... هل وقع شيء بالخطأ بين أشيائك؟ "

عضت شفتها وهي تنظر نحوي بنظرة متهمة، شككت بأنها تتحدث عن الدواء، هل يعقل أنها تعلم بإدمانه؟ هل هي مدمنة مثله؟ أنكرت على الفور معرفتي بشيء، فهزت رأسها بعدم رضا ثم هاجمتني بحدة قائلة: "راما أرجوك كفي عن الهزار! كان في حمّامه علبة دواء هل أخذتها؟"

سألتها بذعر كشف زيف تظاهري بالبراءة: "عـ... عم.. تـ.. تـ.. تتحدثين؟"

اقتربت مني حتى أصبحت أمامي مباشرة وقالت لي بينما عيناها تخترقان فروة رأسي: "فمك يقول أنك بريئة لكن عيناك تقولان أنك مدانة!"

ابتعدت عني وبدأت تفتش في أدراجي وبين ممتلكاتي وممتلكات سارة وهي تعيد علي مرة بعد مرة: "أين هي؟ أين خبأتها؟ سلميني إياها حالا!"

حاولت إيقافها لكنها أبت وحاولت دفعي من أمامها أكثر من مرة، في النهاية صرخت بها: "كيف لك أن تفعلي هذا به؟ أتشجعينه على الإدمان؟! عليك أن تؤازريني بدل جره نحو القاع أكثر!"

دفعتني فكدت أقع ثم سألتني بإجحاف: "إدمان ماذا؟ ما هذا الهراء الذي تتحدثين به؟"

أجبتها بثقة: "إدمانه على تعاطي الحبوب! لن أسمح لأي أحد بمنعي عن إنقاذه! إن كنت لا تفهمين الصورة العظمى هنا فلا يهمني لن أكون تلك الصديقة الصماء البكماء التي تراه يغرق ولا تنتشله من القاع السحيق!"

انقضت نحوي حتى لم يعد يفصلني عنها إنش واحد لتقول لي بحدة: "بماذا تهذين؟! سرقت دواءه دون أن تفهمي خطورة فعلتك! هل جننت؟ لا أصدق أنك فتاة جامعية بمستوى الذكاء هذا! أتعانين انفصاما في الشخصية؟ هات الدواء يا مجنونة!"

لم يعجبني إهانتها لي فأمرتها بالخروج من بيتي والتفكير بطريقة منطقية لتصحيح وضع فراس بدل العودة إلى الإدمان بينما كنت منفعلة بشدة، فغضبت من كلامي ولكمتني على صدري فآلمتني ثم صرخت بي: "فراس ليس مدمنا أيتها الحمقاء! من أين لك بهذه المعلومة الغبية مثلك! فراس مريض! إنه مصاب بداء الاكتئااب!"

استغرق مني الأمر ثانيتين لأفهم كلامها، اكتئاب؟ فراس مريض؟ هو مصاب بالاكتئاب؟ لماذا وكيف؟ هل كذبت علي لورا لتحطمه؟ ما الذي يجري حولي؟ لم أعد أفهم! لانت نظراتها وهي تدرس معالم الصدمة على وجهي ثم أردفت قائلة: "شككت بخطب به ما إن لمحت إسرافه بشرب الكافيين، ثم أدركت أن شكوكي سليمة حينما ازداد وضعه سوءا، فذهبت إلى بيته قبل يومين لأتأكد إن كان ملتزما بدوائه لكنني لم أجده في خزانة الحمام وحينما سألته عنه، آه حينما سألته أتعبني حتى مدني بالإجابة.. كنت أظنه قرر التخلص من الدواء بمفرده لكنني فوجئت حين اعترف أنه لم يجده في أي مكان وأنه توقف عن البحث عنه بعد اليوم الرابع من اختفائه"

مررت يدها في خصلات شعرها بتوتر ملحوظ وأضافت: "المشكلة أن الدواء ليس متوفرا في صيدليات بلادنا، فوالده يوصي به من الخارج بوصفة طبية، والمصيبة الأخرى أن طبيبه مسافر ولم يقبل بصرف وصفة أخرى له لعدم تأكده من ضياعها حقا موضحا أنه يخشى المساءلة القانونية. وطلب من أمه احتواءه لحين عودته من السفر! لكن هذا مريض ولا أحد يتوقع ردود أفعاله المقبلة، ولا نستطيع الانتظار حتى رجوع الطبيب، ولن نتمكن أيضا من الذهاب إلى آخر لأنه سيوصي بنوع آخر من الدواء، وعليه أن يخوض فترة تعود جسده على الدواء الجديد فيمر بذات المعاناة التي يمر بها حاليا! هل فهمت حاجتي إلى

الدواء الآن؟ أرجوك أمه لم يغمض لها جفن منذ انتكس! أعيدي الدواء لي ولن أشي بك لأحد!"

من شدة ذهولي لما سمعت لم أتمكن من الحركة فأشرت لها نحو درج مكتبي بصمت لتسرع هي نحوه وأخرجت العلبة منه، وقبل أن تهم بأي حركة جديدة سألتها بصوت مرتجف: "لماذا... هو مصاب بالاكتئاب؟ أبسبب الوحدة؟"

حدقت في العلبة بعض الوقت ثم قالت بعد تنهيدة: "في النهاية يجب أن تعرفي... سبب اكتئابه هو هذا"

أخرجت هاتفها من حقيبتها وبعد ضغطات عرضت شاشته علي، فأخذت الهاتف من يدها لأفهم منها الأمر، من النظرة الأولى ظننتها قد قامت بتشغيل الكاميرا الأمامية لكنني استدركت بعدها حين لمحت صورة لشاب... شاب صغير في مقتبل العمر... شاب أشقر ذو عينين زرقاوين... يكاد يكون ... أنا!

هذا غير معقول بتاتا، لا أصدق كمية الشبه بينه وبيني وكأنه قد تم استنساخ نسخة ذكورية مني، هذا غير معقول! ماذا يدور حولي بحق السماء؟! فتحت فمي وأغلقته مرارا أبحث عن سؤال أو تعليق لكنها تولت إجابة السؤال العالق في جوفي فقالت: "هذا كرم، شقيق فراس الأصغر... أو بالأحرى... كان... لقد مات في حادث فظيع... مات غرقا"

شهقت بقوة بينما أتذكر لحظة لقاء فراس بي لأول مرة حين التقطني من على حافة القارب ودفعني بقوة صارخا بي إن كنت أفكر بالانتحار! هو لم يفعل ذلك مصادفة بل... لأنه فقد عزيزا عليه من قبل... لأنه فقده غرقا.... لأنه موجوع من ماضيه....

ثم أضافت: "لماذا ظننته عرض صداقته عليك؟ إنه يرى فيك شبح أخيه.. أراد التمسك بوهم قد ران على قلبه وتفكيره... لهذا هو يعاملك معاملة خاصة"

بدأت كثير من الأمور تتضح أمامي... محبته المفاجئة، ظننته مثل غيره أحبني لجمالي... فهمت تصرفات أمه الغريبة... نظرات والده المصدومة...صراخهم عليها حينما أرادت أن تتصفح ألبوم الصور أمامي... كنت أظنها غريبة أطوار..

أخذت رشا هاتفها من يدي حين بدأ في الرنين حيث لمحت على شاشته اسم (الخالة ميار) فتذكرت على الفور أنها أم فراس، استقبلت المكالمة ثم تغير لونها فجأة وهتفت لها أنها في طريقها إليهم، لكنني ما كنت لأسمح لها بالذهاب دون تفسير فأمسكت بمعصم يدها متسائلة عن الخطب فقالت: "فراس حبس نفسه في غرفته وهو يقوم بتحطيم كل ما حوله.. يجب أن أصل إليه قبل أن يؤذي نفسه"

هتفت لها راكضة خلفها: "سآتي معك!"

وهكذا خرجت من البيت بينما أمي تصرخ بي من باب الشقة متسائلة عن وجهتي لكن ذهني كان منشغلا به وبكل القصة التي صفعت إحساسي عن كل حس، فلم أنتبه إليها. ركبت بجوار رشا مقتحمة سيارتها دون إذن، مع إصرارها علي أثناء نزولنا السلالم بعدم لحاقي بها.

لم تملك وقتا كافيا لمجادلتي حين صعدت، فقد كانت مستعجلة فقررت اختصاري والإسراع إلى بيته مخالفة كل قوانين السرعة حتى وصلنا بيته والرعب قد تأصل في دمائنا. ترجلنا من السيارة دون إغلاق أبوابها مهرولتين باتجاه المدخل المفتوح للفيلا، سمعنا صراخ أمه من الطابق العلوي فأسرعنا بالركض على السلالم نحو مصدر الصوت، فرأيناها تطرق باب غرفة فراس بقوة وهي تحاول فتحه مستنجدة به ليسمع صوتها، اقتربت منها رشا وطلبت منها مفتاحا احتياطيا لفتح الباب فقالت أمه بعجز بين دموعها: "لقد فتحته لكنه عالق! لقد أوصد الباب بقطع أثاث من الداخل، ولا أحد في البيت غيري وبثينة فقد

أرسلت الحارس في مهمة للبحث عن دواء بديل لعل أحدهم يعطيه دون وصفة طبية لكنه لم يعد إلى الآن!"

كانت مدبرة المنزل تحاول معها دفع الباب ليفتح وهي تحمل ملامح مرتعدة والدموع في عينيها، فجأة اختفى صوت الحطام، فتساءلت أمه عن سبب سكونه المفاجئ وهي تطرق الباب بعنف بطريقة هستيرية، فأخذنا أربعتنا نحاول دفع الباب مرارا حتى فتح منه شق، فاستطعنا أن نلمح آثار زجاج متناثر على الأرض مع بعض قطع الأخشاب المحطمة، تقدم فراس من نطاق رؤيتنا فحاولنا دفع الباب مجددا وأمه تستصرخه لأن يستمع إليها.

كان ينظر إلى الزجاج المتناثر أرضا بصمت أثار ريبتي، ثم انحنى نحو قطعة زجاج والتقطها بيده فزاد صراخنا واستنجادنا به ليرميها، نهض واقفا ونظر نحونا ثم بيده الممسكة بقطعة الزجاج قام بجرح معصم يده الثانية فتحول صراخ أمه إلى صراخ هستيري، وأخذنا كلنا نتوسله لرميها بينما الدماء تقطر من يده، ثم رفع قطعة الزجاج قريبا من رقبته فزاد من صراخنا ودفعنا للباب، لكنه سبقنا فغرز القطعة في رقبته فافجرت منها الدماء فورا حينها تمكنا من دفع الباب بأكبر قوة لنا وقفزنا ناحيته، أسرعت رشا فأخذت القطعة من يده ورمتها وكاد يقع لكنها أمسكت به فامتلأت بالدماء بينما تضغط على موضع النزيف، وأخذت ترجوه لينهض وتصرخ بنا لتقديم المساعدة، أمه من جهة أخرى أغمي عليها من هول الموقف، أما مدبرة المنزل فأخذت تلطم وتنوح دون توقف، التفتت نحوي رشا باكية وهي تحتضن جسد فراس وصرخت بي: "اتصلي بالإسعاف! ماذا تنتظرين؟!"

لا أجد الوصف الكافي لأصف ما حلّ بي في تلك اللحظة، كانت أصوات الصراخ من حولي تبدو لي كأنها تخرج من قاع المحيط، طنين استوطن أذني وموجة مظلمة لاطمت

ذهني المشوش، شعرت أنني مشلولة بالكامل عن كل شيء وكل ما أراه هو الدماء تتدفق في كل مكان... لا أعرف من اتصل بالإسعاف وقتها وكيف حضروا ... لا أذكر بالضبط كيف حملوه واتجهوا به إلى المشفى لأن عيني لم ترى إلا الدم يغطي كل شيء.

تنبهت على صوت رشا الملطخة بالدم وهي تبكي بينما تنظر إلي بغل: "كل شيء حصل بسببك! إن مات سأقتلك بيديّ!"

نزلت على ركبتي ثم احتضنت رأسي لأستسلم لدموعي وأخذت أبكي كالمجنونة دون توقف، وبعد وقت لا أدري كم مر منه سمعت صوت لورا وهي تحتضنني من خلفي لتسألني عم حصل...

نظرت إليها وألقيت نظرة في المكان حولنا لم يكن في المكان أحد إلا هي وأنا والسيدة بثينة عند الباب... كانت لورا تنظر نحو الدماء على الأرض ثم تساءلت بقولها: "جئت بسرعة حالما لمحت سيارة الإسعاف تقلّ فراس وأمه إلى المشفى.. ماذا حصل؟"

ازداد نحيبي واستدرت نحوها لأرجوها باكية أن تأخذني إليه... ثم تركتها وبيد مرتجفة حاولت الاتصال بسيلينا فلا أحد غيرها يستطيع توفير شيء من الأمان لي وحينما استجابت للمكالمة بكيت من طرفي وأنا أقول بصوت غير مفهوم: "أنا بحاجة إليك! أرجوك تعالي إلي سأفقد عقلي! فراس سيموت!"

طلبت مني الإعادة فقلت بصوت متقطع كأنما أخرج سيفا غرز في صدري: "ساعديني! فراس في المشفى.... تعالي إلى بيت لورا"

جرتني لورا إلى بيتها بمساعدة مدبرة منزل فراس، وأخذتني إلى غرفتها، غسلت لي وجهي وناولتني ماء لأشرب وطلبت مني تفسيرا لما حصل لكنني لم أكن في وعي كامل لأقول شيئا. فجلستْ مستسلمة لصمتي في انتظار قدوم سيلينا.

حينما سمعت صوتها عند باب الغرفة أسرعت إليه وطوقتها بذراعيّ باكية من جديد، وتوسلتها للذهاب إلى المشفى الآن فوافقت دون جدال.

خرجنا في سيارة إيان التي جاءتني سيلينا فيها بقيادة حارسها الشخصي وفي المقعد الأمامي كانت تجلس امرأة خمسينية عرفتني سيلينا إليها على أنها مدبرة المنزل فزادت تلك قائلة بأن إيان أوكلها برعاية أمور سيلينا والاهتمام بها.

ركبت لورا إلى جانبنا بعدما اكتشفت أن والديها سبقاها إلى المشفى لتقديم المؤازرة لعائلته، ففراس ابن جيرانهم الأعزاء.

حين وصلنا تبعنا الحارس بينما بقيت مدبرة المنزل في السيارة، اتجهت بنا لورا إلى طابق العمليات وقد حصلت على توجيهات المكان من أمها. وصلنا حيث ينتظر الجميع على مقاعد الانتظار... والد فراس وهو يضم زوجته التي أفاقت من إغمائها تحت جناحه باكية حتى تورمت عيناها... والدا لورا... سمير ... وأخيرا رشا...

حينما لمحتنا الأخيرة نهضت باتجاهي وقالت عندما أصبحت أمامي: "غادري! لا مكان لك هنا!"

ابتلعت غصة ولم أجبها وأشحت بصري نحو الأرض كمن تحمل ذنبا يثقل كاهلها، تقدم سمير نحونا وسأل لورا عن سبب مجيئها فوضحت له قلقنا على فراس، فأجاب: "لقد خسر الكثير من الدماء ونحن في انتظار الطبيب ليطمئننا إلى استقرار حاله.. المهم أنه نجا من الموت"

وجه نظره نحو رشا مستفهما: "أنا لا أفهم... ظننته ملتزما بدوائه.. هل غير الجرعة بنفسه؟ أم ماذا حل به؟"

نظرت رشا نحوي بعتاب فشعرت بملايين الضربات تنهال على رأسي، ثم أجابته: "الأحمق أضاع دواءه ولم يخبر أحدا بذلك فانقطع عنه... لقد وجدته في غرفته التي في القارب"

وزعت لورا نظرها بين ثلاثتنا وقالت بغير فهم: "دواء؟! "

حك سمير رأسه ثم قال قبل أن يبتعد: "فراس.. متوعك صحيا... لذا هو ملتزم بعيار معين لعقار طبي"

فتحت لورا عينيها بعد أن فهمت شيئا من الأمر واستطاعت ربط الخيوط ببعضها ثم غطت فمها بشهقة وهي تنظر إلي، زفرت رشا بانزعاج وقالت لسمير: "أرجوك اطلب من مخطوبتك وصديقيتها الخروج من هنا المكان مزدحم... ووالداه بحاجة إلى من يصبرهما لا من يبكي ويزيد همهما"

كانت تتكلم وبصرها معلق علي. فطلب منا سمير المغادرة ووعدنا بإيفادنا بالتفاصيل أولا بأول. في النهاية وجدت نفسي مرغمة على العودة حتى وجدت نفسي في شقة لورا وهي تتحدث مع أمي عبرالهاتف، بعد يأسها من محاولتها الاتصال بي، لتطمئنها إلي وكذبت عليها بقولها أنها سقطت عن السلالم فأسرعت أنا للذهاب إليها لأطمئن عليها، لذا لم أفكر بشكل سوي وقتها. حصلت كذلك على معلومات مطمئنة من سمير عن كون فراس تجاوز مرحلة الخطر، وهو تحت المراقبة... كما أن رجال المباحث قدموا للبحث في الموضوع وحصلوا على القصة ذاتها التي روتها رشا وبينوا أنهم سيحققون في الموضوع أكثر.

شعرت بالذعر مما يجري حولي، ولأول مرة أشعر أنني عاجزة عن كل شيء، لكن لورا وسيلينا طمأنتاني إلى أنني سأكون بخير ولن يدري أحد بما صنعته أيدينا ما دامت رشا متكتمة على الأمر.

وأخيرا واتتني بعض القوة لأنظر في وجه لورا بعدما تأكدت أن فراس بخير، ثم قلت لها لأجيب عن سؤالها عما قصده سمير: "فراس مريض بالاكتئاب لموت أخيه! لم تذكري لي يوما أن لفراس أخا ميتا!"

شحب لونها شحوبا ملحوظا وحاولت تجنب النظر إلي، لكنني لم أكن لأسمح لها بالتهرب من قول الحقيقة فقلت بإصرار أكثر: "كرم!... كان هذا هو اسمه صح؟ غريب أنك لم تأتي على ذكره قط وخصوصا أن الشبه بيننا لا يوصف بالكلمات!"

أمسكتها من كتفيها وشددت قبضتي عليها بينما سيلينا ملجومة بكل ما بحت به وقلت بحدة أكبر: "أنتم جيران منذ الأزل! بالتأكيد تعرفين بأمره! كيف خبأت عني شيئا كهذا؟ لم يخطر في بالك يوما أن تقولي لي واو كم تشبهين شقيق فراس الميت!"

أبعدتني سيلينا عنها وهي تحاول تلطيف الأجواء بقولها: "اهدئي ربما نسيت!"

جلست لورا على حافة السرير وشردت في اللاشيء أمامها ثم قالت: "أنسى عمري ولا أنسى كرم"

تبادلت مع سيلينا نظرات مستفهمة ثم كشفت الغطاء فروت لنا القصة بقولها: "كنا أصدقاء منذ الطفولة... إلى أن أصيب كرم بحادث سير سبب له إعاقة حركية دائمة... كنا ما زلنا صغارا وعكفت على الحفاظ على علاقتنا قوية وأن أقدم له المؤازرة دائما.. فكنت له الأخت والصديقة حتى كبرنا وبدأت مشاعرنا تتجه إلى منحى جديد... وعده الأطباء بإجراء عملية له حالما يبلغ الثامنة عشر، وكان قد بقي له سنتان على موعدها... في ذاك الوقت كان برعم الحب العذري ينمو بيننا، وبدأنا ببناء أحلام وردية لمستقبلنا معا... رأينا في المستقبل شفاءه ثم يتقدم لطلب يدي من أبي ثم نتزوج ونقضي كل العمر معا... كنت ساذجة ولم أبلغ وقتها الثالثة عشر بعد... لكنه كان لطيفا جدا وهادئا جدا.. كان متقبلا

لوضعه ولا يتذمر أبدا وكان يحب أخاه حبا جما ومعجبا به إلى أبعد الحدود، فلم ير فيه إلا المثالية... بالنسبة إلى فراس كان يتجنب تماما الاختلاط به أو رعاية شؤونه وكان يخجل به، وكلما وُكّل بالاهتمام به وجد وسيلة ليتهرب من مسؤوليته تجاهه.... حتى جاء ذاك اليوم المشؤوم... ذاك اليوم الذي أقسمت على طمره مع ذكرياتي وأحلامي المحطمة... كان فراس ملتزما بموعد له مع أصحابه وكرم كان يرغب بالانضمام إليهم ليشعر بأنه شخص طبيعي ومن حقه عيش حياة طبيعية وسط الناس، ولأنه أراد رفقة أخيه، الذي يحبه بشدة... فما كان مني إلا أنني سممت رأس أمه بأفكار عن كون فراس مسؤولا عنه وعليه أخذه لتغيير جوه المكتئب، موضحة لها رغبته الشديدة في مرافقة أخيه ليحصل على وقت مميز معه... فأطاعت رغباتي وأمرت ابنها برعايته، هو طبعا لم يرحب بالفكرة أبدا واستشاط غضبا، لكنه لم يملك من أمره شيئا وهكذا وجد نفسه قد أجبر على اصطحابه معه.... حدثني عصر ذلك اليوم أن فراس تركه بمفرده في مكان بعيد نسبيا عن أرض الملعب حيث كان يلعب بالكرة مع أصحابه، غضبت على الفور وطلبت منه أن يعود إلى البيت وأرسل له سيارة لتقله ولكنه رفض وأخبرني أنه سيتجه إليه ليشجعه أثناء اللعب.
في نهاية ذلك اليوم وصلت إلي أخبار موته غرقا... لا أعرف كيف حصل ذلك لكنني كنت متأكدة أن فراس لم يرعه كما يجب، فاتهمت فراس بالإهمال وأقسمت على جعله يذوق المرّ فأخذت أزرع فيمن حوله فكرة أن موت كرم كان بسببه هو لأنه تخلى عنه في منطقة نائية وتركه وحده لأنه يخجل به ليستمتع باللعب مع أصدقائه الحمقى، فلامه الكل وأصبح المهمش في العائلة... كرهه والداه فترة من الزمن.... حتى أخته أقسمت على عدم رؤيته مجددا فرحلت للعيش في بلد آخر مع زوجها. طالبت أبي بنقلي إلى مدرسة أخرى لأنسى ذكرياتي معه فقد كنا نرتاد ذات المدرسة وأينما نظرت أرى شبحه وذكرياتنا معا.. لذا نقلني

إلى المدرسة التي كنت تدرسين فيها وهناك حينما رأيتك استرجعت كل ذكرياتي الأليمة... أدركت أنني لن أتخطى حزني أبدا إن أصررت على تجاهل وجودك فوجدت نفسي تلقائيا أتقرب إليك حتى أكذب على نفسي بأن جزءا من كرم ما زال على قيد الحياة.... في البداية تقربت إليك لأنك تشبهينه لكن أحببتك بعد فترة لشخصك لما رأيت من جمال داخلي فيك.. عرفت أنك مميزة سواء أكنت تشبهين كرم أم لا... ثم أخيرا تمكنت من تخطي الماضي حينما تقدم سمير لخطبتي وأخذت مشاعري تنمو نحوه لأقع بحبه وأتذوق طعم الحب مجددا.... ما لم أرضى به يوما أن تقعي بحب فراس لأنه لا يستحقك أبدا... ومع حرصي الشديد على ذلك فقد فشلت في حمايتك منه.... فشلت فشلا ذريعا. كنت أتمنى ألا يلمحك، وإن لمحك تمنيت أن يكرهك كما كان يشعر تجاه أخيه... "

غطت وجهها بكفيها وهي تبكي قائلة: "فتحت علي أبواب مواجع كنت قد دفنتها"

سألت سيلينا مترددة: "هل يعلم سمير بكل هذا؟"

رفعت وجهها وأسرعت بالإجابة بقولها: "لا، أبدا، لا تقولا شيئا أمامه! سمير لم يكن يعرفني آنذاك... كنت أقضي جل وقتي مع كرم بعيدا عن فراس وأصدقائه، لا أدري متى وقعت عينه علي لكنه عندما تقدم لخطبتي في الثانوية قال لي أنه وقع بحبي منذ النظرة الأولى وتردد كثيرا قبل عرض نفسه على أبي لعلم الجميع بمكانتي كوحيدة العائلة، أرجوكما لا تقولا شيئا أمامه، فهو يظن أنه الحب الأول في قلبي"

تمت مقاطعتنا فجأة على صوت طرق الباب، فأذنت لورا للطارق بأن يفتح لتطل علينا إحدى الخادمات بقولها:" آنستي أعتذر على المقاطعة... السيد إيان في البهو في انتظارك"

تغير لون سيلينا على الفور فاتجهنا ثلاثتنا نحو السلالم، لمحنا إيان في الطابق الأرضي وهو ما زال واقفا فأسرعت لورا بالنزول نحوه بينما بقيت مع سيلينا في أعلى السلالم، قالت له لورا بإحراج: "حقك علي يا إيان! سأحرص على عقاب الخادمة لأنها لم تستضفك في المضافة" لوح بيده لتثني عن رأيها قائلا: "لا، أرجوك لا تعاقيبها لقد حاولت إقناعي بالدخول لكنني أصررت على الرفض فأنا لم آت في زيارة، في الواقع جئت لأقل سيلينا"

نظر نحو سيلينا من الأسفل مبتسما فاحمر وجهها سريعا ثم وجه نظره نحوي وأضاف: "كما أنني أردت الاطمئنان على فراس، سمعت أنه في المشفى... هل كل شيء على ما يرام يا راما؟"

شعرت بالارتباك على الفور وأعتقد جازمة أن سيلينا كانت على وشك الانفجار، فقد تبدل لون وجهها، فخشيت أن تكرهني بسببه فطمأنته بعبارات مقتضبة، ثم طلب مني ألا أتوانى عن طلب المساعدة منه إن كان فراس يحتاج شيئا. أكاد أقسم لحظتها بأنني لمحت الدخان يتصاعد من رأس سيلينا.

سيلينا

جلس إيان في مقعد السائق في سيارته الفضية بعدما أوصى الحارس عمر بقيادة السيارة الثانية برفقة السيدة سوزان. نظرت إليه من طرف عيني باستياء، ثم وجه لي تحية ليسألني عن حالي فقلت ببرود: "لا تستخدمني كحجة لك ثانية..فأنت لم تأت لتقلني... كان غرضك أن تتحدث مع راما فقط"

زفر بانزعاج ثم سمعته يحوقل وقال: "ما مشكلتك صدقا؟ أتظنيني أريد خيانتك مع راما؟ وحتى لو أردت أكنت تظنين أنها سترضى ذلك لك؟ كفي عن غيرتك غير المبررة كالعادة "

شعرت بالسخط يتنامى فأجبته: "أنت تتمنى وتحلم بأن تحصل على راما بدلا مني "

نفخ بضيق قائلا: "عدنا من جديد! أنت غير معقولة البتة! كم أنت مزعجة بشخصيتك الضعيفة المهزوزة هذه! كلما لمحت امرأة تقف بجانبي يحمر وجهك وتتخبط انفعالاتك حتى أن الرائي يلاحظ التغير الذي يصيبك! كفي عن ذلك.. لا تنسي أن فترة زواجنا مؤقتة!"

فغرت فمي بدهشة من تصريحه فعض شفته ندما ثم استدرك وقال: "لم أعني ذلك.. أنا آسف ... أرجوك سيلينا.."

قاطعته دون النظر إليه بينما أكبت دمعي في عيني قائلة: "أريد المبيت في بيت أمي الليلة"

- "سيلينا! قلت لك أنا آسف لم أقصد حقا!"
- "أريد النوم في بيتي في غرفتي القديمة"

حاول مجادلتي مجددا لكنني رفضت الرضوخ له، لقد جرحني أكثر مما تصورت... تأكدت الآن يقينا بأنه ليس فقط لا يحبني بل متثاقل من مسؤوليته تجاهي.... أدرت وجهي للجهة الأخرى وبكيت بصمت مختنق وأنا أحاول جاهدة إخفاء ذلك عنه.. أوهمته بأنني سأنام الليلة في بيت أمي بينما أضمر في قلبي ألا تكون فقط لهذه الليلة فأنا عزمت على عدم العودة أبدا إلى قصره الفاره ذاك. تعبت من هذه التمثيلية السخيفة لماذا لا أبقى بعيدة عن كل ما يوجع قلبي وحين تنتهي إجراءاتهم ويحصلون على الأموال فليرسل إلي ورقة الطلاق وننتهي من هذه الدوامة الغبية.

حين استقررت في غرفتي القديمة بعد استقبال وجه أخي المصدوم وتجاهل إيان الواقف عند الباب كليا شرعت بمهاتفة راما للاطمئنان على فراس. أراحت قلبي قليلا حينما أبلغتني بإفاقته حسب كلام سمير وتعريضه للتخدير حتى يتم التعامل من جديد مع جرعات الدواء المسموحة له، وذلك بعد عرضه على أخصائي للأمراض العقلية في

المشفى. طلبت منها أن تبيت ليلتها في بيتي إن أرادت تجنب أمها وتحقيقاتها التي لن تنتهي، كما أنني أردت رفقة لأتناسى موضوع إيان أيضا فوافقت مما جلب شيئا من السعادة إلى قلبي. استلقيت على أريكتي وأكرمتها بالنوم على سريري ثم نظرت إلى السقف وأنا أفكر ثم قلت: "أتعرفين ما أخطط له؟"

التفتت نحوي في انتظار ما سأبوح به فقلت: "حالما أحصل على الطلاق سأغادر هذه البلاد وأكمل دراستي في الخارج وأؤسس لي مشروعا صغيرا لأقضي عمري بعيدا عن كل ماضيّ المؤلم. وسآخذ معي أحمد.. لا أريد إبقاءه هنا وحيدا، وإن أرادت أمي مرافقتنا فلن أمنعها"

ابتسمت بدفء ثم قالت بصوت مبحوح: "وأنا ستتركينني وحدي؟"

اتجهت بنظري نحوها وقلت: "سآخذك معي.... هذا إن سمح لي فراس بذلك!"

ضحكت على إجابتي ثم أتبعت ضحكتها بدموع ليتحول ضحكها إلى بكاء. مسحت عينيها ثم قالت: "هذا إن سامحني... لا أعرف ما قد يفعله عندما يعلم أنني السبب في كل ما حصل له... سيكرهني سيستبعدني من حياته ويقصيني بعيدا وسيتحطم قلبي.. لن ألومه صراحة فأنا أخطأت بحقه خطأ لا يغتفر! كاد ينتحر اليوم بسببي أنا"

أردت مواساتها لكنني كنت أرى ذلك أيضا.. أردت الكذب عليها لكن كذبي ليس إلا مماطلة للحقيقة المؤلمة... كلانا وقعتا في الحب وكلانا خرجتا منه بقلب مكسور وروح محطمة... ولا علم لنا بما يخبؤه الغد لكنني أرجو أن تسطع الشمس في سماء أحزاننا فتبدل غمنا سعادة وفرحا قريبا.

الفصل الثالث والعشرون

راما

عدت إلى الجامعة بعد عطلة نهاية الأسبوع، بقيت خلالها سيلينا في بيت أمها، لكنها لم ترحب بها وحاولت إرغامها على العودة إلى بيت إيان والتصرف كزوجة صالحة عوضا عما وصفته بالحركات الطفولية.

وما زاد استياء أمها أنها فوتت على نفسها حضور احتفال جدة إيان بذكرى تأسيس شركتها، وانتشار صور له على مواقع التواصل الاجتماعي بمفرده في الحفل مع علامات استفهام كبيرة، وبدأت التعليقات بالانتشار على هذه الصور منها ما كان ذما بسيلينا ومنها ما كان دفاعا عنها. ولم تستطع أمها تبرير الأمر أمام جدته فنالت سخط رئيستها في العمل بسبب ابنتها مع تهديدها بالطرد إن جلبت سيلينا سمعة سيئة لحفيدها.

قررت الجلوس مع سيلينا خلف الكلية، حتى إذا جاء فراس للبحث عني لا يجدني، لم أقوى على مواجهته بعد خيانتي له، فأيدتني لرغبتها هي الأخرى في الهروب من إيان، وراعيت قدر الإمكان دخول المحاضرات فور بدئها والخروج منها فور انتهائها للاختباء من جديد.

صراحة لا علم لي إذا كان فراس في الجامعة أم لا، ولا أعلم بالتفاصيل التي حصل عليها من رشا، لكن لو أردت أن أكون ممتنة لها لشيء فهو لتكتمها عني أمام رجال المباحث وعدم توجيه أصابع الاتهام نحوي.

كانت لورا تشعر بالضيق من موقع جلستنا الجديد منبهة لنا أننا بتنا نجلس هنا كثيرا فقد نجلب لأنفسنا سمعة سوء، لكننا اخترنا تجاهل شعورها فقالت سيلينا: "كفى يا لورا! أليست الحياة جميلة دون ظلي ذاك؟ إني أشعر بالتحرر أخيرا"

شردت لورا قليلا وهي تتمعن المكان دون وجود حارس سيلينا معنا، قبل أن تعلق: "بعد الاستماع إليك أظن أن كلامك صحيح"

لكن للأسف لم يكتمل احتفالنا بنجاتنا فما إن انتهت جميع محاضراتنا ووقفت بانتظار سيلينا لتخرج من قاعتها عند باب الكلية وإذ بي ألمح فراس مقبلا من بعيد.

تلاقت نظراتنا لوهلة فتوقف عن المسير وهو ينظر إلي.. رؤيته مجددا حركت مشاعر الحب في قلبي من جديد فأردت رمي نفسي عليه واحتضانه بقوة اشتياقا له ولأطمئن على سلامته، خصوصا أنني لمحت ضمادا حول رقبته، لكن ذهني كان منشغلا بخطة أخرى... الهرب.

عددت الثواني بينما أرقبه وهو يقترب، ودون إعطائه فرصة للتفكير استدرت نحو سلالم الكلية وقفزت عليها لأهرب منه داخل الممرات لعله يفقد أثري، لكن حينما لمحني أهرول مبتعدة أسرع بالركض خلفي مما ضغط زر الإنذار في دماغي لأسرع الخطى أكثر.

ركضت في الممر على مرأى من عيون الطلبة والأساتذة فسمعت بعض التأنيب منهم منبهين علي التزام الهدوء. لكنني لم آبه لهم وأكملت ركضي صعودا على السلالم نحو الطابق الأول لأختبئ في أي قاعة فارغة. لكن فراس كان سريعا بدوره وتمكن من الاقتراب مني، تبا! أفهد هذا أم إنسان؟ اصطدمت بعدة فتيات فتطايرت كتبهن وتبعثرت أرضا، وصرخت إحداهن بي لكنني لم أتوقف وتابعت الركض وخصوصا حين لمحته يمر من خلالهن وهن يجمعن أغراضهن المبعثرة.

صعدت السلالم نحو الطابق الثاني، التفتّ خلفي فلم أجده وحين أعدت نظري أمامي وإذ به يفتح ذراعيه على مرأى من بصري ليوقفني، من أين جاء؟ لم أملك الوقت الكافي لأبحث عن إجابة لاستفساراتي فأسرعت بالانحناء من جانبه ومررت كالزئبق من تحت

ذراعه بينما أراد أن يقبض علي لكنه لم يتمكن من ذلك. تابعت ركضي حتى رأيت إيان في طريقي ودون تفكير مني أسرعت للاحتماء خلفه.

توقف فراس عن الجري حالما تعلقت بسترة إيان من خلفه بينما ألهث، فأخذ يسترق النظر إلي من خلف إيان، أما الآخر فقد شعرت به يتشنج على أثر تعلقي المفاجئ بسترته.

رفع فراس حاجبا وهو ينظر نحوي مؤنبا ثم أحنى رأسه للأمام وقال: "تعالي"

هززت كتفي رفضا، فأعاد طلبه ثانية بذات النبرة، أما إيان فتنحنح وهو يعدل سترة بزته لعلي أحررها، ثم همس لي: "إذا كنت لا ترغبين بالتسكع معه فلن يرغمك أحد، أما إن كنت تتهربين من مواجهته فسينتهي بك المطاف مهزومة وأنت تعلمين ذلك"

ماذا يعني بكلامه؟ هل يعلم شيئا مما صنعت؟ هل باحت له سيلينا بجريمتي؟ لا هي بالكاد تكلمه أو تراه... هتف لي فراس مجددا لأعيد تركيزي إليه قائلا: "أريدالتحدث معك.. رجاء! "

قالها وهو يشير لي بعينيه حوله، حينئذ تنبهت إلى ما حولي فقد كانت أبواب القاعات مفتوحة وكل من يمر يقف للمشاهدة، هذا عدا عمن انتصبوا أمام الأبواب وعيونهم معلقة بالمشهد كأنهم يتابعون تمثيلية من فيلم سينيمائي... شعرت بالخجل على الفور وأفلتّ سترة إيان وخطوت للخلف خطوة، تحيّن فراس الفرصة وأسرع نحوي وأمسك بيدي ليجرني معه خارجا.. لكن للأسف ليس قبل أن تقع عيني على سيلينا التي كانت بين الجمع المتفرج والصدمة بائنة على وجهها... آه لا!

أخذني فراس إلى حيث تصطف دراجته النارية قريبا من الباب الغربي، وكان الصمت يخيم علينا طوال الطريق، أردت أن أسأله عن حاله وعن إصابته، أردت الاطمئنان إلى وضعه

النفسي لكنني جبنت فآثرت السكوت. حينما وصلنا ألقى إلي بخوذته الاحتياطية لأرتديها وارتدى خوذته كأنه على علم مسبق بركوبي معه.

صعدت خلفه دون مجادلة أو كلام، لكنني لم أتعلق بجسده كما كنت أفعل، فمد يديه وسحب ذراعي لتحوطا وسطه رغما عني ثم قال: "الوقوع عن الدراجة ليس أمرا لطيفا.. صدقيني جربت ذلك"

لم أجادله في كلامه وأطعت رغبته في التمسك به لكنني حاولت السيطرة على ضربات قلبي التي لم تتوقف عن التسارع منذ لحظة لقائنا الأولى.

لم يكن لي علم بوجهته لكنني لم أجرؤ على سؤاله شيئا، وتركت نفسي سجينة قراراته متوسلة في داخلي ألا أبكي ندما في وقت لاحق.

سيلينا

أعلم أن لراما مبررا جعلها تحتمي بظهر إيان، هي لن تفعل ذلك بالتأكيد لتعيد إحياء مشاعره تجاهها أليس ذلك صحيحا؟ لا بد أنه صحيح! إنها صديقتي لن تفعلها بي! أو ربما... لا لا، سيلينا إياك أن تشكي براما أبدا... هي أختك قبل أن تكون صديقتك والأخوات لا يغدرن... أم أنني مخطئة... شعرت أنني سأجن ريثما أكمل سيري بين الممرات للخروج من الكلية، بينما إيان يسير خلفي وهو يهتف باسمي مرارا لأتوقف. في نهاية المطاف أسرع خطاه وقبض على ذراعي فالتفتّ نحوه تلقائيا فقال: "هل أقبّل قدمك أمام الآخرين لتسمعي كلامي؟"

ازدادت نظراتي نحوه حدة، فابتلع ريقه وترك يدي ثم سار حتى صار إلى جانبي وقال متحاشيا النظر إلي: "دعينا نبتعد عن الأعين ولنتحدث على انفراد... أرجوك"

كنت ما زلت في أوج غضبي، لكنني قررت الاستسلام له لعلي أفهم فقط سبب حمايته لراما من فراس.. لقّبوني بالرخيصة لست مهتمة قلبي يشتعل بنيران الغيرة وقد طفح الكيل ما عدت أحتمل.

جلسنا في سيارته التي تصطف في كراج الهيئة الإدارية والتدريسية.. طبعا هذا إيان هودج! لن يكون مقبولا في حقه أن يصطف بسيارته في الشارع أو في كراج سيارات الطلبة. راعى إغلاق النوافذ وأوصد الأبواب. في البداية شعرت بقشعريرة تتسلل بين عظامي، لكنني تجملت بقناع الثبات. وأخيرا قال: "عصفورتي سيلينا.. أعتذر من كل قلبي على كلامي اللئيم معك، لم يكن ذلك مقبولا البتة.. مهما كانت طبيعة زواجنا فمقامك الآن زوجة لي وكان علي احترام ذلك"

لم أتخيله أبدا سيلفظ بهذا الكلام، ظننته ربما يهاجمني لأنني تركته وحده في الحفل ليتلقى التوبيخ من جدته بمفرده، أو لأنني أتصرف تصرفات طفولية غير منطقية، لكن أن يعتذر! فهذا لم يكن في الحسبان. لماذا عليه أن يكون لطيفا إلى هذا الحد؟ إنه يظهرني بمظهر الشريرة هنا، وبالتالي أشعر بالندم على فعلتي به.. لا سيلينا كوني قوية! إياك أن تستسلمي لهذه الأفكار، رأيت بعينيك تقربه من راما.

استحوذ الجزء الشيطاني بي على تفكيري فهاجمته دون مقدمات كأنني أرمي اعتذاره في وجهه: "أنت تحاول فقط تحاول تلطيف الأجواء بعد تقربك أمامي من راما! كف عن التظاهر بأنك تهتم لمشاعري!"

مسح بيده على فكه السفلي باستياء وقال: "عدنا لموضوع راما؟ "

أجبته بغيظ: "أن تحبها شيء، وأن تظهر حبك لها أمام الجميع شيء آخر!"

سحب مقدارا من الهواء في رئتيه ثم قال: "أولا أنا لا أحبها بل معجب بها هناك خيط رفيع بين الحب والإعجاب.. فلو كنت أحبها لما كنا متزوجين."

فتحت عيني عقب تصريحه فقد فاجأني ثم تابع: "ثانيا.. لم أحاول التقرب منها أبدا بعد زواجنا... أبدا!... ثالثا..."

التفت نحوي يحمل ملامح جدية وقال: "صديقتك مخلصة لك لأبعد الحدود... حتى لو لم تستطيعي تصديق ذلك، فقبيل زواجنا اعترفت لي بأنها لن ترضى بالارتباط بي أبدا حتى بعد ... إنهاء الزواج... حفاظا على مشاعرك أنت... لذا.. أطلقت سراحها من بالي"

قلبت عيني بارتباك في أرجاء السيارة متجنبة أن تقع نظراتي عليه ثم سألت: "يعني.. لم تعد معجبا بها؟"

نفخ أنفاسه متعبا وقال: "بلى.. ما زلت كذلك... لكن لم أعد أطمح للزواج بها"

لا أدري إن كان علي أن أفرح بكلامه أم أحزن على حالي المثيرة للشفقة، لكنني لم أقاوم شعور الراحة حين اجتاحتني، ربما أبدو أنانية لكن أليس هكذا حال الحب؟ إنه شعور بحت بالأنانية ولا أستطيع لوم إحساسي...

بدأ بتشغيل السيارة بعدما أعلمني بوجهتنا نحو البيت.. فلم أملك إلا أن أتساءل.. بيته؟ من قال أنني أريد العودة إلى مقر العذاب؟ أظهرت أمامه رفضي بالعودة مما أعادنا إلى نقطة الصفر. وأخيرا قال: "أرجوك قولي لي ماذا أفعل حتى أحظى برضاك؟ ماذا تريدين بعد؟"

أجبته: "لا يمكننا أن نجتمع تحت سقف واحد كثنائي بينما نحن لسنا كذلك!"

اشتدت قبضته على المقود وقال: "وخطأ من هذا؟"

قطبت جبيني وأنا أواجهه بنظراتي ففسر قوله قائلا: "ألم تشترطي أنت بنفسك أن يكون زواجا بلا دخول؟"

عيناه الزرقاوان كانتا مسلطتين علي بعذل واضح مما جعلني أشعر بالدم يجري نحو وجنتي من نظراته وكلماته، فاحتضنت جسدي وبررت قائلة: "آه! لا أعني ذلك! يا رب كيف يفكر معشر الرجال؟! أنا أعني... أنك لا تعرف عني شيئا... فمنذ وقع هذا الزواج على رأسي وكل شيء يسير وفق رغباتك.. أنت لا تعرف ما أحب وما أكره وكيف أقضي وقتي..و..."

قاطعني وهو يهز رأسه قائلا: "لا مشكلة... إذا كانت هذه شوكتك فأستطيع اقتلاعها، لكن أرجوك عودي معي إلى البيت"

لم أجبه من فوري بل سألته عن مقصده، فأجاب مع ابتسامة رقيقة قرعت أبواب قلبي: "سألغي جميع مواعيدي لليوم وأخرج معك بعد العصر في موعد على هواك أنت وستكونين المتحكمة في كل شيء يخص هذا الموعد، ما رأيك؟"

لم ينتظر مني ردا، بل سارع بالاتصال بمساعدته أماندا وألغى جميع مواعيده المسائية ليضعني أمام الأمر الواقع، وهكذا وجدت نفسي في غرفتي حائرة بين جدرانها، جالسة على حافة سريري غير مهتدية لما علي فعله.

حاولت التواصل مع راما لأطلب منها المشورة لكنها لم تستجب للرنين، فلجأت إلى لورا، وحينما عرضت عليها القصة باختصار تحمست بشكل مبالغ وبدأت في سرد قائمة النصائح.. "أولا تصرفي بشكل طبيعي وكوني على سجيتك فيرى إيان حقيقتك الحلوة، لكن ليس كل حقيقتك.. أعني أظهري شيئا من القوة حتى لو تصنعتها، لا يوجد شاب يعشق ضعيفة الشخصية.. ارتدي شيئا جميلا ومريحا، لكن ليس مريحا كما كانت تفعل سيلينا القديمة، اختاري أماكن تعشقينها وطعاما تحبينه حتى يهتدي إيان إلى طبعك...وفي

النهاية أبقي فمك الغبي عن الغيرة مغلقا، وهكذا يا صغيرتي تصطادين سمكتك دون عناء"

شكرتها على مضض بينما أحاول تقبل بعض نصائحها الثقيلة على مسامعي. أخذت حماما سريعا وارتديت بنطالا من الجينز تعلوه كنزة لطيفة بلون زمردي جميل وحذاء أسود طويلا، سرحت شعري وتركته منسدلا على ظهري وتزينت بمساحيق تجميل خفيفة لأن البساطة بالنسبة لي عنوان الجمال.

استجمعت شجاعتي ونهضت لأتجه إلى إيان لأعلمه بجاهزيتي، اتجهت صوب المطبخ لأسأل السيدة سوزان عنه، فأعلمتني بتواجده في الصالة الرياضية، فسرت نحوها بخطى مترددة، وبعد طرقتين على الباب سمحت لنفسي بالولوج.

توقفت من فوري قبل أن أكمل سيري وذلك بسبب ما رأته عيني؛ كان إيان جالسا على مقعد طويل يحمل في يده أوزانا لرفع الأثقال، كان يرتدي بنطالا رياضيا قصيرا عاري الصدر.

ولأنه كان يحمل الأثقال فقد كانت عضلات صدره وبطنه منقبضة والعرق يسير على جسده بين خطوط عضلاته فبدا كلوحة مرسومة. وضع الأوزان أرضا حينما رآني ونهض متهجا صوبي وهو يمسح جبهته ورقبته بمنشفة بيضاء نظيفة. ابتسم لي فألقى سهام الهيام في قلبي، وتأملني بنظرات تنم عن الرضا قائلا: "طلة لطيفة... عذبة وخفيفة كالسكر"

ابتلعت ريقي بارتباك واضح، هل يتغزل بي أم يمدح لباسي؟ لقد تهت معه ولا أدري كيف أتعامل مع كلامه المعسول المفاجئ بين الحين والآخر... هل هو لطيف فعلا هكذا بطبعه؟ أم أنه يتظاهر باللطف ليخفي وحشا حاقدا لئيما بداخله؟

كنت شاردة وبغير وعي مني كانت نظراتي موجهة نحو صدره المفتول بالعضلات، لكنني لم أكن أنظر بذات الوقت، لكن إيان لم يفهم مدلولات نظراتي، فقال مخرجا إياي من قوقعة أفكاري: "يمكنك اللمس إن شئت، ففي النهاية أنا زوجك ولا عيب في ذلك"

سألت بخفوت: "ألمس ماذا؟"

فأمسك بيدي ووجهها نحو صدره ضاغطا بها على عضلاته، لوهلة توقفت عن التنفس وحاول دماغي البسيط استيعاب الموقف، يدي الصغيرة تلامس صدره الصلب المتعرق!

وهنا خرج صوته مبحوحا وهو يهمس بوضوح أمامي: "يدك كالثلج باردة ومنعشة"

عقب كلامه الجريء هذا احمر وجهي سريعا فانتزعت يدي بسرعة عن صدره وشعرت بحرارة تغلف جسدي فجلجلت بتلقائية: "كيف أصبح الجو حارا هكذا؟"

كنت ألتفت حولي بسذاجة دون تفكير كأنني أبحث عن نافذة أو صنبور ماء، نظر هو نحو مكيف الهواء بهدوء وقال: "إن مبرد الهواء يعمل بشكل جيد، هل أصبت بالحمى لا قدر الله؟"

مد يده ليتحسس جبيني فقفزت إلى الخلف بسرعة وصرخت به قبل ان أهرب خارجة:

"جئت أعلمك بجاهزيتي للخروج، أسرع هيا! أريد ان أعود قبل المساء! لدي دوام غدا!"

ركضت صوب غرفتي دون أن ألتفت خلفي وأغلقت الباب متكئة عليه بأنفاس لاهثة متقطعة وحلق جاف ونبضات قلب لم تهدأ في تسارعها.

نظرت نحو يدي المخضّلة من عرقه، وشعرت بأحاسيس تتقلب في معدتي كأن قطار الأفعوانية يتشقلب في أحشائي، كيف حصل لي شيء كهذا وشاركت معه لحظة محرجة بهذا الشكل؟ آه هو ظنني شاردة في عضلاته! تلك العضلات البارزة، القوية، المتينة... سيلينا!

ما بك بدأت تصابين بالهذيان! حاولت جاهدة تنظيم أنفاسي وإخراجه كليا من رأسي، لكن لم يكن ذلك بالأمر السهل أبدا.

راما

فتحت فمي كالبلهاء وعيني تتأملان الطريق الذي عرفت أنه مألوف بطريقة ما، ألسنا قريبين من الميناء ذاته الذي تستريح فيه سفينته قريبا من المرفأ؟ كان اعتقادي في محله تماما، فما هي إلا لحظات وكان فراس يترجل عن دراجته النارية ويسير خطوتين أمامي.

التفت نحوي ومد يده لي قائلا: "هيا بنا"

أخذت نظرة حولي لأجد بعض الرجال في البزات السوداء يحوطون القارب، فطمأنني فراس إلى أنهم رجال والده المكلفون بعملية الحراسة.

دخلت السفينة بمساعدة فراس واتجه بي نحو الطابق السفلي حيث غرفته في نهاية الرواق، مسيري معه مجددا هنا أحيا بعض الذكريات وخصوصا لحظة لقائنا ورقصتنا الأولى معا.

فتح باب غرفته وأشار إلي بيده الدخول قبله، ففعلت وأنا أبتلع ريقي خوفا. هل يعقل أن ينتقم مني هنا على ما فعلته له؟ ربما يريد إيذائي أو قتلي والتخلص من جثتي... لا! مستحيل! لو أراد ذلك ما أخذني على مرأى الجميع حتى لا يوجه له أحد أصابع الاتهام ولحاول اصطحابي في مكان معزول.

صفق بيديه أمام وجهي فأجفلت ثم قال: "عليك فعلا أن تتخلصي من عادة الشرود هذه، فقد تسبب لك مشكلات أنت بغنى عنها"

تأمل نظرات عينيّ التائهتين ثم أضاف: "وبالمناسبة سلمك الله، شكرا على السؤال أنا بخير"

عضضت شفتي ووجهت نظري نحو الأرض ثم قلت: "كنت أريد.. الاطمئنان عليك... لكنني .... لم أجد الفرصة المناسبة"

رفع حاجبيه مستهزئا وقال: "هراء! كنت خائفة ولم تجرئي على مواجهتي!"

ازدادت ضربات قلبي عنفا لكن هذه المرة بذعر كبير، سار مارًّا من جانبي حتى جلس على الأريكة، ثم طلب مني مجالسته، طال بي الوقت واقفة مترددة فيما علي فعله، وهو بدوره لم يضغط علي بل انتظر خطوتي التالية.

بعد المزيد من الوقت رن هاتفي، فألقيت نظرة لأتأكد إن كانت أمي، فلم أفاجأ حين اكتشفت أنها من سيلينا، فتجاهلت الرنين عازمة في سري حلي مشاكلي على حدى، فلأبدأ بمشكلة فراس ثم أتفرغ لسيلينا وغيرتها القاتلة.

أخرجت نفسا خافتا ثم تجرأت وقلت: "أعتقد أن رشا قد أبلغتك بما حصل... لكن أرجوك اسمع مني، لدي تبرير لما فعلت.."

كان متكئا بمرفقه على مسند الأريكة ويحمل خده وذقنه على كف يده صامتا محملقا بي دون تعبير يذكر، تسارعت نبضات قلبي خوفا لكنني وقفت أمامه أتصنع الشجاعة وقلت: "كنت أريد حمايتك... لم أكن أعلم بالحقيقة.. ظننتك...."

أكمل هو جملتي متسائلا دون تغيير على وضعيته: "مدمنًا؟"

تحشرج صوتي في جوفي وبدأت الدموع في التشكل في عينيّ فنهض بسرعة وقبض على ذراعيّ بيديه، ثم قال: "لا تبكي! راما لست غاضبا... أرجوك اهدئي!"

غطيت فمي بيدي وسألته: "لست غاضبا؟"

وجهني نحو الأريكة لنجلس كلانا وهو ممسك بأطراف أصابعي ثم بدأ يدلك بإبهامه ظهر يدي وقال: "إنها غلطتي... لا أدخل بيتي أحدا لا يعلم بسري، لذا لم يطأ أحد من

أصدقائي عتبة بيتي إلا رشا وسمير... انسي أمر لورا فعلاقة ذوينا مقربة... بيت القصيد هنا، كان يتوجب علي إعلامك بالأمر بدل إدخالك متاهات أنت بغنى عنها، حقك علي سامحيني"

ازداد بكائي فارتميت في صدره أخرج آلام قلبي فاستقبلني بحنان وأخذ يربت على ظهري منتظرا مني إفراغ كل مشاعري السلبية لنحدد خطوتنا القادمة.

سيلينا

جلست على مقعد في البهو في انتظار قدوم إيان، وبعد وقت من الانتظار تقدم من مرأى بصري من أعلى السلالم، فرفعت رأسي أنظر إليه، كان يرتدي بنطالا أسود من الكتان، وفوقه قميصا أسود واختار ارتداء سترة عسلية طويلة تصل منتصف الفخذ، كان شعره الأشقر مصففا إلى الخلف مع غرة تائهة من جانبي وجهه فبانت زرقة عينيه بوضوح مثل صفحة ماء تحت سماء صافية.

أُخِذْتُ بمظهره أمامي فضاعت مني كلماتي، اقترب نحوي مبتسما ثم طلب مني الخروج، سرت معه نحو الكراج وهو يسألني عن وجهتي التي أريدها، فأجبت بعدم استقراري على وجهة معينة، وقتها أدرك إيان شعوري بالارتباك، فتوقف قبل أن يفتح باب السيارة لي قائلا: "اسمعي، أنت الآن تخرجين مع راما، أو لورا، فلا تشعري بالغرابة، عامليني كما تعاملين صديقيتك، لا تنسي نحن سنسير وفق قواعد سيلينا لهذا اليوم، اتفقنا؟"

أخذت أحلل ما قال بينما يشير إلي بالدخول، فأغلقت الباب رافضة الركوب وقبل أن يطرح تساؤله هاجمته قائلة: "تريد لهذا اليوم أن يكون على أهوائي؟ إذن لن نركب السيارة، حتى تتعرف علي أكثر عليك أن تسير وفق تياري الخاص، تعال معي"

أمسكت يده بمرح طفولي وخرجت من الكراج نحو الشارع، أراد أحد الحراس اللحاق بنا، لكن إيان أشار له بالرفض بيده وأكمل مسيره معي. تفاجأ المسكين بوقوفي عند محطة لركوب الحافلات، فنظر نحوي قلقا، اقتربت منه وهمست له: "لا تخف، عامة الناس لا يعضون!"

قلب عينيه مستهزئا بكلامي، وحين قدمت الحافلة أسرعت بالإمساك بيده وجررته معي إلى داخلها، ثم استقررنا بالجلوس على أحد الأرائك الشاغرة، كان هو ينظر حوله نظرات غير مرتاحة، وشعرت بأنه على وشك الطيران خارج النافذة، اقترب من أذني وهمس لي: "المكان مزدحم، لست معتادا على ذلك"

تجاهلت تعليقه ونظرت من خلال النافذة لأمتع بصري بالمناظر في الخارج، بقي المسكين ينظر حوله بارتياب بينما طيف من الاستمتاع تسلل إلى قلبي. وصلنا وجهتنا المنشودة وما إن نزلنا حتى تنفس الصعداء أخيرا، ثم سألني: "أين الآن؟"

أجبته ببساطة: "سنأكل"

نظر حوله كأنه يمشط المنطقة بحثا عن مطاعم، ثم قال: "هل في بالك صنف معين؟"

أجبت بعفوية: "شاورما!"

التفت نحوي مجعد الوجه وقال متسائلا: "شا.. ماذا؟"

- "شاورما! لا تقل لي أنك لا تعرف الشاورما؟"
- "أءء... لا! "

سقط فكي ذهولا بينما أتأمل ملامحه الضائعة وقلت غير مصدقة: "إيان الثري صاحب النفوذ، لا يعرف الشاورما؟ هل يعقل وجود شيء لا يعرفه إيان؟!"

خرجت منه ضحكة صغيرة وأجاب: "إيان بشر وليس إله! هل يمكنك أن تشرحي لي الآن ما هي الشاورما؟"

ضحكت باستمتاع وسحبت يده ركضا على الرصيف وأنا أغرد: "ستراها بعينك"

وصلنا أحد المطاعم المشهورة بإعداد الشاورما وطلبت ساندويشتين لنا، ثم أخذتها سيرا نحو حديقة قريبة كما كنت أفعل مع راما، فنحن لم نكن نأكل في نفس المطعم لأننا نشعر كأننا محبوستان، فكنا نعشق الأكل في الحديقة بينما نجلس على الأرض الترابية ونحن نراقب الناس وصخب الشوارع.

استقررت مع إيان على مقاعد خشبية لأنه رفض الجلوس على الأرض خوفا من اتساخ ملابسه، نسيت أنه مهووس بالإتيكيت!

شرعت بتناول حصتي من الطعام بنهم، بينما هو يتأمل خاصته ويحاول معرفة مكوناتها ثم تساءل: "أليس هذا طعاما غير صحي؟"

أجبته بينما أمضغ مستلذة بطعمها: "who cares?"

نظر نحوي مبهوتا لوهلة، ثم قضم جزءا من شطيرته، قال بعدما ابتلعها: "إنها مالحة!"

أكملت تناول طعامي متجاهلة تعليقه، فنظر نحوي مجددا وقال: "ألا تصابين باضطرابات معوية من هذا الطعام؟"

ضربت فخذي ووجهت نظري إليه وقلت معاتبة: "إيان! كل! حبا بالله! توقف عن العيش بتزمت زائد فقط ليوم... اترك لنفسك العنان واشعر بطعم الحرية، فقط عش اللحظة!"

قرر إيان الاستماع إلي أخيرا وانغمس في تناول شطيرته بهدوء مع علمي أكيدا أنه يأكلها رغما عنه، وعندما وصل منتصفها اعتذر عن إكمالها متبرما بملوحتها فأخذتها منه وأكملتها

بنفسي بينما يتابعني مبهورا، وعندما انتهيت من أكلها علق محاولا كبح ابتسامته: "لقد تناولت الشطيرة من فضل فمي، أتعلمين أن ذلك يعد قبلة غير مباشرة؟ كأنك قبلتني!" احمر وجهي فورا فضربته على صدره بظهر يدي بخفة ونهضت لأكمل مشواري معه وقد سبقته بخطوتين لأخبئ عنه التوتر الذي نجح في زرعه على معالم وجهي المحرجة.

اشترينا المثلجات بناء على طلبي، فقال إيان معترضا بينما يسير معي جنبا إلى جنب: "قد تمرضين! الجو بارد"

لعقت طرف المثلجات متجاهلة تذمره ثم أردف: "أين تضعين كل هذا الطعام؟ أكلت شطيرة ونصف والآن مثلجات بحجم عملاق؟ المصيبة أنك نحيلة وضئيلة حجم، لا لحم يغطي جسدك الهشّ!"

أجبته بحنق دون تفكير: "أنا آسفة إن لم أكن أمتلك جسدا مغريا بانحناءات ملفتة أو مفاتن واضحة مثل راما"

توقف عن المسير فعضضت شفتي ندما متذكرة تنبيه لورا لي بإغلاق فمي الغبي عن كل كلام ينم عن الغيرة. لم أجرؤ على الالتفات نحوه، لكنني حاولت تصحيح الموقف فأشرت نحو مجمع تجاري عملاق أمامنا وقلت متجنبة النظر إليه: "تعال نتمشى في الداخل علنا نجد صالة ألعاب"

وسبقته نحو المدخل مسرعة، صعدنا طابقين بعدما أخذنا جولة صامتة في المكان بينما أقف بين الفينة والأخرى أمام واجهات المتاجر لأنظر إلى قطع معروضة من الملابس أو لتأمل ألعاب عملاقة محشوة بالقطن.

اهتدينا إلى صالة ألعاب في الطابق الثالث فدخلنا إليها متلهفة لأمارس الرماية، كما كنت أفعل سابقا برفقة الفتاتين.

حملت القوس والنشاب وجلس إيان على كرسي قريب لمراقبتي، رميت أول رمية فأخطأت الهدف، زمجرت بحنق حينها سمعت ضحكة خافتة تسللت من فم إيان، ثري متعجرف يشمت بي.

رميت الثانية فكانت قريبة من الهدف، ثم أخذت نفسا ورميت الثالثة فأصابت منتصف الهدف تماما، وبشكل تلقائي قفزت من فرحي واتجهت نحو إيان الذي نهض واقفا غير مصدق لإصابتي الهدف وأمسكت يديه فرحا أكمل احتفالي بنصري، فابتسم لي مستمتعا بمظهري الطفولي الطائش.

حان دوره ليقوم باللعب فاختار البلياردو، راقبته وهو يحمل العصا بثبات ويوجهها نحو الكرات، لم أكن أفهم كثيرا في قواعد هذه اللعبة لكنني سمعت تمتمات من شبان خلفي عن براعة إيان في اللعب، مما زاد من إعجابي به.

استمتعنا بلعبتين إلكترونيتين ثم خرجنا من المجمع لنتجه إلى وجهتنا الجديدة، أرض الأحلام أو كما أسميها باريس بالنسبة لي.

كانت أرض باريس التي أتكلم عنها منطقة خضراء مرتفعة تنتهي بواد سحيق، ويحيط سور بجوانبها حتى لا يقع أحد في الوادي، اخترت تلك البقعة لأنها خالية من الناس، كما أنني أستطيع مشاهدة الغروب فيها وتأمل الشمس وقد تكورت في السماء على شكل قرص أحمر متقد من الجمر وهي تختبئ خلف الجبال كأنها تحكي قصة ملحمية عن انطفاء جمرها وهي تصارع الظلام، ثم يخرج القمر منتصرا لها بنوره الذي أضاء ما حوله كأنه اقتص للشمس من عتمة الليل الحالكة.

وقفنا على الحافة نتطلع في انتظار غروب الشمس، ثم قلت: "أريد أن أبوح لك بشيء قد أندم على قوله لاحقا، لكن مظهر الشمس المعلقة في الأفق وهي تنتظر لحظة غروبها يسكرني فأتحدث بما يدور في ذهني دون تفكير"

رفع حاجبا بفضول وتساءل مع ابتسامة: "وماذا يدور في ذهنك الآن؟"

أجبته مع ضحكة محرجة: "أحيانا أشعر أنك كالشمس، دافئ وواضح تزين زرقة السماء، ثم ما تلبث تختفي وبرحيلك يرحل معك الدفء، لكنك لا تغيب إلى الأبد فما تلبث إلا عائدا من جديد محملا بطاقة جديدة وضوء ساطع فتقرع القلوب برقة أشعتك الدافئة"

كان إيان ينظر نحوي بفك ملتو بابتسامة لطيفة وقال: "لم يخطر في بالي يوما أنك تجيدين قول الأشعار!"

فقلت مبررة بإحراج: "ما كنت أعنيه، أنك لطيف بشكل لا يمكن للعقل البشري تصديقه، عندما وصفتك لورا بأنك تحمل طيات من اللطف لم تخطئ في ذلك"

أشاح بصره عني وصمت لوهلة ثم قال: "أنت تعلمين أن لكل شيء سببا في الحياة، ولكل منا حكاية يرويها في سطوره ومنها ما يخبئه في ثنايا صفحاته، وللطفي حكاية كباقي الحكايات"

استدار ليتكئ على الحافة بمرفقيه على السور المعدني، معطيا الوادي ظهره ثم قال وهو شارد في اللاشيء: "أقسمت يمينا على قبر والدتي ألا أكون قاسي القلب كأبي"

فتحت عيني بشيء من الصدمة فنظر إلي مبتسما ثم أضاف: "من تدخل حياتي فإنني مسؤول عنها مثل أخواتي أو جدتي أو عماتي وأنت... يهمني أمرك سيلينا، ولهذا أبذل وسعي لإرضائك، ربما أنت أكثر من غيرك، لأن لك مكانة تختلف عن الجميع"

شعرت بخدي يشتعلان خجلا فأدرت وجهي عنه نحو الأفق البعيد لألمح الشمس قد بدأت بالمغيب، فأشرت بسرعة إليها بسعادة غامرة وأنا أقول: "انظر! ها قد بدأ الغروب! ياه! يا له من منظر بديع!"

لكنه لم يلتفت نحو الغروب وعلق نظره بي، فأشرت له ثانية بمرح: "ستفوت عليك المشهد! انظر بدأت الشمس معركتها خلف الجبال!"

تبسم ضاحكا ثم قال:" إني لأرى منظرا أجمل أمتع ناظري فيه!"

نظرت إليه بجبين مقطب ومعالم حائرة وقد غاب عني مقصده، لأراه يتأمل وجهي مبتسما بصمت، فأدركت وقتها أنه يعنيني بكلامه فازدادت الحمرة على خدي أكثر من احمرار الشمس ذاتها، اقترب مني قليلا، ثم همس لي: "هل القبلة ضمن قائمة الممنوعات؟"

فتحت فمي كالبلهاء وجفنيّ فقدا القدرة على الرمش، فأردف: "نحن متزوجان، لن يكون تصرفا مشينا لو قبلتك! بالله عليك سيلينا، دعيني أستشعر رقتك وأنوثتك! لا تحرميني لذة تذوق شفتيك"

وضعت أصابع يدي على شفتي لا إراديا، وعيناي مثبتتان عليه بنظرات محرجة مرتبكة وقد أخذني على حين غفلة من أمري، اقترب أكثر ومد يده ليحيط ظهري بها ثم انحنى نحو وجهي مع ما تبقى من ضوء الشمس من خلف التلال الملتهبة، لمحت زرقة عينيه تبهتان مع منظر الغروب ووجهه الصافي قد تلون باللون الأحمر، فلم أعد أهتدي إن كان اللون من أثر الشمس أم أنه يشعر بما أشعر به تلك اللحظة.. دقات متسارعة من قلبي، تيه يغلف إدراكي، وفراشات تتخبط في أسفل معدتي.

وقعت أنظاري على شفتيه الممتلئتين وهما تقتربان من شفتيّ، ولفحت وجهي أنفاس عذبة حارة منه أمرت جسدي بالارتجاف تحت سطوة جبروته، وحين لم يعد يفصلني عن القبلة شيء أحنيت رأسي للأسفل متجنبة اتصال شفتينا المباشر.

اختفت الشمس خلف التلال مودعة، ورفع إيان رأسه عني وقد شعرت بخيبة أمل تجري في عروق وجهه السمح اللطيف، أمسك بيدي ثم قال بعد أن تنحنح: "هيا بنا نعود، فغدا دوام"

لم أجادله وسرت معه مستسلمة حتى أنني ركبت في سيارته التي ظهرت عقب نصف ساعة من اتصاله بحارسه مارك لأجلس برفقته في المقعد الخلفي وعيناه مسلطتان على الطريق طيلة الوقت.

حينما وصلنا إلى الطابق العلوي في القصر سار معي حتى باب غرفتي ليتمنى لي ليلة طيبة، قبل أن يفترق دربانا ليعود إلى غرفته، لكنه هتف لي مناديا قبل أن ألج إلى غرفتي، فنظرت إليه بينما كنت ممسكة بمقبض الباب، وفجأة باغتني باحتضاني بقوة إلى صدره وأطبق وجهه على وجهي ليلتقم شفتيّ بقبلة قوية مليئة بالإحساس، خارت قواي ولم أتمكن من فعل شيء تحت تأثير تعويذته السحرية، قبّلني بشغف وهو يحتضن وجهي بين كفيّ يديه.

حررني أخيرا مبتعدا مسافة صغيرة وهو ما يزال ممسكا بوجهي، أطال تحديقه بعيني الغائرتين خجلا ثم ابتسم لي وقال: "لمعلوماتك فقط... أنا أهوى الفتاة ضئيلة الحجم، فلها رونق خاص بين أحضاني، كما أنك تمتلكين جسدا جميلا فكفي عن النظر إلى نفسك بسخط، أو مقارنة مفاتنك بأحد، أنت جميلة كما أنت"

اقترب مني مجددا وطبع قبلة على خدي وهمس في أذني: "تصبحين على خير يا أميرتي"

تركني فاتكأت على الباب على الفور وراقبته وهو يتجه إلى غرفته ضائعة الإحساس مسلوبة التفكير، ولا أشعر بأي شيء إلا إحساس شفتيه القطنيتين على فمي وطعم أنفاسه المسكرة عالقا في جوفي. جلست على سريري بسرعة وأنا أحتضن وجهي وأتذكر القبلة مرة تلو الاخرى ولا أكاد أصدق ولا للحظة أن حب حياتي قبلني للتو، فهل أنا أحلم؟!

الفصل الرابع والعشرون

راما

بعد بكاء طويل تورمت عينيّ على أثره نهضت عن صدر فراس لأمسح وجهي وأبعد خصلات شعري المبتلة من دموعي، تنهد وهو يعدل وضعية جلوسه، ثم سألني: "ماذا أخبرتك رشا عن كرم؟"

تنهدت بعمق وأنا أنظر إليه من طرف عيني وقلت: "ليس الكثير، في الواقع أرتني صورة... ثم شرحت لي سبب صداقتك لي... بأنني أشبهه"

نظر نحوي من طرف عينه لكنني تابعت قبل أن أترك له مجالا للحديث: "لكن لورا..."

زمّ شفتيه وبصره مركز على الأرض ثم قال: "إذن أخذت برواية لورا؟"

قطبت حاجبيّ متعجبة وسألته إن كانت روايتها غير صحيحة، فنظر في وجهي وهو يتأمل نظرات عيني ثم قال: "في الواقع... روايتها صحيحة مئة بالمئة وإن كافحت سنينا من عمري لأكذبها، لكن الحقيقة لا مفر منها"

أرجع ظهره على مسند الأريكة ورفع رأسه إلى الأعلى وقال: "إلا أنني لم أكن أكره كرم أبدا كما يظن الجميع، لكنني كنت أريد الارتياح من مسؤوليته فقط ، كان علي مثلا أخذه إلى الحمام، ومساعدته في الاستحمام، عدا عن تغيير ملابسه، وحمله من و إلى سريره، لطالما شعرت بأنه هم ثقيل.. كنت طائشا وأبحث عن رفاهيتي، أحيانا كنت أتمنى أن يختفي أو يسافر بعيدا لأتخلص منه... في ذاك اليوم المشؤوم، اصطحبته معي رغما عني وأصررت عليه البقاء في نزل بعيد عن أرض الملعب لأنني إذا لمحته أثناء لعبي فسيفقدني تركيزي، خشيت أن يصاب بأذى تحت رعايتي وأخسر المباراة بسببه وأنال التوبيخ من والدي على إهمالي له، لكن على ما يبدو أنه كان يخطط لشيء آخر"

أشار بيديه ليوضح لي المسافة بين النزل والملعب قائلا: "كان الملعب يبتعد عن النزل مسافة تل مرتفع، ولم أتوقع أن يتحدى نفسه في جر كرسيه المدولب إلي، وحين تمكن بعد جهد من الوصول إلى أعلى التل رأيته يلوح لي من بعيد سعيدا بإنجازه في اعتماده على نفسه. كنت مصدوما من لحاقه بي، وحينئذٍ.. حينئذ حلت الكارثة..."

ابتلع ريقه، كان على وشك استرجاع شريط من حياته عن تلك الذكرى التي كانت السبب في كل الحطام الذي يشعر به الآن، وبالرغم من شعوري بالأسف عليه إلا أنني لم أقاطعه فأكمل: "لم ينتبه كرم إلى أن البقعة التي وقف عليها ما زال فيها انحدار، فتراجع كرسيه للخلف وبخطفة عين انزلق الكرسي رجوعا إلى الوراء، وقتها تركت أرض الملعب وهب الشباب ركضا للحاق به، لكن الكرسي الذي فقد سيطرته عليه قد مال عن الطريق لينزلق على حافة الجرف حيث ينتهي بنهر عميق."

غطى فمه بأصابعه وتنفسه يزداد ثقلا ثم حرره ليقول بنبرة مختنقة: "راقبته عيناي وهو يتدحرج عن الجرف حتى وقع مع الكرسي في الماء وكان أعمق مما تخيلت، وقفت هناك على حافة الجرف عاجزا ألتفت يمينا ويسارا وأصرخ فيمن حولي لإيجاد طريقة للنزول إلى الماء، والمصيبة أنني لم أكن أجيد السباحة، كان هو يلاطم بذراعيه ليحاول النجاة لكنه استسلم سريعا وبدأ جسده يغوص، ازداد صراخي وهيجاني ولم تعد ركبتي قادرتين على حملي فوقعت أرضا وأنا أصيح وأستنجد..."

غطى عينيه بيده ليخفي دموعه ثم تابع بصوت باك يجرح القلب: "حاول أصدقائي النزول عن الجرف للوصول إليه، أما أنا فكنت أراقبه وهو يغرق بلا حول مني ولا قوة وبعد لحظات طاف جسده على صفحة الماء، علمت في ذلك الوقت أنه فارق الحياة... مات كرم .. أمام عيني... مات بسبب إهمالي"

رفع رأسه إلى سقف الغرفة مستسلما لدموعه وهتف قائلا: "أخي الصغير فارق الحياة بسببي، خسرت كرم في ومضة عين، في حادث لم يكن في الحسبان"

عند نهاية القصة كنت أبكي بشدة وأنا أحتضن جسدي لعل ذلك الانقباض يحرر قلبي، حاولت إقناعه بأنه كان قضاء وقدرا وأن ما حصل لا ذنب له فيه. طأطأ برأسه ومسح عينيه بكفيه ثم أضاف: "علمت في وقت لاحق بأن لورا صاحبة الفكرة في اصطحابه معي، فوجهت كل الكره الذي في قلبي إليها، مع أنها لم تخطئ... هي أرادت فقط أن يعيش سويًّا كغيره ويشارك أخاه الأكبر مغامراته"

ثم زادت نبرته حزنا وصوته بات مختنقا أكثر وهو يضيف: "لكن كان من الأسهل علي أن أبعد اللوم عن نفسي.... ومع ذلك خسرت كل من حولي، ورحلت أختي بعدما أقسمت على التبرؤ مني كأخ فأصبت بالإحباط، الكل كان يلومني بشكل يومي حتى أصبح البيت مكانا لا يطاق، أمي فقدت عقلها وكانت تحاول إرغامي على الجلوس في كرسي مدولب لأحل محل كرم... أصبت بالاكتئاب وعزلت نفسي عن الجميع، فارقت أصدقائي فترة من الزمن إلا أن رشا أبت تركي، وعلمت أن ثمة شيئا مريبا حل بي"

سكت قليلا ليلتقط أنفاسه ثم زفر متعبا ليختتم روايته فقال: "راقبتني رشا دون علمي بينما أخطط لإنهاء حياتي وإنهاء معاناتي حتى ضبطتني في غرفتي بينما أحاول الانتحار شنقا، كنت قد وصلت إلى طريق مسدود ولم أستطع التفكير في حل آخر.... وحينما رأتني مع والداي معلقا أصارع الموت أدركا لحظتها أنهما خسرا ولدين وليس واحدا.... لا أذكر الكثير بعدها لأنني لم أكن في وعيي، فقد تم إدخالي إلى المشفى ومنه تم نقلي إلى مصحة عقلية وكنت ملتزما بأنواع معينة من الدواء تجعلني أنام لساعات طويلة، ثم سمح طبيبي

بتسريحي من المصحة بعد ستة أشهر بناء على طلب والديّ على شرط التزامي بالدواء....
عدت معهم جسدا لكنني لم أفتح قلبي لأي منهما إلى الآن"
نهض عن الأريكة متجها إلى أحد الرفوف فأخرج منها كتابا واتجه نحوي من جديد، ثم قال وهو يفتح صفحاته: "هذا نسخة من الألبوم الذي كان مع أمي وهو يحتوي على جميع الصور التي تخص كرم منذ ولادته وحتى بلوغه السادسة عشر احتفظت بنسخة منه لي لأنني شعرت بحاجة ماسة إلى إحياء ذكراه، كأنني أردته أن يعرف أنني أحبه ولم أقصد ما حصل له."
أخذت الألبوم من يديه وبدأت رحلتي في استكشافه، كان الشبه الذي يجمعنا غير معقول على الإطلاق، ولو لم تكن الصور الملتقطة قديمة لظننت أن أحدا تلاعب بها لخلق صورة ذكرية عني.
ابتلعت ريقي وأنا أقلب بين هذه الصور، حتى قال فراس: "جاءني عماد طالبا مساعدتي في إقناعك بالرقص معه، فوقعت عيني عليك حيث كنت وقتها تتشاجرين مع تلك المجنونة رنيم، قريبة لورا، صدمت في البداية وظننت أنني أتخيل، دققت النظر فيك أكثر قبل أن تجرك لورا إلى الخارج وبدأت الذكريات في مهاجمتي وصفعي مرارا، علمت أنني لن يهدأ لي بال حتى أتحدث إليك وأراك عن كثب... لذا نبهت على عماد بإخراجك من رأسه فنلت سخطه في البداية حتى أجبره الجميع على الانصياع لرغبتي، أعتقد أنهم فهموا أنني رأيت فيك شبح كرم، لكن لم يجرؤ أي منهم على التدخل... ثم أنني كان لي هم آخر... لم يكن صعبا علي أن أفهم أن سبب صداقة لورا لك هو شبهك الفظيع بكرم، فاستغللت الأمر لأعد للانتقام"

شهقت بينما كنت أتأمل آخر صورة في الألبوم ثم التفتّ نحوه بعينين متسعتين، أغمض عينيه وقال: "أقسمت على سرقة قلبك وحرمان لورا منك كصديقة، كانت نيتي إيذاء لورا كما كانت سببا في أذيتي.... لكن كلما حاولت أن أوقعك في حبي ألمح فيك شبح كرم... فيرق قلبي لك وأنسى انتقامي"

شعرت بقلبي ينقبض أسى، كان هذا أكثر من أن يستطيع قلبي تحمله، ظننته يحبني حين اقتنعت أخيرا بكلام سيلينا عن مشاعره نحوي، لكن الآن... تأكدت أنه لا يرى بي إلا ذكريات قديمة وكأنه يريد إصلاح الماضي من خلالي. لذا نهضت عن الأريكة ووضعت الألبوم إلى جانبه وأنا أحاول كبت دموعي وقد بتّ متأكدة من أن قلبي تحطم بالكامل، من عشقته روحي لا يبادلني الشعور، فما الفائدة من البقاء حوله؟ ألأزيد ألم قلبي؟ وفوق ذلك حاول استغلالي! كيف لو أنه يعلم بمحبتي له سلفا؟

استأذنت منه للرحيل، فنظر نحوي منزعجا من طلبي، في البداية لم يقل شيئا ربما أدرك أنني بحاجة إلى وقت لأستوعب كل ما رماه على رأسي من صواعق، ثم كأنه تراجع فأسرع بإمساك يدي لأتوقف ثم نهض وهو ممسك بي وقال: "في بادئ الأمر أردت استغلالك، لكنني أقسم أنني تراجعت بعد ذلك فأنت لم تكوني فتاة عادية كما توقعت، بدأت تظهر منك مواقف تزرع في داخلي شعورا غريبا... لفتاتك اللطيفة في خدمة غيرك... رزانتك.. ضحكتك... لم أصدق يوما أن أقابل فتاة في مثل نقائك، لم أرد أن ألوثك بقذارة الانتقام.. شعرت.. أن في قلبك طيبة لم أعهدها من أحد من قبل... مثل طيبة كرم... وكلما فكرت بأنك نسخة عنه حتى يأتيني إحساس قوي بتملكك، لكن سرعان ما تقع عيني على مفاتنك الأنثوية لتذكرني بأنك فتاة ولا علاقة لك بكرم"

شعرت بوهج يومض في خديّ فحاولت احتضان جسدي خجلا من كلامه، ثم زفر نفسا محرجا وهو يحاول تجنب النظر إلي فقال: "ومع ذلك كنت متيقنا بأن ثمة مشاعر تتقد في داخلي لكنني لم أهتد إليها في البداية، كان علي أن أحدد مشاعري بالضبط تجاهك... كنت أظن أنني أحب رؤية كرم فيك، لكن في وقت ما..."

رفع بصره نحوي يزدرد ريقه وصرح قائلا: " كلما رأيتك أو لمحت اسمك على شاشة هاتفي ينبض قلبي كفراشات تتخبط بين جدرانه... فتأكدت أخيرا أنني معجب بك كامرأة... وليس كصديقة... "

اقترب أكثر ومد يده ليعيد خصلة من شعري خلف أذني وما زلت أحاول استيعاب ما قال ثم صرّح بنبرة واضحة: "راما.... أعتقد أنني.... وقعت في غرامك"

شهقت نفسا ثقيلا وشعرت بطنين في أذني وفي هذه اللحظة أحسست بأنني سأذوب بين يديه، كان يتأمل ملامحي جيدا ثم استطاعت ابتسامة رقيقة أن تشق شفتيه وارتجفت شفتاه هامسا: "لا أعلم متى تهت في غرامك، لكنني مدرك تماما أن شعوري تجاهك يختلف عن أي فتاة، فقلبي لم يخفق بهذه القوة لأحد من قبل"

عضضت على شفتي لكي لا أستسلم بسهولة لرغباتي تجاهه فربما هو يتوهم الأمر فقط فقلت: "أنت مخطئ في تحديد مشاعرك... فأنت تحبني لأنني أشبه كرم فقط"

ضيق عينيه وهو ينظر إلي بجدية مجيبا على اعتراضي: "ءءء.. لا أظن!"

قاطعته بهدوء كأنني أقنعه بفكرة لا أتمنى صحتها: "بلى! إنك تتوهم، أنت لا ترى أمامك إلا كرم، وتريد أن تصلح ماضيك معه عن طريق الإحسان إلى شبيهته"

جادلني غير مقتنع: "لا تتسارع دقات القلب عند لقاء الإخوة!"

أجبته غير مستسلمة: "بل تتسارع عند مقابلتك أي شخص تحبه، كما يحصل لي حين ألتقي بسيلينا أو عندما تأتي جدتي من السفر، أو...."

قاطعني قبل أن أكمل: "لكنني لم أشته يوما تقبيل شفتيّ كرم! "

رفع حاجبيه مشيرا بعينيه نحو شفتيّ فطغت الحمرة لتغلف كل وجهي وشعرت بدخان يتصاعد من رأسي، تخبطت في أفكاري ولم أعرف بما أجيبه، فأضاف: "أظن أن ذلك سيكون مقززا ألا تظنين؟"

شعرت بدقات قلبي تصدر صوتا متتابعا كقرع الطبول، ملامحه كانت متعبة، وفي عينيه رغبة، ثم همس بصوت مرتجف: "لن أنسى يوما أنك أنقذتني من الموت"

فهمت فورا ما يرمي إليه فهو ما زال يذكر حين قفزت لأحميه من تلك الشاحنة، اغرورقت عيناي بالدموع، فقرر إنهاء عذاب كلينا ليقترب مني برأسه حتى استشعرت طعم أنفاسه قريبة من فمي، هل سيحاول تقبيلي؟ ألا يتوجب علي منعه؟ ما هو التصرف الصحيح الذي يتوجب علي فعله الآن؟ بدأت شفتاي ترتجفان رغما عني كأنهما تنتظران منه شفاء غليلهما، أحببته منذ خمس سنين وفكرة أن أمنعه عن محاولة تقبيلي كانت أصعب مما تخيلت، ورويدا رويدا باتت المسافة بين رأسينا تتقلص حتى استشعرت إحساس شفته السفلى على شفتي، وبحركة بطيئة أحكم قبضة شفتيه على فمي فبدأ بالتهام شفتي العليا نزولا إلى السفلى بشغف كبير، ثم بدأ ينتقل بينهما في تناغم، ألقى في قبلته هذه مشاعر كثيرة، فمرة أشعر به يتعمق بقوة كأنه يريد تحرير عذابه في فمي، وأحيانا يرخي قبضته علي ليوصل إلي مشاعر مرهفة، استشعرت طعمها في قبلة حزينة رطبة بعيون مليئة بالدموع، والتي غسلت وجهه وتناثرت فوق شفتينا لأحتسي من ملوحتها، استمر في تقبيلي دون توقف وكأنه يعيد سرد قصته من جديد في قبلته المشتعلة المليئة بالأحاسيس المتخبطة، دفعني أمامه فبت أسير

نحو الخلف حتى اصطدمت بالجدار وشفتاه متعلقتين بإصرار عجيب بشفتيّ، ثم أخيرا حررهما لألتقط أنفاسي، واتجه برأسه نحو رقبتي ليكمل التهامي وزرع قبلات عديدة دافئة رطبة أرغمتني على إصدار أنين خافت مستسلمة له بالكامل، لعق ومص تلك المنطقة خلف أذني فأفقدني صوابي لأئن بصوت مرتفع باسمه، وكان طوال الوقت يجذبني بقوة إلى صدره في حضن منيع، ويداه تحاصران خصري وتحكمان قبضتهما عليه، توقف عن تقبيلي ليستجمع أنفاسه، لأكتشف حينها أنني كنت أبكي، لماذا الدموع؟ ما الذي يحصل لي حتى أبكي؟

لحظتها عاد إلي وعيي لأدرك فداحة ما أقبلنا عليه، شهقت وأنا أغطي فمي وأنظر نحوه بصدمة ثم بدأت الدماء تندفع بقوة في وجنتي حين أدركت أنني كنت أئن أثناء تقبيله لي! أي كمية من الإحراج أحمل في قلبي الآن؟! دفعته عني متجنبة النظر إليه وركضت خارج الغرفة لأهرب من السفينة ومن مواجهته، لا أعرف سبب هروبي وقتها لكنني أردت وقتا مستقطعا لأفسر كل ما حصل معي خلال هذه الساعة.

وجدت نفسي في الخارج ألتفت يمينا ويسارا دون أن أهتدي إلى وجهتي، حينها سمعت صوته وقد لحق بي لاهثا على أثر ركضه من بعدي، أشار إلي بيده لأهدأ لكنني مددت يدي لأوقفه، وهتفت له متجنبة النظر إليه غير متمكنة من مقاومة احمرار وجهي الذي فضح مشاعري المتخبطة وخرج صوتي متحشرجا وأنا أتوسله قائلة: "أريد العودة إلى البيت... أرجوك!"

اقترب مني فابتعدت إلى الخلف أكثر فتوقف فورا، ثم استسلم لرغبتي وبصوت مختنق هتف لأحد الحراس المزروعين حول القارب بإيصالي بأحد السيارات المركونة بجانب الميناء، ليطيعه ذاك فورا ويسير أمامي نحو السيارة، التفتّ خلفي نحوه لأراه واقفا مكانه

نظره معلق بي حزين الوجه دامع العين. ابتلعت غصة وأسرعت الخطى خلف الحارس مبتعدة عنه ريثما أدرس بالضبط تجربتي الحميمية التي تشاركتها معه والتي ما زالت أشعر بها تنبض في قلبي وبثقلها على شفتي ورقبتي المتورمة من قبلاته العنيفة.

لم يغادر إحساس شفتيه فمي طيلة ذلك اليوم، وحاولت الابتعاد قدر المستطاع عن أمي متبرمة بدراستي لئلا تلمح التيه على ملامحي وتورم عينيّ من البكاء، أو البقع المغروسة من تقبيل فراس لي على رقبتي، والتي راعيت في إخفائها ارتداء كنزة بياقة مرتفعة تغطي الرقبة. أرسل إلي عدة رسائل يطلب مني فيها الرد على مكالماته حتى انتهى بي المطاف لأغلق الهاتف، بقيت شاردة عن كل ما حولي وحتى سارة وتعليقاتها المزعجة لم ألق لها بالا. ولم أستطع النوم ليلتها وأنا أفكر بأنفاسه الحارة التي غزت بشرتي ويديه القويتين اللتين تمسكتا بوسطي، اعتدت فكرة حبي له لكن ما لم أحسب له حسابا هو تقبل مشاعره نحوي، لم أظن يوما أن يبادلني الحب بهذه السرعة، كانت الفكرة أكبر من أن يستطيع دماغي تحليلها، فعدت إلى البكاء ثانية بصمت لئلا يتنبه لي أحد، كنت ضائعة حالمة في ذات الوقت أعيش صراعا لأمنع نفسي من تصديق ما بدا لي حقيقة حتى لا أصدم بأن تحذيرات لورا كانت صحيحة، فأقع في فخ نصبه لي فراس، أريد أن أصدق أنه يحبني لكن... شعور الخوف الذي طاردني حرمني الاستمتاع بذاك الإحساس اللطيف كلما تذكرت اعترافه بوقوعه في غرامي.

<u>سيلينا</u>

تقابلت مع راما في كافتيريا الكلية، كنت مثقلة بالهم، ولم أتنبه وقتها إلى شعورها بالمثل، ويبدو أن كلانا كانت غافلة عن إحساس الأخرى، فما إن جلست على الكرسي حتى قلنا معا بوتيرة واحدة:" ثمة شيء يجب أن أقوله لك!"

رمشت كلتانا ونحن نتبادل النظرات ثم بدأت بالاعتذار لي عن موقفها مع إيان في الأمس، حتى طمأنتها إلى أنني لا أحمل في قلبي ضغينة لها، فحاولت إقناعي بإطلاعها على ما يشغل بالي، لأطلب منها بالمقابل أن تبدأ هي، فأخذت كل واحدة فينا تحث الأخرى على الإفراغ عما يعتريه صدرها، أشرت لها مرارا كما فعلت بدورها لتبدأ بالكلام أولا، حتى انتهينا باعتراف كلتينا في ذات الوقت حين نطقنا هامستين لبعضنا:

"إيان قبلني!"

"فراس قبلني!"

عقدت كل منا حاجبيها وهي تنظر نحو الأخرى لتقاطع لورا البهتان الذي اعترانا بقولها:

"ماذاا؟!!!"

التفتت نحوي قائلة: "يا إلهي!"

ثم التفتت نحو راما بذات العبارة: "يا إلهي!"

عبارتان متماثلتان لكن اختلفتا بالنبرة، فحين نطقتها لي كان صوتها مليئا بالحماس وعيناها تلمعان، لكن حين التفتت إلى راما كان صوتها غاضبا يحمل الكثير من العتاب.

أخذت نفسا وجلست على الكرسي لتستطيع الحصول على تفاصيل، فبدأت معي حين تساءلت: "كيف فعلها؟ ماذا حصل بينكما؟ هل اعترف بأنه يحبك؟"

هززت كتفي جهلا وقلت: "لا أدري أظن أنه قبلني بدافع الرغبة فقط... وعلى كل حال فكما يقولون يا فرحة ما تمت"

"لماذا؟" تساءلت كلتاهما بخيبة أمل، أخذت نفسا عميقا وشردت بأصابعي على الطاولة بينما أتذكر أحداث صباح اليوم.....

حينما استيقظت صباحا، كنت ما زلت مسكرة بلحظة تقبيله لي، حتى أنني كنت ما أزال أشعر به متعلقا بشفتي، أردت أن أسأله عم عنت له تلك القبلة، ظننت لوهلة أن فكرة الطلاق اختفت من باله، وحينما خرجت من الغرفة تفاجأت بالزيارة المفاجئة التي حلت في المطبخ، حيث كانت جدته تجلس برفقة أخته أمام الطاولة الحجرية في المطبخ بينما هو يقف عند نهاية الطاولة متكئا عليها، وكانوا منغمسين في حديث بدا لي خاصا فاستحييت أن أقاطعهم بدخولي، فقررت التراجع حينها لمحني إيان وهتف باسمي لأعود أدراجي، فأرغمت محرجة على إلقاء التحية عليهما.

استقبلتني أخته بسماحة أما جدته فلم تعرني اهتمامها، كانوا يحتسون القهوة، بينما السيدة سوزان تجلس في زاوية بعيدة، نظرت جدته إليه وقالت: "سأسافر صباح الغد مع المحامي لإتمام إجراءات الحصول على الأملاك، أرجوك لا تنسى تزويدي بالوثائق المهمة، عقد الزواج وشهادة ميلادها وإثباتاتها الشخصية..."

هز إيان رأسه متفهما ثم أكدت عليه أنها ستصحب أخته لتعيدها معها إلى الديار وقد انتهت مهمتها في السعي لتزويج أخيها، غبت عن الوعي عقليا في ذاك الوقت وأنا أفكر باقتراب انتهاء كل شيء... حينما تنتهي جدته من القضية سيتم الطلاق وكل ما عشته معه سيتحول إلى سراب مجددا.

عدت أدراجي نحو الغرفة متخبطة بأفكاري وحائرة من أمري، قررت أن أجهز نفسي للدوام لعلي أنشغل قليلا بالتفكير به، لكنني لم أستطع إخراجه من بالي فاتجهت نحو الباب لأتأكد من مغادرة جدته وأسأله على انفراد عن كل ما يثقل صدري، لكنني تفاجأت بالسيدة سوزان تقف على باب غرفتي، استأذنتني للدخول فأذنت لها.

طلبت منها أن ترتاح فجلست على حافة السرير شاردة، ثم قالت: "أشكرك على تفهمك وعدم إحراج إيان أمام جدته"

تهت عن مقصد كلامها فسألتها عما تعنيه فقالت: "ظننت أنك ستفقدين عقلك بخصوص ما حصل مع والدك"

خفق قلبي بقوة لدى ذكرها والدي واتسعت حدقتا عيني وشعرت بهما تحرقانني من حدة نظراتي فقلت: "ماذا بخصوص أبي؟"

شحب لونها على الفور وأخذت تعتذر بشدة قائلة: "يا إلهي ظننتك سمعت الحديث! حقك علي أنا أعتذر آسفة يا ابنتي!"

ثم همّت بالخروج من الغرفة فوقفت في طريقها وسددت الباب بجسدي ثم نظرت إليها نظرة مخيفة لا تنتمي لشخصيتي، لكن هذا والدي الذي تتحدث عنه، كيف لي أن أهدأ بعد هذا؟ أصررت عليها بجفاء أن تتكلم وإلا تسببت بمشكلة لإيان، حاولت هي التهرب كثيرا لكنني حاصرتها وضغطت عليها أكثر لتتكلم، حتى استسلمت لي في النهاية لتقول: والدك لم يمت بحادث... كان للسيدة جينيفر أعداء كثر بسبب فحشها ونفوذها... فأُرْسِلَ قاتل مأجور للقضاء على وريث أملاكها لأن القانون هناك يورث الممتلكات للوريث الذكر فكل شيء له، وحتى يتم القضاء على نسل العائلة تم استقصاد السيد في محاولة اغتيال"

رفعت بصرها نحوي قبل أن تكمل: "ووالدك مات قتلا وهو يحاول حماية السيد..."

كان وجهي متسمرا بملامح مصعوقة وشعرت بالدموع تتجمع خلف مقلة عيني، ثم أضافت: "لم يتخطى السيد إيان ما حصل مع حارسه المكلف بحمايته.. لذا حينما أعلمته جدته بأمرها في الزواج من حفيدة رجل الأعمال أحمد قبل بذلك وقد أعد في باله منذ ذاك

اليوم أن يرد الدين لوالدك... شعر بأنه عليه أن يعوضك ويعوض عائلتك بأي طريقة كانت دون تدخل أحد من عائلته وخصوصا جدته لذا وجد حلا وهو إقناعك بالقبول بالزواج ليعوضك بمبلغ مادي ضخم عقب تسريحك من الزواج ليزيل عن قلبه شعور الندم"

ارتفع صدري وهبط بأنفاس ثقيلة وقد شعرت بأنني عاجزة عن التنفس، ما قالته الآن خارج عن حدود التصديق... كان كل هذا مجرد خطة منه ليعطيني المال عوضا عن موت والدي بسببه؟ هل يظن بغباء تفكيره أن الأب يُعوّض بمال الدنيا؟!

أيعني ذلك أنه ملتزم بقراره بالطلاق؟ ماذا عن تلك القبلة؟ ألم تعني له شيئا؟ لم أعد أفهم ما يدور في خلد هذا الشاب!

تركتها في غرفتي وانقضضت نحو غرفته في نهاية الممر، سمعت صوتها تهتف لي لإيقافي لكن هيهات... فات الأوان لأنها بكلامها قد ضغطت الزناد وانطلقت الرصاصة ولا مجال لعودتها.

فتحت الباب مقتحمة الغرفة بغير استئذان، كان واقفا في غرفة كبيرة، كبيرة جدا، أدركت لحظتها أنني لم أدخل غرفته قبل هذا اليوم، لكنني كنت منشغلة البال فلم أهتم بدراسة تفاصيل الغرفة، كان يقوم بعقد ربطة عنقه أمام المرآة وهو يرتدي قميصا أبيض وبنطال بزة قماشية بلون أخضر زيتي. نظر نحوي من خلال المرآة مندهشا فهاجمته قبل إعطائه أي فرصة للحديث: "أظننت أموال الدنيا ستعوضني عن أبي؟ لن أقول لك أنني ألومك فالموت حق، وموته كان مقدرا له ومهما كانت الطريقة فقد قُدّر له أن يموت، يا لك من أحمق!"

حينما انتهيت استسلمت لدموعي، أكمل هو عقد ربطة عنقه ثم التفت نحو طرف سريره والتقط سترة بزته، نظر نحوي وقال: "مهما يكن ما تظنينه، فلن يرتاح ضميري قبل أن أنفذ وعدي... "

سألته بين دموعي: "هل ستطلقني إذن؟"

بنظرة جامدة أجابني قائلا: "ألم يكن هذا اتفاقنا؟"

- "وماذا عن تلك القبلة؟"

سألته وسط دموعي بصوت متقطع، فزفر نفسا مكبوتا ثم قال: "لم أخدعك في شيء، كنت صادقا معك، لكن الطلاق يجب أن يحصل"

تحول بكائي إلى جمرة متقدة من الغضب فصحت به: "أنت مجرد مغفل كبير! إني أكرهك! تبا لك يا وغد!"

ثم ركضت خارج القصر نحو الشارع حين استوقفني زامور سيارة لأكتشف أنه عمر، ترجل من السيارة موجها لي طلبه بنبرة غليظة مخيفة أن أدخل ليوصلني ففعلت مكرهة، والحقيقة أنني خفت منه فهو ضخم الجثة وقد يفعل أي شيء لإطاعة أوامر سيده.

سردت كل القصة السابقة على مسامع صديقتيّ فقالت لورا متسائلة: "وأين هو حارسك ذاك؟"

قطبت حاجبيّ باستهجان وأنا أشير لها نحو باب الكافتيريا قائلة: "إنه هناك بجانب الباب! ألم تلمحيه عندما دخلت؟ أمرته بالبقاء بعيدا مهددة له بالصراخ إن لم يترك لي مساحتي الشخصية واتهامه أمام إيان بأنه أساء التصرف معي، لذا استجاب لأوامري"

زمت لورا شفتيها وهي تنظر نحوي مبهورة وعلقت: "أصبحت تجيدين فن التهديد! أعجبتني!"

لكن كان لراما هم آخر للحديث فيه فقالت: "لورا هذا ليس وقت الكلام التافه، حبيبتي سيلينا، هل أنت بخير؟ لابد أن معرفتك بسبب موت والدك قد أثر فيك"

هززت كتفي بقلة حيلة وقلت: "حتى لو بكيت ماذا سأستفيد؟ حصل ذلك منذ زمن ودموعي لن تغير الماضي، كان سيموت بكل الأحوال فأجله انتهى، لا أحد يفر من الموت"

لم أرد أن أسبب لهما الهم بحقيقة مشاعري المدفونة، جزء مني أحاول السيطرة عليه يلوم إيان على موته، وجزء آخر يريد أن يصرخ وينتحب على فراقه من جديد، قلبي المحطم يزداد حطاما، ثم يأتيني إيان بخطته المتهالكة ليوقف شعوره بالذنب؟ ظننته يريد تعويضي بالمال ليصلح انكسار قلبي المتيم به، لكنني كنت مخطئة فهو منذ البداية لم يكن يهتم لمشاعري تجاهه.

لأغير مجرى الحديث عني قبل أن تتعمق راما أكثر بأسئلتها لتفضح هدوئي المزيف وجهت الأضواء نحوها وقلت بفضول: "وأنت ما قصتك مع فراس؟"

التفتت لورا إليها بسرعة وعلى وجهها وجوم وقالت: "آه صح! ماذا تقصدين بتصريحك أن فراس قبلك؟ هل تورطت معه في علاقة؟"

احمر وجهها لكنها أجابت على الفور: "لا! لكنه شرح لي كل شيء بدءا بقصة كرم وانتهاء باعترافه بمشاعره تجاهي، لقد اعترف بحبه لي"

زمجرت لورا بغضب: "إنه يخدعك!"

لتجيبها الأخرى بسخط: "كلا! ما مصلحته؟ كفي عن إحباطي، دعيني أعيش الفكرة حتى لو كانت وهما... إنني أموت لأجله!"

"أنت مثيرة للشفقة!"

قالتها لورا بغيظ قبل أن يقطع صوت إيان حديثنا وهو يوجه عتابه إلى حارسي عمر فأثار انتباه جميع من كانوا في الكافتيريا: "لا تبرر لي أي شيء! قلت لك كن ظلها وليس سيارتها المركونة جانبا! هذه المرة سأتغاضى عن الأمر لكن إن تكرر السلوك فستُطرد من العمل!"
ثم سار إيان نحو الداخل يتبعه عمر، وتوقف عن المسير عند طاولتنا، التفت نحوي وهو ما يزال غاضبا وقال: "عمر سيرافقك أينما ذهبت طالما أنك غائبة عن عيني مفهوم!"
شحب وجهي بشدة، هذه أول مرة أراه غاضبا، نظرت نحو ذاك المسكين ومع أنه كان يختبئ خلف نظاراته الغامقة إلا أنني استشعرت ارتباكه وخوفه من إيان بالرغم من ضخامة حجمه بالنسبة له، دعك جلدة ما بين عينيه ثم نظر نحوي مجددا وقال وقد استرجع نبرته الهادئة: "اليوم مساء لدينا سهرة فلا تتأخري وكوني جاهزة في الموعد"
انحنى نحوي ثم طبع قبلة على رأسي، فشعرت بالدم يغلي في جسدي، ثم التفت نحو لورا وراما وقال بتهذيب: "مرحبا لورا.... كيف حالك راما؟"
لوحت لورا له بيدها مع ابتسامة، أما راما فاكتفت بإيماءة من رأسها، التفت من جديد نحو عمر وقال قبل أن يخرج: "لن أوصيك بها مرتين، مفهوم؟"
هزّ رأسه مطيعا، ثم مد إيان يده على كتفه مربتا كأنه يقدم له اعتذارا صامتا عن صراخه به، ثم اختفى خارجا، كان الكل دون استثناء يتابع بفضول كل تفصيل فشعرت بعدم الراحة وطلبت من راما ولورا الخروج من المكان فكما صرحت سابقا أكره أن أكون مصدرا لاهتمام الناس.
أصرت راما طيلة اليوم على تجنب فراس حتى تتمكن من ترويض مشاعرها من جراء تجربة جريئة شاركتها معه، وذلك لتستطيع فهم طبيعة علاقتها به من الآن وصاعدا وما يخططه فراس لها، فبالرغم من حبها المتقد له، فهي تمقت فكرة أن تصبح عشيقته دون

وجود شيء يربطه بها، فهي تريد أن تضمنه في علاقة شرعية وخصوصا أمام والديها، حتى لا يزداد شعورها بالذنب لخداعهما. والسبب الآخر لتتأكد من صدق مشاعره تجاهها.
أما أنا فكان لي هم جديد الآن، فعدا عن تجاهله شجارنا صباح اليوم، فإني مرغمة على مشاركته سهرة لصفقة عمل ما، كم أكره هذا!
بناء على طلبه ألبستني السيدة سوزان فستانا غامق اللون قصيرا مع كرهي للفكرة بسبب برودة الجو، أكمامه مخرمة، ومبطن من الداخل، وينتهي بأطراف مزركشة مخرمة.
وضعت في رقبتي عقدا من الذهب الأبيض وزينت أذنيّ بقرط مشابه له في التصميم، وتركت شعري منسدلا واكتفت بمساحيق تجميل خفيفة، حملت الحقيبة الصغيرة لأخرج إلى البهو ليصحبني معه، فقالت قبل أن أخرج: "سامحيني سيدتي إن كنت سببت لك الهم صباحا، لم أكن أقصد حقا"
فتحت الباب والتفتّ نحوها مبتسمة بحزن وقلت: "لست سبب معاناتي، وجودك معي هو ما يمنحني الصبر في العيش هنا دون أن أختنق برسائل إيان المشوشة لي"
ابتسمت بعينين ملؤهما الحزن وقالت: "إنه لا يرسل إليك أي رسائل مشوشة، ظاهره كباطنه فقط انظري عن كثب"
لم أفهم مدلول كلامها الغريب هذا وارتأيت الخروج قبل أن يزيد تشويشي حدة، فأفقد السيطرة على تفكيري وتمثيلي دور الصامدة.
اتجهت إلى الأسفل ثم سمعت صوته يأتيني من ناحية الصالة الكبيرة بينما يقفل أزرار سترته وهو يتفحصني جيدا: "حلوة كالمعتاد، كم أعشق جمالك!"
شعرت بالتخبط يتحكم بي، ما الحل معه ومع فمه المليء بالكلام المعسول المفاجئ؟ هل تناسى ما شبّ بيننا صباحا؟ هل يعقل أنه مصاب بانفصام شخصية؟

اقترب ناحيتي وفجأني بقبلة على خدي، فوضعت يدي موضع القبلة وقلت مؤنبة: "تـ.. توقف عن مباغتتي بهذا الشكل!"

لكنه أجابني بجرأة: "بصراحة هممت بتقبيل شفتيك لكنني خشيت أن أفسد أحمر الشفاة"

اكتسى جسدي كاملا بحلة الحياء وبدأت أنفاسي تضرب، ثم سرت من أمامه نحو الخارج بينما أغطي فمي بظهر يدي وأنا أستعجله للخروج.

جلسنا في سيارة الليموزين، وحرصت على تثبيت نظرة عابسة على وجهي، فطلب مني إيان التخفيف من حدة كشرتي فأجبته: "ربما أنت مخبول أو ما شابه، لكنني لا أستطيع نسيان حقيقة شجارنا صباحا!"

قال بهدوء: "كلا إنني لست مخبولا ولا مريضا نفسيا! لكنني أجيد مهارة الفصل، ما حدث صباحا لا داعي لأن يشعر به أحد خارج نطاق دائرتنا، سنملك الوقت الكافي للحديث في الموضوع، أما الآن فعلينا إنبات هذه الابتسامة على شفتينا ورمي كل ما يقلقنا خلف ظهرنا فنحن على وشك الجلوس مع أشخاص آخرين.. مفهوم يا زوجتي العزيزة؟"

زفرت أنفاسا غاضبة لكنني لم أعطه جوابا ولم أستمع إليه بفكرة التظاهر بالابتسام. لست من النوع الذي يجيد تمثيل السعادة بينما هو يحترق في الداخل.

كانت وجهتنا إلى فندق ضخم يملكه أجانب من معارف إيان القدماء، وحين وطأت قدمانا عتبة الفندق همس لي إيان منبها: "إياك أن تشربي شيئا من أحد، وإن عرض عليك مشروب فقط ارفضيه بأدب"

لا أدري لما طلب مني ذلك لكنني لم أرتح لدخولي هذا المكان، وراودني إحساس قوي بأن كارثة ستحل فوق رأسي.

الفصل الخامس والعشرون

لم يفارقني الشعور الذي بدأ يتنامى في داخلي، شعور مخيف غير مطمئن، ربما بسبب زيارتي الأولى لمكان كهذا، أو بسبب عدم اعتيادي على رؤية الكثيرين من أصحاب النفوذ الذين كانوا مجتمعين في قاعة خاصة في الطابق الأرضي، كانت قاعة عملاقة مفروشة بالسجاد الفاخر بلونه الخمري العتيق، وجدرانه مطلية بدرجات من العسلي التي تضفي شيئا من أجواء حميمية، ولست أتحدث عن تلك الأجواء المريحة مثل شعورك بالراحة في غرفتك أثناء قراءتك كتابك المفضل، بل عنيت نوعا آخر من الحميمية، ذاك الذي يجمع رجالا فاحشي الثراء بنساء جذابات يتحيّنّ الفرص لإيقاعهم في شباكهنّ إما من أجل المال أو الشهرة أو حتى الرغبة.

لمحت الكثير من النساء ذوات الجمال والقوام الممشوق، بأثوابهن باهظة الثمن التي اخترنها بعناية لتفضح بعض مفاتنهنّ المثيرة للرجال، حيث لمحت كثيرا من الأعين المسلطة على صدر هذه أو ظهر تلك. ألقيت نظرة خاطفة نحو نفسي، كان فستاني ساترا مقارنة بهن ولا يكشف أجزاء مخجلة من جسدي. شعرت بأن المكان مقزز بالنسبة لي وأحسست بأنه أقرب إلى منشأة لجمع الرجال والنساء في علاقات محرمة.

رأيت البعض يصعد السلالم في أحد زوايا القاعة إلى الطابق العلوي، رجال برفقة نساء لا يغطي أجسادهن إلا تلك القطع الرقيقة من القماش، فلم يحتج الأمر ذكاء مني لأدرك أنهم متجهون إلى غرف فارغة لممارسة الرذائل فزاد ذلك من اشمئزازي والرغبة في الهرب من هنا.

جلست برفقة إيان على أحد الأرائك المستديرة حيث كان بانتظار مهمن يكن لإقامة الصفقة معه، كنت ألتفت من حولي وأراقب الأشخاص حتى همس إيان في أذني: "تصرفي بشكل طبيعي وإلا جذبت انتباههم إليك، لا أحد يحب أن يحدق به إنسان"

شعرت بالخجل من تصرفاتي الطفولية وطأطأت رأسي لأوجه نظراتي إلى رجليّ اللتين حاولت تغطيتهما بطرف ثوبي لأخفي أي أجزاء متكشفة من فخذيّ.

لم يطل الأمر حتى قدم رجل مع حاشيته من بينهم بعض النساء، مدّ يده ليصافح إيان متحدثا باللغة الإسبانية، وهنا بدأت أشعر بالضياع، لكن ما صدمني هو أن إيان لم يحتج مترجما بل تحدث معه بذات اللغة، لم أكن أعلم أنه يجيد أكثر من لغتين! إنه لا يتوقف عن إبهاري أبدا بما يحمله من مهارات ومواهب، لكن علي الحفاظ على رباطة جأشي وعدم الانجراف بإعجابي نحوه، فلن أنسى أننا لسنا على وفاق حاليا، ومتى كنا على وفاق أصلا؟ لم أشعر أبدا براحتي معه إلا مرة واحدة حين خرجنا في ذاك الموعد، أكره أن أعترف بذلك لكنه كان أجمل يوم في حياتي على الإطلاق.

بدؤوا جلستهم بالتحدث بلغة إسبانية ثم رأيت عيونهم تتجه نحوي، فأشار إلي وأخذ يتحدث إليهم كأنه يعرفهم بي، فمد الرجل الجالس في المنتصف يده نحوي والذي نبأني إحساسي بأنه هو من سيعقد الصفقة مع إيان، لكنني شعرت بالخجل وتقوقعت في مكاني ولم أبادر في مد يدي لأصافحه، أظن أنه شعر بالارتباك، فأسرع إيان بالتربيت على كتفي وهو يتحدث إليهم ضاحكا، فابتسم الرجل مجاملا له، ربما أخبرهم بأنني خجولة أكثر مما ينبغي واعتذر نيابة عني، لم أستطع الخروج بتفسير آخر عدا هذا.

كانت المجموعة المرافقة للرجل تتكون من رجلين مقاربين لعمره حيث قدرت عمره في منتصف الأربعينيات، وثلاث نساء صغيرات في العمر مقارنة بهم، كانت النساء الثلاث

يرتدين فساتين ضيقة من الساتان مكشوفة الصدر لتبقى مفاتنهن مكشوفة أمام نظر إيان، ليذكرني ذلك بصغر حجم نهديّ مقارنة بهما فأشعر بالمزيد من انعدام الثقة، وخصوصا بطريقة جلوسهن ليظهرن مفاتنهن بزاوية أفضل. وقتها شعرت بقلة الأمان وهاجز الغيرة بدأ في الاشتعال في داخلي. لم أجرؤ على النظر إلى وجه إيان في أثناء حديث إحداهن معه حتى لا أصدم به وهو يتفحصها، كان من الصعب علي إبعاد نظري عنها، فكيف به هو؟ علما أنه متزوج! لكنه محروم من لمس زوجته، ومع ذلك يتعامل مع الأمر بصبر.. إلا.. إن كان يمارس علاقات محرمة! ماذا لو كان يفعلها مع مساعدته أماندا ولهذا يشعر بالاكتفاء ولا يحتاج إلي؟ أو ربما مع غيرها؟ أو.. أنه لا يرى بي مقومات تجذبه، بالتأكيد هو لا ينجذب إلي لأنه معجب براما ومهما حاولت أن أنكر فأنا متيقنة من انجذابه إلى مقوماتها من يستطيع أصلا رفضها؟ إنها رائعة الجمال ولا عيب واحد فيها، لم تصدمني حقيقة تقبيل فراس لها فهي ماهرة بأسر قلوب الرجال حتى وإن لم تبذل جهدها في ذلك.

سقطت من فقاعة أفكاري حين شعرت بإيان ينهض واقفا، فرفعت بصري لأراه يصافح يد رجل ما، كان أشيب الرأس ويغطي وجهه النمش، ولم أحتج أكثر من ثانية لأحدد هوية هذا الرجل حينما لمحت خلفه شابا أصهب يقترب بملامحه منه، كان ذاك الشاب هو أوس صديق سمير، وبالتأكيد ذاك الرجل هو والده.

نظر نحوي والد أوس وألقى إلي بتحية شفوية قائلا: "مساء الخير سيدة هودج"

كانت هذه المرة الأولى التي يلقبني أحدهم بالسيدة هودج، مما أثار في داخلي شعورا غريبا حينما أحسست بمعدتي تتشقلب في حماس. وجهت نظري نحو أوس كان ينظر نحوي صامتا لكنني استشعرت في عينيه نظرة حسرة، فخلّف في داخلي مزيدا من الارتباك والذي كنت أصلا في غنى عنه.

قام إيان بمصافحة أوس كنوع من أنواع التهذيب لكن لم تغب عني نظرة بالنفور خرجت من كليهما تحت قناع المجاملة، استمر أوس مع والده في طريقهما مبتعدين بعدما اعتذر منه والده ليمضي في موعده لمقابلة أشخاص مهمين من أجل العمل، بينما إيان لا يبعد عينيه عن ابنه بتحد واضح.

جلس مجددا للعودة إلى دائرة حديثه مع مضيفه، لتتولى الفتاة الثانية عجلة الحديث ولا علم لي بما قالته لكنهم انفجروا ضحكا من كلامها، حاولت تمالك نفسي بدل الانهزام لشعوري بالوحشة والغربة هنا، ثم فعلتْ ما لم يتوجب عليها فعله، مدّت يدها نحوه وأخذت تمسح على ذراعه، ثم وكأنها بُهرت بقوة تلك الذراع فأخذت تتحسس عضلاته من فوق كمّ بزته وهي توجه نظرها إلى ذراعه، ثم ألقت تعليقا جعل شيئا من الحمرة تطفو على خديه، لم أحتج مترجما لأدرك أنها تتغزل بعضلاته، ثم لإضافة مزيد من الجو غير اللائق أبحرت بعينيها في جسده بنظرات توحي برغبتها به، حتى استقر بصرها على فخذيه لتعيد عينيها نحو عينيه بنظرة وقحة.

مهلا ماذا يحصل هنا؟ ألا تعي أن زوجته تجلس إلى جانبه؟ أم أنها وصلت بغرورها حد تهميشي ومحاولتها استمالة إيان إليها؟ وصلني إحساس بأن إيان فهم مدلولات نظراتها فلم يبعد عينيه عنها فأغضبني ذلك وزاد من اشتعالي غيظا.

اقترب النادل يحمل معه مجموعة من الكؤوس، فأخذ الرجل وجماعته من هذه الكؤوس، وحينما هممت بأخذ كأس بدوري لعل شرب شيء بارد يخفف من احتراقي تدخل إيان ليمنعني مشيرا إلى النادل بعدم رغبتنا في الشرب، فاستقبل النادل الأمر وانسحب مبتعدا فورا.

نظرت نحو إيان بغيظ لكنه تجاهلني وتابع حديثه غير المفهوم لي مع جماعته المقززة تلك، وطيلة الوقت كانت تلك الفتاة تأسره بنظراتها حتى شعرت بها تلتهمه من رغبتها الواضحة به، ثم وكأنها تفكر في طريقة لزيادة قهري نهضت واقفة تمسك بيده وتحثه على مرافقتها، فاستسلم لرغبتها ومضيا مبتعدين عن ناظري بعدما أشار لي بيده أن أنتظره.

كانت عيناي مفتوحتين بصدمة بائنة وعلى الفور شعرت بالمذلة تتلبسني، ذهب هكذا ببساطة ولم يعتذر مني على الأقل! نظرت نحو الباقين فكانت عيونهم مسلطة علي كأنهم يراقبون ردود أفعالي، فقلت لنفسي كما أظهرت تلك السافلة عدم احترامها لي فإنني لست مجبرة على احترامهم بالمقابل. فنهضت دون التفوه بأي كلمة واتجهت مبتعدة عنهم لأسير أينما تأخذني قدماي، لأبتعد عن عيونهم قبل أن أستسلم لرغبتي العارمة في البكاء.

اخترت بقعة بعيدة، حيث اتجهت نحو قاعة أخرى مفتوحة بمدخل مقوس على القاعة الأولى ثم جلست على أحد الأرائك الكبيرة حين وجدتها فارغة تماما من أي إنس.

استسلمت لدموعي بينما أغطي وجهي وأنا جالسة منحنية إلى الأمام وأنتحب على ألم قلبي الذي لم أعد أستطيع مقاومته، كان الشعور مثل سكاكين حادة تطعن عميقا في داخله دون توقف، ما أصعبه من شعور وما أسوأه!

سمعت صوتا مجاورا لي يسألني باللغة الانجليزية إن كنت بخير أم لا فالتفتّ إلى جانبي لألمح شابا وسيما يرتدي بزة أنيقة وفي يده كأس، فمد الكأس نحوي مشيرا إلى حاجتي لشربه أكثر منه، لم أفهم معنى قوله لعبارته تلك لكنني لم أتردد في قبول عرضه وقبضت على الكأس من بين يديه، ثم ارتشفت منها رشفة، فغطيت فمي فورا، فقد شعرت بطعم غير مستصاغ وكأن شيئا مرّ في حلقي فسبب لي شعورا ملتهبا في جوفي، ما كان هذا؟ ظننته نوعا من المشروبات المركزة، فتناولت رشفة أخرى وأتبعتها بأخرى، ولم أكن أتجرع منها إلا

لأنني شعرت بخدران يسري في قلبي وكأن شيئا باردا يصفع غيرتي المحترقة. رشفت ورشفت حتى انتهى الكأس.

ثم بدأت الحازوقة تغادر فمي بشكل لا إرادي، وشعرت بدغدغة غريبة تتسلل إلى جسدي فانفجرت ضاحكة مما جعل الشاب يبتسم ضاحكا على منظري، ثم سألني إن كنت بحاجة إلى كأس آخر لأشير إليه بموافقتي على الفور بكلمات انجليزية غبية بقولي:

"Ok. Doggy!"

ضحك الشاب أكثر وخطف لي كأسا من نادل مار، وبدأت بالارتشاف من الكأس بمعدل أسرع من الكأس السابقة حتى وجدت نفسي في نهاية الكأس أهذي بكراهيتي لتلك الفتاة، وبدأت أحدث الشاب عنها وعن وقاحتها، وتصرف إيان المشين بمغادرته برفقتها وتركي وحدي بهذا الشكل المحرج. كان الشاب يتظاهر بالاستماع مع إدراكي يقينا عدم فهمه شيئا مما أقول، ثم أخذت أبكي وأتبعتها بضحك ثم عدت للبكاء من جديد، ثم طلبت كأسا آخر فرفض إعطائي، مما أغضبني فنهضت بنفسي لآخذ كأسا جديدا وبدأت أرتشفه بالرغم من محاولة الشاب إيقافي، وحينما كنت أحاول الابتعاد عنه وإبعاد كأسي عن يده وهو يحاول اختطافها وإذ بي أتعثر بطاولة ما وأقع أرضا.

شعرت بألم في كاحلي مصاحبا لدوار غريب في رأسي، حاولت النهوض لكنني لم أستطع الوقوف عليها، اجتمع حولي عدد من الرجال والنساء متسائلين عن الخطب حتى لمحت بينهم وجها أعرفه، أوس الطيب بنظراته البريئة اللطيفة.

فما كان مني إلا أنني مددت يدي إليه بنظرة استعطافية طالبة المساعدة، فانحنى نحوي برفقة الشاب الأول ليساعداني على النهوض، سمعته يهتف لي متسائلا: "ما الذي فعلته بنفسك؟ أين إيان عنك؟"

فأجبته بصوت ثقيل: "أريد أن أنام.... كاحلي يؤلمني.. أين كأسي؟ توقف عن الدوران حولي!"

طلب منه الشاب الأجنبي المتسبب في مأساتي أن يأخذني إلى الطابق العلوي لإبعادي عن عيون الناس من حولي، بينما يبحث عن طبيب يكشف عن كاحلي للتأكد أنني لم أصب بكسر. حملني أوس على الفور كما تحمل العرائس، ذراعه تحت ركبتي والأخرى خلف ظهري، بينما أهذي بجمل غير مفهومة وأنا أشعر بأن لساني مخدر تماما وكأنه غدا قطنيا في ملمسه فكان مدغدغا بطريقة ما. ثم اتجه بي نحو السلالم صاعدا بي إلى الدور الأول، وهناك أدخلني غرفة معتمة ميزت فيها سريرا كبيرا مغطى بملاءات بيضاء، وأجلسني على طرفه وهو يسألني إن كنت بخير أم لا، وقبل أن يتمكن من النهوض ثانية تعلقت برقبته بيدي لأوقفه، نظرت في عينيه بينما أدرس ملامحه المحرجة، طلب مني مرارا أن أتركه لكنني أبيت، ثم تمكنت من إخراج عبارات شبه مترابطة بقولي: "أنت لطيف... وجهك محمر بشكل ظريف... ربما كان الأمر ليكون أفضل حالا لو انتهى معك... أين وقع الخطأ في حياتي؟"

ثم بدأت بقرص خدوده بينما أعيد عليه مرارا وصفي له بالظريف، بينما حاول المسكين محرجا التملص مني وهو يقول لي: "أنت تحت تأثير الكحول، لست على ما يرام، علي أن أبحث عن زوجك، أرجوك توقفي!"

قبضت على وجهه بكفيّ أحتضنه بقوة ثم تساءلت مع نفسي كيف ستكون طعم شفاهه لو تذوقتها؟ هل يمكنها أن تنسيني طعم إيان المسكر في جوفي؟ عند هذه النقطة لم يكن لي علم أبدا إن كنت أهذي بأفكاري بصوت مرتفع أم لا.. اقتربت بوجهي منه لكنه حاول إبعاد نفسه مقاوما شعوره بالحياء، ومع ذلك أصررت على تقبيله، وحينما تمكنت من السيطرة

على وجهه ولم يتبق لي إلا إنش واحد للانقضاض عليه وإذ بي أشعر بانقلاب مفاجئ في معدتي، لأبعد وجهي عنه وأتقيأ بشدة على الأرض، شعرت وقتها بأنني ألفظ أنفاسي مع تقيؤي، وكأنني أخرج روحي معها. آه يا للإحراج!

ذرفت عيناي الدموع بينما أتقيأ بغير توقف وكأن الأرض لا تتوقف أبدا عن الدوران، بينما أرجو من كل قلبي أن ينجدني أحد مما أصابني.

في تلك اللحظة اقتحم إيان الغرفة برفقة ذات الشاب ورجل مسن أعتقد أنه الطبيب، اقترب إيان بسرعة ليدفع أوس بعيدا وصرخ به: "ماذا تظن نفسك تفعل بزوجتي هنا؟"

دفعه أوس في المقابل مدافعا عن نفسه: "اسأل نفسك ما الذي تفعله زوجتك بشربها للكحول بعيدا عنك في مكان كهذا؟"

زمجر إيان باستياء بينما انكببت أبكي بخوف وإحراج وقلة حيلة، اتجه نحوي الرجل ليكشف على كاحلي لكن إيان أوقفه ليبعده عني، ثم انقض نحوي هو ليحملني قائلا: "أنا سأتدبر أمرها"

حاول الرجل الذي أدركت كونه طبيبا إقناعه بأن يلقي نظرة ليتأكد إن كنت بخير لكن إيان أصر على رفضه ثم حملني بذات الطريقة التي حملني بها أوس، فما كان مني إلا أنني عانقت رقبته واستسلمت للبكاء في صدره بينما يحتوي جسدي الصغير في صدره الضخم مقارنة بأوس.

نزل بي السلالم بهدوء متجاهلا النظرات المسلطة علينا وبعد دقائق لم تطل كنا في سيارة الليموزين في طريقنا إلى البيت.

وجدت نفسي في السرير بينما يقوم طبيبه الخاص بفحص كاحلي، وكنت أصارع ألم رأسي غير المحتمل وشعرت برغبة أخرى في التقيؤ لتسرع السيدة سوزان نحوي وهي تحمل معها

وعاء أو سلة القمامة، لم أهتد وقتها إلى ما كانت تحمله في يديها، لأتقيأ مجددا بذات الألم والشعور المقزز وكأن جسدي يلفظ روحي خارجا.

أعطاني الطبيب دواء مسكنا وأوصاني بالراحة ثم غادر برفقة إيان لأبقى مع السيدة سوزان وحدي وأستسلم لبكائي وشعور بالخزي والعار من كل ما مر معي خلال هذه الأمسية، ثم ما لبثت أن استسلمت للنوم أخيرا.

استيقظت على ما يبدو بعد منتصف الليل، كنت ما زلت أشعر بالصداع في رأسي، فنهضت عن السرير وقد تنبهت أنني ما زلت أرتدي ملابسي ذاتها، ثم خرجت نحو الممر المعتم إلا من نور صادر من المطبخ، وحينما دخلت وجدت إيان جالسا وحده يرتدي بزته ذاتها، كان شاردا وفي عينيه هم مقروء. بدا على مظهره التعب.

استأذنت للدخول بصوت ضعيف، فلم يستجب لي. اقتربت من حيث يجلس، ثم سحبت كرسيا لأجلس إلى جانبه مرتعدة من هدوئه المريب، سألته بوجل: "أبقيت مستيقظا إلى الآن؟"

رفع بصره أمامه متجنبا النظر إلي ثم قال بصوت أجش: "كيف تشعرين الآن؟"

وقبل أن أجيبه التقط عن المنضدة حبتين من دواء مسكن وكأس ماء وأمرني بشربها ثم قال: "نبهت عليك ألا تشربي شيئا مما يقدم في المكان، أليس كذلك؟ منعتك لأن جميع المشروبات في ذاك الفندق مشروبات كحولية ومع ذلك اخترت عصيان أمري"

بدأت الدموع تتجمع في عيني بينما أدافع عن نفسي بقولي: "لم أكن أعلم أنها مشروبات كحولية، صدقا! أنا لا أعاقر الخمر!"

تنهد مجروحا ثم أضاف كأنه يتجاهل كلامي: "بحثت عنك في كل مكان، خشيت أن يكون مكروه قد أصابك... ولكن حينما لمحتك بين ذراعيه وهو يصعد بك السلالم..."

سكت وهو يتجرع من ريقه بغيظ، ثم ازدادت نظراته حدة وأضاف: "لا يحق له لمسك، فأنت على ذمة رجل آخر!"

مرر أصابعه في خصلات شعره فبعثره ثم زفر وسط شروده: "أنا الملام الأول والوحيد، هو يظن أنه يستطيع الحصول عليك! كيف لم أفكر بالأمر من هذه الزاوية؟ أنا حتى لا أعرف ما كان ليحصل بينكما لو تأخرت دقيقتين بعد"

لم أشعر بالراحة من كلامه فقلت: "لم يحصل شيء!"

كنت أدعو سرا بتكتم أوس عن تصرفي الأحمق معه وأن يضع في الحسبان أنني كنت أهذي بسبب الثمالة، يا للهول! إن كانت المشروبات الكحولية تصنع من الإنسان شخصا أحمق فلماذا يصر الكثيرون على معاقرة الخمر؟!

أمسك بفكه السفلي يتكئ على أصابعه ثم قال: "حماقة مني أنني استجبت لطلباتك"

عقدت أصابع يدي بتوتر وسألته: "ما.. ماذا تقصد؟ على ماذا تنوي؟"

فأجاب وقد التفت نحوي بنظرات حادة: "ما كان علي فعله منذ اليوم الأول لدخولك قصري"

نهض فجأة وباغتني بإمساكي من ذراعي وبدأ يسحبني مشيا نحو غرفتي، فبدأ شيء في داخلي يصرخ طلبا للنجدة فقلت بأنفاس مرتعدة: "أين السيدة سوزان؟"

أجابني وهو يفتح باب غرفتي: "لقد أرسلت الجميع في إجازة الليلة"

الجميع؟ إجازة؟ ماذا يعني بكلامه؟ لماذ؟ وماذا يضمر لي؟

دفعني نحو السرير لأقع عليه منبطحة على ظهري ثم قال كأنه يجيب استفساراتي: "فاليوم هو ليلة زفافك"

وقبل أن أتمكن من تحليل كلامه وإذ به يخلع سترة بزته الرسمية وهو يتقدم مقتربا من السرير، ثم قام بحل ربطة عنقه حينما وصل إلى الحافة، وعيناه مثبتتان طيلة الوقت علي، نظراته كانت غامضة مظلمة فاختفى لون عينيه البراق، صعد على السرير منحنيا فوقي وقد تخلص تماما من ربطة عنقه ليرميها جانبا، حوصرت تحته وجسده متكئ على ذراعيه فوقي.

ازدردت ريقي في خوف منه، ثم سألته بصوت متقطع من شدة الرعب: "إيان على ماذا تنوي؟ أرجوك ابتعد عني"

علمت يقينا أنه لن يستجيب فتجرأت لرفع يديّ على صدره لأحاول إبعاده، لكنني أعتقد أنني زدت الأمر سوءا فحركتي هذه دبت فيه الروح أكثر فانقض نحو شفتي مباغتا ليلتهمهما بقوة دون إعطائي مجالا للذود عن نفسي، لم تكن مثل تلك القبلة السابقة، فقد كانت هذه المرة غاضبة محملة بالعتاب والألم واستطاع من خلالها إيصال شعوره بالكمد من كل ما آلت إليه الليلة. آلمني في تقبيله العنيف لأبدأ بالأنين، ثم حرر فمي لينكب على رقبتي مهاجما بقبلات نارية جعلت قلبي لا يتوقف عن الاضطراب بقوة، فحاولت من جديد إبعاده عني متوسلة له بين أنّاتي أردد مرارا كلمة: توقف!

باعد بين ساقيّ بيديه ودفع جسده ليستريح بينهما فدق ناقوس الخطر في داخلي ليزداد هيجاني وبدأت بضربه بقوة على صدره ليبتعد، لكن هيهات أن أستطيع دفع جثته الضخمة بحجمي الضئيل هذا، فبدأت أبكي وسط قبلاته التي أمست تتعمق أكثر لتترك خلفها آثارا من قوتها، كنت أحاول جاهدة مصارعة ذاك الإحساس الغريب الذي استعمر معدتي، وكأن أشياء تتطاير داخلها فتتخبط بين جدرانها في رغبة، بالرغم من رفضي لفكرة الاستسلام بسهولة.

ثم تركني لينهض جالسا وهو يتموضع بين فخذيّ، راودني شعور بأن تحريره لي ليس إلا ليهم بفعل ما خشيت أن يفعله، فبدأت عيناي تذرفان الدموع بينما أتمسك بفستاني حين لمحته يحل حزام بنطاله، عيناه لا تفارقان نظراتي المرتعبة، ثم صرخت به ليتوقف، لكنه تجاهل طلبي كأنما إيان الذي أعرفه قد غاب عن الوعي لألمح مكانه رجلا آخر يحمل ذات الملامح لكن بتعابير شبقة على غير ما عهدته منه. أمسك يدي ليبعدهما عن الفستان بيد وبيده الأخرى بدأ بنزع لباسي الداخلي فصرخت باكية متوسلة بأعلى صوت لي ليتركني:

"إياااان لااا! أرجوك توقف!"

انحنى نحوي ليتحكم في حركة جسدي المتنفض لأحاول تخليص نفسي منه بينما يهمس لي:

"توقفي عن المقاومة ستتأذين!"

أغمضت عيني بقوة وأخذت أستصرخه أن يبتعد عني وقد بدأت قواي تخور ولم أعد أقوى على تحريك ساقيّ ليبتعد عني، كان جسدي ما يزال منهكا من آثار الثمالة فلم أملك طاقة كافية لصده، وما هي إلا ثوان حتى همّ بي، ولم أكن مستعدة وقتها صرخت حتى بُحّ صوتي، ثم في مرحلة ما حين أحكم علي سلطته بدأ الألم يغزو كل خلية تنبض في جسدي، فازداد صراخي الهستيري بدموع لا تتوقف، كان الإحساس مؤلما بشكل لا يصدق، لم أحتمل أبدا ذاك الألم فارتفع صدري وهبط بأنفاس معذبة، بينما يهمس لي: "أرخي أعصابك وتوقفي عن مقاومتي أكره أن تتأذي! "

أنين أعلى من أنين، صراخ صاحب صراخ، هذا كل ما استطعت التعبير عنه بمقدار الألم الذي حل بي، شعرت بساقيّ تضعفان وبجسدي يتهتك تحت قوته وسلطانه، أغلقت عينيّ من جديد مستسلمة لدموعي، وكلما ضاعف من وتيرته في نهشي أبكيه مجددا متوسلة له أن

يتوقف. وحينما لم يتبق بي طاقة لأحتمل عذابي وظننت أنني هلكت أنهى حياكة كنزة العذاب، فزفر بقوة ملقيا جسده علي بينما جبينه يتصبب عرقا.

أنفاسه المتلاحقة الحارة لفحت أذني، كان يتنفس بثقل فلم أجرؤ على الالتفات نحوه، دموعي الصامتة كانت تحكي قصة وأد براءتي، لامس وجهي وجهه المتعرق، فتسللت قشعريرة غريبة في أوصالي، لكنني كنت وقتها مستسلمة لشعور أقوى، الشعور بألم يعتصرني وبقلبي يهوي بي نحو القاع السحيق، نهض عني وتلاقت نظراتنا بعينيه الذابلتين المتعبتين وعيني اللتين شكلتا نهرا من الدموع لم يتوقف.

انتزع جسده من بين فخذي وهو ينظر إلي وإلى ما صنعه بي، ما الذي فعله بي؟ ولماذا؟ كان بيننا اتفاق! لماذا نقضه؟

أشحت بصري عنه لأتجنب النظر إليه ولكي لا أحفظ في مخيلتي دليل جريمته النكراء، وغطيت فمي لأخفي شهقاتي المتتابعة من غير توقف وأنا أذرف الدموع الحارة، نهض بالكامل عني وابتعد عند حافة السرير ليصلح ملابسه، فخذلتني عيناي لأراقبه بوجل، كان الألم الذي أشعر به أكبر من أن أستطيع النهوض.

التفت إلي وفي عينيه قلق، ثم اقترب مني منحنيا نحوي ليلمسني هامسا باسمي، فاحتضنت جسدي والتفت عنه إلى الجهة الأخرى لأشهق بغيظ:" ابتعد عني! لا تلمسني! توسلتك مرارا لتتوقف لكنك لم تفعل!"

ثم عدت إلى النحيب من جديد غير آبهة برؤيته لي أبكي مذلولة على هذا الحال، أغلقت المسافة بين ساقيّ وبيد مرتجفة سحبت فستاني إلى الأسفل لأغطي عنه ما كشف له، وتابعت بكائي مستسلمة لضعفي ومهانتي.

بعد لحظات سمعت باب الغرفة يغلق، فالتفتّ إلى الخلف لأتأكد أنني بتّ وحدي الآن، صارعت نفسي لأرفع جذعي لأصدم بالدماء التي غزت فخذي والتي لطخت بقعة كبيرة من السرير تحتي، لكنني لم أملك طاقة وقتها لفعل شيء فانبطحت من جديد على جنبي متقوقعةعلى نفسي، بينما أحارب بجهد ألمي الجسدي والنفسي.

....

فتحت عينيّ بصعوبة، فقد كانت جفوني ملتصقة بسبب الدموع الغزيرة التي لم تتوقف عن جريانها حتى في نومي وقد استيقظت على إحساسي بالألم، جاهدت نفسي لأنهض حتى تمكنت من ذلك بعد جهد عسير، نزلت عن السرير ثم اتكأت عليه لأستطيع الوقوف.
وقعت أنظاري على البقعة الملطخة بالدماء ليهاجم مخيلتي الكبد الذي عايشته الليلة الفائتة، فعدت للبكاء من جديد، حاولت السير نحو حمامي الخاص بمشية مترنحة وظهر مقوّس، لم أتخيل أنني سأحتاج إلى طاقة عظيمة لرفع جذعي باعتدال.
نزلت في الحوض مرغمة بعدما نجحت بكثير من الألم والتأوه من الخروج من ثوبي المجعد المتسخ من رجس الجريمة البشعة التي أقدم عليها إيان بحقي. جلست وقد ثنيت ركبتي قريبا من صدري لأحتضن نفسي وأستسلم من جديد لنحيبي المتواصل.
لففت جسدي المنهك برداء الحمام وكلي أمل أن يسترجع عافيته، لكنني كنت متأكدة أنني مهما اغتسلت فلن أمحو عنه حقيقة هتك عفافه، لقد انتزع مني إيان براءتي دون تردد أو تهاون.
خرجت من الحمام ففوجئت بالسيدة سوزان وسط غرفتي تقوم بتغيير ملاءات السرير، فتمكن مني الإحراج على الفور وغطيت وجهي بكفيّ يديّ باكية من جديد، فاقتربت صوبي فورا ومدت يديها لتمسح على ذراعيّ قائلة: "حبيبتي لا داعي للبكاء... كلنا مررنا

بهذه المرحلة، التجربة الأولى دائما ما تكون صعبة، لكن مع الوقت يتحسن كل شيء وتغدو ذكرى عابرة وكل الألم يختفي وتعتادين على الأمر"

نظرت إليها بعيون دامعة قائلة بخوف: "أي أمر؟ تلك الليلة لن تتكرر!"

كان حديثي معها في هذا الأمر محرجا بالنسبة لي، لكنني على يقين بأنها تعلم بما حصل لي الليلة الفائتة، وكل شيء حولي ينهار أصلا فلا مصوغ من إخفاء مشاعري السلبية.

احتضنتني إلى صدرها بحنو أمومي وهي تمسح على شعري المبتل، ثم قالت: "صغيرتي أنت تقولين الآن ذلك لأنك مجروحة، ربما لم يتمكن إيان من التعبير عن نفسه جيدا أو إيصال مشاعره بطريقة صحيحة، لكن تأكدي تماما أنه شخص صالح ولم يرد يوما أن تشعري بالمذلة، لكن كل منا يمر في حياته بمرحلة تجعله ينحرف عن دربه وإذا أعطيته فرصة فسترين أنه أهل لثقتك"

ذهني كان مشوشا وقتها ولم أستطع تصديق كلامها، كنت مجروحة وأشعر بالإهانة والإحراج، لم أستطع تخيل لحظة رؤيته ثانية وقد تغير كل شيء الآن، كيف لي أن أنظر في عينيه؟ وكيف سأتمكن من التعايش مع ما فعله بي؟ كنت متيقنة بأنني لست مستعدة للقياه الآن، ليس الآن وجسدي ما زال متهالكا من افتراسه له.

غيرت لي السيدة سوزان ملاءات السرير وشجعتني على ارتداء ملابسي بسرعة ريثما تعد لي شيئا أتناوله لتجديد طاقتي، في كل الأحوال لم أكن لآكل، لم يكن لي رغبة في الأكل.

صعدت إلى السرير مجهدة بعدما غطيت جسدي ببيجامة مخملية تعيد الدفء إلى أوصالي المرتعشة، وتدثرت بالغطاء، ثم قدمت السيدة سوزان بصينية الطعام لتحاول إقناعي بالأكل، لكنني لازمت الرفض، فتركت الصينية مستسلمة على المنضدة القريبة من السرير، وقبل أن تخرج سألتها بصوت ضعيف: "أين هو؟"

دون أن تنظر إلي أجابتني بعد تردد: "لقد اضطر للسفر، لحق بطيارته صباحا من أجل صفقة عمل"

خرج صوتي مرتجفا وأنا أردد والدموع تنسكب من عينيّ: "سافر؟ كيف؟ لماذا؟"

هو حتى لم يطمئن علي! ليس كأنني أستطيع رؤيته الآن، لكن أن يتركني بهذا الوضع ويسافر؟ كيف أمكنه قلبه من فعل هذا بي؟ تلحفت بالغطاء واستسلمت لموجة أخرى من البكاء لدرجة شعرت بأنني أشهق روحي.

لا أدري ما حصل معي، وكيف غطت عيناي في النوم لكنني أفقت على أصوات جدل من حولي، وحينما خرجت من أسفل الغطاء تفاجأت بجلوس راما ولورا على طرف سريري وهما تتجادلان، ثم انتبهت راما إلى استيقاظي فتجاهلت لورا وألقت برأسها ناحيتي مستفسرة بقولها: "حبيبتي سيلينا! هل أنت بخير؟ كنا نحاول الاتصال بك منذ الصباح! ماذا حل بك هل أنت مريضة؟"

تذكرت من كلامها أن اليوم دوام، كيف غاب عن بالي هذا؟ حاولت أن أنهض بسرعة لكن انتهى بي المطاف متألمة ليزداد قلقهما وتتساءلا عن الخطب.

اعتدلت جالسة بمساعدتهما ونظرت من طرف عيني في اتجاههما، اقتربتا مني وجلستا على السرير مقابلي ثم أعادتا سؤالهما للاطمئنان علي فلم أجد مهربا إلا بقول الحقيقة المخجلة لهما ....

حدقتا بي فترة من الزمن وقد ضاعت منهما أفكارهما، وبعد تردد نطقت لورا أخيرا:

"سيلينا أنت تعرفين تماما أنني أحبك، لكنني يجب أن أكون صادقة معك... ففي النهاية هذا حق له، هو لم يقترف خطيئة"

أما راما فكان لها وجهة نظر أخرى فجادلتها بقولها: "لكنه سيطلقها! بأي حق يسمح لنفسه بلمسها؟ ثم أن يتجرأ عليها رغما عنها؟ هذا بحد ذاته كارثة!"

أجابتها لورا محتدة: "إنها حلاله! أيشبع رغباته بها أم يسلك طريقا خطأ؟"

لم تقتنع راما بكلامها ودخلتا من جديد في عراك لفظي، كنت ما زلت أحاول السيطرة على ألم رأسي وعيناي تلتفتان يمنة ويسرة بينهما حتى تمت مقاطعتهما أخيرا على قرع السيدة سوزان للباب، دخلت وهي تحمل معها جهازا لوحيا الكترونيا. ثم اقتربت من السرير وقالت بينما تشير لراما ولورا بإصبعها بالتزام الصمت: "السيد يريد التحدث إليك"

فتحت عيني مصدومة وأشرت لها برأسي بالرفض لكنها اختارت عدم الانصياع لي وقد أراحت الجهاز في حجري، أمسكت به بينما أحدجها بنظرة معاتبة ورفعته مقابل وجهي، حينها وقع بصري عليه. شعرت بقلبي يخفق بقوة وهو يهوي بين ساقيّ، كان جالسا في مكتب ما في غرفة مشرقة يرتدي على ما يبدو بزة سوداء اللون، وينظر إلي بعينين متعبتين من خلال الشاشة، لوح لي بيده. أما أنا فاكتفيت بتوجيه نظرة ألم له، فتنهد وهو يقلب عينيه بارتباك ثم قال: "آسف لأنني غادرت دون إنذار مسبق، لكن الصفقة حصلت فجأة، حاولت الاتصال بك سابقا لكن أخبرتني سوزان أنك كنت نائمة"

من شدة ارتباكي كنت أمسك بطرف قميص بيجامتي أعبث بها، ثم سألته: "ماذا تريد؟"

ليجيب فورا: "أردت الاطمئنان عليك... هل... هل أنت بخير؟ هل ما زلت تتألمين؟"

احمرّ وجهي على الفور حينما هاجمتني الذكريات بقوة، كان من الصعب علي تركيز نظراتي عليه فأبعدت عيني عنه بسرعة بارتباك واضح، سمعته يتنهد من جديد ثم قال: "لن أتأخر عليك وحينما أعود.." سكت هنية قبل أن يضيف: "علينا أن نتحدث، نحن بحاجة إلى ذلك... الآن لدي بعض الأعمال لذا أنا مضطر لإنهاء المكالمة... أراك قريبا، ابقي آمنة"

ثم أنهى المكالمة فانطفأت الشاشة أمامي، شردت في اللا شيء قبل أن أعيد الجهاز إلى السيدة سوزان ثم احتضنت وجهي بينما أشعر بضياع لورا وراما معي.

ترددت لورا قبل أن تسألني بإحراج: "هل كان الأمر فعلا مؤلما إلى هذه الدرجة؟ هل علي أن أخاف؟"

تذكرت وقتها أنها مخطوبة وعلى وشك الزواج، فهززت كتفي بقولي: "لا أدري إن كانت كل التجارب واحدة.. بالنسبة لي كانت سيئة، شعرت بأنني ألفظ أنفاسي."

شحب وجه المسكينة بشكل ملحوظ بينما علقت راما: "إذا لم تكوني مستعدة طبعا ستكون مؤلمة"

ثم مدت يدها لتحتضن كفي وفي عينيها حنان ثم قالت: "سيكون كل شيء على ما يرام.. وكل شيء سيتحسن، فترة من العمر وتمضي... أعرف أنه أساء إليك لكن تذكري دائما جانبه الآخر.. إيان ليس شخصا سيئا... ربما... لحظتها كان دافعه الغيرة.. لقد شعر بأنه مهدد من طرف آخر وخصوصا أنه يعلم بمشاعر أوس تجاهك"

تابعت لورا مكملة كلامها: " أنت زوجته أولا وآخرا، وربما سئم من كبت مشاعره، هذا رجل يا سيلينا وليس كالنساء ينصبن اهتمامات بأشياء أخرى.. الرجال بحاجة لإفراغ رغباتهم... لا تنسي أنه مرتبط وبذات الوقت لا يحق له الاقتراب، علما بأن سنه هذا حرج ... ويستحيل عليه سلك الدرب الخطأ لأنني أذكر أن سمير قال لي أنه أقسم على ابتغاء الحلال ليدرب نفسه على الصبر. تاريخه طويل بالالتزام بابتعاده عن العلاقات المشبوهة، هو معروف بهذه الخصلة، وأنا متأكدة أنه استسلم لمشاعره تجاهك فلم يجد بدًّا من الإخلال بالاتفاق"

كلامها ذكرني باعترافه سابقا لميريديث بأنه شاب لا يمارس المحرمات، فهل يعقل فعلا أنه لم يقترف ذنبا طيلة فترة ارتباطنا؟ أو طيلة حياته حتى؟! معقول! شاب بكل إمكانياته وثرائه لم يسلك درب الخطيئة ولا حتى مرة؟ وهل فعلا يشعر بشيء تجاهي؟ أكان هذا أحد أسبابه؟ أم أنه فعل ذلك بسبب شعوره بالتهديد من قبل أوس؟ مهما كان الشخص واضحا إلا أنه يلجأ إلى الكتمان في بعض شؤونه الخاصة.

غادرت لورا وراما بعد أن أكدتا علي التزام الراحة، وعدم التفكير بما حصل والتركيز على أشياء أخرى كدراستي مثلا، أو قراءة كتاب، أو أي شيء آخر، إنهما تعرفان بالتأكيد أن نصيحتهما ليست في محلها فمن يستطيع تخطي تجربة سيئة مر بها بين ليلة وضحاها؟ أخذت أستذكر حوارهما السابق لي مع عدم قدرتي على تقبل الكلام... لم أكن مستعدة له! لا يحق له لمسي دون إذني!

تعبت من الجلوس في الفراش طيلة اليوم فقد أصبحت عضلاتي تؤلمني من ملازمة الفراش، فقررت أن عليّ تحريك جسدي لعلي أزيل تعب الثمالة وأتحكم بألم جسدي المدنس بخطيئة إيان. فنهضت عن السرير واتجهت خارجة نحو المطبخ لأجد شيئا آكله فأنا لم أضع لقمة في معدتي منذ عصر البارحة، ما عدا طبعا سموم الكحول، آه كم أتمنى الرجوع بالزمن إلى الوراء لأرفض شرب ذاك الكأس. لماذا لم يوضح لي إيان ببساطة أن المشروبات المعروضة في الفندق مشروبات كحولية؟ لكان جنبنا الخوض في كل هذه المعاناة، أو لو أنه احترمني أمام تلك الساقطة ولم يمض معها لما شعرت بالحاجة إلى الانتقام منه.

وجدت السيدة سوزان قد أعدت لي طعام الغداء وكانت قد حفظت طبقي في حافظة حتى أتناوله دافئا، قررت أن أتناوله حتى لا أحزنها فهي تكبدت عناء تحضير الطعام لي مرتين.

خرجت من المطبخ لأعود إلى غرفتي لكنني التقيت بالسيدة سوزان تخرج من غرفة إيان تحمل معها بزته التي خرج بها لصفقة الأمس، كانت محفوظة في مغلف بلاستيكي فسألتها عن حاجتها لأخذها فقالت كأنها تحاول إخفاء الكيس عني: "لقد أمرني بأخذها إلى محل التنظيف "

شككت بشيء مريب فيها فاقتربت منها وأخذت الكيس من يدها لأنظر في داخله بينما بدأ جبينها يتصبب عرقا، ثم فهمت سبب محاولتها إخفاء الملابس عني، وذلك حين لمحت بقعة من الدم على بنطاله، عاد معدل نبضات قلبي يتسارع وأحسست بأنفاسي تتلاهث فوقع الكيس من يدي بينما عيناي تغرقان في الدموع من جديد، وقد عادت أحداث الليلة الفائتة تهاجم مخيلتي.

ركضت نحو غرفتي مبتعدة فلحقت بي السيدة سوزان على الفور لتحاول مواساتي، وجدتني جالسة على حافة سريري أبكي وأحتضن وجهي في كفيّ، ثم جلست إلى جانبي ومدت يدها لتربت على ظهري وتحاول مواساتي بعبارات طيبة.

مسحت دموعي ثم سألتها وأنا أصارع غصتي: "كيف أمكنه عمل هذا بي؟ كان بيننا اتفاق! إنه مقدم على الطلاق فكيف طاوعته نفسه على إيذائي بهذه الطريقة؟"

أجابتني: "بالطبع هو لم يكن هدفه إيذاءك! إيان شاب رائع ولطيف جدا"

لطيف؟ بتّ أشك في هذا، فإيان الذي عرض نفسه في الأمس في الظلال لا يشبه إيان الذي نراه في وضح النهار، هل هو يجيد تمثيل دور الشخصية اللطيفة يا ترى؟ أم أنه يعاني من مشاكل نفسية جعلته يرسم لوحة يظهر فيها مبتسما لطيفا بحيث تنطبع في قلوب من يراها فكرة روعته بينما يختبئ بشخصيته الحقيقية خلف الألوان المزيفة التي يعرضها على الآخرين؟

التفتّ إليها بعينين ملؤهما الشك وأجبتها: "لماذا تصرين على الدفاع عنه؟ أنت لم تريه في الأمس.. لم يكن لطيفا البتة.. لقد أساء معاملتي منذ بداية الأمسية أعتقد أنه إما نجح في خداعكم جميعكم أو أنك تتسترين على خطب به"

ابتسمت بضحكة خفيفة على كلامي فنظرت نحوها مستهجنة ثم قالت: "آه يا ابنتي! ليتني أستطيع مداواة جرحك بذمه، لكن يا صغيرتي أنا لم أكذب عليك بشيء وهو بدوره ليس سيئا كما تظنين، تذكري كل شيء قدمه لك، إني متأكدة من أنه لم يكن ينوي إيذاءك لكن ربما أنت خفت أو غلبك التوتر والخجل ... لا أعرف صراحة ما جرى بينكما في الأمس لكن أستطيع الجزم لك يا بنيّتي أن إيان لا يتصنع شخصيته ولا يخفي عليك شيئا"

نعم أنا توترت وخجلت وذعرت، لكن هل لذلك علاقة بعذابي أصلا؟ هل التوتر يزيد الألم سوءا؟ أخذت نفسا عميقا ثم نظرت إليها بحدة وقلت: "ماذا عن والده؟ ما قصة والده حتى أقسم على قبر أمه ألا يكون قاسيا كأبيه؟"

شعرت بكتفيها تتشنجان ثم نظرت إلي مندهشة من كلامي فسألتني: "من أين أحضرت هذا الكلام؟"

أجبتها بثقة: "هو قال لي"

نهضت من جانبي بينما أتابعها باهتمام وأغلقت الباب لتعود إلى جانبي ونظرت نحوي بجدية، ثم قالت: "مادام هو من مهّد لك فلن أبقيك في الظلال.. لكن ما سأرويه لك هي أسرار بيت زوجك، فلا تذيعيها على أحد، لم أرد البوح بشيء منها لأحد قط لكن..... أجد نفسي مضطرة لشرح الأمر لك، فهل يمكنك حفظ الأسرار يا ابنتي؟"

الفصل السادس والعشرون

راما

كان من الأفضل أن أتجنب فراس لبعض من الوقت، لأنني صدقوا أو لا تصدقوا ما زلت لا أستوعب أنه قبلني بعد. كنت بين الفينة والأخرى أتفقد آثار قبله على رقبتي عبر المرآة قبل أن أعيد تغطيتها بوشاحي، حتى أتأكد أنني فعلا عايشت معه تلك التجربة وأن ما حصل ليس من هلوسات دماغي المهووس به.

حاولت الاتصال بسيلينا عدة مرات قبل المحاضرة الأولى فهي تأخرت على غير عادتها فقلقت عليها بشدة، وحصل ما كنت أخشاه فهي لم تأت إلى المحاضرة، ظننتها تأخرت في النوم لأنني حسب ذاكرتي بلغها إيان بسهرة ما، ربما لهذا تأخرت فالمسكينة ليست معتادة على السهر إلا إن كان اليوم التالي عطلة.

زرعت في نفسي هذا الاحتمال لأخفف من قلقي عليها، لأنني أعلم يقينا إن استسلمت لوساوسي تجاهها فسأترك الجامعة بكل ما فيها وأذهب إليها دون تردد.

للأسف لم أحصل على أي استجابة من سيلينا عقب المحاضرة وعند اقتراب موعد المحاضرة الثانية كنت قد فقدت صبري، وهاتفت لورا لأعلمها بِنيّتي في مغادرة الجامعة لأذهب إلى بيتها مهما كان، فاستعدت هي أيضا للانضمام إلي بسبب خوفها عليها أيضا، فأسرعت الخطى في الممر لأخرج من المبنى حين لمحت فراس عند مقدمة السلالم، يداه في جيبه وهو ينظر إلي نظرة جدية، ثم سار نحوي فابتلعت ريقي بارتباك وهممت بالسير نحو الخلف، وكلما سار خطوتين كنت أتراجع شبه خطوة للوراء من شدة حيرتي. حتى أمسى أمامي فانعطف بي يسارا وأكمل سيره أمامه وكأنه يدفعني إلى الخلف فاصطدم ظهري بباب دورة مياه خاصة للطالبات الإناث، مد يده ودفع الباب وعيناه لا تفارقاني حتى

ولجت إلى الداخل وهو أمامي، شهقت الفتيات اللاتي في الداخل بين من تصلح حجابها أو مساحيق التجميل على وجهها أو بمن اكتفين بالوقوف في أحد الزوايا للتحدث.

نظر إليهن بوجه بارد ثم أمرهن بقوله: "إلى الخارج، تحركن!"

أسرعت الطالبات بالاستجابة وخرجن كما يخرج الجراد من مخبئه وهن يشتمنه أو يتحدثن عن ذعرهن من تصرفه المفاجئ وغيرها من التمتمات والشتائم التي لم أتمكن من مواكبتها بسبب تشوشي من الظرف المحرج الذي وضعني فيه.

وعندما خلا المكان لنا أعاد توجيه بصره نحوي وهاجمني قائلا: "يومان من التجاهل؟ خفّي علي يا بنت حرقت قلبي!"

أجبته بسخافة: "بل في الواقع يوم و.. نصف"

ضيق عينيه بنظرة معاتبة فاحمر وجهي، هل يمكنه أن يتوقف عن كونه وسيما لدقائق فقط؟ مد يده على الحائط خلفي فأمسكت كتبي أحتضنها إلى صدري في ترقب لما سيقول أو يفعل، ثم قال: "لماذا تفعلين ذلك بي؟ أتريدين إعادتي إلى موجة اكتئابي؟"

أجبته بسرعة: "لا حاشاك!"

"إذن؟ ما الأمر؟" قالها متسائلا لأجيب بعد تنهيدة: "اسمع فراس، لن أراوغ سأكون صريحة معك... أنا لا أواعد الشبان ولا أخرج في مواعيد غرامية، لست من ذلك النوع... إني أحفظ أمانة أبي"

قلت آخر عبارة بصوت خافت وبصري موجه إلى الأرض فنفخ باستياء ثم قال: "لكنني لست كأي شاب! هيا يا راما أنت عرفت عني ما لم يعلمه إلا القلة لن أكون واضحا هكذا مع فتاة أتسلى بها! أنا أحبك"

آه لا تقلها! قلبي لم يعد يحتمل! فراس يحبني لماذا تفسير هذه العبارة صعب على دماغي؟! ألأنني أعشقه بجنون لدرجة تمنعني من التصديق؟ لوهلة كاد لساني يزل لأعترف له بحبي المدفون له، لكنه أربكني حين انحنى برأسه نحوي فتبخرت الكلمات قبل أن تخرج بسبب غليان قلبي الذي أخذ يعصف بقوة من قربه مني من جديد، ثم اقترب من شفتي بهدوء كأنه ينتظر مني رد فعل، إن كنت سأهرب، أم أنقض عليه أنا، أو أبقى واقفة مكاني كالبلهاء، حيث كان هذا الخيار المرجح.

حينما شعر بأرجحية الخيار الثالث تشجع ليقترب أكثر مني وقد واتته الشجاعة أخيرا ليتعلق بشفتي فهرب أنين من بين شفاهي رغما عني لأشعر به يبتسم على فمي، آه يا لغبائي! سيدرك بتصرفاتي المثيرة للشفقة بأنني أموت رغبة فيه، لم يطل بتقبيله لي، لا ليس لأنه اختار قطع القبلة بنفسه بل لسبب آخر، فأثناء انغماسي في التلذذ بالعسل الذي نهلته من شفتيه وإذ به يتأوه ويبتعد عني، في البداية ضعت لكنني أدركت وجود خطب فيه حين بدأ يدعك رأسه من الخلف ثم أعقبها رؤية رأس لورا يطل من خلف الباب وهي تحمل تعابير متأججة بالغضب، جفت الدماء في عروقي من مظهرها المرعب، وبدأت أتساءل مع نفسي بحياء قاتل إن كانت لمحته يقبلني حين ضربت رأسه بباب المرحاض الخارجي.

كنت شاحبة بشدة وتمكن خوفي منها من السيطرة علي، وجهت نظرها إلي بتهديد قبل أن تعيد توجيهه إلى فراس وقالت وهي تنفث النيران من جوفها: "التزم حدودك أيها الغبي!" ثم نظرت إلي وتابعت بذات النبرة: "وأنت تعالي معي! أنسيت أمر سيلينا؟"

أومأت برأسي مستسلمة لها ثم مسحت على صدره بيدي وهمست له: "أنا مضطرة للذهاب سنتحدث لاحقا"

لم يعطني إجابة وأبقى عينيه علي، ثم غادرت برفقتها، محاولة تجنب النظرات المتهمة من الطالبات من حولي، ثم همست لي بسخط: "تتحدثان لاحقا في جوف بعضكما؟!" اعتراني شحوب الأموات حين أدركت أنها أمسكتني بالجرم المشهود، ولم تتوقف عن تأنيبي أبدا طوال الطريق وحتى حينما وصلنا إلى بيت سيلينا، آه كفى! ضاق صدري ذرعا بها، ما أزعجها!

سيلينا

راقبت السيدة سوزان وهي تحاول السيطرة على انفعالات وجهها الحزين، ثم قالت: "إيان نضج قبل أوانه بسبب تصرفات والده السيئة، كان رجلا قاسيا ويؤمن بمبدأ السادية والبقاء للأقوى، كثيرا ما كان يسيء معاملة زوجته ويضربها باستمرار حتى يتسلخ جلدها وتسيل منها الدماء، كان مريضا نفسيا يسيء إلى كل عائلته.... إيان كان شاهدا على كل ما أصاب أمه وكان يرى بعينيه معاناتها ومأساتها، كانت جدته تقف ضد ابنها في صف زوجته وهي تهدده مرارا برفع شكوى ضده، حتى هدد مرة بحرقها مع بناتها الثلاث وهن على قيد الحياة مما أجبر الجميع على التراجع خشية فقدانهم السيطرة عليه، كان له نفوذ كبير، وحتى إن حاولت الحصول على الطلاق أو التوجه إلى المحكمة لرفع قضية ضده فلم يكن لينفعها شيء فخشيت على بناتها واحتملت ألمها وأَسَرَّتْ إلى نفسها سوء معاملته معها عن الجميع إلا إيان الذي كان يقتحم غرفتها في منتصف الليل ليساعدها بيديه الطفوليتين في دهن جروحها وعلاجها بسبب ضعفها.... مرت السنين ومرضت أمه مرضا خطيرا، ثم توفيت قبل أن يتم إيان الثامنة عشر، شعر بأن عالمه كله انهار لفقده أمه وهي عاجزة متألمة ولم تلمح الخير في حياتها مطلقا."

نظرت إلى وجهي المرتعد مما ألقته على مسامعي ثم قالت وهي ترسم ملامح نادمة: "إذا شعرت بالخوف فأستطيع التوقف"

ابتلعت ريقي وأشرت إليها بصوت ضعيف أن تكمل، فهزت رأسها ثم تابعت: "حينما ماتت أمه أصيب والده بانهيار، فهو كان يعشقها لدرجة إيذائها لا تسأليني كيف فيوجد الكثير من الأمراض النفسية المشابهة لحالته، ومن شدة اكتئابه بموتها عاقر شرب الخمر حتى الثمالة، لا أذكر يوما كان فيه السيد روبرت واعيا عن نفسه بعد موت زوجته، نصّبت السيدة جينيفر إيان مديرا لشركات والده لأنه أصيب بالعجز عن أداء أي شيء مفيد وكان يقضي وقته كله ثملا. ولأنه كان حزينا جدا على فقد زوجته اتجه في أذيته لبناته لكن إيان ما كان ليسمح له بمس أخواته أبدا، لقد شعر بأنه هو المسؤول عنهن وعليه تقع مسؤولية حمايتهن ورعايتهن، كما أنه أراد تعويض أمه عن سنوات تعذيبها وعدم قدرته على حمايتها بحماية بناتها، لذا ضحى بنفسه ليكون أداة سلخ بشرية لأبيه ليكف شره عن أخواته، فكلما حضر والده إلى البيت يحبسهن إيان في غرفهن ويتلقى الضرب عنهن، استمر في تعذيبه سنتين حتى فارق الحياة بسبب فشل في وظائف الكبد تسببت بذلك له الكحول. أقسم إيان بعد ذلك ألا يسمح للقسوة أن تحل قلبه، فتجربته علمته العطف على الناس وخصوصا النساء والأطفال، وأستشهد بقوله لي حين كنت آتيه لأضمد جراحه فكان يقول: لئن يتقطع لحمي إربا إربا أهون علي من نظرة الرعب في وجه ليلي، أخته الصغرى، تعرفينها التي غادرت قبل يومين لتعود إلى البلاد... كان مفتاح صبره الوحيد تواجدي إلى جواره لأقدم له الرعاية. وما إن بلغ سن العشرين حتى باع منزلهم القديم للتخلص من ذكرياته السيئة وأمّن منزلا جديدا بحراسة مشددة لأخواته وانتقل للعيش هنا وفاء لأمه التي تأصلت من جذور عربية، حيث كان جده لأ مه عربيا ومنه تعلمت السيدة جينيفر

اللغة وهو أيضا تعلمها في سن صغيرة حتى أتقنها ليتكلم ببراعة أكثر من الناطقين الأصليين، حتى أنه كان يقرأ في معاجم اللغة وقواعدها ويدرس أشعارها منذ نعومة أظفاره... كثيرا ما كان يقرأ من أبيات الشعر لأمه لينسيها ألمها...."

ابتسمت بحزن عند نهاية روايتها، ثم تنهدت وقالت لي وهي تنظر في عيني: "هل صدقت الآن أنه شاب صالح؟ لم يكذب أحد بوصفه باللطف، فهو لطيف منذ طفولته، أما بالنسبة لما حصل بينكما فأنا متاكدة أن له تفسيرا لتصرفه معك، وصدقيني حين أقول أنه لا يستمتع بتعذيب النساء أو التسبب بأذى لهن، كثيرا ما كان يقول لي أن زوجته المستقبلية ستعيش ملكة تحت جناحه، هل أساء إليك منذ ارتبطتما قبل أن يطأك الليلة السابقة؟ ألم يكن معك لطيفا ويغدقك بأمواله وهداياه ومعاملته الحسنة؟ "

بلى! لقد كان ملاكا في عيني وسيبقى كذلك، لكنني لا أفهم سبب همجيته معي في الأمس، هل بالغت في حزني بما فعله بي؟ لا! يجب ألا أتأثر بماضيه فأنا فعلا تألمت نفسيا وجسديا، لقد أذاني وتعدى عليّ، حرق قلبي، لم أتخيل الألم بل عشته. إذن ما السبب في تغير معاملته فجأة بهذا الشكل؟

علمت في وقت لاحق بأنه سيعود من سفره مطلع الأسبوع القادم، فأخذت ذلك كإشارة لي لأتمرن على التصرف بشكل طبيعي أمامه وأحاول نسيان ما فعله بي، لم يهاتفني مجددا ذاك اليوم فشعرت بالغصة في قلبي لكن حاولت تصبير نفسي بأن أقول أن هذا أفضل لكلينا حتى يمسح الوقت الجروح ويعطي فرصة لكل منا بالتفكير بتروٍّ.

<u>راما</u>

كان فراس يحاول الاتصال بي بين الفينة والأخرى، أما أنا فكنت أتجاهل اتصاله، متذرعة بركوبي الحافلة مرة، أو بجلوس أمي إلى جواري أو عدم تفرغي، لكنه كان مصرا علي بشكل كبير لأستجيب له وهكذا وجدت نفسي مضطرة للاستسلام له.

قايضت سارة بلوح شوكولاه كنت قد خبأته لنفسي لأخرجها من الغرفة متذرعة لها بأن لدي مكالمة مهمة مع لورا وأنني سأخوض في حديث كبار عليها ألا تسمعه، فلم تكتف هذه الشيطانة بلوح الشوكولاه اللذيذ والذي كنت أحلم بتناوله مع كوب قهوة ساخن بل أنها قايضتني لتتسلى بهاتفي عقب مكالمتي فاضطررت للانصياع لها.

أوصدت الباب واتجهت إلى سريري لأجلس عليه وأستقبل المكالمة وعيناي معلقتان على الباب ذعرا، وكان أول ما سمعته صوته العذب من خلال الهاتف وهو يقول: "اشتقت إليك!"

"فراس!" نطقتها بنبرة ترجوه للتوقف عن التسبب لي بذبحة صدرية فقال معترضا: "ما بك؟ إني أحبك وفعلا اشتقت إليك!"

أخذت نفسا عميقا ثم قلت بتعب: "أرجوك يا فراس! قلت لك أنا لا أواعد الشبان، يكفيني خيانة لوالديّ أنني قبلت صداقتك والانضمام إلى مجموعتك! لا أحتمل الذنب!"

سألني: "هل تحبينني على الأقل؟"

فأجبته: "أنا لست مضطرة لإجابتك عن هذا السؤال"

لم أكن أعي أن إجابتي ستسبب له الانزعاج فقال بضيق واضح في نبرته: "هل هذا آخر كلام؟ لأنني إذا أنهيت المكالمة فلن أتحدث معك بعد ذلك"

صمتّ لأنني لا أحمل ردا، وطال به الوقت لينتظر مني إجابة حتى سمعت صوته يودعني من الطرف الآخر وينهي المكالمة. شعرت بأنني على وشك البكاء فحاولت السيطرة على

انهيار عواطفي، وأرغم نفسي طيلة اليوم على عدم مراسلته، مع أنني كنت أتفقد الهاتف من حين إلى آخر من أجل مكالمة فائتة أو رسالة منه لكنني لم أجد، هل نجحت في طرده من حياتي بهذه البساطة؟ إذن هو لم يكن يحبني... أو... أنه يفعل ذلك متعمدا لأستسلم وأتصل به أنا... أو أنه فعلا يحبني لكنني نجحت في خلق فكرة أنني لا أشعر بشيء تجاهه لذا فضّل حفظ ماء وجهه وقرر التراجع عن مذلة نفسه من أجلي. إلى هنا قررت مع نفسي أنه إذا اتصل بي أن أعطيه فرصة، لذا عكفت على مراقبة الهاتف وكلي رجاء وتوسل بأن يحاول التواصل معي مجددا.

جلست برفقة سيلينا في اليوم التالي على مقاعد الانتظار الحجرية المبنية في الممرات وذلك تحضرا للمحاضرة القادمة، وكنا نتابع هطول الأمطار من خلال النافذة التي تعلو جسدينا. قصصت على سيلينا كل شيء حصل معي، ثم طلبت منها مشورتها فيما علي فعله، فقالت: "أنصحك بالانتظار، فالانتظار هو خير وسيلة لمحو الأحزان وصفاء القلوب"

هل تتحدث عن وضعي أم وضعها؟ تنهدت بأسى وقررت الأخذ بنصيحتها في كل الأحوال، ثم فوجئت برشا تقبل نحوي من نهاية الممر، وصلت أمامنا وتوقفت، ثم قالت: "سألت بعض الطالبات عنك فقيل لي أنك هنا"

لازمت الصمت بسبب ارتباكي منها، فمنذ ذاك اليوم الفظيع في المشفى لم ألتق بها أبدا وعكفت على الابتعاد عن المجموعة كلها، كما أنني كنت أتجاهل محاولات جولي الاتصال بي، وحتى إن استقبلت مكالمتها أتذرع بأي سبب يمنعني من الانضمام إليهم.

نهضت سيلينا معتذرة بقولها: "إذا أردت مكالمتها على انفراد فسأعود لاحقا"

هزت رشا رأسها برفض وقالت: "أنا لن آخذ من وقتها الكثير يمكنك المكوث..."

حوّلت نظرها إلي ثم أردفت: "اسمعي، سأحاول أن أكون لطيفة معك في الكلام فقط من أجل فراس... إن كنت تعلمين مصلحتك أو تخشين على فراس من الأذى فابتعدي عنه فهمت؟"

نهضت من فوري بينما أحدجها بسخط لكنها تابعت: "لا تنسي أنك كنت سببا في انتكاسته، كان سيموت بين يديّ بسببك! أنا لا أقول ذلك لأنني أكرهك، الأمر وما فيه أن فراس يعني لي كل شيء وإن أصيب بجرح أصبت أنا بنزيف! احفظي كلماتي بالحرف الواحد، فراس أغلى ما أملك!"

شعرت بأنني أختنق وأن الهواء بات معدوما في المكان، كأنها سحبته في أداة خاصة ومنعتني من التنفس، نعم إنني أحب فراس إلى هذا الحد وأكثر، فلماذا تظن نفسها بحرماني منه؟ لكن من أنا لأجيبها؟ كلامها صحيح كدت أتسبب في موته، كما أن رشا صديقة طفولته وربما تكن له مشاعر من نوع مختلف تماما كما أشعر أنا، لكن هل أستطيع التنازل عنه لها؟ أعترف بأنني شخصية كريمة وأحب مساعدة الناس وما أحمله في يدي أعطيه لغيري إن اشتهاه دون تفكير، لكن فيما يخص فراس فأنا لا أحتمل فكرة أخذه مني، هو الشيء الوحيد في حياتي الذي يمدني بمصل الحياة وإن قطع التواصل بيننا أفقد المصل لأنتهي في الهاوية معذبة حتى الموت! لا يمكنها أخذ فراس مني حتى لو كانت تعرفه قبلي! لن أسمح بذلك أبدا! أخذت نفسا عميقا واتجهت صوبها وأظنني أخفتها بحركتي فأجفلت قليلا ثم همست لها بصوت ثابت: "لن أتوانى عن خوض الحرب ضدك ولتفعلي ما تشائين، والغلبة للأقوى"

دفعتها من كتفها وسرت نحو باب القاعة الذي فتح إيذانا بانتهاء المحاضرة الحالية واقتراب بدء محاضرتي التالية.

......

كان يدعك عينيه بيديه وهو يريح هاتفه على الطاولة أمامه، اسمها معروض على شاشته تحت لقب الآسرة الجليدية، مترددا بالاتصال بها من جديد، حينها فاجأه سمير بجلوسه مقابله وسط الكافتيريا ليلقي نظرة على الشاشة المضاءة تحت رأسيهما، ثم قال متسائلا:

"الآسرة الجليدية؟"

تناول فراس الهاتف وأطفأ شاشته ودسه في جيب سترته مجيبا صاحبه:"راما.. هذا رقم راما"

رفع سمير حاجبيه مذهولا ثم قال مستهزئا: "ألم تجد إلا وصفها بالجليدية؟ إن أردت وصف راما بشيء فأخطأت الوصف! إنها أي شيء إلا كونها جليدية!"

أجاب فراس حانقا: "يا أخي أسرت قلبي وصدتني! إنها تؤلمني كما تؤلم قرصة الجليد"

"فراس!" قالها سمير مهددا، فأجابه الآخر:" لم أعد أحتمل! أوجعت قلبي! بات ليلي ونهاري واحدا وأنا أفكر فيها، أحيانا أتخيل أنني أرى النجوم تتلألأ في السماء حينما ألمحها... لقد أسرتني"

كان سمير يراقب انفعالات فراس التي فشل في إخفائها بوجهه المحتقن وخديه المتوردين وعينيه الذابلتين الحالمتين ليدرك بأن صاحبه وقع في الهيام، ثم سأله من باب التأكد: "هل فعلا تحبها؟"

تنهد وهو يمسح على النصف الأيمن لوجهه: "أكثر مما ظننت! هل يوجد أحمق يقع في الحب بهذه السرعة؟ أشعر كأنني أعرفها منذ زمن، ومع ذلك فهي ترفضني يا سمير.. أظن أن لها اهتمامات أخرى غير الحب، أو ربما لا ترى بي مؤهلات كافية لأخطفها عن الشبان وأتملك قلبها لي وحدي.. أخشى أن يكون اكتئابي سببا لترى فيّ النقص... أو ربما تكن

مشاعر لشخص آخر.. لا لا، بل أعتقد جازما عدم رغبتها في التورط بعلاقة مع مريض نفسي، لا يعيبها شيء لتقبل بمنحطٍّ مثلي"

حدّق سمير في وجه فراس فترة من الزمن ثم عقد ذراعيه على الطاولة منحنيا نحوه قائلا: "أخطأت في كل شيء قلته إلا أمرا واحدا... راما تكن مشاعر لشخص ما... إنه أنت!"

قطب فراس حاجبيه غير مصدق فاسترسل سمير بقوله: "لكنها لن تعترف بذلك لك طبعا.. هل تذكر حينما قلت لك أنها مختلفة؟ هذه الفتاة نقية كوردة بيضاء سقيت بماء الذهب، وبالرغم من حبها الشديد لك فهي كما نبهت عليك وفية، لا يمنعها عنك إلا خوفها من خسارة ثقة أبيها، عدا ذلك فهي مولعة بك... لم تكوّن مشاعرها لك في فترة قصيرة بل أحبتك لسنين طالت، ولهذا فقط قبلت بصداقتك... فقد مرت بمرحلة ضعف تجاه مشاعرها لك... أفهمت لماذا نبهت عليك بالابتعاد عنها؟"

خرجت ضحكة خافتة مستهزئة من شفتيه وعلق بقوله: "هل تحاول مواساتي وتحذيري بكلام عاطفي عن الوفاء؟"

- "لا بل أقول الحقيقة، ألم تلمح يوما قلادتها التي ترتديها والتي تحمل الحرف الأول من اسمك؟"
- "أخطأت يا صاحبي هي تحمل الحرف الأول من اسم أمها، فاتن!"
- "أمها تدعى شذى!"

سكون ران بينهما وكل منهما يتأمل تعابير وجه الآخر، حتى قرر سمير المبادرة بالتكلم أولا: " والآن إن كنت فعلا تحبها فتصرف كما يتصرف أي شاب شهم! أما إن كنت تتسلى وتريدها لقضاء الوقت فقط فالأجدر بك الابتعاد عنها من الآن لتجنبها الألم والمعاناة، إنها لا تستحق ذلك وأنت أدرى فقد اختلطت بها فترة تسمح لك برؤية نقائها"

نهض عن الطاولة ليحضر بعض القهوة بينما ترك خلفه وجه فراس الملجوم بكل ما قال.

راما

روت سيلينا تصرف رشا للورا، فأثارت غضبي لأنني أعلم ما ستقوله لي بالحرف الواحد فقد هاجمتني بقولها: "إذا كنت تعرفين مصلحتك فتراجعي! أنت لا تعلمين من تكون رشا بالنسبة لفراس، فلو خُيّر بينكما فالأمر الواضح والأكيد أنه سيختارها، أحيانا يراودني الشك بأنه يحبها كحب رجل لامرأة دون إدراكه لحقيقة مشاعره!"

رأيتم؟ قلت لكم! أعدت ظهري على الكرسي بصمت يهدد بانفجار دموعي ثم قالت مؤكدة علي كلامها: "كنت أشك بذلك منذ زمن لكنني لم أجرؤ على عرض الأمر عليك خشيت من حزنك، لكن الآن وبعد اعتراف رشا لم يبقى مصوغ لإخفاء مخاوفي عنك، عليك أن تعرفي بذلك حتى تتعاملي مع الأمر وتستفيقي من أوهامك، رشا تحب فراس وبالتأكيد فراس يبادلها المشاعر، فهي تعرف أعمق أسراره"

بكيت بصمت وعيني متعلقتين بعينيها بحزن واضح، فزفرت هي بألم وحافظت على صمتها حتى نهاية الجلسة وكل ما أفعله هو البكاء بصمت، وهما تواسياني بنظراتهما المتعاطفة.

مرّت أربعة أيام كانت أشد فتكا من حر السماء في ظهيرة يوم من شهر آب، بالرغم من أننا الآن في فصل الشتاء وزادت الأجواء برودة وكثرت أمطار الخير، لكن على فؤادي مرت كصحراء تقع على خط الاستواء. شعرت بقلبي فيها يبكي دما وما عاد للحياة طعم فكنت أبصر أمامي الألوان باهتة وكل شيء فقد بريقه، نعم لأن فراس انقطع تماما بتواصله عني، ولم تصلني منه أية أخبار.

كنت أقوم بتلميع قطع الزجاج لبعض التحف النثرية لأقوم بمساعدة أمي في أعمال البيت في أثناء العطلة بينما أراقب السماء المتلبدة بالغيوم كحال سماء قلبي القاحل.

كنت حزينة جدا، فخف تواصلي مع أفراد عائلتي ولم آكل كما يجب فغزى الشحوب وجهي الأبيض بسرعة. أحست أمي بخطب بي فكان كل ما زودتها به هو اختناقي من مشاعري تجاه فراس الذي ربما يكن مشاعر لفتاة أخرى بحسب وصف لورا، ولأول مرة أشعر بتعاطفها معي في موضوع يخصه، لأنها جذبتني نحوها واحتضنتني بحنان ثم قالت: "أحيانا إذا أردنا شيئا بقوة فعلينا أن نتركه ليمضي، فإن عاد فهو لنا، وإن لم يعد فلأنه لم يكن مقدرا له من الأساس... فكري دائما بالاحتمال الأسوأ حتى لا ينفطر قلبك"

تجربة أمي في الحياة أوصلتها إلى خلاصة مفادها لا منفعة من الاعتماد على أحد والحب تجربة فاشلة في درب أي فتاة وعلى المرء أن يصل إلى درجة الوعي والتفكير بأهدافه للنجاح بعيدا عن القصص الغرامية الغبية. كان من الصعب علي تقبل نصائحها، فبالنسبة لي هو كل أهدافي ومهما حاولت إقناع نفسي بأن نسيانه أسهل مما أظن ينتهي بي المطاف متألمة أكثر.

ترجلت من الحافلة صباح الأحد وصادفت سيلينا عند المدخل تسير برفقة حارسها لتهجم نحوي وملامحها توحي بمقدار توترها ثم قالت دون مقدمات: "سيعود... سيعود عصر اليوم! كيف علي أن أتصرف؟ ماذا... ماذا أرتدي؟ أريد أن يشعر بأنني لست مهتمة لعودته... لكن بذات الوقت قوية بالرغم من تحطيمه لي.. انصحيني!"

نظرت نحو حارسها الذي كان يحاول جاهدا أن يتظاهر بأنه لم يسمع شيئا مما قالت، ثم سحبت يدها لنسير أمامه وهمست لها: "هل يعرف الكل بعلاقتك المشحونة معه؟"

نظرت خلفها نحوه ثم أعادت بصرها إلي لتجيبني: "فقط السيدة سوزان... لكنني على وشك الانفجار... سأراه اليوم! سيعود إلى البيت وما زلت لا أستطيع السيطرة على خفقات قلبي الشديدة من مجرد لفظ اسمه فكيف إن رأيت وجهه؟!"

طلبت منها أن تهدأ ونشرب كوبين من القهوة لعلها تجدد نشاطها وتعطيها بعض الطاقة للتفكير بتروٍّ، لو كنت بمزاج أفضل لحاولت التخفيف عنها، أو لو كنت أعاني من مشكلة أخرى لألقيتها خلف ظهري فقط لأساعدها، لكنني أشعر بنار تكويني وبالكاد أستطيع استجماع شتاتي...

لماذا حصل معي شيء كهذا؟ آه كم انتظرت تلك اللحظة التي أسمع فيها اعترافه بحبه لي يرن في أذني، كم ليلة حلمت به وهو ينطقها! وحينما سمعته يقولها أخيرا كانت كنسمة تداعب قلبي لتشعرني بمزيد من الحب والشوق له... فمن أين جاءتني كل هذه العقبات؟ لما علي دائما أن أفكر بوالديّ أو بتحذيرات لورا المخيفة؟ أَوَليس لقلبي قيمة في ذاتي؟ لكن إن رضخت له في الخوض في علاقة غرامية فربما يجهز على قلبي أكثر، ماذا لو كان على علاقة سرية برشا؟ ثمة حلقة تربط بينهما، علاقتهما ليست عادية، هو لا ينظر إليها كما يرى جولي، وهي اعترفت بلسانها بحبها له... ربما كانت لورا على حق وربما علي الاستسلام لنصيحة أمي بعد كل شيء.

عقب محاضراتي لهذا اليوم والتي لم أستفد منها بشيء بسبب ضياع ذهني في غايهب الحب والحسرة ومحاولة تجنب تعليقات زميلاتي ونصائحهن الثقيلة لي بالابتعاد عن الشبان لأنهم لن يجلبوا لي إلا المصائب، فبسبب موقف فراس الأسبوع الفائت صرت حديث الكلية، وقفت عند باب القاعة التي تدرس فيها سيلينا بانتظار تحرير أسرهم من الأستاذ المخلص جدا في الداخل! هيا يا رجل انتهى وقت المحاضرة فاعتق الطلبة من عذابك!

فتح باب القاعة بالتزامن مع صوت موسيقى مألوف جعلت قلبي يرتج في داخلي ثم ذاك الصوت الحنون يبدأ بالغناء:

I've kissed the moon a million times
Danced with angels in the sky
I've seen snowfall in the summertime
Felt the healing of the powers above

بدأت رجلاي مع الكلمات تجريان دون تحكم مني نحو النافذة في الممر لأتاكد إن كنت ما أسمعه حقيقة بينما الكلمات تتدفق بقوة، لألمح الساحة أمام الكلية تضج بأعداد هائلة من طلبة وموظفين محاطين بحراسة ليتركوا منتصف الساحة فارغة فقط له فصدمت حين ظننت أنني أرى أمامي شبح انريكي المغني الوحيد الذي يخطف إحساسي بصوته المذهل مع مكبر صوت موصول بأسلاك، يردد كلمات الأغنية.

لم أكن أعي أن سيلينا تقف إلى جانبي في تلك اللحظة لترى ما أراه، ثم ركضت متجهة نحو المخرج فلحقت بي بالإضافة إلى كل من كانوا في المكان ليروه بعيونهم حيث كانت صدمة للجميع. وقفت على بداية السلالم الخارجية فاجتمع الحراس ليمنعوا الجميع من الاقتراب عدا واحد فيهم تقدم ناحيتي وهتف لي وسط الأغنية قائلا: "اقتربي آنستي"

مد لي يده لأسير برفقته إلى منتصف الساحة حين لمحت فراس يظهر من خلف سطر من الحراس الذين كانوا يحوطون ظهر إنريكي في أثناء غنائه فوقف إلى جانبه وهو يحمل معه وردة حمراء ومكبر صوت وينظر نحوي مبتسما. ثم بدأ يردد معه:

You bring me up when I'm feeling down
You toutch me deep you toutch me right
You do the things I've never done
You make me wicked you make me wild
Cause baby you're my number one!

استمر إنريكي في الغناء بينما فراس يسير بخطوات بطيئة نحوي، وقلبي لا يتوقف عن الخفقان بشدة، ثم توقف أمامي مع مسافة خطوتين فقط، ثم باستخدام مكبر الصوت الذي كان معه هتف بأعلى صوته أثناء الكورس النهائي للأغنية وقال:

"راما عصام خالد هل تقبلين بي فراس عدنان شريف زوجا لك على سنة الله ورسوله؟"

فتحت فمي وعيني كالبلهاء وأسرعت بإمساك قلبي في صدري لأخفف الوطأة عليه قبل أن يذبحني من صدمتي التي شعرت بها قوية على مسامعي، لأظن أنني فقدت القدرة على السمع لثوان بينما تصلب جسدي مكانه غير قادرة على الحركة، ثم بدأ سمعي يعود لأسمع صوت أنفاسي الملتهبة أولا تناغما مع صوت إنريكي الذي شعرت به يأتي ثانيا من بعيد ثم يرتفع حتى طغى على كل الأصوات من حولي. ثم بدأت الدموع تنهمر من عينيّ هكذا دون تحكم، غطت دموعي مجال الرؤية علي، لمحت من خلال ضباب دموعي خياله وهو يسير نحوي حتى قضى على المسافة التي بيننا ومد لي بوردته الحمراء، ثم همس لي مع انتهاء الأغنية: "تأخرت عليك لأنني كنت أنتظر قدومه"

أشار برأسه نحو إنريكي خلفه حيث كان واقفا يبتسم لي مع تلويح يرميه لبعض الفتيات اللاتي أخذن يهتفن له ويلتقطن له الصور، ثم تابع: "طلبت منه أن أستأجره لهذه اللحظة لأنني أعلم كم أنت معجبة به، فوافق لعلاقته الوثيقة بإيان صديق صديقي.... انسي التفاصيل المهمشة الآن... أردت أن أثبت لك حبي بطريقة لم تشهدها فتاة قبلك قط... لأنك رقم واحد في حياة فراس الآن"

غطيت فمي مستسلمة لمزيد من الدموع، فهمس لي بنبرة محببة: "لماذا تبكين؟ ألم تعجبك مفاجأتي؟"

هززت برأسي نفيا، فابتسم بعينيه هامسا: "إذن ما ردك؟ أرجوك اقبلي... بّردي على قلبي"

التفتّ من حولي فكانت عيون الجميع علي ثم لمحت بين الحشد المجتمع وجهي رشا وجولي، الأولى عابسة والأخرى متحمسة كحال المعظم الذين كانوا ينتظرون إجابتي على أحر من الجمر، ابتلعت ريقي بصعوبة واستطعت سؤاله بصوت ضعيف هامسة: "ماذا عن رشا؟"

- "ماذا عنها؟"

أجبته متجنبة النظر إليه: "ألستما على علاقة؟ أعني بينكما رابط خاص...و ..."

ابتسم مع ضحكة خافتة ليداعب أذني بصوته الساحر، آه توقف عن رمي قلبي بالسهام!

ثم أجاب: "لا شيء بيني وبين رشا! أصلا إن خضت معها أي علاقة حب فسيكون ذلك مرضا نفسيا ومقززا... فهي أختي "

سقط فكي مذهولا، كيف يعني أخته وهي لها أم أخرى؟ أم أن ثمة حلقة مفرغة؟ رفع حاجبيه مضيفا ليشرح لي: "أمي حملت بكرم قبل أن أتم عامي الأول فأرضعتني أم رشا لذا صرنا إخوة بالرضاعة... لا أظن ارتباطي بها مقبولا على مستوى أخلاقي أو شرعي! أم أنني مخطئ؟"

تحول بكائي إلى ضحك وسط دموعي، فازدادت ابتسامته وتساءل من جديد: "قولي ما ردك؟ عذبتيني معك!"

أومأت برأسي مبتسمة فصرخ غير مصدق: "موافقة؟! أأنت موافقة؟"

أومأت برأسي من جديد لتركض نحوه جولي ليستقبلها بالأحضان عقب صراخها حين قالت: "لقد وافقت! مباااارك يا فرااس!"

ثم التفتت نحو الجمع المتفرج لتزيد من إحراجي وهي تهتف لهم: "أين التصفيق؟ أين الزغاريد؟" بدأت أصوات الهتاف تعلو من حولي. جمع من الطلبة كانوا مستمتعين وجمع

آخر استهجنوا الموقف بنظرات غير مريحة لكنني لم أعبأ بهم، فأنا الآن أعايش موقفا ربما لا يحصل إلا في الأفلام الرومانسية، وسعادتي في هذه اللحظة قد تقضي علي.

اقترب انريكي منا وهنأنا على ارتباطنا ومد لي يده مصافحا.. وقتها شعرت من فرط سعادتي بأن الدنيا تدور من حولي لأكاد أسقط مغشيا علي، أو أظن أنني سقطت فعلا، فأنا لا أذكر ما حصل بعد ذلك إلا شعوري بين ذراعي فراس وهو يناديني مرارا مع أصوات أخرى ميزت منها صوت سيلينا.

الفصل السابع والعشرون

سيلينا

اطمأننت على راما بعد إفاقتها من غيبوبتها إثر مصافحتها ليد مغنيها المفضل، من كان يعتقد يوما أن ترتبط بحب حياتها على أنغام نجمها المشهور بلحمه ودمه في يوم واحد؟راما تعيش الحلم ولو كنت مكانها لقدسته وحصنته من العيون الحاسدة أو الأنفس المؤذية.

أصررت على إيصالها إلى البيت بنفسي لأطمئن عليها، بالرغم من معارضة فراس للأمر وعرضه هو إيصالها، وحينها استسلم أخيرا لرغبتي ألح على أخذ رقم والدها وعنوان بيتها ليُتِمَّ طلبَه يدَها بشكل رسمي من ذويها، فزودته بنفسي بالمعلومات التي احتاجها لعدم قدرة المسكينة على إيقاف ارتعاش يديها من شدة حماسها.

اطمأننت إلى وصولها سالمة إلى باب الشقة ثم غادرت بعد رفضي الدخول وذلك للتحضر لاستقبال إيان، ثم طلبت منها إطلاعي على كل التفاصيل عقب مجيئه مع والديه.

هاتفتني لورا مهتاجة غاضبة من الفيديوهات التي التقطتها بعض الطالبات لمشهد تقدم فراس لراما، وعاتبتني لأنني لم أقم بإيقاف ما أسمته بالمهزلة، حاولت امتصاص غضبها وتذكيرها بجنون راما به فإذا تدخلَتْ في الأمر قد يصل بها الموضوع إلى خسارتها، ثم أنني حاولت إقناعها بتخطي الماضي ونسيانه والنظر إلى الحاضر وخصوصا بعد علمنا بقصة اكتئابه التي روتها راما لنا.... عليها أن تسامحه وتبدأ من جديد... الصفح... هل سأتمكن أنا أيضا من الصفح عن إيان بعد فعلته بي؟ هل سأقتلع تلك الغصة من قلبي؟

حينما وصلت إلى البيت تفاجأت بعودته، والمشكلة أنني لم أتجهز بعد لاستقباله نفسيا، كان يقف في الردهة يحمل بيده سترة بزته حين دخلت إلى البيت، فعرفت أنه عاد للتو. رآني قبل

أن يكمل طريقه نحو الداخل فالتفت إلي مبتسما واقترب مني، سألني عن الحال قائلا: "كيف حالك؟ أين كنت؟"

لم أجد صوتي للرد عليه فصمت قليلا ليتفحص تعابير وجهي ثم أضاف: "سامحيني لم أجد الوقت الكافي لأتواصل معك مجددا، على كل حال ها قد عدت، وأريد فعلا أن نتحدث، هلّا شاركتني طعام العشاء اليوم؟"

لم أجد نفسي يوما في موقف مشابه لموقفي هذا حتى أعرف كيف أتصرف؟ هل أسأله كيف كانت رحلته؟ أو إن كان متعبا؟ لكن يبدو أنني مهما حاولت النطق فإن شيئا يسحب لساني فأعجز عن الكلام. هو لم يضغط علي بالرد كأنه اعتبر سكوتي موافقة، وتركني واتجه نحو السلالم ليصعد إلى غرفته.

لماذا يحاول أن يتصرف كأن شيئا لم يحصل بيننا؟ هل تناسى أنه آذاني ونقض اتفاقنا؟ لقد سلبني شيئا عزيزا علي وها هو يتصرف كأن شيئا لم يحدث.

صعدت السلالم لأستحم وأرتدي شيئا مناسبا للعشاء، فأنا أعلم أنني لو رفضت سأجعل الموقف أكثر غرابة، ثم أنني بصراحة.... كنت جائعة لذا رخصت وقبلت بالانضمام إليه.

تفاجأت بأن العشاء في الطابق السفلي على المائدة العملاقة، فاتجهت إلى هناك بطلب من السيدة سوزان حتى وجدته جالسا على مقدمة الطاولة وحين رآني ابتسم ونهض واقفا، ثم اتجه إلى الكرسي المجاور له وسحبه لي لأجلس عليه، فسرت بينما أبتلع ريقي في ترقب.

استقررنا جالسين وحضرت الخادمات لتزيين الطاولة بالطعام والشراب، واختار اليوم أن نأكل صنفا بحريا مع بعض السلطات والعصير الطازج.

نظر إيان إلي مطولا قبل أن يهم بتناول طعامه، فلفت انتباهي، لأبادله النظر في عينيه ثم قطع التواصل البصري بيننا ممسكا بشكوته قائلا: "أنا آسف لم أقصد إزعاجك بالتحديق"

استمر العشاء بيننا بأجواء صمت ثقيلة، كنت فيها أبتلع الطعام بصعوبة بالرغم من طراوته ولذته، فجأة وضع الشوكة من يده وانحنى نحوي ممسكا ذقني بأصابعه ورسم قبلة صغيرة على شفاهي جعلت قلبي يضطرب بشدة، ثم مد يده الأخرى على فخذي من فوق بنطالي فشهقت مجفلة ثم همس لي ووجهه شبه ملاصق لوجهي: "هل أنت بخير؟ أما زلت حاقدة علي؟"

تسارعت أنفاسي المضطربة ووضعت يدي على كفه لأبعده عن فخذي لكنه تمسك به يوصل إلي رفضه بصمت ثم همس ثانية: "سأعوضك، أعدك، المرة القادمة سأكون أكثر تفهما"

أبعدت وجهي إلى الجهة الأخرى لأغطي ملامحي المحرجة عنه ثم همست مستنكرة: "المرة القادمة؟! من قال أن هناك مرة قادمة؟"

تركني واعتدل جالسا من جديد وأمسك شوكته ثانية وقبل أن يهم بوضع اللقمة في فمه أجاب: "مرة؟ نحن متزوجان، لن تكون مرة!"

ما خطب هذا الشاب؟ يتحدث بثقة عجيبة كأن ما فعله كان صحيحا! أيرى بعدا آخر لا أراه أنا؟ أما اتفقنا على العيش منفصلين؟ لا أذكر أننا غيرنا الاتفاق! حاولت جاهدة كبت إجابتي لئلا أزل بقول شيء ربما يسبب لي المشاكل لكن الكلمات أبت البقاء في جوفي فبصقتها في جملة مليئة بالألم: "متزوجان على ورق! لسنا ثنائيا حقيقيا! كان بيننا اتفاق ألا تلمسني! لقد عذبتني ونهشت حيائي، كيف تتوقع أن أسلمك نفسي مجددا؟"

وضع شوكته من جديد على الطاولة وشرد أمامه ثم أجابني بنبرة حادة: "لو لم تحاولي خيانتي لما حصل ما حصل"

صرخت به: "لم أفعل! "

أجاب بثقة: "لكنك حاولت... وإلا ماذا كنت تفعلين مع أوس في غرفة فارغة؟"
أجبته بينما أدلك جانب وجهي بارتباك: "كنت ثملة غير مدركة لما يحصل معي، كما أنه كان يحاول مساعدتي!"
قال كأنه لا يسمعني: "جزء فيك يرغب فيه صحيح؟ إذن أفهم من ذلك أن مشاعرك تجاهي ليست صادقة فالمحب لا يشتهي غير محبوبه"
ضربت الطاولة بكف يدي غضبا وأجبته: "غير صحيح! لم أرغب به أبدا، لم أكن أفكر بوعي وقتها... حاولت ... آه! أنت لا تحترمني ولا تحترم مشاعري! كنت أريد الانتقام منك ، لا تنسى أنك تركتني لأجل تلك الإسبانية الوقحة!"
فتح عينيه وفمه ثم قال: "لو أنك صبرت يا حمقاء لفهمت أنني لم أتركك لأجلها"
تنهد وهو يمسح على وجهه ثم قال: "أنا لا أنكر أنها جريئة، لطالما حاولت في الماضي استمالتي إليها لكنني كنت أمتنع عنها، العفة ليست مصطلحا خاصا بالنساء فقط.. ابتغيت الحلال فقط وحافظت على عهدي..."
ثم أضاف مع غصة: "لم تشعري أبدا بصعوبة حفاظي على الوعد بيننا، كنتِ حلالي ومحرم علي لمسك مع أنني رغبت فيك، ابتغيتك أكثر من مرة وفي كل مرة أمنع نفسي من الاقتراب منك فأنشغل بالعمل أو الدراسة.... لم تكن تجربتك الأولى وحدك، فقد كانت كذلك بالنسبة لي... "
احمرّ وجهي حينما بدأت ذكريات تلك الليلة تومض في مخيلتي، ثم تنهد قائلا: "على كل حال هي احترمت قراري وأصرت علي أن تحجز لي الجناح الملوكي في الفندق كهدية لزواجنا لذا سحبتني معها لتؤكد الحجز... لكنك بغبائك أضعت الحجز علينا والصفقة معها... ونجحت أيضا بإغاظتي، فشكرا لك"

شعرت بالغباء إثر كلامه فبدأ الندم يزحف إلى قلبي لكنني أبيت الانهزام، كان بإمكانه أن يشرح الأمر وقتها ببساطة بدل معاملتي كجارية له أو قطعة أثاث! فقلت: " سبب زواجنا كان مصلحة فقط وأنت لم تشأ أن ترتبط بي.. بل لم تكن تلمحني أصلا! فهل تريد إقناعي بأنك تشعر بالغيظ من فكرة أن أكون مع أوس؟ لقد أخطأت بحقي منذ بداية الأمسية فلا تقلب الطاولة علي! جرحتني.. لا فكرة لديك عن الذل الذي أذقتنيه! تبا لك ولها وللصفقة القذرة تلك!"

كان ينظر إلي بحدة وفكه مستريح على يده فشعرت بشيء من الرعب، عدل جلسته ليعيد ظهره على مسند الكرسي خلفه وقال: "ما دمنا في جلسة صراحة الآن إذن سأعترف... بالطبع شعرت بالغيظ! أنت زوجتي، وأغار عليك منه ومن غيره، هل تظنين أنني بلا قلب حتى لا أكن لك بعض المشاعر؟"

صمت لوهلة ليدرس ملامحي التي طغى عليها الإحراج من اعترافه، ثم أضاف: "أنت مخطئة... لقد لمحتك.... رأيتك مرة في قصري هنا في المضافة"

عقدت حاجبيّ وأنا أتأمله فأوضح أكثر: "برفقة راما ولورا إذا كنت تذكرين ذاك اليوم حينما جئتن بحثا عن سمير عندي... وقعت عيني عليك وأنت تتوسطين الجلسة وحدثتني نفسي وقتها ، واو ما ألذ هذه الفتاة! يا ليت راما لها ذات الملامح والمميزات لكانت بنظري الزوجة المثالية... هذا عندما كنت أسعى للارتباط بها وقتها... "

قبل أن أستطيع التفكير برد عقب قنبلته المدوية هذه زاد على كلامه قائلا: "طبعا لم يعجبني لباسك الطفولي آنذاك، ما قصتك مع الكنزات ذات الحجم الكبير؟"

حدجته بنظرة ساخطة فانحنى نحوي ثم قال: "بيت القصيد أنني أرى فيك شيئا أكثر من كونك زوجة مَصْلَحة، أحب وجهك الطفولي الجميل، وجسدك الضئيل الذي يختفي في أحضاني، أحب ابتسامتك المشرقة وحبك العجيب للشوكولاه"

كيف عرف أنني أحب الشوكولاه؟ هل كان يراقبني بينما ألتهمها بعشق؟ يا للإحراج! مد يده نحو خصلات شعري فأعاد انتباهي إليه ليضيف: "أحب خصلات شعرك الجميل الناعم... أحب ذاك الجزء الشرس داخلك والذي تكبحينه على الدوام... أحب فيك الكثير من الأشياء...خلاصة الأمر هي أنني أرغب فيك كامرأة... لكن لم أضع في الحسبان أن تتطور الأمور إلى ما آلت إليه."

احتضنت ذراعي بارتباك واضح، ثم أمسك بوجهي بيده ليديره ناحيته فكادت عيناه الأخاذتان تتسببان لي بذبحة صدرية، ثم قال: "أنت محقة، أنا المذنب منذ البداية، كان علي معاملتك بنضج أكثر، أقسم لك أنني نادم على إساءتي إليك، جاهدت على أن أمتنع عنك لكن الغيرة أعمتني.. حاولت أن أتوقف أقسم لك أنني حاولت، لكنني.... "

أفلتني مبتعدا وتنهد قائلا: "نحن الرجال عبارة عن كومة حماقة فيما يخص هذه الأمور، لا أصدق أنني رخصت تحت مسمى الزواج!"

عض شفته بحسرة ثم نظر نحوي مجددا وقال: "لنبدأ من جديد.. مارأيك؟ بدايتنا لم تكن موفقة وكان فيها الكثير من العثرات... لنبن معا مستقبلا أفضل"

ماذا تقصد؟ همس بها قلبي قبل أن تنطق بها شفتاي، نهض واقفا وأمسك بيدي ليسحبني معه، ثم قال: "لدي في الواقع مفاجأة لك"

وسار بي نحو الطابق العلوي، وقبل أن نصعد لمحت الخادمات الخمس ينزلن السلالم من فوق، ما الذي كنّ يفعلنه هناك؟ أليست تلك المنطقة من مسؤوليات السيدة سوزان؟

أكملنا طريقنا نحو غرفته فأثار تساؤلاتي، فتح الباب بينما أحاول التحكم بضربات قلبي وأحاول فهم ما يفكر به، ثم أنار الأضواء لأرى غرفة كبيرة جدا تنتهي بسرير عملاق بعيد عن الباب على جوانبه قطعتين من الكومودينو وعلى كليهما مصباحي طاولة جميلين وبجانب المصباح الذي على جهة اليمين من السرير كتابان مستريحان فوق بعضهما، ومقابل السرير في الزاوية البعيدة أريكة شبه مستديرة تقع تحت النافذة، ثم شهقت حين تخيلت أنني أرى أرجوحتي معلقة بجانب الأريكة وفي الزاوية القريبة وضعت مكتبتي الصغيرة وفيها كتبي! إنها كتبي أعرفها عن ظهر قلب. نظرت إليه غير مدركة بعد لما أراه، فسار بي حتى وصل باب الحمام وفتحه لأرى المنظر أمامي، كان الحمام عملاقا أقرب إلى منتجع، فيه حوض استحمام كبير بجانبه حامل وضع عليه مناشف كثيرة وأردية للحمام، ثم هناك لفت انتباهي مساحيق التجميل المرتبة على أطراف مغسلة رخامية عملاقة، وحتى أفهم الصورة أكثر لمحت فرشاتي أسنان معلقتين على الحائط مع كوبين على منتصف المغسلة، تنفست بصعوبة بينما تركته لأركض نحو غرفتي لأتأكد مما أظنه يعنيه، لأجد غرفتي فارغة من أغراضي ولا يوجد فيها إلا السرير والخزانة الفارغة.

نظرت إليه من مكاني في نهاية الممر بينما هو واقف عند باب غرفته، ترددت في السير نحوه وقلبي الغبي لا يتوقف عن الخفقان، ثم سار نحوي على مهل ووقف أمامي ثم قال:

"رؤيتك في أحضان أوس جعلتني أدرك أنني أريدك لي وحدي... دعينا نعيش كما يفترض بنا أن نعيش... ساعديني على الوقوع بحب سيلينا... "

ثم اقترب مني وختم قبلة على خدي قبل أن يسحبني نحو غرفته وكأنما أسير بتعويذة سحرية ألقاها علي فسرت معه طواعية.

في تلك الليلة وجدت نفسي جالسة على سريره أفكر في كلامه السابق مرارا وتكرارا كما حاولت أن أقنع قلبي بأن يتوقف عن هيجانه، بالنسبة له تركني ليحلق ذقنه ويستحم فبقيت وحدي جالسة هنا وقد طلب مني أخذ راحتي.

في بادئ الأمر أخذت أجوب في الغرفة جيئة وذهابا حتى قررت تغيير ملابسي قبل أن يخرج من الحمام ويراني، فأسرعت بالخروج من بنطالي الجينز وكنزتي الضيقة لأرتدي منامة دافئة مريحة وجدتها مرتبة على الأريكة في انتظاري، ثم جلست عليها مرتبكة، فحدثتني نفسي باستهجان، ماذا تفعلين هنا؟ اخرجي من الغرفة! لا شيء من هذا منطقيّ. استمعت للصوت الداخلي ومشيت نحو الباب في محاولة مني لأخرج من هذا الجو الذي يبعث في داخلي أحاسيس فوضوية.

خرج إيان من الحمام وهو يرتدي رداء خاصا بالاستحمام بينما يبحث عني بعينيه حتى وقع بصره علي، فابتسم ثم قال: "أين أنت ذاهبة؟"

توقفت مكاني كالغبية وعدت باتجاه المكتبة وأخرجت كتابا منها وتمتمت دون تفكير: "أردت أن أقرأ!"

نظر إلي متشككا ملتوي الفم ثم قال: "على كل حال كنت أفكر أن ألغي مواعيدي لنهاية الأسبوع حتى أدعوك على عشاء من صنع يدي"

رفعت حاجبا وزل لساني بسؤالي مستنكرة: "أتجيد الطهي؟"

جفف شعره بالمنشفة جيدا وهو يضحك بصوت مرتفع ثم قال: "جربيني ثم احكمي"

اتجه إلى خزانته العجيبة التي لم أرى مثلها قط، فعندما فتح بابها خرجت له علاقة مدورة فيها الكثير من القمصان، لكنه تخطى القمصان ليصل إلى الرف حيث يستريح بنطال رياضي. أغلق الخزانة ووضع يده على رباط الرداء ليخلعه، وعلى الفور دون تفكير فتحت

الكتاب ورفعته نحو وجهي لأغض بصري مع إغماض عينيّ، شعرت وقتها بأنني قد وُضعت في موقف لا أحسد عليه.

كنت أسمع صوت احتكاك بنطاله بجلده وهو يرتديه فازداد احمرار وجهي، ثم شعرت به يسحب الكتاب من يدي ففتحت عيني لأراه واقفا أمامي عاري الصدر مبعثر الشعر، فخلق في داخلي إحساسا غريبا لم أشعر به من قبل ليزداد قلبي اضطرابا، ثم قال: "لما كل هذا التوتر؟ ما بك؟"

مال نحوي ولم أدر إن كان وقتها يحاول تقبيلي أم لا فدفعته من صدره بسرعة لأخرج من الغرفة لكنه أمسك بي وسحبني لأعلق داخل أحضانه ثم همس في أذني: "لماذا تهربين؟ لن أؤذيك، أريدك فقط أن تسترخي، اتفقنا؟"

ضمني إليه وقبلني عند أذني لأقاوم أنينا هدد بفضحي، ثم أدارني ليصبح ظهري مواجها له ومدّ ذراعيه على كتفيّ ليحوطني من الخلف وأراح رأسه على مؤخرة رأسي، ثم قال:

"أتمنى أن يأتي يوم تصفحين فيه عني، فأنا لست قاسي القلب... حين وعدتك بألا يطأك ذل فأنا عند وعدي، وعندما تسمحين لي بالتقرب منك من جديد سأثبت لك وقتها صدق مشاعري"

حررني ثم اتجه نحو السرير قائلا: "لتخفيف جو الارتباك لهذه الليلة فسأعرض عليك النوم على السرير وحدك، أما أنا فسأنام على الأريكة، عدل صح؟"

ترددت في البداية لقبول عرضه ثم أخيرا واتتني الشجاعة فصعدت على السرير لأستلقي على جنبي موارية ظهري له، كنت متعبة وأردت أن أريح رأسي من كل الأكشن الذي عشته اليوم. فجأة شعرت بثقل على السرير بجانبي وقبل أن أستدير ثبتني بيده وشعرت

بأنفاسه تلفح رقبتي من الخلف وهو يهمس: "لن أؤذيك، اهدئي.. أرغب في النوم إلى جانبك فقط"

وهكذا وجدت نفسي محاصرة تحت ذراعه وأنفاسه تداعب بشرة رقبتي حتى غطى في غفوته، أما أنا فلم أجد للنوم سبيلا.

راما

من باب الغرفة وحتى السرير رجوعا إلى الباب وعودة إلى السرير، هذا كل ما كنت أقوم به لمدة ساعة متواصلة، هل تتساءلون عن الخطب الذي اجتاح عقلي؟ كنت أتصارع مع ذاتي فيما إذا كان علي إخبار أمي عن فراس أو لا، كانت سارة تراقبني باستهجان وفي يدها قلم التلوين، ثم أخيرا صرخت بي: "ما مشكلتك؟! سببت لي الدوار! فبسببك قمت بتلوين شعر إلسا باللون البنيّ!"

نظرت إليها غير مكترثة وقلت: "اعتبريها صبغت شعرها"

فصرخت بشكل متواصل:" إنها ملكة الثلج كيف يكون شعرها بنيا؟! يجب أن يكون باللون الأشقر الثلجي!"

أخذت تعيد ذات العبارات مرارا وتكرارا حتى دخلت أمي غاضبة وعلى وجهها وجوم لتسألني مندفعة عما فعلته بالبنت، لماذا تفترض دائما بي الأسوأ؟ فشرحت لها الأمر مدافعة عن نفسي لتقول: "فعلت ذلك متعمدة لأنك لئيمة عليها، يا رب متى سوف تنضجين وتعاملي أختك الصغرى كما تفعل الفتيات العاقلات من سنك! إذا مت مجلوطة فستكونين أنت السبب!"

يا إلهي! كمية الظلم التي أحظى بها كوني الأخت الكبرى يجعلني أرغب في الهرب إلى الصين! عادت أدراجها نحو عملها في المطبخ وهي تكمل موشح توبيخي وعدم استفادتها مني إلا في المشاكل، وبدأت بذم حياتها وخياراتها السيئة التي أوصلتها إلى هذا الحال.

أخذت كل ذلك كإشارة حتى أتراجع عن إخبارها عن موضوع فراس، وقد وجدت إجابة لترددي. ثم عدت إلى سريري وأوصلت السماعات في أذني لأمنع صوتها من الوصول إلى مسامعي حتى لا تفسد مزاجي وتفسد علي فرحتي بأجمل يوم لي، وعمدت إلى سماع أغنية انريكي التي غناها اليوم لأستذكر لحظة طلب فراس يدي وأعيش في ذاك العالم كالحالمة.

عاد أبي من العمل مبكرا على غير عادته ثم هتف باسمي مجلجلا بصوته أساسات البيت، فقفزت عن السرير بسرعة خاطفة؛ لأنني إذا لم أستمع لأمره من أول مرة فربما يكسر البيت فوق رأسي، نعم فهو رجل عصبي هل تذكرون ذلك؟

كنت أمامه بعد ثانية من هتافه لي وهو جالس على الأرائك في المعيشة، أطلت عليه أمي من غرفتها وهي تحمل وسيم وتهدئه إثر بكائه من صوت والدي المدوي، فأخذت تسأله عن الخطب بعصبية، فقال بنبرة أكثر هدوءا لكن فيها شيء من الحدة: "لم أهتف لك، ناديت ابنتك"

قوية منك يا عصام! أحرزت هدفا في مرمى الخصم، اقتربت مستاءة وقررت الجلوس لتشارك الأمر المهم الذي هتف لي من أجله، فقال بملامح منزعجة وهو يشير نحو وسيم: "ستجلسين عندي مع صراخه؟ أسكتيه أولا أو اختفي من أمامي"

أعرف أمي جيدا فهي لا تحب الخوض معه في معارك لفظية لأنها لا تربح أبدا، فنهضت منزعجة لتقوم بهز وسيم في مكان آخر، ثم نظر نحوي وأشار إلي بالجلوس إلى جانبه على

الأريكة ففعلت، نظر إلي بشكل جدي ثم قال: "اتصل بي رجل اليوم وطلب مني موعدا الليلة مع عائلته من أجل أن يروك"

واو! فراس سريع!

ضيّق عينيه الخضراوين وهو ينظر إلي وأضاف: "هل تعرفين من تكون هذه العائلة؟ إنه ذاته الرجل الذي تحمّل تكاليف المشفى عنا... هل لديك فكرة من أين أحضر رقمي؟"

فتحت فمي وأغلقته مرتين لأبحث عن إجابة سريعة غيرفاضحة حتى لا أثير غضبه علي فقلت: "ربما من خطيب لورا؟ أظن أنه صديق ابنه، كأن لورا ذكرت شيئا أمامي هكذا منذ فترة لكنني لم أهتم بالاطلاع على التفاصيل"

أبقى عينيه علي كأنه يتأكد من براءتي من الأمر كله فزاد من ذعري، لكنني حاولت تصنع الثبات ثم قال: "سوف يأتون الليلة، لذا أخذت مغادرة من العمل لأنه أصر بشكل مريب على الحضور اليوم، قومي وتجهزي وأخبري أمك أن تتجهز لاستقبال خطابة لك"

كان لأمي أسئلة واستفسارات عديدة عن طبيعة الأشخاص القادمين إلينا لكن أبي تركها في حيرتها ولم يزودها بالتفاصيل، فحاولت أن تستشف الموضوع مني لكنني أبيت إطلاعها بقولي أن أبي لم يزودني بالتفاصيل... لن أقول لك شيئا وقفت في صف سارة المزعجة ونصرتيها علي كالعادة مع أنني لم أخطئ في حقها، سأجعلك تتحدثين مع نفسك عندما تصدمين بهوية الشاب الذي سيأتي طالبا يد ابنتك للزواج.

تأكدت أن غرفة الضيوف لا تحوي أيا من ألعاب سارة وجهزت فيها المدفئة التي نضعها في غرفة المعيشة، فنحن لا نملك تدفئة مركزية، وتركت بابها شبه مفتوح في انتظار قدوم ضيوفي، ومع كل دقيقة تقترب من الساعة الثامنة يخفق قلبي أكثر ويتصبب جبيني عرقا بالرغم من برودة الصالة، وأعتقد أن أمي لاحظت خطبا بي فقد كانت تنظر نحوي بشك.

وأخيرا قرع الجرس، فنهض أبي مسرعا نحو الباب ليفتحه بينما اختبأت في المطبخ وأنا أسترق السمع من خلف العتبة المفتوحة على الصالة لأسمع أصواتهم، سمعت بعض الترحيب وصوت أبي وهو يرشدهم إلى غرفة الضيوف.

أسرعت في تجهيز كؤوس لأسكب العصير، ثم انتظرت دقيقتين قبل أن آخذ نفسا عميقا لأتحكم بأعصابي التالفة وأحمل الصينية باتجاه الغرفة. حينما دخلت كان أول ما رأيت وجه أمي المحتبس بالدماء، بأعصاب مشدودة وهي تتفحص فراس الذي كان يجلس بجوار والده في صدر المجلس، حيث كان يرتدي بزة غامقة اللون تحتها قميص من اللون ذاته مفتوح حتى بداية الصدر ولم يكن يرتدي ربطة عنق، بدا لي مشاكسا لكن أنيقا، رهف له قلبي وشعرت بالدم يغلي في جسدي، تجاهلت نظراته المتلهفة نحوي ثم سرت نحو الداخل لأقدم لهم العصير، أخذ وقته وهو يرفع الكأس من الصينية ليمتع ناظريه بي وأنا متأكدة يقينا أنه أثار انتباه أمي.

انتهيت بالجلوس على مقعد وحدي أتنفس بصعوبة وأحاول التظاهر بأنني بخير بينما أتجاهل نظرات والده المتفحصة، سأل والدي عن مصدر معلوماتهم عنا فأجابه والده وقد حول نظراته نحو أبي بعيدا عني: "لقد حصلنا عليها من عائلة السيد هودج"

نظر أبي نحو أمي مستنكرا ثم التفت نحو الرجل من جديد متسائلا: "من؟"

فدخلت الخط بسرعة قائلة: "إنه زوج سيلينا يا أبي... لقد جئت معي إلى زفافها هل تذكره؟"

رفع أبي حاجبيه وقد تذكره أخيرا قائلا: "أجل! الأجنبي الأشقر! يبدو أن علاقتك به طيبة"

أومأ السيد عدنان برأسه موافقا وهو يمدح إيان وأخلاقه المهنية، وبعد دقائق من الحديث عن إيان وزفافه المذهل الذي كلفه ملايين، تدخلت أمه في الحديث بقولها: "لقد سعدت برؤية ابنتكم في حفل الزفاف، أهنئكما عليها فهي لطيفة وسهلة المعشر"

قطبت أمي حاجبيها مع ابتسامة نكرة ثم تساءلت: "من أين تعرفين عنها ذلك؟"

لكز فراس أمه من رجلها، ودعوت ألا يكون أحد قد لمح ذلك غيري، فتغيرت نبرتها وهي تقول محرجة: "رأيتها عدة مرات في بيت لورا وأعجبت بها كثيرا"

ثم نظرت إلي مبتسمة بحزن فذكرتني بابنها كرم، هي تحبني لأنني أشبهه، كم أشعر بالشفقة عليها فأن تخسر ابنا لك يعد جرحا لا يبرأ.

أخيرا بعد انتظار فتح والده الحديث في طلب يدي للزواج متحدثا عن رغبتهم في الحصول على موافقتي وأن ابنه يريد هذا الارتباط، فصدم والدي لوهلة وقال: "ظننت أنكم تريدون رؤيتها فقط اليوم"

فتولى فراس الإجابة قائلا: "لا يا سيدي، أنا رأيتها عدة مرات في الجامعة وأعجبت بها وحضرت اليوم لأنني أريد ابنتك زوجة لي على سنة الله رسوله، ولا ننتظر إلا موافقتكم"

نظر والداي نحوي ثم قالت أمي: "سنطلعكم على قرارنا هذين اليومين"

فتحت والدة فراس عينيها مصدومة وقالت: "لما يومين؟ اسألا البنت الآن ربما هي موافقة!"

هتف زوجها هامسا باسمها ليسكتها قائلا: "ميار!"

لكنها تجاهلت الجميع ونظرت إلي بوجه مشرق كلما وقعت عيناها علي: "هل توافقين يا ابنتي على الارتباط بابني؟ سأحرص على جعلك تعيشين في جنة الأرض، لكن وافقي أرجوك"

كان فراس ينظر إلى والدته متوترا كأنه يرغب في إسكاتها وترك المجال لوالدي بالحديث، ظهر الإحراج سريعا على وجه أمي ثم استأذنت لتتحدث معي في المطبخ على انفراد وسبقتني هناك.

حاصرتني عند باب الثلاجة وهي تهمس بسخط: "إحساسي ينبؤني أن وراء كلام الشاب شيئا أعظم من رؤيته لك مصادفة في الجامعة، ألم تشرحي لي قبل يومين أنه يحب أخرى؟ أعتقد أنني بحاجة إلى تبرير مقنع!"

أجبتها هامسة بدوري مستبسلة بالدفاع عن نفسي: "وهل ترينني أقرأ القلوب؟! كان ذلك كلام لورا الغبية، لأنها أوضحت لي فيها بعد أن تلك الفتاة أخته في الرضاعة"

- "ماذا؟ أتتوقعين مني تصديق تخاريف كهذه؟ كنت تعلمين بقدومهم اليوم صح؟"

ازدرمت ريقي بخوف بائن، ولله الحمد جاء أبي مقاطعا ليسأل عن الخطب ثم قال: "اتركي البنت تقرر بنفسها! لماذا تحاصرينها هكذا؟ راما؟ ما ردك على عرضهم؟ هل لديك إجابة الآن أم تريدين التفكير بالأمر؟"

وجهت نظري نحو أمي التي كانت ترمقني بنظرة مهددة، لكن يا أمي أنا آسفة فهذا فراس الذي نتحدث عنه وكل ثانية أضيعها من عمري في إبعاده لا تصب في صالح صحتي العقلية والنفسية فأجبت أبي ونظري معلق بأمي: "أنا موافقة يا أبي"

زم شفتيه وهو ينظر في الهواء متعجبا: "كان هذا سريعا! ألا تريدين السؤال عنه؟"

أجبته وعيني ما زلتا تحدقان بوجه أمي المغدور قائلة: "إنه صديق سمير يا أبي وسمير لا يصادق شابا مشبوها"

وقف حائرا لدقيقتين ثم عاد نحو المجلس ليوصل موافقتي إليهم، فسرت بعده تاركة أمي وحدها في المطبخ.

بعد تبادل التهنئات جلس والده للتحدث في أمور المهر وما هم مستعدون لتقديمه، فلم يجبن والدي حينما طلب مهرا مرتفع التكاليف كما يفعل مع كل من يتقدم لطلب يدي، لأنني من وجهة نظره أستحق دائما الأفضل، فهو دائما يقول لأمي حينما تجادله لتخفيف طلبات المهر عن من يتقدمون عادة لطلب يدي بقوله أنني لقطة ولست فتاة عادية بجمالي الأخاذ وأخلاقي الطيبة، عدا عن كوني جامعية وكان ينهي النقاش بقوله، من أراد العسل عليه أن يحتمل قرص النحل.

صحيح أن أمي شاركت بالتهنئة لكن ملامح عدم الارتياح كانت بادية عليها، ولم تتدخل بطلبات والدي المكلفة، ثم تفاجأَتْ حين أبدى والده تقبله لكل الطلبات واستعداده التام لدفع أي مهر نطلبه مع ما يلحقه من طلبات أخرى، لكن كان له شرط من كل ذلك وهو أن أعيش في بيت العائلة كون فراس الآن وحيدهم بعد سفر أخته وتعلقهما الشديد به، فلم يبد أبي أي اعتراض حينما تأكد من قبولي للأمر بصدر رحب.

دخلوا في أحاديثهم عن التجهيزات والتكاليف وسمحت لنفسي بالتمتع بمظهر فراس الوسيم وطلته الأخاذة، ثم قبض علي بالجرم المشهود وأنا اتفحصه فرماني بغمزة ليحمر وجهي سريعا وللأسف رأت أمي الموقف لتزيد من شعوري بالخجل.

حينما غادر فراس مع عائلته بعد أن اتفقوا مع أبي على شراء الخواتم غدا حاصرتني أمي في غرفتي لتستجوبني، وقد شكت بشيء بيني وبين فراس وقالت: "نظراته إليك توحي لي بأنه يعرفك منذ فترة، هل أنت على علاقة به؟"

أجبتها متعبة من حرصها الزائد: "أرجوك أمي كفى! ألا يرضيك أنه تقدم لطلب يدي؟! انسي الماضي ولنعش الحاضر بأخباره الحلوة! ابنتك أخيرا تمت خطبتها، وليس لأي شاب بل الأعزب الذي سحر نصف بنات الجامعة واختارني أنا دونا عن الكل!"

تنهدت بنفس مضطرب وقالت: "إني لأخشى عليك من تحطيم قلبك ليس إلا"
مسحت على وجهها وهمست لها: "لا تقلقي! ليست كل التجارب واحدة!"
عنيت بذلك تجربتها هي في الحياة فصمتت صمتا طويلا أعقبته باحتضاني بقوة وهي تقبل رأسي دامعة العين وتدعو لي بالتوفيق.
حررت نفسي من حضنها وطلبت إليها أن أهبط إلى بيت ميساء لأغيظها، تنهدت وهي تشزرني بنظرة معاتبة لكنني لم ألق لها بالا وأسرعت بالخروج قبل أخذ موافقتها.

لورا

غيرت راما حالتها الاجتماعية على الفيس بوك إلى مخطوبة بعد أن رأيت اسم فراس مدرجا بين قائمة أصدقائها، فثار جنوني، هل فعلها فعلا وتقدم لطلب يدها؟ ذاك الحقير! أسرعت في الاتجاه إلى قائمة الاتصال لأهاتفها وأبصق عليها من خلال المكالمة لكن كلام سيلينا عصر اليوم عن الصفح عنه طاردني، فأنزلت الهاتف من يدي وأنا أفكر، إلى متى سأبقى غاضبة على فراس؟ ألا يعني حزنه واكتئابه على أخيه بأنه نادم؟ ربما هو يفكر بالتغير ليصبح شابا أفضل، ربما كان من الأجدر بي أن أتركهما يعيشان قصة حبهما بلا تدمير مني.
حينما وصلت إلى هذه القناعة أصدر هاتفي رنين اتصال فأجفلت، لأرى اسم نرجس على الشاشة، استقبلت المكالمة وقبل أن أهم بإلقاء التحية سمعت صوتا مألوفا من الجهة المقابلة يردد: "لا، أبدا، لا تقولا شيئا أمامه! سمير لم يكن يعرفني آنذاك... كنت أقضي جل وقتي مع كرم بعيدا عن فراس وأصدقائه، لا أدري متى وقعت عينه علي لكنه عندما تقدم لخطبتي في الثانوية قال لي أنه وقع بحبي منذ النظرة الأولى وتردد كثيرا قبل عرض نفسه على أبي لعلم الجميع بمكانتي كوحيدة العائلة، أرجوكما لا تقولا شيئا أمامه، فهو يظن أنه الحب الأول في قلبي"

شحب لوني شحوب الأموات وقد أدركت بأنني أسمع تسجيلا صوتيا لحديثي السابق مع راما وسيلينا عن قصتي مع كرم. وقتها شعرت بالدنيا تدور من حولي كأنني على وشك التقيؤ لا محالة.

الفصل الثامن والعشرون

راما

"آه راما! وماذا تستفيدين من إغاظة ميساء بموضوع كهذا؟"

دعكت عينيها في تعب وهي تتحدث معي فأجبتها مستنكرة: "موضوع كهذا؟"

زفرت أنفاسا متعبة وقالت: "أنت لا تفهمين بيت القصيد، لطالما حلمتِ بالارتباط بشاب أحلامك! أعني ينبغي أن تحتفلي بذلك! لا بانتصارك على ميساء!"

شبكت أصابع يدي كالحالمة وتابعت كأنني لم أسمعها: "سأتزوج من فراس! من كان ليصدق هذا؟ قبل شهرين كنت قد فقدت الأمل بنظرة منه والآن نحن سنتزوج! كم أنا سعيدة"

مررت أصابعها في خصلات شعرها وزفرت: "أخفضي صوتك قليلا فرأسي يؤلمني!"

وجهت إليها نظرة متفحصة ثم سألتها: "ما بك أنت على كل حال؟ هل من جديد بينك وبين إيان؟"

التفتت نحو حارسها المزروع في أرضه قريبا منا، ثم أشارت برأسها نحو هاتفي قائلة: "أرسلت إليك رسائل في الأمس ألم تتفقديها؟"

- "لا آسفة لقد نمت مبكرة من فرط حماستي ليأتي اليوم، فنحن سنبتاع الخواتم!"

أخرجت الهاتف من حقيبتي مع وجه سخيف وابتسامة غبية، ثم فتحت تطبيق الرسائل لأصدم بالعدد الهائل من الرسائل التي أرسلتها لي، وكلها قامت بإرسالها بعد منتصف الليل فنظرت إليها قبل أن أشرع بالقراءة لأسألها: "ألم تنامي الليلة؟"

أومأت برأسها نفيا فأدركت سبب تعكر صفوها وعدم قفزها بمرح معي، ثم شرعت بقراءة الرسائل واحدة تلو الأخرى ومع كل سطر أقرؤه أشهق وأضرب صدري وألقي لها

نظرة مصعوقة، بينما تشير لي هي بيدها أن أكمل حتى النهاية، لم أتوقع أن يفكر إيان بتحسين علاقته بها فسألتها بصوت خافت: "هل تعتقدين أنه أخرج فكرة الطلاق من رأسه؟"

زمت شفتيها ورفعت كتفيها بعدم معرفتها ثم قالت: "صحيح أنه صريح ولا يخفي رغباته أو آراءه لكنني اكتشفت فيه جزءا كتوما، إنه لا يفصح عن كل شيء... لا أدري كيف أصنع بعد الآن في حياتي، لم أنم ليلة كاملة من شدة التوتر وأخشى أن يحاربني النوم كل يوم، لا أظن أن دماغي يستوعب الفكرة بعد"

أجفلنا على مجيء لورا المفاجئ ومباغتتها في الجلوس إلى جوارنا ثم استقبالها لي بالأحضان مهنئة لي ثم عودتها للجلوس مجددا وقد بدا عليها التوتر كأنها شربت ثلاثة أقداح من القهوة قبل مجيئها، نظرت إليها جيدا ثم قلت: "لورا وضعت الماسكرا في عين واحدة فقط"

لطمت فاها بحركة درامية بشكل مبالغ، ثم أخرجت من حقيبتها مرآة صغيرة وماسكرا وبيد مرتجفة همت بوضعها على رموشها، فقبضت على يدها بسرعة وسمحت لنفسي بوضعها بيدي بينما أردد مع نفخة: "يا للهول! ما بك أنت أيضا؟ ألم تنامي أنت الأخرى هذه الليلة؟"

أجابت بسرعة وهي توضب حقيبتها من جديد وتخرج هاتفها من داخلها: "كلا لم أنم! وبالمناسبة سيلينا قرأت رسائلك! واو أبدعت واستمري في استمالته، لا تدرين بين ليلة وضحاها سترين نفسك حاملا بطفله!"

فتحت كلتانا فمها باستهجان والتفتنا نحو الحارس بنظرات محرجة ويبدو أنه ضاق ذرعا بحديثنا هذا، لأننا لمحنا تفاحة آدم تتحرك في جوفه كأنه يبتلع ريقه بضيق وفكه مشدود بقوة، لم نحتج لرؤية عينيه لنفهم كمية الضيق والإحراج الذي يشعر به.

ثم نظرنا نحوها بعتاب فأخذت تنبش في حقيبتها متجاهلة النظر إلينا ثم نظرت نحونا وقالت وهي تمد لنا بالمال قائلة: "اليوم دوري في شراء القهوة اذهبا وهاتيا شيئا مليئا بالكافيين، وأحضرا لي كرواسان "

أجبتها مستنكرة: "انهضي بنفسك! لا نعمل تحت إمرتك!"

نظرت نحوي بعينين متعبتين وقالت: "رجاء! أنا متعبة، هيا لماذا يوجد الأصدقاء إن لم نستطع الميل عليهم!"

قررت سيلينا اختصار المجادلة وسحبتني من يدي لنمتثل لطلب لورا، هذه الفتاة المسكينة تختلف عني فهي ترفع الراية البيضاء بسرعة!

حينما نهضنا باتجاه قسم المشروبات استعد الحارس للحاق بنا لكنني تفاجأت بلورا تتمسك بقوة بكم سترته لتوقفه قائلة: :"ها هي هنا لن تختفي عن بصرك! لا تبالغ في عملك، هدئ من أعصابك يا رجل!"

لورا

انتظرت منهما أن تبتعدا مسافة آمنة لأستطيع استجواب حارس سيلينا أخيرا فقلت: "هل أنت متزوج؟"

لكنه لم يجبني، يا للبرود! ثم قلت: "اسمع كنت أحاول أن أكون ودودة معك فحاولت إجراء محادثة"

أيضا لم يستجب فجمعت أنفاسي وأخرجتها في نفس واحد بقولي: "اسمعني أرجوك لدي سؤال مهم لأطرحه عليك، هل تذكر ذاك اليوم الذي أحضرت سيلينا فيه إلى بيتي عقب دخول جارنا المشفى؟ ثم جلسنا في غرفتي وبقيت أنت في الصالة؟ هل تذكر اقتحام أحد للبيت في ذاك اليوم؟"

وجه أنظاره نحوي كأن الموضوع أخيرا استرعى انتباهه، ثم أجابني بصوته العميق الذي أسمعه لأول مرة منذ عينه إيان حارسا شخصيا لسيلينا: "في الواقع أتذكر أنني لمحت فتاة صهباء كانت تبحث عن والدك، ثم كأنني لمحتها تصعد الدور العلوي، لكنني لم أرها تغادر.... ما الأمر؟ هل تشكل تهديدا للسيدة سيلينا؟"

أجبته بينما أعض على خدي بغيظ: "اهدأ يا باتمان! سيدتك في مأمن منها، لكن أنا وقعت ضحية مكرها!"

....

في الليلة السابقة حينما استقبلت مكالمة نرجس المفاجئة، كان سماع التسجيل الصوتي لكلامي آخر ما توقعت سماعه على الإطلاق، وقتها صرخت باسمها لكنها لم تستجب، فأنهيت المكالمة لأتصل بها من جديد، وحينما استقبلت المكالمة وتأكدت من سماع صوتها صرخت بها محتدة بشأن ما جعلتني أسمعه، فقالت: "أنا آسفة يا لورا لم أشأ فعل هذا بك، لكنني تلقيت تهديدا اليوم من رقم مجهول برسالة نصية مفادها أن أعرض عليك المقطع الصوتي أو يتم فضح أسراري أمام والديّ لم يكن لدي حل آخر!"

حاولت الحفاظ على ثبات أنفاسي وأنا أتساءل شبه مختنقة: "ألا علم لك بمن أرسل إليك هذا المقطع؟ هل أرسل إليك مقطعا آخر؟ ألم يقل لك ما يريد؟"

كانت إجابتها النفي لأصبح أسيرة للرعب الذي يتملكني وبسببه لم أنم ليلتي أبدا.

كان هذا الكوب الذي أرسلت راما لشرائه رابع كوب لي منذ قررت المجيء إلى الجامعة وحتى الآن، وما زلت أشعر بالإرهاق، بل أنّ ارتعاش يديّ زادت حدته، مما سبب استياء راما وخطفت الكوب مني لتمنعني عنه، دخلت مع سيلينا في أحاديث عن شرائها للخواتم ودعوة ذويها لفراس على العشاء نهاية الأسبوع وتفاصيل لم أتمكن من متابعتها بسبب الإعصار الذي يعصف في رأسي، فأفقدني القدرة على التركيز. صراحة لا أعرف كيف وصلت إلى الجامعة دون حوادث أثناء قيادتي للسيارة.

انفصلنا من أجل محاضراتنا لكنني لم أستطع إخراج كلام حارس سيلينا من رأسي عن رؤيته لفتاة صهباء تدخل بيتنا ذاك اليوم، لا بد أنها هي، إنها رنيم بغير منازع! هي من قامت بتسجيل حديثي مع صديقاتي والآن تريد ابتزازي به! يا لها من مقرفة! لذا وجدت نفسي أرسل إليها برسالة تهديد قبل ولوجي القاعة فكتبت لها: "مهما كان الذي تضمرينه فقد علمت بلعبتك القذرة، فأنصحك بالتوقف حالا!"

لم أفاجأ حين وجدت منها ردا بعد المحاضرة، لكنني تفاجأت بما كتبت، بضع عبارات، كانت إشارة لانطلاقة شيء عظيم أنا لست ندا له فكتبت: "ألغي زفاف صديقتك الشقراء بفراس وإلا سمع خطيبك الحبيب كل كلامك عن حب حياتك السابق"

وضعت الهاتف على أذني لأحاول الاتصال بها لكنها لم تستجب، من أين ظهرت لي هذه الشيطان؟ بئسا لها ولما تنوي فعله بي! ما العمل الآن وكيف أتصرف؟

وردتني مكالمة من نرجس بينما كنت في أشد حالات اختناقي، ويا ليتني لم أستجب لمكالمتها لأنني عقب المكالمة ازداد شعوري بالاختناق حتى ظننت أنني سأفقد الوعي، فماذا حصل؟ حينما استقبلت المكالمة بادرت هي بالقول: "لقد تم إرسال رسالة جديدة لي، تأمرني بالجلوس مع فراس في الكافتيريا و...."

"وماذا؟" صرخت بها بنفاد صبر لتكمل: "وأنت عليك أن تقومي بتصوير المشهد وإلا عُرضت صوري في احتفال الأسبوع الماضي على والديّ، إنهما لا يعرفان بخروجي إلى حفلات غنائية مشبوهة! أرجوك يا لورا تصرفي!"

ما الذي تسعى إليه رنيم هذه؟ أنهيت المكالمة معها وأسرعت بالاتصال بتلك المشعوذة وبعد عدة محاولات فاشلة استقبلت المكالمة أخيرا بصوتها المستفز وهي تطرح ترحيبا بنبرة مستفزة، فصرخت بها دون الاكتراث لكل من يمر من أمامي: "ما مشكلتك أيتها الشريرة؟ ماذا تريدين مني؟ إن كنت تظنين أنني سأطيعك في مرادك فأنت بالتأكيد واهمة!"

أجابتني بهدوء مستفز: "إذن أنت لا فرق لديك إن سمع سمير التسجيلات الصوتية؟ وربما ينهي علاقته بك لأنك كاذبة، وسيحتاج المسكين حضنا يؤوي جرح قلبه! وقتها سأعرض له ذراعي لأستقبله بالأحضان"

أردت شتمها بأنواع لاذعة من السباب لكنني خشيت تدنيس حرم الجامعة فأمسكت لساني، ثم قالت بعد وهلة: "لديك من الوقت لتنفذي ما أمرت به صديقتك الغبية حتى الساعة الواحدة ظهرا وإلا كشفت كل شيء على مسامع حبيب الفؤاد والروح!"

ثم أنهت المكالمة بلا أي نوع من الاحترام، وتركتني ممغوصة القلب بذهن مشوش ولست أدري ما علي فعله بحق!

اتصلت بنرجس فورا وأنا أطير نحو كافتيريا كلية الهندسة فاستقبلت المكالمة فورا، أسرعت بسؤالها عن مكانها فقاطعتني قائلة: "أنا آسفة يا لورا، جاءتني رسالة أخرى، لا أعرف ما قد يستفيد صاحبها من هذا الطلب لكن سأجلس برفقة فراس وأحاول استمالته، لأنني إذا

لم أفعل ستصل صوري إلى والدي، وإن لم تلتقطي أنت الصورة بنفسك فسأضطر لإجبار شخص آخر"

ركضت أسرع حتى وصلت بعد نصف ساعة تقريبا، تبا يا لها من كلية بعيدة! أخذت ألتقط أنفاسي بينما وقفت في الخارج أنظر من خلال الباب الزجاجي آملة في أن تعدل نرجس عن قرارها، وقتها خاب ظني فقد رأيتها بالفعل جالسة على كرسي مقابل لفراس، وما هي إلا لحظات حتى وصلتني رسالة جديدة تأمرني بالتقاط الصورة حالا، كيف تراني هذه الوضيعة؟ هل هي في هذا المكان تراقب تحركاتي؟ ماذا عليّ أن أفعل الآن؟ علا صدري وهبط بأنفاس مشوشة بينما أنا حائرة من أمري، حينها وصلتني رسالة أخرى تقول: "أثبتي لصديقتك أنه ليس أهلا لها، فلو كان يشعر بالقليل من الاحترام تجاهها ما كان ليجالس فتاة أخرى هكذا وسط العلن، هل هذا هو الزوج الذي تحلمين به لها؟ أنت تعرفين أنها تستحق أفضل"

أقسم أنني سأجنّ، هل هي مختبئة عني في مكان ما؟ أم ربما زرعت كاميرات مراقبة حول المكان؟ لكن بعيدا عن كل هذا فإنني أكره أن أقر بأن كلامها صحيح! فراس لا يستحق راما، وفوق ذلك ها هو يسمح لنفسه بالعبث مع أخرى على مرأى من الكل دون خجل من تصرفه الأرعن، وسواء هددتني تلك الساقطة أم لم تهددني فإني أعلم أنني سأستمع إليها فقط من أجل مصلحة راما، لذا رفعت هاتفي عاليا والتقطت صورة مقربة لهما من زاوية تظهر فيها الرؤية واضحة.

....

نظر فراس إلى ساعته بملل ثم قال: "أرجوك يا نرجس دعيني أذهب لدي مكان مهم علي الذهاب إليه الآن"

فأجابته محتدة: "لكنني لم أنته من الشكوى إليك بعد! "

تشدق غير مكترث: "وأنا ماذا أصنع لك؟ هل أقطع رأس عماد حتى لا يختلس ما تسمينه بنظرات غير لائقة؟ إن كنت تشعرين بالانزعاج منه فقط تستري! لست مضطرة للسير وسط الجامعة بقطع قماش بالكاد يغطي مفاتنك! ماذا تركت قماشا للصيف؟! والآن اعذريني علي الذهاب!"

شهقت بغضب وضربت الطاولة بكف يدها قائلة: "كيف تجرؤ على إهانتي؟! لن تغادر هذا المكان حتى تعتذر!"

ظهرت رشا من العدم وجلست بينهما ثم قالت: "هل يمكنني المساعدة في شيء؟"

أجاب فراس قبل أن تجد نرجس إجابتها: "نعم يمكنك أن تجالسي هذه المخلوقة بعيدا عني حتى ألحق براما قبل محاضرتها، لم أرها اليوم ويجب علي التقاط صورة لها لأحفظها في قرنية عيني"

زمت رشا شفتيها باشمئزاز قائلة: "رومانسيتك مقززة!"

ضحك مع قهقهة وتركهما غير عابئ بوجه نرجس المحتقن غضبا وأسرع في المضي لرؤية مخطوبته.

راما

حاولت التفكير في الكثير من الأسباب التي تجعل فراس يجلس برفقة صديقة لورا، وذلك بعد مكالمتها معي وإفصاحها بإمساكه بالجرم المشهود وإرفاق صورة كدليل، أنفاسي كانت مضطربة هائجة كإعصار على وشك اقتلاع البلاط من الأرض أسفل قدميّ وعيني مركزتين فقط على الصورة.

أرادت سيلينا التدخل لإيجاد عذر لفراس لكنني حدجتها لتبقى صامتة والدم يغلي في جسدي، ماذا يحسب نفسه يفعل؟ ضمن لنفسه اصطيادي والآن يمارس ألعابه على الفتيات؟ وهذه النرجس من تظن نفسها؟ نهضت بسرعة وتركت سيلينا وحدها على المقاعد الحجرية برفقة حارسها وهي تهتف لي أن أنتظر.

اتجهت من فوري نحو الخارج لأهم بالذهاب إلى كلية الهندسة، فهذه المتعجرفة طالبة فيها وسأريها من هي راما حتى لا تفكر أن تعلق معي ثانية بتقربها منه. لكنني ما إن خرجت حتى لمحت فراس أمامي، أسرع نحوي يفتح لي ذراعيه فهاجمته بسرعة بقولي: "ماذا كنت تفعل مع نرجس قبل قليل؟ لم يمض على ارتباطنا إلا يوم وبدأت من الآن تعد قائمة احتياط؟"

توقف مكانه مبهوتا للحظات ثم ضيق عينيه وأنزل ذراعيه قائلا: "هاه؟"

اقتربت منه وغزرت سبابتي في صدره متهمة بقولي: "لا تراوغ! كنت معها قبل قليل!"

التفت حوله ليرى أننا جذبنا الانتباه أو بالأحرى أنا جذبته، فسحبني من يدي وسار بي مبتعدا عن المكان ثم قال بعد أن ابتعدنا عن الأنظار: "حسنا أنا كنت جالسا مع نرجس لكنني لا أفهم سبب كل هذا الغضب!"

لطمت فمي بكفي الاثنين وقلت بنبرة مجروحة: "وتعترف بجريمتك؟ إذا كنت تراها حلوة وجذابة فتزوجها هي"

رفع حاجبيه بنظرة مستهزئة جعلته يبدو أكثر جاذبية، تبا له كم هو وسيم! ثم تأبطني تحت ذراعه وقال: "في البداية لن أخوض مقارنة بين حسنك وزيف نرجس، ثانيا لو أردت خيانتك يا غبية لما جلست مع فتاة في وضح النهار وسط كليتي وأصدقائي بعد علمهم بخطبتي حديثا فذاك جزء من الانحطاط لم أصل إليه، ثالثا ... فكري دائما قبل أن تهاجمي

او اسألي على الأقل! هي جلست معي شاكية من عماد لأنه ينظر إليها نظرات حسب وصفها غير لائقة وهذا كل ما في الأمر! إن كنت لا تصدقينني اسألي أوس فقد كان جالسا على الطاولة المجاورة وسمع كلامها فكان يرمي لي بابتسامة مستهزئة دون أن تنتبه"

رفع يده بينما فريق الإطفاء في دماغي يقوم بإخماد النيران التي حرقت الكثير من خلاياي الحسية ثم ضربني على جبيني بإصبعه، فتحسست موضع الألم بينما أنظر نحوه بسخط ثم قال: "أيتها الحمقاء! أنت حبي الأول"

خفق قلبي بقوة إثر سماعي لجملته هذه، أمعقول أنه فعلا لم يقع في الحب قبلي؟ ثم تابع: " لن أفرط بك من أجل غبية مثل نرجس! أو أيا من صديقاتها المتعجرفات! أأنت عمياء أم أنك لم تلمحي طبيعة الفتيات اللاتي أدخلهن إلى حياتي؟ رشا؟ جولي؟ أنا شخص أبحث عن الفتاة... البعيدة عن التكلف... وصدف أني وقعت في شباك إحداهن... غبية شقراء ذات عينين زرقاوين، أتعرفينها؟ حمقاء وغيورة ولا تفهم بعد أنني أغار عليها أكثر!"

عضضت على إظفر إبهامي في ارتباك وخجل وعيناي تتأملان ملامحه الساخرة من غيرتي القاتلة، قصة حبي بفراس لا يمكن تصديقها حتى في الروايات والأفلام، أحببته لخمس سنوات متواصلة وصدف أنه حبي الأول والوحيد لأحظى به بعد سنين انتظار لأكون أنا حبه الأول، ربما كانت سيلينا على حق، فبدلا من إشغال نفسي بإغاظة ميساء مثلا فعلي حماية هذا الحب وصون هذه العلاقة من عين حاسدة أو نفس لئيمة مدمرة كنفس نرجس، فما بنيته في خمس سنين لا يجب أن أسمح بهدمه بلحظة.

هدأت أعصابي قليلا لكن التوتر كان ما يزال مطبوعا على ملامحي فسألني بحيرة: "قولي لي ماذا أفعل؟ وسأدعمك في أي قرار"

أخذت نفسا قبل أن أقول: "يمنع عليك بتاتا التحدث مع أي فتاة خارج مواضيع الدراسة، طبعا ما عدا رشا وجولي، أو لورا وسيلينا"

أجاب من فوره مع ابتسامة: "حاضر! لكن مع اعتراض واحد، فأنا لن أكلم لورا، علاقتنا متوترة ... لا أستلطفها"

ثم ابتسم مجددا، ليزرع في قلبي بستانا من الورد يتفتح كلما أشرق بوجهه الوسيم في سمائه فيعيد الدفء إلى قلبي، ثم سرت معه ليعيدني إلى الكلية وألحق محاضرتي التالية.

سيلينا

لم يعجبني ما فعلته لورا، فماذا لو كان جلوس فراس مع نرجس لأمر هامشي وبسببه تسببت بفسخ علاقة راما بفراس؟ ألا تفكر لورا أبدا بمشاعر راما تجاه فراس؟ أعليها أن تكون أنانية بهذا الشكل؟

كنت أتجادل معها عند الباب الخلفي للكلية وأظهر لها كرهي لتفكيرها السطحي الأناني، وهي في المقابل لم تسكت لي وهي تعيد علي مرارا بأن فراس ليس شابا يمكن لشخص أن يثق به وبأنه لا يستحق راما، فأجبتها في غيظ: "وأنت؟ ماذا فرقت عنه؟ هل تستحقين سمير؟ لأنه برأيي شاب مخلص لك ونشيط ومثابر وفي المقابل أنت تافهة وسطحية!"

ثم سرت مبتعدة عنها بعدما شهقت كأنني طعنتها في الصميم ولحق بي عمر فورا كأنه خيالي الذي يتحرك مع حركتي ويسكن مع سكوني، وأثناء ابتعادي عنها وإذ بها تلحق بي وتشدني من ذراعي لتجادلني بما قلت، لكنني أخرجت نفسي من براثنها بقوة فاندفعت نحو الأمام دون أن أعير الطريق أمامي انتباها فجرحت في فخذي من غصن شجيرة يبس من برودة الشتاء.

للأسف أنني كنت أرتدي تنورة لا تتعدى الركبة وأسفلها جربان طويل يغطي فخذي، لا أخفيكم علما أنني كنت أتجمد بردا لكن هذا ما وجدت إيان حضره لي صباحا بعد تناولي للفطور.

شعرت ببل دافئ تحت جرباني وسرعان ما تشكلت بقعة كبيرة من الدم فلمحها عمر ليشحب وجهه شحوبا ملحوظا، فأسرع في حملي من ذراعيّ فحبست صرخة في جوفي، ثم أجلسني على كرسي خشبي بينما اندفعت لورا نحوي لتطمئن على سلامتي وهي تعتذر بشدة بعيون دامعة، أما ذاك فقد أصيب بالذعر وهو ضائع لا يعرف ماذا يفعل حتى قال: "سأتصل بأحد من القصر ليرسل إليك طبيبا لا تتحركي سيدتي"

فتحت فمي محتجة لكليهما قائلة: "أنا بخير! اهدآ"

ثم سمعت صوتا مألوفا يتردد في الباحة قائلا: "لا تتصل بالطبيب دعني أرى أولا"

تراجعت لورا إلى الخلف قليلا برفقة عمر الذي كادت روحه تغادر جسده ذعرا حينما وقع بصره على إيان المقبل من خلف الحائط، وجه إليه إيان نظرة ثم قال: "هدئ من روعك لن أعاقبك، كان مجرد حادث"

بدأت لورا تعتذر من إيان وهي تبكي بشدة لكنه طمأنها إلى أن كل شيء بخير، ثم وقف أمامي فتلاقت نظراتنا ثم نزل على ركبتيه فلمحت عمر يبتعد من المكان ليقف عند نهاية الحائط كأنه يريد منع أي كان من العبور من هذه المنطقة، ثم أعدت تركيزي نحو إيان.

كان راكعا على ركبته أمامي ثم نظر إلى فخذي فشعرت بالخجل، مد يده ليرفع التنورة قليلا لكنني أجفلت فحركت فخذي إلى الخلف بحركة لا إرادية، فتوقفت يداه في منتصف الطريق، أعاد بصره بحذر نحو عيني فابتلعت ريقي بصعوبة، ثم همس لي: "لن أؤذيك، فقط سألقي نظرة"

شعرت بالخجل والضيق من الموقف برمته، لكن من يلومني؟ أليس هو من أساء التصرف معي وتسبب لي بألم جسدي ونفسي؟ بالطبع سأتصرف بهذا الشكل، هذا أقل ما أستطيع فعله، يجب أن يكون شاكرا لأنني لم أضخم المشكلة أكثر من كبر حجمها.

استجمع شجاعته وأكملت يداه طريقهما بإبعاد طرف التنورة للأعلى تقريبا ثم بإحدى يديه سحب الجربان قليلا عن موضع الجرح فبدأ بمسح آثار الدم باستخدام منديل نظيف أخرجه من جيب سترته العلوي بينما عيناه تدرسان ملامح الألم في تعابير وجهي المحرج.

كانت لورا تقف إلى الخلف من إيان بنظرات مرتبكة وهي تشهد الموقف المشحون بانفعالات متخبطة بيننا، وهو غير مكترث لوجودها خلفه ونظراته مركزة علي بالكامل.

أنهى مسح الجرح ثم نهض واقفا وقال: "إنه جرح بسيط لن يحتاج إلى خياطة، كوني أكثر حذرا في المرة القادمة"

وضع يده على رأسي ليمسح عليه مضيفا: "حمدا لله على سلامتك"

أطال تحديقه بي قليلا ثم رفع يده عني وعاد من حيث أتى، توقف عند عمر لبرهة وحدثه بشيء لم يصل مسامعنا وأعطانا ظهره من جديد ومضى، كنت على يقين من أنه قال له أن يلتزم الحذر في حراستي أو شيئا من هذا لأنه عاد إلي كجهاز إلكتروني مشحون للتو.

اعتذرت لورا مرارا مني لكنني كنت غاضبة منها لأجل راما فلم أعر للجرح بالا، وقتها أقبلت راما إلينا وعلى وجهها مبسم مشرق، ولمحنا ظهر فراس مبتعدا في الطريق المعاكس.

شرحت لنا كل شيء حصل بينهما فتخللت الراحة جسدي فزال هم راما لأشعر أخيرا بحرق الجرح في فخذي، بدا على لورا الراحة أيضا من تصالح راما السريع مع فراس كأن همًّا قد زال عنها، ربما هي شعرت بالندم حقا على ما سببته من مشكلة بينهما.

راما

خرجت وأمي عصرا برفقة فراس ووالديه لشراء الخواتم وعرضت أمه رغبتها في شراء المجوهرات المصنوعة من الذهب أيضا.

ترجل الجميع من السيارة قبلي وقبل السيد عدنان الذي كان يتابعني من خلال المرآة بحرص، ثم قال موجها حديثه لي قبل أن أنزل: "أرجوك لا تفطري قلب فراس"

نظرت إليه من خلال المرآة مصدومة فتابع: "إني لا أحمل في قلبي تجاهك أي ذرة كره، لكنني خائف فقط عليه، حاولت جهدي معه مرارا لأزوجه وكان رافضا بشدة، ثم جاءني بالأمس متحمسا وبريق عينيه لم يغب عن ذاكرتي، لا أذكر أنني لمحت ذاك البريق يوما بعد السنين السيئة التي عاشها..."

حاولت الحفاظ على هدوء أنفاسي وهو يتابع: "أعرف أنه يحب التباهي ويشعر بأهميته عند تجمع الفتيات من حوله، لكن هذا كل شيء، فهو لم يتعد ذلك بقصص غرامية أو ما شابه، ربما بسبب حسرته على فقد أخيه او شيء من هذا، أو ربما لانشغاله بالكرة وأصدقائه والعزف على الجيتار فخلق لنفسه عالما آخر... لكنني على يقين أنني لم أره متحمسا هكذا منذ ست سنوات، وإني لأرجوك أن تعتني به فله قلب هش حتى وإن أخفى ذلك عنك"

لم ينتظر مني ردا بل فتح باب السيارة وترجل منها على الفور، فأطل علي فراس من الباب وقال متعجلا: "هل أعجبتك أجواء السيارة؟ هيا أسرعي حتى لا تختار أمهاتنا خاتما قبيحا ونبتلي به!"

ضحكت مجاملة على كلامه بينما ذهني مشغول بما حدثني به السيد عدنان.

دخلت المتجر وشعرت بالارتباك، لم أدر ما علي اختياره بالضبط، لكن فراس أصر على أن يكون الخاتم على ذوقي، فنظرت في الخواتم المعروضة حتى لفت نظري محبس عريض من الذهب الأبيض المطرز بالكريستالات الناعمة، تنبه والده إلى نظراتي نحو المحبس فقد

ترددت كثيرا باختياره لأنني شعرت بأنه باهظ الثمن فوقف إلى جانبي مشيرا لصاحب المتجر إليه حتى أقوم بتجربته، استرعى انتباهي لفتته تلك، وحينما وضعته في إصبعي لمحت نظرة الرضا في عيني فراس فعرفت أنه الخاتم المطلوب.

سيلينا

كنت أشعر بحماس كبير من أجل راما فاستطعت صرف تفكيري عن إيان.

الليلة نمت وحدي في السرير فقد تأخر من أجل اجتماع عمل مهم، ثم فاجأتني السيدة سوزان صباحا بإعلامها لي بأنه سيبقى منشغلا طيلة الأسبوع لكنني استغللت انشغاله بزيارة أخي وأمي والاطلاع على آخر أخباره، ليس كأن خبرا يخص أحمد يفوتني فنحن على تواصل دائم، إني أحبه حبا جما وزواجي لا يعني أن أنسى أمره، وبالرغم من سفر السيدة جينيفر إلا أن أمي ما زالت تتأخر في العمل لتغطي اجتماعاتها وتوصل إليها أخبار العمل أولا بأول.

حانت نهاية الأسبوع وكما وعدني إيان فهو قام بإلغاء جميع مواعيده لليوم من أجل التفرغ لطهي عشاء لي، وما أثار إعجابي أنه أوفى بوعده على غرار ما توقعته منه، ربما لأن الرجال في مجتمعنا اشتهروا بخلف الوعود وخصوصا تلك المقدمة لإناثهم من زوجات أو أمهات أو أخوات.

دخلت المطبخ بحثا عن السيدة سوزان لتساعدني في عقد رباط فستاني الذي اختاره إيان لهذه الأمسية فهو أرادني أن أرتدي فستانا أحمر قصيرا مكشوف الذراعين، له حمالات رفيعة تمسك صدره كما أنه مفتوح الظهر إلا من عقدة.

فوجئت بوقوفه هو في المطبخ وهو يرتدي مئزرا حتى يحفظ ملابسه من الاتساخ، كم بدا مظهره ظريفا وجذابا في آن! حين لمحني شعرت بالخجل على الفور لأنني اقتحمت المطبخ دون أن أنظر أولا وقد هتفت بقولي: "سيدة سوزان، ساعديني في ربط هذه العقدة!"

الآن أنا واقفة بارتباك أمامه ولا علم لي بما يتوجب علي فعله فهل أركض هربا منه؟ أم أتظاهر بأنني غير مصدومة من رؤيته؟

وضع السكين من يده واتجه صوبي وقبل أن أفهم ما يهم بعمله استدار خلفي ثم أمسك الرباط وبدأ يعقده، فاحمر وجهي خجلا وشعرت بحرارة تسري في جسدي، ثم ابتعد إلى الخلف ليتأملني. حينها استدرت نحوه لأحاول إخراج عبارة شكر من فمي لكنه قاطعني بتنهيدة قائلا: "إنه كما تخيلته! يا لجمالك ما أبدعك!"

احتضنت ذراعي بارتباك واضح ولم أجبه بشيء بالرغم من محاولتي رد مجاملته لكنني فشلت.

ألقيت نظرة متفحصة نحوه، كان يرتدي تحت المئزر قميصا فاتح اللون مكويا بعناية وبنطالا قماشيا، وشعره مسرح إلى الخلف إلا من تلك الغرة الحائرة نفسها، كان حليق الذقن فاستطعت رؤية تفاصيل فكه بشكل أفضل، ولا أخفيكم علما بأن لون عينيه برز أكثر من السابق إثر حلاقته.

نظر نحوي باستمتاع فعلمت يقينا أنه ضبطني وأنا أتفحصه فسارعت بإبعاد نظري عنه نحو المكونات التي يقوم بتقطيعها، فسألته عم ينوي صنعه فأجابني: "إنها فطيرة بالدجاج والخضار، ستعشقينها أضمن لك ذلك"

راقبته بحرص أثناء عمله وكان بين الفينة والأخرى يحدثني عن مغامراته المضحكة في تركيا وخصوصا مع عدم إتقانه الحديث بلغتهم، كنت أضحك حتى تنزل دموعي أو

توجعني معدتي، لكنني كنت متأكدة من شيء واحد وقتها، إيان هذا شاب مليء بحس الفكاهة.

انتهى من خبز الفطيرة في زمن قياسي، وانتظر قليلا حتى يستطيع تقطيعها، أمرني بالجلوس ليتولى اليوم خدمتي ولعب دور الطاهي والنادل وحده، فلم أضغط عليه للمساعدة.

تناولنا الطعام في أجواء مريحة مليئة بالودّ والضحك، ربما كانت هذه اللحظات هي ما أبتغيه من هذه الدنيا، إنه لشيء جميل أن تتبادل أطراف الحديث مع شريكك سواء أزواجا أو أصدقاء أو إخوة أو حتى زملاء عمل. الحديث وكسر الحواجز هو ما يدخل الألفة في قلوبنا فتزهر بيننا وتعطينا شعورا بالسلام. تجرأت على التحدث عن والدي قليلا مع أنني كنت أتجنب كثيرا الحديث عنه لأغلق أبواب المواجع، لكنني شعرت بأنني أدين له بالحديث عن ماضيّ كما علمت عنه بدوري، كان مستمعا ماهرا ومتحدثا لبقا ومريحا جدا في التعامل، فاستطاع اجتياح ما تبقى من مساحة حب كنت أحاول سابقا منعه من دخولها.

ساعدته في غسل الصحون وبدأت أرشقه بالرغوة والماء وهو يحاول فعل المثل لي لكنه كان يخطئ الاتجاه حتى تمكن من القبض علي ومرّغ وجهي برغوة سائل الجلي فركعت على الأرض من شدة الضحك ليركع هو بدوره أرضا وهو يضحك على مظهري؛ بفستاني المبقع بالماء واللحية التي صنعها على فكي، و أيضا مظهره المبتل وشعره الذي تمكنت من بعثرته.

ألقينا نظرة على المطبخ فعض شفته قائلا: "ستقتلني سوزان إن رأت الفوضى هذه!"

ثم انفجرنا ضحكا من جديد........

أتممنا تنظيف المطبخ معا، كانت أول مرة أشعر فيها بالسعادة أثناء العمل، فأنا أكره أعمال البيت لذا كانت دائما غرفتي مبعثرة في بيت أمي. ثم أخذني إلى غرفته لنخرج من ملابسنا المبتلة.

حينما وصلنا وقفت عند الباب وقد غادرت قلبي خفقة قوية جعلت أذنيّ تطنان وحلقي يجف، أين سنقوم بتغيير ملابسنا؟ هل سنتناوب على الحمام؟ أم سيتجرأ على تغيير ملابسه أمامي؟ لقد فعلها سابقا لن يخجله أن يعيدها، لكن هذه المرة لا أحمل كتابا لأغض بصري. سحبني من يدي نحو الداخل وأغلق الباب خلفه فازدادت ضربات قلبي قوة، ثم اقترب من ظهري وأحسست بهيمنته خلفي، مدّ يديه على وسطي وغرز أنفه في مؤخرة شعري وهو يشمّني كأنما يمسك بوردة ثم هجرته أنفاس حارة داعبت رقبتي فتمكن من خلق شعور بالدغدغة في أناملي، وقال: "ما أزكى رائحتك! اشتقت إليك، مع أنني أراك كل يوم وأنت نائمة إلا أنني أشعر بأنك ما زلت بعيدة"

تحركت يداه لتستقرا على بطني ليضمني إلى صدره وبدأت أنفاسه تغدو أكثر سخونة وشفتاه تلامسان رقبتي بإحساس مثير جعلت حصوني تخرّ أمامه قبل أن أتمكن من بنائها. وبخفة بدأ بزرع قبل لتغطي رقبتي، عضضت على شفتيّ لأمنع أنيني من فضحي واستسلمت لذلك الشعور اللطيف من أثر شفتيه القطنيتين، ثم مد أصابعه نحو حمالة الفستان على كتفي الأيمن، ثم بدأ يداعبها ليحركها نزولا نحو ذراعي بينما أراقبه بعينين شبه مغمضتين، أنفاسي تتثاقل أكثر، قلبي يخفق بقوة أكبر، يداي تتعرقان دون مسوغ وتلك الفراشات تتخبط في أسفل معدتي لتذيقني شعورا بالرغبة، حاولت مقاومة إحساسي لكنني لم أتمكن، فقد كانت لمساته آسرة كقائد عسكر ألقى أوامره للجيش فأطاعوه دون تذمر أو تهاون، وهذا بالضبط ما حصل مع جسدي الذي خان كل حس سليم في ذهني

فعصاني وأطاعه هو. قام بحل رباط الفستان ثم سحبه إلى الأسفل فشهقت حينما أدركت أنني عارية إلا من ملابسي الداخلية، حاولت تغطية جسدي، ثم اختفى من خلفي ودار حولي ليستقر أمامي على بعد خطوتين أو ثلاث، وقف يتأملني دون أن ينبس ببنت شفة، فشعرت بانعدام ثقتي لأحتضن نفسي أكثر، ثم اقترب مني ليزيح ذراعيّ عني، فتوسلته بهمسي لاسمه، فاقترب بفمه من أذني وهمس فيها: "أنت تملكين جسدا جميلا بانحناءات لطيفة، فلماذا تشعرين بالخجل؟"

ربما لأن هذه أول مرة أقف بملابسي الداخلية أمام أحد! مرر يديه على وسطي العاري فشعرت بأن قلبي سينفجر من تخبط الدم في صمامه. ثم همس في أذني: "إنني أرغب فيك بشدة، فهلا مكنتني منك؟ أعدك أنني لن أؤذيك وسأنسيك المر الذي تجرعت منه في المرة السابقة"

وضعت يدي على صدره كدعامة لي حتى لا أقع وأبقيت بصري مركزا إلى الأسفل على الأرض التي تفصل بين أرجلنا، شدني إليه أكثر فأغلق المسافة بيننا لأشعر باحتكاك قميصه على جلدي العاري، ثم انهال علي بقبله التي أفقدتني القدرة على الصمود فحملني عندما شعر بضعف ساقي وأراحني على السرير. وقف أمامي وقام بخلع قميصه وعيناي لا تغادران جسده المتين بتلك الخطوط التي تفصّل عضلاته بدءا من صدره حتى أسفل بطنه. بقي واقفا مكانه للحظة كأنه يسمح لي بالتمتع بالنظر إليه، ثم ابتسم كأنما انتصر في جولته ضدي وانحنى فوقي على ركبتيه وذراعيه وهو يتأملني بنظرات حنونة لطيفة استطاعت غزو أحاسيسي المرهفة تجاهه ثم قال: "بعد هذه الليلة ستتغير حياتنا إلى الأبد"

لورا

تشاجرت مع نرجس إثر مكالمة هاتفية جديدة، وانكببت على سريري باكية بقلة حيلة.

لا أعرف كيف علمت رنيم بتصالح راما وفراس فأرسلت تهديدا جديدا لنرجس لإيقاع فراس في شباكها واستغلالي أنا في تصوير لحظة وقوعه أسيرا لها، وكانت نرجس تقنعني بتنفيذ الخطة قائلة: "اسمعي! لا يهمني أمر صديقتك تلك! لكن أنت بالتأكيد تهتمين لأمرها إن استطعت استمالته إلي فهذه إشارة لصديقتك بأن تبتعد عنه لأنه لا يستحق مشاعرها تجاهه. انظري إلى الأمر من هذه الزاوية، أنت اجعلي هدفك مساعدة صديقتك وأنا عليّ أن أتخلص من تهديد هذه المجنونة، وإلا أوقعتني في مشاكل أنا في غنى عنها! ثم لا تنسي أنها تملك لك تسجيلات صوتية لحبك لشاب آخر قبل سمير... لورا فكري في الأمر جيدا واتركي كل شيء علي"

كنت قد شرحت لها سابقا كل شيء عن طبيعة هذه الرسائل والشخص المبتز لها، رنيم خليفة إبليس! لم تشأ نرجس أن تقع ضحية لألاعيبها من أجل راما فهي منذ البداية لا تحبها ولا تهتم لأمرها ومن وجهة نظرها هي سرقت منها فراس علما بأنها تراه ملكا لها.

في السابق كانت نرجس تتقرب إليه كثيرا وكنت أكره أن أوصل إليها شعوره بالنفور منها، فقد كان دائما يهتف لي من خلال السور بين حديقتيّ منزلنا حين يصدف تواجدنا فيها في نفس الوقت ليرجوني أن أبعدها عنه وقد كان يلقبها بالدبقة.

لكنني كنت أتجاهل مطلبه وأحدجه بنفور بقولي، لست طفلا تولى مشاكلك بنفسك.

قلبت في جهازي لأتأمل صور سمير وبمجرد تفكيري بأن يهجرني يجعلني أنفجر في مزيد من البكاء. وصلت إلى طريق مسدود لا أعرف كيف أتصرف فيه وقد وقعت فعلا في لعبة تخيير خسيسة لأختار بين حبيب قلبي وبين رفيقة روحي، كم تمنيت لحظتها أن تنتهي حياتي في هذه اللحظة حتى لا أتسبب في المعاناة لأي منهما.

الفصل التاسع والعشرون

راما

قطرات من حبات المطر اختلطت بدموعي المالحة ريثما كنت أجوب الشوارع ليلا، جرفت معها دموعي لكنها لم تغسل معها حطام قلبي الجريح، لم تستطع ولن تستطيع، لا أحد يستطيع! ثم من العدم لمع ضوء سيارة في عيني.

....

استيقظت صباح الجمعة على رنين لاتصال قادم من هاتفي عرفت للتو أن المتصل هو من سكن فؤادي، لا غيره، لأنني خصصت له نغمة خاصة، بالتأكيد عرفتم من مغني النغمة، بالطبع.. إنه انريكي!

نهضت جالسة بسرعة وخطفت الهاتف عن الكومودينو واستقبلت المكالمة لاهثة كأنني عدت من سباق للجري، فسمعت صوته العذب يضحك من الطرف الآخر قائلا: "صباح الخير يا كسولة! لقد تعدت العاشرة صباحا، هل نسيت أن اليوم موعدنا سوية؟ سنخرج معا طيلة اليوم فانهضي بسرعة ولا تضيعي علي لحظة واحدة"

تصنعت ضحكة وقلت كاذبة: "من قال لك أنني نائمة؟ إنني أوضب البيت مع أمي!"

"حقا؟" قالها تزامنا مع فتح باب الغرفة لأراه يطل علي من خلفه وعلى أذنه هاتفه، ابتسمت له ابتسامة صفراء ثم نهضت عن السرير بسرعة وأنا أردد: "كيف؟ متى جئت؟ ماذا تفعل هنا؟"

نظر نحوي متفحصا ثم رفع حاجبا وهو يتأملني بقوله: "ألا تشعرين بالبرد مطلقا؟"

فتحت فمي بذهول ضائعة في الرد حين تفقدت مظهري، كنت أرتدي بنطالا قطنيا عريضا فوقه قطعة خفيفة مكشوفة الذراعين ، والمشكلة أنني لم اكن أرتدي حمالة للصدر، أعدت

نظري نحوه فكان ينظر إلى مفاتني التي نحتت بشكل ملحوظ تحت القماش الخفيف الذي أرتديه، لتعلو حمرة قانية خديه، فابتلع ريقه والتفت نحو الباب قائلا: "سـ.... سأشارك أباك فنجان قهوة ريثما تجهزين نفسك... لا تتأخري"

لماذا أشعر أنه هرب من رؤيتي؟ هل أبدو قبيحة لأنني استيقظت من النوم بشعر أشعث؟ أم لأنه كره مظهر هذا البنطال القبيح علي؟ أعترف أنه قبيح لكنه مريح جدا وليس ثقيلا، أوربما أحس بالبرد من مظهري، لكنني لا أستطيع طمر نفسي في ملابس ثقيلة تحت الغطاء أيضا! لقِّبوني بالفتاة النارية من ذوات الدم الحار فلا أستطيع أبدا ارتداء ملابس ثقيلة، سحقا لست مثل سيلينا التي تتلحف بستين غطاء مع ارتدائها بيجامة شتوية وتغطي رجليها أيضا بجوارب شتوية سميكة، آه كم يزعجني أن أفكر بكمية الأكسجين التي تكافح لاقتحام مسامات جلدها!

أسرعت الخطى نحو الحمام مارة بالصالة حيث يجلس فراس مع أبي يتحدثان في مواضيع عشوائية، وعينا فراس تلاحقني، وبعد أن أنهيت استحمامي عدت راكضة نحو غرفتي لتلحق بي عيناه ثانية ثم أسرعت بارتداء ملابسي، بنطال جينز تعلوه سترة صوفية اختبأ تحتها قميص قطني، ثم خرجت نحو الباب لأرتدي حذائي الطويل الذي كاد يصل إلى ركبتي، ثم هتفت لفراس استعدادي للذهاب حين ظهرت سارة من العدم، كيف لم أتنبه لاختفائها عن نظري قبل الآن؟

كانت ترتدي معطفا شتويا فأثارت في نفسي الريبة، فلما سترتدي معطفا في البيت؟ لتأتي أمي وتجيب عن استفساري وهي تخرج من المطبخ منبهة علي اصطحاب سارة معي، وهنا بدأ الجدال بيننا، تملكني الغضب بالكامل، فأنا أعرف ما تفكر به أمي، هي تظن أنني سأتعدى الحدود المسموح بها مع فراس كوننا أصبحنا مخطوبين وإذا اصطحبت معي هذه

الصعلوكة فإنني سألتزم بحدودي! يا لتفكير الأمهات المبالغ! تريد إفساد يومي بدل أن تختار أن تثق بي.... لحظة! هل أنا أصلا جديرة بهذه الثقة؟ على حد علمي في الشهور الأخيرة منذ اليوم الذي احتفلت فيه في قارب فراس وأنا أتصرف تصرفات مشبوهة أخفيتها عن كلا والديّ، إذن هي لا تلام على عدم ثقتها بي. ومع ذلك فإن هذا لا يعطيها مسوغا لإفساد يومي باصطحاب سارة المزعجة معي.

طال جدالي مع أمي حتى قام فراس بإنهائه بطلبه مني أخذها معنا لأنه يريد التعرف إلى نسختي الجميلة المصغرة، أنا أعترض؛ فهذا الشيء ليس نسخة مصغرة عني! نعم لها شعر أشقر مثلي، لكن عينيها خضراوين كأبي وعيناي أكثر اتساعا من عينيها، خدودها ممتلئة أكثر مني، كما أنها ماكرة وشريرة وخبيثة! وهذه الأخلاق تكاد تكون معدومة في راما!

نزلت السلالم متجهمة وحاول اللحاق بي، لكنني ما إن وصلت إلى الخارج حتى فوجئت بسيارة كبيرة من تلك التي تحتوي مقعدا خلفيا زائدا بحيث تتسع في المجمل لثمانية أشخاص، وكانت تصطف أمام المبنى، وما أثار دهشتي هو الأشخاص الذين في الداخل؛ على كرسي السائق كانت تجلس رشا وإلى جانبها قيس وفي المقعد الخلفي استراح كل من عماد وجولي ووائل، نظرت إلى فراس مبهوتة فقال موضحا: "الأصدقاء أرداوا الاحتفال بك اليوم لعودتك إلى المجموعة بعد غياب طويل ولأنك أصبحت مخطوبة، لذا جهزوا لك قائمة من النشاطات على نفقتهم"

كنت ما زلت أفتح فمي وأنا أنظر إلى السيارة، سحبني من يدي وسار بي نحو المقعد الأخير، قام أولا برفع سارة داخل المقعد ثم دخلت أنا وكان هو آخر من ينضم.

حينما استقررنا جالسين التفت نحوي الجميع عدا رشا وانهالوا علي بالتهنئات وخصوصا جولي فقد كانت الأكثر حماسة، ووعدتني أن تجعل هذا اليوم مميزا لي.

أصابهم الفضول نحو سارة عندما لمحوها وسرعان ما ارتدت قناع الظرافة حتى توقعهم في حبها وتظهر بدور الشقيقة الصغرى اللطيفة البريئة! حبا بالله أنا أعلم وأنتم تعلمون أنها مراوغة!

كان أول محطة لنا هو مطعم لتناول وجبة الفطور، ترجلنا من السيارة واتجه الشبان لحجز المقاعد لنا، كنت أسير بجانب جولي التي تبرعت أن ترعى سارة وتبقى برفقتها لأنها تعشق الصغار، ولأنها خدعت بمظهر الظرافة الذي تمكنت من خداعهم به، مسكينة يا جولي.

رشا كانت تسير أمامنا ثم توقفت لتلتفت نحوي، فتوقفت تلقائيا وتبادلنا النظرات، وكانت أول من ينطق فقالت: "اسمعي راما، أنا لا أكرهك أبدا ولا أحمل في قلبي ضغينة ضدك، الأمر وما فيه أن فراس دعامة أساسية في حياتي، وكل ما أريده منك ألا تكوني سببا في ألمه فقط وإلا زدت لأعدائك رقما جديدا.... عدا ذلك مبارك خطبتك منه"

حاولت مجاملتها بابتسامة ثم أكملت طريقها لتسبقنا، أما جولي فاحتضنت ذراعي وقالت: "انسي أمرها هي تتظاهر أنها ثقيلة، لكنها مرهفة الإحساس في الصميم، والآن فلنسرع!"

جلست بجانب فراس وكان طوال الوقت يضمني إليه من وسطي وبالرغم من همسي المتواصل له بتخفيف أسري حتى لا يلفت الانتباه إلينا إلا أنه كان يرفض وبشدة.

المحطة التالية لنا كانت في المتجر التجاري الكبير المفتوح حديثا حيث أرادت جولي أخذ جولة في المكان والتمتع بالعروض المجانية.

اشترى فراس لعبة دب محشوة كبيرة لسارة مع أنني حاولت ثنيه لكنه أصر، واشترى لي فستانا جديدا وأوصاني بارتدائه في سهرة خاصة لنا، وقتها أسرعت بالتخطيط لها ذهنيا فأنا أعرف الوقت المناسب لذلك بالضبط بعد يومين لأحتفل بعيد ميلاده.

مطاردتي له خمس سنين متواصلة سهلت علي معرفة عيد ميلاده فعندما كان يجد وردة حمراء مثبتة على باب خزانته الرياضية من معجبة سرية، فإن تلك المعجبة كانت أنا.

قضينا وقتا طيبا في المتجر، شربنا القهوة في أحد المقاهي مع الدونات، وشربت سارة الحليب المخفوق أيضا على نفقة فراس. ثم اتجهنا إلى وجهتنا الجديدة وهي مدينة الألعاب.

تحمست سارة كثيرا لكنني رفضت المشاركة في كثير من الألعاب بسبب خوفي من أن تصاب بمكروه، فكان فراس يجالسني ليحرم نفسه من الاستمتاع معهم، وكلما أصررت عليه أن يذهب يختم رفضه بقوله: "جلوسي معك يبعث في قلبي حماسة أكثر، يكفيني النظر إلى وجهك الجميل"

رفعت رجلا فوق الأخرى ورميت له ردي: "حقا؟ لأنك صباحا هربت من مظهري الأشعث!"

رفع حاجبيه وزم شفتيه وهو ينظر أمامه وسرعان ما غزا الاحمرار خديه، ثم أجابني: "لا... لم أهرب من ذلك، بل... لأنك رفعت مستويات الأدرينالين في جسدي.... من مظهرك المغري صباحا"

ثم التفت نحوي مع ابتسامة محرجة، فزممت شفتيّ بتوتر وألقيت نظرة نحو سارة التي أجلستها في أرجوحة خاصة للأطفال مصممة على شكل حيوانات وخلفها جولي، الطفلة الثانية، التي رفضت الركوب في لعبة المقصات لرغبتها في مرافقة سارة.

ثم ضحك محرجا وهو يحك فكه وقال هامسا: "لا أصدق بعد أنني حصلت لنفسي على بهجة عمري... أعني، نعم لي شعبية كبيرة بين الفتيات والكثيرات يطلبن التقاط صور لهن معي، وكنت أفرح بذلك لأجعله غطاء للمرار الذي أحياه في قلبي، لكن هذا كل شيء... لا مواعيد غرامية سرية، لا سهرات في منتصف الليل... دائما ما كنت أرى نفسي مختلفا عن

البقية وكلما فكرت بالتحلي بالجرأة لمواعدة فتاة أتذكر مرضي فأتراجع، لكن أنت قصة أخرى، فشبهك الكبير غير المعقول بكرم سهل علي التعرف عليك ومرافقتي لك، في البداية كما قلت لك كنت أريد الانتقام من لورا لكن سرعان ما تغيرت خططي حينما بدأت أشعر بأنني أميل إليك، وشيئا فشيئا تحول هذا الشعور إلى افتتان ثم تعلق ثم... حب!"

لم أع أنني غبت عن العالم الخارجي وذهني مشغول به وبكلامه، لم أكن أسمع أو أرى سواه في تلك اللحظة، أدار رأسه ناحيتي وقال: "لم أتخيل أنني سأقع في حبك!... أرجوك لا تقولي لأحد شيئا مما قلته حتى لا تتغير نظرة المعجبين نحوي! هذا سر"

ضحكت بقوة وأجبته: "عليك أن تعطيني ثمنا جيدا لسكوتي!"

مر الوقت سريعا، كنت مستمتعة جدا لدرجة أنستني كم مضى من الوقت، اتجهنا في نهاية مشوارنا إلى دار للسينما، واختار الجميع أن يشاهدوا فيلم علاء الدين من أجل سارة، فلم أرفض فأنا في كل الأحوال من معجبي ويل سميث والفيلم ضمن قائمة الأفلام المفضلة لي.

جلست بين فراس وسارة وجولي إلى جانبها أما الباقين فكانوا أمامنا، لاحظت أن ثمة توترا بين رشا ووائل وأنه اختار ترك الكرسي الذي بينهما فارغا حتى شغله قيس بجثته الضخمة.

أوصلتنا رشا بالسيارة إلى حينا وترجل فراس معي ليوصلني إلى باب الشقة ويلقي تحية الوداع على والدي، دخلت سارة قبلي سعيدة بهذا اليوم وهي تحمل معها كوب الفوشار بيد وبالأخرى لعبتها المحشوة. أما أنا فبقيت عند الباب وقد ترك لي والداي مساحة خاصة لتوديعه، فاستغل فرصة انشغالهما بحماسة سارة وطبع قبلة على خدي مبتهجا كالأطفال، ثم غادر متمنيا لي ليلة طيبة.

سيلينا

لا أملك وصفا من أي نوع لأتحدث عن منظوري الجديد نحو إيان، لطالما رأيت فيه ذاك الشاب المجتهد أكاديميا، ناجحا في حياته، يدير شركاته الخاصة، يستحوذ على القلوب ما إن يسير جانب قلب ينبض أو من خلال تعويذة سحرية يلقيها على من يبصر وجهه، رأيت الكثير من شخصية إيان على الملأ لكن في الأمس بالتحديد رأيت وجها جديدا له، وجه لم أتخيل يوما أن ألمحه.. وجه رجل عاشق ولهان وكلما خطر لي أنني الوحيدة على وجه الكرة الأرضية رأت ذاك الجانب منه يجعل قلبي قطنيا كأنه يطفو بخفة فيحلق فوق السحب البيضاء قريبا من عالم الأحلام.

لمساته.. قبلاته.. أحضانه.. ما زلت أشعر بكل مسحة منها كأنها ما تزال تلاطف بشرتي التي اتقدت شوقا إليه وإلى المزيد من حبه.

صفعت نفسي لأخرجه من بالي وأتمكن من إكمال دراستي، كنت جالسة في المكتبة في الطابق السفلي لأقوم بمراجعة دروسي التي أهملتها الفترة الماضية، أما إيان فكان له عمل مستعجل، هذا غيرمنصف على الإطلاق، لماذا عليه أن يعمل حتى في إجازته؟ ألا يستحق بعض الراحة هو أيضا؟

استدعتني السيدة سوزان لأتجهز لاستقبال الضيوف فأثارت في نفسي الريبة، أي ضيوف؟ هل هم من معارفي؟ هذا ما أرجوه فلست أدري كيف أتصرف أمام معارفه وأقاربه.

اتجهت إلى الصالة فصدمت برؤية السيدة جينيفر وقد عادت من السفر، تتوسط الجلسة وتوزعت حولها ثلاث فتيات شقراوات ميزت منهن ليلي أخت إيان الصغرى، ثم صدمت أخيرا برؤية إيان جالسا مقابل جدته.

اقتربت من الجلسة فنهضت ليلي واستقبلتني في الأحضان ثم التفتت نحو الفتاتين الأخريين لتعرفهما بي، لم أتفاجأ حين علمت أنهما شقيقتا إيان أيضا لكنني فوجئت لعلمي أنهما توأمان، بالرغم من أنهما غير متشابهتين، إحداهما متزوجة والأخرى عزباء كليلي، المتزوجة تدعى إيميلي والأخرى إيما، أحببت كيف أن أسماءهم جميعا تحتوي حرف الياء فأوجدت تناغما في أسمائهم.

اقتربت من السيدة جينيفر وصافحتها بتوتر ملحوظ بينما هي جالسة في مقعدها تبتسم لي برسمية، ثم هتف لي إيان لأجلس بجانبه فأطعته دون نقاش. حدثته جدته عن القضية وعن المتاعب التي تعرضت لها فلم يكن دربها سهلا في مسعاها، وأخيرا وضعت كوب الشاي الإنجليزي مع الصحن على الطاولة، ثم رفعت بصرها نحو وجهه المتوتر مما ينتظره أن تبوح به فقالت أخيرا وقد طبعت ابتسامة هادئة قائلة: "مبارك لك لقبك الجديد فقد غدوت الآن بليونيرا!"

أزهر وجهه ولمحت عروق وجهه تعود إلى الحياة بعد انتظاره مدة من بوحها، اندفعت أخواته الثلاث نحوه وأخذنه بالأحضان لتهنئته، إيان كان مليونيرا والآن أصبح بليونيرا! كم صفرا في هذا؟!... إن ذلك يعني أن جدته تمكنت من استرجاع الأملاك كلها لتصبح الآن باسم حفيدها، أما يجدر بي الآن الاحتفال معه على المزيد من التوفيق الذي يحظاه؟ لكن لو احتفلت معه ماذا بعد؟ ألا يعني حصوله على الأملاك نهاية مشوارنا إلى هنا؟ كلمة بليونير كبيرة جدا، لكنني لسبب ما لا أشعر بالسعادة من أجله.

ابتلعت الغصة في حلقي وبقيت مكاني غير متزحزحة، أملأ عيني بمظهر إيان السعيد وسط أخواته... لو لم أرخي حصوني له، لو انتظرت قليلا بعد... ليلتي الفائتة معه ليست إلا مجرد حلم بديع انتهى في غمضة عين.

أصر إيان على دعوة الجميع إلى مأدبة عملاقة احتفالا بهذه المناسبة، فأسرع حارسه مارك بعمل حجز له في منتجع سياحي لليلتين كاملتين. كان إحساسي مخدرا وكان كل ما حولي يتحول إلى اللون الرمادي وقد لمحت عيناي الألوان تنسحب تدريجيا من العالم المحيط بي. حافظت على الصمت طيلة الوقت وعيناي تراقبان ما يدور حولي. وفي أقل من ساعة كانت الخادمات قد جهزن الحقائب واعتنت السيدة سوزان بمظهري لأجد نفسي في سيارة الليموزين معه ومع عائلته في طريقنا إلى المنتجع.

حينما وصلنا كان تفكيري مسلوبا بخبر السيدة جينيفر فحُرمت عيناي من الاستمتاع بجمال المنتجع وباحته العملاقة المزينة بالأشجار المقلمة والأعمدة والتحف البديعة.

جلسنا جميعا على مائدة كبيرة في صالة راقية تحت الثريا اللامعة بمصابيحها التي تتلألأ فوقنا فتضفي أجواء حميمية مريحة، ومع ذلك فقد فقدت الشعور بذلك أيضا. وحتى الطعام لم يكن له طعم في جوفي، بل إنني لم أنهي طبقي ولا حتى طبق الحلويات، وذهني منشغل بفكرة واحدة... حلمي انتهى.

خرجت إلى الشرفة بينما كان إيان يتبادل أطراف الحديث مع أخواته لمعرفة آخر أخبارهن، لم يصل مسامعي إلا مجيء زوج أخته بعد يومين ورغبتها في المكوث في فندق حتى لا تثقل على أخيها ورفضه ملحا عليها بالعودة معه إلى البيت.

كان الجو باردا جدا لكنني لم أعبأ به بل تمنيت لو يجمد إحساسي حتى لا أنهار من الآتي في حياتي، وقتها أجفلتني جدته التي انضمت إلي، وجهت نظرها إلى الأمام قائلة باتهام: "ألا يعجبك عودة الأملاك إلى زوجك؟ أم أنك كنت تتمنين العكس وفاء لجدك؟"

قطبت جبيني ونظرت إليها مستنكرة ثم أجبتها: "لا يهمني كثيرا أمر جدي فهو مات غريبا بالنسبة لي..... أنا سعيدة من أجل إيان صدقا... لكن.."

ثم صمتّ، حدقت بي لبرهة ثم قالت: "تخشين أن ينطلق إيان خارج القفص الآن؟"
لم يصلني مغزا كلامها فهل قصدت قدرته على الزواج بغيري؟ أم تحليقه في جو مليء بالمزيد من الشهرة والأموال والنساء؟ أم أنها تمكنت من الإحساس بخوفي من فكرة الطلاق؟
مدت يدها نحو ذراعي فنظرت إليها بأنفاس متسارعة فقالت: "اسمعي يا ابنتي... إيان شاب وفيّ وليس بذيئا ليسيء إلى سمعة فتاة لم تحمل له إلا كل معاني الحب"
قالت قولتها وتركتني عائدة إلى الداخل، فتبعتها بنظراتي لأحاول تحليل ما قالت.
بعد سهرة طويلة اتجهنا جميعا إلى الغرف المحجوزة لنا، غرفتي كانت تطل على المنظر الجبلي المقابل للمنتجع، وما أجمله من منظر!
مرر إيان يديه على خصري من الخلف بينما كنت أتأمل الجبل من خلف النافذة فأجفلني وابتعدت عنه مع حرصي على إبعاد يديه عني. فرفع إحدى حاجبيه متسائلا، ابتعدت نحو السرير لأجلس على طرفه أزدرم ريقي بتوتر ملحوظ ثم قلت: "اعذرني... لكن علي أن أفكر جيدا في خطوتي التالية... على كل حال مبارك فقد أصبحت بليونيرا بين ليلة وضحاها"
وضع يديه في جيب بنطاله وهو يحدق بي بنظرة لا تنم عن الرضا ثم قال: "أصبحت؟ عفوا ألسنا في ذلك معا؟"
سألته بتعب: "ماذا تقصد؟"
زم شفتيه ومسح بيده على فكه وشفتيه ثم سار نحوي ببطء وهو يقول: "حين كنت أتعلم العربية في صغري، علقت في ذهني أغنية لبرنامج كرتوني للأطفال كانت إيميلي مهووسة به وقتها مع عدم فهمها لما يقال.."

أحنى ظهره للأمام وتابع ملحنا بصوت عذب: "في يوم همست في أذني من يمسح عن قلبي حزني.... يرجعني خضراء اللون أعشاشا للأطيار.... لحديقتنا في قريتنا باب... ولها أسوار... لا يعلم أحد ما فيها.... تخفي عنا الأسرار..."

الحديقة السرية؟ نعم كنت أتابع هذا البرنامج دائما في طفولتي ومراهقتي أيضا.. لكن ... ما المغزى الذي يريد الوصول إليه بغنائه تلك السطور؟ هبط على ركبتيه عند وصوله إلى نهاية المقطع الذي غناه ثم أمسك بيدي وعيناه تنظران إلى الأعلى نحوي ثم قال: " في يوم علقت داخل أسوار حديقة سرية بهرتني بجمالها، لكنها آلمتني بأشواك أحزانها، كانت بحاجة إلى العناية، فأشجارها تهتف لمن يشذبها.. أعشابها تستصرخ من يقتلع العلقم الضار النابت حولها .... أنت هي حديقتي السرية تلك... التي سأحرص على سقايتها ورعايتها وصون أسرارها وآلامها... ألم أقل لك أن حياتنا ستتغير بدءا من ليلة الأمس؟"

تجمعت الدموع في عيني وكابرت عذب كلامه متسائلة بصوت مبحوح: "لم أفهم!"

قبّل ظهر يدي وأصابعي، ثم مرر شفتيه على خاتم الزواج وقال: "أريد البقاء معك وتأسيس أسرة معا... فنحن تشاركنا الكثير من المواجع... الكثير من الأحزان... المواقف الحلوة والمرة... الألفة والغصة.... الأسرار العاطفية... بربك سيلينا كنت أول امرأة ألمسها، وأول من خلعت لباس الوقار أمامها!"

رفع يده ليتحسس وجهي وقال هامسا: "سيلينا... حبيبتي... لن أطلقك"

شرعت شفتاي بالارتجاف وسقطت مني الدمعة التي حاولت كبحها منذ وقوع الخبر على رأسي كالصاعقة، وبدأ قلبي يخفق بقوة، فهمست له بدوري: "لن.. لن تطلقني؟"

أومأ رأسه بالرفض، فاستسلمت لبكائي أخيرا لكن دموعي لم تكن دموع حزن وقتها بل دموع سعادة غامرة لم تستطع أن تبقى محبوسة في داخلي، فأمسكت بيده التي تمسح على

وجهي وتعلقت بها وعيناي لا تغادران وجهه السمح المبتسم بدفء لي، سامحا لي أن أغرق وسط دموعي لأنفس عن الخوف الذي عايشته اليوم.

لورا

أكلت كل من راما وسيلينا رأسي بحديثهما عن أجمل لحظات عيشهما، وعن روعة شريك حياة كل منهما، هنأت هذه على سعادتها باستمرار إيان بعلاقته بها وعلى توسع إمبراطوريته التي ذيع عنها في القنوات الإخبارية وكل وسائل التواصل الاجتماعي، دون ذكر سبب عن سيلينا وماضي عائلتها في الأمر، حيث وضحت جدته في بيان صحفي أن هذه الأملاك كانت ملكا للعائلة وتمكنت بعد جهد كبير من استرجاعها من الحكومة.

وهنأت تلك لانغماسها في مزيد من مشاعر البهجة تجاه خطيبها الذي اعترف لها بكونها الحب الأول في حياته.

لا تسيئوا الحكم علي، أنا سعيدة من أجل الاثنتين لكن رنيم نجحت في اقتلاع الراحة من بدني، وأشعر بالخوف على راما من مخطط نرجس أيا كان ما تفكر به لاستمالة فراس لتبرهن لي أنه لا يستحق ذرة من مشاعرها نحوه، وحاولت إقناعي مرارا بأننا سنضرب ثلاث عصافير بحجر واحد؛ إيقاظ راما من غفلتها، إنقاذي من سموم رنيم، وحماية أسرارها عن ذويها.

ذكرت راما أن اليوم مميز لها لأنه يصادف ذكرى يوم ميلاد فراس وقد جهزت العدة للاحتفال به، فقد أوصت على سترة جلدية جديدة له كما أنها خبزت له كعكة بمساعدة أمها في الأمس لاستقباله في بيتها والاحتفال به مع أمه. المسكينة كانت متحمسة بشكل يكسر الفؤاد.

انتظرت أي اتصال من نرجس بقلب مرتعد وشعور بالقلق يتنامى مع كل لحظة وأخيرا اتصلت بي، لكنني حينما استقبلت المكالمة فوجئت بأن المتحدث معي هي ميساء، فجعلتني أشك في أنني أخطأت قراءة اسم نرجس على الشاشة، لكنها أكدت لي أنها تتحدث إلي من خلال هاتف نرجس بنفسها وأنها رسول كُلّفت بإحضاري لإرشادها إلى مكان نرجس وفراس، حيث تمكنت من إيقاعه في شباكها وقد رخص لها حين عرضت عليه منحها جسدها بلا مقابل.. لم تصدق أذناي ما سمعت، كان لي أمل بأن يكون شابا صالحا حقا ويعرض عنها إكراما لراما! كنت أرجو أن يكون عكس توقعاتي لكنه للأسف ما زال كما هو شخص وضيع لا يتحمل المسؤولية.. آه ذاك الحقير المختل! لو أنني أضع عليه يدي لاقتلعت له حنجرته من مكانها، أردت اصطحاب راما معي لتشهد عيناها دناءته، لكن ميساء أصرت على ذهابي وحدي معها، فوافقتُ بعد توسل كبير من قبلها، ركبت سيارتي وهي إلى جانبي لترشدني إلى النزل الذي حجزاه من أجل ممارسة القذارة في وضح النهار... سأقتلك يا فراس ثم أجهز على نرجس حين أنتهي منك.

طلبت مني ميساء أن أركن السيارة بعيدا قليلا ومتابعة الطريق مشيا والاختباء في مكان مكشوف على النافذة من بُعد لالتقاط صورة قذرة لهما وأغادر، لكن ما لم تعلمه هذه الغبية ميساء أنني لن أغادر كالجبانة هكذا، عليه أن يعلم أنني ضبطه بالجرم المشهود حتى يتوقف عن تمثيل دور الضحية أمام راما، ليعرف بنفسه مقدار انحطاطه وقذارته.

تفاجأت ميساء باندفاعي نحو الباب بدل الاتجاه إلى البقعة التي أشارت علي في الجلوس فيها لاختيار اللحظة الحاسمة لالتقاط الصور، فحاولت اللحاق بي لكنني كنت أسرع منها. فتحت الباب بقلب يغلي وأعصاب على وشك الانفجار ففوجئت بما لقطته عيني لأقف مبهوتة للحظة.

كانت رنيم تجر بفراس فاقدا للوعي من تحت ذراعيه ونرجس تساعدها في حمله من رجليه.
حين لمحتاني صرخت نرجس بميساء التي اقتحمت المكان مرتعبة من بعدي: "نبهت عليك أن تبقيها بعيدة لترى ما سنريها نحن!"
أجابت بصوت مرتجف:" حاولت صدقا!"
زفرتُ باختناق: "ماذا يجري هنا؟"
في تلك اللحظة أغلق الباب بقوة فاستدرت خلفي لأرى وجها مألوفا لي وجه تلك الفتاة المخيفة التي استعنّا بها سابقا في قطع الكهرباء عن الحي، وإلى خلفها تقف فتاة بشعر مصبوغ بالأحمر وعلى طرف شفتها حلق، كلتاهما كانتا تمضغان اللبان مع نظرات مرعبة مستمتعة، أعدت بصري نحو نرجس بغير فهم، ليأتي صوت الفتاة من خلفي قائلة: "اشرحي لها الأمر.. ما من داع لإخفائه أكثر"
ثبتت رنيم ونرجس جسد فراس المرتخي على السرير ونفخت الأخيرة بضيق: "آخ! حسنا لا فائدة من الإنكار في كل الأحوال.... كل شيء كان خطة محكمة بيني وبين رنيم منذ البداية، أنا ورنيم اتحدنا ضدك"
صرخت بها دون وعي: "نعم؟!"
لعقت شفتيها بتوتر وقالت موضحة: "فكرنا بهذه الخطة عقب سماع رنيم لاعترافك بحبك لشقيق فراس الميت لكنني لم أَوَفَّقْ باستدراج هذا الأحمق الملقى أمامك! فقد رفض المجيء معي أو حتى التحدث إلي بحجة ماذا؟ بحجة أن مخطوبته الغالية طلبت منه عدم التحدث مع أي فتاة! عرضت عليه ما يشتهيه أي رجل فأعرض عني! هل تعرفين هذا الشعور؟ لقد أهانني برفضه! فاضطررت إلى التوجه إلى ساشا وطلب المساعدة منها، فخدَّرَتْه وأحضرته لي إلى هنا بمساعدة أصدقائها"

ساشا؟ هل هي الفتاة ذات الشعر الأسود التي تقف خلفي؟ لم يبدو لي أي شيء من هذا منطقيا فالتفتّ ناحيتها بمشاعر مهتاجة ضائعة وصرخت بها: "لماذا؟ لماذا فعلت ذلك؟"

تدخلت رنيم لتتولى الإجابة بنفسها قائلة: "لماذا؟ ربما لأنك فضلت صديقتيك على نرجس؟ فوهبت الأولى إيان على طبق من ذهب ومهدت للثانية للحصول على فراس! أما نرجس فرميتها جانبا غير مكترثة بها! بالنسبة إلي أردت الانتقام من هذا الصعلوك لهربه من عرض والده للزواج بي وفوق ذلك نعتني بجرأة في وجهي بالمجنونة! لذا عليه أن يلقى عقابه... وصح سبب آخر، أردت تدميرك وتدمير صديقتك الشقراء المزعجة!"

بكيت غير مصدقة وأنا أنظر نحو نرجس: "هذا جنون يا نرجس! لم يكن لي يد في ارتباط أي منهما! أقسم على ذلك! إيان اختارت جدته العروس له وفراس كلكم رأيتم تهافته على راما! لا علاقة لي أقسم!"

صرخت بي نرجس باستياء: "كفى! اسكتي ولا تزيدي حرفا! ستحملين هاتفك وتلتقطي صورة حميمية لي مع فراس وترسليها إلى صديقتك الغبية، وإلا اتهمتك أمام الجميع بخيانتك لخطيبك مع فراس كبديل لحبك الأول! وأنشر التسجيل الصوتي لك على مواقع التواصل الاجتماعي ليراك كل مجتمعك كفتاة بذيئة!"

"كلا لن تفعلي! من سيصدقك أصلا!"

صرخت بها بينما أتمسك بأمل زائف فضحكت بخبث وهي تنظر نحو رنيم وقالت:

"سنخدرك ونتصرف بك وبفراس كما نشاء"

وأكملت رنيم: "وحينما ينبذك الكل وخصوصا صديقتك وخطيبك، سأستغل الفرصة حينها لأزحف نحو قلبه الجريح لأضمده له وبعد شهرين ستأتين مذلولة لتشهدي بعينيك زواجي من سمير!"

حقيرة، بل مجموعة حقيرات! وميساء ما موقفها هي الأخرى؟ التفتّ نحوها دامعة العين مصدومة ملجومة، فكانت تنظر نحوي برعب تحاول إخفاءه، وقتها صرخت بها نرجس لتساعدها في خلع ثياب فراس، فركضت صوبهما، ثم تركتا المسكين في سرواله الداخلي فقط ممدا على السرير. سمعت صوت تلك الفتاة ساشا تضحك باستمتاع ثم مرت من جانبي ودفعت كتفي معها حتى وصلت إلى فراس وطلبت المشاركة في تعديل وضعية نومه حتى تستطيع نرجس الجلوس على جسده والتظاهر بأنهما في موضع حميمي.

أسندت ظهره على الوسادة وعدلت وضعية رأسه بينما تتخلص نرجس من ملابسها الثقيلة لتبقى في تنورتها القصيرة وقميص قطني خفيف. وقبل أن تصعد على السرير، اقتربت ساشا تلك من فراس وأمسكت بطرف سرواله الداخلي لتلقي نظرة تحت ملابسه، يا إلهي ما أشد وقاحتها! ثم قالت مستمتعة: "واو! تلك الشقراء كانت لتكون محظوظة!"

ضحكت صديقتها ذات الشعر الأحمر ضحكة مزعجة بينما أثار تصرفها خجلي وخجل ميساء، وحتى نرجس لمحت على وجهها احمرارا طفيفا.

صعدت نرجس على السرير متوترة فهذه أول مرة تتجرأ على صنع مشهد كهذا، أنا أعرف نرجس، إنها فتاة صاخبة تحب أن تتسلى بالشبان لكنها لم تتعدى الحدود مع أي شاب، وفكرة أن تعتلي حضن فراس لم تكن فقط مخجلة بل صعبة التطبيق. ومع الكثير من الحث من قبل رنيم استقرت جالسة في حضنه، أشارت عليها رنيم بتقبيل شفتيه وأمرتني بالتقاط الصورة، فضممت هاتفي إلى صدري ودموعي تجري على خدي، فعلقت صاحبة الشعر الأحمر قائلة: "هذه الفتاة تقتل المتعة! يا لها من مملة!"

نظرت نحو رنيم بسخط وتحدٍّ فذكرتني بتهديدها، ومع ذلك لم أتحرك، لا يمكنني فعل ذلك براما، فراس كان صادقا معها فعلا وأنا ظلمته! إنه يحبها بصدق ستتحطم أمامي إن شاركتهن بهذا!

زفرت صاحبة الشعر الأحمر نفسا مستاء آخر، وصرخت بي نرجس قائلة: "هيا قبل أن يشعر بي ويستفيق! التقطي الصورة!"

هززت رأسي بنفي والدموع تكفلت بإخبارهن مقدار انزعاجي، فنهضت صاحبة الشعر الأحمر عن كرسي كانت تجلس عليه، ثم خطفت الهاتف من يدي عنوة وشغلت الكاميرا ووجهتها نحو نرجس التي عادت إلى وضعيتها في التهام شفتيّ فراس والتقطت الصورة ثم دخلت إلى تطبيق الرسائل، فهممت بإيقافها لكن رنيم أسرعت فأمسكت بي. ثم أَرْشَدَتْها إلى اسم راما بين قائمة الأصدقاء، حاولت التخلص عبثا من قبضة رنيم لكنني لم أتمكن، صرخت وبكيت وتوسلت لكن تلك الفتاة لم تستمع إلي فأرسلت لها الصورة وقد كتبت تحتها التعليق الآتي: "قلت لك منذ البداية أنه رجل خبيث وكاذب، لم أرد أن تعرفي بهذه الطريقة لكن لا حل آخر"

راما

لم ألمح فراس طيلة اليوم، بحثت عنه في الملعب وفي كلية الهندسة والأماكن الأخرى التي يقضي فيها أوقات فراغه لكنني لم أجده كما أنه لا يستجيب لمكالماتي الهاتفية.

مالت سيلينا نحوي مع محاولتي الجديدة للاتصال به لتقنعني بالعودة إلى البيت، حدسي ينبؤني أن ثمة مشكلة ما لكنني لم أعرف ما هي أو ما يمكن أن تكون، خشيت أن يكون أصيب بمكروه ما، في ذاك الوقت وصلتني رسالة من لورا، فتحتها لأطلع على فحواها.

لوهلة لم يتمكن دماغي من تحليل الصورة أمامي فقد أصيب بشلل فكري. تجرعت من ريقي ببطء وعيناي لا تتزحزحان عن الصورة، أما سيلينا فلطمت فاها مع شهقة أعادتني إلى الواقع، فأسرعت بالاتصال بلورا ولم تجب من فورها بل استجابت في اللحظة الأخيرة من الرنين، تنفست بألم وأنا أصرخ بها: "ما معنى هذا يا لورا؟ هل هذه مزحة سمجة من قبلك؟"

شهقت كأنها كانت تبكي، صرخت بها مجددا لأفهم وسيلينا تحاول تهدئتي فقالت لورا أخيرا بعد تردد: "تبعته حينما رأيته مع نرجس... لقد حجزا نزلا سياحيا لهما... أردت حمايتك وإظهار... حقيقته النجسة .. أمامك"

يدي بدأت ترتعش بل جسدي كله أخذ يرتعش، رميت الهاتف من فوري على الأرض فكسرت شاشته، احتضنتني سيلينا كي أهدأ لكنها لم تستطع ترويضي بل دفعتها وركضت إلى خارج الجامعة لأجوب الشوارع وحدي متجاهلة هتافها لي ومحاولة لحاقها بي، قفزت بين السيارات دون وعي فأطلق لي هذا زامورا وأخرج ذاك رأسه من النافذة ليشتمني، تسببت بأزمة سير لكنني لم أهتم.

سيلينا لم تستطع اللحاق بي لأن حارسها أوقفها فورا حينما عبرتُ الشارع المزدحم بالسيارات دون اكتراث لحياتي.... نعم لم أكترث لحياتي... كل شيء بالنسبة لي انتهى... كل أحلامي، آمالي، مستقبلي المزهر، صورة تكسرت في قلبي وتناثر الزجاج ليغطي جسدي ويملأ قلبي بالجروح.

شعرت بقطرة مطر تهبط من السماء فأصابت رقبتي المنحنية للأسفل، رفعت رأسي لأستقبل الغيث الذي قرر معانقة السماء والاستراحة على الأرض في هذه اللحظة، ثم

صرخت بأعلى صوتي متجاهلة كل إنس حي من حولي، لقد تدمرت وانتهيت، راما انتهت اليوم وغادرت الدنيا بلا رجعة.

تأخر الوقت وغابت الشمس وما زلت أجوب الشوارع بغير هداية، ضائعة الإحساس، مسلوبة المشاعر، لا اكتراث لي بما قد يحصل لي.... حين... ومض ضوء تلك السيارة أمام عيني.

ومن خلال الضباب المتشكل على بؤبؤ عيني من الدموع المخلوطة بالأمطار تمكنت من لمح طيف لشخص يهبط من سيارة جيب عملاقة، كانت فتاة ذات شعر أسود وحينما اقتربت أكثر مني تمكنت من تحديد ملامحها، إنها تلك الفتاة المخيفة التي تحتل الحمامات في الطابق الأول كل صباح، تراجعت إلى الخلف قليلا فقالت: "تبدين تائهة يا حلوتي، هل تحتاجين إلى توصيل؟"

أومأت رأسي بالرفض، فقالت قبل أن أهم بالابتعاد: "الوقت متأخر... وفتاة وحيدة تبكي في عتمة الليل تعد صيدا سهلا للذئاب البشرية، تعالي معي وسأوصلك إلى أي مكان ترغبينه"

التفتّ نحوها مترددة فمدت لي يدها تشجعني على الاستماع لطلبها.............

الفصل الثلاثون

توقفت السيارة مباشرة أمام المبنى الذي أعيش فيه، التفتت تلك الفتاة نحوي والتي عرفتني عن نفسها باسم ساشا وقالت: "هل أنت متأكدة يا حلوتي بعدم رغبتك في التنفيس عن استيائك بواحدة؟"

كانت تشير إلى ما بين إصبعيها، لفافة التبغ، فأجبتها: "لا شكرا لست مدخنة"

أشعلتها عقب رفضي ثم وضعت طرفها الآخر بين شفتيها، لتخرج دخانا من منخريها وفمها، ثم عانقت لفافة التبغ ثانية بين إصبعيها السبابة والوسطى ونظرت إلي قائلة: "إذا احتجت أي مساعدة فقط اتصلي بي"

أخرجت قلما من جيب بنطالها الممزق وخطفت يدي من حجري وسجلت رقمها على باطن كفي، غمزتني مع ابتسامة جانبية وعادت تنتقم من لفافة التبغ لتقضي عليها. تأملت تلك اللفافة التي شعرت بأنها شبيهة لي، بل لجميع الفتيات على الأرض... فنحن لسنا إلا لفافة تبغ بين أصابع هذا وذاك ما إن ينتهي منك حتى يرميك تحت قدميه ليدوسك ثم ينشغل بإشعال أخرى ليتسلى بها، لماذا لم أكن ألمح هذا المنظور من قبل؟ يبدو أن خبرتي في الحياة لن تكون أحسن حالا من خبرة أمي، آمنت في تلك اللحظة بأن منطق أمي في الحياة هو الصحيح، لكن بعد ماذا؟ بعدما تحطم قلبي وهوت جميع أحلامي؟ بعدما دمر مستقبلي وتلاشت معاني الحب من قاموسي؟

اتجهت بخطى مثقلة إلى باب الشقة، لم يخطر في بالي التفكير بأمي وقلقها علي لأن فراس احتل كل تفكيري لليوم، ماذا علي فعله الآن؟ ماذا بعد؟ فتحت الباب بعدما استجمعت أنفاسي فترددت أصوات عديدة إلى أذني، وما هي إلا أقل من ثانية حتى رأيت المكان أمامي يضج بثلاثة أشخاص، اقتربت أمي من بينهم باكية دامعة العين لتسألني أين كنت، لم

أعطها جوابا محددا واكتفيت بالهمهمة، فرفعت يدها دون تفكير وصفعتني على وجهي، فتراجع جسدي وارتطمت بالباب، أسرعت سيلينا نحوها لتهدأها لكنها لم تكن لتهدأ بل قالت وهي تصيح بي: "انتحرت من أجل أن يعبرك بنظرة! نصحتك بألا تتعلقي بأحد، قلت لك أن الحب مقبرة... والآن هذا؟ بالطبع سيحصل ما حصل! مع شاب بمواصفاته وأمواله بالطبع سينظر إلى أخرى بل أخريات! هل تظنين الشبان من أمثاله يتمتعون بالعفاف؟ هؤلاء مرت عليهم تجارب بعدد شعرات رأسك، لكنك كنت ساذجة لكي لا تري! نصحتك بأن ننتظر يومين لنسأل عنه لكنك أبيت!"

طوال صراخهاعلي كنت ألمح الصورة أمامي ترتج وكانت كل من لورا وسيلينا تحاولان تهدئتها، ثم بدأت تلطم وتنوح: "ماذا سأقول لأبيك؟ في أي موقف صعب وضعتني! كله بسببك وبسبب غبائك...."

سمعت طرقا خلفي على الباب وصوت إحدى جاراتنا تهتف لأمي لتسألها عن الخطب، وإلى هنا لم أعد أحتمل فصرخت، نعم صرخت. بل استسلمت لنوبة صراخ هستيري جعل كلا من لورا وسيلينا تخران على ركبهما من شدة الخوف. ثم ركضت نحو المطبخ وبدأت بتكسير ما تطؤه يدي وأمي يزداد صراخها ونواحها، شعرت بألم في رأسي من كثرة ما صرخت حتى لم أعد أدري ما يحصل حولي رأيت السواد يعتكف عيني وقد فرش الحداد الأبدي بينهما، وفراس داخل هذا السواد وهو يحلق عاليا ينظر نحوي مقطب الجبين حتى اختفى من مرأى بصري ومعه فقدت الإحساس بكل شيء.

سيلينا

فور النوبة الهستيرية التي أصابت راما أغمي عليها وتبعتها أمها بالإغماء فبدأت بالبكاء والصراخ، ولورا تشد شعرها وتلطم كلا منهما على خدها لتستفيق، وإحدى الجارات

اقتحمت البيت على أصوات الصراخ القادمة من كل مكان، صراخي وصراخ لورا وسارة المسكينة المختبئة بين الأرائك ووسيم الذي بُحّ صوته من داخل غرفة والديه، كان الجو العام جوا مأساويا ولم نعرف كيف نتصرف إلا حينما أمرتنا الجارة بالاتصال بالإسعاف فاتصلت بإيان بدلا من ذلك لينجدنا.

في طريقه إلينا اتصل بعمر الذي كان ينتظرني في السيارة لأراه يقتحم البيت بجثته العملاقة وقام بحمل كل من راما وأمها على الأسرة في غرفة راما، وأمر لورا بلهجة غليظة بتفقد الرضيع الذي لم يهدأ له صوت.

بعد مرور بعض من الوقت، كنت أضم سارة إلى حجري وأطمئنها إلى أن كل شيء سيكون بخير، بينما إيان كان برفقة الطبيب في غرفة راما ليعاين الأم وابنتها من أي صدمات أو إصابات، وألح على إيان باصطحابهما إلى المشفى للتأكد من كونهما بخير.

لورا من جهة أخرى تمكنت من طرد الجارة دون تقديم تبريرات، واكتفت بالوقوف إلى جانب النافذة وبين ذراعيها يختبئ جسد وسيم الصغير، وعيناه تخبران بمدى الرعب الذي يحياه الآن.

استغللت الفرصة لأسألها عن فراس وعن مدى صدق الصورة الملتقطة له، فقالت:

"القصة صحيحة وكثرة الحديث فيها لن تأتي بالخير"

لا أدري، لا أستطيع تصديقها، هناك شيء مريب في الأمر كله، مثلا كيف تمكنت من التقاط الصورة من مسافة قريبة كهذه؟ وماذا كان رد فراس؟ أعني يستحيل ألا يراها وهي بهذا القرب؟ أوصل به حد الوقاحة أن يمارس المنكر مع صديقتها أمام ناظرها؟ لن يفعلها إلا كان مخبولا! شيء ما في روايتها غير منطقي، فقط لو أنه حضر اليوم بدلا من اختفائه المفاجئ!

نظرت نحو جهاز راما الذي كان بين يدي بعد أن تسببتْ بكسر شاشته ثم ذهبتُ إلى عمر لأطلب منه أن يخبئ الجهاز معه حتى أصلح شاشته فدسه في جيب سترته مطيعا.

عاد والد راما من العمل بعد أن كلمناه هاتفيا، وشرح له إيان القصة التي فهمها مني، تغير وجه الرجل المسكين ولمحت عروقه تتشنج، ثم لعن وشتم بصوت منخفض وهو يهتف: "قلت لنفسي كانت خطبة البنت أسهل مما تصورت.. لا شيء يأتي بسهولة يدوم! لا أصدق بأنني خدعت به هكذا"

كان إيان يراقب انفعالات والدها ثم قال: "أنا أعتذر لتدخلي، لكن دعنا لا نحكم عن طريق صورة... لو تستجوب الشاب أولا وتفهم منه.."

شعرت بلورا تتشنج وهي واقفة بجانب النافذة، لكنه قاطعه محتدا: "كلا! لن يدخل بيتي وإن لمحته فسأضرم في جسده النار، سأطلق رصاصة بين عينيه وأنسيه حليب أمه!"

نفخ إيان بضيق وقال: "اهدأ يا رجل! إن كان ما يُزعم عنه صحيح فالحمد لله أنكم اكتشفتم الأمر الآن قبل أن تبتلى البنت به! هي مازلت مخطوبة وهذا أخف ضررا! العنجهية لن تنفعك، أنت رب منزل ولديك عائلة ومسؤولية، ورجل بنفوذ عدنان سينسيك أنت حليب أمك، فاهدأ وعالج الأمر كما يعالجه الرجال، إن كانت مخطوبة دون قِران فسيسهل عليك فسخ الخطوبة دون إحداث الكثير من الأضرار"

بالرغم من صغر سنه إلا أنه بدا أكثر نضجا من والد راما في حديثه، فحمدت الله أنني جئت به إلى هنا فهو صاحب عقل راجح وسليم التفكير. ثم أعقب: "لكنني أنصحك.. احتوي البنت عقب ما جرى لها لئلا تتطور إلى مشاكل أخرى لا تحمد عقباها"

أشاح والدها وجهه إلى الجهة الأخرى وأخرج لفافة تبغ وبدأ بتدخينها بحقد وغضب، ففهمت أنه لن يستمع إلى نصيحة إيان الأخيرة، فوا أسفاه! قلبي معك يا راما.

أصررت على المكوث حتى تستفيق راما وأطمئن إلى صحتها بعد رفض والدها اصطحابها أو اصطحاب زوجته إلى المشفى، قائلاأنهما ستسعيدان وعيهما وتعودان إلى طبيعتهما.

لم يكن كلامه صحيحا مئة بالمئة، فهما استفاقتا لكن راما لم تبد لي بخير، عيناها الزرقاوان مظلمتان بنظرات مخيفة، وسكوتها المفاجئ دب في داخلي مشاعر بالخوف أكثر.

اضطررت في النهاية إلى المغادرة، وأكاد اقسم بوجود حلقة مفرغة لم ترويها لورا، ثمة شيء خاطئ في قصتها لم توضحه لنا، وأثارت ريبتي بتكتمها وعدم التحدث به مجددا على مسامع راما، على عكس ما تفعله دائما إن وجدت نفسها على حق.

كان من المستحيل أن أحصل على تطورات عن موضوع راما فهاتفها بحوزتي، وأمها لا تستجيب لاتصالاتي. أوصيت عمر بأخذ هاتفها إلى محل موثوق لإصلاح شاشته، فكرت بفراس ووضعه الآن وتبريره لما جرى، ربما يحاول التواصل معها حاليا، لست أدري فهي تسببت بتحطيم الشاشة بشكل سيء، لكنني أرجو أن يتم تصليحه.

لم أتمكن من النوم مطلقا فنهضت عن السرير مرتبكة حائرة بأمر راما، خرجت نحو المطبخ لأشرب بعض الماء لكنني توقفت في الطريق حين لمحت ضوءا من مكتب إيان، ما الذي يفعله في وقت متأخر كهذا في مكتبه؟ هممت بالتوجه إليه لكنني توقفت حالما سمعت صوتا يتحدث، ولم يكن الصوت عائدا إليه، فأنا أميز صوته من بعد أميال.

اقتربت بحذر وأصغيت أكثر فعرفت هوية الصوت، لقد كان سمير! لكن ما الذي يفعله سمير هنا في كل الأحوال؟ أرخيت أذني لأسمع حديثهما فسمعت صوت سمير المنخفض يقول: "أنا ضائع، فعلا ضائع! ووقعت بين نارين فذاك يقول أنه ملعوب من لورا وصديقاتها وتلك تبكي دفاعا عن نفسها وهي تعرض لي الصورة مرارا وتكرارا."

سأله إيان: "هل خطر في بالك أن تعرض الصورة على خبير؟ يعني للتأكد من أنها غير مفبركة"

تنهد قبل أن يجيب: "طبعا فعلت، الصورة حقيقية ولم يتم التلاعب بها"

سأله إيان بحذر: "وكيف وضعك مع لورا الآن؟"

- "حاليا... طلبت منها مساحة لأفكر في الموضوع وأعرف أيهما الصادق، أما فراس... لا أعرف ما أقوله بالنسبة له"
- "ماذا تقصد؟"
- "أعتقد أنه أصيب بنوبة جديدة من ... ربما أنت لا تعرف عنه هذه المعلومة.. لكن فراس مصاب بالاكتئاب"
- "اكتئاب؟!"

استطعت تخيل وجهه وهو يعيد الكلمة متسائلا، بينما يقطب حاجبيه كما يفعل عادة عندما يصدم من شيء ما، ثم أجابه سمير: "القصة طويلة... كان له أخ توفي قبل سنين ولم يتقبل وفاته فأصيب بالاكتئاب وصدف أن راما تملك الوجه الشبيه تماما بأخيه، رحمة الله عليه"

عم صمت بينهما، ثم قطعه إيان مستفسرا عما حل بفراس الآن فقال سمير: "حسنا علمت من والده أنهم سيعرضونه غدا على طبيبه النفسي لزيادة جرعات الدواء أو تهدئة انفعاله، لقد حاول الذهاب إلى بيت راما ليدافع عن نفسه لكن والده رفض وحوط غرفته بالحراسة ليمنعه من الخروج، فأصيب بانهيار أدى إلى فقدانه وعيه ونقلوه إلى المشفى... وما زال تحت الرقابة هناك... أرأيت لماذا لا أستطيع تصديق قصة لورا؟ لماذا قد يصاب بانهيار إن كان يتلاعب بمخطوبته أو يخونها؟"

سأله إيان مترددا: "لا أريد التدخل في خصوصياته أكثر لكن أنت أعلم الناس به، هل كان له علاقات عابرة مع الفتيات سابقا؟"

نفخ سمير بضيق وأجاب: "ليس على حد علمي! لا أنكر أنه يحب التباهي بوسامته ومواهبه أمامهن! ولا أنكر أنه يحب فكرة كونه شعبيا بينهن، وأنه لا يصد أي فتاة تتحدث إليه... من جهة أخرى يبقي حدودا لأنه لا يؤمن بأن أي فتاة قد تقبل به مع حالته المرضية.. لكنه لم يتمكن من الالتزام بهذه الحدود مع راما، أظن أنه فعلا أحبها"

سقط قلبي من جحره حين أجاب إيان: "لا ألومه"

غطيت فمي حتى لا يسمع أنفاسي التي بدأت تتسارع، فقال سمير: "إيان! أنت متزوج! ومن صديقتها بالذات!"

أجابه مسرعا: "لا أنت فهمت قصدي خطأ، ما عنيته.. هي فعلا فتاة حبابة تجذب القلوب، لقد جذبتني سابقا، أم نسيت؟ لكن الآن لا.. لا أشعر بشيء تجاهها كأنها كانت مجرد حلم جميل استيقظت منه...."

- "على واقع أجمل؟"

عانقت وجهي بينما أستمع إليه وهو يجيب: "ربما..... سيلينا تعطيك انطباعا بأنها هادئة جدا لكن لها تلك الشخصية... لا أدري كيف أصفها لكنها تغرز شيئا عميقا هنا في قلبي... أستطيع أن أقول أنني أحب رؤيتها ، وأرتاح حينما أتأملها وحينما أسمع صوتها.. إنها عذبة، لا أتخيل حياتي دونها، كما أنني.... هذا سر لا تقل لأحد.. إنني أغار عليها، لم أشعر من قبل بهذا الشعور تجاه راما... عندما تثير غيرتي فإنني أتحول إلى شخص آخر مخالف لطبعي! كوحش! كأنني لا أريد مشاركتها مع أحد، أريدها لي وحدي "

- "أنا أراها هادئة وخجولة وقليلة اختلاط"

- "لا، بل هي أكثر من ذلك، في شخصيتها أسرار... لم ينشغل بالي قط بأي امرأة كما تفعل هي بي، ليست كما ظننتها بل عكس ما توقعته منها وعرفت ذلك حينما تعاملت معها لأول مرة، كنا في قارب فراس، لقد هاجمتني وأهانتني، لم تجرؤ أي فتاة من قبلها على فعل ذلك بي، ربما هذا ما جذبني إليها من الأساس لكنني كنت أحاول إقناع نفسي بالعكس"

أجابه سمير: "أنت قضية تائهة يا رجل"

ضحك إيان بخفوت ثم همّ سمير بالمغادرة قائلا بأنه سيحاول التواصل مع والد فراس مجددا ليعرف آخر أخباره، فأخذت ذلك كإشارة لي لأهرب نحو الغرفة بسرعة قبل أن يلمحني أحد منهما.

عاد إيان إلى الغرفة بعد وقت وتظاهرت بالنوم، شعرت به يصعد على السرير، ثم استشعرت شفتيه على ذراعي العارية وهو يقبلها ثم همس في أذني: "لا تسترقي السمع مرة أخرى، لو علمت منذ البداية بوقوفك خلف الحائط ما بالغت بسرد أسراري"

احمرّ وجهي بشدة وأحكمت إغلاق عينيّ، فتسلل صوته وهو يضحك إلى مسامعي ثم استلقى إلى جانبي وجذبني بين أحضانه، ثم نفث أنفاسه قائلا: "ما الذي صنعته في قلبي أيتها الجنية الصغيرة؟ عديني بشيء واحد.. لا تتخلي عني"

أحمق! إني أحبك بجنون فلا أستطيع تخيل نفسي أبتعد عنك، لكن ربما تأثر بقصة راما وخشي من تكرارها ونكون نحن الضحية التالية وهذا ما كنت أخشاه بدوري.. قبّلني على رأسي وأمرني بالنوم حتى أستطيع مؤازرة صديقتي غدا بكل طاقتي.

للأسف لم تأت راما إلى الجامعة في اليوم التالي، حاولت التواصل مع أمها لكنها لم تستجب لي فازداد رعبي عليها، قررت الذهاب إلى كلية الهندسة لعلي أجد جولي أو رشا لأسأل عن فراس، لكن باءت محاولاتي بالفشل، آه كم أكره أن أشعر بالضياع هكذا!

تواصلت مع لورا ووجدتها في حديقة الكلية بوجه شاحب مهموم، سألتها عن الخطب متظاهرة بعدم معرفتي بأخبارها من سمير، فشرحت لي ما قاله خطيبها بالضبط في الأمس، جلست إلى جانبها وقلت: "وهل تلومينه؟ لا تنسي أن فراس صديق طفولته، هو لن يعطيه ظهره أيضا... إذن ما أخبار فراس؟ ما دمت جارته لا بد أنك تعرفين"

هزت رأسها منكرة وقالت: "لا أعرف... فالخبر الذي سربته تسبب في صدع في علاقة عائلتينا... لذا لا أعلم شيئا عنه"

استغللت جهلها وقلت: "سمعت من إيان أنه في المشفى تحت المراقبة إثر انهيار أصابه"

التفتت برأسها ناحيتي بعينين مثقلتين بالهم والندم ثم بكت، وبدأت ترتجف مع بكائها، حاولت أن ألمسها لأمسح على ظهرها لكنها أجفلتني بنهوضها بسرعة، وركضت هاربة من أمامي. ما الذي يجري معك يا لورا؟ هل حقا أمسكت به متلبسا في أحضان فتاة أخرى لهذا أصبت بالهم؟ أم أن خلف قصتك تفاصيل مخفية تثقل ضميرك؟

راما

الكابوس يعاود اجتياح نومي ويقظتي، فكل ما أراه الآن صورة نرجس تعتلي حجر فراس، كيف لي أن أمحو هذه الصورة من مخيلتي؟ كنت مثقلة بحطامي وانكساري ولم أهتم لأي كلمة خرجت من أمي أو أبي لأنني ببساطة ألغيت تفعيل وضع الاستماع فدخلت في عالم خاص بي ألمح فيه خيالات تتحرك بلا أصوات مفهومة كأنني انعزلت عن العالم وعلقت في حقبة زمنية أخرى تفصلني عن الحقبة القديمة بزجاج عازل للصوت والرؤية،

كنت في ذات الوقت أسمع الجدال والصراخ بين والدي لكنني لم أفهم كلمة واحدة مما تقال، كانا يتشجاران بسبب قصة فراس، هذا ما رجحته، لكن يكفيني من الغم الآن خيانته لي، فأن أنصت جيدا لما يدور حولي فربما يتسبب في قتل خلايا دماغي، أو على الأقل ما تبقى سليما منها. التزمت الفراش ولم أغادره طيلة اليوم لكنني قررت في اليوم التالي الذهاب إلى الجامعة فقط لأهرب من أجواء البيت المشحونة، أريد أن أنسى مافعله فراس، ووالداي لم يكونا أهلا بمساندتي في ذلك لذا يجب أن أجد ما يلهيني.

استوقفتني أمي قبل أن أخرج وهي تحدجني بسخط: "أين تظنين نفسك ذاهبة؟"

ببلادة قدمت إجابتي: "الجامعة!"

زاد غضبها فقالت: "لا لن تذهبي! تريدين رؤيته حتى يضحك عليك بكلمتين!"

فتحت الباب وأنا أنظر نحوها بتحد ثم أجبتها: "أنا ذاهبة.. وفري سخطك وكلامك بشجار جديد مع أبي ربما يكون مزاجه أفضل مني لسماع كلامك!"

ثم أغلقت الباب بعنف خلفي تاركة إياها في الداخل ملجومة وكأن قطا أكل لسانها فعجزت عن الرد.

حينما وصلت لمحت ظهر سيلينا في الطابق الأول تقف عند باب المحاضرة كأنها تنتظر أحدا، ربما أنا، فهربت قبل أن تراني واختبأت في الحمام، لا طاقة لي بمواجهة أحد أو التظاهر بالتماسك حين أُسأل عن حالي. كيف سيكون حالي؟ بالطبع مدمرة!

استشعرت حركة من خارج الحمام ثم فوجئت بساشا تقتحم المكان برفقة مجموعة من الفتيات، حينما رأتني ابتسمت بمكر، فاقتربت مني وقالت معاتبة: "توقعتك أن تتصلي بي"

أجبتها ببرود: "لا أحمل هاتفا.. لقد كُسر"

اتكأت عند النافذة وأخرجت لفافة تبغ وبدأت في تدخينها ثم مدتها إلي قائلة: "هل أنت متأكدة من عدم رغبتك بواحدة؟"
أومأت بالرفض فضحكت الفتاة ذات الشعر الأحمر برفقتها وعلقت ساخرة: "إنها شقراء! ماذا توقعت منها؟ الشقراوات مشهورات بخوفهن ودلعهن الزائد"
نظرت نحوها بتحد، لو كنت راما السابقة لشعرت بالخوف منها وهربت، لكن راما الآن فتاة أخرى، لا قلب لها لأنه ببساطة يُركل تحت رجليه الماهرتين بلعب الكرة، اقتربت منهن متجردة من خوفي ثم قلت لساشا: "ربما بعد التفكير ثانية، نعم أحتاج واحدة"
ابتسمت ساشا ابتسامة تنم عن الرضا وأشعلت لي لفافة تبغ لأنتقم منها بين شفتي بينما أتخيل أنها فراس يحترق بين أصابعي، وبالرغم من كرهي لفكرة التدخين إلا أن ذلك ترك أثرا عجيبا بي فشعرت بشيء من الراحة، وخصوصا أنني أتخيل فراس يتعذب بين أصابعي كما فعل بي.
أطلت سيلينا برأسها في المكان ثم شهقت وقالت: "لم أصدق عمر في البداية حين قال لي أنك رأيتني وهربت! ماذا تفعلين مع هؤلاء؟ وما هذا في يدك؟"
اتكأت على حوض المغسلة خلفي وقلت: "ماذا تريدين؟ "
أجابتني وهي تنظر في وجوههن برعب: "تعالي معي!"
استنشقت مجة من اللفافة جعلتني أسعل كونها أول مرة أقوم بالتدخين وأجبتها: "الجو جميل هنا"
أجابتني باشمئزاز وهي تراقب سعلتي: "نعم واضح!"
أبعدت وجهي عنها في ضجر، فهتفت لي مجددا بأن أرافقها لكنني رفضت وقد تعمدت هذه المرة أن أرفع صوتي عليها، انكمشت مكانها وقفز حارسها داخلا على أثر صوتي، ثم

وقف أمامها وحثها على الخروج رغما عنها، فبدأت الفتيات في الداخل يشاكسنه بأصوات مواء وزمجرة حتى اختفيا من المكان، ثم انفجرن جميعهن بالضحك، ما عدا ساشا التي كانت تراقب انفعالاتي باهتمام. ثم قالت: "أتعرفين؟ لا أحد يستحق أن تكتئبي لأجله، أقول لك نصيحة؟ من كسر قلبك اكسري قلبه، حولي قلبه إلى معجون تداعبين أصابعك به ثم تلقيه جانبا لتغسلي يديك منه، انظري إلى المرآة خلفك"

أطعتها واستدرت برأسي نحو المرآة فاقتربت من خلفي وهمست: "من أكثر إنسان يعرف هذا الوجه وما يضمره داخله؟ هذا الإنسان هو الوحيد الذي يجدر بك الاهتمام له فيا ترى من يكون؟ الإجابة واضحة إنها أنت، فلا أحد يعرفك كما تعرفين أنت نفسك!"

كلامها بدا لي منطقيا، نعم أهم شخص علي الاهتمام بمشاعره هي أنا، ومن حطمني علي تحطيمه في المقابل، فالحياة ديون وكما تدين تُدان.

فوّت على نفسي المحاضرة الأولى، كنت برفقة هذه الفتاة ساشا أكمل تدخين لفافة التبغ خاصتي فوضعت لنفسي تحديا بأن أكملها لآخر نفس فيها مقاومة السعال الشديد الذي أصابني.

علمت من إحداهنّ أن سيلينا في الخارج واقفة عند الباب كأنها تنتظرني، لكنني لم ألق بالا، لم أقصد بتصرفي أنني أكره سيلينا أو أرغب في أذيتها الأمر وما فيه أن قلبي كان ميتا فلم يستطع أن يخفق لأحد، ثمة فتور أصابني تجاه جميع البشر، كنت آمل أن تكون مرحلة وتمضي وأعود إلى حياتي السابقة، لكن كيف سأعود دون فراس؟ كلما فكرت به وشعرت بالدموع على وشك إلقاء هجمة في عيني أستنشق لفافة التبغ بنهم حتى أقاوم الدموع، وأحول مشاعري من حزن إلى غضب وسخط.

خرجت بعد فترة طويلة من مكوثي في الداخل وأكاد أقسم أن رائحة الدخان تنبع مني وكأني أنهيت تدخين علبة كاملة بينما في الواقع حصلت على اثنتين فقط.

حينما خرجت كنت ما زلت أسعل وأقاوم السعال أيضا، فلمحت سيلينا جالسة على أحد المقاعد الحجرية بجانب الحمام، قطبت جبيني وسألتها: "أليس لديك محاضرة الآن؟"

أجابتني متجهمة الوجه: "لم أستطع الذهاب وتركك معهن هكذا! راما أنت تتعاملين مع حزنك بطريقة خطأ، هل جربت أن تتحدثي إلى فراس؟ ربما كان له حجة!"

رفعت إصبعي بوجهها لتسكت بينما أحدجها بغلظة: "سيلينا! هل تتهمين لورا بالكذب؟ افهمي يا بنت لا يوجد رجل صالح على وجه الأرض كلهم أنذال، أم غسل زوجك الطاهر دماغك الساذج؟!"

حينما لفظت آخر عبارة كنت أتحدث بتهكم واضح، فغضبت ودفعتني من صدري بقوة وقالت: "جلست معهن ساعتين وتمكّنّ من تشويه شخصيتك؟"

هممت بالرد عليها ودفعها عن طريقي حين فقدت القدرة على الرمش أو حتى الحركة، تعجبت سيلينا لما أصابني فالتفتت خلفها لترى ما وقعت عيني عليه، فلمحته واقفا هناك في نهاية الممر بمظهر أشعث، وعينين متعبتين، كان مظهره يرق له الحال وتخضع له القلوب حزنا، لكنني استدركت وتذكرت الصورة، ما أراه أمامي ليس حقيقة وإنما خداع! إنه ماهر بالتمثيل، وغد ونجس، لقد خانني بل وفعلها بقلب جامد والآن بعدما كشفته لورا يريد تمثيل دور الضحية المسكين! لن أسامحه، لن أسامحه أبدا.

اقترب ببطء منا، كان الممر شبه خالٍ تقريبا؛ فالطلبة لا يحبذون التواجد في هذا الممر في وجود عصابة ساشا في الداخل، فإما يلتزمون داخل القاعات أو ينتشرون في أي مكان في الكلية أو خارجها.

اقترب فراس أكثر حتى أصبح أمامي يفصلنا عن بعضنا جسد سيلينا، بدا عليه التعب وثمة شيء غير سليم فيه، خدوش تملأ وجهه، عيناه ذابلتين، على فكه الحليق نبزت لحية جعلته يبدو أكثر ضياعا، إما أنه ممثل بارع أو أنه شعر بالندم لخيانته، في كلا الحالتين لن أرضخ له فالخائن مرة يخون كل مرة.

فتح فمه هامسا بصوت مبحوح باسمي ثم ابتلع ريقه وقال: "والدك طردني ولم يستقبلني... وأمك اتصلت بالشرطة لتبعدني عن الباب"

متى حصل هذا؟ أردت سؤاله لكنني لم أقدر على النطق بحرف واحد ثم تابع: "أنا مظلوم! لم أخنك، لورا كاذبة أقسم على ذلك!"

هنا صرخت به فأجفلت سيلينا: "اخرس! يا لك من ثعلب! يجب أن تحصل على الأوسكار على تمثيلك المتقن!"

أراد أن يتكلم لكنني أخرسته من جديد، ثم لمحت إيان يتقدم من خلفه نحونا، فأشرق وجه سيلينا لكنني أسرعت بتصرف كلفني خسارة لم أدركها في لحظتها إلا حينما وقع الأمر.

تعديت كلا من سيلينا وفراس متجهة نحو إيان، فتوقف إيان في مسيره وهو ينظر نحوي متشككا خصوصا أن نظراتي لم تحمل خيرا، تابعني فراس وسيلينا بعيون تحمل الفضول، ثم استقررت واقفة بجانب إيان، التفتّ نحو الآخرين فرأيت ساشا قد خرجت لتشهد ما يحصل، وربما رؤيتي لها دب في قلبي الشجاعة حين تذكرت نصيحتها لي بأن أفكر بنفسي فقط.

وضعت يدي على صدر إيان فشهقت سيلينا، أما إيان فشعرت به يتكهرب من لمسي له ثم قلت موجهة حديثي لفراس: "هل تعرف أن إيان طلبني للزواج قبلك؟"

سقطت ملامحه كأنني سكبت على وجهه دلو ماء حار ثم تابعت مع ابتسامة سمجة: "خسارة! أضعت من يدي شابا لذيذا من أجل من؟ من أجل أحمق مثلك! لو يعود بي الزمن لقبلت به زوجا، انظر إليه، شاب ثري ووسيم وحسن السلوك! إلى ماذا تطمح الأنثى أكثر من ذلك؟ سأكون صادقة معك هنا، لقد أعجبت به فترة..."

نطقت سيلينا بوجه مغدور: "راما؟ ماذا تفعلين؟"

نظرت نحو إيان الذي كان مستسلما لخجله، ثم وقفت على رؤوس أصابعي لأطبع قبلة على خده. في البداية تسمر مكانه ثم ابتعد قليلا حينما أنهيت القبلة ونظر نحوي بعينين مصدومتين فأسرعت سيلينا نحوي بعدما دفعت فراس عن طريقها ووجهت لي صفعة حارة آلمتني كان لها صدى في الممر الطويل، ثم صرخت: "أنت غير معقولة! لا أصدق أنك نفسك راما! إذا كنت غاضبة من فراس فما ذنبي أنا لتجرحيني؟ أظهرت لي أنك أنانية، لقد خُدعت بك للأسف!"

ثم أخرجت من حقيبتها هاتفا، أدركت فورا بأنه هاتفي، لم يخطر في بالي أن أتساءل عنه لأنني ظننت أنني كسرته، وتركته مكانه، رمته علي فاصطدم بصدري فأمسكت به وأنا أتأوه ثم قالت بين دموعها: "أنت لا تستحقين أن أوجه إليك أي نوع من المشاعر! تصفين فراس بالغدار وأنت أكثر دناءة منه! أكرهك! ولا أريد صداقتك تبا لك!"

ثم ركضت مبتعدة من الطريق الآخر ودفعت ساشا من كتفها لتمضي، فأسرع إيان للحاق بها وهو يهتف باسمها.

وجه فراس نظره نحوي غير مصدق لما حصل، نظرت نحو هاتفي الذي أدركت أن سيلينا قامت بإصلاح شاشته لي، ومع ذلك كيف كافأتها؟ برمي نفسي على زوجها الذي سبق وكان يكنّ مشاعر لي. ما الذي يحصل لي؟ أنا راما المهذبة التي تفكر دوما بغيرها وتضع

مصلحة الآخرين أمامها تغيرت إلى هذه القذرة صاحبة القلب الأسود؟ لكنني لا قلب لي، فراس أخذه، إذن أنا لا ألام على أي تصرف.

زفرت نفسا مهتاجا ثم قلت له بتهديد: "لا تلحق بي وإلا تسببت لك بفضيحة أمام الكل! لقد خسرتني فلا تقترب مني"

مشيت مبتعدة بينما يردد كلامه لي مرارا: "أنا بريء! يا راما صدقيني! أنا بريء!"

سارت خلفي ساشا مع عصابتها كأنها تلمّح لفراس أن يبقى بعيدا وإلا نال ما لا يرضاه، مستغلة ضعف موقفه وهوانه وصحته المتدهورة.

لورا

خرجت من كلية الآداب ففوجئت بفراس يقف عند الباب يترقب قدومي ولم ينتظر مني أن أستوعب مجيئه هنا بل هجم نحوي ثم أمسك بي من شعري، فأثار الجلبة حولنا، اقترب من أذني وهمس فيها: "سأحول حياتك إلى جحيم كما فعلت بي، أنت وتلك السافلة نرجس سأجعلكما تتذوقان المر، أنصحك ألا تسيري وحدك في الشوارع لأنني في أي لحظة سأسلط عليك شياطين الإنس لتنهش لحمك!"

ثم تركني بعدما حاول بعض الشبان فكه عني وهم يهددونه باستدعاء الأمن. ومع ذلك لم يهتم لتهديداتهم، نظراته كانت مخيفة ويبدو لي أنني خلقت وحشا في داخله، رفع إصبعه في وجهي وقال: "حطمتني مرة ولم تتوبي، فأعدتها مرة أخرى! أنت لست إلا حقيرة!"

ثم بصق على وجهي، فصرخ به الشبان والفتيات من حولي أما أنا فخرت رجلاي على الأرض أخفي دموعي متحسرة على ضعف حالي، لأول مرة أشعر بعجز هكذا، هل ألومه؟ طبعا لا ألومه، لكن ماذا بيدي أن أصنع؟ في كل الأحوال كانت لهن خططهن لإفساد علاقته براما ولا ملجأ أبدا من مكرهنّ.

لم أعرف أين أذهب وأين أتجه فأنا كنت أتجنب الجلوس مع راما وسيلينا بسبب شعوري بالندم على ما صنعته بالمسكينة راما، ونرجس خسرتني فلم أعد أتسكع معها، وبالتالي تركت الجلوس مع باقي صديقاتي لأنهن يتواجدن مع نرجس، فلم أجد مأوى لي فأين عساي أذهب؟ الشخص الوحيد الذي تمكنت من الحفاظ على وجوده في حياتي هو سمير، أو هكذا ظننت!

الفصل الحادي والثلاثون

راما

لم أتابع أيا من محاضراتي لليوم، بل قضيت يومي كله برفقة ساشا، لو عاد بي الزمن إلى ما قبل ثلاث شهور من الآن لما صدقت أنني سأقدم يوما على مجالسة هذه الفتاة المخيفة، توقعت أن تعرض علي نوعا من المخدرات وتستدرجني لكنها خالفت توقعاتي فكل ما فعلته هو التصرف بشكل طبيعي، لكن مع لفافة تبغ بين فينة وأخرى و.. تصرفات غير ودودة وغلظتها مع الناس المحيطين، عدا عن ذلك فهي لم تظهر تصرفات مخيفة كجلسات استحضار شياطين أو ما شابه كما تخيلت، لنقل أنها كانت أقرب إلى شبه الطبيعية.

عرفت أنها تحب الأغاني الصاخبة، والفرق الموسيقية المعتمدة على أسلوب الروك، فحسبت في ذهني أنها لن تعجب بإنريكي لذا لم أفاتحها بموضوعه حينما سألتني عن نوع الموسيقى المفضلة لدي؛ طردت واحدا من من ملوك عرشي، وستكون خسارة الثاني مأساوية.

طلبت مني ساشا الانضمام إلى مجموعتها وكسب صداقتها، لكنني ترددت ولم أعدها بشيء، فأنا لا أعرف الفتاة جيدا لأصادقها، نعم هي كانت لطيفة معي لكن ما أدراني أنها لا تنوي لي شرا من تعاملها بلطف؟ مجموعتها هذه كانت تضم خمس فتيات: هي وهيلدا صاحبة الشعر الأحمر، وأخرى صبغت شعرها بالأزرق وكانت تطلق على نفسها لقب كوكو، ولم تزودني باسم لها، والباقيتان كانتا مخيفتين إلى حد كبير، وقليلتا كلام، كلاهما لها شعر بني غامق، الأولى تدعى عرين والثانية فريدة. بالإضافة إلى شبان لا يرتادون الجامعة وعدتني بأن أتعرف عليهم لاحقا.

وطبعا كما هو معروف عني، بقي ضميري يؤنبني على ما فعلته بسيلينا سابقا، وأردت أكثر من مرة مهاتفتها أو إرسال رسالة لها على الأقل، فحسب علمي أنها غادرت الجامعة منذ موقف الصباح ولم تعد إلى الآن، من أين حصلت على هذه المعلومات؟ حسنا الأمر واضح من عصابة ساشا. لكنني كلما نظرت إلى شاشة هاتفي أشعر أن ساشا تقرأ أفكاري فتمنعني من الاستسلام لطبيعتي اللطيفة مبينة لي أن ما أشعر به هو ضعف وليس لطفا.

لمحت جولي ورشا تقتربان من مكان جلوسي مع .. الشلة الجديدة خلف الكلية، ثم توقفتا بعيدتين قليلا وهتفت لي جولي حينما تلاقت نظراتنا: "راما، هل يمكننا أن نتحدث؟ رجاء!"

أخذت ساشا تتفحص كلا الفتاتين مع باقي شلتها، استأذنت منها ونهضت باتجاههما، ثم هاجمت بقولي: "إن جئتما لتشرحا لي أن فراس بريء فوفرا العناء!"

تلعثمت جولي مصدومة من أسلوبي غير المألوف معها، أما رشا فحافظت على ثباتها فقالت: "سواء صدقت أم لا هو بريء، هذا ملعوب من صديقتك! "

- "إذن فسري لي ما رأيته في الصورة!"
- "لا أعرف! هو لا يذكر شيئا من ذلك! اسمعيني راما.. حكّمي عقلك وفكري جيدا إذا عاندت أكثر فستخسرينه إلى الأبد! أهذا ما تريدينه؟ سيأتي يوم تتذكرين فيه نصيحتي"

عقدت ذراعيّ على صدري وشكرتها ساخرة على النصيحة، ثم تجرأت جولي لتعرب عما يختلج صدرها: "راما أنت أفضل من هذا! هؤلاء الذين تجالسينهم مجموعة فاشلين! لا تدني بمستواك إليهم، تعالي معنا"

هززت كتفي وتراجعت إلى الخلف رافضة بقولي: "لا"

أجابت رشا مغتاظة: "ماذا تقصدين بلا؟"
لأرد عليها تزامنا مع إحاطتي بساشا وشلتها: "هؤلاء أصدقائي، لقد انضممت إليهم"
رفعت ساشا يدها لتضربها بكف كوكو؛ احتفالا بإعلاني لانضمامي إليهم رسميا، ثم حثتني على المسير معهن ففعلت وأنا أنظر مترددة نحو رشا وجولي المبهوتتين من قراري.
وعدتني ساشا بأنني سأصبح أحسن حالا وسأعيش بسعادة من اليوم وصاعدا وبأنها ستتكفل بذلك بنفسها، ثم قالت: "لكي تنسي الماضي وتبدئي من جديد عليك العمل على تغيير كل ما يذكرك بهذا الماضي، لذا أولا سنغير لون شعرك"
أمسكت خصلات شعري القصير وهتفت باعتراض: "ما مشكلة شعري؟ أنا أحب لونه الطبيعي!"
أجابت هيلدا باشمئزاز: "إنه يظهرك ضعيفة! تحتاجين لونا قويا بدل مظهر دمية الباربي هذه، ياخ تذكرينني بتلك الأغنية السخيفة من فرقة أكوا... باربي جيرل!"
سحبتني ساشا من كتفي نحوها وشددت أسرها علي ثم قالت: "هل ترغبين بالبقاء ضعيفة؟ ألا تريدين التغيير؟ أول خطوة تكون باستغنائك عن شيء محبب لك، وهكذا تتعلمين كيف تدوسين قلبك ومشاعرك وتتصرفي بما ينصب في صالحك أنت فقط!"
كان كلامها مشجعا وبدا لي منطقيا، في النهاية استجمعت شتاتي ووافقت على مضض.
اصطحبتني ساشا في سيارة الجيب ذاتها التي ركبت فيها متجهة إلى حي شعبي، وحينما أقول شعبي فهو لا يشبه أبدا الحي الشعبي الذي أعيش فيه، فحينا هو مكان لتجمع أناس طيبين معظمهم منحدرون من القرى ويجمعنا ترابط ولا نغيب عن أي مناسبة إلا ونقوم بحضورها كنوع من التآزر الاجتماعي، أما هذا الحي فأستطيع وصفه أقرب إلى

حي فقير قذر يشبه إلى حد كبير أحد أحياء أمريكا الشرقية، حيث يعمد سكانه إلى العيش بالنهب والقتال عدا عن الألفاظ البذيئة التي تنتشر حتى بين الأطفال، واتساخ الحي بشكل عام، كان هذا فظيعا جدا! لم أستوعب أن ساشا التي تمتلك سيارة كسيارتها الفارهة قد تأتي بي إلى هنا، فسألتها غير قادرة على إخفاء نبرة الاشمئزاز في صوتي: "هل تسكنين هنا؟"

أجابتني ساخرة: "لا معاذ الله!"

تنفست الصعداء لكنني لم أكد أرتاح إلا وأضافت: "لكن هيلدا تسكن هنا"

نظرت بخوف نحو هيلدا التي كانت تنظر نحوي نظرة شزرة فزادت من رهبتي منها، اصطفت السيارة أمام صالون نسائي بواجهة متهالكة، ومنظر القمامة أمام المكان سببت لي حساسية في معدتي، لكنني لم أجرؤ على الشكوى وخصوصا أنني كنت أستشعر تيارات خفية مليئة بالحقد من طرف هيلدا.

دخلنا المكان وأصبت بالصداع لوهلة فالمكان مليء بدخان السجائر حتى بات ضبابيا كأنني ولجت مدخل الجحيم، ثم هتفت ساشا لامرأة ما قائلة: "هيه! صفية كيف الحال؟ اتركي كل زبائنك لوهلة وتعالي تناولي مني هذه الوجبة اللطيفة"

اقتربت منا المرأة وردت التحية لساشا وأخذتني بعينيها لتتأملني، ثم صفرت ضامة شفتيها وقالت: "واو! وجبة لذيذة مليئة بالسكر! من أين اصطدت هذه الحسناء؟"

تراجعت خطوة للوراء فاصطدمت بكوكو التي قابلتني بغمزة فازداد رعبي، أجابتها ساشا وهي تجرني إلى جانبها مجددا: "لا عليك بقصة لقائنا، أريد منك تحويل هذه السكر اللذيذة إلى شطة لذيذة!"

هزت صفية برأسها رضا وهي تردد: "آه! جامحة! حاضر سيدتي الجميلة لك ما تشائين!"

سيدتي؟ هل ساشا متزوجة؟ لم يخطر في بالي أبدا أن أتساءل عن هذا الأمر، فأصابني فضول أكبر تجاه هذه الفتاة.

أجلستني ساشا في مقعد أمام المرآة وهي تعدني بأنني سأكون في أيد أمينة بينما تقوم تلك المرأة بخلط المواد معا تحضيرا لتغييرٍ جذري بي، فحاولت مقاومة ضربات قلبي المتسارعة لأذكر نفسي بأنني أخطو الخطوة السليمة.

سيلينا

أعاصير هاجت في داخلي جعلتني أترك كل ما هو أمامي ليصبح خلفي وركضت مبتعدة بأقصى سرعة لي بينما إيان يحاول اللحاق بي، وبالطبع أصبحت فرجة للكل وهم يتابعون بفضول ركضي المفاجئ وملاحقة إيان لي، حتى أن بعضهم عمد إلى التصوير لينشروا الفضائح عن أسرة هودج في مواقع التواصل الاجتماعي. تبا لهم! لماذا لا يهتمون بأمورهم الخاصة بدل التعدي على خصوصيات الآخرين! مالي ومالهم!

ركضت حتى وصلت الباب الشمالي للجامعة فأوقفت أول سيارة أجرة متجاهلة كلا من إيان وعمر وهما يسرعان الخطى نحوي، وأمرت السائق بالانطلاق بسرعة.

هل كنت أظن بأنني تخلصت منه؟ بالطبع لا فسرعان ما ظهر خلف السيارة يلاحقها بسيارة عمر، كيف استطاعا اللحاق بي بهذه السرعة؟ إنها التكنولوجيا!

وصلت إلى القصر فترجلت من السيارة وقد دفعت كل ما معي من مال للسائق دون اهتمام لأخذ الباقي منه، وركضت باتجاه البوابة التي يحرسها رجال إيان. وحينما رأوني أسرعوا بفتح البوابة لي قبل أن يظهر إيان من بُعد وهو يأمرهم بإعادة إغلاقها، فلم

يكادوا يفهموا أمره إلا وقد أصبحت فعلا في الداخل أركض بأقصى سرعتي في الباحة متجاهلة أخواته الثلاثة الجالسات في الحديقة واللاتي علت وجوههن نظرة اندهاش.

كنت أُجري سباقا مع إيان الذي أصبح على مقربة مني، لكنني ولله الحمد كنت الأسرع فتمكنت من دخول الغرفة وأوصدت بابها على الفور، فركل الباب برجله وهو يشتمه، ثم هتف لي لاهثا أن أفتح الباب، ومع ذلك فإن الرفض كان إجابتي.

ألقيت جسدي على السرير لألتقط أنفاسي من الركض السريع، ثم استسلمت لموجة من البكاء جعلتني أستسلم أخيرا لسبات، وبات صوت إيان يتردد كالصدى كأنه يأتي من بعيد.

استيقظت في وقت متأخر، وظننت أنني ما زلت محتجزة وحدي، فنهضت لأتفقد الوضع في الخارج حين تنبهت أنني أرتدي قميص نوم حريري، لنتوقف قليلا هنا! أريد تحليل ما يحصل، ألم أرمي نفسي على السرير بملابسي التي ذهبت بها إلى الجامعة صباحا؟ إذن كيف غيرت ملابسي هكذا؟ هل سرت في نومي؟ أم أن ما عايشته اليوم في الجامعة كان حلما؟ أسرعت نحو حقيبتي التي كانت تستريح على الأريكة البعيدة وبحثت فيها عن هاتف راما فلم أجده، إذن أنا ذهبت حقا إلى الجامعة.

وسط ذهولي بما يحدث حولي تفاجأت بخروج إيان من الحمام يمسح فكه الحليق بمنشفة معلقة على كتفيه العاريين بينما يغطي نصفه السفلي ببنطال رياضي، ثم أشرق وجهه بابتسامة وهو ينظر إلي قائلا: "جيد استيقظت! خبأنا لك حصتك من الطعام، سأكلف سوزان بتجهيزه لك"

قطبت حاجباي وأنا أتأمله بنظرات متهمة فسألني عن الخطب، فعلقت يدي في الهواء مشيرة إلى استغرابي من وجوده هنا فقال: "آه صح! معي مفتاح احتياطي للغرفة، هل تريدين أن تأكلي الآن؟"

أبقيت نظرتي ذاتها موجهة نحوه وتساءلت: "ماذا فعلت بملابسي؟"

دخل الحمام ليضع المنشفة جانبا ثم عاد إلي قائلا: "النوم في بنطال جينز يسبب مشكلات صحية، لذا..."

أشار نحوي زاما شفتيه، بدأ وجهي يغلي وانفعالاتي تتخبط كما يفعل الفوشار في آنية حارة معرضة على مصدر ناري، ثم عانقت جسدي وصرخت به: "منحرف! كيف تجرؤ؟"

ضيق عينيه وهو يجيبني: "أنت زوجتي! وليس كأنني لم أتمتع بحلالي سلفا؟"

غطيت وجهي وانكببت على الفراش محرجة، فاعتلى السرير من خلفي وعانقني بضم ظهري إلى صدره رغما عني، ثم همس بأنفاسه الحارة في أذني: "عليك أن تحاسبي على الفضائح التي نشرت على مواقع التواصل الاجتماعي بحقي! لذا سأعاقبك الآن بطريقتي الخاصة"

كنت أعرف أن هؤلاء الحمقى من أبناء الجامعة لن يتركوا فضيحة كهذه تمر من بين أيديهم، لكنني كنت غاضبة منه لدرجة منعتني حتى من التفكير بقربه والتصاق صدره العاري بظهري، فأمسكت ذراعيه لأبعدهما عن وسطي وأنا أقول له: "أنت خائن، لا تكلمني!"

كافحني وشدد قبضته علي وهو يجيبني: "لا ذنب لي! هي قبلتني وأنت كنت شاهدة"

بدأت أضرب يده بقبضة يدي المكورة وأناقشه بقولي: "لكنك كنت مستمتعا، لم توقفها ولم تبعدها عنك! أنت ما زلت تحبها!"

- "كلا! غير صحيح! كنت مصدوما، استغرق مني الأمر برهة لأفهم ما أقدمت عليه! سيلينا اسمعيني بالرغم من سوء الموقف إلا أنه لم يكن كما حللتِه"

توقفت عن مصارعته قليلا لأسأله: "ماذا تقصد؟"

أجاب بحذر: "حسنا.. هي فعلت ما فعلته بداعي إغاظة فراس! لم تحمل في قلبها أي ذرة مشاعر تجاهي، قبلتها كانت... جافة.. حاقدة.. ناقمة"

استدرت برأسي نحوه بنظرة متجهمة أثارت ريبته فقلت بغضب: "تعمقت في القبلة كثيرا لتفهم معانيها!"

أبعدت وجهي عنه لئلا يلمح دموعي التي أقاوم جاهدة إغلاق بوابتها، تنهد قريبا من أذني فسرت قشعريرة في موخرة رأسي، ثم أراح رأسه على كتفي وقال: "راما الآن في مرحلة صراع، لا أبرر لها لكن أعتقد أنها بحاجة إلى مؤازرة، أظن أنها ممن ينطبق عليها مقولة: اتق شر الحليم إذا غضب... إذا أعطيتها ظهرك فقد تلجأ إلى الطرق الخطأ للتنفيس عن مشاعرها السلبية"

ارتأيت عدم الرد عليه هذه المرة فأنا حقا غاضبة منها، هو لن يفهم ما أشعر به لأنه ببساطة لم يقع في الحب ليفهم دوافعي. وخصوصا في مثلث الحب الذي اقتحم جزءا كبيرا من بداية علاقتنا.

"على كل حال.." استهل كلامه قبل أن يأخذ نفسا وقال: "هل تفقدت العناوين الرئيسية على مواقع التواصل الاجتماعي؟"

أعرف أن خلف سؤاله هذا شيئا لن يعجبني فتابع: "بالفيديو شاهد قبل الحذف فضيحة البليونير الشهير إيان هودج.... حقيقة الشجار الذي دب بين البليونير إيان هودج وزوجته لا يفوتكم أهم الأحداث!"

كانت لهجته في الحديث كأنه يقلد مذيع أخبار الثامنة لكن بنبرة ساخرة، شعرت بشحوب يعتريني فأنا أعلم تماما أنه لن يدعها تمضي هكذا ثم ختم قوله: "أتدرين كم عانيت وأنا أوضح لجدتي أنها مجرد إشاعات؟! لذا حان وقت العقاب يا حلوتي"

نهض مبتعدا ليوصد الباب، ثم سار نحو الستارة فأسدلها واتجه بإنظاره تحت الأضواء الخافتة نحوي بعينيه المظلمتين ونظراته الجادة، بينما أراقبه بوجل، كنت على يقين من أنه سينفذ انتقامه مني بأشد الطرق إحراجا لي.

راما

عانقت وجهي بكفيّ يديّ لأقاوم مشاعري السلبية تجاه ما أراه أمامي! شعري الأشقر الجميل قد تحول إلى اللون الأسود القاتم! شعرت باختناق في تلك اللحظة فأنا لست ممن يحبذون التغيير المفاجئ.

ابتسمت ساشا برضى عن النتيجة النهائية وشكرت صفية التي أجابت بدورها: "لقد أتعبني شعرها حتى حولته إلى هذا اللون كونها شقراء بالأصل، لكن أعتقد أنه يناسبها فعلا"

خرجنا من الصالون نحو السيارة من جديد بينما أتأمل وجهي على انعكاس الكاميرا الأمامية من هاتفي، حاولت أن أخدع نفسي لأقنعها بأن اللون الأسود جميل علي، يجب أن أقتنع بذلك حتى أتمكن فعلا من المضي قدما.

أخذتني ساشا إلى بيت مستقل في ضاحية نائية، سأكذب إن قلت أنني لم أشعر بالذعر من مرافقتهم إلى هناك، لكن كان علي التظاهر بأنني بخير. هناك أخذت نظرة متفحصة للمكان حيث كان الطابق السفلي للمبنى يحتوي غرفة كبيرة مفتوحة على مطبخ قديم قذر، وتفصلها عن غرفة أخرى مدخل مقوس خال من الديكور، تلاها رواق صغير وفي نهاية الرواق حمام.

كانت الغرفة الكبيرة مليئة بالشبان وفتيات أخريات، عرفتهم ساشا علي بأنني البنت الجديدة مضيفة لقب المحجوزة، فلم أفهم تلميحها هذا في وقته، لم ترحني النظرات التي ألقوها تجاهي وخصوصا من الشبان بنظراتهم القذرة نحو جسدي ومفاتني وأنا أعرف ما يفكرونه في عقولهم المريضة مما جعلني أقترب من ساشا أكثر فهي بدت لي أخف رعبا منهم.

أوضحت لي ساشا أن الفتيات الأخريات ليسوا من الشلة لكنهن يأتين لقضاء الوقت والاستمتاع بشرب الكحول والعلاقات المحرمة برفقة الشبان الثلاث الذين ينتمون إلى شلتها، أولهم عصمت الشاب الضخم الذي أحضرته معها حين استعنا بها سابقا في قطع الكهرباء عن الحي الذي يسكن فيه فراس ولورا، شددت على وصفه بساعدها الأيمن وأنها لا تتخيل حياتها دونه، ثم هناك شاب آخر يضاهيه في الحجم يدعى ثائر، كان وسيما بطريقة مخيفة، جذابا لكن مرعبا. ثم أخيرا ذاك الشاب الطويل النحيل، المكنى بالضبع، وبالرغم من نحافته إلا أنه كان يتمتع بجسد رياضي يعلوه شيء من العضل، حليق الرأس ويضع في عينيه كمية كبيرة من الكحل.

احتفل الجميع بانضمامي وذلك عن طريق شرب الكحول والتدخين والاستماع للأغاني الصاخبة، حاولت هيلدا أن تمدني بكأس لكنني لازمت الرفض، حسنا قبلت بتدخين

لفافة تبغ لكن لن أبيع عقلي للكحول، في النهاية أنا فتاة عذراء تجلس في مكان مليء بالشبان المخيفين بوشومهم التي تغطي معظم أجسادهم بنواياهم المنحرفة، إذا ثملت سأكون صيدا سهلا لهم، لذا فالأفضل لي أن أبقى واعية.
لقبتني هيلدا مرارا بالضعيفة والجبانة والكثير من الألفاظ البذيئة لتعرب عن جبني لإعراضي عن الكحول، لكنني لم أكترث لها وفضلت الابتعاد عنها إلى زاوية أقرب إلى النافذة لأحصل على القليل من الهواء النقي بعيدا عن رائحة الخمور والدخان، حينها اقتربت كوكو من جانبي ثم هتفت لي وسط الأجواء الصاخبة: "لا تلقي لها بالا، إنها تغار منك فحسب.. أعني أنك حزت على لقب المحجوزة، فسلبته منها."
وجهت إليها سؤالي مبدية جهلي بمقصدها، فقالت موضحة: "المحجوزة هي من حقوق ساشا فقط، معنى ذلك يمنع على أي كان من العصابة التعرض لها أو محاولة صداقتها دون أخذ الإذن من ساشا وخصوصا الشبان."
أشارت إليهم بعينيها فلمحت عيونهم المخيفة مسلطة علي وخصوصا أكثرهم تحديقا بي، الضبع، كان يوجه نظرات رغبة لي فشعرت بالمزيد من النفور منه.
تأخر الوقت وقررت العودة إلى البيت وبعد الكثير من الجدل مع ساشا وافقت على مغادرتي مشترطة أن تقوم هي بإيصالي، وفور لحظة استقراري بجانبها في سيارتها مدت لي يدها بشيء ملفوف بقطعة قماش صغيرة، تعجبت لما يمكن أن تحمله لذا فككت الرباط المحيط بها لأنزع القماش عن الشيء الصلب في الداخل لأصدم برؤيتي لمدية حادة، فعلقت بصري بتعجب نحوها، فقالت مبررة: "لا تترددي أبدا عن استخدامها إذا شعرت بحاجة إليها، أبقها دائمة مخبأة في ملابسك... يعني للاحتياط"

أردت سؤالها عن حاجتها لحمل واحدة مثلها، ثم تذكرت المجتمع الذي تخالطه فلم يبد ذلك لي عجيبا بعد ذلك.

حين عدت إلى البيت تفاجأ والداي بما رأياه، جزء مني شعر بالأسف عليهما؛ فهما كانا ينتظرانني على أحر من الجمر، وأمي لا تعلم أن سيلينا أصلحت هاتفي فكانا ضائعين، كما أنني لمحت أثرا للدموع في عينيها، صرخ بي أبي فجأة: "ماذا فعلت بشعرك؟ "

مررت أصابعي في خصلات شعري وأجبت بلا مبالاة: "شعرت أن هذا اللون أنسب لي"

تمكنت أمي أخيرا من النطق وهي تنظر إلي بخيبة: "أين كنت طوال هذا الوقت؟ أقلقتني! حاولت الاتصال بسيلينا لكنها لم ترد، ولورا لا تعرف شيئا عنك!"

اتجهت نحو غرفتي وأجبتها ببساطة: "كنت مع أصدقائي الجدد"

علق أبي مستهجنا: "هل رائحة الدخان هذه تنبع منك؟"

وقفت عند الباب وألقيت لهما نظرة ميتة وأجبت: " أصدقائي لهم نفوذ كبير وقد أسلطهم على من يزعجني،سأخرج معهم غدا مجددا، لا تنتظراني على العشاء، أنا متعبة الآن وأريد النوم فلا تحاولا إزعاجي لأنني قد أخرج بلا عودة هذه المرة، مفهوم؟!"

ثم أغلقت الباب خلفي بقوة فأجلفت عينا سارة النائمتين لكنها لم تستيقظ، حمدا لله لست بمزاج يسمح لي بسماع تعليقاتها.

......

اتفقت رشا وجولي على محاصرة نرجس في الحمامات والاختلاء بها، لتحاولا الحصول على أي معلومات تفيدهما عن حقيقة خيانة فراس، والذي بدوره لم يكن يفهم شيئا من القصة، جزء منه مرتاب بأنه كان تحت تأثير جرعة زائدة من دوائه فارتكب جريمة بحق

راما دون وعي منه، وجزء آخر منه يقنعه بأنه ملعوب من قبل نرجس ولورا ليسلبا منه أول حب في حياته والذي أقسم على جعله الوحيد. راقبتاها فترة من الوقت حتى لمحتاها تدخل الحمام فأسرعتا خلفها وطردتا الجميع من المكان.أغلقت جولي الباب بينما وقفت رشا بنظرات مميتة ترميها نحو نرجس كالحمم، لكن نرجس رفعت درعها لتصد النظرات بأخرى، ثم هاجمتها جولي قائلة: "المسخرة التي تسببت بها قومي بإنهائها حالا!"

قالت متصنعة البراءة: "أنا تسببت بها؟ ألقيا اللوم على صديقكما فهو الذي لهث خلفي"

صرخت بها رشا وقد بدأت تفقد هدوءها المزعوم: "كاذبة! فراس لم يجري خلفك أيتها القذرة إنه يحب راما! أنا أعرفه جيدا وأعلم الناس به"

فقالت نرجس وهي تطبق أحمر الشفاه على شفتيها بينما تنظر لانعكاس صورتها: "إذن فقد خدعك أنت أيضا... يا لكنّ من مسكينات لم يترك بنتا إلا وأوقعها ضحية براءته الكاذبة، إنه زير نساء ودعيني أقول لك أنه بارع في ذاك المجال!"

نفثت رشا أنفاسا محملة بالغيظ وهجمت نحو نرجس دون تفكير وبدأت تشد شعرها، ثم دفعتها نحو الحائط وهي تنهال على وجهها بالضرب بينما تصرخ: "اعترفي أيتها الحقيرة! ما الخدعة التي مارستها؟ أنت اختطفته يا ماكرة! اعترفي الآن!"

أسرعت جولي بإبعادها عنها وهي تحاول تهدئتها، فنجحت في اقتلاعها عنها بعد جهد، تقوقعت نرجس على نفسها على الأرضية وهي تبكي من الألم وخيط من الدم يسيل من أنفها، ثم قالت رشا في الختام: "إن لم تعترفي قريبا فسأتسبب لك بارتجاج في الدماغ المرة القادمة!"

ركلتها في بطنها وغادرت المكان برفقة جولي. ما لم تضعه رشا بالحسبان هو الانتقام الذي سينالها من غريمتها.
فبينما كانت في البيت تتحضر لاختباراتها النهائية وإذ بها تتفاجأ بنفسها بعد نصف ساعة في مخفر الشرطة عقب التقدم بشكوى بحقها بتعديها على زميلة لها بالضرب.
لم تستطع رشا الإنكار لكنها آثرت الصمت بينما تحاول أمها علاج الموقف، وبعد الكثير من النقاش تم إغلاق المحضر بالتقدم إلى بيت الضحية باعتذار بجاهة ومبلغ من المال، وعلى أثر الشكوى المقدمة استغلت نرجس الموقف لتلعب بمهارة، كون الكرة الآن في ملعبها، فتقدمت بشكوى جديدة فحواها أن فراس تعرض لها واغتصبها، فانتشرت الأقاويل والفضائح التي تم تناقلها بشأن فسخ خطوبة ابن عائلة شريف، ووصف البعض حصوله على اسم عائلة لا يتناسب مع مستوى أخلاقه المتدني.
غضب السيد شريف من الأخبار المتداولة وخشي على تجارته ومنصبه الاجتماعي وسط رجال الأعمال المرموقين، فأصدر أمره الذي وقع كالصاعقة على أهل بيته، بوجوب اقتران ابنه شرعا بنرجس لدرء الفضائح وإسكات التشهير.
غضب فراس أشد الغضب وكان ما يزال يكثف جلسات علاجه عند طبيبه النفسي لتخفيف وطأة انفصاله حين تعرض لنكسة جديدة من إعلان والده على الملأ وانتشار الأخبار المؤكدة لارتباطه الوشيك بنرجس، ابنة المحامي علاء صادق.
جن جنون السيدة ميار وأخذت تصرخ بزوجها على قراره المميت غير مكترثة لأي كان يستمع إليها من أبناء الحي: "أنت فقدت عقلك! لا أريد لنجسة كهذه أن تطأ بيتي! اعرضوها على الطب الشرعي لتكشفوا زيفها! "

أجاب زوجها ممتعضا: " وماذا لو كشف لنا الطب الشرعي صحة مزاعمها؟ لا حل آخر يا ميار!"

صرخت به بهستيرية زائدة:" ابني لم يطأها! إنها كاذبة! لن تكون زوجة له! فزوجة ابني الوحيدة هي راما! سأعيدها لو بعت كليتي من أجل إعادتها إلينا! راما هي زوجة ابني! راما! رامااا! فقط راما!"

صرخ بها وسط هذيانها: "راما انتهت! صفحة قديمة مطوية! هي لن ترضى به أبدا!"

ثم بدأت تلطم وتنوح وتشد شعرها كمن تودع ميتها تحت يديها وهي تصيح بألم:" آااه! يا كرم! آه يا حبيبي! قتلوني مرتين يا ابني!"

فراس كان يجلس على نهاية الطاولة وسط أجواء والديه المشحونة وهو يغطي وجهه بكف يده دامع العين فاقد الحيلة، شعر وقتها بأن عالمه كله قد انهار وما من داع حتى ليحاول إصلاحه، لقد خسر كل شيء، هكذا كانت قناعته.

رفع بصره تجاه والديه مع نزول أول قطرة من دموعه وهو يراقب الشجار الذي دب بينهما، كأنما أصبحت الصورة أبطأ أمامه، ضبابية، وأصوات الصراخ تتردد إلى أذنيه مكتومة كأنها تصدر من خلف حاجز يعزله عن كل هذا العالم الذي لم يجلب له إلا المأساة التي تكرر دون توقف، كأنه يعيش حلقة من القهر المتواصل.

راما

تغيرت أحوالي في البيت كثيرا خلال هذا الأسبوع، فوالداي أصبحا يخشيان مني، لأنني تحولت إلى شخص آخر، أصبحت معكرة المزاج وأصرخ عليهما دوما، مع أنني لم أكن أجرؤ في السابق على رفع بصري في وجه أبي أبدا حين يغضب. والآن عكست الآية،

فعمدا إلى تجنبي طيلة الوقت، ولم أعد أشاركهما في أي من نشاطات البيت كأنني فرع زائد مسموم في شجرة العائلة لا يجرؤ أحد على قطعه لئلا يطأه السمّ.

كما أنني غيرت طريقة ارتدائي لملابسي فبت أُكثر من ارتداء القطع الجلدية والجينز الممزق، وأسرح شعري بطريقة شعثاء دون الاكتراث بترتيبه، وباتت زينتي وضع الكحل في العين، وفوق ذلك لا أخجل من إخفاء أعقاب السجائر عنهما.

حتى سارة لم تعد تكلمني كأنها تخشى أن أظهر أنيابي وألتهمها فلم تعد تدخل الغرفة إلا نادر.ا بل أنها تبيت معظم الليالي في غرفة والديّ خوفا من أؤذيها يوما، فقد سمعتها تعترف بذلك لأمي صبيحة أحد الأيام وهي تهمس في المطبخ لها.أمي لم يجف لها دمع من تغيري الجذري، ولم تستطع الهروب من ألسنة الجيران والمعارف وخصوصا حين يلمحني أحد أترجل من سيارة ساشا بمظهرها غير المرحب والمخيف.

سيلينا لم تكلمني أبدا بعدما اعتديت على خصوصياتها وقبلت زوجها، لا ألومها صراحة فتصرفي كان جارحا، ومهما حاولت التغير إلا أن رؤيتي لها بين الحين والآخر يحرك مشاعر ندم في قلبي عدا عن رغبتي في رمي نفسي بين أحضانها لأفرغ انفعالاتي وأسر لها بهمومي. حين رأتني بعدما غيرت لون شعري تفاجأت كثيرا وبان ذلك على وجهها، لكنها اختارت تجاهلي وعدم التحدث معي أبدا بأي شأن وكأنها نفضت يديها مني، فزادني سخطا على الدنيا كلها وتقربا من ساشا التي كنت أحاول أن أقتات من قوتها.

لورا أيضا لم تعد تختلط بي وكانت مصدومة كذلك من التغيير المفاجئ بي، لاحظت أنها لم تكن على طبيعتها فقد كثرت الهالات السوداء تحت عينيها ووجها دائما متعب، ليست لورا المتألقة ذاتها التي تهتم ببشرتها وأناقتها.

زميلاتي بتن يتجنبنني بعد اختلاطي بساشا والشلة، وحتى وليد ما عاد يتقرب مني، بل إذا لمحني يعرض عني ويكمل سيره مسرعا كأنني أحمل فايروسا ينتقل بالنظر. وميساء لم تعد تتحرش بي وتغيظني، وكل ما كانت تفعله هو مراقبتي من بعد بنظرات مرتعدة كأنها تخشى وقوع لعنتي عليها.

جلست خلف الكلية حيث أصبحت تلك البقعة هي الخاصة لنا، وأخذت أدخن في لفافة التبغ وأنا أتفحص مواقع التواصل الاجتماعي حين وقعت عيني على ذاك الخبر الذي أعلن وفاة راما رسميا اليوم... خبر ارتباط فراس شريف بنرجس صادق لأشعر بعد قراءة الإعلان مرارا وتكرارا بأنني جالسة في بقعة سوداء أرى فيها جبالا تتهدم وبنيانا يتدمر ويزحف إليه السواد الذي يكتنفني ليمحو كل شيء. فقط السواد تبقى وأنا وسطه أغرق ببطء مقيدة الذراعين خائرة القوى وما عاد من شيء في داخلي يقوى على العيش بعد الآن.

الفصل الثاني والثلاثون

لحظة الانهيار كانت أكيدة، كيف لا وقد عرفت بخبر ارتباطه بأخرى؟ خصوصا بمن تسببت بمعاناتي، غزتني الأفكار السوداء لتقنعني أن كل ماحصل كان خطة حتى يرتبطا معا، كانا يسعيان للارتباط منذ البداية لكن كيف بوجود شوكة مثل راما؟ لذا كان يجب التخلص مني بأي طريقة... لكنني ما زلت لا أفهم...أَندم لأنه طلب يدي للزواج فأدرك أنني غير مناسبة له؟ أم أنه أدرك أن مشاعره تجاهي ليست صادقة وأنها كانت مجرد وهم لشبهي الكبير بكرم؟ هل تهت في شيء؟ هل كانت هناك إشارات علي الانتباه إليها وغفلت عنها؟ أعني لم أصادفه يوما برفقة نرجس ولم يأت على ذكرها قط إلا عندما طلبت منه الابتعاد عنها، كما أنه هو الذي طاردني حتى أقبل به! هل بدأت أصاب بالخرف؟ ألم يصطنع مشهدا خُلّد في التاريخ لطلب يدي؟ العجلة لا تدور بشكل صحيح هنا! هناك شيء مفقود ثمة حلقة غير واضحة فيما يحصل حولي.

لكن مهما حاولت الخروج بتفسير أعود لأقتنع بالتفسير الأول والأسوأ، والآن ما العمل؟ لا شيء! كل شيء تدمر وانتهى.

عدت إلى البيت رغما عن ساشا، أردت التواجد بمفردي وعزلت نفسي في غرفتي، وربما علمت أمي بالخبر فهو انتشر في الأخبار ليمحو فضيحة عائلته فكنت ألمح خيالها من تحت الباب حتى تستدعيها سارة أو يبكي وسيم فيختفي خيالها، ربما كانت فعلا قلقة علي لا أدري. انكببت على علبة السجائر في درج مكتبي وأنهيتها في غضون ليلة بينما أبكي تارة وأضرب رأسي تارة أو أمزق كتبي ودفاتري تارة أخرى حتى أُنهكت ورميت نفسي على الأرض المفروشة بالسجاد وعانقت جسدي المنهك مسلمة حالي لسبات يمحو غمي.

أبصرت وجه ساشا أمامي فنهضت مفزوعة، ثم أخذت ألتفت حولي فتأكدت من وجودي في البيت، نظرت إليها وسألتها كيف دخلت إلى هنا فأجابت: "آم لا أدري إذا كنت سمعت بهذا الاختراع من قبل، لكنهم صمموا أبوابا في المباني ليسهلوا على البشر التجوال"

لم تغب عني نبرة التهكم في كلامها فاعتدلت جالسة وقلت: "لا أعني هذا، أقصد هل سمحت لك أمي بالدخول؟"

أجابتني ببرود: "وهل كنت تظنين أنني بانتظار إذنها؟ ما إن فتحت الباب لي حتى اقتحمت البيت، الجميل في الأمر أنها لم تجرؤ على طردي بل أرشدتني إلى غرفتك عن طواعية، لكن ما لم أفهمه هو لماذا كانت شاحبة كأنها رأت شبحا؟"

لم أجبها لأنني لم أعد أعرف إن كانت تتهكم أو تتكلم بجدية، ثم غيرت مجرى الحديث لتبين لي سبب قدومها فقالت: "اسمعيني يا راما، أنا أعرف أنك مجروحة، وتقبل خبر سيء كهذا ليس بالأمر الهين، أنا أشعر بك صدقا، لذا ما رأيك لو تنتقمين لنفسك؟"

الانتقام؟ هل سيشفي غليلي؟ كنت سابقا أنتقم من ميساء بكيد فتيات عابر وكان يبث في داخلي متعة، ولكن منظور ساشا للانتقام ليس كمنظوري أنا، تابعت كلامها قائلة: "ألا تحلمين بالانتقام من نرجس على ما فعلته بحقك؟ تسببت في هدم علاقتك بخطيبك ولم يشبعها ذلك بل وأخذته أيضا منك، يجب أن تنتقمي منها وتريها من هي راما، أنت لست ضعيفة وجبانة لكي تجعليها تنتصر عليك هكذا"

كلامها أشعل غضبي أكثر تجاه نرجس، فنهضت واقفة وفي قلبي نار متسعرة مستعدة لحرق كل ما هو حي. ثم قلت: "بالطبع سأنتقم! لن أسمح لها بأن تدوسني وتفلت منها... سأريها من هي راما، سأعلمها درسا لن تنساه"

.....

نزلت السيدة ميار عن الكرسي وهي تعاين الصورة التي علقتها للتو ثم هتفت لبثينة قائلة: "هل هي مستقيمة أم مائلة؟"

أجابتها برسمية: "تمام سيدتي"

"ميار، هل تحضرت للعشاء؟.." قالها السيد عدنان قبل أن يتوقف عن مسيره وهو ينظر نحو الصورة المعلقة على الجدار فوق طاولة المائدة ليتساءل مستنكرا: "ما هذه المهزلة يا ميار؟ أنزليها حالا الجماعة في طريقهم إلى هنا!"

نظرت زوجته مجددا نحو الصورة التي تضم لقطة التقطتها في هاتفها لها مع فراس وراما حين قاموا بشراء الذهب سابقا، وقتها كان الجميع سعداء وحياتهم تسير وفق تيار المودة والحب، ثم أعادت بصرها نحو زوجها وقد رسمت تعابير باردة على محياها وقالت: "الصورة ستبقى وإلا تسببت بإحراجك أمام ضيوفك هذا المساء هل فهمت؟ أقسم أن أكسر الدار بما فيها وأجوب الشوارع إذا لمس أحد هذه الصورة غيري"

زفر بضيق: "عيب يا ميار! هذا ليس احتراما لضيوفنا!"

أشارت بإصبعها باتجاهه قائلة: "ضيوفك، ليسوا ضيوفي، أنت اخترت هذا الدرب لا أنا، لم أرد لتلك النجسة أن تكون زوجة لابني أنت أردت! جلوسي معكم اليوم حول المائدة من باب مجاملتك أنت فقط، هل فهمت؟"

ثم تركته واقفا وحده ريثما تطمئن على ابنها واستعداداته للعشاء، وبعد لحظات من الجو المكهرب وصلت عائلة المحامي علاء صادق في موعدهم المنتظر لعشاء يضم العائلتين كاحتفال صغير لارتباط ابنيهما.

استقبلت السيدة بثينة العائلة وأرشدتهم إلى المعيشة فوقعت أنظارهم جميعا نحو الصورة المعلقة على الجدار أمامهم فأخذوا يتبادلون بينهم النظرات، ثم قطع عليهم صدمتهم صوت السيدة ميار وهي ترحب بهم بابتسامة مصطنعة وأرشدتهم مع زوجها إلى الأرائك ليستريحوا عليها وراعت اختيار مقاعدهم ليواجهوا الصورة مقابلهم.

انضم فراس إلى العشاء مكرها بعدما أخذ حبة من دوائه لتسكن أعصابه المضطربة فوقعت عيناه على الصورة المعلقة على الجدار، رمش عدة مرات ليتأكد مما تراه عيناه ثم التفت فورا نحو والديه ليقابل نظراتها، أبوه مقطب الجبين وهو ينظر نحو زوجته بسخط والأخرى بمبسمها المشرق حين لمحت ابنها، فهم وقتها أن أمه فقدت اتزانها أكثر منه وربما هي التي تحتاج متابعة عند طبيب نفسي.

بعدما ألقى تحية جافة للجميع استقروا على المائدة من أجل تناول العشاء، ثم أخذهم التيار للحديث عن تجهيزات الزفاف، فعلقت أمه قائلة في أثناء حديثهم عن الأزهار المخصصة للزينة: "آه لا يا عدنان لن نستخدم أزهار التوليب، هي المفضلة لي لا أريد إهدار قيمتها على حفلة هامشية"

علقت أفواه الضيوف دهشة من كلامها، فهمس لها فراس الذي كان جالسا بجانبها: "أمي ماذا تفعلين؟"

لم تجبه واكتفت بنظرة حنونة نحوه ثم مدت يدها لتمسحها على خده وقالت: "أحبك يا بني أكثر مما تظن"

ابتلعت ريقها لكي لا تستسلم لدموعها وعادت إلى تناول طعامها وسط الأجواء المشحونة التي افتعلتها.

راما

عرفت من ساشا أن عائلة نرجس قد خرجت من البيت إلى مأدبة عشاء في بيت أهل فراس، قاومت شعوري بالغيظ على هذه المعلومة فقط لأركز في العملية القادمة، فقد كانت الخطة هي التسلل إلى البيت في غيابهم والتسبب في دمار شامل في ممتلكاتهم.

كان البيت محروسا بالكاميرات لذا كانت العملية صعبة قليلا، اضطرت ساشا لدفع مبلغ من المال لشخص يعمل على تهكير الأجهزة الأمنية يعيش في حي هيلدا، كان شابا مخيفا مدمنا على التدخين بشكل مفرط، أسنانه لم تكن سليمة البتة وبدا عليه أكبر من عمره وصوته مخيف من بحته بسبب كثرة التدخين، فألقيت نظرة على لفافة التبغ خاصتي وألقيت بها على أرض غرفته المتسخة أصلا بأعقاب السجائر.

استطاع باستخدام برامج خاصة من الولوج إلى النظام الأمني الخاص ببيتهم وقام بقطع الكهرباء عنهم وتعطيل الكاميرات، ثم طلب منا الإسراع قبل عودة الكهرباء إلى العمل ليتمكن من محو أي آثار له على الشبكة لكي لا تصل إليه الشرطة.

قادت بنا ساشا السيارة بسرعة حتى وصلنا على مقربة من البيت، ثم قمنا بالتسلل من الجهة الخلفية بتسلق السور الضخم ونحن نرتدي السواد، بينما تركنا الضبع في السيارة ليراقب المكان ويبلغنا في حال اشتم خطرا.

ساعدتني كوكو وفريدة على التسلق وما هي إلا لحظات حتى وجدنا أنفسنا في الباحة الخلفية، ثم أسرعنا بالركض نحو البيت، وقبل أن أتساءل كيف لنا أن ندخل لمحت ساشا تلف قماشا على قبضة يدها الممسكة بحجر ثم قامت بكسر زجاج غرفة في الطابق الأرضي وأشارت إلينا بالدخول من خلالها بعدما أزاحت قطع الزجاج عن أرضية النافذة، تسلقنا إلى الداخل ومجددا تسلقت بمساعدة كوكو، فأنا لست معتادة على التسلل مثلهن، وأخيرا استقررنا في الداخل.

حرصنا قبل مجيئنا على ارتداء قفازات سميكة لكي لا نترك أثرا لبصماتنا ثم أشعلت ساشا ضوء كشاف صغير وأمرتنا قائلة: "خذن راحتكن بفعل ما تردن"
اخترت البحث عن غرفة نرجس حتى وجدتها فهي الوحيدة المتبقية في بيت ذويها لأن أخاتها في بلاد الغربة بعد زواجهما، ولها أخوان أحدهما متزوج ويسكن في بلد آخر والثاني مغترب لدواعي الدراسة.

اقتحمت الغرفة وأخذت نفسا بينما أتذكر الصورة التي تهاجم مخيلتي لمظهرها في أحضان فراس وسلبه مني بهذه السهولة فنجحت في إشعال نار الغضب مجددا لأبدأ بتكسير كل ما تطؤه يدي، وحتى خزانة ثيابها لم تسلم مني فبدأت بتمزيق ملابسها قطعة وراء القطعة.

بعد مرور نصف ساعة تقريبا كنت أقف وسط الغرفة لاهثة أنظر نحو الدمار والزجاج المتناثر والحطام الذي سببته لكنني لم أشعر بأن ذلك كاف علي فعل ما هو أسوأ، لذا خرجت متجهة نحو ساشا من جديد لأطلب منها أي شيء آخر يطفئ غضبي حين لمحت هيلدا تحمل معها مجوهرات من الذهب فقلت مستنكرة: "ماذا تفعلين؟ نحن لم نأت لكي نسرق!"

أجابتني ببرود: "لقد دفعنا مبلغا غير هين للهكر من أجلك، نحن نسترد أموالنا فقط!"
ثم قالت كوكو مساندة لها: "أنت بالتأكيد لا تظنين أننا أتعبنا أنفسنا وعرضنا حياتنا للخطر من أجل التخريب فقط! بالطبع جئنا كي نسرق الأموال غنيمتان في غنيمة!"
سحبتني ساشا من أمامهن وهي تقول: "انسي أمرهما وتعالي معي لدي شيء سيدخل البهجة على قلبك"

ركضت بي خارج البيت نحو باب كراج شبه مفتوح ثم همست: "لم أجرؤ على فتحه كاملا لئلا يشعر بنا أحد، هيا اتبعيني!"

تدحرجت بجسدها منبطحة من تحت الباب فدخلت خلفها بالطريقة ذاتها لأجد سيارة نرجس مصطفة في الداخل، قالت ساشا: "لقد خرجت مع ذويها في سيارة العائلة... والآن يمكنك أن تفرغي كل غمك وحقدك عليها خذي"

أعطتني قضيبا حديديا كانت قد عثرت عليه سابقا ثم أشارت لي نحو السيارة لأفعل بها ما أشاء.

نظرت مطولا نحو السيارة وأنا أستجمع أنفاسي المرتعدة، كانت هذه خطوة كبيرة علي لم أعرف ما علي فعله وقتها، فهل تكسيري للسيارة سيحسن من شيء؟ لكن ربما كلفتهم السيارة ثروة.... اسكتي يا راما! ألم تكلفك نرجس خسارة ما هو أهم؟ أليست السبب الرئيسي في معاناتك؟ إذن تصرفي دون جدال كثير.

رفعت القضيب وبأقصى قوة ضربت الزجاج الأمامي فتصدع وأطلق جهاز الإنذار ضجيجا من السيارة فحثتني ساشا على إكمال ما بدأت به قبل أن يأتي الجيران على صوت السيارة، فأخذت أوجه ضربات واحدة تلو الأخرى على الزجاج والحديد، ضربت وكسرت وحطمت بقبضات مغلولة محملة بالحقد بينما أتخيل أنني أحطم رأس تلك الأفعى وحينها خارت قواي ووقفت أتنفس بصعوبة سحبتني ساشا نحو الخارج لنخرج بالطريقة ذاتها التي دخلنا فيها، سألتها ونحن نركض عن البقية لتقول لي أنهن سبقننا خارجا.

وصلنا السيارة وأسرعنا بالقفز داخلها لتقود ساشا من الطريق المعاكس بعدما نجحنا في الخروج دون التعرض لأي أضرار، احتفل الجميع بالهتاف ورشق الأموال

والمجوهرات بينما أنظر من خلال النافذة بعين خاوية لا أرى فيها إلا النيران تشتاق للمزيد من الانتقام.

لورا

تسلل إلى مسامعي حديث والديّ عن سرقة بيت المحامي علاء والد نرجس، فعمدت إلى متابعة الخبر من مواقع التواصل الاجتماعي لأتفاجأ بأن الخبر اكتسح جميع المواقع وهم يتحدثون عن عملية النهب والتخريب التي حصلت في بيتهم أثناء غيابهم عن المنزل ليلة أمس.

لمحت وجه نرجس الباكي بملامح مرتعدة وهي تتحدث إلى صحفي عن تدمير ممتلكاتها الشخصية وتحطيم سيارتها باهظة الثمن.

فأثار ما حصل تساؤلاتي، إن كان السارق يرغب في نهب البيت؛ فقد تمت سرقة الأموال من الخزينة المخبأة في مكتب والدها وتمت سرقة مجوهرات أمها كذلك، فلماذا يقوم بأعمال خارجة عن المألوف كتحطيم السيارة بدل سرقتها؟ أي عقلية يحمل هذا السارق؟ أو بالأحرى ... أي نقم يحمله السارق تجاه نرجس؟ هل يعقل أن يكون لراما يد في الأمر؟

نشرت الشرطة جهازا أمنيا أحاط البيت بأكمله وتوزع رجال المباحث للتحقيق في الواقعة والبحث عن دليل يقودهم إلى أي مشتبه. بالنسبة لي لم أشعر بأي تعاطف معها بسبب خداعها لي وكذبها علي، لطالما زرعت في بالي أفكارا مغلوطة مثل محاولة إقناعي بأن جولي تحب سمير. اكشفت متأخرة أن صداقتها لي كانت تغطية عن نواياها الحقيقية.

حل سمير ضيفا علينا فكانت هذه مفاجأة بالنسبة لي فهو لم يعطني خبرا بمجيئه، خصوصا وأنه بات يتجنبني كثيرا وقطع تواصله عني بعد اتهامي فراس بالخيانة.طلب

من والدي أن يحدثني على انفراد لوضع النقاط على الحروف، وكان يطبع على وجهه تعابير جامدة نجحت في خلق التوتر في أوصال أبي.

جلسنا وحدنا في المضافة وأنا أحاول السيطرة على ذعري البائن بوضوح تحت نظراته الصامتة المحملة بالاتهامات، وأخيرا نطق بسؤاله الذي زعزع كل كياني: "ماذا يكون كرم بالنسبة لك؟"

لم أستطع إخفاء معالم الذعر في وجهي عنه فقال: "إذن... كان بينكما ماض حقا"

هز رأسه وهو يزم شفتيه بقهر بينما عجزت الكلمات عن الخروج من جوفي، تنهد بألم ثم قال: "لا أعرف سببا لإخفائك شيئا كهذا عني، ما الفائدة من كذبك علي وتخدعيني بقولك أنني أول حب في حياتك؟ هل كنت تظنين أنني إذا عرفت بماضيك مع كرم أنني سأنسحب من حياتك؟ أترينني فعلا سطحيا إلى هذه الدرجة لأحاسبك على ماض لا علاقة لي به؟"

سألته بوجل وأنا أقلب ببصري بينه وبين الأرض: "ألست غاضبا يعني؟"

فأجابني بنبرة أشد غلظة: "بلى أنا غاضب، بل أشتعل غضبا وما زاد من غضبي هو المأساة التي صنعتها يداك! أنت لا أمان لك، لقد ضحيت بصديقتك المقربة من أجل ماذا؟ لن أستبعد ان تؤذيني في المستقبل كما آذيت راما!"

كيف عرف؟ من أين جاء بهذه المعلومة من قال له؟ رفعت بصري باتجاهه مرتعدة وسألته مكابرة: "عم تتكلم؟ أنا لم أتسبب بأذية راما!"

لكنه أجابني دون تردد: "الكذب واضح في عينيك.. رنيم أوضحت لي كل شيء، في البداية لم أصدقها فلم يبدو لي أي من ذلك منطقيا لكن الآن مع نظراتك المحملة بالذنب فقد تأكدت بأن كل ما قيل صحيح!"

شحب لوني شحوب الأموات ثم سألته بصوت متقطع:" ماذا قالت لك رنيم؟"
أجاب ببساطة: "الحقيقة... خطتك أنت ونرجس للإيقاع بفراس وجره نحو الخطيئة وابتزازه بالصورة لكي لا يتفوه بحرف عن ماضيك لي، وعندما شعرت أنك فقدت السيطرة أرسلت الصورة لراما كي ينشغل بمصيبته بعيدا عنك وتكمل نرجس المخطط باتهامه باغتصابها مع أنها سلمت نفسها طواعية له لكي تظفر به لنفسها وتحصل عليه كمكافأة لتواطؤها معك في أمر قذر كهذا! ظننتك ابنة شرف! صدمت فيك لورا!"
لا ! كيف قلبت الموازين ضدي هكذا؟ إبليس جلس في كرسيه مستريحا وقد ألقى بالراية لرنيم.
نهضت بسرعة من مقعدي متجهة نحوه وقد هم بالمغادرة بعد الذي ألقاه على مسامعي من افتراء رنيم وصرخت مستنجدة به بينما أشد سترة بزته من الخلف بقوة: "لا! لا! هذا كذب! لم يحصل! رنيم تفتري علي! كانت خطة منها ومن نرجس أقسم على ذلك! لقد هددتاني!"
سحب سترته بخشونة من قبضتي فتعثرت ووقعت على ركبتيّ، تراجع إلى الخلف قليلا كأنه حاسب نفسه لوهلة لسقوطي فهو لم يقصد أن يتسبب بأذيتي، فهمّ بمد يده لي لأنهض لكنه تراجع عن خطوته وسحب نفسه ومضى مبتعدا بينما أستصرخه ليعود.
اقتحم والداي المكان متسائلين عما جرى بيننا بعدما علت أصواتنا وغادر سمير دون النبس بحرف آخر. فصرخت بأعلى صوتي باكية: "فلتذهبي يا رنيم إلى الجحيم!"
حاول والداي أن يفهما مني ما جرى لكنني كنت مصدومة بما حصل فلم أتمكن من البوح بشيء. أصررت بعدها على محاولة الاتصال به بينما يجري أبي مكالماته مع والد سمير ليبين له الآخر جهله بما حصل.

المصدر الوحيد للحصول على تفسير مناسب كان مني أنا لكن لم يكن بوسعي شرح شيء دون ذكر التفاصيل التي ربما تجعل أبي يزيد الأمر سوءا فلازمت الصمت مع البكاء غير المنقطع.

ليلة كاملة مرت علي بينما أفكر في كل شيء من حولي، لقد خسرت جميع صديقاتي ولم يبق لي أحد، وخسرت تعاطف والديّ بتكتمي عما جرى، وبالأخص خسرت حبيب عمري... نقحت الموقف برمته لأجد أنني فعلا تعبت، والسكوت والهوان لم يأتني بأي خير. اقتنعت أخيرا بعد كل الدمار الذي شهدته وكنت سببا رئيسيا فيه بأن أخطو خطوة جديدة فقررت أنه لا بد لي من إعادة الأمور إلى نصابها ثانية فلم يعد هناك أحد متبق لكي أخسره؛ سبق وخسرت الجميع، فكان لا بد لي من تقديم الحقيقة مهما كانت مؤلمة، لذا سأبدأ بأمي فهي الأقرب لي والأكثر تفهما لمشاكلي، علاقتي بها ليست مجرد علاقة أم بابنتها ما يجمعنا أقوى وأقرب إلى الصداقة، ومن خلالها أستطيع إيصال كل شيء لأبي. لكن بالنسبة لسمير لن يقتنع بسهولة بمبرراتي ولأنني أعلم أنه لن يصدقني بعدما تمكنت تلك المشعوذة من غسل دماغه فكان علي الاستعانة بأحد، ولم يخطر في بالي شخص آخر غير ميساء.

أعرف أنها تواطأت معهما لكنني متأكدة من أنها تختنق بهذا السر الذي يهتك قلبها، فما زلت أذكر نظرات الرعب التي عايشتها وقت إقدام نرجس ورنيم على جريمتهما النكراء. لذا أسرعت بالتوجه إليها ما إن طلعت شمس الصباح بعدما عزلت نفسي عن والداي في غرفتي يومين كاملين أنتحب بشدة على ما آل إليه حالي. جلست أولا مع أمي وقصصت عليها كل شيء، فأظهرت لي دعمها كما توقعت لكنها طلبت مني المحاولة مع سمير قبل عرض كل شيء على أبي لأصلح ما يمكنني إصلاحه من

الأساسات التي يستند عليها عالمي ثم مع عودة الأمور إلى نصابها أوضح كل شيء لأبي.

بحثت عن ميساء في كل أرجاء كلية الهندسة حتى قررت البحث عنها في الكافتيريا، لكنني حينما وطأت ذاك المكان قوبلت بشلة فراس دون أي تنبيهات فحاصرني أربعة منهم جولي ورشا ووائل وقيس، كان قيس وحده كافيا لدب الرعب في قلبي بحجمه الضخم فلم أتمكن من الهرب.

جرني أربعتهم نحو الطاولة التي يجلس عليها فراس بمظهره المتعب الذي لا يختلف عن حالي في شيء، ثم قاموا بإجلاسي عنوة على المقعد المقابل له وأحاطوا الطاولة كالحرس، فأخذت أبتلع ريقي مرارا من شدة ذعري، ابتسم فراس ابتسامة جافة في وجهي وقال: "ألن تهنئيني على خطبتي من جديد؟ يبدو أنك لا تعرفين بالخبر"

اقترب من رأسي منحنيا بجذعه من فوق الطاولة ثم همس في أذني: "إذا كنتما تظنان أنكما ربحتما الجولة ضدي فأنتما مخطئتان، أنا فراس ابن عدنان شريف ولست مجرد ولد أخرق! عندما أنتهي من انتقامي من صديقتك النجسة فإن دورك سيأتي قريبا بعدها"

ثم اعتدل جالسا من جديد وفي عينيه نظرة مميتة مخيفة، ولأول مرة في تاريخي الحربي مع فراس أرخي حصوني أمامه، لم يعد بي طاقة لأحتمل فنزلت تلك الدمعة التي لا أسمح لها بفضحي علنا بينما بدأت نظرات فراس تتغير نحو الدهشة، بكيت حتى أجهشت بالبكاء. وقف أصحابه يوزعون النظرات بينهم، فقام عن الكرسي وقد صك أسنانه مستاء ورماني بعبارة ساخطة قبل أن يبتعد من أمامي: "يا لك من ضعيفة، غيرت نظرتي تجاهك!"

.....

تبعته رشا مسرعة وأمسكت بيده لتوقفه متسائلة عن الخطب الذي حل به، كان وجهه متوردا وبدا عليه الانزعاج كثيرا، فنفخ بضيق: "لا شيء!"

كان يكافح مشاعر الشفقة التي أحس بها فجأة تجاه لورا وخصوصا حينما لمح دموعها التي تتحدث بصدق عن ضعفها في تلك اللحظة فهي ذكرته بضعفه الذي عايشه إثر وفاة أخيه وقيلة الحيلة التي لازمته فترة طويلة.

بدأ يشكك في قراره بالانتقام منها ونما داخله الصراع بين الجانب الإنساني فيه وجانبه الميت.

هو يعلم تماما أنه غير قابل على الشعور بالتعاطف والحب تجاه أحد والفتاة الوحيدة التي استسلم لها بهذه المشاعر تلاشت من أمامه كما تتلاشى صورة وهمية إثر استيقاظه من حلم جميل ليعيد محاكاة الواقع المرير الذي يحياه. لقد أقسم على عدم تسليم قلبه لأحد ثانية بعدما رُكل بعنف تحت قدمي فتاة لا تجيد لعب الكرة حتى فأضاعت قلبه برمية غير مدروسة منها وسط الصحراء ليختبئ بين الرمال حيث اللامكان.

وها هو يعيش نوعا من عدم الاتزان العاطفي الآن سببته دموع لورا، فبدأت مشاعره التي حاول كبتها طيلة فترة فراقه عن راما بالنمو مجددا... مضى على فراقهما شهر ولم تبرد نيران قلبه من جحدها حبه بقسوة. وهو لم يتمكن أبدا من إخراجها من قلبه.

عاد إلى الواقع حين سمع صوتا مكروها إلى قلبه فظهرت ملامح الاشمئزاز سريعا على معالمه عندما نطقت: "أين كنت؟ لقد بحثت عنك في كل مكان! لقد أنهيت اختباري النهائي للتو وأريد أن نخرج معا لنشرب شيئا ما رأيك؟أحتاج للترفيه عن نفسي عقب مأساتي"

رفعت رشا حاجبا بينما تنظر باحتقار نحو نرجس فأجاب بدوره: "ولما قد أرغب في الخروج معك يا نجس؟"

أجابت بسخط: "لأننا مخطوبان، هذا أولا ثانيا اسمي نرجس!"

رمقها بنظرة احتقار قبل أن يرد: "لم أتعلم حرف الراء في المدرسة"

ثم سار مبتعدا وهتف لرشا مشددا على حرف الراء: "تعالي يا رشا، سأشارك الشباب في الملعب لعل الكرة تلهيني قليلا"

سيلينا

كان لدي اختبار في كلية العلوم وهي بعيدة عن كليتنا وقريبة من كليات الهندسة والطب والصيدلة وهذه التخصصات العلمية التي لا علاقة لي بها.

خرجت من القاعة متمنية أنني بذلت خيرا فبسبب الأحداث الماضية فقدنا جميعا تركيزنا في الدراسة وتراجع تحصيلنا بشكل ملحوظ. توقفت عن المسير حين سمعت صوتا مألوفا فأسرعت بإمساك ذراع عمر من كمه لأوقفه عن السير، نظر إلي ملجوما وأشرت له بإصبعي لالتزام الهدوء، ثم استرقت السمع على ما بدا لي صوت لورا من خلف أحد الأبواب في أحد القاعات الفارغة، فسمعتها تقول: "أتظنين أنهما ستحميان ظهرك؟ إن حصل أي خطأ في خطتهن الآن فستكونين التالية فقد سبق ورمتاني في النار، الآن سيأتي دورك، أرجوك ميساء تضامني معي!"

سمعت صوت ميساء تجيبها بنبرة مرتعدة: "لا لن أعترف بشيء، فراما غدت مخيفة وهي لا علم لها بتواطئي في الأمر، إن عرفت فستنتقم مني أيضا، أم ظننت أنني غبية لئلا أشك بأن راما وشلتها هم من قاموا بالسطو على بيت نرجس؟!"

سمعت تمتمات بينهما وهمسا وجدالا انتهى بفتح الباب من قبل ميساء وهي تهتف للورا: "ابتعدي عني لن..."

لم تتم جملتها حين رأتني منتصبة أمام الباب وأكاد أقسم انني لمحت عروقها تتشنج، صدمت لورا برؤيتي أيضا، فدفعتُ ميساء من صدرها نحو الداخل مجددا وأغلق عمر الباب خلفه وهو يتبعني نحو الداخل، ثم قلت بنبرة مهددة لكليهما:" ما الذي كنتما تتحدثان به؟ إن لم أسمع اعترافا صادقا الآن فستشهد الجامعة اليوم جريمة نكراء."

ثم نظرت نحو حزام عمر حيث يعلق مسدسه فشحب وجه ميساء على الفور حتى ظننتها على وشك الإغماء.

الفصل الثالث والثلاثون

راما

أنهيت تقديم اختبار نهائي لمادة الإحصاء التي لا أفقه فيها الكثير ثم اتجهت للخروج من الجامعة مترددة فيما إذا كان علي العودة إلى البيت أو الذهاب مباشرة إلى شبح المنزل الذي نجتمع فيه عادة برفقة ساشا لقتل الوقت بكسل، فنقوم بتدخين لفائف التبغ أو أراقبهم وهم يُسكرون أدمغتهم بالمشروبات الكحولية والتي إلى الآن ما زلت أرفض عروضهم لي بمشاركتهم كأسا أو حتى رشفة، قد أكون انحرفت كثيرا واتبعت الضلال لكن ليس إلى ذاك الحد، ما زال ثمة بصيص من رادع وجداني داخلي لا يدركه هؤلاء المتمردون لأنهم ببساطة لم تحفر في قلوبهم أي قيمة لغرسها من قبل، أو أنهم اختاروا اقتلاع تلك البذرة إن وجدت.

أعترف أن قلبي الآن كصحراء قاحلة حُبس عنها الغيث لكن تلك البذرة التي ساهم والداي في نقشها ما زالت عالقة تحت التراب الجاف المتصدع في قلبي. إلا أنني أخشى مع مرور الزمن وكثرة اختلاطي بهم أن أتمكن يوما من اقتلاع تلك البذرة لأغدو مثلهم مجرد أشباح بقلوب تضخ دما فاسدا في دورة لا تنتهي.

في أثناء سيري لأتجه إلى الباب الرئيسي للجامعة توقفت قدماي عن المسير فقد تردد إلى أذني أصوات هتاف وضحك قادمة من الملعب، لذا غيرت طريقي لأتجه إلى هناك لألقي نظرة من خلف الأشجار لئلا يلمحني إنس.

اصطادته عيني في وسط الملعب يجري ويركل الكرة بحماس كما كان يلعب منذ اليوم الأول لمراقبتي له، وقفت مكاني أتأمله وقد هاجمت الذكريات مخيلتي الغارقة في غياهب الحزن. قاومت جاهدة النزعة التي تأمرني بالجري نحوه ومعانقته ومسامحته على كل

شيء مضى، لكن بعد كل هذه المدة كيف لي أن أواجهه؟ كيف سأتمكن من الحديث معه؟ طرده والداي عن عتبة الباب مرارا حتى لم يعد يأتي، قمت بعمل حظر له فحاول الاتصال بي من أرقام مختلفة حتى غيرت لي ساشا رقمي. وقصة ارتباطه هذه قلبت كياني ورمتني في ركن منزو أعدد استنتاجاتي وراء الرماد الذي يتطاير من يدي مع مرور كل يوم جديد، أحدها جعلني أعتقد أنه يئس من محاولة ترقيع الشرخ الذي على أثره انتهت علاقتنا فقبل بالزواج بنرجس على ضوء الإشاعات المتناقلة بحقه، أو أنه كان يحاول السخرية مني ومن والديّ، وربما لم تكن نواياه سليمة تجاهي من الأساس... ربما كان لأمه يد في هذا الزواج لتشعر أن كرم ما يزال حيا بينهم وهو سئم من هذه الدوامة المستمرة... لست أدري لا أجد تفسيرا مقنعا يجعلني أحكم عليه.

تنبهت إلى المقاعد حيث تجلس رشا على مقعد في الصف الأمامي بينما تستريح نرجس مع عدد من شلتها على المقاعد الخلفية وهي تهتف لفراس مشجعة مع صديقاتها، رؤيتي لها هناك نفى كل ظنوني فما هذا الهراء؟ هل تصرفاتها وحماسها لتشجيعه هكذا توحي بأنها تم التعدي عليها من قبله؟! إذن القصة غير صحيحة، مما يعيدني للاستنتاج الأول الذي بدا لي أكثر منطقية وأن كل ماحصل تمثيلية منهما ليرتبطا معا، وربما قصة ارتباطه بي من الأساس خطة لتقوم نرجس فقط بتحطيم قلبي.

التفكير في ذلك أعاد شعوري بالغيظ، فأخذت أبحث في جيبي عن أي لفافة تبغ لأفرغ غضبي فيها لكنني لم أجد، فقررت الاتجاه إلى حيث تنتظرني ساشا في ذاك المبنى لعلي أستمد منها المزيد من القوة وربما أبوح بمخطط الانتقام القادم الذي لن يهدأ لي بال إن لم أنفذه.

ركضت مبتعدة وأوقفت أول سيارة أجرة رأيتها وأرشدته إلى الحي الذي أريد النزول فيه وأكملت باقي الطريق سيرا لكي لا يلمح السائق شيئا مريبا فيجر رجال المباحث إلينا ويلقى القبض علينا بأي تهمة كانت.

دخلت البيت باستخدام مفتاح أمدتني به ساشا سابقا لأنها تشدد على الجميع بإبقاء الباب دائما مقفلا لدواعي الأمان، فكل واحد من العصابة يحمل مفتاحا احتياطيا.

اتجهت نحو الغرفة الكبيرة لكنني لم أجد أحدا مما أثار ريبتي فاتجهت صوب الغرفة الأخرى فوجدتها فارغة كذلك، لذا هممت بالمغادرة حتى توقفت فجأة على صوت الضبع يهبط السلالم من الدور العلوي وهو يسألني عما أبحث عنه فأجبته وأنا أرمقه بنظرات حذرة: "إنني أبحث عن ساشا، هل رأيتها؟"

هبط السلالم حتى أصبح على مقربة مني ثم أجابني: "هيلدا أرادت الحصول على وشم جديد لذا اخترن جميعهن مرافقتها"

أومأت رأسي بتفهم ثم هممت بالرحيل لكنه سبقني ناحية الباب ووقف أمامه سادا علي الطريق، فزفرت بتهديد أخفي داخله ذعري منه فأنا لم أثق به منذ اليوم الأول من لقائي به: "ابتعد عن الباب أريد أن أخرج.. لو سمحت"

لعق شفته مع نظرة بذيئة تفضح نواياه الرخيصة تجاهي ثم قال: "فكرة أن تنضم فتاة بهذا الجمال وبقمة الجاذبية إلى مجموعتنا ويمنع علي الاقتراب منها لأنها موسومة بلقب المحجوزة يحرك غريزتي أكثر لإشباع نزواتي تجاهها"

اشتدت ضربات قلبي ذعرا منه بعد تصريحه الجريء فهممت تغيير وجهتي لأي مكان في البيت لربما تمكنت من حبس نفسي في غرفة ما قبل وصوله إلي حتى مجيء ساشا

لتنتشلني من الوقوع ضحية له، لكنه فهم نيتي فكان الأسرع بقفزته نحوي فأطبق علي بجسده، فهمت وقتها سبب تسميته بالضبع فهو سريع وخبيث ومفترس.

حاولت جاهدة أن أقاوم قبضته الشديدة علي دون فائدة فهو كان قوي البنية وفارق الحجم بيننا جعل الأسبقية له. حاول محاصرتي ليحصل مني على قبلة لكنني حاولت جاهدة مقاومته خصوصا من رائحة أنفاسه الكريهة من آثار السجائر والكحول. ثبت جسدي على حائط بعدما جرني نحوه وأخذ يشتمني وهو يضرب ظهري بالحائط لأستسلم له لكنني كافحت بكل قوتي ومع ذلك فشلت في حماية شفتي من قذارة فمه، فالتقمهما منتصرا بقوة، بقبلة قذرة سببت لي شعورا بالغثيان، لم يكن يشبه فراس في شيء في قبلته المقززة تلك، فقد شعرت بأنني أتجرع من قاذورات الصرف الصحي في جوفي، فأخذت أضربه بكل قوتي لأبعده، حتى تذكرت المدية التي أعطتني إياها ساشا، فتمكنت من دس يدي في جيب سترتي الجلدية بعد عناء وأخرجتها لأطعنه بها على فخذه، فاختل توازنه وأرخى قبضته علي متأوها فدفعته عني مبتعدة عن الحائط بينما ألوح بالمدية الملطخة بدمه بيد وبيدي الثانية أمسح عن فمي آثار فحيحه المقرفة.

أخذ يتأوه ويصيح بي: "ماذا فعلت يا مجنونة؟! هل تنوين قتلي؟ آااه لا أحتمل الألم!"

ثم هبط أرضا تزامنا مع فتح الباب لتطل من خلفه ساشا برفقة ظلالها الأربعة، وجه خمستهن نظرات مصدومة نحونا فتساءلت هيلدا بنظرات مستهجنة خصوصا حينما لمحت الدم المتدفق من فخذه والمدية الملأى بالدماء في قبضتي: "ماذا بحق الجحيم يحصل هنا؟"

صرخ الضبع وهو يشير إلي: "حاولت قتلي هذه المجنونة!"

اتجهت الأنظار نحوي فصرخت مدافعة عن نفسي: "أراد الاعتداء علي!"

فأجابت هيلدا بنبرة محملة بالنزق: "فحاولت قتله؟!"
لوحت بالمدية نحوه في غيظ مرددة: "ألم تسمعي الجزء المتعلق بنيته الاعتداء علي؟"
تقدمت ساشا من المكان فخشيت أن توافق هيلدا في غضبها علي لكنها اتجهت نحوه بدلا مني، نظرت إليه وهو يئن من الألم ثم رفعت رجلها وأطبقتها على رقبته فاصطدمت جمجمته بالجدار خلفه وهو غير قادر على تحريك رأسه ثم قالت: "عندما نبهت سابقا بكونها محجوزة فذاك لا يعطيك الحق بالتصرف كجبان وطعني في ظهري للمرة الثانية!"
ثم ركلته بذات الرجل في بطنه فأنّ متألما بصوت مختنق، ثم التفتت نحو فريدة وأمرتها بنبرة باردة: "داووا جرحه لكن أحضروا رودي ليتبول عليه أولا"
أسرعت فريدا في تلبية طلبها فاتجهت إلى الخارج، وهنا تساءلت بصوت خافت بينما يبكي ويرجوها من أجل أن تسامحه: "رودي؟"
أجابتني كوكو: "إنه كلب ساشا الذي يعيش في الفناء الخلفي "
قفزت هيلدا أمام ساشا والغيظ يتسرب منها كما يتسرب الوقود من صهريج مثقوب وجادلتها قائلة: "ما كل هذا يا ساشا؟ أولا انتزعت لقبي لتهديه لها ثم تعطينها مديتك الخاصة والآن تنتقمين لها مع العلم أنك لم تفعلي ذلك به من أجلي حين نهش هو ذاته عذريتي سابقا!"
"هيلدا ابتعدي عن طريقي!" كان كل ما قالته ساشا ردا عليها، فاحمر وجهها غيظا وأردفت: "هل تخليت عني لأجلها؟ أتحبينها أكثر مني؟ أسحرتك في شهر لتجعلي لها معزّة أكثر مني؟ أنت خائنة!"

تجاهلت ساشا كل موجات الغضب التي قذفتها بها واتجهت نحوي وسحبتني من يدي خارجة بي من المكان غير مكترثة لهيلدا ومشاعرها المجروحة التي أعربت عنها للتو.

سارت بي في الفناء الخارجي باتجاه سيارتها حينما لمحت فريدة مع كلب حراسة ضخم مخيف، تسير به من طوق معلق برقبته باتجاه مدخل البيت، وما إن صعدت السيارة بأمر منها حتى سمعت صراخ الضبع من الداخل، فشعرت بشيء من الشفقة نحوه وأنا أتخيله يحتمي من بول ذاك الكلب، بمجرد استحضار تلك الصورة جعلت شعر رأسي يقف والشعور بالتقزز يسري في أوصالي. ثم تذكرت طعمه الكريه في جوفي فقاومت شعوري بالشفقة.

قادت السيارة لمسافة طويلة ملتزمة بالصمت، مع حفاظها على تعابير وجهها الجامدة والمخيفة، بينما أمسح دمعة بين الفينة والأخرى من المذلة التي شعرت بها بسببه. توقفت السيارة في أحد الأحياء البعيدة، وعلقت ساشا نظرها نحو أحد المباني كأنها تنتظر شيئا بصمت.

خرج من المبنى رجل وقف على حافة الرصيف القابع أمام المدخل، وبعد ثوان اصطفت حافلة مدرسية أمام الرجل ونزل منها طفل صغير ربما لا يتعدى التاسعة من عمره، حركت ساشا رأسها لليمين وهي تراقب الرجل وهو يمسك بيد الطفل ويسير به إلى داخل المبنى مجددا.

أخرجت نفسا طويلا مليئا بالأسى، ثم قالت:"هل رأيت ذاك الطفل الذي دخل المبنى للتو؟"

التفتت نحوي دون انتظار إجابة مني وصرحت: "إنه ابني"

فتحت فمي كالبلهاء لوهلة وأعدت النظر نحو المبنى ثم وجهت بصري إليها من جديد وقد علقت الكلمات في جوفي فلم أجد ما أقوله لها، أخذت نفسا عميقا ثم قالت:

"خسرت والديّ في الحرب ولم يتبق أحد من أفراد عائلتي إلا أنا وجدي، فهاجرنا إلى هذه البلاد نلتمس الأمان، حتى قرر قبول تزويجي من ابن الرجل الذي آوانا في شقة تابعة له مقابل إيجار زهيد كان يدفعه من المال المقدم لنا كمعونة من جهات خيرية لنعيل حالنا، كنت ما زلت في سن صغيرة ولم أصل السادسة عشر بعد... ثم ... صدمت بعد زواجي بأن ابن ذاك الرجل مدمن للمخدرات، فكان يضربني ويهينني ويهددني..."

شهقت فغطيت فمي، ابتسمت بحزن وقالت: "كنت مثلك تماما فتاة بريئة غضة تحمل في نفسها قوة عزيمة وإصرارا مكنني من تحمل بطشه، والسبب الآخر الذي جعلني أصبر عليه هو جاد طفلنا الذي أنجبته بعد زواجنا بسنة، فكان لا بد لي من الصبر من أجله....."

اختفت ابتسامتها وأظلمت عيناها وهي تسرد لي ما لم أتخيل سماعه من أحد قط: "لكنه كسر شوكتي حينما غدر بي ورماني طعاما صائغا لمروجي المخدرات الذين كان يدين لهم بالمال... استباحوا إهانتي فأصبحت سلعة رخيصة بيد هذا وذاك، فلم أعد أحتمل ففررت إلى جدي ألتمس الحماية وأرجوه أن يطلّقني منه... ولكي يهدم لي آخر آمالي أرسل رجالا من المخربين قاموا بتكسير بيت جدي وأفرغوا رصاصة في رأسه على مرأى نظري... قتلوا جدي أمامي... فقتلوا براءتي... ثم وكأن القدر وقتها رمى في طريقي الشعلة التي انطلقت منها باحثة عن حريتي فمات ذاك الدنيء بجرعة مخدر زائدة.... وفوق الكبد الذي عشته قام أهله بأخذ الولد مني عنوة بعد اتهامي في شرفي وحيازتي للمخدرات... لم أملك طريقة لإرجاع ابني. ثم أن من كانوا يدين لهم بالمال لم

يتوقفوا عن ملاحقتي وأذيتي لذا أجريت بحثا خاصا بي حتى اهتديت إلى واحد من أكبر تجار السلاح، فاتجهت إليه طالبة الحماية مقابل أن أصبح جارية له دون أي عوض مادي، أردت فقط أن أعيش..."

صمتت فجأة ولم أجرؤ على لكزها لإضافة المزيد من هول ما سمعت ثم بعد صمت طال تابعت بنبرة مختنقة: "بالطبع قبل بالأمر، فلم أكن وقتها إلا امرأة جميلة تتمتع بمميزات لا يرفضها شاب... "

أمعنت النظر فيها فحدثت نفسي بأنها ما زالت جميلة فقط لو تخفف من طبقات مساحيق التجميل المخيفة التي تضعها وخصوصا الكحل المبالغ فيه في عينيها، ثم تابعت: "لم يطل به الأمر حتى وقع في حبي فتزوجني، لكن يبدو أنني مصابة بنحس أو ما شابه لأنه توفي بعد زواجي بسنة بسبب مرض عضال، فورثت بعض ممتلكاته بحكم أنه خاض تجربة طلاق ولم ينجب أولادا، فتوزعت التركة بيني وبين أقاربه، حاولت بعدها النهوض على قدمي مرة ثانية واسترداد ابني لكنني ومع توكيل محام بارع لم أحظى بحق حضانته أبدا بسبب الشبهات المعلقة بي وما زلت إلى الآن أسعى للوصول إليه"

مددت يدي لأربت على كتفها بتعاطف فنظرت إلي بعين منكسرة ثم قلت: "سيعود إليك.. لا تيأسي .. ستستردينه! إنه ابنك أنت في النهاية!"

خرجت من فمها ضحكة صغيرة وقالت بيأس: "ليت الأمر سهل كما تظنين..."

ابتلعت الكلمات التي تجرح سقف حلقي في بادرتي لسؤالها عما حصل بشأن من آذوها، ويبدو أنها فهمت من تعابير وجهي استفساري الصامت فقالت: "بالنسبة لأولئك القذرين منهم من مات بجرعات مخدر زائدة ومنهم من قتل على أيد مدينين آخرين، أما الباقي يعملون تحت إمرتي وإن قصر أحدهم في عمله يلقى عذابا أشد مما كابدته"

أمسكت بيدي وقالت: " ما فعلته أنت مع الضبع أثبت لي أنك لست ضعيفة وربما لو كنت مثلك في ذاك الوقت ما تجرأ علي إنسان، أخبرتك بقصتي حتى لا تستسلمي لشعورك بالمذلة والابتذال لمجرد أنك هزمت بقبلة، المهم أنك خلصت نفسك منه ببسالة لا تقدر عليها الكثير من الفتيات اللاتي دفنت أحلامهن وسط هذا المجتمع الظالم والذي ينظر إلى المغدورة أنها بضاعة مستهلكة... نصيحتي لك يا راما من أهانك لا تسكتي له، انتقمي لنفسك! خذي بثأرك! لا تقبلي بالضعف أبدا!"

لهذا هي تتمتع بهذه النظرات المخيفة فهي كابدت الكثير بالنسبة لفتاة عشرينية عاشت الحرمان والفقد، ما قصّته علي الآن جعلني أستسخف ما عانيته بسبب فراس، هزمني الحزن فاستسلمت للانحدار نحو القاع مع أنني لم أخسر إلا حبي له فكيف لو عشت معه تجربة امتدت سنين من العشق ودمرها في ليلة؟ فعلى الأقل ما زلت أحفظ كياني كفتاة طاهرة لم تمس، ألا تحسب تلك نقطة بالنسبة لي؟ لكن...... ماذا عن انتقامي الذي أعددت له؟ هل أبالغ إن قلت أنني ما زلت أصر على إيقاعه؟ فلربما يبرد علي من نيران قلبي.

سيلينا

كان لا بد لي أن أقص على راما ما اعترفت به كل من ميساء ولورا على مسامعي لا أصدق بأن شيئا كهذا حصل أمام أعينهما وفضلتا التكتم على الأمر، كان لومي موجها بالذات للورا فهي تعتبر راما أعز صديقة لها، لم تنجح في إقناعي بحجتها الواهية في حال إن رفضت يتم اتهامها هي بعلاقة مع فراس، أعني كنا سنجد طريقة لدحض هذه الاتهامات ولعالجنا المشكلة بأي تدبير كان. أما الآن بعد الخسائر التي تسببت بها لورا لا أعرف إن كانت راما قد تصدق أم لا وإن صدقت لاعلم لي بطريقة معالجتها للمعلومة الجديدة.

انطلقت في السيارة أشتعل غيظا ولي وجهة محددة، بيت أهل راما لأجبر كلا من ميساء ولورا على النطق وإعادة الأمور إلى نصابها إن تمكنت من ذلك.

حينما وصلنا وترجلنا من السيارة نحو المبنى وإذ بنا نتفاجأ برجال ملثمين يقومون بتحويطنا، فتعالت أصوات صراخ الناس في الشارع بين من يجري مبتعدا أو يحتمي داخل مبنى أو خلف الأسوار وخصوصا مع تصويب مسدسات نحونا أحدها مركز صوب صدغ عمر بالضبط.

كانت لورا وميساء ترتجفان خوفا وتبكيان بهستيرية، ثم أشار إلي أحد الرجال بالسير معهم نحو سيارة سوداء مركونة في الجانب الآخر من الشارع وإلا قاموا بإفراغ الرصاصات في رؤوسنا جميعا.

لم أستجب لهم من شدة خوفي فجذبني بيده بخشونة وهو يجرني معه، فغضب عمر وبحركة سريعة ثبت يد الرجل المصوب نحو رأسه وهو يصيح بهم: "اتركوا سيدتي وشأنها!"

وما إن قال جملته حتى أطلق واحد فيهم رصاصة في صدره فخر واقعا وقد تمكن ذاك من الإفلات من قبضته، وتمكن الرجال الأربعة من إرغامي على الجلوس في المقعد الخلفي عنوة وأنا أصيح وأهدر: "عمر! لاااا! لا لا!"

هجمت لورا بسرعة نحو السيارة دون تفكير كأنها تحاول إيقافهم فأطلق ذات الشخص رصاصة في الهواء جعلها تتسمر في موضعها وهي تحمي نفسها باحتضان رأسها بين ذراعيها أما ميساء فبدا لي أنها فقدت الوعي.

تم تكبيلي وتقييدي في المنتصف بين أحد الرجلين في المقعد الخلفي، ورأسي يلتفت إلى الخلف لعلي ألمح اثرا لعمر وهو ينهض لكن هيهات.

قام أحد الرجلين بتكميم فمي لأتوقف عن النواح والبكاء والاستفسار غير المتوقف عن هويتهم وما يريدونه مني. ثم قاموا بدفن رأسي في كيس قماشي لئلا أتمكن من رؤية الطريق، فازداد خوفي وذعري من كل ما يحصل حولي ولم يجف لي دمع.

اقتادوني كما يُقاد العجل الذي على وشك أن يذبح، ولأنني لا أرى شيئا أمامي فقد كان صعبا علي أن أسير بالوتيرة التي يريدونها مني فضربني أحدهم على ظهري ليستعجلني.

سرت في مكان لا أدري ماهيته، وصعدت سلالم خشيت فيها أن تنزلق رجلي عنها، ثم تم إخضاعي مكرهة للجلوس على كرسي ما. ثم سمعت وقع أقدام تسير مبتعدة وصوت مزلاج باب يغلق، بعدها اختفت الأصوات من حولي. حاولت جاهدة، بالرغم من ذعري الذي جفف دموعي، التفكير بهوية هؤلاء المجرمين، فمن يكونون؟ هل يعقل أن يكون لرنيم يد في الموضوع؟ لا لا رنيم لا تملك كل هذا النفوذ! هل هم عصابة يلتمسون الفدية من إيان؟ أم أنهم رجال تابعون لأحد التجار الذين خسروا صفقاتهم التجارية معه فخططوا لاختطافي انتقاما؟

أعتقد أنه مر ساعات طوال وأنا حبيسة في مكان لا علم لي بمعالمه أبكي وسط الفراغ المظلم بدموع صامتة فقط بسبب عجزي عن الصراخ . وفي وقت ما لم أتمكن من تحديده سمعت صوت المزلاج يفتح من جديد، ثم صرخت صرخة مكتومة حينما تم سحبي من ذراعيّ بقبضتين خشنتين، سارا بي مسافة قبل أن يتسلل إلى أذني تمتمات وجدال، ثم استقررت جالسة بدفعة من كتفي على كرسي ما.

سرعان ما كشف عن رأسي من تحت الكيس القماشي فآذتني الأضواء الساطعة لوهلة فاضطررت لإغماض عيني أكثر من مرة حتى تمكنت من الاعتياد على الضوء القادم من ثريات معلقة وسط غرفة كبيرة، تنبهت وقتها إلى أنني جالسة إلى طاولة مائدة عملاقة، ثم

أدرت بصري في الأرجاء لأجد رجالا ملثمين متحلقين حول المداخل ثم لمحت وجها بدا لي مألوفا بشعر أشقر طويل وملامح جميلة ثم تذكرت أخيرا هويتها، مدت يديها على الطاولة مقابلي ثم قالت: "نبهتك سابقا إلى الابتعاد عنه وتركه لكنك اخترت عصياني، لذا استعدي الآن للعقاب."

مد عمها الجالس إلى جوارها يده على كتفها لتهدئ من فورتها وقال: "اهدئي يا ميريديث، وفري العتاب لتلقي الأحباب!"

بكيت من شدة خوفي ولم أجد ما أقوله وسط هذا المشهد المريع، منذ أن دخل إيان بيتنا أشهرا مضت قلبت حياتي رأسا على عقب وباتت أقرب إلى مشاهد سينمائية إلى كونها حقيقة تعاش.

بعد لحظات من عبارته تلك أطل رجل آخر ملثم واتجه نحو عمها، همس في أذنه كلاما فازدادت ابتسامته اتساعا، وقال: "هاته ليدخل!"

وجهت نظري نحو الباب خلفهم فدق قلبي بقوة حين رأيته يتخطى العتبة دخولا، وما كدت أبتسم إلا وقد حولتها إلى نظرة ذعر من جديد، فهو لم يدخل وحده بل كان معه رفقة، مسدس مصوب إلى مؤخرة رأسه ويداه مكبلتان خلفه، سار بأمر من الرجل الملثم حين وقعت عيناه علي فرمقني بنظرة متألمة. جلس على كرسي في منتصف المائدة بيني وبين مريديث، ثم انتقل ببصره نحوها مهددا إياها لتركي أرحل، فقالت بابتسامة ساخرة: "وإلا ماذا؟ انظر من حولك لمن السيطرة هنا؟"

تجاهلها إيان ملقيا نظره نحو عمها وقال: "هل فقدت عقلك لتطيعها في جنونها؟"

أجابه وهو ينظر إلي: "أعتقد أنني سبق وأخبرت زوجتك... نقمتي أنني عم لها والأقربون أولى بالمعروف"

رفعت مريديث يديها منهية جدالًا لم يبدأ بعد وقالت: "إذا أردتها أن تنجو بحياتها فقط وقع على أوراق الطلاق هنا ثم امض توقيعك على عقد الزواج بيننا، غير ذلك لن يحصل، فإذا رفضت لن أتوانى عن قتلها"

ضغط الرجل الواقف إلى جانبي بفوهة المسدس على رأسي فازداد بكائي من تحت قطعة القماش المكمم بها فمي، ونظرت نحو إيان بعينين باكيتين متوسلتين لإنقاذي، زفر إيان منزعجا وهو يوجه انظاره نحوها مجددا: "أنت مجنونة!"

- "مجنونة بك!"

- "ميريديث فكري جيدا في الأمر"

- "افعلها! دون نقاش!"

فك الرجل الواقف خلفه وثاقه، ثم نظر إيان نحو الأوراق المستريحة أمامه على الطاولة وأطال النظر فيها بينما لا أستطيع الوصول إلى ما تحمله عيناه من أفكار. فجأة سمعت صوت زناد لمسدس ما وشعرت بالمسدس المصوب نحو رأسي يرتفع مبتعدا عني، أدرت رأسي إلى الجانب قليلا فرأيت مايك وهو يوجه سلاحه نحو رأس الرجل الذي يهددني، استغرق مني الأمر برهة لأفهم أن مايك كان متنكرا كواحد منهم ثم اختار هذه اللحظة لكشف الغطاء، ولم يكن وحده بل كشف أربعة غيرهم تنكرهم وهم يصوبون بأسلحتهم إلى أدمغة رجالها بالإضافة إلى عمها الذي اكتفى برفع يديه استسلاما. كان الكل مأخوذا بالصدمة التي أمامهم، فالتفت إيان نحوها من جديد وقال: "إذا لم تريدي أن يتحول المكان إلى مجزرة فاتركينا في حالنا، قلبت الأدوار ياميريدث!"

لمحت نظرة غضب تتعالى في قسماتها ثم بحركة خاطفة كأنها مدربة عليها انتشلت مسدسا من جيب كنزة عمها الجالس إلى جانبها وصوبته مباشرة نحوي، فأسرع مايك بإخراج

سلاح آخر من الجهة الخلفية لحزامه صوبه نحوها، فوجه إليه إيان نظرة آمرة بإنزال المسدس لئلا تطلق النار علي، فاستجاب مع حرصه على إبقاء فوهة المسدس الآخر على صدغ الرجل الواقف إلى جانبي، عادت في أوامرها لإيان قائلة: "وقع الآن ماذا تنتظر؟" زم شفتيه وهو ينتقل ببصره بينها وبين الأوراق، ففقدت صبرها ووجهت فوهة المسدس نحوه بسخط وهي تصرخ به ليقوم بالإمضاء على الأوراق، تنهد ثم قال: "سأوقع فقط على أوراق الطلاق وتتركين سيلينا بحالها، لكنني لن أوافق على الزواج بك مهما كان! وإن شئت بعدها أن تقتليني فافعلي"

أجابته بغيظ: "يبدو أنك لم تفهم تهديدي بعد!"

ابتلع إيان الإجابة ولم يزد عنها شيئا ثم تناول القلم الموضوع على الطاولة أمامه وركز انتباهه على أوراق الطلاق تحت ناظريه، أخذ نفسا عميقا ثم أعاد القلم موضعه. التفت نحو ميريديث، عاقدة الحاجبين بذهول، ثم قال: "بعد التفكير ثانية، لن أطلقها"

- "هل تعبث معي؟"

- "حاشا لله.. لكنني ببساطة لن أطلق زوجتي من أجلك.... أفضل أن أرملها على ذكرى زوج طيب على أن أذيقها مر طلاق مرير، ومن جهة أخرى لن أتزوجك لو كنت آخر امرأة على وجه الأرض، لئن ينقرض نسلي أهون علي من التفكير بك كشريكة حياة"

سكت قليلا ثم التفت إلي قائلا: "ثم أنني لن أستبدل بوردتي حقلا من الأشواك... ربما بدأنا بداية غير موفقة يا سيلينا، لكن البدايات السيئة هي التي ترتفع في سقف النجاح، وإن كنت سأعترف لك متأخرا فأنا لم أتشجع على البوح بذلك من قبل... ربما لن تصدقيني لكن أحبك... نعم أحبك.. في مرحلة ما من ملاحقاتنا وعثراتنا اكتشفت أنني أكوّن نحوك مشاعر لم يألفها قلبي، ليست إعجابا ولا افتنانا، لكنها ببساطة دفء وكقدح

قهوة سلس لا يصفو صباحي دونه، بت أجزم بصدق تطور مشاعري تجاهك على نحو لم أملك توجيهه، أحبك كحب الأرض للشمس، أحبك كحب النبات للماء العذب، دونك أكون ورقة عجفاء لا روح فيها... أنت فقط ستبقين حبي الأول والأخير بلا منازع"

شهقت وسط دموعي حين اكتشفت أنني أبكي، ذرفت عيني دموعا انسابت على خدي كنهر يبحث عن بحر يصب فيه ذكرياته، تراءى إلي كل اللحظات التي جمعتني به منذ لحظة حديثي معه لأول مرة حينما تغزل براما إلى احتضانه لي في فراشه بحنان. كيف يجمع إنسان واحد صفات الإنس والملاك في جسد واحد كهذا؟ أكان حلما فعلا وانتهت الحكاية إلى هنا لتأتي هذه الكابوس لتنتشله مني حيث لا ضوء ينير ظلمة الموقف الذي نحياه؟

كانت ميريديث تبكي هي الاخرى وإن لم تكن منتبهة إلى دموعها بعد. أعاد توجيه بصره نحوها ثم قال: "أنا آسف لكن أنا وأنت ليست بحكاية عادلة لتروى، لم أكن لأحبك يوما ولن أفعل أبدا"

صرخت صرخة كتمت أنفاسنا كانت صرختها أشبه إلى امرأة فقدت طفلها فجأة دون سابق إنذار، علا صوت بكائها ونشيجها الحزين ثم نظرت نحو إيان بنظرات كلها عتب وألم ثم قالت: "إن لم تكن لي فإني لا أطمح لحبيب غيرك!"

لحظة سكون أعقبها صوت طلقة خطفت أنفاسنا لوهلة ومعها خرج صوتي مكبوتا بصرخة ألم شعرت بها تسحبني نحو القاع.

راما

لم أعتقد بعد موجة الاكتئاب التي تجددت في خزان ساشا المليء بالهموم أن تقبل بفكرة انتقامي التي تعتبر بالنسبة لي إغلاقا للفوهة التي تركتها مفتوحة، فها أنا ذا جالسة في سيارتها أعد الدقائق المتبقية لي لأتشجع وأنهض صوب هدفي التالي، بيت فراس.

كان لا بد لي من إفراغ بقية غضبي في تشويه معالم غرفته كما فعلت بمخطوبته الراقية، لأنني إن لم أفعل فإني بذلك ألقيت له قبعة الانتصار التي يسير بها مختالا أمامي. شجعتني ساشا على الترجل من السيارة وإرشادي لكيفية تسلق أحد الأشجار في فناء البيت الخلفي لتوصلني حيث هي غرفة فراس. الآن ربما تكونت الصورة لسبب رهبتي من تنفيذ المخطط، فعدا عن خوفي من افتضاحي فإنني أيضا أخشى السقوط عن قمة الشجرة، ما أغلى على الإنسان شيء إلا روحه.

حملتني ساشا على تخيل الأمر سهلا كامتطاء بساط علاء الدين السحري وهي تصف لي سهولة الامر عكس تخيلاتي، ووصفت هذه الخطوة بالديناميكية التي ستقلب كل مخاوفي وتجعل مني إنسانة أفضل لا تخشى افتراس الوحوش في البرية.

تسلقنا السور الخلفي لفناء بيت لورا فهو كان أقل ارتفاعا من سور بيت جيرانها، عائلة فراس، ثم اتجهنا إلى الجهة التي تفصل البيتين عن بعضهما بسور أقصر يمكن الرائي من رؤية الشخص المقابل إن تقابلا في التوقيت ذاته. ثم سرنا على مهل حتى لا يستشعر الحارس أو خادم البيت عادل أي حركة غريبة. لفت نظري أن أضواء المنزل كلها مطفأة إلا من مبنى الحارس الخارجي، ثم ساعدتني ساشا على تسلق الشجرة التي تؤدي مباشرة إلى نافذة غرفة فراس.

كنت أشعر برهبة كبيرة وتأكدت في منتصف الطريق أنني بلا شك مجنونة، فأردت التراجع والنزول عن الشجرة لكن ساشا منعتني ووعدتني أن تمسك بي إن سقطت، والحمد لله لم يحصل.

تسلقنا جذعا متينا يؤدي إلى نافذة غرفة أخته فقد كان أكثر اتزانا من الغصن الذي يصل إلى غرفته هو. ساعدتني ساشا بعدها على التعلق بالنافذة ثم أوكلت إلي ببقية المهمة بأن أسير

على الحافة وصولا إلى غرفة فراس ومنها أعبر إلى الداخل. فتحت النافذة التي أغلقها بسبب برودة الجو ثم اقتحمت المكان بعد أن جاهدت لدفع جسدي نحو الداخل يحركني فقط دافع حماية نفسي من السقوط والتهشم داخل أسوار بيتهم.

لم أجرؤ على إضاءة النور فاكتفيت بالضوء الصادر من هاتفي حين لمحت رسالة من ساشا تخبرني فيها أنها ستنتظرني أعلى الشجرة لتساعدني على التملص والهروب من المكان حتى لا أصاب بأذى.

شكرتها في سري ممتنة لخوفها علي ثم اتجهت نحو سرير فراس لأبحث في الكومودينو خاصته عن أي شيء أحرق فيه قلبه كما فعل بي، ثم شهقت بقوة مجفلة وقد أضيئت الأنوار فجأة، نظرت خلفي فرأيت باب الحمام مفتوحا وفراس يقف عند بابه ويده على مفاتيح المصابيح.

نظرة الذهول التي تشكلت في عينيه لا تقدر بثمن، أدرت رأسي يميناوشمالا بحثا عن منفذ للهرب، وحين تذكرت النافذة أسرعت صوبها لكنه استيقظ من صدمته فكان الأسبق نحوها ليسد علي الطريق، وقفت كالبلهاء لا أنوي على شيء بينما أسلط بصري في كل مكان إلاه، حتى جاءني صوته مختنقا وهو يقول: "اشتقت إليك"

أشعلت كلماته نار الشوق في قلبي لكنني حرصت على توجيه هذه النيران نحو غضبي الذي كافحت ألا ينطفئ، ثم قلت: "كفاك هراء وابتعد عن النافذة، أحمل معي سلاحا ولن أتوانى عن طعنك به إن لم تتزحزح"

فتح ذراعيه أمامي وبنظرات خاوية قال: "افعليها لربما خلصتني من عذابي"

أخذني على حين غرة فضعت وغرقت في حيرتي فيما علي عمله، أخذ تيهي إشارة له ليتقدم ببطء مني كمن يحاول ترويض لبؤة هائجة، فكانت خطواته حذرة محسوبة بدقة وعيناه تحملان نظرة مطمْئِنة كأنه يقول لن أؤذيك فقط اثبتي.

وصل أمامي مباشرة ونظر في عيني مطولا قبل أن ينتقل فيهما نحو شعري المصبوغ بسواد ليلة غاب فيها معاني النور، وبحذر مد يده لتتخلل أصابعه خصلاته، فلم أقاوم شعور التخدير الذي خلفته أنامله في فروة رأسي كإبرة تخدير يسري إكسيرها في دمي.

تجرأ بعدها على لمس خاصرتي بيده الثانية وهو يقترب مني أكثر حينما شعر بأن همجيتي تم إحكامها جيدا بلمسة منه، ثم قرب رأسه مني ولامس أنفي بأرنبة أنفه وقال هامسا بأنفاس داعبت وجداني:" كيف لك أن تحملي كل هذا الحقد تجاهي وأنت لم تسمعي مني أولا؟!.. ظلمتني يا ظالمة... حطمتني أيتها الآسرة الجليدية... "

تسارعت أنفاسي تباعا مع كلماته فلم أجد نفسي إلا وقد رضخت له بسرعة فأغدقته بقبلة مفاجئة على فمه جعلته يصدم لوهلة من جرأتي، لكنه لم يقابل مبادرتي بالرفض بل جرني نحو سريره ليتعمق هو بالقبلة أكثر وقد اكتشف أنه أمسك اللجام الذي مكنه من ترويض ثورتي بسرعة.

انغمست في قبلتي له حتى نسيت لوهلة غضبي عليه، سحرت باللحظة الحالية وقد تمكنَتْ من خلعي من عالمي المزيف المليء بالانحدار والدونية لتجعلني أشعر كأنني عروس فرشت لها الدنيا ببساط حريري يلف فؤادي فيذيقني من حلاوة قربه ما حاول فكري تعويد جسدي على نسيان حسه.

احتضنني بعشق غير متناهٍ، وبالرغم من أن ملابسنا شكلت حاجزا بيننا إلا أنني تمكنت من استشعار السخونة التي تتسرب من جسده نحو بدني الملهوف بلمسة منه، تحولت القبلة إلى

شيء أعمق وتبدلت من الحنو إلى القوة كأنه يعاتبني من خلالها. أخيرا وجدت القبلة نهايتها لتنتهي معها الثواني الأخيرة من فيلم العشق الذي يعاد في قلبي مرارا وتكرارا حينما همس في أذني بأنفاس شبقة مشتاقة: "عودي إلي... أحبك!"

دفعته فورا من صدره وانتشلت جسدي من تحته وأنا أصلح ثيابي المجعلكة من لماسته المبعثرة وجريت بسرعة نحو النافذة، فحاول إيقافي وهو يهتف لي لكنني لم أستمع إليه وتسلقت النافذة متجهة إلى غصن الشجرة من جديد، وحينما لمحتني ساشا أسرعت بالحبو تجاهي لتساعدني على الهروب، وعندما التقفتني بيدها أخرج فراس رأسه من النافذة هاتفا باسمي فكدت أفقد توازني من جفلتي، لكن ساشا تمسكت بي جيدا وجرتني بسرعة عن مرأى ناظريه لنختفي في فناء بيت لورا مجددا بينما تركت رأسه معلقا بنظرات متحسرة من خلف النافذة. ثم أسرعنا للهرب من حيث جئنا فاكتشف عادل وجود متطفلين ليصرخ مهددا: "من هنا؟ سلم نفسك!"

رفعتني ساشا عن السور بسرعة قبل أن يصل إلينا بصوته الهادر وركضنا مسرعتين دون الالتفات خلفنا ونحن نفكر بفكرة واحدة وقتها وهي النفاد بجلودنا فقط.

الفصل الرابع والثلاثون

من منظر شفتيّ المنتفختين والحمرة التي تكتسح خدودي أدركت ساشا أن لقائي المصادف بفراس يخبئ تفاصيل لم أطلعها عليها فأخرجتني من أفكاري الغارقة بقبلتنا الجامحة تلك بصوتها الرنان وهي تهتف لي: "يا بنت! إياك والمراوغة ماذا حصل في الداخل بينكما؟ ولا تقولي لي أنك عندما رأيته هربت! فأنا أشتمّ رائحة سر قذر هنا"

أبعدت وجهي ناحية الطريق أمامنا وقلت محرجة: "ليس سرا قذرا.. لم يحصل شيء إنه فقط... لقد تبادلنا قبلة"

صرفت نظرها عن الطريق مجددا لتنظر إلي مؤنبة ثم قالت: "أذهبت إلى بيته للتخريب أم لإقامة علاقة معه؟ ماذا تحسبين نفسك فاعلة؟"

خبأت وجهي تحت كفي يدي وخاطبتها بصوت مكمم: "لم أقصد شيئا من ذلك! أرجوك يا ساشا كفى. لا أريد الحديث في الموضوع!"

استمعت أخيرا لمطلبي وركزت نظرها نحو الطريق بصمت غير مريح، تسلل إلي شعور بأنها ترغب في قول شيء ما لكنها تراجعت ولم تزد على الحديث في الموضوع وتركتني مع مخيلتي الجامحة بينما أستذكر تلك القبلة مرارا وتكرارا، خدعت نفسي بفكرة أن الجانب الإيجابي من قبلتنا تلك أنها وسيلة لغسل جوفي من قاذورات الضبع سابقا. أو للانتقام من مخطوبته السارقة.

سيلينا

ثواني من الصمت خيمت على الأجواء بينما تتمكن أدمغتنا من استيعاب ما حصل، كسر جو الصمت هذا صراخ هستيري خرج من عم ميريديث وهو يهبط نحو جثتها المستلقية أرضا بعدما أفرغت رصاصة المسدس في صدغها.

في البداية ظننتها قتلت إيان لكن حينما تمكن عقلي من ترجمة الموقف ورأيت جسدها يهوي فقدت القدرة على النطق أو التفكير بأي شيء، عيناي معلقتان فقط على منظر الرجل الذي يحتضن جثة ابنة أخيه صارخا بقلة حيلة علها تنهض.

دموع... دموع بدأت تترعرع لتشق سبيلها بوعورة على خدي الملتهب من آثار البكاء، تمنيت أن نخرج الليلة أحياء سالمين لكنني لم أتمنى شرا يوما لها، بالرغم من جنونها إلا أنني أشفقت عليها، انتحرت ميريديث وأنهت حياتها حتى تحمي قلبها من العزاء على حاله سنينا... كانت ضعيفة بقرارها واتخذت أسوأ حل لكن ما فات قد فات وانتهى.

لن أدخل بكم إلى التفاصيل التراجيدية لحضور رجال المباحث ونقل جثمانها أمام بصري في ناقلة بيضاء واعتقال كل الرؤوس المشاركة في العملية الإجرامية لإحالتهم إلى القضاء، والساعات الطوال التي قضيناها في مركز الشرطة.

نظرة الانكسار في ملامح عمها كانت كفيلة لتفجير ينابيع الأسى في قلبي. كان إيان يحتضنني إلى صدره في السيارة وهو يلثم جسدي المرتجف ببطانية لعل السكينة تجد ملجأ لها، كان يبكي هو الآخر فلم يستوعب بعد فظاعة الجريمة التي أقدمت عليها ميريديث، هو بالتأكيد لم يكنّ لها أي نوع من المحبة لكنه في المقابل كان يحلم بأن يراها سعيدة في رعاية رجل آخر غيره، ترعرعت ميريدث معه منذ الصغر لعلاقة صداقة بين والدته المرحومة وأمها، ثم بدأت تلك تكون مشاعرها نحوه بالرغم من صده لها مرارا.

رق قلبي عليه لحزنه على موتها ففي النهاية كانت تشمل جزءا من ماضيه وحاضره.

في خضم الأحداث الجارية تذكرت عمر، فرفعت رأسي عن صدره أمسح عن وجهي الدموع الدبقة وسألت عنه، فطمأنني إيان إلى أنه في المستشفى تحت الرعاية وأنه بخير فأصررت على مقابلته لأطمئن عليه حتى وافق.

رؤيتي له في سرير طبي وبلباس المشفى دون نظاراته وسماعاته جعلني أدرك كم هو ابن آدم ضعيف، فحتى لو كنت ضخم الجثة قوي البنيان فإن جسدك يخر عند أول آهة تصيبه.

كان يتجنب النظر إلي محرجا من وضعه الحالي فجلست إلى جانبه ومسحت على يده الموصولة بالمغذي والدواء ودعوت له بالشفاء العاجل بينما أمنحه أرقى ابتسامة ممكن أن يحظى بها إنسان... في جلستي معه استطعت أن أخترق الجدار الذي بيني وبينه لأتعرف عليه كرجل عادي بدل الرجل الحديدي الذي ألفته، عرفت أنه متزوج من فتاة من الضواحي كان قد حظي بها في قصة حب دامت سنين طويلة، كما أن زوجته حامل بطفلة، فحمدت الله على نجاته لئلا تتربى ابنته يتيمة مثلي بلا أب، لا أدري لما أعادني إلى ذكرى والدي في وضعه هذا فذرفت الدموع الحزينة بينما أحدثه قصصا عن أبي وعن بطولاته كمربٍ وأب، نقطة الضوء الوحيدة من فقدي لأبي كانت أنه مات ونحن راضون عنه، مات وقلوبنا تحمل من حب وود له جعلنا لا ننسى أن ندعو له يوما ولا ننساه بصدقة أو ذكر بكلمة طيبة، إن خير إرث تورثه أولادك من بعدك ذكراك العطرة لتبقى بطلا في قلوب أبنائك.

جاءتني لورا في تلك الليلة لتطمئن علي بعد أن قضت يومها كاملا مع ميساء في مركز الشرطة. وهبّ والداها للاطمئنان على إيان أيضا.

كانت عيناها منتفختين على أثر البكاء الهجين الذي عانت منه اليوم، قصصت كل ما عشته عليها مع أمي التي لازمتني وقت وصولي إلى البيت ففوجئت بها تنتظرني مع عائلة إيان، بعدما أذن لي بمغادرة المجلس لأستريح، بينما كان يستقبل الضيوف الذين جاؤوا للاطمئنان علينا وما حصل معنا، غير المكالمات الهاتفية التي انهالت عليه.

تلك الذكرى السيئة سيبقى لها طعم في جوفي لن أنساه، لكن ما يبرد علي هول الصدمات التي عايشتها هو اعتراف إيان بحبه لي لأبدأ بالتساؤل إن كان اعترافه مجرد خطة ليستدرجها لتفقد أعصابها فيتمكن من تحويل الأمر لصالحه؟ أم أنه اكتشف أخيرا طبيعة مشاعره نحوي؟

لم تطل لورا وأهلها ولا حتى الضيوف في الزيارة لكي نرتاح من سقم اليوم وما خضناه من تجربة مميتة لنعيد سرد الأحداث مرات متتالية بدأناها في مركز الشرطة وانتهاء بذبول وجهينا آخر الليل.

اطمأنت علي أخواته وعانقنني واحدة تلو الأخرى وحتى جدته استقبلتني في الأحضان على عكس ما تخيلته منها، أما أمي فقضت كل تلك الامسية تبكي وقبل أن تغادر مع أحمد ضمتني بقوة وتنهدت مرارا. قرر وقتها إيان منحي لحظة خاصة مع عائلتي لننفس عن كل غم في قلوبنا، لم نتحدث ولم نقل شيئا لكنها اكتفت بمعانقتي وتقبيل رأسي، كان حضنها هذه المرة دافئا عكس ما اعتدته منها طيلة حياتها. أحمد كان جالسا على حافة السرير ويحدثني بلغة عينيه عن خوفه علي وحبه الشديد لي.

حينما غادر الجميع أخيرا وتركوا لي مجالا لأستريح من مشاهد الفوضى والدم وأصوات الرصاص التي يعزف صداها لحنه في فناء عقلي المضرج بدماء حمراء تنساب من جثة ميريديث، دخل إيان علي ووقف عند الباب وهو ينظر إلي قلقا، ثم تساءل إن كنت حقا بخير ولا أحتاج لرؤية أخصائي، فأكدت له أنني على ما يرام.

اقترب من السرير واستقبلني في الأحضان وهو يمسح على ظهر يدي، قبلني على رأسي ثم قال: "أعتذر إليك لأن اعترافي جاء في ظرف كهذا، كنت أريد أن أبوح لك بمشاعري سابقا لكن مع مجريات الأحداث التي كابدناها لم أجد سبيلا"

بصوت متقطع سألته: "يعني أنت فعلا تحبني؟"
أجابني ضاحكا: "كان ثمة مسدس مصوب إلى دماغي فهل ظننت أنني كنت ألهو؟ خشيت أن يموت أحدنا قبل أن تعرفي بحبي لك..."
قرب رأسه من أذني وهمس فيها: "تأخرت عليك كثيرا لكنني أحبك يا سيلينا"
دفنت نفسي أكثر في أحضانه الدافئة فعانقني بحب وسمحنا للنوم بالتهام ما علق في بدننا من إنهاك ورعب لينشر علينا غلافا من الأمان فغشتنا الرحمة والسكينة وتركنا التفكير بما يحمله الغد لنا لننعم بلحظة أمان تحلق بأحزاننا وهمومنا بعيدا وننام متشابكين في طوق الحب الذي أعطانا القوة لنواجه كل كبد ذقناه اليوم.

راما

عدت في وقت متأخر جدا من الليل، تفوح مني رائحة الدخان الذي سبب لي صداعا في رأسي فقررت أن أرتاح وأنام، وأثناء صعودي السلالم فوجئت بميساء تنزل الدور العلوي حيث أقطن متجهة إلى شقتها برفقة أمها، وحين رأتني الأخيرة أسرعت الخطى وهي تنادي ابنتها لتلحق بها بسرعة كأنها لمحت شبحا يطاردها أو شخصا موبوءا بمرض جلدي قد يصيبها منه فاقة.
لحقتها ميساء على الفور لكنها توقفت قبل أن تلج بيتها ثم التفتت إلي وفي عينيها كلام كثير وقالت: "أعرف أنك تغيرت بشكل جذري لكن لو حفظت العشرة على الأقل بينك وبين سيلينا... تحولت إلى فتاة عكسك تماما، لطالما كنت أحسدك على صفاتك المحببة لكنك أثبت لي ألا أحد يتسم بهالة الصلاح مهما حاول إظهار ذلك"
رمقتها بنظرة متعالية وقررت عدم الرد عليها فقط لأن رأسي يؤلمني ولا أنوي زيادة متاعبه لكن ما لم أفهمه هو ما العبرة من حديثها عن سيلينا؟ هل تعلم بشيء عن فعلتي

النكراء بتقبيل خد زوجها؟ مضى على هذه القصة زمن ولى فما الفائدة من الحديث بذلك الآن؟

دخلت البيت ففوجئت بالقلق البادي على وجه والداي، قلّبا بصرهما بينهما قبل أن تقول أمي: "هل ذهبت إليها؟ كيف كانت؟"

أغلقت الباب وأنا لا أبعد عنهما نظرة مستفهمة عاقدة حاجبيّ ثم سألتها بجلف: "عمن تتكلمين؟"

- "سيلينا!"
- "وما بالها؟"
- "كادت أن تخسر حياتها اليوم الأخبار لم تتوقف عن الحديث عن مصاب عائلة هودج باختطاف زوجته وإنقاذها من قبل رجال الأمن.."
- "ماذا؟! "

جاءت مقاطعتي لكلامها قاسية فجريت نحو غرفتي وبدأت في تصفح المواقع الإخبارية على هاتفي لألملم مقتطفات من الحكاية التي احتلت وسائل الإعلام اليوم ليجدوا أخبارا لذيذة تعلكها أفواههم باستمتاع كمن يروي لطفل قصة مرعبة ليتسلى بإخافته.

نظرت مطولا نحو رقم سيلينا المسجل في ذاكرة هاتفي ثم قررت أخيرا الاتصال بها، بعد الرنين الخامس استقبلت المكالمة وبدا لي صوتها نعسا، أخذت تهتف من الجهة الأخرى مستفسرة عن هوية المتصل وسط تثاؤبها، تذكرت حينها أن رقمي الجديد لا يعلمه أحد عدا عصابة ساشا، هتفتْ عدة مرات حتى جبنت في النهاية وأنهيت المكالمة ثم رميت الهاتف على طاولة المكتب وشردت في اللاشيء.

عدت لتصفح المواقع الإخبارية لأعرف تفاصيل أكثر عن الخبر، لكنني أعلم أن الموجة الإعلامية إما أنها تغطي بعضا من الحقائق أو تقوم بوضع نكهتها الخاصة عليها لتنقل جانبا خاطئا من القصة.

قصة سيلينا هذه قصمت ظهري كما تفلق حبة الفول عند تقشيرها فلم أتمكن من النوم مطلقا، راودني هاجز حاولت طرده وهو يثابر لإقناعي بلقائها غدا لأراها سالمة فيطمئن قلبي، من ناحية أخرى جاهدت ضعفي على ترك الأمر هنا ما دام ظهر خبر عودتها سالمة، وأن ما يحصل من شأنها لم يعد من خصوصياتي. لكن على من أكذب حبها في قلبي يصعب جرفه بأمواج الحقد العاتية، كبناء صمد إثر هزة أرضية شديدة الخطورة فنجا كل ساكنيه.

لم يكن لي شأن في اليوم التالي في الجامعة فلا اختبار لي اليوم ومع ذلك قررت الذهاب لأبحث عنها حينما اكتشفت أن لها اختبارا في مادة اللغة العربية التي كانت تتلقى تعليمها فيها تزامنا مع وقت محاضرة اللغة الإنجليزية التي كنت منتسبة إليها.

لا أعرف كيف استسلمت لجانبي الضعيف بسرعة لكنني عاهدت نفسي أن أشد الهمة وأعود لقسوة قلبي بعدما أراها سالمة.

حصلت على معلومات عن مكان عقد الاختبار واتجهت هناك في انتظار انتهاء وقته أو خروج الطلبة المنهين لعل من بينهم ألمح سيلينا. وقفت عند النافذة أنفث دخان سيجارتي وعيناي تراقبان الغيوم الملبدة في السماء والتي تنذر بهطول غزير للأمطار. لا أدري كيف سرقني الوقت وتهت مع عقارب الساعة، فلمحت القاعة التي كان يعقد فيها الاختبار شبه فارغة وقد خرج منها معظم الطلبة، فلما ابتغيت الخروج من الممر الكئيب الذي سجل في رواقه الطويل إذلالا لي وإذ بسيلينا تباغتني بوقوفها في آخر

الممر كأنها بانتظاري. تقلبت في مكاني كقطة محاصرة على جرف هاوٍ تخشى انزلاق قوائمها فتخبطت في الأرجاء باحثة عن مخرج.

كانت وحدها دون حارسها الشخصي، أصابني الفضول لأسألها عنه وعن سبب تواجدها بمفردها، سارت نحوي حتى أصبحت على مقربة وسألتني: "هل كنت تتبعينني؟"

ران علي الصمت الفاضح، فاقتربت أكثر وقالت بجدية مصطنعة: "أريد أن أكلمك في أمر مهم.. هل لي من وقتك؟"

تلوى جسدي كأنني مصابة بمغص واستطعت بعد جهد أن أقول: "ما صحة ما قيل عنك من أخبار الأمس؟"

تجاهلت سؤالي وقبضت على كف يدي وقد استشعرت ترددها في هذه الخطوة ثم أخذتني في طريقها نحو الخارج في زاوية خلف مبنى المكتبة لأتفاجأ بأن لورا تنتظرها على المقاعد الخارجية تختبئ تحت معطفها الأبيض الصافي من دنس الفقر.

حينما رأتني أسرعت بإسقاط عينيها أرضا فراودني إحساس بأنها تشعر بالذنب تجاه شيء ما، لكن ماذا يمكن أن يكون؟

بدأت سيلينا بالكلام وهي تشجع لورا بقولها:" هيا يا لورا، من حقها أن تسمع الحقيقة كاملة منك..........."

قلبت بصري بين الاثنتين بترقب ونظرات مرتابة، طال بها الأمر وهي تتلكأ في جمل مقتضبة غير مفهومة حتى أصرت عليها سيلينا ثانية بنبرة أغلظ مما اعتدته منها.

....

هل ارتشفت يوما من كأس عصير اكتشفت متأخرا أن صاحبك دس لك فيه سما كاد يودي بحياتك؟ هل جربت أن تهوي من هرم الصداقة من علٍ نحو قاع لا يتوقف عن الانحدار أكثر فلا أنت تصل إليه ولا بإمكانك الطيران مجددا نحو الأعلى؟ أنت محاصر وسط أحلامك المحطمة... ذكرياتك الخادعة... ووسط الحقيقة المرة!

حاولت أن أنهلّ من الهواء لأملأ به رئتي المملوءتين بسموم النيكوتين، اجتهدت لأفهم الصورة النهائية من قصة لورا المتشابكة.... خطف فراس وتخديره.... جرأة رنيم ونرجس في افتعال مشهد قذر معه... تواطئ ساشا بالقصة.... التهديد الموجه للورا بالتزام الصمت قبل أن يتم اتهامها بعلاقة محرمة بفراس.

ألهذا لا يذكر فراس شيئا مما حصل معه حين أدلت رشا بذلك؟ ألهذا بدا ضائعا محتارا متشككا؟ هما لم تنجحا فقط في خداعي بل في خداعه هو ليظن أنه اقترف ذنبا لم يرتكبه وماذا كانت المحصلة؟ خسرته لتلك الدنيئة إلى الأبد، ومن السبب الأكبر وراء تعاستي هذه؟ إنها تقف أمامي بشعرها الكستنائي الحريري وعينيها النعستين المتعجرفتين واللتين فقدتا بريقهما وجبروتهما منذ مدة... الآن عللت السبب لتغير لورا وشعوري بضياعها وتفككها... هذا لأنها أكبر خائنة على الإطلاق!

توسلتني لأسامحها حين طال سكوتي كأنها استشعرت البركان الذي ينبئ بانفجار لهيب، فما كان مني إلا أنني صفعتها بقوة لتقع أرضا وألمح بوضوح آثار أصابعي مصبوغة باللون الأحمر على وجهها، ثم صرخت بها بعنفوان: "أنت مجرد حقيرة! لا أصدق أنني اخترت صداقتك يوما! ليتني مت قبل أن أعرفك.... لأنني الآن ميتة أصلا والقاتل هو أنت!"

انفجاري عليها في هذا المكان المكشوف جعل الكثير من الأنظار تدنو نحونا، وحتى لا أغرق وسط إشاعاتهم أو تدخلاتهم قررت الرحيل مبتعدة، لكنها نهضت مسرعة وتشبثت بذراعي مستجدية عطفي وغفراني لها، فدفعتها بقوة لتصطدم بسيلينا وتقعان معا أرضا ثم هاجرت مولية ظهري لهما إلى وجهتي الأخرى لأفرغ ما تبقى لي من كدر.
وصلت منزل ساشا واقتحمت المكان بعنفوان غير مسبوق، ثم هاجمتها بانقضاضي نحوها لأقيضها من رقبتها بغل واضح بينما يحاول البقية إبعادي عنها، وبعد محاولات مريرة تمكن الضبع بمساعدة ثائر من اقتلاعي عنها.
دفعتهما بذراعي عني ونظرت مهددة بنظرات مسمومة نحو الضبع فتراجع إلى الخلف خائفا مني وخصوصا بعدما طعنته في الأمس. كانت ساشا تسعل بقوة بينما هيلدا تربت على ظهرها برعب، حتى تمالكت نفسها وتمكنت من النهوض وقبل أن ينطق أي منهم وجهت لها عتابي بنقم قائلة: "خدعتني! كذبت عليّ! تواطأت مع رنيم ونرجس منذ البداية! كيف طاوعتك نفسك ألا تقولي لي أنك من خدرته وجئت به كقربان تخدم به تلكما الساقطتان مصلحتهما؟ لماذا لم تقولي لي أنه بريء؟ لمَ أتكبد كل هذه المعاناة؟"
أجابتني بهدوء مستفز: "لأن الدنيا تتطلب هذا النوع من القهر، لتعلمك درسا مفاده ألا علاقة تدوم، والصداقة خرافة ضحك علينا بها الشعراء وما الحب إلا خزعبلات من أجل بيع قصص راكدة في السوق أو لجني الأرباح من أفلام تافهة لا هدف منها... الدنيا تحمل الشقاء لا الراحة وكان عليك تعلم ذلك بالطريقة القاسية"
قفزت أمامها ودفعتها من صدرها وصرخت بها باكية:"لا! الصداقة خيط يربط بين قلوب البشر ولو خلقنا للبغضاء ما كان ثمة من داع لإنشاء عائلات تربطهم علاقات

ومودة! الحب ليس قصة فاشلة لتروى! الحب مال القلب فإن نفق يفسد القلب ويكثر فيه الجهل والمرض! تماما كما فعلت بي! لم أعد أريدك في حياتي! أنا أكرهك يا ساشا!" قلت آخر جملة وانكببت دون هداية لوجهتي حتى توقفت في نهاية الباحة وقد اكتشفت أن السماء تبكي معي، ربما ما عادت تطيق العذاب والنفاق فقررت تحرير مشاعرها المكبوتة لتطمئنني إلى جواز بكائي كأنها تعدني أن تواري على دموعي بغزارة بكائها. جلست على الأرض الإسفلتية أحتضن وجهي ضائعة حائرة مكسورة الجناح، فإن أردت الرحيل فإلى أين المقام؟ لا أصدقاء لي... ولم أعد أدري إن كان والداي يحتملانني أكثر... والأهم من كل شيء خسرت حبا تجذر في أعماق قلبي كشجرة تين عمرها مئتا عام في غمضة عين، مع أن ملف براءته كان بحوزتي منذ البداية... بالمختصر، لا ملجأ لي. ثم شعرت بخيال ساشا تهبط إلى جواري أرضا.

ضممت ركبتي إلى صدري ودفنت رأسي عليهما واستسلمنا للصمت، أنا مع بكائي غير المنقطع وهي بجمودها المعروف. بكيت حتى توقفت الأمطار عن الهطول لتجف دموعي مع جفاف غيمها، أدركت ألا قيمة للدموع الآن فهي لن تعيد ما سلب من قلبي. رفعت رأسي وأسندت ذقني على ذراعي المعقودتين على ركبتي، ونظرت أمامي نظرة خاوية، حتى نطقت ساشا: "ليس كأنني أبرر لنفسي، لكنني لم أكن على عهد بك في ذاك الوقت ولم تكن الصورة متضحة أمامي... ظننتهما صديقتان لك وقررتا خيانتك، وأنا أعنتهما فقط مقابل مبلغ من المال ولأرى أين ستصلان بغدرهما.... ثم القيتك بصدفة مقصودة، ربما صعبت وقتها علي لا أدري.... لكن ما توطن في داخلي أن بؤسك كله نابع من تلك الصهباء، ولو كنت مكانك لادخرت ما بقي بي من عزم

لأنتقم منها، وإذا سعيت للانتقام فتأكدي تماما أنني سأكون ظهرك ودرعك وسلاحك، فقط اعقدي النية ولن أخذلك."

نهضت غير مبالية بتبلل ملابسي من المطر، متجاهلة كلامها كليًّا، ثم خرجت من الباحة وسرت مسافة طويلة حتى قررت العودة إلى البيت فاتجهت إلى أقرب موقف للحافلات.

تلحفت بغطائي أتحسر على ما آل إليه حالي وأستذكر كلمات فراس التي طعنتني في الصميم الآن لأدرك أنه محق، ظلمته دون أن أفكر مرتين، ها قد فعلتها به ثانية، المرة الأولى حين كاد ينهي حياته بسببي والآن وقد أجبر على محاكاة واقع لم يخطط له أبدا. حكمت عليه بما وافق ظاهر الأحداث، لم أفكر بالرجوع إليه وسماع طرفه من القصة. كافحت من جهة ثانية تجاهل تمتمات والديّ المنبعثة من الغرفة المجاورة وهما يتحدثان عني وعن مدى قلقهما من الانحدار الذي أهوي إليه أكثر فأكثر، وتخوف أمي من انفجاري المفاجئ فأترك البيت لأقيم مع عصابة مشبوهة لا دين لهم يردعهم.

والداي كانا طرفين حياديين فيما أعيشه فبعد انفجاري بهما لأول مرة شعرت بالوهن يتسلل قلوبهما وحينما رآيا بعضا من الوجوه المرعبة التي أقضي وقتا معها عرفا أنهما إن تجرآ على النبس ببنت شفة فقد يخسرانني وقد ألحق ببيتهما المزيد من الفضائح والخزي. شغلت هاتفي لأتفقد صفحة فراس على الفيس بوك، فوجدت رسالة ما وصلتني، تفاجأت حينما ظهرت فحوى الرسالة مدرجة تحت اسم سيلينا، فقرأت ما فيها:

"أعرف أن هذا الرقم عائد إليك يا راما فإيان أجرى تحرياته اليوم فعرفت أنك صاحبة الرقم... لا تظني ولا لوهلة أنني أقف إلى صف لورا فهي أخطأت خطأ لا يغتفر، لكن لو حاولت النظر إلى الموضوع من وجهتها لشعرت بصعوبة الأمر عليها أيضا... من منا

لا يذنب؟ من منا لا يغدر؟ رنيم لم تكتفي بتحطيمك لكنها عمدت أيضا إلى سمير وحدثته عن كرم وعن بعض التفاصيل الكاذبة حول قصة فراس ونرجس ففسخ خطبته بلورا، دعينا نتوصل لحل لهذه المشكلة ونعيد نسج الشرخ في علاقاتنا الحالية لعلنا نكتب صفحة انتصارنا فنغير نهاية الحكاية التي سطرتها رنيم بحذاقة بقلمها المليء بالسموم"

أغلقت الرسالة وقلبت في هاتفي حتى فتحت الصفحة الشخصية لفراس في الفيس بوك، كنت أهمّ برفع الحظر عنه حينما وقعت عيني على منشور له من أحد أقاربه مهنئا اقتراب موعد زفافه، وما لفتني أن المنشور لم ينل أي إعجابات، فأسرعت بالاتجاه إلى صفحة نرجس فوجدتها نشرت بطاقة دعوة لحفل زفافها بعد أسبوعين من الآن.

امتلأ الإناء وبدأ يدلق محتوياته من السائل السام حتى غرق وسطه فأدى إلى كسره من مرارة السم ليتبعثر رفات الزجاج كرمل ناعم يتطاير مع هبوب نسمات الهواء.

هذا الإناء كان أنا، وجدت نفسي أخرج من تحت اللحاف وأرتدي سترتي ثانية وأخرج من البيت دون تحديد وجهتي كالمعتاد، وبالمال الذي تعطيني منه ساشا ركبت في سيارة أجرة.

فتحت الباب على مصراعيه وسرت بثبات وعزيمة وسط الدخان المنتشر فغطى السقف فلم تعد تبان تلك البقع البيضاء والتي تثبت لي عدم جدارة الرجل الذي قام بدهان السقف، نظرت نحو ساشا وكانت تنظر إلي متفحصة في المقابل، ثم أعلنت بقولي:

"سمي المكان والزمان ولنصفي حساباتنا مع هذه المدعوة رنيم وتلك السارقة نرجس"

تدخلت هيلدا قبل أن ترد ساشا فقالت مقترحة: "رنيم ونرجس حجزتا في منتجع حتى تستعد نرجس لتجهيزات العروس من سهرات خاصة بالبنات...أو هكذا قيل،

أفكر في أن نحجز في ذات المنتجع ثم نسلط عليهما من شبابنا الوسيين كثائر مثلا، ثم نلتقط لهما صورا مع الشبان، وأيضا أقترح أن نلهو بغرفة الفندق في غيابهن فنحطم ونكسر في الغرفة كما نشاء فنفسد استجمامهما، وفي النهاية نهدد بالصور مقابل مبلغ نقدي وبعد حصولنا على المال ننشر فضائحهما"

راقت لي الفكرة نوعا ما، ولم أبد أي اعتراض على خلاف ما أفعله معها طيلة معرفتي بها، ولما رأت ساشا تجاوبي مع العرض أسرعت بجمعنا لتبني خطتنا نحو الانتقام، الدافع الوحيد لوقوفهم معي ومساندتي هو تلذذهم بالتسبب بالألم لأحد.

أنهيت اختباراتي غير مكترثة لما قد أحصل عليه من درجات، ورسالة سيلينا لم أقم بالرد عليها حتى الآن.

خرجت في صباح باكر ليوم الرحيل وتركت ملحوظة لأمي بأنني سأبيت في الخارج في رحلة استجمام حتى لا تصاب بالجزع حينما لا أعود إلى البيت الليلة، ليس كأنها لن تصاب بالهلع من خبري هذا لكن يبقى أخف وطأة عليها.

أقلتني ساشا من أمام المبنى واتجهنا نحو الجنوب بعيدا عن مدينتنا وصخبها بعدما تدبرت هي بنفسها مصروف رحلتنا وإقامتنا كما أنها تدبرت مفتاح القفل لغرفة نرجس ورنيم حيث علمنا من مصادر موثوقة أنهما ستبيتان في ذات الغرفة. حجزت لنا غرفتين تحت اسماء مستعارة وهويات مزيفة حصلت عليها من معارفها واشترك في ذلك رجال ممن يعملون تحت إمرتها.

كل شيء كان جاهزا من أجل حفلة الانتقام، ولن يوقفني شيء عن تحطيم رنيم كما حطمتني لأرقص فوق جسدها المتهالك بأغنية انتصاري عليها وبداية عهد جديد من الثأر ورد الاعتبار.

قرر الجميع الاستمتاع بوقتهم في المنتجع ريثما يحل الليل لنبدأ في تطبيق خطتنا حيث كانت الخطة بأن تتابع ساشا وكوكو مع عرين وفريدة تحركات نجمتي الاستعراض ثم يدس الضبع في مشروباتهما جرعات مركزة من الكحول ليستغل عصمت وثائر الوضع فيسحبانهما إلى زاوية غير مأهولة وتبدأ الصور بالالتقاط لهما في أرذل الوضعيات لهما مع الشابين، لتقوم ساشا بإرسال الصور لهما كابتزاز مقابل الأموال.

بينما أوكل إلي مع هيلدا مهمة تخريب غرفتهما الفندقية وترك رسالة تهديد لهما بقلم شفاه أحمر عن المصير الذي ينتظرهما.

أخيرا حل الموعد المحدد للتنفيذ وذلك في وقت إقامة حفلة غنائية صاخبة قام بحضورها عدد كبير جدا من الأشخاص فباتت معظم الغرف فارغة ليسهل علينا مهمتنا دون لفت الانظار إلينا، وكما أن أصوات الموسيقى الصاخبة ستكون حليفتنا أكثر في مسلسل الدمار الذي كنا على وشك إخراج حلقاته. خرجت مع هيلدا متسللتين تحت قلنسوة كنزاتنا السوداء ملثمتي الوجه وتمكنا بسهولة من اقتحام الغرفة باستخدام المفتاح. طبعا أوكلت ساشا مهمة تعطيل الكاميرات من جميع المداخل التي سرنا فيها لذاك الشاب الذي ساعدنا سابقا في اقتحام بيت نرجس، معدل ذكاء ذاك الشاب يفوق التصور ولو أن أحدا يكتشف مواهبه ما ظننت أنه سيبقى مختبئا في غرفته، لكنه لم يرد تغيير نمط عيشه لأنه يجني المال بطريقته التي يحب ويعيش حياته وفق ما يشتهيه دون قيود.

اتجهت صوب ممتلكاتهما وبدأت بتمزيق وإتلاف بعض الأوراق والبطاقات المهمة من بينها بطاقات الدفع الإلكتروني أما هيلدا فأخذت تنبش عن شيء لتسرقه حتى وقعت يداها على مبلغ ضخم من المال كانت نرجس قد أودعته بين حاجياتها، فنبهت عليها

الالتزام بالخطة بدل السرقة فقالت مستاءة: "لا أعرف كيف تخدعين نفسك فتظنين أن ما تفعلينه أكثر شرفا من السرقة، كلاهما فعل دنيء وأنت رضيت بالعمل القبيح فكفي عن تمثيل دور الواعظة!"

استأت منها بشدة لكنني قررت تجاهلها والمضي نحو ملابسها لتمزيقها وبعثرتها. فجأة وبدون سابق إنذار اقتحم أحدهم الغرفة علينا وقد أنار الأضواء وهو يصرخ بنا موجها سلاحه نحونا: "ارفعا أيديكما واستسلما!"

كان أحد رجال الأمن الذين يعملون في الفندق، لم يكن وجوده في هذا المكان في الحسبان، فمن أين ظهر؟ صرخ بنا مجددا لنمتثل لأوامره. اقترب بحذر منا ونزع كماماتنا عن أفواهنا ليتمعن في وجوهنا بحذر، ثم أمرنا بالنزول على ركبنا ورفع أيدينا فوق رؤوسنا ثم اتجه إلى جهاز نداء صغير معلق على ياقة قميصه ليستدعي العون، وهنا استغلت هيلدا الفرصة وأدخلت يدها في جيب كنزتها بحركة سريعة دون تردد وقبل أن يتفوه بشيء رمته بخنجرها فأصابه في يده فأخذ يتأوه صارخا، حينها استغلت الفرصة ووثبت نحوه كنمرة هائجة وتمكنت من اقتلاع المسدس والخنجر من يده.

وجهت فوهة المسدس نحوه وأمرته أن يهبط على ركبتيه مستسلما فانصاع لها. أسرعتُ إلى الباب مندفعة ثم صرخت بها آمرة لنهرب، لكنها أبقت نظرها مسلطا عليه وقبل أن أفهم ما تحمله عيناها من نوايا أطلقت النار على صدره بسلاحه فخر أرضا. شهقت بملء جوفي فضاع تردده بين أصوات الموسيقى الصاخبة والتي تمكنت من ابتلاع صوت العيار الناري للتو. استندت على الباب لأن ساقاي فقدتها ثباتها فباتتا هلاميتين وصرخت بها باكية: " ماذا فعلت؟!"

تجاهلتني وأفرغت في جسده أربع رصاصات أخرى، فصرخت بها من جديد لتتوقف لكنها قالت محتجة: "لقد حفظ أشكالنا! يجب أن تشكريني لأنني أنقذتك من سجن أكيد، لن تصمدي في السجن ثانيتين!"

نظرت برعب نحو الرجل الجاثي أرضا والدماء تسيل من تحته فانتشرت حوله مكونة بقعة كبيرة فلطمت فمي شاهقة باختناق: "هل مات؟!"

ركضت بسرعة نحوي ممسكة بذراعي لتجرني معها خارجا وهمست لي مزمجرة: "بالطبع مات! أسرعي قبل أن يمسك بنا أحد!"

ركضت معها ودماغي لا يكاد يستوعب شيئا مما يحصل حولي، فاتصلتْ بساشا في طريقنا هاربتين بعدما تلثمنا من جديد وأخبرتها بتغيير في سير الأحداث، بينما نظري مركز خلفنا ومن تركناه هناك يصارع الموت الأكيد.

جن جنون ساشا وأخذت تتخبط في أرجاء الممر وهي تسب هيلدا وتشتمها مرارا، ثم سألتها من باب الاحتياط: " هل أنت متأكدة من أنه مات؟"

أومأت برأسها بنصف تأكيد فأرسلت الضبع ليتحقق من الأمر وليزيل أي آثار قد تقود إلينا بمساعدة ثائر، بينما أجرت اتصالها مع ذات الهكر ليحصل على إحداثيات موقعنا فيتسلل إلى نظام المنتجع من جديد ليتأكد يقينا من تعطيل كاميرات الرواق لكي لا تسجل أي أثر لنا. ثم هبت نحو الحقائب وبدأت برميها علينا وهي تأمرنا بالخروج لنهرب بجلودنا من المكان قبل أن تطأنا الشبهات، وخصوصا أنها سجلت الغرفتين لنا تحت أسماء مزورة. وهكذا وجدت نفسي أبكي منتحبة في الكرسي الأمامي في السيارة إلى جانبها، وكلما نهرتني هيلدا أرد عليها بغيظ: "كان يؤدي عمله! ما كان يتوجب عليك قتله!" فتتدخل ساشا في النهاية بسخط فتخرس كلتينا.

الفصل الخامس والثلاثون

تعلّقت ساشا بكم كنزتي بقوة قبل أن أترجل من السيارة ونظرت نحوي بحدة أعقبتها بتنبيهها لي: "إياك أن يخرج من فمك كلام عما حصل لأي كان! ما حصل يبقى سرا بيننا نحن التسعة مفهوم!"

نظرت نحو البنات الأربعة خلفها بوجل بينما أستشعر نظرات تهديد منهن، ولم تغب عني أضواء السيارة الثانية المركونة خلف سيارة ساشا محملة بالثلاثة الباقين، أومأت برأسي بخفة ونزلت متجهة نحو الرصيف. ألقيت نظرة على السيارة الأخرى فوجدت عيون ثائر وعصمت والضبع تحدثني بتهديد صريح من خلف الزجاج المفتوح كأنهم يعقبون على كلام ساشا دون علمهم بتهديدها لي أصلا.

صعدت إلى البيت أجرّ ساقيّ على السلالم مرغمة، مقتل ذاك الرجل أمامي جعل جسدي يشيخ ويصيبه الهزال والرجفان. تلك الرجفة لم تفارقني البتة. فتحت الباب بصعوبة ودلفت إلى الداخل، تفاجأت بأن أمي ما زالت مستيقظة وتجلس في ركن من المطبخ وهي تبكي، إنها معتادة على غيابي ومبيتي في منزل لورا أو سيلينا، لكنها كانت تقبل ذلك بسبب معرفتها بهما، أما هؤلاء فالمظهر يخبر عن المحضر. ليسوا صالحين البتة، دخان وخمر وعلاقات محرمة مشبوهة واغتصاب أموال وسرقتها وألفاظ نابية ورداءة أخلاق. لن ألومها إن كانت تشعر بالهمّ والمقت من صحبتي لهم فكيف إن قررت المبيت معهم خارجا؟

حينما لمحتني نهضت على رجليها ودون تفكير جرت نحوي حتى أنها في طريقها اصطدمت بالطاولة لكنها لم تبالي بالكدمة التي ستخلفها تلك الخبطة لاحقا وحوّطتني

بذراعيها باكية تتنهد بألم ومرار. أرخيت جسدي كالميتة بين ذراعيها مستسلمة للكبت الذي يندد باقترابي خطوة نحو الجنون.

حررتني رويدا لتسألني عن سبب عودتي وتراجعي عن فكرة المبيت، لأجيبها بصوت مبحوح وأنا أفرك وجهي: "لم يعجبنا المكان فقررنا إلغاء الرحلة"

انسحبت من أمامها قبل المزيد من الحديث، كانت هذه الجملة أطول ما نطقت به لها منذ فترة، لست أعيش هنا إلا كزائرة في ركن منعزل كأنني أجنبية لا أتحدث بلغتهم. انزويت في غرفتي لأكتشف أن سارة نائمة فيها هذه المرة، فهي لم تعد تدخلها بوجودي أبدا. انكمشت على نفسي تحت الغطاء وأنا أحاول إخراج صورة ذلك الرجل من مخيلتي لكنني لم أقدر. حاولت استدعاء طائف النوم مرارا لكنه أبى زيارتي الليلة كأنه خاصمني متبرئا مني. طال بي الأمر وأنا أحتضن جسدي بدموع لا تجف ونحيب صامت متواصل وأخيرا أغمضت عيني قبيل الفجر بلحظات، لأستيقظ عقب ذلك على كابوس أرى فيه مشهد الجريمة يتكرر أمام ناظري والدماء الحمراء تغلف كل شيء. أفقت أقطر عرقا وأشهق أنفاسي بغلظة.

خرجت من السرير على صوت أخبار الصباح التي كانت تتحدث عن مقتل رجل أمن في أحد المنتجعات في جنوب البلاد. كان أبي واقفا أمام التلفاز يتابع الخبر باهتمام، ثم نفخ منزعجا وهو يتحول ناحية أمي قائلا: "لا حول ولا قوة إلا بالله! ما زلت لا أستوعب موت صديق قديم لي هكذا.. لم يغمض لي جفن ليلة البارحة "

أجابته بقلق: "استهدي بالله! عليك أن تكون بكامل قوتك من أجل مناوبتك اليوم"

تابع متجاهلا نصيحتها: "عندما ترك العمل في المصنع حسدناه على عمله الجديد بمرتب أفضل منا..."

ثم اختنق بعبراته وهبط جالسا على الأريكة يحتضن وجهه بين كفيه، فأسرعت أمي لتجلس إلى جانبه وتقدم له ما تستطيع من مؤازرة. عدت أدراجي إلى الغرفة أقبض بكفي على صدري، ثم ركضت نحو هاتفي لأبحث عن الخبر في كل المواقع وأقرأ التفاصيل التي توقفت عندها التحقيقات، في هذه الأثناء تنبهت متأخرة على سارة وهي تتسلل حتى وصلت الباب لتهرب من الغرفة بعدما فاجأها نومي فيها فهربت وهي تتشبث ببطانيتها نحو مصدر الأمان لها، أمي.

دفنت نفسي في سريري أحاول ابتلاع الغصة في قلبي من منظور سارة الجديد نحوي ومعايشتي جريمة نكراء وعدم قدرتي على التحدث لأحد عنها بسبب خوفي الذي سيطر علي. تصفحت معلومات عن المغدور لأجد أنه في عمر مقارب لأبي وله عائلة مكونة من ثلاث بنات جميعهن بأعمار صغيرة فلا تتعدى الكبيرة العاشرة من العمر. أثار فضولي مطالعة أحوال عائلته فوجدت فيديوهات لزوجته تبكي بحرقة وتدعو على من قتله وفيديو آخر تتوسل الجهات المختصة بإلقاء القبض على الجاني والاقصاص لزوجها المغدور، تناولت الكثير من المقاطع المصورة والحكايات عنه حتى أنني استطعت الوصول إلى صفحته الشخصية على الفيس بوك، فأخذت أتنقل بين المنشورات... رأيت صورا كثيرة له مع زملائه وعائلته وبناته.. . فرحته في إدخال ابنته الصغيرة إلى الروضة... احتفال بعيد ميلاد الوسطى... شهادة التفوق لابنته الكبرى... والكثير الكثير من الذكريات التي استخلصت منها استقرار حياته التي انتزعتها هيلدا منه هكذا بلا ذنب... تورمت جفوني من كثرة البكاء وخصوصا بعدما تعرفت إليه أكثر. وسمعت أبي يتصل برب العمل ليطلب إجازة لليوم لحضور تشييع جثمانه ومشاركته بيت الأجر. هممت أن ألحق به لأقدم تعازيّ لهم لكنني جبنت، بل لم أجرؤ

على الخروج من تحت البطانية طيلة ذلك اليوم، حتى انتهى بي الأمر مساء أتجرع أدوية مسكنة لتخفيف ألم رأسي من كثرة البكاء.

تلك الأيام العابرة التي مرت علي لم أكن فيها أحسن حالا، ففي كل يوم يزيد اختناقي.

كانت ساشا تطمئن علي بين الفينة والأخرى حينما كنت أتواجد معهم في المنزل لكنني لم أستطع الخروج من قوقعة أحزاني وشعوري بالذنب عليه.

أما هيلدا فكانت ترميني كلما لمحتني بتهديدات صريحة بالتكتم عن الأمر وإلا أصابني من غضبها ما لا أحمد عقباه، لكنني كنت وقتها تحت تأثير جرعة زائدة من أحزاني فلم أعرها بالا، وكنت أعمد إلى مشاهدة منشوراته مرارا وأبحث عن أخبار تتعلق به دون توقف بينما كنت أنزوي في أحد الغرف في الطابق العلوي لأبقى وحدي.

يوما ما وقبل موعد زفاف فراس بسويعات عقدت أمري فاتجهت مباشرة إلى ساشا بحيث قررت أخيرا الخطوة التي سأقدم عليها مهما كانت خطورتها، كانت تتوسط الجلسة وهي تشرب من زجاجة المشروبات الكحولية التي بيدها بينما يتململ الباقون وقد أفسد المطر مخططا لهم بقضاء الوقت في الخارج.

ركزالجميع نظراتهم علي لحظة دخولي، كأنهم كانوا يعدون الأيام لانهياري المتوقع، فلم تبد الدهشة عليهم حين استهللت قولي: "لم أعد أحتمل يا ساشا... ضميري يعذبني!"

نهضت ببطء وهي تريح زجاجتها على الأرض ثم وثبت هيلدا صوبي لكن ساشا مدت ذراعها أمامها فأوقفتها ثم وجهت كلامها إلي ببرود: "اسمعيني يا راما، لم أتكبد عناء إكمال دراستي للحصول على شهادة أكاديمية لأثبت للقضاء أنني مؤهلة من جميع النواحي لرعاية ابني مع كل ما أنفقه على هذه القضية من أجل صحوة ضمير مفاجئة لك! لذا ما يوسوس به لك ذاك الجزء الضعيف منك أخرسيه الآن!"

ظنّت ساشا أن لحدة عباراتها وقعا مرعبا علي لكنني قررت الاستبسال بالدفاع عن قضية أؤمن بها، أنا لست بقاتلة ولن أؤيد القتل أبدا مهما كان الثمن الذي سأدفعه فوجهت نظرة مغلولة نحو هيلدا قبل أن أعيد توجيهها إلى ساشا وأجبتها: "أنت حرة... لك قناعتك في الحياة.. ولي قناعتي... أنا أختلف عنكم ففي الوقت الذي ترقصون فيه على جثمانه طربا بترك قضية مصرع رجل بريء مفتوحة فإنني لست من النوع الذي يواري على ذنبه... "

- "أين تريدين الوصول بكلامك هذا؟"

- "آسفة..... نحن لا نستطيع الاجتماع تحت سقف واحد! أعتقد... أنه ما عاد من داع لي لمجالستكم بعد اليوم، فمهما حاولت إقناع نفسي فأنا لست سيئة... أنا باختصار ... إنسان!"

- "يعني ستشين بنا؟"

- "..... الذنب أكبر من أن يحمله قلبي.."

دفعت الباب خلفي وأغلقته وتركتهم وهم يتبادلون الاتهامات والشجار فيما بينهم. توقعت أن يتبعني أي منهم لكنهم لم يفعلوا فرجّحت السبب إلى أن ساشا ربما منعتهم. تابعت سيري مبتعدة تحت الأمطار الغزيرة وحدي ولا أملك خطة محددة لما علي فعله، أو إلى أين أتجه. بعد مسافة طويلة قطعتها ومض أمامي وسط الطريق ضوء سيارة فآلم عيني المتورمتين، توقفت السيارة على مقربة مني وفتح زجاجها الأمامي لألمح وجه إيان من الداخل تعتريه نظرة قلق، ثم قال: "راما؟ ماذا حصل لك؟ ماذا تفعلين بسيرك تحت الأمطار في هذا الوقت؟ لا تبدين لي بخير.. تعالي اركبي"

أوشكت على الرفض حتى لمحت سيلينا تطل من جانبه بنظرات قلقة ثم طلبت مني أن ألبي الطلب وبعد تردد دام ثوان ركبت في المقعد الخلفي.

أعطتني سيلينا ملابس دافئة من خزانتها وطلبت مني أن أرتاح في غرفتها القديمة، عادت بعد فترة تحمل معها صينية تحتوي طعاما للعشاء، جلست على حافة السرير إلى جانبي بينما أخبئ رأسي المبتل تحت المنشفة، حاولت أن تستشف مني سبب تدهور حالتي النفسية هكذا، لكنني لم أجبها بل نظرت إليها بعينين خاويتين وقلت: "هل لي بطلب؟"

- "أكيد!"

- "هل يمكنك أن تطلبي من إيان أن ... يعين حارسين من حراسه على باب بيت أهلي؟"

- "…. ما الأمر يا راما؟"

لويت فمي بحركة تنم عن عدم قدرتي على الكلام حاليا، ففهمت المدلول ثم وعدتني أن تنفذ طلبي. نهضت لتخرج فقلت: "أنا آسفة لأنني أخرتكما عن حضور حفل زفاف فراس.... أكيد دعاكما والده"

ابتسمت لي بحزن وقالت: "نحن لم نكن ذاهبين إلى هناك بعد... لقد أصبت بتوعك واصطحبني إيان إلى الطبيب"

مستسلمة للقلق الذي بدا واضحا في نبرتي تساءلت: "هل أنت بخير؟"

- "أها نعم بخير ... لا أحد يعلم بالأمر بعد.. لكن أنا.. حامل"

تجمد وجهي وأنا أنظر نحوها مصدومة ثم نهضت باتجاهها وعانقتها مستسلمة لدموعي بينما أهنئها بصوت متهدج متقطع، لا أعرف بالتحديد سببا لبكائي لكنني لم أستطع إيقاف دموعي.

تركتني سيلينا لأرتاح وأتناول وجبة العشاء التي أحضرتها لي، ريثما تتجهز للخروج بصحبة زوجها إلى حفل مأتم قلبي حيث سيفارقني فراس إلى الأبد. لم أكن أسمح لنفسي قديما بالغرق في التفكير باحتمالية زواجه من غيري حتى لا أصاب بانهيار، لكن الآن تمنيت لو أنني تدربت على التأقلم مع هذا الشعور سابقا، فالألم أقسى بأضعاف أضعاف ما أقدر... وشعوري بالذنب لتلك الجريمة زادت من ألم قلبي لتجعله يسبح وسط فضاء أسود قاتم فلم أعد أهتدي إن كان يغرق أم أنه يطفو.

عادت إلي بعد مدة تستأذنني لتغادر معتذرة لي عن مصابي بزواج فراس من أخرى وهي لا تملك حيلة لتنجدني، ثم أنبأتني أن إيان أرسل بضعة رجال لحراسة أهلي، وأنه تكفل بالاتصال بمدير والدي ليحصل له على إجازة مدفوعة لئلا يخرج من البيت في هذه الفترة. كنت ممتنة له على خدمته لي دون إزعاجي بالأسئلة والتحقيقات.

غادرا وتركانني وحدي مع أفكاري التي ستجعلني أجن لا محالة، فأنقذتني مدبرة البيت التي استأذنت لتأخذ صينية الطعام، وقفت عند الباب وهي تتأملني فوجهت إليها نظرة متسائلة، فقالت: "اعذريني على تطفلي، لكن ألم يكن لك شعر أشقر؟"

لامست خصلاته وأنا أنظر إليه من طرف عيني وغمغمت: "بلى.. وإني لأتمنى أن يسترجع لونه"

ابتسمت وهي تطلب مني بحذر: "هل تسمحين لي بمساعدتك في ذلك؟"

<u>سيلينا</u>

بقدر بغضي من فكرة ذهابي إلى الحفل إلا أنني لم أملك من أمري شيئا، فإيان كان مجبرا على المجيء بعد استجداء والد فراس له أن يأتي فلم يستطع الرفض. لمحت في الحفل كلا من سمير وأوس فتمنيت أن يتجاهل أوس وجودي خصوصا أنني لم أحتك به بعد ليلة الفندق المريرة، ورأيت أصدقاء فراس أيضا وما أثار اندهاشي هو ارتداؤهم ملابس عادية كمن خرج في سهرة طعام في مطعم شعبي، أو مقهى أراجيل. لم يحمل أي منهم نظرات مستبشرة أو حماسية وحتى جولي كانت عابسة ممتقعة الوجه على غير عادتها الصاخبة.

تقدم سمير من طاولتنا وبدأ يتجاذب أطراف الحديث مع إيان، وأنا أوزع نظراتي في كل الوجوه وأغوص تحت السطح المكشوف لأقرأ التعابير المخفية، ابتسامة سمير الكاذبة التي تخبئ طيات من الألم، عبوس أصدقاء فراس وكبح قيس للثور الهائج داخله لئلا يقوم بتحطيم كل ما تطؤه يداه في القاعة، برود رشا الظاهر والذي يخفي حقيقة الدموع المختبئة خلف مقلة عينيها، الفرحة المطبوعة على وجوه صديقات نرجس والتي قرأت كذب بعضها، فالحقيقة أن معظمهن كنّ يحلمن بالارتباط بفراس.. حتى قلت: "كل ما يحصل هنا أكبر ظلم"

نظر إلي كلاهما، فقلت موجهة كلامي لسمير: "إذا أردنا أن نحكم عل قصةٍ فعلينا الاستماع إلى كلا الطرفين.... فالطرف الأول ليس بالضرورة أن يكون قديسا"

تساءل بجدية: "ماذا تقصدين؟"

لأجيبه بعفوية بينما أراقب نظرة الانتصار على وجه رنيم من بعيد: "تذكّر متى بدأت لورا بالتغير واربط الخيوط ببعضها"

ثم نهضت عن الكرسي مستأذنة من إيان لأقدم تهنئة كاذبة لأم فراس التي لمحتها من بعيد تجلس على كرسي على طاولة فارغة وهي ترتدي فستانا أسود قاتما وقبعة صغيرة سوداء، كأنها في مأتم وليس حفل زفاف ابنها.

حينما وصلت دهشت بأنها تريح على الطاولة أمامها صورة لابنها المرحوم، بينما كانت تتصفح في هاتفها صورا لراما حينما خطبت من ابنها سابقا... أردت الرجوع لكنها لمحتني، وإن شرعت بالهروب فلن يكون مقبولا من طرفي، لذا قررت أن أجبر نفسي على تهنئتها بالرغم من شكي يقينا أنها فقدت عقلها بالكامل.

ردت لي التحية مبتسمة بحزن ثم أصرت عليّ الجلوس إلى جانبها لتريني صور راما، مخطوبة ابنها الأولى، وقالت غير مكترثة إن سمع أحد كلامها: "أليست أجمل من هذه المشعوذة التي ستهدم حياته؟ انظري إلى صفاء عينيها، كم تمنيتها لابني... حقيرة هي الدنيا فهي لا تنفك تأخذ منا دون أن تعطي بالمقابل!"

أردت مواساتها لكن ذلك كان صعبا علي، فأنا من بحاجة إلى المواساة الآن كوني أشارك في طعن صديقتي المفضلة بحضوري حفل زفاف حب حياتها من فتاة أخرى.

حانت فقرة دخول العرسان فاستأذنت للعودة إلى حيث يجلس إيان، لكنني قابلت في الطريق أوس فتوقفت وقد غلبني الجبن. اقترب من حيث أقف ثم طرح لي تحية شفوية، رددتها بإيماءة من رأسي، ثم قال: "لا تتعاملي معي كأننا مذنبان في حق بعضنا... أعرف أنك كنت تحت تأثير الكحول ولن أحكم عليك أبدا...أنا سعيد من أجلك لارتباطك بإيان فعلى ما يبدو أن علاقتكما تسير على نحو جيد، وإني لا أحمل في قلبي لك إلا الأمنيات العطرة"

قابلت كلامه بابتسامة طفيفة وشكرته بخفوت. كنت قد لمحت طيفا من الألم حاول تخبئته عني، فمضيت دون أن أنظر خلفي وأسرعت بالعودة حيث ينتظرني إيان. إنني أشفق على أوس ولهذا من الأفضل له لو يتباعد دربانا لئلا أزيد حسرته.

حينما جلست مد إيان يده ليستقبل عودتي برفع كفي وتقبيل ظهرها، يا له من رجل نبيل! ثم شبك أصابعه بأصابعي وأراح يدينا في حجري، ثم وجهنا نظرنا إلى العروسين المستعدين لعقد قرانهما على مرأى من الجميع، وإلى جانبهم الشهود.

بدأ الشيخ بتلاوة خطبته ثم بدأ ينقل كلمات لوالد نرجس فيعيدها ذاك على مسامع فراس، وحينما انتهى من قول عبارته: "أنكحتك ابنتي على مهر ......"

توجه الجميع بالنظر نحو فراس منتظرين قبوله، كان ينظر في عيني والد نرجس بجدية مفرطة، ثم قلب بصره بين كل من حوله حتى استقر بصره على نرجس ثم نهض قائلا: "آسف.. لست راضيا عن هذا الزواج...فأنا لن أتزوج من مخادعة نزقة وكاذبة"

ثم سار مبتعدا تاركا نظرات من الذهول على وجوه الجميع مع تعالي أصوات الشهقات، فصرخ والدها به ليوقفه بقوله: "أين تظن نفسك ذاهبا؟ هل تظن أن بإمكانك الاستهزاء بنا هكذا؟ أتظن الزواج لعبة! ألا يكفي أنك تعديت عليها؟ سأرميك في السجن لتتعفن فيه يا قليل الأدب! الحق على والدك الذي فشل في تربيتك يا فاشل!"

نهض والد فراس وهو يهتف لابنه أن يعود، لكن فراس لم يبال، فوقف أمام الملأ وقال بنبرة ساخرة: "استمتعوا سيداتي سادتي بحفل الطلاق.. أو بإلغاء الزفاف على الأحرى... اشربوا العصير وتناولوا الكعك! ماذا تنتظرون؟!"

علا صوت هتاف أصحابه وسط الجمود الذي اعترى اللحظة وانقضوا نحوه يحوطونه وهم يسيرون به نحو الخارج محملين بالانتصار، أما والد نرجس فأصيب بهستريا صراخ ووعيد وأمها فقدت وعيها، أما العروس فلم تغادرها نظرة البهتان التي علت وجهها.

راما

بُهرت ببراعة السيدة سوزان بتحكمها بالألوان بشكل مناسب لتعيد إلي لونا مقاربا للون شعري، الوردة الذابلة في قلبي أخذت خطوة نحو عودتها للحياة مجددا، راودني شعور طفيف بالراحة لرؤية مظهري الجديد القديم، فسروها كيفما شئتم... المهم أنني راضية تمام الرضا لمظهري البريء كما اعتدته دوما، فهو يذكرني بالطيبة التي كنت أنشرها من حولي كما يتناثر الحب فيطعم الطيور الجائعة، وبجفاف قلبي لم يعد الحَب نضرا وصالحا للاستهلاك، بل تم تحميله في ناقلات النفط ليولد احتراقا في كل البقاع السليمة من حسي ووجداني.

خلدت إلى النوم قليلا موجهة ما تبقى من طاقتي في تحديد خطوتي التالية غدا، إنها خطوة محفوفة بالمخاطر، مليئة بالأشواك والكثير الكثير من الرعب والذعر، لكن ربما إن استرددت طاقتي غدا فسأتمكن من مداواة ألم قلبي.... ربما أتمكن من مسامحة نفسي جراء سكوتي عن مقتل ذلك الرجل البريء.... ثم ربما أنسى زواج فراس أو أنساه هو تماما، فلا علم لي بما قد أوقع نفسي فيه غدا.

فتحت عيني صباح اليوم التالي على وجه سيلينا السمح، كانت جالسة على طرف السرير وفي حجرها صينية طعام ثم قالت: "سامحيني لقد خنتك لكنني تواصلت مع أمك وطمأنتها إلى تواجدك في بيتي حتى لا تصاب بالجزع"

أومأت رأسي بخفة غير معقبة وعدلت جلستي وأنا أدعك عيني، لمحتها وهي تتأملني فسألتها عن الخطب، فمدت يدها لتداعب بها خصلات شعري بمبسم دافئ ثم قالت:
" لا أعيب اللون الأسود فهو جميل، لكن للشعر الأشقر أناسه"
أربكتني بكلامها على حين غرة ثم أوضحت لها بصوت متقطع مساعدة مدبرة المنزل في إعادة لون شعري، مشيرة إلى براعتها في استخدام الألوان الصحيحة، سكتّ لوهلة ثم سألتها بصوت مختنق: "كيف كان الزفاف في الأمس؟"
وضعت الصينية في حجري وقالت: "أسطوريا!"
ابتلعت الغصة بصعوبة فهممت بشرب رشفة من كوب الشاي المستريح على طرف الصينية لأخفي انزعاجي من وصفها، لكنها تابعت: "نبذها أمام الجميع وأهانها وغادر منتصرا بانتقامه منها"
أعدت الكوب مكانه ونظرت نحوها مصدومة فأردفت: "المشكلة أن والدها رفع دعوة قضائية عليه في المحكمة لكن إيان تبرع بوالده بتوكيل محام كفؤ وآمل أن يخرج فراس منتصرا"
- "أعيدي منذ البداية! لم يستوعب دماغي شيئا!"
التوى فمها بابتسامة مستمتعة ثم عدلت جلستها لتواجهني وقصت كل شيء شهدته علي، ومن شدة ذهولي طلبت منها إعادة القصة مرة ومرتين وثلاثا... ربما أردت فكاهة أنكّه بها صباحي لأشعر أنني استرددت كبريائي المهزوم من نرجس... أو أردت المزيد من الطاقة الإيجابية لأنفذ مسعاي، أو ببساطة أردت الاحتفال بعودة فراس أعزب على أرض الساحة.

أحسن إلي كل من سيلينا وإيان واستضافاني طيلة اليوم حتى يتأكدا أنني بت بخير وأستطيع النهوض بنفسي والعودة إلى البيت، لكنهما اضطرا لتركي وحدي مجددا لتلبية دعوة عشاء من جدته بعد علمها ظهر اليوم بحمل سيلينا بوريث لسلالة عائلتها.
أوصت سيلينا السيدة سوزان بي، وطلبت مني أن أتصرف بحريتي لحين عودتهما.
فاستغللت فرصة رحيلهما واستأذنت من السيدة سوزان الجلوس في الحديقة بمفردي للتنفيس عن نفسي، لكنني تبرمت بذلك فقط تغطية على مخططي الذي أردت تنفيذه بمفردي لئلا أتسبب بالأذى لأحد. يجب أن أكون وحدي، فسيلينا لها الآن أحلام وآمال، وهي تحمل في رحمها حياة جديدة، لن أرضى بأن يصيبها مني آفة بسبب الثمانية الذين انقطعت أخبارهم فجأة عني ولم يحاول أي منهم الاتصال بي. هل يختبرونني؟ أم ربما فقدوا السيطرة على الموقف واختاروا الهروب إلى مكان بعيد؟ هذا الاحتمال بدا لي واردًا.
خرجت من أسوار البيت بعدما كذبت على الحراس بإقناعهم بأن إيان سمح لي بالمغادرة وقتما شئت، تلفحت بكنزتي التي تولت السيدة سوزان تنظيفها وسرت مكافحة قلقي نحو هدفي. وقفت في النهاية على مقربة من مركز أمن المنطقة وفي بالي فكرة واحدة، سأعترف لرجال الأمن بكل شيء حتى لو عنى ذلك اعتباري مشاركة في الجريمة، فالندم الذي يتآكلني لن يمكنني من الصمود في العالم الحر فترة طويلة.
استجمعت أنفاسي وشرعت بعبور الشارع نحو مدخل المركز حتى وردتني مكالمة، شيء ما في داخلي أمرني بتفقد هوية المتصل لأفاجأ بمكالمة فيديو من قبل هيلدا.

تواريت عن المركز عائدة أدراجي نحو بقعة مظلمة في الشارع واستقبلت المكالمة، وأول ما رأيت هو وجهها الغاضب، فقالت دون مقدمات: "هل كنت تظنين أننا لا نراقب تحركاتك أيتها الشقراء الغبية؟"

سألتها بغيظ مكظوم: "ماذا تريدين؟"

- "عودي أدراجك ولا تقدمي على حماقة أجعلك تندمين بسببها"

- "توقفي عن تهديدي فمهما فعلت فلن أستمع إليك"

تقوس فمها بابتسامة نكراء شيطانية ثم قالت: "لنرى، سأبسط لك المعلومة لتفهمي الصورة بشكل جيد هنا، إما أن تغلقي فمك عن قول شيء، أو تصابي بالعناد وتتسببين بموت آخر لكن هذه المرة لعزيز غال!"

أبعدت الكاميرا المسلطة عليها نحو شخص خلفها، كان مقيدا إلى كرسي ما، مكمم الفم وهو يحاول الصراخ وعيناه الزرقاوان تخاطبانني من خلال الكاميرا، أعادت هيلدا الصورة نحو وجهها وقالت منبهة للمرة الأخيرة: "الأمر موكل إليك، إن ذهبت يموت حبيبك، وإذا لم تريدي موته فتعالي وأنقذيه بمفردك.. سمعت؟ بمفردك! وتذكري أن خطواتك مراقبة!"

ثم أنهت المكالمة قبل أن تترك لي مجالا للرد، فمن شدة صدمتي علق لساني في حلقي وفقدت القدرة على الصراخ حتى. نظرت باتجاه الطريق المؤدي إلى المركز وبكيت مستسلمة للوهن الذي تخلل عظامي وركضت في الاتجاه المعاكس، قاصدة منزل ساشا بينما أعتذر بكل العبارات لروح الرجل الميت، لأن أي مقايضة مقابل روح فراس فهي مقايضة غيرعادلة مع معرفتي الأكيدة بأن الكفة دائما سترجح لفراس فقط.

الفصل السادس والثلاثون

لم تزوّدني هيلدا بمعلومات عن مكانها لكنني اتجهت تلقائيا إلى منزل ساشا، وحينما وصلت وجدت الضبع مع آخر والذي لم يكن إلا ثائر، ينتظران قدومي مع ابتسامة عريضة. أخذوني في سيارة يمتلكها ثائر إلى حيث هي هيلدا، وضعت يدي في جيبي لأكون جاهزة للدفاع عن نفسي بالمدية التي حصلت عليها من ساشا، تمكنت سابقا من هزيمة الضبع لأنه لا يمتلك تلك الجثة الضخمة بأي حال فقد كان شابا طويلا نحيل الجسد أما ثائر فقصة أخرى، عدا عن طوله المقارب للمترين فإنه يمتلك جسدا ضخما كبنية قيس،فكان علي أن أبقي عيني عليه وهو يقود السيارة. وبدا لي أنه استشعر حذري فألقى إلي نظرة ساخرة من المرآة وهو يبتسم بسماجة لكنني قابلته بتكشيرة ونظرة تهديد. وصلنا إلى المكان الذي تنتظرني فيه هيلدا على أحر من الجمر، كانت ساحة كبيرة في وسط تل بأرض مقفرة مجهول معزول، ينتهي بجرف هاوٍ. هناك لمحت فراس مقيدا على كرسي مكمم الفم وسط الساحة، فهممت بالركض باتجاهه وانا أصرخ باسمه فسحبني ثائر وهو يقبض على معصمي الذي ضاع في قبضته الغليظة، فأخذت أصرخ به وأحاول تخليص نفسي وهو يجرني إلى الخلف. أبقيت بصري معلقا به وانا أهتف مجددا باسم فراس فكان يحاول جاهدا تخليص نفسه وهو يتمايل في الكرسي بعصبية واضحة وينظر نحونا مغتاظا من جر ثائر لي بهذه الطريقة.

دفعني ثائر فاصطدمت بشخص أمامي لأدرك وقتها أنه ألقاني في أحضان هيلدا، ثم قالت باستهزاء: "أحسنت الاختيار بمجيئك يا حلوة!"

ثم نظرت نحو ثائر ببرود وأمرته بتكبيلي في المقعد الأمامي فسحبني رغما عني وثبت جسدي في الكرسي مع عدة صفعات وجهها إلى وجهي بيده الحديدية لأتوقف عن

المقاومة، صفعاته كانت مؤلمة لدرجة جعلتني أبكي مجروحة مذلولة. قام بلف جسدي بحبل إلى الكرسي وأنا أشهق بين دموعي ثم ابتعد إلى الخلف وهو يراقبني مستمتعا بإذلالي ثم ركبت هيلدا إلى جانبي في مقعد السائق وأمرت الاثنين بالابتعاد عن طريقها.
نظرت إليها بغيظ وقلت: "ماذا ستستفيدين من كل هذا؟ ستقعين في ورطة!"
وجهت إلي نظرة مسمومة وأجابت: "هل تظنين أنني جئت بك إلى هنا من أجل ألا تشي بي لرجال الأمن فقط؟ لا يا حلوة جئت بك لسبب أكبر.. أنت سرقت مني ساشا! لقد أحبتك أكثر مما أحبتني لذا... جاء وقت الانتقام! الآن ودعي حبيب فؤادك إلى الأبد هذه المرة"
أشاحت بصرها عني تاركة لي الذهول المطبوع على وجهي وبدأت بتشغيل السيارة فصرخت بها: "قلت لي أنك لن تؤذيه إذا سلمت نفسي لك!"
تجاهلتني وانطلقت بالسيارة وفي رأسها هدف واحد، نظراتها الشيطانية أكدت لي أنها لن تتوانى عن قتل فراس أمام ناظري، وجهت بصري أمامي فرأيت أضواء السيارة الأمامية مسلطة عليه، زواج فراس الوشيك شيء ومفارقته الحياة أمامي وأنا غير مهيئة لتوديعه شيء آخر! لا أظن يوما أنني سأتقبل فكرة موته قبلي.
لذا جاهدت بكل قوتي لأتمايل في المقعد حتى ارتخى الحبل الذي يقيدني وبكل قوة دفعتها بكتفي فانحرفت السيارة عن الطريق، فأخذت تصرخ بي وهي تحاول دفعي عنها، ثم دخلنا في عراك جسدي بينما كنت شبه مكبلة، لكن الإصرار على حماية فراس حتى لو كان على حساب حياتي كان المسيطر على كل انفعالاتي، وأعتقد جازمة أنها لمحت ذاك الإصرار الذي أفقدني إحساس الخوف من الموت فلمحت نظرة رعب مطبوعة على وجهها حينما أدركت أنني مستعدة للتضحية بكلتينا لنموت في حادث

اصطدام على أن أسمح بقتله، صارعت أكثر حتى تمكنت من دفعها بكل قوتي ففقدت التحكم بالسيارة لتصطدم بعمود الكهرباء بقوة.

لم يصبنا أذى يفقدنا الوعي، مجرد إصابات طفيفة في الرأس، لكن إصرار كل منا على هزيمة الأخرى كان الدافع لكلينا بالنهوض والترجل من السيارة بحركات مترنحة.

أسرع كل من الضبع وثائر للاطمئنان على هيلدا بينما شققت طريقي في البداية أحبو على أربع، حتى نهضت بمشية مترنحة نحو فراس يحركني فقط دافع إنقاذه. حينما وصلت إليه لمحته يبكي وهو يتمتم مكبوت الصوت، وأول ما فعلته هو تحرير فمه لأستقبل صوته وهو يسألني إذا كنت بخير أم لا، أخرجت المدية من جيبي دون إعطائه ردا وأخذت أقطع الحبل بها مقاومة الرؤية الضبابية التي هددت بحرماني من إنقاذه، حتى حررته بالكامل، فشعرت بأنني وقتها فقدت القدرة على التحمل فهوى جسدي بين أحضانه.

لم أحتفل كثيرا بنجاته فقد أسرع الضبع بتقييدي وهو يسحبني بقوة من بين ذراعيه فنهض فراس ليواجهه مشتعلا بالغيظ وهو يهدده ليتركني، لكن فاجأه ثائر بلكمة بقبضة يده المكورة وجهها نحو بطنه ففقد توازنه، ثم أسرع بتثبيته بواقع أنه يمتلك جثة أضخم منه، حاول فراس تخليص نفسه لكنه لم يستطع، وهنا تقدمت هيلدا من المكان، ثم بصقت من فمها دما وهي تنظر إلي مهددة وفي يديها خنجر ثم قالت: "اشهدي موته بالطريقة الصعبة الآن"

رأيتها ترفع يدها بالخنجر عاليا لتطعنه به، فتحركت دون تفكير وجرحت وجه الضبع بمديتي التي ما زالت رهينة في يدي، فتركني وهو يصيح متألما وألقيت نفسي بينهما، وبخطفة عين شعرت بشيء حاد يغرز بي، لوهلة فقدت القدرة على الإحساس بالواقع

من حولي، وغابت عني كل الأصوات والملامح. ثم ما لبثت أن شعرت بذراعين تقبضان علي، لم تكن الصورة واضحة في البداية لكنني أعتقد أنني استطعت رؤية وجه فراس فوقي، كان يبكي بغزارة وهو يهتف بكلمات لم أستطع سماعها كالصدى يتردد من بعيد.

أحسست بعدها بشيء يبلل وجهي، ففتحت عيني أكثر رغما عني لأقابل السماء التي أمطرتني بدموعها كأنها تحدثني عن حزنها على حالي وما آلت إليه حياتي مؤخرا، كأنها تقول لي أن نهاية مشواري اقترب وسينتهي معها عذابي، استقبلت كلامها بابتسامة حزينة ووجهت نظري إلى فراس بوجهه الباكي وقلت بصوت ضعيف: "سامحني!"

فتح فمه ليرد لكنه أجهش بمزيد من البكاء، فتمكن من نطق بعض العبارات: "لقد فشلت ثانية! لا أريد أن أخسرك! لا تتركيني كما فعل كرم! راما أرجوك ! كرم!"

أعقب كلامه إحساسي بسخونة القطرات التي تسيل على خدي، وقتها أيقنت أن السماء وفراس ليسا وحدهما في بكائهما، فتلك القطرات الدافئة لم تكن إلا دموعي أنا الأخرى، لماذا كنت أبكي وقتها؟ لا أجد سببا محددا.

كانت هيلدا تقف على بعد خطوتين منا ربما كانت مصعوقة بجري الأحداث فلا شيء حصل حسب توقعاتها، والضبع يعاين جرحه وهو يصيح ويشتم، أما ثائر فاكتفى بالوقوف خلف فراس متفرجا كأن أيا مما حصل لا يعنيه.

سمعنا صوت سيارة قادما من بعد، ثم توقفت قريبا منا لتترجل منها ساشا بوجه محتقن بالدماء ونظرات مرعبة، ترجل من السيارة كوكو وعرين وفريدة مع الشاب الثالث من الشلة، عصمت.

اقتربت ساشا من المكان وصرخت بالثلاثة: "ماذا حصل هنا؟ ألم أنبه على أي منكم ألا يلمس منها شعرة؟! أرى أنك استصغت فكرة القتل يا هيلدا؟ تستُّري عليك كان لحمايتك لا للتخطيط في مشروع قتل جديد! أما أنتما الاثنان حسابكما لاحقا"

حوصر الضبع وثائر من بقية الشلة وهم يوجهون لهما نظرات تهديد، ظننت أن هيلدا ستتراجع وتهاب منها لكنها عوضا عن ذلك قابلتها بالصراخ وهي تشير بالخنجر نحوها مهددة: "بل سأقتلها بيدي وأشرب الخمر فوق جثتها الهامدة!"

صرخت بها ساشا باستياء: "هيلدا! نحن سيئون لكننا لسنا قتلة!"

تجاهلتها باكية: "كيف سمحت لنفسك بأن تحبيها أكثر مني؟ كيف تجرئين على مبادلتها بي؟ تركتني لأجلها وأحببتها أكثر مني! كنت لي وحدي!"

بدأت هيلدا بالبكاء وهي تصرخ معبرة عن حقدها وغيرتها، فحاولت ساشا تهدئتها لتتمكن من الحديث معها بلغة مفهومة بدل اللجوء إلى العنف، لكن هيلدا لم تكن لتتنازل، فقررت هذه المرة أن تصعِّد من وتيرة العنف فأخرجت من جيب بنطالها الخلفي مسدسا، هو ذاته الذي أخذته من مغدورها قبل أن تقتله، أشهرته نحوي ونحو فراس ثم وجهت كلامها لساشا: "أنت لي وحدي لذا سأخرج راما من الصورة"

أسرعت ساشا نحوها وقبضت على يدها لتنتزع منها المسدس لكنها كابرت، ثم بدأتا تتصارعان، فأطلقت هيلدا طلقتين في الهواء أرعبت الجميع ليبقوا بعيدين خوفا على حياتهم. ضربتها ساشا في بطنها لتترك المسدس لكنها قاومت الألم ولم تتراجع، فازداد الشجار بينهما حمية حتى طار المسدس ووقع أرضا بعيدا عنهما وقريبا من الحافة، ركضت كلتاهما نحوه فكانت هيلدا الأسبق، حاولت إطلاق المزيد من الرصاص لعلها

تخيف ساشا فتبتعد عنها لكن ضاعت محاولاتها عبثا. ووسط شجارهما لم تنتبه أي منهما إلى اقترابهما من الحافة، فصاحت كوكو بذعر حين كادت قدم ساشا تزل عن الحافة.

أخذ الكل يصرخ بهيلدا لتتراجع عن غضبها حتى لا تتأذى أي منهما، لكنها كانت في غمرة من الغضب أعمتها عن الاستماع لأي كان، فصارعت بجسدها لتبعد ساشا عنها ففقدت هي توازنها وهوت من الجرف.

صرخ الكل تزامنا مع قفز ساشا نحوها ومحاولتها إمساكها، فنهضتُّ يتملكني الذعر رغما عني وهتفت منادية لها ودون تفكير أسرعت نحو الجرف أحتضن خاصرتي المطعونة مع من جروا معي، ألقينا نظرة إلى الأسفل فوجدنا ساشا متعلقة بغصن متهالك نبت من خلال شق في الصخور وفي يدها الأخرى ذراع هيلدا التي كانت مرتعبة من المنظر الذي تحتها حيث لا يوجد إلا المياه بأمواجها السوداء المخيفة.

اتجهت ببصري نحو فراس وعلى الرغم من ألمي صرخت به: "أنقذها! أرجوك! أنقذ ساشا!"

حاول عصمت النزول عن الجرف لعله يصل إليهما لكنه لم يجد طريقة لينزل بجثته الضخمة لأن الحجارة أخذت تتفكك تحته، لذا قررت كوكو أن تغامر هي فأسرعت نحو الحبل الذي كان فراس مقيدا به وربطته حولها ونزلت بنفسها متعلقة بالجرف وأمسكت عرين وعصمت بالحبل حتى لا تسقط في القاع، أسرعت بالتمسك بجذع عرين لأثبتها أيضا وطلبت من فراس المساعدة، نظرت إليه فكان ينظر نحو الجرف كالذي يرى ميتا، وبدأ يتمتم بخفوت: "كرم! كرم!"

رجوته ليركز معي ويساندني لكنه لم يستجب. وصلت كوكو إلى ساشا ومدت يدها لتسحبها لكنها رفضت قائلة: "لا اسحبي هيلدا أولا لأتأكد أنها ستكون في مأمن"

فحاولت جاهدة رفعها بينما تلك تبكي صارخة مستنجدة، مالت كوكو أكثر حتى تمكنت من التعلق بهيلدا لتسحبها، ثم بدأ الجذع يتكسر غير قادر على الصمود بجثة ساشا المتمسكة به، فكسر فجأة لتهوي ساشا معه نحو القاع فصرخ الجميع، التفتّ نحو فراس ألتمس منه ردا، رجوته مرارا ليرد، نظر إلى الحافة عله يقفز خلفها ويساعدها لكنه لم يتمكن فاحتضن رأسه صارخا: "لاااا كرم!"

وهوى على ركبتيه مستسلما، تمكنت كوكو من إنقاذ هيلدا وأخذنا نصرخ ونهتف لساشا علها تخرج من المياه، كانت أمواج المياه ثائرة مع الأمطار الغزيرة فكانت تلك الأمواج سوداء غاضبة، استطاعت ابتلاع جسد ساشا، كان لا بد لأحد من التدخل، صرخت وناديت واستنجدت بالكل لإنقاذها، لكن حالهم لم يختلف عن حال فراس حيث كان الذعر يتلبسهم جميعا، فقررت النزول بنفسي مجاهدة ألمي وجرحي العميق، حاولت كوكو إيقافي لكنني تجاهلتها فخطفت الحبل منها وسألتها أن تتمسك به جيدا لكي لا يجرفني الموج العاتي، تشبثت بالحجارة نزولا، لكن رجلي انزلقت عن الحافة وسط الطريق فوقعت على صخرة بارزة في الماء فأخذت أصرخ متألمة من أثر السقطة كان جرحي يزداد سوءا مما جعلني أقطر عرقا بالرغم من برودة الجو، ناديت وهتفت بصوت متألم مرارا لكن عبثا، ففاجأتني موجة عاتية مقبلة نحوي ليصرخ بي الجميع لأتمسك بالحبل لسحبي لكنني كنت أبطأ من المطلوب فجرفتني الموجة معها ولم أتمكن من مصارعتها، أخذت الدماء من جرحي تنتشر والماء يتجانس مع دمي فبت أسبح وسط مياه حمراء غاضبة، كان التنفس صعبا علي وشيء ما ران على بصري فلم أبصر إلا السواد وآخر ما أذكره هو إحساسي بذراعين تلتفان حولي وتساعدانني على الخروج

نحو السطح فشعرت بضغط الماء يخف عن رأسي. سمعت أصوات صافرات إنذار ثم ما لبثت أن تلاشت عني مع جميع الأصوات.

في سرير أبيض في المشفى وجدت نفسي قد منحت فرصة جديدة للعيش، جسدي كان مخدرا بالكامل، والصورة لم تكن واضحة أمامي لمحت أطياف بشر تحلق حولي لكن لم أميز أيا منهم، طال بي الأمر على هذا الحال من الصداع والهذيان حتى بت قادرة على إدراك ما حولي لكن مع حساسية شديدة للضوء والصوت، فحرص الطبيب على التحدث معي بنبرة منخفضة جدا ليطمئن إلى أن وظائفي الحيوية بدأت تسترد عافيتها، اضطر أن يخرج كل الجمع، الذي لم أكن قادرة بعد على تمييز أي منهم، خارج الغرفة.

أفقت مجددا بعد أن شعرت أنني غبت عن الوعي لسنة كاملة فرأيت وجه أمي فوقي بعينين متورمتين من شدة ما بكت، وحينما لمحتني أستفيق شهقت ألما وحاولت كبت دموعها، تأملتها بعينين هزيلتين وبحلق جاف تمكنت من لفظ عبارة: "سامحيني أمي!"

أحنت رأسها لتريحه على جبيني وهي تبكي وأخذت تقبل رأسي وخديّ وتمسح على شعري وقالت: "بل سامحيني أنا، لو كنت أما متفهمة ووقفت إلى جانبك في محنتك ما لجأت إلى قوم فاسدين... حقك علينا يا ابنتي!"

استطعت أن أتبين شبح أبي يقف خلفها ثم طلب منها أن تبتعد ليقترب مني. جلس على حافة السرير، وأخذ وجهي بين يديه وقال بصوت متقطع: "حمدا لله على سلامتك يا قرة عيني"

أجبته والدموع تجري على خدودي: "آسفة يا أبي!"

عاينني الطبيب من جديد، كنت ما زلت أتألم من جرح خاصرتي الذي قام الطبيب بخياطته لي، كما أنني أصبت بكسور في ساقي ووركي من أثر السقوط وكان لزاما عليّ

التزام الفراش، كما تمت معالجة جروح رأسي وإمدادي بوحدات دم. في المحصلة النهائية خرجت حية من موت وشيك.

استأذنني الطبيب لاستقبال زوار إن كنت بخير ولا يسبب ذلك إزعاجا لي فوافقت، دخلت علي سيلينا مع زوجها، ولم أتفاجأ بذلك صراحة لكنني تفاجأت حين رأيت لورا برفقتهما، كانت تحمل نظرات قلقة كأنها تخشى أن أطردها، اقترب مني ثلاثتهم وكانت أولهم حديثا سيلينا لتسألني: "كيف تشعرين الآن؟"

أومأت برأسي بحركة خفيفة، ثم قال إيان: "اتبعي تعليمات الطبيب حتى تتماثلي للشفاء أسرع، ولا تخشي شيئا فنحن إلى جانبك وسنتكفل بكل شيء"

قال آخر عبارة وهو ينظر نحو أبي كأنه يطمئنه إلى تكفله بكل مصاريف العلاج، ثم طلب منه أن يحدثه في الخارج فخرجا ورافقتهما أمي لتتركني مع سيلينا ولورا لأتحدث براحتي معهما.

نظرت نحو لورا ثم قلت: "ما أحوالك؟"

أخرجت تنهيدة مرة من فمها ثم قالت: "لا جديد عدا عن انقطاعي عن النوم لليلتين متتاليتين بعدما خشيت موتك وفراقك"

ثم استسلمت للبكاء، رق قلبي لحالها ثم اقتربت مني وجلست على حافة السرير وهي تحدثني بصوت باك: "أرجوك سامحيني! خشيت أن أخسرك قبل أن تصفحي عني! أنا السبب في كل ما حصل لك!"

هزت رأسي نفيا وأجبتها: "لا تزر وازرة وزر أخرى، أنا اخترت ذاك الدرب وأنا علي أن أتحمل النتائج، لو كنت مكانك وتم تهديدي بفراس فأنا متأكدة من أنني سأتصرف بالمثل...."

بكتْ أكثر حتى أصبح نحيبا، ومددت لها ذراعيّ لأحتضنها فسلمتني نفسها لتفرغ كل انفعالاتها السلبية ووعدتني بألا تسمح لأحد بالتدخل بيننا وأن تقول كل شيء لوالدها عن رنيم، وهنا في هذه اللحظة طرق الباب وعندما فتح شعرت بقلبي يخفق بقوة حينما خطى فراس إلى الداخل وهو يرتدي رداء خاصا للمشفى، نظرت نحو سيلينا ولورا مصدومة فقالت سيلينا: "لورا أخبرت والديك كل شيء، وأجبرت ميساء على الاعتراف أيضا، الآن ميساء معاقبة ومحرومة من الخروج من البيت لشهر حتى عودة دوام الجامعات الفصل القادم"

ثم اقتربت من لورا وهمست في أذنها شيئا وأتبعتها بمسح يدها على خدي وقبلة طبعتها على جبيني ثم استأذنتا للانتظار في الخارج. اقترب فراس أكثر مترنحا قليلا، ثم سألني عن حالي، لأسأله في المقابل إن كان يتلقى علاجا ما فأجاب: "آه أجل... لقد قفزت خلفك وآذيت نفسي بينما أنتشلك من الماء وجاء خفر السواحل وتكفل بالباقي."

- "يا إلهي! هل أنت بخير؟"
- "كونك أنت بخير كاف لي لأكون بأحسن صحة..."

صمتنا لوهلة قبل أن أكسر الصمت بسؤالي: "ماذا... حصل للبقية؟"

تنهد قبل أن يجيبني بحذر: "إنهم في السجن بسبب اتهامهم بأعمال شغب وتخريب، وتم إلصاق تهمة مقتل رجل الأمن بهيلدا ليتم تحويلها إلى القضاء، عدا عن تهمة الشروع بقتلي"

ابتلعت ريقي قبل أن أسأل: "وساشا؟"

دعك جسر أنفه متوترا ثم أجابني بمزيد من التوتر: "أنا... آسف... تم العثور على جثتها وقد فارقت الحياة"

وقع الخبر على رأسي أشد وطأة مما توقعت، تسلل إلى صدري ألم فظيع فشعرت بانقباضه بينما تحتقن عيناي بالدموع، ثم زفرت بألم غير قادرة على تقبل الخبر واستسلمت للبكاء المرير، وأنا أقول: "أعرف أنكم ترونها سيئة لكن فيها جانبا من الخير لمحته أنا، كانت... كانت صديقتي... وقفت إلى جانبي في مواقف عديدة!" ثم احتضنت وجهي أبكي بحرقة متمنية أن يكون موتها ملفقا، أو أن يكون كل هذا حلما سيئا عسى أن أفيق منه، لكن الواقع المرير أكد لي عكس ما أملت، فما عشته حقيقة بكل تفاصيله المؤلمة.

لم يطل فراس بزيارته لي، غادر بعدما اطمأن على صحتي. ودعني عند الباب وقال: "إني لأتمنى أن نلتقي مجددا"

سألته مترددة: "ماذا تعني؟"

ليجيب معلنا بذلك قتل آخر بصيص من أمل ارتباطي به: "طبيبي أوصى بسفري خارج البلاد، لعل أجواء جديدة تساعدني على تصفية أحزاني، بقي لي فصل في الجامعة وحصلنا على القبول بإكماله عن بعد... لذا... أردت توديعك قبل مغادرتي"

***

قضيت في المشفى أسبوعا كاملا ولم تغادرني أمي إلا نادرا لتقضي حوائج البيت وأخي الصغير، جاءت سارة في إحدى الزيارات لتطمئن علي وتعيد جوها الفكاهي المشوب بسماجتها لكنني كنت أسعد ما يكون بعودة المشاحنات بيننا فلا نكهة ليومي إن لم أتشاجر معها في سفاسف الأمور. وطيلة ذاك الوقت كنت أسعى جاهدة لترميم آلام قلبي وخصوصا من فكرة رحيل فراس.

في يوم ما خلال الأسبوع زارني رجل يرتدي بزة رسمية أنيقة، أصلع الرأس قمحي البشرة وبدا أنه في منتصف الأربعينيات من العمر. أراد رؤيتي على انفراد لكن أمي رفضت تلبية مطلبه وأصرت على البقاء، فلم يملك بدا من محادثتي أمامها ليفاجئني حينما عرّف عن نفسه بكونه محامي ساشا.

لوهلة بقيت أحدق فيه دون إعطائه رد فعل، ثم تنحنح وأخرج من جيب سترته رسالة مطوية مخبأة في ظرف ورقي مغلق، مزقت الظرف وأنا أستمع إليه وهو يقول:

"أوصتني السيدة ساشا بإيصال هذه الرسالة إليك إن أصابها مكروه ما..."

فتحت الورقة المطوية وتعرفت على خط يدها الذي لن أنساه فقد كانت كثيرا ما تكتب لي عبارات بقلم الحناء على ذراعي فيظن والداي المسكينان أنني حصلت على وشم في كل مرة. كانت الرسالة مؤلفة من أسطر متراصة ويبدو أنها كتبتها على عجل لئلا تنسى حرفا مما تريد إخباري به، ثم بدأت أقرأ النص بعيني ليسود الصمت في الغرفة بنظرات مترقبة من حولي، فقالت لي في رسالتها:

"صديقتي العزيزة راما، بالرغم من تخليك عني إلا أنني أعلم أن ما بيننا من ود لن يحترق، محبتك في قلبي لها مكانها الخاص، لم أتخيل أنني سأشعر بمشاعر حلوة كهذه تجاه أحد، فالوحيد الذي كنت أحمل له تلك المشاعر المرهفة هو ابني فقط، وحتى هيلدا أحببتها بطريقة مختلفة فقد كانت أقرب إلى غرض أتملكه، لكن أنت استطعت اقتحام أسوار قلبي، إني لأشهد لك أنك لست بارعة فقط في سرقة قلوب الرجال بل بسرقة قلوب الجميع.... لا أدري ما قد يحصل لك أو لي لكنني أردتك أن تعرفي أنني لو أصبت بمكروه فلن أهتم ما دام لي أخت ولدتها لي الدنيا تحفظ قلبي المدفون... إن

وصلتك كلماتي فاعلمي أنني فارقت الحياة ولا أريد منك إلا الاعتناء بنفسك جيدا وأوصيك بابني خيرا... أختك المحبة ساشا.."

نظرت إلى التاريخ الذي كتبته تحت عبارتها الختامية لأكتشف أنها كتبت الرسالة في ذات اليوم الذي غادرْتُهم فيه، كأنها كانت تعلم أن هيلدا ستنصب لي كمينا وأنها كانت ستحاول حمايتي ولو على حساب حياتها.

غطيت وجهي لأسمح للدموع أن تغسله دون أن تشعر بالحرج من مراقبة الأعين لها، بكيت حزنا على ساشا وفراقها لابنها قبل أن تودعه حتى، بكيت بحسرة على موتها الذي كنت سببا فيه. حينما هدأت قليلا عن البكاء استجمع المحامي ثقته من جديد لطرح موضوع آخر كان السبب في قدومه من الأساس، فأخرج من حقيبته الجلدية الكبيرة مستندات ما وقال: "عفوا يا آنستي أعرف أن الوقت غير مناسب الآن لكن السيدة ساشا قد حولت جميع ممتلكاتها تحت اسمك أنت، وأحتاج فقط إلى توقيعك لنقل الملكية لك"

فتحت أمي فاهها بصدمة لا تكاد تكون أكبر من صدمتي أنا، ثم وضع المستندات في حجري وناولني قلما لأقوم بالتوقيع عليها، ترددت في البداية لكنه حثني على الأمر وقد ذكر أكثر من مرة أن هذه رغبة ساشا. وقعت على الأوراق وأنا أقاوم ذهولي، ثم سألته أمي عن مقدار ثروتها ليجيبها: "إنها تملك نصف مليون يا سيدتي"

"نصف مليووون!" خرج صوت أمي وهي تعيد من بعده كصوت الصرير الذي يحصل عند احتكاك الطبشورة بالسبورة فسببت لي ألما في أذني، بقي لدقائق أخرى وهو يحدثني عن أهمية لقائي به في وقت آخر ليطلعني على ممتلكاتها بالضبط في مبنى المحكمة، فوافقت على مضض واعدة إياه أن ألبي طلبه حالما تتحسن صحتي.

تحمست أمي كثير للمبلغ، لكنني قتلت فرحتها في بدايتها لأقول: "هذه الأموال ليست لي، سأعتني بها لإيصالها إلى من هو أحق بها"

قلت هذه العبارة لأمي لأنني أعرف ما تفكر به ساشا، لم ترد أن تورث ابنها قرشا من أموالها فينفقه أهل زوجها على شؤونهم، وربما أرادت مني أن أكون رسولا لأحتفظ بهذه الأمانة حتى بلوغ ابنها سن الرشد القانوني ليتحمل مسؤولية مبلغ كهذا. انزعجت أمي من قراري لكنني كنت قد حسمت أمري.

وُجهت إلي اتهامات في وقت لاحق عن مشاركتي جريمة القتل التي أقدمت عليها هيلدا، فأوكل إيان محاميا لدحض ما زعمته هيلدا بحقي، وبطرقه البارعة تمكن من سقاط جميع التهم عني. ثم علمت أن شلة ساشا حكم عليهم بالسجن لمدة ثلاثة أشهر فقط ليعودوا لممارسة حياتهم الطبيعية بعدها، فقررت التنازل عن بيت ساشا الذي كنا نجتمع فيه لهم، والباقي من أملاكها وضعتهم تحت وصايتي لأسلم العهدة لابنها حينما يبلغ السن القانونية.

أما بالنسبة لفراس فقد تم إصدار أمر من المحكمة بفحص نرجس بالطب الشرعي لتظهر براءة فراس والتأكيد على عذرية الفتاة، لكن مع ذلك فإن إهانة فراس لها ولأهلها في حفل الزفاف لم تصب في صالحه، فاضطر والده لدفع مبلغ من المال لأهل نرجس بعد تسوية توصل إليها محاميا العائلتين.

......

كان متوترا لكنه نجح في ارتداء قناع القوة كما اعتاد أن يفعل في أي انتكاسة كانت تسير في حياته، فمبدؤه الذي يحياه، تظاهر بالقوة حتى وإن لم تملكها فلن يعرف الشخص المقابل بضعفك. أخيرا لمحها تدخل المقهى بعد تأخرها عن لقائه ربع ساعة من الميعاد،

وحينما اقتربت كانت تلون وجهها بابتسامة متفائلة تخفي تحتها كيدها ومكرها لئلا يلمح حقيقتها الشريرة، أو هكذا ظنت.

جلست مقابله على الكرسي ومدت يديها على الطاولة لتحاول مداعبة أصابعه فأسرع بخطف يديه ليريحهما على حجره، نظرت إليه مدهوشة ثم قالت: "ما بك؟ عندما استدعيتني قلت لي أن الأمر طارئ، هل من خطب ما؟"

كان سمير يدرك تماما ما ينظر إليه، فبعد تلميح سيلينا له في الحفل الكارثي الذي أفسده فراس بقي صدى كلماتها يتردد في مخيلته، وبدأ بربط جميع الخيوط ببعضها حتى وصل إلى استنتاجه، سحب نفسا عميقا ثم قال مهاجما رافعا كلفة اللباقة: "أعرف أنك تظنين أن سبب استدعائي لك لكي أعرب لك عن مشاعري نحوك واحتياجي حضنا ليضمني، أكره أن أزف إليك هذا الخبر، لكنني لا أشعر تجاهك بشيء إن كنت تطمحين لذلك، فمنذ لقائنا من أول مرة وحتى الآن وأنا لا أرى فيك شيئا مميزا... بالنسبة لي أنت كأي فتاة عادية تسير في الشارع لا أعيرها انتباها"

فتحت عينيها مذهولة لكنه تابع قبل أن يعطيها فرصة في الكلام: "خطئي أنني لم أسمع القصة من طرف لورا، ومهما كانت طبيعتها فأنا تسرعت كثيرا... لا أدري لما أشعر بقوة أن لك يدا قذرة في الموضوع، لكنني أدركت متأخرا أن لورا بدأت تنتكس منذ اللحظة التي رأتك فيها، ومشكلتنا الأولى لم تحصل إلا بعد جلوسها معك وهذا يوصلني إلى استنتاج مفاده أنك فتاة لعوب عديمة أخلاق قليلة تربية، لذا لا أريد رؤية وجهك ثانية أو الاحتكاك بك مجددا"

قدمت نادلة لتسأل إن كانا بحاجة لشيء يشربانه فأجابها وهو ينهض واقفا: "ربما أرادت الآنسة أن تشرب شيئا بالنسبة لي أشكركم على قدح القهوة فأنا مغادر"

ناولها مبلغا من المال ولم ينس أن يضع فيه بقشيشا لها، ثم تحرك خارجا وهو يعقد أزرار سترته الأنيقة، بينما ترك خلفه وجه رنيم الشاحب بما آلت إليه خططها.

كانت وجهته التالية هو بيت مخطوبته السابقة، استقبله عادل في الحديقة معتذرا إليه بأن السيد حيدر منعه من إدخاله إلى البيت، ثم علا صوت سيد البيت من خلال الشرفة الأمامية وهو يسأل سمير بغلظة عن سبب مجيئه، ابتلع سمير ريقه مرتبكا وقال:

"سامحني يا عمي على الكدر الذي سببته لابنتك، أنا أخطأت في حقها وجئتكم طالبا الصفح، وأعدك ألا يطأها ظلم مني بعد ذلك ما حييت"

أجابه والداها بسخط: "أتظن أن استعادة ابنتي ستكون بهذه السهولة؟ أنت تتحدث عن قطعة من لحمي، إنها قلبي بكل مستعمراته، يجب أن تنال عقابا أليما وتكون جاهزا لاختبارات الثقة القادمة"

مسح قطرة من عرق جبينه ذعرا من والد محبوبته وقال محافظا على ثباته: "اصنع بي ما أنت صانع، حقك يا عم ولن أتذمر"

تقوس فمه بابتسامة ماكرة وقال هامسا لنفسه: "سأريك كيف تتسلى بقلب لورا أيها الوغد"

ثم هتف لعادل مناديا ففهم على الفور أمر سيده ليسرع نحو الزر الذي يقوم بتشغيل مرشات الزراعة فأخذت تمطر مطرا أرضيا على سمير وهو واقف مكانه يستقبل عقاب عمه المهين صامتا بكبرياء، نال ضحكة انتصار مقهقهة من عمه وهو ينظر إليه مستمتعا بمظهره المبلل والتصاق ملابسه الباهظة به وفساد مظهرها الأنيق.

أطلت لورا على صوت ضحكة والدها لتلمح سمير من خلال الشرفة فحدجت أباها بقوله: "أبي! كف عن هذا! أنت لست ولدا صغيرا! انظر إلى ما فعلته به!"

هتفت لعادل ليقوم بإيقاف تشغيل المرشات فانصاع لأمرها فورا وخرجت بسرعة للقائه مكانه وهو مبتل وحينما استقرت واقفة أمامه اعتذرت له بشدة عن تصرف أبيها فقال وهو يشير بيده ملوحا: "انسي الأمر، لقد استحققت العقاب... جئت كي أتحدث معك.. وأطلب منك .... الصفح..... هلا غفرتِ لي؟"

ابتلعت ريقها وهي تنظر إليه مترددة فأضاف متوسلا: "لقد قصرت معك وأخطأت في حقك، لكنني أعدك أنني تعلمت من خطئي وسأكون أكثر حرصا في تعاملي معك.. أرجوك عودي إلي فأنا لم أهنأ بأي لحظة عشتها دونك"

طال تحديقهما بعيني بعضهما بحب ومودة، وكانت تحمل في عينيها كلاما كثيرا له استطاع أن يستخلصه ويقرأه فابتسم بدفء لها لترد الابتسامة بدورها. كان والدها يراقب من مكانه ثم قال مغتاظا: "تبا لكما معا... يا عادل!"

فهم عادل أمر سيده فأعاد تشغيل المرشات لتبدأ برشقهما سوية بينما تصرخ لورا وهي تحاول درء المياه عنها وتهتف لوالدها بسخط: "ماذا أصابك يا أبي؟ آآآآه هل فقدت عقلك! توقف!"

كان سمير يحاول أيضا أن يحتمي من الماء ثم انفجر ضاحكا لتتبعه لورا في ضحكها وهما يقفزان هنا وهناك ويحاولان الخروج من المصيدة التي نصبها والدها لهما.

راما

مضى الفصل الثاني من الجامعة دون أحداث مثيرة، الحدث المثير الوحيد الذي حصل هو تقيؤ سيلينا في وسط الممرات في بداية الفصل لتصبح حديث الكلية بكونها حاملا.

في هذه الفترة عمدت إلى الدراسة بشكل مكثف لتحسين علاماتي المتدنية من الفصل الفائت، وعدت لجوي الخاص مع سيلينا ولورا، استطعت أن أستشعر سعادة سيلينا في

حياتها مع إيان وهي توافق لورا أخيرا بكونه شابا لطيفا بحق، على الرغم من تاريخهما العجيب المحمل باللحظات الغريبة وغير المريحة بينهما. لكنني حمدت الله على قدرتهما على حل مشاكلهما ووقوعه في حبها لأنها تستحق أن تكون سعيدة، سيلينا عاشت فترة طويلة من الكدر وآن الأوان لها لأن تسعد.

لورا من جهة أخرى تمكنت من مسامحة سمير والقبول بالعودة إليه ليبقى زفافهما قائما في موعده في نهاية شهر تموز، وكم كانت متحمسة لذلك اليوم. وفاجأتني جولي بخبر ارتباط رشا ووائل، شككت سابقا بأمر عجيب بينهما، ثم أوضحت لي جولي أن وائل كان معجبا برشا منذ زمن، لكنها أصرت على صده مرارا حتى وافقت أخيرا على عرضه بالزواج. ولم يكن سبب رفضها إلا خوفها من مرورها بتجربة والدتها بالطلاق، لكن يبدو أنها لانت بفكرها بعد مرير الأحداث التي عايشتها وأرغمت فراس على تذوقها معي.

بالنسبة لي لا جديد في حياتي، علمت من لورا بسفر فراس خارج البلاد وقد عزم على إنهاء فصله الأخير في الجامعة عن بعد كما صرّح هو لي، لا علم لي بوجهته أو سبب رحيله بالضبط، لكن قلبي كان مفطورا لغيابه ومع ذلك تحاملت على نفسي وأرغمتها على العيش بسعادة صديقتيّ، إلا أنني قبيل سفره أرسلت إليه رسالة مع لورا وطلبت منه ألا يفتحها حتى يصل وجهته، كانت فحواها كالآتي:

"إلى فراس... لا أجد لقبا أصفك به، فإن قلت صديق فلن أفيك حقك في قلبي وإن قلت حبيب لن تكفي لوصف إحساسي... أحببت أن أودعك قبل أن ترحل بعيدا عني، وإني لأتمنى أن تجد ما تبحث عنه وافتقدته هنا... لا أعلم إن كنت تعلم لكنني لم أزرع حبك في قلبي بين ليلة وضحاها لقد أحببتك منذ خمس سنين، كم يبدو ذلك

مريضا وسخيفا ولا أصدق أنني اعترفت لك بذلك للتو، لكنني أردتك أن تعرف الحقيقة، ربما تعود وربما لا، لكن كن على علم بأن مكانتك محفوظة في قلبي دوما ولن أنساك فأنت من علمني أسرار الحب. أتمنى لك السعادة أينما كنت وأرجو أن تحفظ ذكراي بالخير....

من أحبتك حتى الجنون، راما"

بعد إرسالي تلك الرسالة شعرت بتحسن طفيف في قلبي، فحتى لو لم يعد فالمهم أن يعلم بأنني أحبه ولن أنساه.

زرت قبر ساشا كثيرا تلك الفترة، كما أنني تجرأت وقمت بزيارة ابنها، عرّفت أهله بي كصديقة قديمة لساشا وأحمل معي رسالة له منها، وبعد ترددهم في السماح لي برؤيته وإحاطتهم الجلسة كحرس شخصي له، تجرأت بعد تردد وألقيت عليه تحية مع ابتسامة صادقة، لكنه بقي جامد الملامح لعدم معرفته سبب ابتسامة فتاة غريبة عنه له، ثم قلت: "أنت لا تعرفني لكنني أعرفك، كنت صديقة أمك قبل أن... تودع أمانتها لربها... تحدثت عنك كثيرا، كانت مشتاقة إليك، وحدثتني عن ذكائك وأخلاقك الحميدة، أمك راضية عنك يا جاد"

اغرورقت عينا الطفل بالدموع ثم بدأت شفتاه ترتجفان فقام بالعض عليهما ليحاول منع نفسه من الانهيار، مسح دموع عينيه بكم ملابسه، ثم قال: "هل يمكنني أن أطلب منك طلبا؟ أريد زيارة قبر أمي"

نظرت إلى عمه الجالس إلى جانبه الذي بدا عليه مقته للفكرة فاستبسلت لمحاولة إقناعه حتى تدخلت زوجته قائلة: "يا أبا محمود، دعه يزر قبر أمه فهذا أقل حقوقه"

وهكذا وافق على شرط خروجنا بسيارته ليتأكد أنني لن أخطفه، تركت جاد واقفا أمام قبر أمه وأبقيت مسافة خاصة له حتى يفصح عن مكنونات قلبه بحرية دون أن يشعر أنه مراقب، وطلبت من عمه أن يبقى بعيدا أيضا. بكى جاد وجلس أرضا ومسح على شاهد القبر وهو يعدها أن يكون رجلا صالحا حينما يكبر ليسد جزءا من بره لها.

أدهشني كيف أن طفلا بعمره يمتلك هذا النوع من التفكير، تأكدت أن هذا الولد ليس عاديا وأنه يكبر سنه بأعوام. حزنت له واسترعى دموعي مجددا لأتذكر حزني على ساشا ومفارقتها، ما أعلمه يقينا أنني لن أنساها ما حييت.

اقترب زفاف لورا، وكبر بطن سيلينا بعد علمها بحملها بجنين ذكر أرادت تسميته أحمد كخاله فلم يمانع إيان رغبتها وكان سعيدا بسعادتها.

وأخيرا حان الوقت لزواج لورا، صحبناها إلى الكوافير الذي تتعامل معه وسلّيناها برفقتنا. ارتدينا ثوبين متماثلين لاتفاقنا على أن نطلق على أنفسنا لقب أشبينتي العروس. كان الفستان مكشوف الذراعين، قصيرا وواسعا من تحت الصدر من أجل بطن سيلينا البارز.

وصلنا الفندق الذي سيقام فيه الفرح، فتفاجأت برؤية والدة فراس، لأعلم أن المياه عادت إلى مجاريها بين العائلتين، اقتربت مني واحتضنت وجهي بحنو ثم قبلتني على جبيني وهي تغدقني بعبارات لطيفة وهي تتحدث عن مقوماتي الجمالية، ثم عرفتني على ابنتها ألما التي جاءت من السفر، ولم يخطئ فراس بوصفها بأنها تشبه والدها، كانت نسخة أنثوية جميلة عنه.

تعجبت هي بدورها للشبه بيني وبين أخيها المرحوم، ثم عرفتني بأبنائها الثلاث، كانوا صغارا في العمر أكبرهم بلغ سن السادسة، ثم عرفتني السيدة ميار إلى حماتها، كانت

جالسة إلى الطاولة الأمامية من الحفل وحينما رأيتها صدمت، فلم تكن إلا العجوز ذاتها التي كانت تزعجني وهي تطلب مني قبول الزواج بحفيدها عند موقف الحافلات.

عندما رأتني صدمت أيضا ثم قالت: "ألم تتزوجي بعد؟ قلت لك ارتبطي بحفيدي فهو مهندس، والآن أضعته من بين يديك فقد سافر خارج البلاد!"

تمنيت أن يأتي أحد ويصفعني لكي أتأكد أنها ليست جدة فراس وأنها لم تكن جالسة أمامي. قطبت أمه حاجبيها متعجبة وسألتني: "هل تعرفين حماتي؟ من أين عرفتها؟"

أنقذني من إجابة سؤالها الإعلان لدخول العرسان إلى القاعة فأسرعت للوقوف بجانب سيلينا في الصفوف التي حوطت المدخل. ثم دخلت لورا بحلتها البيضاء وهي تمسك بيد عريسها وفي يدها الثانية كانت تحمل باقة من الورد، ورمتني بنظرة سعيدة مع ابتسامة مشرقة.

وحينما استقرت مع سمير في منتصف القاعة أعلنت أنها تريد رمي باقة الورد للفتيات العازبات، فأسرعن جميعهن للوقوف أمامها قبل أن تستدير موجهة ظهرها لهن، دفعتني سيلينا لمشاركتهن لكنني رفضت محرجة، فما الداعي لهذا أصلا؟ لست مستعدة للزواج بكل الأحوال! فما زال قلبي متعلقا بفراس وحتى أتمكن من تخطي جزء من مشاعري تجاهه قد أفكر وقتها بالارتباط، أي بعد سبعين سنة تقريبا!

دفعتني بقوة أكبر ففقدت توازني وسرت رغما عن إرداتي بين الفتيات فنظرت نحوها مهددة، فبادلتني بابتسامة سمجة، ثم التفتت لورا نحونا وبدل أن ترمي الباقة باتجاهنا سارت نحوي ووضعت الباقة بين يديّ، تعجبت لتصرفها، وقطبت جبيني متسائلة عما يدور في خلدها. فاتجهت عائدة بجانب سمير وأمسكت مكبر صوت من الفتاة المسؤولة عن الدي جي ثم قالت: "قبل أن نبدأ حفل الزفاف لدينا إعلان"

انقشعت الفتيات من حولي وسط ذهولي وفتحت البوابة التي دخل منها العروسان للتو ليتقدم منها شخص آخر، نعم، لم يكن إلا فراس! كان يرتدي بزة رمادية أنيقة، ويطبع على وجهه ابتسامة مشرقة وعيناه الزرقاوان تشعان بزرقة أعمق مما اعتدته منه. لحظتها هتفت جدته: "ها! هذا هو حفيدي الذي حدثتك عنه!"

جذبتها أم فراس لتجلس برفقة نساء أعمامه الأخريات، سار مبتسما حتى وصل إلي، ثم قال: "اشتقت إليك"

لكنني أجبته بتيه: "لست أفهم!"

ابتسم من جديد وهو يوجه نظره نحو والديّ ثم قال: "سبق أن حدثت والديك واتفقت معهما على كل شيء، ولا ينقصني إلا موافقتك"

ابتلعت ريقي وسألته: "موافقتي على ماذا؟"

فركع أرضا على ركبته وأخرج من جيبه علبة فتحها فرأيت فيها خاتمي الذي أعدته إليه سابقا حينما أنهينا خطوبتنا، وقال: "لن أكون فراس إن لم تكن راما في حياتي، حبي لك كتعانق السماء والأرض، فلن أكون تلك الأرض المثمرة إن لم تمطريني بغيث حبك لي وتضيئي بشمسك عتمة قلبي الحزين... فهل تقبلين بي زوجا لك؟"

وقعت من يدي باقة الورود واحتضنت وجهي وأجهشت بالبكاء، فنهض بسرعة وقال: "هل قلت شيئا خاطئا؟ هل أسأت إليك بشيء؟"

أومأت برأسي رفضا، وقلت: "هل أستحق صفحك عني أصلا؟"

ابتسم ساخرا وقال: "حمقاء! هل يوجد أعظم من فتاة تضحي بحياتها لإنقاذ حب حياتها؟ ربما أحببتني من سنين لكنني عشقتك كأنما أعرفك أبد الدهر... تزوجيني وكفى مماطلة، نحن نستحق نهاية سعيدة بعد الذي ذقناه!"

مسحت دموعي وأنا أضحك وأومأت له بموافقتي فسألني إن كنت موافقة من جديد لأنطقها بلساني هذه المرة فأسرعت لورا وسيلينا لاحتضاني وعلت أصوات الزغاريد من حولي، وفوجئت بجولي ورشا تقبلان نحونا وأخذتني جولي بأحضان حارة وهي تهنئني واكتفت رشا بتهنئتها بمصافحتي مع ابتسامة صادقة.

احتفلنا تلك الليلة بزفاف لورا وإعلان خطبتي من جديد من رفيق روحي ومن اختاره القلب منذ البداية، فصدق من قال وما الحب إلا للحبيب الأول.